

شِعْرَاءُ الْأَنْدَلُسِ

# ديوان ابن زيدون

رَسَائِلُهُ أَخْبَارُهُ شِعْرُ الْمَلِكَيْنِ

« ابن زيدون عبقرى زمانه قصر المحسنون عن إحسانه  
أخذ الروم في الحزيرة عنه ومشوا في خياله وافتنانه . »  
« شوقي »

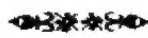
شَرْحٌ وَضَبْطٌ وَتَصْنِيفٌ

كامل كيلاني و عبد الرحمن خليفة

الطبعة الأولى

١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م - رقم ٤٧٤

كل الحقوق محفوظة



طبع بطبعة

مُصْطَفَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ وَأَوْلَادُهُ بِمُصَرَّ

وباشطقة محمد امين عمران



# فهرس

## مقدمة ديوان ابن زيدون

صفحة	صفحة
١٧	٨
٢٧	١٠
٣٠	١٠
٣٣	١٠
٣٧	١٢
٤٢	١٣
٤٤	١٥
٥٠	١٦
٥٥	١٧
	١٧

## فهرس ديوان ابن زيدون

صفحة	صفحة
٣٨	١
٣٩	٤
٤٠	٩
٤٩	١٢
٥٤	١٣
٥٧	١٩
٥٨	٢٢
٥٩	٢٣
٦٠	٣٤
٦٠	٣٥

صفحة	صفحة
١١٩	٦١ وقال معاندا من قصيدة
١٢٠	٦١ موقف وداع
١٢٢	٦٢ وقال أيضا بمدح أما الوليد بن - هور
١٣٠	٦٦ مداعبة
١٣٦	٦٨ جرب الناس وامتنحن
١٣٩	٦٩ في مدح ابن - هور
١٤٠	٧٤ عاب
١٤٨	٧٥ رثاء فتاه
١٤٩	٧٦ في الغزل
١٥٠	٧٧ تهنئة
١٥٢	٧٨ تهنئة بفصد
١٥٣	٧٩ في مدح ابن - هور
١٥٨	٨٢ شكر
١٦٥	٨٩ شفاعه
١٦٧	٩١ هدية تفاح
١٦٨	٩٢ لايهنا التمت
١٦٩	٩٨ أترع الكأس
١٧٠	٩٨ لاحيلة في الحب
١٧٤	٩٩ في مدح ابن - هور
١٧٧	١٠٥ الى ابن - هور
١٨٤	١٠٦ مجلس أبي علي
١٨٨	١٠٧ جواب
١٩٢	١٠٨ كن كيف شئت
١٩٥	١٠٩ حنين
١٩٧	١١١ في الغزل
٢١٦	١١١ في بعض مجالس الأنس
٢٢٣	١١٢ شكوى وألم
	١١٨ جواب



صفحة		صفحة	
٢٦٥	قنم	٢٢٣	الى حبيب
٢٦٥	خداع الأمانى	٢٢٤	فى مدح أبى المظفر
٢٦٦	فى العزل	٢٢٩	ذكرى قرطبة وأيام الصبا
٢٦٦	الى هاجر	٢٣٦	الى ابن عبدوس
٢٦٦	دعاء محب	٢٤١	مدح ابن جهور وشكر باديس
٢٦٧	أنت حبيبى	٢٤٣	اسم من أحب
٢٦٧	ما الذى أنكره ؟	٢٤٤	الى أبى العطف
٢٦٧	شوق بعد سلوان	٢٤٧	بين ابن زيدون والمعتمد
٢٦٨	أسر الهوى	٢٤٨	الى المعتمد
٢٦٨	مؤذنة	٢٤٨	جواب للمعتمد
٢٦٨	وصف الكأس	٢٤٩	جواب آخر للمعتمد
٢٦٩	غاية المحبين	٢٤٩	وفال للمعتمد يستهديه خيرا
٢٦٩	صفح المذنب	٢٥٠	وفال مجابا المعتمد
٢٦٩	لا بأس	٢٥٣	وفال
٢٦٩	عتب	٢٥٣	وهل
٢٧٠	تجننى الحبيب	٢٥٤	مهنته
٢٧٠	لا بأس فى الحب	٢٥٧	ذكرى ولادة
٢٧٠	بقية المساوئ	٢٥٨	الى ولادة
٢٧١	غرور المي	٢٥٩	الى أبى حفص بن برد
٢٧١	صلنى	٢٥٩	ليل أنس
٢٧١	شكوى ضائعة	٢٦٠	دواء
٢٧١	وفاء المحب	٢٦١	حسبى رضاك
٢٧٢	عذر الحبيب	٢٦٢	عودى الى الوصال
٢٧٢	حذر العاشق	٢٦٣	أبو القاسم
٢٧٢	قناعة المحب	٢٦٣	وفال
٢٧٣	كيف السلو	٢٦٤	آلام المحب
٢٧٣	أنت المي	٢٦٤	كيف السلو

صفحة		صفحة	
٣١١	الى المعتمد	٢٧٣	بقاء على العهد
٣١٣	صرعى الحب	٢٧٤	أين وفاؤك
٣١٣	ذكرى قرطبة	٢٧٤	صرع الحب
٣١٣	رسائل ابن زيدون وأخباره وشعر الملكين	٢٧٥	وفاء المحب
٣١٤	الرسالة الهزلية	٢٧٥	أنت حسبي
٣٣٣	الرسالة الجدلية لابن زيدون	٢٧٥	الى هاجر
٣٤٦	رسالة الى المطهر	٢٧٦	لا سبيل الى السلو
٣٥٥	رسالة الى ابن مسلمة	٢٧٦	أنت الحياة
٣٥٧	رسالة الى المعتضد	٢٧٦	ذكرى معاهد قرطبة
٣٥٨	رسالة من قرطبة	٢٧٧	غدر الحبيب
٣٦٠	من رسالة	٢٧٨	اصنع ما شئت
٣٧٠	شعر المعتضد	٢٧٨	أمنية
٣٧٧	شعر المعتمد	٢٧٨	نعمى فداؤك
٣٧٩	ابن عمار	٢٧٨	دين الحب
٤٠١	معارضات الشعراء لابن زيدون	٢٧٩	وفاء
٤٠١	معارضة أنى بكر	٢٧٩	فى سبيل الهوى
٤٠١	معارضات أمير الشعراء	٢٧٩	صلة المحب
٤٠٩	صفحات من كتاب الذخيرة	٢٨٠	مقيم على العهد
٤٢١	صفحات من كتاب نفح الطيب	٢٨٠	آلام المحب
٤٢٣	ابن جهور	٢٨١	المعميات والأناز
٤٢٥	جهور	٢٨١	الى المعتمد
٤٢٥	بنو عباد	٢٩٩	الى المعتمد على الله
٤٢٦	صفحات من كتاب العيني	٣٠١	جواب
٤٢٧	ملوك الطوائف	٣٠٣	الى المعتمد
٤٣٠	دراسة الدكتور أحمد ضيف لابن زيدون	٣٠٦	جواب على بيت مطير
٤٣٨	دراسة الأستاذ السكندري » »	٣٠٧	البيت المطير
٤٤٢	دراسة الأستاذ علام سلامة » »	٣٠٧	حل البيت المطير
٤٤٣	دراسة الأستاذ أحمد زكى اشا » »	٣٠٨	جواب على بيت مطير
٤٥٥	فهرس القوافى		

مقدمة ابن زيدون

# تصدير

لحضرة صاحب السعادة أمير الشعراء

يَا ابْنَ زَيْدُونَ مَرَحِبًا      قَدْ أَطَلَّتِ التَّغْيِبَا  
إِنَّ دِيْوَانَكَ الَّذِي      ظَلَّ سِرًّا مُحَجَّبَا  
يَشْتَكِي الْيَتِيمَ دُرُّهُ ،      وَيُقَاسِي التَّغْرُبَا  
صَارَ - فِي كُلِّ بَلَدَةٍ -      الْإِلْبَاءَ مَطْلَبَا  
جَاءَنَا « كَامِلٌ » بِهِ      عَرِيًّا مُهَذَّبَا  
تَجِدُ النَّصَّ مُعْجِبًا      وَتَرَى الشَّرْحَ أَعْجِبَا

\*\*\*

أَنْتَ فِي الْقَوْلِ كُلِّهِ      أَجَلُ النَّاسِ مَذْهَبَا  
بِأَبِي أَنْتَ هَيْكَلًا      - مِنْ فُنُونٍ - مُرَكَّبَا  
شَاعِرًا أَمْ مُصَوِّرًا      كُنْتَ، أَمْ كُنْتَ مُطْرِبَا؟  
تُرْسِلُ اللَّحْنَ كُلَّهُ      مُبْدِعًا فِيهِ مُغْرِبَا  
أَحْسَنَ النَّاسِ هَاتِفًا ،      بِالْفَوَانِي مَشْبَبَا  
وَتَزِيلُ الْمُتَوَجِّعَ      - نَ النَّدِيمَ الْمُقْرَبَا  
كَمْ سَقَاهُمْ بِشِعْرِهِ      مِدْحَةً أَوْ تَعَثُّبَا  
وَمِنَ الْمَدْحِ مَا جَزَى      وَأَذَاعَ الْمَنَاقِبَا

\*\*\*

وَإِذَا الْهَجْوُ هَاجَهُ      - لِمَعَانَاتِهِ - أَبَى

وَرَأَاهُ رَذِيْلَةً      لَا تُتَمَنَّى التَّأْدُبَا  
مَا رَأَى النَّاسُ شَاعِرًا      فَاضِلَ الْخُلُقِ طَيِّبَا  
دَسَّ لِلنَّاشِقِينَ - فِي      زُنْبَقِ الشَّعْرِ - عَقْرَبَا

\*\*\*

جُلْتُ - فِي الْخُلْدِ - جَوْلَةً      هَلْ عَنِ الْخُلْدِ مَنْ نَبَا ؟  
صِفْ لَنَا مَا وَرَاءَهُ      مِنْ عُيُونٍ وَمِنْ رُبَى  
وَنَعِيمٍ      وَظِلَالٍ مِنْ الصَّبَا  
وَصِفِ الْخُورَ مُوجِزًا      - وَإِذَا شِئْتُ - مُطْنِبَا -

\*\*\*

قُمْ تَرِ الْأَرْضَ - مِثْلَ مَا      كُنْتُمْ وَأَمْسِ - مَلْعَبَا  
وَتَرَى الْعَيْشَ لَمْ يَزَلْ      - لِابْنِي الْمَوْتِ - مَأْرَبَا  
وَتَرَى ذَاكَ - بِالَّذِي      عِنْدَ هَذَا - مُعَذَّبَا

\*\*\*

« إِنَّ مَرْوَانَ عُصْبَةٌ      يَصْنَعُونَ الْعَجَائِبَا  
طَوَّقُوا الْأَرْضَ مَشْرِقًا      - بِالْأَيْدَى - وَمَغْرِبَا  
آلَةُ أَطْلَعَتْكَ فِي      ذِرْوَةِ الْمَجْدِ كَوْكَبَا  
أَنْتَ لِلْمَتَّحِ تَنْتَمِي      وَكَفَى الْفَتْحُ مَنْصِبَا  
لَسْتُ أَرْضَى بغيرِهِ      لَكَ جَدًّا وَلَا أَبَا »

« شوقي »

# مقدمة

## ١ تحريف الديوان

كان أيسر ما في هذا الديوان نسخه وضبطه وشرحه : فقد أنشأنا ما كابدناه فيه من عناء التحريف كل عناء آخر كابدناه فيه ، وقد وفق السامع أيعا توفيق في تشويه محاسن هذا الديوان الفد ، وتحريف آياته ، وطمس غرره وشيويه .

ولقد كما قرأ القصيدة عدة مرات ، وكأنا - لشدة ما فيها من تحريف واضطراب - أمام طلسم غامض لا سبيل إلى حله ، ثم لا يلبث الصبر أن يذلل من العقبات ما كنا نوقن باستحالة تذليله ، وكانت تعريتنا لذة الفوز والانتصار - كلما اجتزنا عقبة - أن تقتحم أخرى حتى انتهينا من هذا الديوان ونحن لانكاد نصدق بأننا قد اجتزنا هذه المعارة المخيفة ، ورفعنا عن ذلك المسجم الرائع كثيرا من الهضاب والكثبان المترصة فوقه .

وما نزعنا أننا قد برأنا هذا الديوان من كل عيب ، ونزهناه عن كل تحريف ، ولكننا نجروا فزعم أننا لم نأل جهدا في تبرئته من كل عيب وتزويه عن كل تحريف ، فإذا بدعنا عن خاطرنا معنى أولق بذهننا كالل في تصحيح بيت أو تجلية غامض فهو الذهن الانساني يخلق ثم يسقط ، ويدع ثم يستخف ، ويعتوره القصد والكال ، أقوى ما يكون رغبة في توخي الابداع والكمال .

## ٢ - أمثلة من التحريف

فلما إن نسخ هذا الديوان وضبطه وشرحه كانت أيسر ما لقينا من العناء ، وهذا الكلام ربما لمح فيه القارى الخالى الدهن نوعا من الزهو والخيلاء ، واسكه الحفيظة التي لا أثر للعالة فيها ، ولو أننا أردنا أن نسر كل ما أصلحناه من تحريف أو تشويه . لا اضطررنا إلى ذكر أكثر آيات الديوان ، وفد أشربا إليها في . واصعبا من الكتاب ، فلجئنا بذكر القليل منها عن الكثير ، ليرى القارى المصنف مقدار ما جنى السامع على شعر هذا الشاعر العظيم ، ونحن لانرى في مثل هذا العمل إلا أنه زكاة يؤديها الأديب للأدب العربى الزاخر بأروع الحوارج النفسية وأسمى المعاني الرائعة .

وليمثل القارى نفسه أمام هذا البيت مثلا .

« لم يدع منى شتا من جلد مع أنى لم أرل ثبت العرر . »

أول البيت التالي :

« كأننا لم يواليا زمان لين الأخدع . »

أوقوله في نفس القصيدة : « وأنف العمل لا يجدع . »

أوقوله في قصيدة أخرى :

« حياء هو الليل ادلهم ظلامه . »

أوقوله :

« زمن كما لون الرضا ع يشوق ذكره الفطيم »

أوقوله : « لم أدع حظي منها بالحيل . »

أوقوله :

« فما ابنك إلا عدل نفسك إن يسر فالحسب لا لنفس منك مقام »

في قصيدة لم يرد فيها ذكر اسمه متاتا :

فإذا قرأت البيت الأول قراءة صحيحة . قلت :

« لم يدع مني سقاي جلدًا مع أني لم أزل نت المرر »

والبيت الثاني :

« كأننا لم يؤالسا زمان لين الأخدع »

والشطر الثالث : « وأنف المحل لا يجدع »

والبيت الرابع :

« جفناه هو الليل ادلهم ظلامه »

والبيت الخامس :

« زمن كما ألوف الرضا ع يشوق ذكره الفطيم »

والبيت السادس :

« لم أرغ حظي منها بالحيل »

والبيت السابع :

« فما انك إلا عدل نفسك ان يع فالحسب لا لنفس منك مقام »

فاذا أضفت إلى هذا العناء عناء آخر هو بعض تسكيلة الأبيات الناقصة بما يلائمها، ظهر لك

أننا لم نكن مغالين في وصف ما كابدها من المشقة والتعب.

ومن أمثلة ذلك قوله : « . . . . في جواركم ذليل . »

وقد أتممتها بما يلائم المعنى قلنا : « [ جناحي ] في جواركم ذليل »

وقوله :

« . . . . شافعا لأبياديك التي بعضها يفوق الشناء »

وقد آتمناه وأصلحناه كما يلي :

« [ فتقبله ] شافعا لأبيادك التي بعضها يفوق الثناء »  
وانما اجتزأنا بهذه الأمثلة القليلة لأن الثمرة - كما يقول شيخ المعرة - تدل على الشجرة .  
ولأن الديوان كله مائل بين يدي القارئ فلا حاجة بنا إلى الإفاضة في ذكر الأمثلة .

### ٣ .. أثر التحريف

وكثير مما يرويه أساتذة الأدب في المدارس من شعر ابن زيدون محرف أو مشوه ، فمن ذلك ما أثبتته الأستاذ علام سلامة في مذكراته المطبوعة لطلبة دار العلوم :

« ربيت ملك كأن الله أنشأ مسكا وقد أنشأ الله الوري طينا . »

والبيت في وصف ولادة . وصوابه . « ريب ملك » ، وقد أكثر شعراء الأندلس - ومنهم ابن زيدون - من هذا التعبير ، والرواية التي أخذ بها الأستاذ علام هي رواية نصح الطيب الذي لا يقل تحريفه وتصحيفه عن تحريف الديوان وتصحيفه . وقد أثبتنا هذا البيت كما يلي :

« ريب ملك كأن الله أنشأ مسكا وقد أنشأ الوري طينا »

وبهذا يطهر جلال أسلوب ابن زيدون وروعة أدائه .

وقد روى بعض الأدباء البيت التالي لابن زيدون هكذا :

« سنون من الأيام خمس قطعها أسيرا ، وإن لم يدشد ولا قلا . »

وصوابها « مئون من الأيام خمس قطعها » فان سنين من الأيام أو سنين من الليالي أو سنين من الساعات لا معنى لها - ويؤيد هذا الرأي قول ابن زيدون نفسه من قصيدة أخرى في رسالة لابن جهور :

« أفصبرا مئين خمس من الأيام ؟ »

وقد وقع في هذا التحريف الأستاذ أحمد زكي باشا ثم تابعه في ذلك الأستاذ أحمد السكندري .

وظن الأستاذ زكي باشا ان ابن زيدون قد سجن مرتين ، الأولى خمس سنوات ، واستدل

على ذلك بالبيت الأول ، والثانية خمسمائة يوم ، واستدل على ذلك بالبيت الثاني .

أما الأستاذ السكندري فقد قرر أن ابن زيدون سجن خمس سنوات (١) ، وهو لم

يسجن إلا خمسمائة يوم كما يدل على ذلك شعره .

(١) قال الاستاد السكندري :

« لست ابن زيدون في السجن بضع سنين ، ولكن كم كان مدتها ؟ ومتى كان مبدؤها ؟ »

أما الأول فيجبنا هو عليه بقوله من قصيدته الطائية النابعة :

« سنون من الأيام - خمس قطعها أسيرا ، وإن لم يدشدولا قط »

وأما الثاني فيجبنا هو أيضا عليه بقوله من قصيدته الرائية التي كتب بها من السجن الى أبي الحزم

« لم يطو رد شابي كبرة وأرى برق المشيب اعلى في عارض الشعر »

جهور :



وقد جنى تحريف الفساح على أدباء العربية وشعرائها جناية لا تغفر فاضطربت بسببه آيات البلاغة ودقائق البيان وعزف الكثيرون عن أدبهم بعد أن رأوا ما فيه من الخلط والتشويه والتحريف ولا وهم على ذنوب لم يجترموها وآخذوهم بعيوب لا يد لهم فيها :

« وذنوب جرء سفهاء قوم وحل بغير جازمه العقاب »

ولا يزال رجال الأدب وأساتيده الأفاضل مسؤولين عن إصلاح هذه الروائع وتنظيم هذه الكنوز الغيسة وردّها إلى العوالب، حتى يظهر جلال الأدب العربي وروعته وتبرأ ذم القدماء مما لحق آثارهم الأدبية من الخلط والتشويه .

## ٤ — لماذا بدأت بهذا الديوان

كانت فكرة موقفة سديدة تلك الفكرة التي خطرت ببال الأستاذ الكبير الدكتور «أحمد ضيف» مدرس الأدب العربي بالجامعة المصرية القديمة حين طلب إلى عام ١٩٢٢ أن أترجم لطلبة الجامعة الفصل الرابع الذي كتبه الأستاذ المستشرق « نيكلسون » عن الأدب الأندلسي وتاريخه ، فقد كان من آثار تلك الفكرة أنني نشطت إلى إلقاء تلك المحاضرات التي أظهرتها للقراء في ذلك العام بعنوان « نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي (١) » ووعدت في مقدمة ذلك الكتاب بالعودة إلى البحث .

قل الثلاثين إذ عهد الصبا كث ولشبية غصن غير مهتمر »

ونحن نعلم أن انقطاع دعوة بي أمية عن قرطبة كان سنة اثنين وعشرين وأربعمائة ، ونعلم أن قد ولد ابن زيدون في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة فإذ كان بدأ خدمته في دولة آل حهور وهو في الثانية والعشرين من عمره وإذا قدرنا أنه بمت بهذه القصيدة في مبدأ اعتقاله كما هو الظاهر إذ قد صرح بها بأنه لم يبلغ الثلاثين ، كانت مدة خدمته لآل حهور لا تزيد على سنتين وكان بدء اعتقاله في نهاية سنة أربع وعشرين وأربعمائة أو أول خمس وعشرين وأربعمائة .

لست ابن زيدون في السجن خمس سنين استظف فيها أبا الحرم حهورا واستشفع عنده بابنه أنى الوليد محمد بن حهور ، وكان أليفه وصديقه من قل وغديره من الرؤساء ووجوه قرطبة لاوت إليه واليهم شكواه بعدة قصائد أبدعها ورسائل استند فيها حبه فلما ألأت له قلا ام

(١) وقد جاء في مقدمة ذلك الكتاب مايلي

طلب إلى حضرة الدكتور أحمد ضيف ، أن أترجم الفصل التاسع من كتاب « تاريخ آداب العرب للأستاذ نيكلسون » لأتليه في الجامعة المصرية ، وهو الفصل الذي أفردته من كتابه الممتع ، بالكلام على تاريخ الأدب العربي في أسبانيا .

لم أك قد أقرأ هذا الفصل حتى بدا لي خطره وثقاسته وعرضت لي عدة ملاحظات على بعض ما جاء فيه ولم أك قد أشعر في مناقشة نغمة الجوهرية حتى اتسع أمني مجال البعث وشجني على مواصلة ماراجته من القمص الشديد الذي يكاد يلمسه كل مطلع على الكتب العربية التي تناولت الكلام في هذا الموضوع وما علمته من الحاجة الماسة إلى كتاب يسر على طلبة الأدب الأندلسي وغيرهم من المتعابرين به ، قليلا مما يحكيه من عاء البحث في الأسفار العربية الضخمة المهوشة ويحفظ وقتهم الثمين من الضاع .

فالآن أعود إلى الكتابة بعد عشر سواب مضت على تلك الحوث التمهيدية الأولى .

\*\*\*

ولكن لماذا اخترت ابن زيدون وبدأت به قبل غيره من الشعراء ؟  
لقد كنت أسيء الظن بشعر ابن زيدون وأدبه ، ويخيل إليّ - كما يخيل إلى كثير من  
أدبائنا الذين يتسرعون في الحكم على الشعراء من غير أن يعنوا أنفسهم بدرس آثارهم  
وعصورهم دراسة مستفيضة - أنه شاعر صنعة مولع بالديع والمقابلات اللفظية لا يسمو إلى  
درجة الفحول الممتارين .

فاما وصلت الى قول « نيكاسون » في فصله الرائع : « وكانوا يلقبون ابن هاني بأنه  
متبني العرب ، كما يلقبون ابن زيدون بأنه محترى العرب (١) » صارت القارئ حبيشاً بأنني  
لا أستطيع الحكم على الجزء الثاني من هذه التسمية ، وقد عقدت فصلاً موجزاً في المقارنة بين ابن  
هاني والمتبني ، لأنني درست ديوانيهما ، ودلت الآن عن بعض آرائي في ذلك الفصل . ولم  
أستطع المقارنة بين ابن زيدون والبحترى ، لأنني فرأت ديوان الثاني ولم أقرأ للأول إلا بصع  
قصائد لا تسكني للحكم على شاعر .

ودكرت أن حلان نهضنا القريفة لا يناسب مع جهلنا عظماء لعنا الذين تركوا أوصح الأثر في بلاغه  
تستمد منها الحياة والذوق ، ومن كان من الواجب ألا يجهل الانسان عظماء الأمم دوى الأثر الكبير في  
المحصرة العالمية فهو أجدر ألا يجهل عظماءه قل كل شيء .  
دفعني هذه الاعتبارات إلى عدم الاقتصار على ترجمة هذا الفصل الممتع وثم اتخذه مرجعاً من المراجع  
الكثيرة التي رجعت إليها بدلاً من أن اتخذه موضوع المحاضرة .  
وقد اقصررت في هذا الكتاب على ترجمة "نصف الأول من هذا الفصل ، وقد ألقى القسم الأكبر من  
هذه المحاضرات منذ أكثر من عشرين عاماً في الجامعة المصرية ، ثم نشرت بعضها في إحدى الصحف الأدبية  
فلقيت من الاستحسان وإرساء ما سيجي على طبعها .

ولم يقتني أن أورد في حواشي الكتاب كثيراً من التعليقات الضرورية التي اضطرنني ضيق الزمن إلى  
الاكتفاء بالإشارة إليها دون ذكرها وقت لقاء المحاضرات .  
وقد تعددت ذكر أمثلة ونماذج شملت مكاناً من الكتاب ما كانت لتشغله لو أن كتبت ما حدثت سببي إلى  
الاستشهاد بها أو لو أني وثقت أن جمهور الأدباء قد يقرأها يوماً .  
(وعد) هذه طرقات سريعة ألقى بها إلى تاريخ الأدب العربي وسأذكرها بعد قليل بالتفصيل الذي  
منها فليقرأها القارئ على أنها مقدمة للدراسة لأدب في ذلك العصر ، ولتجدها بوابة لكتاب تناول فيه  
ذلك التاريخ شيء من التوسيع والاسهاب إذ أمكننا المرس ، وكان في الأجل بقية .  
(١) قال الأستاذ نيكاسون :

« إن قائمة العلماء الذين رحلوا في طلب العلم إلى أفريقيا ومصر وإلى المدن المقدسة في بلاد العرب وإلى  
حواضر - وديا العظيمة والعراق - وإلى حراسان وتركستان وإلى بلاد الهند - أياناً - كانت محوى  
كل نابي الأدباء ورجال البلاعة العريقة الذين أنجزهم اسباباً لا لامة كما يرى ذلك من يسمع الفصل  
الخامس من كتاب المعري . لهذا كتاب حركة ببادله الآراء في دؤب ونشاط فلم يستأثر إحد من رجال الشرق  
والغرب بشيء خاص ، وعرف الناس قبل كل شيء أنه من هير سمراء اللدلس كان هاني وابن زيدون كان  
يعتقهما اللدلس "شجرة من المحبوبين" في العرب وغتريه . »

ورأيت أن واجب الأمانة يقضى علىّ أن أدرس ابن زيدون كما درست المحترى لينسني  
لى أن أنصفه .

وما كدت أبدأ فى درس ابن زيدون ، شعره وثره ، وأتقصى أخباره وأخبار عصره ، حتى  
رأيت ماراغنى وأدهشنى مارأيت ، لقد كنت أستكثر عليه اسم شاعر عاى فصرت أسنقله الآن  
اسم شاعر كبير وكنت أكرهه لكلفه بالصنعة التى بغضت إلينا أكثر شعراء ذلك العصر  
وأفسدت علينا أكثر الأدب العربى ، فإذا بى أحب هذا اللون الرائع من الصنعة المجهة التى  
تتمزج بالفس وتهم من على القلب وتحب فيها أشد الناس بغضا لها ، وقد عرف ابن زيدون كيف  
يتخذ من الصناعة والبديع أدوات للافتتان فى الأداء والتعبير والابداع فى تصوير أروع المعانى  
الساحرة وأدق الخواج النفسية ، وإذا بها نفس تطرب إلى الجال وتفتن فى التعبير عنه ، وطبيعة  
سمحة صناع لا التواء فيها ولا تكلف ، وقد صدق القائل : « كل طعام يتناوله الصحيح  
ينقل إلى صحة ، وكل طعام يتناوله المريض ينقلب إلى مرض » وهكذا كرهنا المقلدون فى  
الصنعة والبديع ، كما حبب إلينا المدعون كثيرا من ألوان الصنعة والبديع .

الحق أن ابن زيدون ساحر بىانى حلاب يتخذ من الصنعة وسيلة للروعة والدقة وحسن  
الأداء ، كما يتخذ المصور الماهر من مختلف الألوان والأصاغ - وسيلة للتعبير عن أدق وأخفى  
الأسرار والملمحات .

ولا أكتفى القارىء أنى من ألد أعداء الصنعة اللفظية ، ولكننى من أشد أنصارها إذا  
جاءت عن هذه الطريق .

ولقد أراد بعض الكتاب أن يعيب على ابن زيدون وأما تول فرانس أنهما من رجال  
الأساليب ، ونسوا أن الأسلوب العالى هو غاية تخلع دونها الرذال ، وأن طول المراتة والدرس تخلق  
من صاحبها الكاتب الحاذق والشاعر اللق ولكنها أعجز من أن تخلق الكاتب الموهوب  
والشاعر العبقري أو تلهمهما الأسلوب العالى الذى يحاول بعض الأدباء أن يزرى به ويحقره .

## ٥ تنفيذ الفكرة

ولم أكد أبدأ فى قراءة ديوانه ونسخه حتى أكرت الرجل وفتت بشعره وسحرت  
ببيانه الرائع وإن قطع علىّ إعجابى وقتنى ما اعتوره من التحريف والتشويه - وهما من جبايات  
النساخ على الأدب العربى - ولكننى اعترمت المضى فى هذه الطريق الوعرة وصممت على  
اجتياز هذه المفازة التى لأعلام فيها ولاصوى (١) نسترشدها فى السير ، ثم شغلتنى أعمالى  
الكثيرة عن المضى فيها لما تتطلبه من عناء لا تحتمله صحتى المهوكة ، وفراغ من الزمن يضيق  
عنه وقتى المزدحم بالفروض والواجبات .

(١) الصوى . ملات الطريق التى يطلق عليها اسم « Milestones »

ولم يكن من اليسير على أن أظفر بأديب تدفعه الغيرة على الأدب العربي إلى التضحية بصحته ووقته في عمل مضمّن شاق لا يفهم منه القارئ العادي إلا أنه حين سهل لا يتجاوز شرح ديوان شاعر وضطه .

ولكن صديقي الأديب العالم الفاضل الشيخ عبد الرحمن خليفة تقدم إلى مظهر إلى استعداده لمعاونتي في هذا العمل والسير معي في هذه المفازة .

ولصديقي الفاضل ولع شديد بدرس الأدب العربي ، وغيرة نادرة على اللغة العربية ، وحرص بالغ على كسوز البيان العربي ، وصبر لا يشركه فيه إلا القليل من الأدباء المخلصين ، وعزيمة لا تعرف للتردد والنكوص معنى ، وهذه هي الصفات التي كنت ولا زال أبشدها فيمن يتصدى لمثل هذه الأعمال المضنية .

وكان صديقي عند حسن ظني به ، فقد كان يقضي معي الساعات الطوال دائما لا يكل ولا يني ولا يفتر عزمه الا ريثما يتجدد ، ويعود إلى أقوى مما كان عليه نشاطا وهمة ، وهكذا مضينا معترمين في شرح الديوان وضطه وإصلاح تحريفه حتى أظهرناه للقارئ في هذا المظهر الأنيق .

## ٦ - رسائل ابن زيدون وأخباره

ولما كان التحريف قد لحق نثر ابن زيدون كما لحق أشعاره وان خفت عناية الأدباء وتعاونهم وشروهم عناء التحريف في الرسالتين الجدية والمزلية فقد رأينا أن نثبت كل ما وقع لنا من نثر ابن زيدون وشعره وأخباره كما أثبتنا ما وصل إلينا من شعر « المعتمد » و « المعتضد » و « ابن جمهور » وبعض المعاصرين لابن زيدون كابن عمار وغيره ، وأننعناهم بدراسات الأدباء المعاصرين تمة للبحث .

وقد اتسع النطاق حتى ضاقت صفحات هذا الديوان - على كثرتها - فاضطرت إلى فصل سفين عنه وإخراجهما مستقلين ليعاونا القارئ على درس هذه المسكرة من كل وجوها . وسأفرد - إن شاء الله - كتابا يظهر بعد انتهاء طبع هذا الديوان الحافل . بعنوان « ابن زيدون - أدبه وعصره » وكتابا آخر بعنوان « ملوك الطوائف » ، يتناول مساهم الكلام في عصر ابن زيدون الذي عاش فيه ، حتى لا ينطق علينا قول المتنبي :

« ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام »

فاذا انتهيت من ذلك بدأت في إظهار ديوان « ابن حديس » في الحلقة الثانية من سلسلة شعراء الأندلس ، إن ساعدت الظروف وكان في الأجل بقية .

كامل كيلاني

# المشاهير

## ١ - ملوك الطوائف (١)

ابن جهور - بنو عباد

منذ سنين عديدة تقلص ظل السلطة العامة عن الولايات الاسلامية ، وأصبح أمرها بيدها ، ولم يكن تفكك السلطة أمراً مرغوباً فيه عند أهل تلك الولايات عامة ، فقد ذهب بهم التفكير إلى أبعد مداه جزعاً من المستقبل وأسفاً على الماضي . ولم يستفد من هذا الانحلال في البلاد إلا ملوك الافرنج وحدهم . وكان من نتائج هذا الانحلال أن اقتسم قواد البربر جنوب الجزيرة فيما بينهم ، وحكم الصقالبة الشرق ، وصار ما تبقى بعد ذلك منها مقبلاً بين الطائرين المتوئنين على الحكم ، وآخرين من بقايا الأسر العريقة ممن سنحت لهم الفرصة وساعدتهم على الثبات أمام ضربات « عبد الرحمن الثالث والمنصور » التي كانت مصوبة إلى الأرستوقراطية ، وانتهى الأمر بأن تكون من المدينتين الكبيرتين : قرطبة ، واشبيلية . حكومتان شوريتان ، أما قرطبة فقد حدث بعد إلغاء الخلافة أن اجتمع كبار أهلها وعمدوا إلى إسناد السلطة التنفيذية إلى « ابن جهور » الذي عرف عند الجميع بالجدارة والاستحقاق لتقلد هذا المنصب والاضطلاع بالحكم فرفض - بآدى ذى بدء - هذا المركز السامى الذى عرض عليه ، و بعد إلحاح من جماعة المنتخبين له ، رضى بقول هذا المنصب ، ولكن على شريطة أن يكون عضوان من أسرته زميلين له فى مجلس الشورى ، وهما : محمود بن عباس ، وعبد العزيز بن حسن ، فأجابه الجماعة إلى ما طلب ، ولكن على شرط أن يكون لـهدين الاثنين صوت استشارى .

وقد حكم السفير الأول الحكومة الشورية الجديدة بطريقة عادلة رشيدة ، وإليه يرجع الفضل فى أن أهل قرطبة لم يعودوا يشكون شيئاً من الظالم التى كانت تقع عليهم من قسوة البربر . فكان أول ما وجه إليه نظره أن صرفهم عن الخدمة ، واحتفظ ببنى

(١) ارجع إلى ما نشرناه فى آخر الديوان الأستاذ « نيكسون » « من ٤٢٧ » أما هذا الفصل فهو للامامة دوزى وقد نقلناه من كتاب « ملوك الطوائف » الذى نطهره قريباً إن شاء الله .

ايفورين» « Beni - Iforen » وحدهم ، وهم الذين يستطيع أن يعتمد على ولائهم وطلائعهم ، واستبدل بالآخرين الذين سرحهم من البربر حرسا وطنيا . وكان يظهر بمظهر من يريد استقرار نظام الحكم الجمهورى ، فكان إذا طلب إليه تنفيذ أمر يقول : « ليس من شأى أن أقرر أمرا هو من اختصاص مجلس الشورى ، وما أنا إلا منفذ لأوامره وقراراته . » وكلما وردت عليه قصة أو كتاب رسمى يكون موجهها إلى شخصه أبى تسلمه وأمر بتوجيهه إلى مجلس الوزراء . ولم يكن يصدر قرارا قبل عرضه على مجلس الشورى ، أضف إلى هذا أنه لم يكن يتظاهرا لـ « يظهر الحاكم ، فهو - بدلا من أن يقيم بقصر الخلافة - نقي مقابلا بمسكنه المتواضع الذى اعتاد سكناه دائما . وكانت العقيدة فى نزاهته ثابتة قوية لا تحوم حولها الشكوك والريب ، وقدر فضله مع هذا - أن يكون بيت المال فى داره وتحت إمرته ، فعهد بحراسته الى أكبر الناس مقاما وأكثرهم احتراما فى المدينة . ومع حبه - فى الحقيقة - للمال ، قضت عليه المصلحة ألا يرتكب عملا غير شريف ، ولما كان مقتصد ابل وحريصا حرصا يكاد يصل به إلى درجة الخل فقد أثرى حتى صار أغنى رجل فى قرطبة ، ولكنه فى الوقت نفسه بذل من الجهد المحمود ما وفر به اليسر والرخاء على الناس كافة .

وكان يذل ما فى وسعه لتحسين العلاقات الودية بينه وبين الممالك المجاورة ، وقد كتب له النجاح فى ذلك . فلم يمض وقت طويل حتى توطد الأمن ، وأمنت السبل ، وانتشرت التجارة والصناعة وهبطت أسعار المواد الغذائية . وأمّ قرطبة طوائف كثيرة من السكان أعادوا بناء الأحياء التى دمرها البربر أو أحرقوها حياء أو وقعوا النهب والسلب فى المدينة . وعلى الرغم من هذه الأعمال التى قام بها . فان قرطبة - عاصمة الخلافة القديمة - لم تسترد مكائنها السياسية ، ومنذ ذلك الحين بدأت اشبيلية - التى سنعنى بتاريخها عناية خاصة - تبرز الشأن الأول فى المركز السياسى .

كانت اشبيلية - منذ أمد بعيد لا تزال - مرتبطة الحظ بقرطبة متأثرة بما يجرى من الحوادث فيها ، متأسية بالعاصمة حاصعة لملوك الدولة الأموية على التعقب ثم لدولة بنى حود ، ومن جراء ذلك كان للنورة التى وقعت فى قرطبة أثرها السيئ فى اشبيلية ، فقد ثار القرطبيون على فاسم بن حود وطردهوه ، فعول هذا الأمير على اللجوء الى اشبيلية حيث يقيم بها ولداه ، ومعهما حامية من البربر تحت قيادة محمد بن زيرى من قبيلة بنى ايفورين .

وأرسل إلى الاشبيليين يأمرهم باخلاء مائة مسكن لجنوده القادمين معه . وقد ترك هذا الأمر أثرا سيئا فى نفوس أهل اشبيلية هذا إلى ما عرف عن جنود فاسم الذين هم أفقر أبناء جنسهم من أنهم من كبار اللصوص . وقد أظهرت قرطبة للاشبيليين أن من الممكن أن يتحرروا من هذا الير الذى يضجون بالشكوى منه . فعولوا على أن يحدوا حذر قرطبة ، إلا أن خوفهم من حامية البربر المقيمة بين ظهرانيهم حال بينهم وبين تحقيق أمانيهم ، وبعد

جهود مجح فاضى المدينة «أبو القاسم بن عباد» فى كسب قائد الحامية وضمه إلى جانبه بعد أن صرح له بأنه من الهين السهل أن يصحح ملكا على اشبيلية ، فأعلن حينئذ محمد بن زيرى استعدادة لمساعدته، وسارع القاضى فعقد بينه وبين قائد بربر «قرمونة» محالفة نقلدوا السلاح - على أثرها - ضد ولدى قاسم وحاصروا قصره .

ووصل قاسم إلى أبواب اشبيلية التى كانت مغلقة ، وحاول أن يجتذب سكان المدينة إليه بالوعود الخلابه ، ولكنه أخفق فى هذه المحاولة ، ولما أوجس حيفة من نفسه على ولديه اللذين كانا معرضين للهلاك داخل المدينة ، قنع على نفسه عهدا أن يحل - هو ومن معه من الجند - عن أراضي اشبيلية ، اذا ما أساموا اليه ولديه وأموالهما ومملكتاهما ، فضمن له الاشبيليون تنفيذ هذا الشرط ، وعلى أثر ذلك انسحب قاسم وعاد أدراجه ، وتم سحت للقاضى أول فرصة ليرضى حامية البربر . ولما حصلت المدينة على حريتها اجتمع سكانها ليختاروا حاكما يولونه عليهم ، إلا أن الخواطر فى هذه الحال لم تكن هادئة والنفوس لم تكن مطمئنة خشية أن تتمخض الحوادث عن ثورة ، أو أن يعيد بنو جود الكرة عليهم ، وحينئذ لا يتوانون لحظة عن معاقبة المجرمين التآثرين ، ولهذا لم تبد من أحد منهم أية رغبة قط فى أن يأخذ على عاتقه تحمل عبء المسؤولية عما وقع .

واتفق عامتهم على أن يلقوا عبء المسؤولية على عاتق القاضى وحده الذى حسدوا ثروته واستشعروا سرورا خفيا فى أعماق نفوسهم ، بدنو الساعة التى تصدر فيها هذه الثروة الطائلة .

فعرضوا على القاضى أن يتولى حكم المملكة ، وكان - مع ما يجيش بصدرة من مطامع وآمال - حكيما حازما ، فرفض فى إباء أن يتولى الحكم فى وقت غير مناسب . ولم يكن القاضى متصل السبب بالسلالات العريقة ، إلا أنه امتاز بحيازته أكر ثروة ، فقد كان يملك ثلث أرض اشبيلية ، وفوق ذلك امتلك له - بركة سامية من الاعتبار نظرا لمواهبه العلمية ، وكان يعوزه أن يضم الى هذه المؤهلات أن تدمج أسرته ضمن السلالات العريقة القديمة . وقد تم له ذلك - فيما بعد - ترجيا ، وكان يدرك أنه فى حاجة ماسة إلى وجود عدد من الجند تحت إمرته ، وليس لهذا العدد وجوده ، ولم يشك فى أن الارستقراطية العظيمة المجيدة فى اشبيلية لابد أن تثور على صعاوك مثله غير معروف النسب ، يسمو مكانه إلى تسم ذروة الخلافة ، ولم يكن ثمة شئ غير هذا فى الواقع ، وقد وقع هذا حقيقة عندما أوسك بنو عباد أن يؤسسوا الخلافة لأنفسهم . وثمة زعم آل عباد أنهم من سلالة ملوك «لحم» الذين كانوا يحكمون الحيرة قديما قبل ظهور محمد (صلى الله عليه وسلم) وكان الشعراء الذين يريدون إشباع بطونهم يتحنون الفرص للإشادة بهذا النسب العريق المزعوم ، على أنه لم يوجد ما يبرر هذا الزعم ، لأن بنى عباد والمتزلفين إليهم ومن يمتلقونهم لم يستطيعوا أن يقيموا الدليل على ذلك ، وكل ما يربط هذه الأسرة بملوك الحيرة أنها تنسب إلى قبيلة لحم اليمية التى ينسب إليها ملوك الحيرة . ولكن فرع أسرة آل عباد الذى

تسلسل منه آباؤهم لم يقطن - على ما يظهر - الحيرة بناتا ، ولكنهم كانوا يقيمون أخيرا بالعريش الواقعة على حدود مصر وسوريا في قسم إيميز « Emese » .

وعلى الرغم من أن آل عباد بذلوا ماى استطاعتم كي يصلوا نسبهم بملوك الحيرة فانهم لم يستطيعوا أن يصعدوا به إلى أبعد من نعيم والد عطف ، وكان عطف هذا على رأس كتيبة من جنود إيميز وقد رحل الى أسانبا مع بلج حيث أعطيت لجنود إيميز أراض على مقربة من اشبيلية وأقام على ضفاف الوادى الكبير ، وقد انحدر عن أصل هذه الأسرة فروع فيما يقرب من سبعة أجيال أخرجت ببطء من ظلمة الماضي أناسا صالحين عاملين مقتصدين ، واسماعيل والد القاضي هو عنوان مجدها وهو الذى خط بيمينه فى الصحيفة الذهبية لنسالة اشبيلية اسم عباد (١) . ولا غرو فقد كان اسماعيل من حملة الأقلام والسيوف ، وكان رجلا فقه ودين كما كان رجلا حرب وطعان ، فقد تولى قيادة فرقة فى حرس هشام الثانى ، ثم صار - فيما بعد - إماما لمجلس قرطبة الكبير ، ثم قاضيا لاشبيلية ، واشتهر بالفقه والذكاء والورع وإرشاد العامة ، وإسداء النصيح للكافة ، وكانت شهرته فى النزاهة تربو على شهرته فى غير ذلك من الأمور ، فهو على الرغم من انتشار الفساد والرشوة كان يتورع عن أن يقبل هبة من سلطان أو وزير ، وكان كريما الى أبعد غايات الكرم ، وقد لقي القرطبيون منه كرم الضيافة ، وحسن العشرة ، فجعلته كل هذه المزايا والصفات حريا أن يحرز أكرألقاب النبل والسؤدد فى العرب .

وقبل العهد الذى نحن بصدده توفى الى رحمة الله فى غصون سنة ١٠١٩ . وربما كان ابنه أبو القاسم محمد يماثله علما وأدبا وإن كان لا يدانيه خلقا وفضلا ، فقد كان أنانيا ذا أثر وطمع وصلف وتكبر وإنكار للجميل ، وقد حدث على أثر وفاة أبيه أن طمع فى أن يخلفه فى منصب القضاء ، ولكن القوم آثروا عليه غيره ، فتقدم بالرجاء الى قاسم بن جود قتال - بفضل قاسم - منصب القضاء الذى كان يؤمله . وقد يرى المتتبع للحوادث فيما بعد كيف كان نكرانه لهذا الجليل .

وفى مفتتح هذا العهد الذى نحن بصدده - أشار نبله اشبيلية وأصحاب الراى فيها على أبى القاسم قاضى اشبيلية أن يتنوا عرش المملكة ، ولما أدرك الغاية التى يرمون اليها أظهر لهم أنه لا يستطيع أن يقل هذا الشرف الذى يولونه إياه إلا بشرط أن يشرك معه فى الحكم أفرادا يعينهم هو بنفسه على أن يكونوا وزراء وأعوانه فى الاضطلاع بأعباء الحكم بحجة أن هؤلاء الاشخاص الذين يشركهم معه فى الراى ستألف منهم هيئة شورى تقوم على تدبير المملكة بحيث لا يصدر إلا عن رأيهم ، ولا يتخذ أى قرار بدون مشاورتهم ، فقبل الاشبيليون ما اشترطه القاضي من أن يكون حكمه على قواعد الشورى فلا يحكم بمفرده ، وطلبوا إليه إنفاذ ما اذتمه من تعيين أولئك الزملاء والأعوان ، فعين بعض كرام الأسر العريقة مثل ابن حجاج وآخرين كانت تسمو إليهم الأنظار وترمقهم العيون من نصرائه الذين أنجبهم العصر ،

(١) وكان عباد الجد الثالث لإسماعيل .



وأطلعهم كواكب في سماء مصر ، كأبي بكر الزبيدي العالم النحوي الشهير . وأدب هشام الثاني ، وبعد أن تم له ما أراد من ذلك انصرف همه الى تكوين جيش للمملكة ، رفع أعطيات وأرزاق الجند ، فانضوى تحت لوائه كثير من العرب والبربر ، ثم اشترى عددا كبيرا من المماليك ودرّبهم على القتال وجرد منهم حملة على الشمال ، وهي في الكثير الغالب كانت موجهة الى أمراء آخرين ، وقد حاصر قصرين في شمال فيزي أنشأ متقابلين على صخور يفصلهما سور وأطلق عليهما اسم الأخوين وهما معروفان الآن باسم «الأفوين» وكان يقطنهما اسبانيون مسيحيون كان أسلافهم قد عقدوا معاهدة مع موسى بن نصير ، والظاهر أن هذين القصرين لم يكونا في العصر الذي نتحدث عنه في حيازة ملك ليون ولا في حيازة أمير مسلم ، ولذلك استولى القاضي عليهما وأرغم الذين كانوا يدافعون عنهما - وهم زهاء ثلاثمائة فارس على - الانضواء تحت لوائه ، وبذلك زادت نواة جيشه فبلغت خمسمائة فارس ، وثمة اجتمع لديه من الجند ما يكفي للاغارة على الممالك المناخلة ، إلا أن حاله هذه لم تكن لتمكّه من صدّ هجمات قوية جدية ضدّ اشبيلية ، وهذا ما وقع له سنة ١٠٢٧ ، ففي هذه السنة جاء الخليفة الجودي يحيى بن علي وأمير بربر قرمونة محمد بن عبد الله وحاصرا اشبيلية ، ولما كان في منتهى الضعف بحيث لا يستطيع المقاومة طويلا أخذ الاشبيليون يفاوضون يحيى وأعلنوا أنهم مستعدون للاعتراف بسيادته عليهم على شرط ألا يدخل البربر مدينتهم فقبل يحيى هذا الشرط ولكنه شرط عليهم - ضمنا لوفائهم وإخلاصهم - أن يرسل بعض أعيان ونبلاء اشبيلية أولادهم ليكونوا عنده رهائن يضمن بها ولاء الاشبيليين ، فلم يستطع أحد منهم أن يقدم ابنه خشية من البربر الذين يقضون على حياته لأقل شبهة ، والقاضي وحده هو الذي لم يتردد في إجابة الطلب إذ أرسل الى يحيى نجله عباد . ولعلم الخليفة بما للقاضي من الجاه والنفوذ اكتفى بقول ابنه رهينة لديه ، وبفضل هذا العمل المجيد الدال على الاخلاص للبلاد ازدادت مكانة القاضي عند الاشبيليين عامة ، وأصبح - منذ ذلك الحين - لا يخشى شيئا لامن جانب الشعب ، ولا من جانب الخليفة الذي اعترف بسيادته شكلا وخيل إليه أن الفرصة السانحة قد أمكنته من الانفراد بالحكم .

ولما كان قد أبعد من مجلس الحكم مثل ابن حجاج وغيره ولم يبق معه سوى زميلين ثم رأى أن يصرفهما عن خدمته ، ونفى زبيدي ، وعين رجلا من خواص اشبيلية اسمه « حبيب » رئيسا للوزارة ، ولم يكن حبيب هذا من رجال المبادئ إلا أنه مع هذا كان ذكيا مخلصا بكل معاني كلمة الاخلاص لمولاه ، منصرفا الى مصلحته .

وعلى أثر ذلك أراد القاضي أن يزيد في رقعة المملكة بالاستيلاء على باجة ، وقد حلت أخيرا هذه المدينة المصائب في غضون القرن التاسع عشر من جراء الحرب التي نشبت بين العرب والأتراك . إذ نهبت وخرب البربر جزءا منها ، وعاثوا فيها سلبا ، وأحرقوا ما صادفوه في طريقهم ، وكان في نية القاضي إعادة تشييد ما خرب منها ، ولكن لما اتصل بعد الله بن الأفطس أمير « باداجوز » عزم القاضي ، جرد جيوشه تحت إمرة ابنه محمد « الذي خلفه فيما بعد باسم المظفر » وتم استيلاء هذه الجيوش على باجة في الوقت الذي جاء فيه اسماعيل بن القاضي بجيش اشبيلية وجيش حليف أبيه أمير قرطونة ، فبدأ حصارها في الحال وأمر فرسانه بالسلب والنهب في القرى الواقعة بين إيفورا والبحر ، وعلى الرغم من المدد الذي جاء من ابن طيفور ، فإن محمدا كان سيء الحظ كثيرا إذ بعد أن فقد نخبة فرسانه المحاربين وقع أسيرا بين يدي أعدائه وأرسل إلى قرطونة .

زادت هذه الانتصارات في حماسة القاضي وحليفه الأمير ، فلم يكتفيا بالاغارة على باداجوز وحدها بل أغارا على قرطونة أيضا فاضطرت حكومتها أن تستخدم للدفاع كثيرا من بربر ولاية سيدونا .

وبعد فترة من الزمن أبرم القاضي وحليفه صلحا أو سمه - إن شئت - هدنة مع الافتازيد وحيد بن أظلق محمد من الأسر برضا القاضي ( مارس سنة ١٠٣٠ ) ولما أبلغه أمير قرطونة نأى إطلاق سراحه عرض عليه أن يعرج في طريقه على اشبيلية ، ويدافع القاضي شكره ، ولكن محمدا لفرط اشمئزازه من القاضي ، قال لأمير البربر : « إني أؤثر أن أظل سجينك على أن أقوم بما أشرت به عليّ ، فإذا كنت مدينا لغيرك بإطلاق سراحي ، وكان علي أن أشكر قاضي اشبيلية وفاء لهذا الحق ، فإني أفضل أن أبقى حيث أنا سجين » فاحترم الأمير شعوره وأرسله إلى باداجوز مشيعا بما يليق برجل عظيم مثله من واجب الاجلال والتكريم .

وبعد بضع سنين أي في سنة ١٠٣٤ انقم عبد الله بطريقة قد تعتبر غير شريفة ونأى لنفسه من تلك الشدائد التي نالته ، وذلك بأن أباح للقاضي أن تمر بأرضه جنوده بقيادة اسمه اسماعيل وهي ذاهبة في طريقها للاغارة على مملكة ليون ، ولما كان اسماعيل وجنوده في مضيق لا يبعد كثيرا عن الحدود الليونية باغته جيش الافتازيد فقتل من جنود اشبيلية مقتلة عظيمة ، وقتل فرسان ليون فلول الجيش عند ايادهم بالفرار ، وأفلت اسماعيل من هذه المذبحة معه نفر يسير من رجاله ، وفيما كان موليا وجهه شطر مدينة لشبونة الواقعة على حدود مملكة أبيه من الجهة الشمالية الغربية تحمل هو ومن معه أشد آلام الحرمان من حاجات المعيشة الضرورية .

ومنذ هذه الآونة صار القاضي الحصم الألد للأمير « باداجوز » وليس لدينا معلومات تفصيلية عن

المعارك التي دارت بعد ذلك بين أمير «باداجوز» وخصمه، وعملا ريب فيه أن هذه الحروب لم يكن لها نتائج ذات شأن عظيم لأسبانيا المسلمة ولم تترك فيها أثرا يضارع ما تركه فيها حادث آخر سنتناوله فيما يلي. قلنا ان القاضي اعترف بسيادة الخليفة الجودي يحيى بن علي ولكن هذا الاعتراف عبارة عن تعهد غير مجد وقد بقي كذلك مدة طويلة فقد قام القاضي بحكم أشبيلية بلا سلطان عليه ولا رقابة وكان يحيى من الضعف بحيث لا يستطيع أن يلزمه بالمحافظة على حقوقه وقد تدأت هذه الحال تدريجا اذ وفق يحيى لأن يضم حوله جميع أمراء البربر تقريرا ، فأصبح من الآن بحق زعيم عامة الحزب الافريقى بعد أن كانت هذه الزعامة فيما مضى اسمية ، ولما كان معركه العام في قرمونة التي طرد منها محمد بن عسك الله فقد أصبحت جيوشه تهدد قرطبة وأشبيلية في آن واحد ، وقد أوحى هذا الخطر الخيف المهدق الى القاضي بفكرة وطنية لها خطرها وقيمتها لو لم يشبها الحرص والطمع والأمانية والجشع.

فقد رأى من الضروري أن يجتمع العرب والصقالبة تحت راية حاكم واحد حتى لا يعزو البربر الذين اتحدوا الاملاك التي سبق لهم غزوها .

وهذه هي الوسيلة التي تجعل اللاد بمنجاة من حلول مثل ما حل بها من المصائب من قبل ، وكان القاضي يشعر من أعماق نفسه بهذه الضرورة ، فقويت عنده الرغبة في أن يتألف حزب قوى كبير يندمج فيه جميع العناصر المعادية للحزب الافريقى ، وهو في الوقت ذاته يمتنى أن يكون رئيسه ، ولم تكن العقبات التي عليه أن يذلها لنيل تلك العاية بخافية عليه . فقد كان يدرك أن ملوك الصقالبة وأمراء العرب ، وشيوخ قرطبة يجرحون في كرامتهم اذا ما حاول أن يبسط سلطانه عليهم ، على أن شيئا من ذلك لم يذب همته ولم يجعل اليأس يقسرب إلى نفسه .

ولما كانت المصادقات ستخدمه ، فهو سيتمكن الى حد ما من الوصول الى الغاية التي يرمى اليها ، والمشروع الذي يعمل على تحقيقه ، وسنرى فيما بعد على أى نحو يتم له ذلك .

أسلفنا أن الخليفة التمس «هشام الثانى» فر من القصر في عهد سليمان الثانى . وقلنا ان أكثر الظواهر تدل على أنه مات في آسيا مجهولا غير معروف . ومع هذا فقد بقي الشعب غير مصدق بوفاة لتعلقه المفرط بالدولة الأموية التي درت عليه أخلاف البسر والرخاء ، وكسته حل الشرف والمجد ، وكان عامة أفراد الشعب يتلقون الاشاعات التي كانت ترد اليهم من الخارج منبهة ببقائه على قيد الحياة باهتمام وشغف ، وهناك أفراد كانوا يزعمون أنهم واقفون على تفاصيل حياته بآسيا فقد أشاع بعض أولئك الزاعمين أنه رحل أولا إلى مكة ومعه خريطة مملوءة بالقود والفائس ، فسله الزنوج الذين كانوا يرفقته مامعه ، وأنه استمر يومين لا يتذوق طعاما ولا شرابا ، إلى أن رآه رجل يصنع الفخار فرق له ورثى لحاله ، فعرض عليه أن يعجن له الصلصال على أن يعطيه في اليوم درهما ورغيفا ، فرجا صانع الفخار أن يعطيه الأجر سلفا إذ قد مضى عليه يومان لم

يتناول فيهما طعاما وبعد لأي استطاع هشام على كسل وفترة في العمل أن يكسب قوت يومه ، إلا أنه أشف من هذه الحالة فهرب ، وسار مع قافلة ذاهبة الى فلسطين ، ووصل الى اورشليم ، وهو في أشد حالات الاملاق ، وهناك بينما هو ينتقل في بعض طرق المدينة إذ وقف على حانوت حصري ، وأخذ ينظر الى عمله بانتباه شديد ، فسأله الحصري : هل تعرف هذه الصناعة ؟ فأجابه بحزن كلا ، وأما آسف لأنه لا سبيل الى العيش وكسب ما أسد به الرمق ، فقال الحصري : اذن فابق معي لحاجتي اليك في احضار الخيزران ، ولك أجرك ، فقبل مسرورا وبقي عند الحصري الى أن حذق الصناعة ، وما زال على هذه الحال بضعة سنين ، وقد أذاعوا بعد ذلك أنه عاد الى أسبانيا في سنة ١٠٣٣ ونزل مائقه ثم تحول عنها الى المريه ، فوصل اليها سنة ١٠٣٥ فاضطر الأمير زهير الى إبعاده خارج حدود مملكته ، فرحل الى كالاترافا وثمة التي بها عصا التسيار .

هذه الرواية التي صادفت راجا وقبولا من الشعب لا تستحق - على ما يظهر - أن تنال شيئا من الثقة ، والذي وقع حقيقة هو أنه في العهد الذي كان فيه يحيى يهتد إشبيلية وقرطبة ، كان في كالاترافا رجل حصري اسمه خلف يشبه تمام الشبه الخليفة هشاما الثاني ، ولكن لم يقم دليل على أنه هو بعينه ، وقد نفى الأمويون شيعة هشام ومعهم ابن حيان وابن خزم المؤرخان ما دار حول هشام المزعوم من الروايات والاراجيف وعسدوه ضربا من الحيلة السياسية والخداع والقحعة ، وان كان من مصلحتهم لو أمكن الوقوف لهشام على أثر ، ولم يتوقف خلف حين طرق سمعه كثيرا أنه شبيه هشام عن ادعاء أنه هو نفسه الخليفة هشام الثاني ، وقد جارت هذه الحيلة على أهالي كالاترافا ، لان خلفا لم يكن معروف النسب عندهم ، والأغرب من هذا أنهم دخلوا في طاعته ، وثاروا على أميرهم اسماعيل بن دهمان - نون أمير طليطلة فجاء هذا وحاصره ولم تطل مدة مقاومتهم ، وأخرج هشاما المزعوم من المدينة فهذا تأثر الأهالي ، وعادوا الى السكينة والخضوع .

ولم ينته دور خلف عند هذا الحد ، بل رجع عودا على بدء حين علم قاضي إشبيلية بخبره وعلم الفائدة التي يجنيها من وراء ذلك الرجل اذا هو أحضره الى إشبيلية ، وكان الذي يهمه إنما هو استغلال الموقف بقطع النظر عن شخصية الرجل ، كما كان يسره كثيرا أن يرضى الناس أنه هشام ، ليستطيع أن يكون باسمه حزبا ضد البربر ويكون هو بعنوان كونه رئيس الوزراء زعيم روح هذا الحزب ، ولهذا يبادر الى دعوة الخليفة المزعوم الى إشبيلية ، ووعد به تعزيده اذا نجح في اثبات شخصيته ، ولما حضر الحصري الى إشبيلية قدمه القاضي الى نساء هشام بالقصر ، فصرحن جميعهن تقريبا بأنه هو بعينه الخليفة السابق ، وعول القاضي على قولهن ، وبعث الى شيوخ إشبيلية وأمراء العرب والصقالبة يعلمهم بأن هشاما الثاني عنده ، ويدعوهم الى حمل السلاح معه دفاعا عن حقوقه ، ومؤازرة لقضية الخلافة وقد كان الله هذا المسمى

بالنجاح ، واعترف بسيادة هشام محمد بن عبد الله أمير قرمونة المخلوع الذي لجأ إلى اشبيلية ،  
وعند العزيز أمير بلنسية ، ومجاهد أمير دانية ، وجزر بليار ، وأمير تروتوزا ( طرطوشة ) .  
وعلم عامة الشعب في قرطبة علما مقروبا بالسروور أنه لا يزال على قيد الحياة ، إلا أن كبيرهم  
أبا الحزم بن جهور كان أقلهم تصديقا للخبر حرصا على الحكم ، فلم ينخدع ، ولم تجده هذه الحيلة  
الى نفسه مساعا ، ولكنه لم يجد سبيلا إلى مقاومة إرادة الشعب ، ومخالفة ميوله ، ورأى ضرورة  
اتحاد العرب والصقالبة تحت راية حاكم واحد ، لأنه كان يخشى في ذلك الحين أن يهاجم البربر  
قرطبة ، فلهذه الأسباب لم يناقض أغراض مواطنيه ، وسمحت نفسه بأن تتجدد البيعة لهشام  
الثاني من جديد .

وكان من نتيجة هذه الحوادث أنه بينما كان الحزب العربي الصقابي يتسلح ضد يحيى ، كان هذا  
محاصرا لإشبيلية ، مجدا في تخريب ما ينصل بها من العمران ، موطنا النفس على الانتقام الهائل  
من القاضى الحائن ، ولكن الملتفين حوله - من بربر قرمونة الذين أكرههم على الانضواء تحت  
رايته - كان هواهم مع هشام الثاني خليفتهم السابق ، وكادت الخابرة بينهم وبينه سائرة ، وفي  
اكتوبر سنة ١٠٣٥ ذهب فريق منهم خفية الى إشبيلية ، وأبلغوا القاضى ومحمد بن عبد الله  
أنه من السهل مساغته يحيى لأنه لا يكاد يفيق من السكر ، ولم يدع القاضى وحليفه هذه الفرصة  
تمر دون أن يستفيدا منها ، وهنا وجه القاضى ابنه اسماعيل ومعه محمد بن عبد الله على رأس  
الجيش الاشبيلي ، وعند ما أرخى الليل سدوله كن اسماعيل مع أكثر الجند في كمين ، وأرسل  
كوكبة لماوشة قرمونة ليغري يحيى بالخروج الى ظاهرها وقد نجح في خطته هذه ، اذ كان يحيى  
حين بلعه يحيى ابن عباد على رأس جيش ثملا ، فنهض وكان متكئا على سريره وصاح قائلا :  
« يا لها من فرصة سعيدة ، هذا ابن عباد مقبل لزيارتى ، والآن أيها الجند ، خذوا أسلحتكم  
وامتطوا جيادكم قبل ضياع الوقت ، وخرج في ثلاثة آلاف فارس ، وكان النبذ قد لعب برأسه  
فلم يتمهل ريثما يعي جنده وينظم خططه ، يضاف الى ذلك أن ظلام الليل الخالك كان يحجب  
عنه كل شيء ، وفوجيء الاشبيليون منه بهذا الهجوم المماغت فقابلوه من جانبهم بجند وعنف ،  
وأخذوا يتقهقرون بنظام نحو المسكان الذى كن فيه اسماعيل ، ومن هذه اللحظة سعى يحيى الى  
حفظه بنفسه ، فان اسماعيل انقض عليه بكل قوات الجند ، واضطره الى التقهقر ، وقتل  
يحيى نفسه في المعركة ، وكاد يأتى القتل على أكثر رجاله لو لم يحل محمد بن عبد الله دون ذلك ،  
وقال له : « إن أغلب هؤلاء المساكين من بربر قرمونة الذين أكرههم هذا الطاغية على الدخول  
في خدمته مع كراهتهم واحتقارهم له . » فأبقى عليهم وأمر جنده بترك تعقبهم وخف محمد  
ابن عبد الله إلى قرمونة على ظهر جواده ليسترد ملكه ، وأراد زئوج يحيى الذين استولوا على  
أبواب المدينة أن يحولوا بينه وبين الدخول لو لا أن ساعده الأهالى على دخولها من ثغرة ،  
وسار الى قصر الامارة وسلم نساء الأمير يحيى الى بنيه ، واستولى على ما فى القصر من كنوز  
ونفائس « نوفمبر سنة ١٠٣٥ »

وقد أحدث نبأ وفاة يحيى سرورا عظيما في اشبيلية وقرطبة ، وعند ما وصل الخبر الى مسامع القاضي خنّ ساجدا شكرا لله ، وحذا حذوه جميع من كانوا حوله ، والآن أصبح القاضي لا يخشى شيئا من جانب اليهوديين ، وقد نودى بادريس أحد أشقاء يحيى خليفة في ماله ، وقد كان يعوزه الوقت الكافي الذي يستطيع فيه أن يكسب بقوة نفوذه ، وما يقدمه من وعود ، قلوب زعماء البربر ، ليجعلهم في صفه ، ولهذا لم يعد في استطاعته أن يخضع الجزية بعد أن نادى الزوج فيها بأن عمه محمد ، خليفة .

ولما رأى القاضي أن الظروف خدمته ، همّ بأن يقيم هو وهشام الثاني المزعوم بقصر الخلافة في قرطبة ، إلا أن يقتله ابن جهور ، وتسميمه على عدم التخلي عن الحكم ، وقنا حجر عثرة في طريقه ، فقد نجح في اقناع أهل قرطبة أن الخليفة المزعوم لم يكن سوى رجل ماكر مخادع وأن اسم هشام قد أُلتي من الإمامة ، وعرف أن القاضي عند مجيئه بهشام الى قرطبة سيلقى أبوابها معلقة في وجهه ، وثمة لا يستطيع التغلب على مدينة منيعة حصينة مثلها ، فيضطر أن يعود من حيث أتى .



وعوّل في بداية الأمر على أن تعسكر جيوشه عند الأمير الصقاي ، وهو الأمير الوحيد الذي أبى الاعتراف بهشام الثاني ، ذلك الأمير هو زهير أمير المرية ، ومنذ أراد الخليفة دسّم أن يهون على الأمير ، واقطعه عدّة أملاك بدأ زهير يناصر اليهوديين ، ولما نودى بادريس حايفة بادر بالاعتراف به ، ولما صار الآن مهدّدا من القاضي عقد محالفة مع جيوس الفرناطي ، ثم زحم جيش إشبيلية ، وذهب لمقابلاته بجنوده وجنود حليفه إذ اضطره إلى التقهقر . ومن المحقق أن القاضي قد بالغ في الاعتداد بقوته ، ولم يحسب حساب أعدائه ، وكان عليه أن يخشى يحيى الوقت الذي تغزو فيه جيوس المرية وغرباطة بدورها إشبيلية . وكثيرا ما خدمته محاسن العصف التي شاعت أن يخلصه أحد أعدائه من عدوه الآخر .

## ٢ - المناهج الأدبية (١)

كل ما يكتب في هذا العصر إنما هو محاولات أولية ترمى الى المثل الأعلى الذى نشده جميعا ، ولا يزال الأدب العربى وتاريخ الأدب العربى فى أشد الحاجة الى جهود الأدباء المتواصلة لتنظيمه وتمحيصه وإصلاح تحريفه والكشف عن الاغلاط الكثيرة التى ألحقها به الفساح . ولازال كل جهد يبذل فى ازاحة الستور عن هذه المناجم الفيسة مفتقرا الى جهد آخر يشد أزره ويساعده .

قد كنا الى عهد قريب لانكاد نؤمن بأن فى العربية كلها شاعرا واحدا يجارى المشهورين من شعراء الغرب . فلما انصرف الأدباء والعلماء الى الدرس والتحجيص والبحث والتحليل ، اكتشف الشباب نخبة من فادة الفكر العربى الممتازين ، ولازلنا نطمع فى ازاحة الستور عن بقية اعلام الفكر العربى القديما .

وقد كان من الطبع أن يصحب نهضتنا وهى فى أولها ما يصحب كل نهضة أخرى من العلو والاسراف فى بعض الواجى ، وفى نهضتنا الأدبية عيب جوهرى نخشى أن يعوق سيرها حيناً من الزمن نحن فى أشد الحاجة الى الانتماع به واسعلا له بأقصى ما فىنا من قوة . ذلك العيب الجوهرى هو أن أكثر من يكتب فى تاريخ الأدب العربى ينقسم قسمين : فريق من المحافظين الجامدين وفريق من المجددين المسرفين .

يأتى الفريق الأول الا أن يتقيد بالنصوص القديمة ويأخذ بأراء القديما فى النقد والادب بالغة ما بلغت من الاضطراب والفساد من غير أن يعنى نفسه بعونها وتمحيصها ولا يكاد يردد الا عبارات محفوظة و (كباشيات) قدأبلاها الدهر ولا يكاد يجروا على استخلاص نتيجة واحدة من بحوثه الطويلة واطلاعه الواسع ، فامروا القيس أكبر مزاياء أنه دق و استوقف ، وبكى واستكى ، وذكر الحبيب والمزل فى شطر بيت واحد وذلك فى قوله :

« قما نك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فومل »

والباغة الديانى قد بز الشعراء بقوله :

« فالك كالليل الذى هو مدركى وان خلت أن المنأى علك واسع »

الى آخر هذه العبارات التى حان الوقت لاراحتها بعد أن أنهسكها طول الاستعمال وكثرة الاستشهاد والتكرار .

الفريق الثانى من غلاة المجددين أو - على الأصح - دعاة التجديد ، لا يبالون بالنصوص ولا يعنون أنفسهم بدرس الموضوع الذى يتصدون لبحثه ، وربما اكتفى بعضهم بالخلاص المدرسية التافهة فى الحكم على الشعراء والأدباء والأدب العربى كله . فالعرب - فى رأى أحدهم - لم يطرقة وانوعا بعينه من الشعر ، لأنه لم يقرأ هذا النوع فى تلك

(١) ثبت فيما يلى فصولا مخنارة من رسالتنا عن ابن زيدون ، توبرا للقراء .

الخلاصات المدرسية ، وهذا الشاعر لا يسمو الى مرتبة الفحول لأن الآيات القليلة التي قرأها في تلك الخلاصات لا تبرر وضعه في مصاف الممتازين والنوابغ .

وهم لا يرون اذا تصدوا للكتابة إلا وسيلة واحدة للطرافة والابداع وهي الخيال ، فهم لا يبالون اذا أعوزتهم النصوص أن يخلقوا تاريخ الشاعر خلقا ، وأن يدمجوا حياتهم في حياته وينحلوه نقائصهم وما يتخيلونه في نفوسهم من مزايا ، فتراهم يخلقون من الشاعر صورة هي أصدق مرآة نستشف فيها نفوسهم .

فاذا كان أحدهم حليعا تلمس شاعرا مشهورا بالخلاعة ولم يعن نفسه بشرح أسباب خلاعته مقدار عنايته بتبرير الخلاعة والتمدح بها ، واذا كان أحدهم حاقدا تلمس شاعرا مشهورا بالحق ، ولم يعن بالأسباب التي أحفظته على معاصريه عنايته بتبرير هذه الخلة فيه .

ولست أنكر على الباحث أن يتصدى لتحليل أية نفس إنسانية ماجنة أو جادة ، راضية أو ساخطة ، ولكنني أنكر عليه أن يخاف التاريخ خلقا ليؤيد رأيا - صالحا كان أو فاسدا - فان أمانة المؤرخ ودقته هما أول واجبه نحو الحقيقة والانصاف .

اما أن يصصر هوى أو يجبرى وراء خيال أو يطبق لما - بلا روية ولا أناة - نظريات مغلوبة وآراء فاسدة خاطئة تلقعها بلا روية ولا تدبر ، فذلك أضر على الحقيقة من أولئك الجامدين الذين لا يثقون بالأدب خطوة واحدة .

وقد بلغ من تهوس وشطط بعض دعاة التجديد أنهم أنكروا كل خيال عربي - لماذا ؟ لأنهم سمعوا أن أحد المستشرقين قال : « إن العرب ضيقو الخيال وإن سعة الخيال وعمق الفكر وقف على الآريين » .

فابن الرومي مثلا واسع الخيال . لالأهم اقتنعوا بسعة خياله ، بل لأن جدّه رومي . والمعري لا خيال له وإن كان خياله أوسع من خيال ابن الرومي - لماذا ؟ لأنه عربي قبح ، ولكن المعري هو صاحب رسالة الغفران التي تعدّ آية من آيات الخيال العربي ، فإذ يقولون فيها : الأمر غاية في اليسر ، ليس في رسالة العتران كلها خيال وإنما هي كتاب أنشاء المعري في جغرافية الجنة والنار .

ومن اليوم الى أن يظهر للمعري جدّ رومي تبقى رسالة الغفران كتاب جغرافية ، ومتى ظهر له جدّ آرى أصبحت « رسالة الغفران » كتابا من أروع كتب الخيال .

هكذا يحكمون من غير أن يحاسوا نفوسهم على ما يقولون . وقد حاولا جهدا أن تلمس لابن زيدون جدّا آريا تتقدم به الى هذه الفئة لتكبر من مواهبه وخياله ، فلم نظفر بذلك .

على أن في ابن زيدون مزية قد تشفع له عند هؤلاء المفتونين بالغرب وما يمت إلى الغرب . فقد نشأ ابن زيدون في بلاد الأندلس : وهي في صميم أوروبا ، فهو شاعر أوروبي البيئة وقد مدحه كثير من المستشرقين ، ولعلّ هذا يشفع له عند هؤلاء المقلدين .



أما الشباب المنصف الذي لا يعنى إلا بالحقائق ، فاننا نتقدم إليه بديوان ابن زيدون ورسائله ،  
وسيرى فيها أمثلة من الابداع والافتنان ، ونماذج من الروعة والاحسان ، وصفحات رائعة  
من صفاء الديباجة وسحر البيان - وكلما ثقة بأن درس ابن زيدون سيكون أكبر حافز  
على درس غيره من غول الأدب العربى والبيان العربى .  
وما أجدر الباحثين أن يتوخوا الانصاف فان آفة الرأى الهوى ، وأكثر الناقدين لا يفسد  
عليهم بحوثهم إلا التحيز وتنكب الجادة وإرضاء النزوات الفكرية الطائشة . وفى يقينى أن  
الناقد كالمقاضى يجب أن يتوخى النزاهة التامة ، ويسمو بنفسه عن مزائق الأهواء ، ولا يألو  
جهدا فى البحث عن الحقيقة ، أما أن ينقلب الناقد محاميا للدفاع أو نائب اتهام - كما يفعل أكثر  
الكتاب - فذلك ما لا نرضاه له ، ولعل أكبر عقاب يناله هو فقدان الثقة بما يكتب .

### ٣ - نشأة ابن زيدون

ولد ابن زيدون في قرطبة سنة ٣٩٤ هـ في زمن الدولة العباسية ، في أول عهد المظفر ابن المنصور بعد سنة واحدة من موت المنصور بن أبي عامر . وهو من أسرة مجيدة من بني مخزوم (١) ، وهو أحد ثلاثة تسموا بابن زيدون وهم :

١ - أبوه : عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون وكنيته أبو بكر ، وكان فقيها بقرطبة وكان قاضيا وعالما مشهورا وأديبا واسع الثقافة .

وقدمات (٢) سنة ٤٠٥ هـ ، وترك ابنه وسنه حينئذ إحدى عشرة سنة وهكذا أصاب ابن زيدون اليتيم وهو صغير .

٢ - أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون صاحب هذا الديوان الذي بين يدي القارئ وكنيته أبو الوليد .

٣ - ابنه أبو بكر بن زيدون الذي تولى بعد وفاة أبيه وزارة المعتمد بن عباد وقتله يوسف بن تاشفين ، بعد أن استولى على ملك بني عباد سنة ٤٨٤ هـ .

\*\*\*

وكان ابن زيدون صاحب هذا الديوان أشهر هؤلاء الثلاثة وقد كرس حياته للدرس والتحصيل وساعده نوعه ومواهبه على ذبوع صيته وشهرته وهو لم يتجاوز العشرين من سنه ، وكان عصره أزهى عصر أدبي في الأندلس وقد تلمذ على أساتيد الأدب في زمنه وألم من كل علم بطرف ، وفرص الشعر وسع فيه وهو في العشرين من عمره ، واشترك في الفتنة القرطبية ، وقام بصيب كبير في تلك الثورة التي اندلعت نيرانها في قرطبة .

وكان ابن زيدون من زعماء تلك الفتنة التي زلزلت دولة بني أمية ودولة بني حمود والهاويين ، وانتهى الأمر بالقضاء عليهم جميعا وقيام ملوك الطوائف على انقاضهم . وكانت سنة وقت الثورة ثمانيا وعشرين سنة (٣) .

---

(١) بطن من قريش ، وهم عشيرة خالد بن الوليد .

(٢) مات أبوه بمدينة البيرة ، ودفن جثته الى قرطبة فدفن بها ، ومما وصل إلينا من رثاء الشعراء

فيه قول بعضهم :

«أي ركن من الرياضة هـ ما وجوم من المكارم غيضا

جلوه من بلدة نحو أخرى ليوافوا به ثراء الأريضا

من جن السحاب ماء صيبا ليداوى به مكانا صريضا

(٣) بدأت الثورة سنة ٤٢٢ هـ وكانت ولادته في سنة ٣٩٤ هـ فتكون سنة حينئذ ٢٨ عاما .

وقد ظل ملك بني أمية في الأندلس ٦١٢ سنة وثلاثة وأربعين يوما . وقد انقسمت ممالك الأندلس بعد

فقربه اليه ابن جهور (١) وأعلى قدره ثم لم يلبث أن منحه لقب « ذى الوزارتين » .  
وكانت بين ابن زيدون وابن عبدوس منافسات كثيرة لاشتراكهما في حب ولادة ،  
فأخذ يكيد له ابن عبدوس هو وأصحابه الناقون على ابن زيدون عند أبي الحزم حتى غيروا  
عليه قلبه وسجنوه بتهمة التآمر على قلب الملك واعادته الى بني أمية كما سنفصل ذلك في  
رسالة خاصة .

وقد أنشأ ابن زيدون في سجنه كثيرا من القصائد الرائعة والرسائل البليغة التي يراها  
القارى في ديوانه . وحاول أن يستعطف بها ابن جهور متوسلا اليه تارة بإبنه أبى الوليد وتارة  
بغيره من أصدقائه ، فلم تلقى شكواه أذنا صاغية . على أن السجن لم ينس ابن زيدون حبه  
ولادة فنظم فيها نخبه من أروع قصائده ، ولما ينس من عفو أبى الحزم ، لجأ الى الفرار من السجن ،  
ولم ينس ولادة التي كان يهيم بحبها ، ولكنها أغفلته واشتعلت عنه بحب ابن عبدوس (٢)  
على أن ابن زيدون لم ينسها طول حياته ، وما زال ينظم الأشعار متغزلا بها ، شديد الحنين  
الى أيام وصالتها وظل حبها المعين الثرار الذي لا ينضب ، وما زال يلهمه أروع خواطره الثائرة  
وعواطفه المتأججة ، وكان من أكثر الأسباب في وصول ابن زيدون الى مرتبة الزعامة بين  
شعراء الغزل الممتازين .

سقوط الدولة الأموية الى تسع عشرة ملكة منها ، قرطبة ، واشبيلية ، وحيان ، وقرمونة ، والعرب ،  
والجزيرة الخضراء ومرسية وبليسية ، ودانية ، وطرطوشة ، ولاردة ، وسرقطة ، وطليلة ، وباجة ،  
ولشونه الخ

قال ابن حزم : كانت طرطوشة وسرقطة وفراغة ولاردة وقلعة أيوب في يد بى هود . وبليسية  
في يد عبد الملك بن عبد العزيز . ولشراى مافوق طليطة — من جهة الشمال — في يد بى رزى . وطليلة  
في يد بى ذى النون . وقرطبة في أيدي أساء جهور . واشبيلية في يد بى عباد . ومالقة والجزيرة الخضراء  
في يد بى برزال من البربر . والمرية في يد زهير المامرى ثم ابن صمادح . ودانية وأعمالها والخزائر  
الشرقية في يد مجاهد المامرى . وبطليوس وبائرة وشنترين ولشونه في يد بى الأفطس . وأصبح كل امرئ  
وما اختار من الألقاب والاسماء ، حتى أن المسلمين ، لما جلس على كرسي الخلافة ، قال للناس أجمعين :  
« ارتعوا كيف شئتم وارأسوا عما أحببت من الخطط » فسمى بالوزارة في أيامه — ماردة ومشاة — أرادل  
الدائرة ، وأحات الطيارة ، فصلا عن زطاب الكتاب والخدمة .

(١) هو أبو الحزم بن جهور الذي استولى على الملكة بعد خلع الجند آخر خلفاء بى أمية ، ولم يتحول  
عن داره الى قصر الخلافة ، وجعل الأمر شورى ، وساس الأمور بحزمه وحسن تدبيره ، وكانت مدته في  
الحكم أربع عشرة سنة وبضعة أشهر ، ثم خلفه ابنه أبو الوليد محمد بن جهور الذي مات في شوال  
سنة ٣٤٣ هـ

(٢) وفي ذلك يقول ابن زيدون .

« أكرم بولادة ذخر المذخر      لو فرقت بين بيطار وعطار  
قالوا : أبو عاصم أضحى بلمها      قلت : المرأشة قد تدنومن النار  
عبرتونا بأن قد صار يخلفنا      فيمن نحب ، وما في ذاك من طار  
أكل شهى أصبنا من أطايه      بعصا ، وبمضا صفحا عنه لفار »

ولما مات أبو الحزم عاد ابن زيدون الى قرطبة وانضم الى أبي الوليد وقام بالسفارة بينه وبين ملوك الطوائف فأعجبوا به وتمنوا استئثارهم به لبراعته وحسن سيرته وتمكن من دولة ابن جمهور وابتم له الحظ ثانية حتى أفسد الحساد ماصلح ، وخشى ابن زيدون أن يلقى من الابن ما لقي من الأب من النكال والسجن ، ففرّ هاربا من قرطبة . وظلّ ينتقل في أرجاء الأندلس من رنده إلى باداجوز إلى اشبيلية أخيرا حيث اتصل بعباد ابن محمد صاحبها الملقب بالمعتضد (١) ولم يكن يخفى أدبه وشهرته ومكانته عليه فهش له وبش وألقى اليه مقاليد ورارته ، وبعد أن مات المعتضد حارل الوشاة وعلى رأسهم ابن عمار أخلص أصدقاء المعتضد أن يغيروا قلبه عليه وأن يدسوا له عنده ولم يفلحوا ، وأقصاهم المعتضد بن عباد عنه وقرّب اليه ابن زيدون وأعلى مكانته عنده وظلّ ابن زيدون يزين له غزو قرطبة حتى ملكها عنوة بفضل تدير ابن زيدون وسعة حيلته ، وانتقل المعتضد وابن زيدون اليها وجعلها عاصمة ملكه .



ولما وقعت الثورة ضد يهود اشبيلية ، انتهر ابن عمار وابن مرتين وأنصارهما هذه الفرصة لاقصاء ابن زيدون عنهم تخلصا من منافسته ، فزينوا للمعتضد أن يوفده إلى اشبيلية لشدة تعلق أهلها به واستغلال حبهم في تسكين الاضطراب وتهدة الخواطر ، وكان المعتضد يعلم ما يكره أهل اشبيلية لابن زيدون من الحب وماله عندهم من المكانة والخطر . وكان ابن زيدون مريضا فاضطره المعتضد الى السفر ، فلم يستطع إلى مخالفته سبيلا ، ولم يلبث أن اشتدت به الحمى وألح عليه السقم فلحقت به أسرته . ولكن الشيخوخة والمرض تسكّتا عليه فأهلسكاه في ١٥ رجب سنة ٤٦٣ هـ فحزن عليه أهل اشبيلية أشدّ الحزن ودفن فيها باحتفال مهيب . وقد مكث في خدمة آل عباد تسعة عشر عاما ، ولوطال عمره قليلا لأفلق حساده ومنافسوه في تغيير قلب المعتضد عليه والتسكيل به كما أفلحوا في مثل ذلك من قبل ، ولكن الموت ألقاه من دسائسهم وكيدهم ورجه من شرّهم .

---

(١) استطاع المعتضد أن يتلب علي كل ماواجهه من القات وبذل أقصى ما يبدل داهية من الداهة حتى صهاله الجور وسلم له الملك وكان أكبر من يناوئه من التملين وأشدهم عليه صهاجة و سوبرزال الذين كانوا بقرمونه وأعمالها من نواحي اشبيلية ، فلم يزل يصرف الحيلة تارة — كما يقول المراكشي — ويجهز الحيوش أخرى الى أن استدلمهم ففرق كلّهم ، وشقت منتظم أسرهم ، وسامهم عن جميع تلك البلاد ، وصفت له أموره .

## بجترى المغرب

« ويقول : من أدناها : إن ابن زيدون بجترى زمانا ، وصدقوا

لأنه هذا حذو الوليد في بعض قصائده » « ابن ساء »

قلت في فصل سابق : إننى ترددت في مشايعة « نيكلسون » حين وصلت إلى قوله :

« وقد أطلقوا على ابن هانيء لقب متنبى الغرب ، كما أطلقوا على ابن زيدون لقب بجترى

الغرب . »

وقد قلت حينئذ :

« ولما كما لم ندرس ابن زيدون دراسة تمكننا من الحكم عليه حكما صحيحا ، فاننا نترك مناقشة القسم الثانى من هذه التسمية ونكتفى الآن بالكلام على النقطة الأولى وهى تشبيه ابن هانيء بالمتنبى لاستطاعتنا الكلام فى هذا الموضوع . »

والآن بعد عشر سنوات أستطيع أن أقرر مستوثقا : أن هذه التسمية صادقة فى تفصيلها وإجمالها ، وأن من يدرس ابن زيدون والبحترى يطلق على ابن زيدون لقب بجترى المغرب ، ولو لم يعرف أن القدماء قد أطلقوا عليه ذلك اللقب ، فكلاهما رائع الظم ساحر الأداء ، وأكثر الصور الشعرية التى أبدعها جديرة بأن تال أعز مكان فى أرقى متاحف الشعرية .

ولقد يسر علينا ما لقيناه من الجهد والعناء فى اظهار هذا الديوان أن به من الصور الشعرية الرائعة والبيان الساحر الخلاب ما يفخر به الأدب العربى والشعر العربى فى أزهى عصورهما وأنضرها ، فقد كان ابن زيدون فى سموه وافتنانه - وما أكثر سموه وافتنانه - مثالا رائعا للشاعر المدع القادر المتصرف بفنون القول وأساليب البيان .

وأحب أن أصرح القارىء أننى كدت أتسرع فى الحكم حين عرضت لهذه التسمية فى كتابى « نظرات فى تاريخ الأدب الأندلسى » ، فأقرر أن فى هذه التسمية كثيرا من الاسراف والمبالغة ، وقد كنت حينئذ متشعبا بروح البحترى مأخوذا بسحر بيانه ، وكنت لا أكاد أصدق أن شاعرا - كابن زيدون - جدير أن يوضع معه فى ميزان أو يشركه فى إحسان .

ولكننى رأيت أن من الظلم والغبى أن أفاضل بين شاعرين درست أحدهما دراسة مستفيضة ولم أقرأ لثانيهما إلا عشرات من الأبيات و بضع صفحات من النثر ، فأرجأت الحكم حتى أتم الدرس . وهذه حالة نفسية تعرض لأكثر المشتغلين بالأدب فى هذا العصر ، وهى آفة من الآفات التى تفسد على الباحثين بحوثهم ، فإن أكثرهم لا يتورع فى الحكم على شاعر لم يدرسه ولم يعن بقراءة آثاره وتقصى أخباره ، بأنه شاعر ممتاز أو سخيى ، وبعضهم يكتب فى المختصرات المدرسية والمختارات الشائعة المقتضبة فىصدر الأحكام السريعة على الشعراء والأدباء وربما عكف أحدهم على درس شاعر ولم يدرس غيره ، فراح يملأ الأرض تمجيده له ويسرف فى اظهار منازياه وتفضيله على جميع شعراء العربية حتى ليقول أحدهم فى وصف بعض الشعراء :

« فهو الشاعر من فرعه إلى قدمه وهو الشاعر في جيده ورديته ، وهو الشاعر فيما يحتفل به وما يليقه على عواهنه » الى أن يقول « فما تحرك حركة الا كان للعقريّة فيها أوفى نصيب » (١) وقد كان المرحوم الشيخ محمد شريف سليم شارح ديوان ابن الرومي ، يرى بعد أن درسه دراسة مستفيضة أن ابن الرومي أشعر شعراء العربية . وأكثرتهم تصرّفاً بفنون القول وكان الباعث له على ذلك أنه عكف على درسه زمناً طويلاً فظهرت له مزاياه الباهرة فحسب أن أحداً من الشعراء مهما سما لن يصل الى مكانة ابن الرومي .

ولهؤلاء الباحثين عذرهم في إصدار هذه الأحكام وإن لم ينصفوا الحقيقة ، فإن كل شاعر من هؤلاء الفحول يترجم لنا عن حضارة هائلة ويخلق بنا في أجواء ساحرة نفسينا - حين نحلق فيها - كل شاعر سواء ، فالحتري والمتنبي والمعري وابن الرومي وابن زيدون وابن جديس وأضرابهم يكاد يعيبك واحد منهم ويعلاّ نفسك جبلاً وروعة إذا اقتصرت على درسه وحده . ولكك بعد ذلك جدير ألا تحكم بتفضيل أحد هؤلاء على الآخرين والازراء بهم لأنك لم تدرسهم جميعاً دراسة مستفيضة .

وأذكر بهذه المناسبة أنني كنت في مجلس يضم صفوة من رجال الأدب الممتازين كانوا يناقشون في الأدب فقال أحدهم :

« إن سيد كتاب العربية وإمام البيان العربي هو ابن المقفع » ثم راح يطويه ويخلع عليه كل عبارات الشاء ، فقال له الآخر : « أما أنا فليست من رأيك ، فإن أبا العرج الاصهباني بثره المجز قد بز كل كتاب العربية » فقال الثالث : « أين أنتم من عبد الجيد الكاتب فهو سيد هؤلاء جميعاً » فابرى له الرابع دُتلاً :

« الحق أن أمام البيان العربي هو الجاحظ » ثم سألوني رأيي فقلت :

« بل سيد كتاب العربية هم هؤلاء جميعاً وأضرابهم ولكن كل واحد منكم عكف على دس كاتب من هؤلاء فخل إليه أن أحدا لا يدانيه بلاغة وسحراً » وهذا مثال لا يزال يتكرر ولا زلنا نرى في كل يوم باحثاً يأتي إلا أن ينتصر لنا بغة بعينه ويفضله على جميع الناس ، وفي هذا ما فيه من الاسراف والمبالاة وظلم الحقيقة .

وما رأيك في قروي لم يغادر قريته الحقيمة طول عمره ، فلما سافر إلى مدينة كبيرة ورأى ما فيها من قصور فخمة وحدائق غناء ، ظن أن هذه المدينة الكبيرة - التي جاءت ألوان الحضارة والترف وجالات السرور - هي أجمل مدن العالم ، وليس من الضروري أن يزور الانسان كل المدن الشهيرة ، فله أن يكتفي بواحدة أو أكثر ، ولكن من الضروري لمن يريد المقارنة بينها وبين سائر المدن أن يزورها ويتعرفها جميعاً .

كذلك ليس من الضروري أن تقرأ كل شعراء العالم ، ولكن من الضروري الا تفضل أحداً من الشعراء عليهم جميعاً من غير أن تقرأهم جميعاً .

(١) ارجع إلى كتابي « صور جديدة من الأدب العربي » « ص ٢٢٣ »

ماذا ، بل أنت اذا توخيت الانصاف والدقة والنزاهة عاجز - بعد طول الأناة والدرس - عن البتة في تفضيل شاعر من الفحول على آخر ، وإن المنصف النزيه ليتدبّر في أن يجزم بتفضيل قصيدة رائعة على أخرى كما يتردد في تفضيل حسناء بارعة في الجلال على شبيبتها ، ورحم الله الأعراي الذي طلب إليه أن يفاضل بين نوعين من الحلوى ، فظلّ يتذوّق أحدهما تارة ، ويتذوّق الثاني تارة أخرى ثم يعود إلى الأول ويرجع الى الثاني ثم قال :

« إنتى كلما أردت أن أحكم لاحدهما أدلى الآخر بحجته »

وليس في قدرة ناقد غربيّ نزيه أن يسخف شاعرا خلا كشكسبرو وإن كان في قدرته أن ينتقده ويظهر عيوبه .

أما عندنا فعلى العكس من ذلك ، لا يتحرّج كاتب عن تسخيف شاعر فحل كالتبّي أو إنكار شاعرية المعري أو تحقير واهب ابن الرومي أو ابن زيدون أو ابن جديس أو البحتري الى آخر هؤلاء الفحول .

ثم ماذا ، عندنا من يجروّ على إنكار شاعرية عصر بأكله كمصر ملوك الطوائف (١) الذي يعدّ أزهى عصر أدبي في الأندلس ، بل عندنا متهوسون يجروّون - فيزعمون بلا حيلة أو مبالاة - أن ينكروا الأدب العصري كله في جميع عصوره المختلفة ، وعندنا آخرون ينكرون روعة الأدب العربي في شتى لعائده وعصوره من غير أن يجشموا أنفسهم قراءة شيء من آثار هؤلاء أو أولئك .

وما كنا لنعرض لمناقشة أمثال هؤلاء المتسرعين في الحكم لولا أن عدواهم كادت تسرى إلى أكثر شبانا وبعض شيوخ الأدب واعلام الفكر عندها .

وقد ساعدت الخلاصات المدرسية التي كتبها مدرّسو الآداب عندنا على إصدار هذه الأحكام السريعة ، فإن أحدهم ليكتب كتابا يعرض فيه لتاريخ أدب اللغة في جميع عصوره ويقتبس من أحكام القدماء ما شاء من غير أن يقرأ ديوان شاعر واحد بأكله ، ومن غير

(١) ومن هذه الأحكام قول أديب من هذا الطراز العجيب في هجاء هذا العصر الذهبي - عصر ملوك الطوائف - الذي لا يكاد يعرف منه غير اسمه :

« دلكم عصر الاسرحاء والترف . عصر تزيف فيه الأبصار والبصائر فتكل عما وراء القصور والظواهر تهيج المزاج في ذلك العصر فتعربد الحواس ، ويموت الحب افطرى قهرح في رغائه ديدان الشهوات . وناهيك بمصر تكون فيه البهائم أصدق حياً من الناس ، لأن البهائم لا تنمب بالحب ولا تبتذل في مثل هاته المصنوع يأخذ الناس من كل شيء بأيسره ، ويقنعون من كل مطلب بأقربه إلى الحسن وأصعره . لا يكون الجلال فيها إلا صبغة في البشرة تلحسها الألسنة حتى تزول ثم تنجسها بهاقا ، ولا تكون البساتين والأمواء إلا مجالس شراب ومراوح هواء ، ولا الطبيعة بكائها ورباحيتها وأثمارها إلا طليقة مطررة بمختلف الألوان والأشكال ، ولا الشجر إلا مهرجا برافاً لو صور بشرا سوياً لالت منه الميون ما لا تنال النفوس ، وما الأخلاق والمروءة والشرف إلا آدابا يصطليح عليها الماقدرون ليدوم لهم صفو المجلس ، ثم ماشاء الماقدرون من ذلك من غي وشنار ، وما طاب له من هبت واستهتار لا يشينه ذلك ولا يقدح في آدابه . »

ان يدرس عصره ويتقصى أخباره ، وهو لو فعل لما استطاع اصدار فصل واحد من كتابه .  
وعندنا أن الخلاصات المدرسية لا يمكن كتابتها الا بعد أن يستوفى الباحثون درس  
العصور والشعراء والأدباء ويقطع كل منهم لشاعر بعينه أو كاتب بعينه ، فيدرسه من جميع  
نواحيه ، فإذا تمّ ذلك كله أمكن اختصار بحوثهم المستفيضة في صفحات قليلة للناشئين .  
وقد تكافقت فئة من أعلام الباحثين في العصر الحديث كما قلنا على درس المتنبي وابن الرومي  
والمعري ، وظفروا بنتائج باهرة أقنعت كثيرا من الشباب المصنف بأن عندنا من الشعراء من  
نباهي بهم ونفخر معتطين ولا تردّد في مقارنتهم بأكبر شعراء الغرب .

وما كان في قدرة اسان أن يفهم جلال شعراء الغرب وكتابته ويقدره واهبهم الممتازة  
وعبقرياتهم الفذة لو لم يعرض القاد والشرائح والباحثون لتجلية كل غامض وتوضيح مسامي  
اتجاهاتهم الفكرية ، ولن يقتنع الشباب العربيّ بأن أدبا زاخر بالشعراء الدخول الذين  
لا يتخلفون عن أكبر شعراء الغرب ، الا بعد أن يتصدى أدباؤنا وباحثونا لتحليل آثار القدماء  
وتنظيمها وشرح غامضها وإزاحة الستور عن مناحي العقيدة فيها وتقديم ثمار جهودهم الناضجة  
للساب العربيّ ، وثمّ يرى شيئا أن هذه العقول العربية الكيرة التي استوعبت أرقى  
الحضارات في أزهي العصور وعبرت عن أخفى الخواج النفسية وأدقّ الاحساسات وأروع  
الأفكار وأعظم الآراء ، حدية بالانصاف والاقبال عليها والتمتع بسحرها الفائق .

وسيرى الشاب الذي نعلق عليه أكرالآمال في ديوان ابن زيدون بحترى المغرب ، إذا  
درسه بعناية وأمانة . ولم يكتف بتصفحه والمرور به - على عادته - مروراً سريعاً ، أن ابن زيدون  
كان جديراً بما بذلنا من عناء وجهد ، وأنه جدير بمعاودة الكرة لدرسه دراسة مستفيضة  
في رسالتنا التي أفردناها لتحليل أدبه وعصره والتدقيق على دقائقه ومزاياه والالمام بعصره الزاهي .  
و بعض الناس يفضلون الحترى على ابن زيدون ، لأن ابن زيدون كان يجب به ،  
وهو رأى مردود عليهم . فان إعجاب ابن زيدون بالبحترى كإعجاب المعري بالمديني ، إعجاب عظيم بعظيم ،  
ولو تقدّم ابن زيدون زمنه على زمن البحتري لفان البحتري بشعره ، واتخذ منه مثالا يسج  
على منواله وإماما يهتدى به في فنه الرائع .



## شاعرية ابن زيدون

« ابن زيدون عبقرى زمانه قصر المهنون من إحسانه  
أخذ الروم - في الجريرة - عنه وهشوا في خياله وانساه »  
« شوق »

لكل شاعر من الفحول طابع خاص يمتاز به شعره فإذا امتاز المعرى بالفلسفة في شعره وامتاز المتنبى بالحكمة ، وامتاز ابن الرومي بالعوص على المعاني النادرة ، وامتاز أبو العتاهية بالزهديات ، وأبو نواس بالخرجات ، والبحترى بحسن النظم ، وأبو تمام بالصناعة وابن جديس بالوصف فإى ميزة امتاز بها شعر ابن زيدون ؟

ميزة ابن زيدون التى تكاد تفرد به من شعراء العربية هى الفن . فهو شاعر فنى قبل أن يكون فيلسوفاً أو حكماً أو غوّاصاً على المعانى أو وصافاً .

الفن وحده هو الذى أكسب ابن زيدون زعامة الشعر فى عصره ، وأغرى فحول الشعراء فى زمنه وبعد زمنه بمحاكاته والانضواء تحت رايته . فهو شاعر الفن الذى أبدع أمير الشعراء فى وصفه حين قال :

« بأبى أنت هيكلا من فون مركبا »

وإنك لترى صورته الفنية قد وصلت الى الذروة ، وقاما اشترك ابن زيدون مع شاعر آخر من الفحول فى معنى من المعانى إلا بزه ابن زيدون بفنه ، وأعجزه بديابه الساحر المحجب . حتى البحترى الذى كان القاد بلقون ابن زيدون به ، كثيرا ما اشترك معه ابن زيدون فى صور شعرية وتفاوتت صور ابن زيدون على صور البحترى .

وإما خصصا البحترى بالذكر ، لأن البحترى هو المثال الذى اختاره ابن زيدون ونحا نحوه حتى غلب عليه اسم بحترى المغرب .

ومن المحجب أن ابن زيدون قد اشترك مع البحترى فى عدة صور شعرية - كما اشترك مع غيره من الشعراء - فكان ماذا ؟

كانت الصور الكلامية التى يبدعها الشاعران جديرة أن توضع فى أرقى المتاحف حين يشتركان فى غرض واحد ، ولكن الصور التى أبدعها ابن زيدون جديرة بالجائزة الأولى فى أغلب الأحيان .

قال البحترى :

«ولما حضرنا سدة الأذن أخت	رجال عن الباب الذى أما داخله
فأفضيت من قرب - إلى ذى مهابة	أقابل بدر التم حين أقباله
كما انتصب الرح الردينى . ثقفت	أنايبه ، واهتز للطنع عامله
وصكال بدر ، وأفيناه ، تم سعوده	وتم سناه واستهلت منازل
وسلمت ، فاعتاقت جناي هيبة	تنزعنى القول الذى أنا قائله
فلما تأملنا الطلاقة ، وانثنى	إلى يشر آنستنى مخياله

دنوت فقبلت الـدى من يد امرئ  
صفت - مثل ما تصفو المدام - خلاله  
وقال ابن زيدون :

« فلما قضينا ماعنا أداؤه  
قرنا بحمد الله جدك ، إنه  
وعدنا إلى القصر الذى هو كعبة  
إذا نحن طالعناه والأفق لا يس  
وأيناك فى أعلى المصلى كأنما  
ولما حضرنا الاذن والدهر خادم  
وصلنا وقلنا الـدى منك فى يد  
لقد جدت حتى ما بنفس خصاصة

وكل بما يرضيك داع فلهحف  
لأؤكد ما يحظى إليه ويزلف  
يفاديه منا ناظر أو مطرف  
عجاجته والأرض بالخليل ترجف  
تطلع من محراب داود يوسف  
تشير فيمضى ، والقضاء مصرف  
بها يتام المال الجسيم ويخلف  
وأمنت حتى ما بقلب تخوف »

فأى الصورتين يفضل القارئ ؟

الحق ان الانسان ليحار فى تفضيل إحدى الصورتين على الأخرى ، فقد كادنا تصلان الى أقصى درجات الكمال . وتجلى إبداع الشاعرين فيهما إلى أقصى حد ، ولكن المنصف لا يلبث بعد طول الروية والأناة ، أن يؤثر تلك الصورة الشعرية التى أبدعها ابن زيدون بحترى المغرب على صورة صاحبه بحترى المشرق .

وقد وفع كثير من القاد المعاصرين فى خطأ شنيع حين تسرعوا فى الحكم على ابن زيدون بأنه مقلد فى أكثر معانيه غير مبتدع ، وحسبوه لذلك فخصاح المكر لا ينفذ بشعره إلى الأعماق ، وقد عاب بعض المتسرعين فى الحكم مثل ذلك على أناتول فرانس ، وعبروه بأنه كاتب أسلوب لا أكثر ، كما عبروا ابن زيدون بذلك ، ونسوا أن الفن - كما يقول أناتول فرانس - ليس فى الابداع والاختراع بقدر ما هو فى حسن التأليف ودقة الانسجام . وكثيرا ما نتخذ أناتول من الحوادث التافهة وسيلة إلى خلق قصة رائعة . وإنما يمتاز الشاعر على الشاعر - إذا اشتركا فى معنى من المعانى - بما يبدعه أحدهما من الألوان وما يوفق إليه من التعبير عن ظلال المعانى ودقائقها .

فإن أمهات المعانى - كما قلت فى كتابى « صور جديدة من الأدب العربى » - مشتركة بين الناس - على اختلاف لغاهم وأزماهم وبيئاتهم وأجناسهم - وانبك لو حاولت أن تجد لأكثر المعانى أشاها لما أعياك ذلك . وربما قلت المعنى تحسب أنك انقردت به ثم عثرت على شبيهه - بعد عام أو عامين - فى شعر قديم أو حديث عربى أو غربى وقد بما قال عنتره :

« هل غادر الشعراء من متردم ؟ » وذلك أن النفس الانسانية - على اختلاف نزعاتها وشتى أحساسها وشعورها - تكاد لا تختلف فى الشعور بأمهات المعانى ، وثمة تتوارد الخواطر . وإنما يمتاز الشاعر على الشاعر بالافتنان فى أداء هذه المعانى ، وروعة الأداء وحسن

التعبير عن دقائقها وظلالها والابداع في صوغ الخواج النفسية والصور الشعرية المشرقة بالحياة والقدرة على تهية الجو الرائع الذي تخالو فيه شاعريته وعرض معانيه في أبهى صورها وأجل حليها . ولنضرب للقارىء مثلاً واحداً من أمثلة عدّة لا يتسع لها المقام :

لعلّ كثيراً من الناس يدركون من أمثلة الحياة ونظمها أن ما يضرّ واحداً قد ينفع الآخر . هذا معنى شائع ميسور لكل متأمل وليس للسرقة مجال فيه . وقد افتن كثير من الشعراء في صوغه فظهرت في ذلك ميزاتهم ومواهبهم وتجلت قدرتهم على الخلق والابداع .

وقد صاغه المتنبي في أبسط صورته فقال . « مصائب قوم عند قوم فوائد . » وتناوله ابن الرومي من قبله فجاءه في صورة أخرى وهي قوله :

« فاشقنى انما هجاؤك عندي فحركات تزيد في السراء

ومحال أن يسعد السعداء الدهر الا بشقرة الأشقياء . »

ولما طرقه المعري جلاه في أبدع صورته وأجلها فقال :

« وسخط الطاء بما نالها تولد منه رضى الخابل . »

فمثل لما - من ذلك المعنى الشائع المطروق - صورة رائعة دقيقة مشرقة بالحياة وأظهر لنا - ريشة المصور الفطن - ظنية يوقعها القدر وسوء الحظ - ونكد الطالع في حالة المايص فتدرك أن حينها قد اقترب وأن هلاكها وشيك ، وصياداً يراها - في هذه الحال من الألم والسخط - فيرى فرصة ثمينة نادرة بات يحلم بها طويلاً .

ولقد أحسن الجرجاني حين دل في ضمن فصل طويل يحب أن يرجع القارىء اليه في كتابه : « وقد يتفاضل مدعو هذه المعاني - بحسب مراتبهم - فنشترك الجباعة في الشيء المتداول وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب أو ترتب يستحسن أوناً كيد يوضع موضعه أو زيادة اهتدى اليها - دون غيره - فيريك المتذلل في صورة المبتدع والمخترع . »

وقد ضرب الجرجاني لذلك أمثلة كثيرة ثم قال :

« ولم يبق عليك الا أن تحترس من التفريط - كما احترست من الافراط - فلا تكن كمن يرى السرقة لا تتم الا باجتماع اللفظ والمعنى ونقل البيت جملة والمصراع تاماً ، بل لا يعرف إلا من يفعل فعل عبد الله بن الزبير بأبيات معن بن أوس . »

إلى أن قال بعد كلام طويل :

« والسرقة - أيديك الله - داء قديم وعيب عتيق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه . »

ومن أجل ما أورده في ذلك الفصل قوله :

« ومتى انصفت علمت أن أهل عصرنا - ثم العصر الذي بعدنا - أقرب فيه الى المعذرة وأبعد من المذمة ، لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق اليها وأتى على معظمها ، وانما يحصل

على بقايا إما أن تكون تركت رغبة عنها واستهانة بها أو لبعدها مطلبها واعتياص مرامها وتعتذر الوصول إليها .

ومتى أجهد أحداً نفسه وأعمل فكره وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى - يظنه غريباً مبتدعاً ونظم بيت يحسبه فرداً مخترعاً ، ثم تصفح عنه الدواوين - ثم لم يحظ أن يجده بعينه أو يجد له مثلاً يغض من حسنه .

ولهذا السبب أحظر على نفسي ولا أرى لغيري بت الحكم على شاعر بالسرقة . وقد أحسن أحمد بن أبي طاهر في محاجة البحترى لما ادعى السرقة في قوله : -

« والشعر طرريق أنت راكبه فنه منشعب أو غير منشعب

وربما ضم بين الركب منهجه وألصق الطنب العالي على الطنب »

فاذا شئت أن نمثل لك من شعر ابن زيدون بما يؤيد هذا الرأي ، عرضنا لك نخبة موجزة

من أقوال رجال البيان في بعض المعاني التي طرقها ابن زيدون . قال معاوية : « السرو التفاضل » وقال المتنبى :

« ليس العبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي »

وقال زهير :

« ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرّس بأنياب ويوطأ بمنهم »

وقال بشار :

« اذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاريه

فعمش واحداً ، أوصل أحاك ، فانه مقاروف ذنب مرة ومجانبه »

وقال أحد الشعراء :

« ومن يتنقع جاهداً كل عشرة يجدها ، ولا يسلم له الدهر صاحب »

وقال آخر :

« اقل معاذير من يأتيك معذراً ان برّ عندك فيما قال أو جفرا

فقد أجلاك من أرضاك ظاهره وقد أطاعك من يعصيك مستترا »

الى آخر ما قالوه في هذا المعنى وهو كثير يجتزئ منه بما ذكرنا ، فهل ترى في كل ما قالوه

أروع من قول ابن زيدون :

« إن السيادة بالاغضاء لا بسدة يهاها وجمال الحسن في الخفر »

ألا ترى أن فنّ ابن زيدون قد غلب فنون هؤلاء المحول الأفاذ وتوق عليهم في هذه

الصورة الرائعة ؟

وانظر الى ذلك البيت الرائع الذي طالما تغنينا به وحسبنا فائله قد تخطى به درجات الكمال

والإبداع حين قال :

« يزيدك وجهه حسنا اذا مازدته نظرا »

وقد أخذه ابن الرومي فقال في « وحيد » المغنية :

« ليت شعري ، اذا أعاد الينا كرة الطرف مبدئاً ومعيد  
أهى شيء لا تسأم العين منه ؟ أم لها كل ساعة تجديد ؟  
بل هي العيش لا يزال - متى استع رض - على غرائبها ويفيد »  
انظر كيف تلتطف ابن زيدون في نظمه وتحويره اوفى أى صورة مشرقة بالحياة رائعة الحسن  
صاغه ذلك الشاعر العقري فقال :

« حسن أفانين لم تستوف أعيننا غاياته بأفانين من النظر . »  
ومن اليسير على كل انسان أن يقرر أن حبيبه قد هجره وأنه لا يزال باقيا على عهده .  
ولكنه ليس من اليسير عليه أن يؤدي هذا المعنى كما أداه المجنون يقول :  
« وأدبتني حتى اذا ماقتني بقول يحل العصم سهل الأباطح  
تناءيت عنى حين لالى حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح »  
ولا أن يقول مثل قوله أيضا :

« أليس وعدتني يا قلب أنى إذا ما نبت عن لىلى تتوب  
فها أنا نائ عن حب لىلى فمالك كلما ذكرت تذوب . »  
أو يقول كما قال ابن زيدون :

« كان التجارى بمحصر الود مذمنا ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا »  
فالآن أحمد ما كنا له مدكمو سلوتم وبقينا نحن عشاقا (١) ؟ »  
تلك صور فية تنخلع دوهها الرقاب ولا يحسن أن يقولها إلا شاعر فنى موهوب ، ولا تزال  
أهميات المعانى كأصول لأنواع لا تكاد تختلف فى جلتهما وان اختلفت فى دقائقها وتفصيلها ، وانك  
لترى ألف حسناء فترى فى وجه كل منهم ملاحظة من الحسن لا توجد فى الأخرى ، ولا يزال  
الرسام يتفنن فى التعبير عن أسرار الوجوه ويبدع ماشاء ابداعه ، ولا يزال اللحن الواحد يؤديه  
ألف مغن بارع فتحس نفسك لكل صوت سحرا خاصا يختلف عن الآخر .  
وما نريد أن نخص ابن زيدون بالابداع فى كل معانيه دون سائر الشعراء ، فقد تختلف عنهم  
وقصر فى بعض قصائده كما قصر النحول أحيانا . الشعر كما يقول ابن الرومى كالشجر :  
« ركب فيه اللحاء والحشب اليا بس والشرك بينه الثمر . »

ولكن الانصاف يقضى عليك - إذا تصدّيت للتفضيل بين الشعراء - أن تقارن بين روائعهم  
وبدائعهم ، أما ما يقولونه عفو الخاطر ، أو فى ساعات الكلال والضعف ، فليست جديرا أن تحكم به  
على شاعريتهم ، فقد تخرج الشجرة الممتازة - إلى ثمارها الشهية الغضة - ثمرة خفة فلا ينقص ذلك  
من قيمتها . وما نريد أن ننصر لابن زيدون وأن نمدحه ولا نكسا نريد أن ننصفه ولا نظامه .

(١) هأت ذا ترى صورتين رائعتين لمعنى واحد ، هل تستطيع أن تعمل إحداهما عن الأخرى ؟ ألا ترى  
أن كل واحدة من هاتين الصورتين مستقلة عن الأخرى وكل الاستقلال وإن كانتا تمبران عن معنى واحد ؟  
ألا ترى إلى المصدق الذى يتمثل فى كل صورة بينهما ؟ أليست كل واحدة من هاتين الصورتين ملكا  
للشاعر لا ينازع فيها الآخر ؟

## لماذا سجن ابن زيدون ؟

لأنكاد نقرأ تاريخ ابن زيدون في أى كتاب من كتب الأدب وتصل إلى هذا الفصل من تاريخ حياته - حتى نقرأ هذه الجملة بنصها أو معناها .

« ثم سجنه ابن جهور لسبب وشاية أعداء ابن زيدون به » .  
ولكن كيف وشى به أعداؤه فأحفظوا عليه قلب ابن جهور وأى وشاية هى ؟ دلك مايقف أمامه ، مؤرخو الأدب من غير أن يتعرفوا له حلا .

وقد حاول بعضهم أن يعلل ذلك بانغماس ابن زيدون فى حب ولادة وقلوا ان ابن عبدوس وأخزابه وشوا به عند ابن جهور فسجنه لأن أبا الحزم بن جهور - فى زعمهم - رجل ورع يؤثر القوى والزهد ولا يقبل أن يرى إلى جاسه خليعا ماجنا . لكن زيدون ، ونسى هذا الفريق من مؤرخى الآداب أن ابن عبدوس نفسه كان - غمسا فى حب ولادة وكان أكثر من ابن زيدون خلاعة ومجوننا إن كان لابد من هذا التعبير الذى ارتضاه مؤرخو الآداب ، فليس من الانصاف أن يطلق اسم الماجن المستهتر على مثل ابن زيدون ، فقد كان اذا قورن بغيره من شعراء عصره وشعراء العصور الأخرى أبعد عن هذه الصفة انى ألصقها به . مؤرخو الآداب ، ولم يكن أبو الحزم بن جهور - تامة متبلا ورعا منقشفا كما حاولوا أن يقيمونا به ، فقد كسر دنان الخمر حين ولّى أمور الناس ، وهذا يدل على حزم وبعد نظر ولا يدل على تقشف وزهد وورع .

وما كان أبو الحزم ليسى الى وزيره الذى خاض إلى جانبه بار الثورة القرطية وكان يلهمها بلاغته ويعنيها ببيانه والذى كان لا يستغنى عنه أبو الحزم بن جهور ، تقول ليس أبو الحزم الذكى الأريب - الذى شاد ملكا موطن الأساس بين الزعازع والفتن - من العفلة بحيث يأبه لأمثال هذه الصغائر ، انما كان يعنى أبا الحزم بن جهور أن يثبت ملكه ولا يعنيه بعد ذلك أن يكون ابن زيدون ملاكا طاهرا أو شيطانا فاجرا .

واقعد سجن ابن زيدون وزير ابن جهور وكان - معرضا للقتل وسجن ابن عمار وزير المعتمد وقتل وسجن غيرهما من الأدباء والشعراء الذين استوزرهم ملوك الطوائف ، فاذا شئت أن تبحث عن أسباب سجنهم وقتل أكثرهم ، فلن تجد لذلك الاسباب واحدا وتهمة لا يتعداها من شاء أن يدس أو يكيد وهى التهمة التى تعنى ملوك الطوائف وتقض مضاجعهم وتنسبهم كل يد أسلفت إليهم ، هذه التهمة هى التآمر على قلب الملك والطمع فيه .

ولقد كان ابن عمار أخلص صديق للمعتمد وكان المقرّب الأمين عنده وكان أعزّ عليه من نفسه على حد تعبير المعتمد ، ولكنه طمع فى الملك فنسى المعتمد كل شيء الا سجنه وقتله والانتقام منه .

ولم تأخذ المعتضد رجة بأحد أولاده حين عرف أنه يطمع فى ملكه ، فقتله حنقا عليه .

ولقد كان ابن زيدون شابا في مقتبل عمره وكان قريب عهد بالثورة التي دعا إليها آل جهور .  
وكان أقرب شيء الى هذه النفس الشابة الفتية المتوقدة عزما وهمة ، والتي ظفرت بالوزارة  
في مستهل حياتها السياسية أن تطمح الى ما هو أبعد من الوزارة .

وقد كان ابن زيدون كثير السفارات وكان موقفا محبوبا من ملوك الطوائف ذائع الشهرة  
في عصره ، وكان قويا شديد النكاية والسخرية بخصومه ، ولم يكن لهم طريق يسلكونها  
للاستقام منه الا الكيد له - على أسلوب ذلك العصر - عند ابن جهور بأنه غير مخلص  
لعهده ولا أمين لأمره .

وما نرى ابن زيدون من تهمة التآمر فانه هو نفسه لم يتنصل منها تنصلا واضحاً صريحاً  
بل نحن لانرى في تصديقها حرجا فقد كانت الظواهر كلها تؤيدها ولا تنفيها .

ولقد فرّ ابن زيدون من سجن أبي الحزم ثم عاد بعد وفاته الى ابنه أبي الوليد وبذل له  
النصيحة كما بذل لأبيه ، وظهر عنده بأعلى مكانة ، ولكن تهمة ذلك العصر فرت به من جديد  
وكاد - لولا فراره - يسجن من جديد ويقضى بقية عمره في السجن .

وقد اتصل بالمعتضد وحاول خصومه أن يدسوا له فلم يفلحوا ولمامات المعتضد أعادوا  
الكرة وأرادوا أن يغيروا عليه قلب المعتمد فأخفقوا ، وقرعهم المعتمد أشدّ قرع وما زال  
ابن زيدون الوفي الأمين المخلص للمعتمد حتى قربت منيته وقرب نجاح أعدائه في تغيير قلب  
المعتمد عليه ، ولوطال عمره قليلا لأصابه من نكال المعتمد وانتقامه ما أصابه من أبي الحزم  
وما كاد يصيبه من أبي الوليد بن جهور . ولكن المنية أُنقذته من شرورهم وأحقادهم كما أسلفنا .  
على أن سجن ابن زيدون قد ترك في نفسه الفتية الوثابة أثرا لا يوصف . وألهمه الحكمة  
والأناة والصبر وعلمه مداراة الناس ومجاملة الخصوم ، وأقنعه بأن معاداة الرجال غير مأمونة  
العواقب وأن السهام « قلما اعتورت غرضا الا كلته حتى يهوى ما اشتد من قوته » فلم يدخر  
جهدا فيما بعد في اكتساب رضى العامة والخاصة ، حتى أحوه - الا القليل ممن دفعهم الحسد  
والغيرة وهؤلاء لاحيلة لأحد في اكتساب رضاهم وسل سخائهم واحقادهم - وقد مات فكاه  
أهل أشبيلية وجزعت لفقده جبهة معاصريه . ولا تزال أشعاره ورسائله التي نظمها في سجنه  
آيات فذة من البيان العالى والشعر المجز . ولا زال قوله :

« لا يهني الشامت المرتاح خاطره      أنى معنى الأمانى ضائع الخطر  
هل الرياح بنجم الأرض عاصفة      أم الكسوف لغير الشمس والقمر »

وقوله :

« ولا يغبط الأعداء كوني في السجن      فاني رأيت الشمس تحصن بالدجن  
وما كنت الا الصارم المعضب في جفن      أو الليث في غاب أو الصقر في وكن  
أو العلق يخفى في الصوار ويخبأ »

إلى آخر هذه القصائد الفذة التي كتب لها الخلود . مثالا عاليا للشعر الرائع والبيان الساحر

## حساد ابن زيدون

كان من الطبيعي أن يلقي أديب مثقف وشاعر مجيد وسيامي مدرب كابن زيدون - وصل في مستقبل شبابه الى أرقى الدرجات - كثيرا من المنافسين والحساد ينقمون على أدبه وتقوّقه ويفارون من تقربّه الى الملوك الذين أکبروا فضله وأدبه فقرّبوه منهم وحاطوه برعايتهم، وقد لقي ابن زيدون في قرطبة جاعة من المنافسين وعلى رأسهم الوزير الأديب أبو عامر بن عبدوس ، فسكادوا له حتى أحفظوا عليه أبا الحزم جهور فسجنه كما أشرنا الى ذلك في فصل سابق . ثمّ فرّ من السجن وعاد فانصل بأبي الوليد بن أبي الحزم ، فلم ينقطع كيد المنافسين حتى غيروا عليه قلب الابن كما غيروا عليه قلب أبيه من قبل ، ففرّ ابن زيدون خوفا من السجن وما زال يتنقل بين ملوك الطوائف حتى استقرّ به السوى في اشبيلية فلقى من كيد الحساد وعنتهم مثل مالتى في قرطبة ، ولكن مدائح الخالدة التي مدح بها المعتضد والتي تعدّ من مفاخر الشعر العربي وروائعه ، وحسن سياسة ابن زيدون و بعد انظر المعتضد تغلّت على كيد المنافسين وأرغمت أنوفهم وأحلتها في المكان الأوّل كما يقول من قصيدة رائعة :

« وأرغم في برى أنوف عصابة لقائهم جهم وأعينهم شزر »

« اذا ما انثنى في الدست عاقد حبوة وفام سباطا حفله فلى الصدر »

فلما مات المعتضد أعادوا الكرة وجعوا جوعهم للكيد له عند المعتمد ولكن المعتمد صدّهم أشنع صدّ وقربّه اليه ، فلم ينس له ابن زيدون هذه اليد وفي ذلك يقول :

« يطيل العدا فيّ التناجي خفية يقولون لا تستفت قد قضى الأمر »

ثم ما زالوا يكيدون له حتى أقصوه عن قرطبة الى اشبيلية منتهزين فرصة مرضه فسار اليها مرغما حيث لقي حتفه . وأفلح كيد ابن عمار وأصحابه في التخلص من منافسة ابن زيدون . ولا نكاد نخلو قصيدة من قصائده في أبي الحزم وأبي الوليد والمعتضد والمعتمد من الشكوى الصارخة من كيد الحساد الذين تطوّعوا لا يذائه وأرهقوه بدسائسهم المتواليّة ، والحسد داء قديم وكم لقي الأدباء والشعراء الممتازون منه ما نفص عليهم حياتهم وأقض مضاجعهم .

وقد لقي المتنبي قبله في مجلس سيف الدولة من حسد أبي فراس وابن خالويه ، ثم لقي عند كافور الاخشيدى من حسد ابن حنزابه ، ثم لقي في بغداد من حسد الوزير المهلبى الذى أغرى به الشعراء والأدباء كالحاتمي وابن سكرة وغيرهما ، ما أقلق باله وفاده الى حتفه .

وقد كان يبلغ المتنبي بعد أن ترك سيف الدولة تشنّيع حساده به عنده ، فيقول :

« رأيتمكم لا يصون العرض جاركم ولا يدر على مرعاكم اللابن

جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل غريب عنكم ضغن . »



الى آخر ما قال .

وكان يبلغ ابن زيدون عن ابن جهور بعد اتصاله بالمتضد ما يسوءه في نفسه وقرابته بقرطبة فيقول :

« بنى جهور أحرقتم بجفائكم      فؤادى فابال المدائح تعبق  
تعدوني كالغبر الورد إنما      تطيب لكم أنفاسه حين يحرق »  
وقوله :

« قل للوزير وقد قطعت بمدحه      زنا فكان السجن منه ثوابي :  
لا تخش في حق بما أمضيته      من ذاك في ولا توق عتابي  
لم تخط في أمرى الصواب موافقا      هذا جزاء الشاعر الكذاب . »  
وقوله :

« من ملغ عنى البلاد اذا نبت      أن لست للنفس الألوف يبايع  
أما الهوان فصنت عنه صفحة      أغشى بها حد الزمان الشارع  
فليغم الحظ المولى أنه      ولي فلم أتبعه خطوة تابع  
ان العنى هو القناعة لا الذى      يشتف نطفة ماء وجه القانع »  
الى آخر ما قال .

وقد كان لهذه المافاتات أثرها العظيم في اجادة الشعراء واطهار أروع ما قاله من الشعر ، وصدق القائل :

« لولا اشتعال البار فيما جاورت      ما كان يعرف طيب عرف العود »  
وما كاد المعتمد يتولى الأمر بعد أبيه المتضد حتى نشط الدساسون والمفسدون لمحاربة ابن زيدون فرموا اليه برقعة فيها قصيدة طويلة أولها :

« يأبها الملك العلى الأعظم      اقطع ويريدى كل باغ ينثم  
واقسم بسيفك داء كل منافق      ييدى الجليل وضد ذلك يكتم »  
فكان رد المعتمد على ذلك قوله :

« كذبت مناكم صرّحوا أوججتموا      الدين أمتن والسجية أكرم  
ختم وريتم أن أخون ، وربما      حاولتم أن يستخف يالم (١) . »

(١) وفيها يقول

« وأردتم تضيق صدر لم يضق      والسر في ثمر العود تحطم  
وزحقتكم - بمحالكم - لجرب      مازال يثبت قام حال فيهم  
أنى رجوتكم غدر من جربتم      منه الوفا . وظلم من لا يظلم  
أنا لكم لا الفى يشر غرسه      عندي ولا مى الصيغة يهدم  
كفوا . والامارقبوا لى بطشه      يلقى الدفيع بئثاها فيعلم »

وقد عرف ابن زيدون كيف يشكر له هذه اليد في قصيدته الرائعة التي يقول فيها :  
« وأرى المساعي كالسيوف تبادرت      شأو المضاء ، فنثن ومصمم  
ولكم تسامى بالرفيع نصابه      خطر ، فناصره الوضع الألام »  
وفيها يقول ويبدع :

« قل للبعاة المنبضين قسيهم      سترون من تصميه تلك الأسهم  
أسررتهم ، فرأى نجي عيوبكم      شيخان ، مدلول عليها ملهم  
وعبأتم - للفسق - ظفر سعاية      لم يعدكم أن ردّ وهو مقلّم  
ونبذتم التقوى وراء ظهوركم      فغدا بيعضكم التقيّ الأكرم  
ما كان حلم « محمد » ليحيله -      عن عهد - دغل الضمير مذمّم »  
وفيها يقول بعد أن أغراه بأعدائه :

« فرق عوت ، فزأرت زأرة زاجر      راع الكليب بها السبنتى الضيغم  
ياليت شعري هل يعود سفههم      أم قد حماء النعج ذاك المكهم  
لى منك - فليذب الحسود تلقايا -      لطف المكانة والمحلّ الأكرم  
وشفوف حظ ليس يفتأ يجتلى      غض الشباب وكل حظ يهرم . »  
الى آخر هذه القصيدة الرائعة :

وقاما تخلو قصيدة من قصائده من مناسبة يخلقها خلقا . ويتطرق منها الى الشكوى والألم  
من حساده ومنافسيه وما لقيه من كيدهم وعنتهم .  
ومن أروع ما قاله في ذلك ، قوله من قصيدة :  
« كان الوشاة وقد منيت بأفكهم      أساط يعقوب وكنت الدنيا »  
الى أن قال :  
« أنا سيفك الصدى الذى مهما تشأ      تعد الصقال اليه والتذريا »  
وقوله :

« ايه «أبا الحزم» اهتل غرة      ألسنة الشكر عليها فصاح  
لاطاربي حظ إلى غاية      ان لم أكن مك سریش الجناح  
عتباك - بعد العتب - أمنية      مالى على الدهر سواها اقتراح  
لم يثنى عن أمل ماجرى      قد يرقع الحرق وتؤسى الجراح »  
وقوله :

« ماجال بعدك لحظى فى سنا القمر      إلا ذكرتك ذكر العين بالآثر »  
الى أن قال :  
« حسن أفانين لم تستوف أعيننا      غايانه بأفانين من النظر . »  
الى أن قال :

محض العيان الذى يغنى عن الخبر  
 برق المشيب اعلى فى عارض الشعر  
 وللشبية غصن غير مهتصر  
 نار الأسى ومشيى طائر الشرر  
 انى معنى الأمانى ضائع الخطر  
 أم الكسوف لغير الشمس والقمر  
 قد يودع الجفن حد الصارم الذكر  
 عن كشف ضررى ولاعتب على القدر  
 غيرى - يحمانى أوزارها وزرى  
 ولم أبت من تجنبه على حذر . «

رد الصبا بعد ايفاء على الكبير  
 كلاهما العلق لم يوهب ولم يعر  
 لا عذر منها سوى أنى من البشر  
 بهاءها وبهاء الحسن فى الحفر . «

« من يسأل الناس عن حالى ، فشاهدها  
 لم تطو برد شبابى ككبرة وأرى  
 قبل الثلاثين إذ عهد الصبا كتب  
 ها انها لوعسة فى الصدر فادحة  
 لا يهنى الشامت المرتاح خاطره  
 هل الرياح بنجم الأرض عاصفة ؟  
 إن طال فى السجن إيداعى فلا عجب  
 وان يثبط - « أبا الحزم » الرضى - قدر  
 ما للذنوب - التى جاني ككائرها  
 من لم أزل من تأنيسه على ثقة  
 إلى أن قال :

« لائله عنى فلم أسألك معذفا  
 واستوفر الحظ من نصيح وصاغية  
 هبنى أسأت فكان العلق سيئة  
 ان السيادة بالأغضاء لابسة

وقال :

« ولو أننى أستطيع كى أرضى العدا  
 شريت ببعض الحلم حظا من الجهل . «  
 إلى أن قال :

تمطر فاستولى على أمد الخصل  
 يتصهاله ماناله من أذى الشكل . «

« جواد إذا استنّ الجياد الى مدى  
 ثوى صافنا فى مربوط ألهون يشتكى  
 إلى أن قال :

« أعدك للجلى وآمل أن أرى  
 بنعماك . وسوما وما أنا بالفضل . «

ثم قال :

تعذر فى نصرى وتعذر فى خذلى  
 وأنحى إلى إنصافك السابغ الظل  
 لما كان بدعا من سجاياك أن تملى  
 « مسيلة » إذ قال : انى من الرسل «

« أئن زعم الواشون ما ليس مزعما  
 وأصدى إلى إسعافك السانغ الجنى  
 « ولو أننى واقعت عمدا خطيئة  
 فلم أسترحب « الفجار » ولم أطع  
 وانظر إلى قوله :

قراهم - لئيران الفساد - ثقاب  
 وبانيهم خلق الجليل فعابوا «

« فديتك كم ألقى العواغر من عدا  
 عفا عنهم قدرى الرقيق فأهجرها

وقد تسمع الليث الجحاش نهيقها  
إذا راق حسن الروض أوفاح طيبه  
إلى أن قال :

« فأنت الحسام العضب أصدى أمته  
وما السيف مما يستبان مضاه  
وقوله :

« لا تستجز وضع قدرى بعد رفعه  
إلى أن قال :

« ظن العدا إذ أغبت - أنها انقطعت  
لابأس بالأمر - أن ساءت مبادئه  
إلى أن قال :

« كم غرة لى تلقى شهاب الموقد الشمع  
إذا تأملت حبي عتب غشهم  
تلك العرازين لم يصلح لها شم  
أودعت نعيمك منهم شر مفترس  
لا زال جدك بالاعداء يصرعهم

وما أروع قوله معذرا عن هجره ابن جهور : « وهو يرى ويسمع أن بالحضرة قوما لا يحصرهم  
العد ، تحتمل سقطاتهم وتغتفر هفواتهم وتقال عثراتهم وما أعلم أنهم يدلون بوسيلة إلا شاركهم  
فيها ولا يمنون بذريعة ينفردون دوني بها » الخ .

وقوله :

« أرى نبوة لم أدر سرّ اعتراضها  
جفاء هو الليل ادلم ظلامه  
هب العزل أخشى للولاية غاية  
فتيم أرى ردّ السلام إشارة  
أناس هم أخشى للذعة مقولى

وقوله :

« ألا هل أتى العتيان أن فتاهم  
وأن الجواد الفائت الشاؤ صافن  
وأن الحسام العضب ثار بجفنه  
فريسة من يعدو ونهزة من يسطو  
تخونه شكل وأزرى به ربط  
وما ذم من غريبه قد ولا قط »

وقوله :

« مثون من الأيام خس قطعها أسيرا ، وان لم يبد شد ولا قط . »

وقال :

« وما زال يدنيني ، ويثني قبوله هوى سرف منه وصاغية فرط . »

وقال :

« عدا سمعه عنى فأصنى الى عدا  
بلغت المنى إذ قصروا قلوبهم  
لهم في أدبى كلما استمكنوا عط  
مكمن أحقاد أسودها رقط . »

وقوله :

« ومثلى قد تهفويه نشوة الصبا  
وانى لتهانى نهى عن التى  
ومثلك قد ينفو ، ومالك من مثل  
أشاد بها الواشى ويعقلنى عقلى . »

الى أن قال :

« وما كنت بالمهدى الى السودد الخنا  
الى أن قال :  
ولا بالمسء القول فى الحسن الفعل . »

« هى النعل زلت بى ، فهل أنت مكذب  
الى أن قال :  
لقليل الأعادى انها زلة الحسل . »

« ألا إن ظنى - بين فعليك - واقف  
الى أن قال :  
وقوف الهوى بين القطيعة والوصل . »

« وأين جواب عنك ترضى به العلا  
إذا سألتنى بعد السنة الحفل . »

إلى آخر ما أبدعته هذه العبقرية الجبارة ، من الافتتان البارع ، فى صورها الشعرية التى لاتسامى .

## ٤ . حب ولادة

تمرّ شتى الحوادث بالإنسان فينساها ولا تكاد تترك في نفسه أثرا يذكر ، على أن لبعض الحوادث أثرا لا يمحي ، حيث تمرّ الأيام والشهور والسنون وهو باق في ذهنه يؤثر فيه أعمق الأثر ، ويطبع نفسه بطابع خاص ، ومن الحوادث التي أثرت في نفس ابن زيدون وشعره ونثره أكبر الأثر ، حادثان : حب ولادة . وحبسه زهاء عامين .

فأما حب ولادة فقد ألهم نفسه إلهابا وأكسبها شاعرية خصبة ففاضت بأعذب الشعر وأبدعت في ضروب الغزل ما شاء لها أن تبدع ، وأخرجت لنا أروع قصائده الغزلية ، وألهمته أسمى ألوان الخيال العالى والغزل الرقيق . كقوله :

« ودع الصبر محب ودعك ذائع من سره ما استودعك »

وقوله :

« أما منى نفسى ، فأنت جيعها ياليتنى أصبحت بعض منك  
يدنو بوصلك حين شط مزاره وهم أكاذب به أقبل فاك »

وقوله :

« كان التجارى بمحض الودّ مذ زمن ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا  
فالآن أحمد ما كنا لههدكم سلوتم وبهينا نحن عشافا »  
وقوله فى نفس القصيدة :

« لا سكن الله قلبا عن ذكركم فلم يطربجنّاح الشوق خفافا »

وقوله من قصيدة أخرى :

« ياليل طل ، لأشتهى إلا بوصل قصرك  
« لو كان عنسدى قرى مابت أرعى قصرك »

وقوله :

« بينى وبينك ما لو شئت لم يضع سرا إذا ذاعت الأمرار لم يذع »

وقوله :

« بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم ولا جفت ما قينا »

إلى أن يقول :

« ما حقنا أن تقرّوا عين ذى حسد بنا ولا أن تسروا كاشحا قينا »  
« غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نعص فقال الدهر آمينا »  
« فأنحلّ ما كان معقودا بأنفسنا وأنبت ما كان موصولا بأيدينا »

وقوله :

« لاستجدن - فى عشقى لها - زمنا ينسى سوائف أيامى وأزمانى »

حتى تكون لمن أحببت خاتمة نسخت - في حبها - كفروا بإيمان «  
وقوله :

« إن ساء فعالمك بي ، فما ذنبي أنا ؟  
لم أسأل حتى كان عذرك - في الذي  
ولقد شكوتك - بالضمير - الى الهوى  
منيت نفسي - من وفائك - ضالة  
وقوله :

« أغائبه - عني وحاضرة ممي  
أفي الحق أن أشقى بحبك أو أرى  
ألا عطفة تحيا بها نفس عاشق ؟  
صليني - بعض الوصل - حتى تبيني  
وقوله :

« قد كان - في شكوى الصابية - راحة  
لو أنني أشكو إلى من يرحم  
وقوله :

« لما اتصلت اتصال الحب بالكبد  
ساء الوشاة مكانى منك واتقدت  
فليسخط الناس لأهمد الرضى لهم  
لواستطعت - اذا ما كنت غائبة -  
ثم امتزجت امتزاج الروح بالجسد  
- في صدر كل عدو - جرة الحسد  
ولا يضع لك عهد آخر الأبد  
غضضت طرفي فلم أنظر الى أحد «

وقوله :

« ياليل خبر : اننى  
بالله قل لى : هل وفى ؟  
التذ عنه خبرك  
فقال : « لا . بل عذرك »

وقوله :

« لئن فاتني منك حظ النظر  
وان عرضت غفلة للرقية  
أحاذر أن تتظنى الوشا  
واصبر مستيقنا انه  
لأكتفين بسماع الخبر  
ب خسي تسليمة تختصر  
ة ، وقد يستدام الهوى بالحذر  
سيحظى - بنيل المنى - من صبر «

وقوله :

« أشمت بي فيك العدا  
لو كان يملك فدية  
كنت الحياة لعاشق  
وبلغت - من ظلمي - المدى  
- من حبك القلب افتدى  
- مذ حلت - أيقن بالردى

لعذرتي ، فبك اقتدى

لم يسئل عنك ولو سلا

وقوله :

أرسلتني - في أحاديث الهوى - مثلاً  
الا خلعت عليها - بالضنى - حلالاً  
وليكف طرفك انى بعض من قتلا  
لا أقض ماعشت سلوانا ولا مللاً  
وجه السرور به جذلان مقبلاً  
يهدى الى - تفاريق المنى - جلاً  
بلغت يا أملى - من دهرى الأملأ «

« أبديتلى - من أفانين القلى - عبراً  
لم تبق جارحة بالهجر من جسدى  
فليغن كفك انى بعض من ملكت  
ولا قضا ماشئت - من هجرو من صلة -  
سقى لعهدك والأيام تقبلنى  
إذ الزمان بليغ فى مساء -  
ان كان لى أمل الا رضاك فلا

وقوله :

فكلما قيل فيه : « قد قضى » ثاباً  
- يوم الزيارة - أن القلب قد ذاباً  
فان أكله عنكم سلوة يابى  
لا عذب الله الا عاشقاً ثاباً «

« انى لأعجب من شوق يطاولى  
كم نظرة لك فى عينى علمت بها  
قلب يطيل مقاماتى لطاعتكم -  
ماتوبنى بنصوح - من محبتكم

وقوله :

تدار علينا - للجون - مدام  
ترف وامواه السرور جام  
يشب لها - بين الضلوع - غرام  
دوع كما خان الفريد نظام  
اذا هز للخطب الملم - حسام . «

« معاهد هو لم تزل فى ظلالها  
زمان رياض العيش خضر نواضر  
فان بان منى عهدا ، فلوعة  
تذكرت أيامى بها فتادرت  
وصحبة قوم كالمصاييح كلهم

الى أن قال :

« محل غنينا بالتصاىى خلاله فأسعدنا ، والحادثات نيام

فما لحقت تلك الليلالى ملامة ولا ذم - من ذاك الحبيب - ذمام «

وقوله : وهو بطليوس من قصيدة رائعة :

« إن قرت العين بأن أهوبا لم آل أن أسترضى الغضوبا  
حسبى ان أحرم المغيبا قد يقع المذنب أن يتوبا «

وقوله :

هيهات كيد الهوى يستهلك الحذرا  
هل يستطيع فتى أن يدفع القدرا «

« لم ينجنى منك ما استشعرت من حذر  
ما كان حبك الا فتنة قدرت

وقوله :

« ما الذى ضرك لو سمر بمراك الحزين



وتلطف لـصـب حينه فيك يحين «

وقوله :

ماضر لو أنك لى راحم      وعلى أنت بها عالم  
يهنيك يا سؤلى ويا بغيتى      أنك مما أشتكى سالم  
تضحك فى الحب وأبكى أنا      الله - فيما بيننا - حاكم  
أقول لما طار عنى الكرى      قول معنى قلبه هائم  
يا نائما أيقظنى حـسـه      هب لى رقدا أيها النائم «

وقوله :

« هلا جعلت - فدتك نفسى غاية  
لا تفسدن ما قد تأكد بيننا  
حاشاك من تضييع ألف وسيلة  
ان أجنه خطأ فقد عاقبتنى

وقوله :

« علام اطمئت دواعى القلى ؟  
ألم الزم الصبر كيا أحف ؟  
ألم أرض منك بغير الرضى  
ألم اغتفر موبقات الذنوب  
وما ساء ظنى فى أن يسىء  
على حين أصبحت حسب الضمير  
وصانك منى وفى أبى

وقوله :

« عليك السلام سلام الوداع  
وما باختيار تسليت عنك  
ولم يدر قلبى كيف النزوع  
إلى آخر هذه القصيدة التى تحلق بك فى جو العباس بن الأحنف ، حتى ليخيل إليك أنها

من شعره قد ألحقها بديوانه الحافل بهذه الروح الحائرة القلقة .

« يامن غدوت به فى الناس مشتهرا      قلبى عليك يقامى الهمم والفكرا  
إن غبت لم ألق إنسانا يؤنسنى      وان حضرت فكل الناس قد حضرا «

وانظر إلى قوله وقد حاجته الذكرى الى قرطبة :

« سقى الله أطلال الأحبة بالحي وحاك عليها ثوب وثى منمنا  
وأطلع فيها للأزاهير أنجما فكم رفلت فيها الخرائد كالدمى  
إذ العيش غص والزمان غلام »

وما أروع قوله فى تلك الموشحة الساحرة :

« أهيم بجبار يعز وأخضع شذا المسك من أردانه يتضوع  
إذا جئت أشكوه الجوى ليس يسمع فما أنا فى شئ من الوصل أطمع  
ولا أن يزور المقتلين منام »

الى أن يقول :

« فقل لزمان قد تولى نعيمه ورثت - على مر الليالى - رسومه  
وكم رقى فيه - بالعشى - نسيمه ، ولاحت - لساى الليل فيه نجومه  
عليك من العصب المشوق سلام »

وقوله فى ذكرى قرطبة وولادة ومجالس أنسه :

« أقربطه العراء ، هل فىك مطمع وهل ككبد حوى لبيتك تنقع  
وهل للياليك الجميدة مرجع اذ الحسن مرأى فىك واللهم مسمع  
واذ كنف الدنيا ليدىك موطأ »

« أليس عجيباً أن تشط النوى بك فأحيا كأن لم أنس فقع جنابك  
ولم يلثم شعبى خلال شعابك ولم يك خلقى بدؤه من ترابك  
ولم يكتفى - من نواحيك - منشأ »

الى أن يقول :

« معاهد أبكها لعهد تصرما أغص من الورد الجوى وألعا  
لسا الصا فيها حبرا منمنا وقدنا إلى اللذات جيشا عرصرما  
له الأمن رده والعداوة مربأ »

وقوله :

« إخواننا للواردين مصادر ولا أول إلا سبتلوه آخر  
وإنى لاعتاب الزمان لناظر فقد يستقيل الجد ، والجد عاثر  
وتحمد عقى الأمر مازال يشأ »

وما أبدع قوله :

« وان بلادا هنت فيها لأهون ومن رام مثلى بالدنية أدنا . »

الى آخر هذه القصائد الفذة التى يفخر بها الأدب العربى والبيان العربى . والتى كان  
الباعث الأول على نظمها الحبيب وصوغها المعجز هو حب ولادة .

## ه - أدب ابن زيدون

قالما يظفر الانسان بأديب عربيّ يحمل لواء الزعامتين في النظم والنثر ، فان أغلب ما نشاهده أن يبدع الأديب في أحد النوعين إبداعا يغطي على إبداعه في الآخر ، أما ابن زيدون فانك تقرأ نثره فلا تكاد تصدّق أن شعره يتسامى إلى مثل هذه المرتبة العالية ، فاذا عدت الى شعره أنساك إبداعه روعة ما قرأت من نثره ، وهكذا لا تكاد تقرأ قطعة مختارة من شعره أو نثره حتى تملأ نفسك بهجة وسرورا وينسيك سحرها كل شيء آخر . وليس من الانصاف أن نقول إنه شاعر ممتاز فحسب أو ناثر ممتاز فقط ، وما أجدرنا أن ننصفه فنقول إنه زعيم من زعماء البيان العربي .

لقد قضى ابن زيدون حياته بين الدرس والتحصيل والتجارب والاختار والاتصال بكبار ساسة عصره ودهاتهم ، وصهر قلبه حبّ ولادة كما أسلفنا ، وحنينه الى وطنه ، وأثر في نفسه الشاعرة الحساسة ما امتازت به الأندلس من جمال التربة وصفاء الجوّ ، ولقي من السعادة والتجمع بالحسن أشهى وأعذب ما لقي محبّ ، ثم لقي من لوعة الصّد والهجران أشقى وأمرّ ما لقي إنسان : « حسن أفانين لم تستوف أعينا غايانه بأفانين من النظر »

ولقد نعم بصولجان السلطة والقوة حينما من الدهر ثم شق بالسجن بين الأشرار والمجرمين زمنا غير قليل ، ولقي من كيد المنافسين والحساد كما أسلفنا ما لم يلقه أحد . فلا غرو أن تتضافر كل هذه العوامل القوية على خلق الشاعر العظيم . وأنت إذا درست أدب ابن زيدون دراسة مستفيضة رأيته خليقا بأن يقول كما قال فيلسوف المغرب :

« ماسر في هذه الدنيا بنو زمن إلا وعندي من أخبارهم طرف »

ولقد ترى في أدبه أمثلة من ثقافة المعري وسعة اطلاعه وتمكنه من اللغة ، ومحافظته على أساليبها ، كما ترى فيه أمثلة من صناعة أبي تمام ونظم البيهقي واسترسال ابن الرومي وقوة أداء المتنبي .

وإنك لتقرأ أكثر غزله فيخيل اليك لسهولته أنك تحلق في أجواء العباس بن الأحنف والشريف الرضي والمجنون ، ثم تقرأ اخوانيانه فيخيل اليك لاسترساله وافتتانه في ضروب القول ، أنك تقرأ ابن الرومي وهو يخاطب أبا القاسم التوزي بهمزيته المشهورة ، ثم تقرأ رسائله فيخيل إليك أنك تقرأ رسائل الجاحظ في براعة الاستخفاف والنهكم أو رسائل المعري في سعة الاحاطة وكثرة الاستشهاد ، والولوع بالأمثال .

وقد كان ابن زيدون زعيم شعراء عصره في الأندلس فلا غرو أن يكون أدبه أصدق مرآة يتجلى فيها أدب هذا العصر الزاهي وثقافته .

وقد كان يجمع - إلى حسن رويته - قوة الدلاقة وسرعة البديهة ، وقاما يتفق لأديب عمق التفكير مع دلاقة اللسان ، فقد روى صاحب نفع الطيب محدثنا عن دلاقة ابن زيدون : أن ابنته توفيت ، وبعد الفراغ من دفنها ، وقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليشكر لهم ، فقبل ، إليه ما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لأحد ، قال الصفدي : « وهذا من التوسع في العبارة والقدرة على التفتن في أساليب الكلام ، وهو أمر صعب إلى الغاية » إلى أن قال - بعد أن قارن بينه وبين واصل بن عطاء في تجنبه الراء ، وأما ابن زيدون فأقول في حقه : « أقل ما كان في تلك الجنازة - وهو وزير - ألف رئيس ممن يتعين له أن يتشكر له ويضطر إلى ذلك فيحتاج في ذلك إلى ألف عبارة مضمونها الشكر وهذا كثير الغاية لاسيما من محزون فقد قطعة من كبده : « ولكنه صوب العقول اذا انبرت سحائب منه أعقبت بسحائب . » ومهما كان في هذا الخبر من الاسراف ، فان بعضه كاف في الدلالة على فضله . وكان ابن زيدون إلى ذلك إماما من أئمة عصره حتى قال بعض الأدباء فيه : « من لبس الياض وتخنم بالعقيق وقرأ لأبي عمرو وتفقه للشافعي وروى شعر ابن زيدون ، فقد استكمل الظرف » .

كامل كيلاني



## في السجى (١)

« نظم ابن زيدون هذه القصيدة الفياضة بالألم واللوعة والحزن ، وهو فى السجى ، وبعث بها إلى صديقه الوزير الكاتب أبى حفص بن برد »

مَا عَلَى ظَنِّى بَاسٌ<sup>(١)</sup>      يَجْرَحُ الدَّهْرُ وَيَاسُو<sup>(٢)</sup>  
رُبَّمَا أَشْرَفَ بِالْمَرْءِ      عَلَى الْآمَالِ يَاسُ  
وَلَقَدْ يُنَجِّيكَ إِغْفَاً      لَوْ يُزِدِيكَ<sup>(٣)</sup> احْتِرَاسُ  
وَالْمَحَازِيرُ سِهَامٌ      وَالْمَقَادِيرُ قِيَاسُ<sup>(٤)</sup>  
وَلَكُمْ أَجْدَى<sup>(٥)</sup> قُعُودٌ      وَلَكُمْ أَكْدَى<sup>(٦)</sup> التَّمَامُ  
وَكَذَا الدَّهْرُ<sup>(٧)</sup> — إِذَا مَا      عَزَّ نَاسٌ — ذَلَّ نَاسٌ  
وَبَنُو الْأَيَّامِ أَخِيَا      فَتُ مَرَاةٌ وَخَسَاسُ<sup>(٨)</sup>

(١) جاء فى قلائد العقيان :

« وله عند فقد الوفاء من آلامه ، يخاطب أبى حفص بن برد ، وقد حار ولم يجد هادياً ، وصار رهيناً يرحو فادياً ، وعلم أن الناس متقلبون ، وعلى من انقلب الدهر متقلبون ، لا يديهم فى الشدة إخاء ، ولا تنبهم من دوى الخطوة زهو ولا انتقاء .

ما على ظنى باس يجرح الدهر ويأسو »

قد ذكرت بترتيب يخالف هذا الترتيب الذى نقله عن نسخة الديوان .

(٢) ويروى : « ما على طي باس » . (٣) يداوى . (٤) وفى روايه : « وبؤذك احتراس » . (٥) جمع قوس : عن يعقوب وأبى عبيد فهو على فعال ، وأصله نواس ثبت الواو ياء لمناسبة الكسرة ، يشاهده قول المائل :

« ووتر الأساور القياسا صفدية تنزع الأنفاسا »

(٦) أغنى : أو أفاد . (٧) احقق ولم يفز — يقول : كثيراً ما يكون القعود عن المطلب سبباً فى نظركم والفوز والسعى سبباً فى الاحفاق والحرمان ، وقد تهافت الشعراء على هذا المعنى كثيراً ، ومن أحسن ما جاء فيه قول بن زريق :

والسعى فى الرزق والأرزاق قد قسمت      بى ألا إن بى إلى يصرعه

(٨) وفى رواية : « وكذا الحكم » .

(٩) الناس أخفاف : أى مختلفون ، شريف وخسيس . قال أحد الأعراب : « الناس أخفاف وشقي والشيم »

نَلْبَسُ الدُّنْيَا ، وَلَكِنْ مُتَمَّةٌ ذَاكَ اللَّبَاسُ <sup>(١)</sup>  
يَا أَبَا حَفْصٍ وَمَا سَا وَكَ فِي فَهْمٍ إِيَّاسُ <sup>(٢)</sup>  
مِنْ سَنَا <sup>(٣)</sup> رَأَيْكَ لِي فِي غَسَقٍ <sup>(٤)</sup> الْخَطْبِ أَقْتَبَسُ  
وَوِدَادِي لَكَ نَصٌّ <sup>(٥)</sup> لَمْ يُخَالَفَهُ قِيَّاسُ <sup>(٦)</sup>  
أَنَا حَيْرَانُ وَالْأَمْرِ وَضُوحُ وَالْتِبَاسُ  
مَا تَرَى فِي مَعَشَرٍ حَا لُوا عَنِ الْعَهْدِ وَخَاسُوا <sup>(٧)</sup>  
وَرَأَوْنِي سَامِرِيًّا <sup>(٨)</sup> يَتَّقِي مِنْهُ الْمَسَاسُ  
أَذُوبٌ هَامَتِ بِلَحْمِي فَأَنْتَهَاشُ <sup>(٩)</sup> وَأَنْتَهَاشُ  
كُلُّهُمْ يَسْأَلُ عَنْ حَا لِي وَلِلذُّبِ أَعْتَسَاسُ <sup>(١٠)</sup>

(١) يشير إلى قوله تعالى : « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

(٢) هو القاضي إياس بن معاوية بن إياس المزني ولي القضاء في زمن عمر بن عبد العزيز ، وكان يضرب به المثل في الألمية :

والألمى الذى يطن بك الظن كأن يد رأى وقد سمعا

وإياس هذا هو من عناه الحريري بقوله في المقامة السابعة « فاذا ألمعتي ألمعية ابن عباس ، وفراستي فراسة إياس » وعناه أبو تمام في قصيدته السينية بقوله :

اندام عمر في ساحة حاتم في حلم أحنف في دكاء إياس

(٣) من دواء رأيك (٤) طلبة (٥) النص : السند المقطوع صحته والتعين على شيء ، وهو في عرف الفقهاء ، مقطوع صحته فلا يخالفه قياس ، فكأنه يقول : إن ودادي مسد إليك ، أو هو موقوف عليك ، أو متعين لك ، وقد استعمل الشاعر لفظي النص والقياس في السمر ، وهما من مصطلحات الفقهاء على طادته في ذلك ، وهو يشير بذلك إلى اصطلاح الفقهاء إذ يعتبرون النص والقياس من مآخذ الأحكام الشرعية ، والأول صريح مط القرآن أو الحديث ، والثاني إلحاق قضية — لا نص فيها — بقضية أخرى منصوصة لاشتراكهما في علة حكم الأولى (٦) وفي رواية : القياس

(٧) حابوا (٨) السامري : عظيم من بني إسرائيل عبد العجل . قال الكشاف : عوقب في الدنيا بمقوبه لاشيء أطم منها وأوحش ، وذلك أنه منع من محالطة الناس منعاً كلياً ، وحرم عليهم ملاقاته ومكالته ومازنته ومواجهته وكل ما يمايش الناس به منهم ، وإذا من أحد أرحلا أو امرأة حم الناس والممسوس ، فتعابى الناس وتعاموه ، وكان يصيح في الناس « لا مساس » .

(٩) الانتهاش بالشئ : الأحد بالأضراس ، وبالسبب : الأخذ بمقدم الأسنان ، وفي رواية : فانتهاب وانتهاش (١٠) طلب الصيد بالليل ، ومعنى الأبيات أن أعداءه كالذئاب لا ينون عن نهش لحمه ، متظاهرين بالتودد له والاشفاق عليه ، فهم يسألون عن حاله متجسسين ، كما يتجسس الذئب ليتعرف مواطن فريسته .

\*\*\*

إِنْ قَسَا الدَّهْرُ فَلَمَّا      مِنْ الصَّخْرِ أَنْبِجَاسُ<sup>(١)</sup>  
وَلَنْ أَمْسَيْتُ نَجْوُ      سَا فَلَنْغَيْتُ أَخْتِباسُ  
يَلْبُدُ<sup>(٢)</sup> الْوَرْدُ السَّبْنَى      وَلَهُ بَعْدُ أَفْتِرَاسُ

\*\*\*

فَتَأْمَلْ كَيْفَ يَنْشَى      مُقَلَّةَ الْمَجْدِ النُّعَاسُ  
وَيُقَتِّ الْمِسْكُ فِي التُّرْبِ      بِ فَيُوطَا وَيُدَاسُ

\*\*\*

لَا يَكُنْ عَهْدُكَ وَرَدًا      إِنَّ عَهْدِي لَكَ آسُ<sup>(٣)</sup>  
وَأِدِرْ ذِكْرِي كَأَسَا      مَا أُمْتَطَتْ كَفْكَ كَاسُ  
وَأَغْتَنِمْ صَفْوَ اللَّيَالِي      إِنَّمَا الْعَيْشُ اخْتِلَاسُ  
وَعَسَى أَنْ يَسْمَحَ الدَّهْرُ      رُ فَقَدْ طَالَ الشَّمَاسُ<sup>(٤)</sup>

(١) أى تشقق ينفع منه الماء ، وفى القرآن الكريم : « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء » (٢) يلصق بالأرض ملازماً عريسه لا يبرحه والورد من أسماء الأسد ، والسبني الجري ، ومنه فى صفة أبى لؤلؤة قاتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه . قول الضحاك :  
حزى الله خيراً من إمام وبارك      يد الله فى داك الأديم الممزق  
وما كب أحس أن تكون وفاته      بكفى سبني أروق العين مطرق  
والسبني النمر أيضاً ، وفى الدخيرة لابن بسام قوله : يلبد الورد السبني البيت ، كقول النابغة :  
وقلت يا قوم ان الليث منقبص      على برائته لؤلؤة الغياري  
وأخذ ابن الرومي فقال :

سكنت سكوناً كان وهناً لوثبة      عباس كذاك الليث للوث يلبد

(٣) يقول : لا يكن عهدك كالورد فى سرعة الذبول ، فان عهدى دائم كالآس ، ويفسر هذا المعنى قول العباس بن الأحنف :

ولكننى شبت بالورد عهداً      وليس يدوم الورد والآس دائم

(٤) وفى رواية ثانية : « وقد طال التماس » ومعنى الرواية الأولى أن عصيان الدهر وتعمده قد طالا .

## ذكرى أيام الوصال<sup>(١)</sup>

« كتب ابن زيدون هذه القصيدة الفذة ، يتحسر فيها على  
انقضاء أيام الوصال ويشكو فيها ما يحسه من الوجد المبرح  
والآلم القاسى ، وقد بعث بها إلى حبيته «ولادة بنت المستكفى»  
أديبة الأندلس الفذة ، يسعظها ويتلف على أيام  
الوصال السابقة »

أَضْحَى الثَّانِي بَدِيلًا مِنْ تَدَايِينَا	وَنَابَ <sup>(٢)</sup> عَنْ طِيبِ لَقِيَانَا بِجَافِينَا
أَلَا <sup>(٣)</sup> وَقَدْ حَانَ صُبْحُ الْبَيْنِ صَبَحَنَا	حِينَ فَقَامَ بِنَا لِلْحَيْنِ نَاعِينَا
مَنْ مُبْلَغُ الْمُلْبِسِينَا بِاتِّزَاجِهِمْ	حُزْنَا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَبْلَى وَيُؤَلِّمُنَا
أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي مَا رَأَى يُضْحِكُنَا	أُنْسًا بِقُرْبِهِمْ قَدْ عَادَ يُبْكِيُنَا
غِيظَ الْعِدَامِينَ تَسَاقِينَا الْهُوَى فَدَعَوْا	بِأَنْ نَقْصَ <sup>(٤)</sup> فَقَالَ الدَّهْرُ آمِينَا
فَانْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِنَا	وَأُنْبَتَ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا
وَقَدْ نَكُونُ وَمَا يُخْشَى تَفَرُّقُنَا	فَالْيَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى تَلَاقِينَا

(١) جاء في ولادة الغنيان :

« ولم يزل يروم دنو ولادة فيتمدر ، ويباح دمه دونها ويهدر ، لسوء أثره في ملك قرطبة ووالها ، وقامح  
كان ينسبها إليه ويواليها ، أحقدت بى جهور عليه ، وسددت أصدتهم إليه ، فلما يئس من لقاها ، وحجب  
عنه مجاها ، كتب إليها يستديم عهدا ، ويؤكد ودها ، ويعتذر من فراقها بالخطب الذى غشبه ، والامتناع  
الذى حشيه ، ويعلمها أنه ماسلا عنها بجمر ، ولا خبا ما بين صلوحه لها من ملتب جمر ، وهى قصيدة ضربت  
في الابداع بسهم ، وطلعت في كل خاطر ووهم ، ونزعت منزعا قصر عنه حيب وابن الجهم »

وقد عارض هذه القصيدة كثير من الشعراء — من قداما ، ومحدثين — وقد أثبتنا شيئا من ذلك في غير هذا  
المكان من الكتاب فليرجع إليه من شاء (٢) رواية الديوان « نان » .

(٣) لمة في هلا ، والحين الهلاك ، والمعنى هلا صبحنا الهلاك صبيحة يوم الفراق — كأن الهجر والموت  
في نظر الشاعر سيان مادام كلاهما بعده عس يحبه ويهواه بل الموت أروح لأنه فراق اضطرار ، أما  
الهجر فانه عن اختيار (٤) غصى بالما ، شرق به أو وقف في حلقه .



\*\*\*

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَمْ نُعْتَبِ<sup>(١)</sup> أَعَادِيكُمْ  
لَمْ نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ  
مَا حَقَّقْنَا أَنْ تُقَرُّوا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ  
هَلْ نَالَ حَظًّا مِنَ الْعُتْبَىٰ أَعَادِينَا  
رَأْيَا وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا  
بِنَا وَلَا أَنْ تَسُرُّوا كَاشِحًا فِينَا

\*\*\*

كُنَّا نَرَى الْيَأْسَ تُسَلِّمُنَا عَوَارِضُهُ  
بَيْنُكُمْ<sup>(٢)</sup> وَبَيْنَا فَمَا أَتَلَّتْ جَوَانِحُنَا  
نَكَادُ حِينَ تَنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا  
حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَّامُنَا فَعَدَّتْ  
إِذْ جَانِبُ الْعَيْشِ طَلَقَ مِنْ تَأَلُّفِنَا  
وَإِذْ هَضَرْنَا<sup>(٣)</sup> فَنُونَ<sup>(٤)</sup> الْوَصْلِ دَانِيَةً  
لِيُسْقَى<sup>(٥)</sup> عَهْدُكُمْ عَهْدُ السُّرُورِ فَمَا  
لَا تَحْسَبُوا تَأْيِيَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا  
وَقَدْ يَفْسِنَا فَمَا لِلْيَأْسِ يُغَيِّرُنَا<sup>(٦)</sup>  
شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَّتْ مَا فِينَا  
يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى<sup>(٧)</sup> لَوْلَا تَأْسِينَا<sup>(٨)</sup>  
سُودًا وَكَانَتْ بِكُمْ يِيضًا لِيَالِنَا  
وَمَرَبَعُ اللَّهِ وَصَافٍ مِنْ تَصَافِينَا  
قِطَافُهَا فَجَنِينَا مِنْهُ مَا شِينَا  
كُنْتُمْ لِأَرْوَاحِنَا إِلَّا رِيَاحِينَا  
إِنْ طَالَمَا غَيَّرَ الثَّأْيُ الْمُحِيطِينَ

(١) أعتبه أعطاه العتي أي أرضاه ، يقول : إننا لم نرض أعداءكم ، فهل أنتم كذلك لم ترضوا أعداءنا  
(٢) كننا نظن أن اليأس يسلي ، فما بال رأسا مكتم بزيدينا ولو طابكم ، وفي هذا المعنى يقول المجنون :

أليس وعدتي يا قلب اني إذا ماتت عن ليلى تتوب  
فيها أنا تائب عن حب ليلى فمالك كلما ذكرت تذوب

(٣) بعدتم وبعدنا (٤) الحزن (٥) التعزى

(٦) هصر النفس : إيمانه (٧) ضروبه وأنواعه أو الفنون جمع فن ، وهو الفن وما تشعب منه ، وفي اللسان ( قال أبو الهيثم : الفنون تكون في الأغصان ، والأغصان تكون في الشب ، والشعب تكون في السوق ) فكان الشاعر استعار للوصل أفنانا يهصرها أي يميلها إليه كلما أراد انتطاف زهرها ، واحتناء ثمرها (٨) أي سقياً لمهدكم عهد السرور أي بإبدال الثاني من الأول لتبيينه وتعريفه

وَاللّٰهُ مَا طَلَبْتَ <sup>(١)</sup> أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا مِنْكُمْ وَلَا أَنْصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمَانِينَا

\*\*\*

يَا سَارِيَّ الْبَرْقِ غَادِ <sup>(٢)</sup> الْقَصْرَ وَأَسْقِ بِهِ  
وَأَسْأَلُ هُنَاكَ هَلْ عَنِّي <sup>(٣)</sup> تَذَكُّرُنَا  
وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا  
فَهَلْ أَرَى الدَّهْرَ يَقْضِينَا مُسَاعَفَةً

\*\*\*

رَيْبُ مُلْكٍ كَانَ اللَّهُ أَنْشَأَهُ  
أَوْ صَاغَهُ وَرِقًا <sup>(٤)</sup> مَحْضًا وَتَوَجَّهَ  
إِذَا تَأَوَّدَ آدَتُهُ رِفَاهِيَّةً  
كَانَتْ لَهُ الشَّمْسُ ظِلًّا <sup>(٥)</sup> فِي أَكَلَتِهِ <sup>(٦)</sup>  
كَأَنَّمَا أَثْبَتَتْ فِي صَحْنٍ وَجَنَّتِهِ  
مِسْكًا <sup>(٧)</sup> وَقَدَّرَ إِنْشَاءَ الْوَرَى طِينًا  
مِنْ نَاصِعِ التَّبَرِّ إِبْدَاعًا وَتَحْسِينًا  
تَوْمُ الْعُقُودِ وَأَذْمَتُهُ الْبَرَى لِينًا <sup>(٨)</sup>  
بَلْ مَا تَجَلَّى لَهَا إِلَّا أَحَايِينَا  
زُهْرُ الْكَوَاكِبِ تَعْمُودُ أَوْ تَزِينُنَا <sup>(٩)</sup>

(١) وفي رواية : « ما اطهرت » اسعدت ، بدلا طريفا ، يقسم أنه ما استحدث هوى حديدا بعد هوى أحيابه ، (٢) باكره بالامام أول النهار  
(٣) هل شغل من تألفه مذكرنا كما شغلنا تذكرك .

(٤) المآ في الزيارة أن تكون كل أسبوع ، والمقصود هنا القلة . يقول الشاعر :

لأننا لم تنقأ الوصال من الدهر غيا ، ولكننا تقاضينا بالخاح . فهل ترى الدهر — بعد هذا —

يسمقنا باللقاء ؟

(٥) ليس هذا المحبوب مخلوقا من طين أو تراب كسائر البصر كلا ، وإنما هو طينة من المسك ولا زال الشمراء المحبون يتغالون فيمن يحبون إلى الآن ، حتى قال بعضهم أخيرا لهو به :

أنت روحانية لا تدعي أن هذا الحسن من طين وماه

(٦) فضه ، يريد أن الله أبدعه ناصع البياض وتوجه بشعر ذهبي (٧) يقول إذا تلى آدته أي أثقلته وشق حملها عليه ( توم ) أي لآلى العقود وجرحته ( البرى ) أي الخلايل ، وذلك لرفاهته

(٨) مرضمة (٩) جمع كلة : وهي ستر أو قبقق يبقى من البعوض

(١٠) يعني أن جماله استعمار زهر الكواكب لتكون زينة له ، وتعموده من عيون حاسديه

مَا ضَرَّ أَنْ لَمْ نَكُنْ أَكْفَاءَهُ شَرَفًا      وَفِي الْمَوَدَّةِ كَافٍ مِنْ تَكَاثُفِنَا

\*\*\*

يَا رَوْضَةً طَالَمَا أُجِنْتُ لَوَاحِظُنَا      وَرَدًّا جَلَاءَهُ الصَّبَا غَضًّا وَلَسْرِينَا  
وَيَا حَيَاةَ تَمَلُّينَا <sup>(١)</sup> بِزَهْرَتَيْهَا      مُسَيَّ ضُرُوبًا وَلَذَاتِ أَفَانِينَا  
وَيَا نَعِيمًا خَطَرْنَا مِنْ غَضَارَتِهِ <sup>(٢)</sup>      فِي وَشْيٍ <sup>(٣)</sup> نَعْمَى سَحْبِنَا ذَيْلُهُ حِينَا  
لَسْنَا نُسَمِّيكَ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً      وَقَدْرُكَ الْمُعْتَلِي عَنْ ذَاكَ يُغْنِينَا  
إِذَا انْفَرَدْتَ وَمَا شُورَكَتِ فِي صِفَةٍ      فَحَسْبُنَا الْوَصْفُ إِيْضًا وَتَبْدِينَا

\*\*\*

يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ أَبَدِلْنَا بِسِدْرَتَيْهَا      وَالْكَوْثَرَ الْعَذْبَ زَقُومًا وَغَسَلِينَا  
كَأَنَّكَ لَمْ تَبِتْ وَالْوَصْلُ ثَالِثُنَا      وَالسَّعْدُ قَدْ غَضَّ <sup>(٤)</sup> مِنْ أَجْفَانِ وَأَشِينَا  
سِرَّانٍ فِي خَاطِرِ الظُّلَمَاءِ يَكْنُمُنَا      حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ الصَّبْحِ يُفْشِينَا <sup>(٥)</sup>  
لَا غَرَوْ فِي أَنْ ذَكَرْنَا الْحُزْنَ حِينَ نَهَتْ      عَنْهُ النَّهْيَ وَتَرَكَنَا الصَّبْرَ نَاسِينَا  
إِنَّا قَرَأْنَا الْأَمْسَى يَوْمَ النَّوَى سُورًا      مَكْتُوبَةً وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ تَلْقِينَا

(١) تَمَلُّنَا وَنَعْمُنَا

(٢) نَفْسُوتُهُ وَخَفَضُهُ      (٣) فِي نَعْمَى كَالثُوبِ الصَّاقِ دَى الْوَشْيِ أَيْ الْقَشِّ .

(٤) أَنَامَهُ عَمَّا لَمْ يَشْ بِنَا

(٥) قَالَ ابْنُ بَسَامٍ : وَهُوَ مَعْنَى مَشْهُورٌ وَهُوَ فِي الشَّعْرِ كَثِيرٌ ، قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَشَى وَيَبَاضُ الصَّحْحُ يَفْرَى بِي

هَلَى أَنْ أَبَا الطَّيِّبِ أَجَادَ وَكَرَّرَهُ فِي مَوَاصِعَ مِنْ شَعْرِهِ كَقَوْلِهِ :

لَا تَلْقَ إِلَّا لَيْلًا مِنْ تَوَاصُلِهِ فَالْشَّمْسُ نَعَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَادِ

وَكُلٌّ مِنْ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ ، خُفُوَالِ الْمَثَلِ دَارٌ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ : « اللَّيْلُ أَحَقُّ لِلْوَيْلِ »

قَوْلٌ : وَلَمْ تَرَفِ فِي هَذِهِ الْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ بَسَامٍ أَدَقُّ وَأَظْرَفُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ زَيْدُونَ :

« سِرَّانٍ فِي خَاطِرِ الظُّلَمَاءِ » الخ

أَمَّا هَوَاكَ فَلَمْ نَعْدِلْ بِمَنْهَلِهِ  
لَمْ نَجْفُ أَفْقَ جَمَالِ أَنْتِ كَوْكَبُهُ  
وَلَا اخْتِيَارًا تَجَبَّنَاهُ عَنْ كَثَبِ  
نَاسِي عَلَيْكَ إِذَا حُشَّتْ مُشْعَشَعَةٌ (١)  
لَا كَوْسُ الرِّاحِ تُبْدِي مِنْ شَمَائِلِنَا  
دُومِي عَلَى الْعَهْدِ - مَا دُمْنَا - مُحَافِظَةٌ  
فَمَا اسْتَعَضْنَا خَلِيلًا مِنْكَ يَحْبِسُنَا  
وَلَوْ صَبَاً (٢) نَحْوَنَا مِنْ عُلُومِ مَطْلَعِهِ  
أَبْنِي وَفَاءً - وَإِنْ لَمْ تَبْذُلِي صَلَةً -  
وَفِي الْجَوَابِ مَتَاعٌ إِنْ شَفَعْتَ بِهِ  
عَلَيْكَ مِنَّا سَلَامٌ اللَّهُ مَا بَقِيَتْ

شُرْبًا وَإِنْ كَانَ يُزَوِّنَا فَيُظْمِنَا (١)  
سَالِينَ عَنْهُ وَلَمْ نَهْجُرْهُ قَالِينَا  
لَكِنْ عَدَّتْنَا - عَلَى كُرْهِ - عَوَادِينَا (٢)  
فِينَا الشُّمُولُ وَغَنَانَا مُغْنِينَا  
سِيمَا أَرْتِيَا حِ وَلَا الْأَوْتَارُ تُلْهِينَا  
فَالْحُرُّ مَنْ دَانَ إِنْصَافًا كَمَا دِينَا (٣)  
وَلَا اسْتَفَدْنَا حَبِيبًا عَنْكَ يَثْنِينَا  
بَذَرُ الدُّجَى لَمْ يَكُنْ حَاشَاكَ يُصْنِينَا  
فَالطِّيفُ يُقْنِعُنَا وَالذِّكْرُ يَكْفِينَا  
بِيضَ الْأَيْدِي الَّتِي مَا زِلْتَ تُؤَلِّينَا  
صَبَابَةً بِكَ تُخْفِيهَا (٤) فَتَخْفِينَا

(١) قال ابن سبام : « وهذا معنى متداول من أشهره قول القائل :

ريق إذا ما ازددت من شربه ربا ثنك الريق ظمنا  
كالحر - أروى ما يكون الفقى من شربها - أعطش ما كانا

ولابن الرومي فيما ياسبه من معنى الوحوه :

« يارب ريق نات بدر الدجى عجب بين ثناياك

يروى ولا ينهاك عن شربه والماء يرويك وينهاك »

(٢) لم نتجنبه عن كَثَبِ أى قرب اختياراً ، ولسكن صرفتنا على كره منا شواغلنا .

(٣) ممزوجة : أى نحزون لفتابك عن مجلسنا إذا حثت الشمول الممزوجة (٤) دومي محافضة على

المهد مادما محافطين فالحر المصنف يحجزى كما حوزى

(٥) مال (٦) أخفيت الشيء أخفيه سترته ، وخفيته أخفيه تأنى بمعنى سترته ، ومعنى أظهرته ،

وعلى ذلك فقوله « نخفيها » أى سترها « فتخفيها » بمع أوله أى تطهرنا ، وشاهد خفاء يخفيه بمعنى

أظهره . قوله :

فان تكتنوا السر لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا تقعد

وقوله تعالى فى قراءة « أكاد أخفيها » بالصح أى أظهرها .

## في مدح ابن جهور<sup>(١)</sup>

مَا لِلْمُدَامِ تُدِيرُهَا عَيْنَاكَ      فَيَمِيلُ فِي سُكْرِ الصَّبَا عِطْفَاكَ  
هَلَا مَزَجْتَ لِعَاشِقِيكَ سُلَافَهَا      يَبْرُودِ ظَلَمِكَ أَوْ يَعْذِبُ لِمَاكَ<sup>(٢)</sup>  
بَلْ مَاعَلَيْكَ وَقَدْ تَحَضَّتْ<sup>(٣)</sup> لَكَ الْهَوَى      فِي أَنْ أَفُوزَ بِمُحْظَوَةِ الْمِسْوَاكِ<sup>(٤)</sup>  
نَاهِيكَ ظَلَمًا أَنْ أَضْرَبَنَّ الصَّدَى<sup>(٥)</sup>      بَرَحًا<sup>(٦)</sup> وَنَالَ الْبُرَى عُدُ أَرَاكَ

\*\*\*

وَاهَا لِعِطْفِكَ وَالزَّمَانُ كَأَنَّهَا      صُبِغَتْ غَضَارَتُهُ<sup>(٧)</sup> يَبْرُدُ صِبَاكَ  
وَاللَّيْلُ مَهْمًا طَالَ قَصَرَ طَوْلُهُ      هَاتِي وَقَدْ غَفَلَ الرَّقِيبُ وَهَاكَ  
وَاطْلَامَا أَعْتَلَّ النَّسِيمُ فَخِلْتُهُ      شَكُوَايَ رَقَّتْ فَاقْتَضَتْ شَكْوَاكَ  
إِنْ تَأَلَّفِي سِنَةَ النَّوْمِ خَلِيَّةً      فَلَطَامَا نَافَرْتُ فِي كَرَاكَ<sup>(٨)</sup>  
أَوْ تَحْتَبِي بِالْهَجْرِ فِي نَادَى الْقَلَى      فَلَكُمْ حَلَلْتُ إِلَى الْوِصَالِ حُبَاكَ<sup>(٩)</sup>

\*\*\*

أَمَّا مَنَى نَفْسِي فَأَنْتِ جَمِيعُهَا      يَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ بَعْضَ مُنَاكَ  
يَذْنُو بِوَصْلِكَ حِينَ شَطَّ مَزَارُهُ      وَهُمْ أَكَادُ بِهِ أَقْبَلُ فَالِكَ

(١) تصدى كثير من الشعراء المعاصرين لمعارضة هذه القصيدة وقد ذكرنا طرفا من ذلك في غير هذا المكان من الكتاب طيرجع اليه من شاء .

(٢) الظلم : ماء الأسنان أو بريقها ، واللى : سمرة و الشفة (٣) أخلصت

(٤) يقول : ماضرك - بعد أن أخلصت لك الهوى ، وعصتك الحب أن أفوز منك بمحظ السواك .

(٥) العطش الشديد (٦) مشقة وشدة (٧) بهجته . يقول الشاعر : ما أحسن عطبك

نينا مضي والزمان كأنما صبغت بهجته بما كسيت أنت به من برد الشباب (٨) يقول أن تعادى اليوم

الآن خالية غير مبالية بي ، فكثيراً ما أسهدك الهوى ، وعاديت في نومك (٩) احتبي بالثوب اشتمل

والحبي كهدى جمع حبة مثلثة الحاء ، فكان الشاعر يقول : إن تجلسي في نادى البغض (القلى) محتبية

أو مشتملة بحبة الهجر ، فكثيراً ما فزعنت إلى الوصال ، وحللت لأحله حباك .

وَأَنْ تَجَنَّبْتَ الرَّشَادَ بِغَدْرَةٍ لَمْ يَهْوِ بِي فِي النَّعَى غَيْرُ هَوَاكَ <sup>(١)</sup>

\* \* \*

لِلْجَهْوَرِيِّ أَبِي الْوَلِيدِ خَلَّاتِقُ كَالرَّوَضِ أَضْحَكُهُ النِّعَامُ الْبَاكِ

مَلِكُ يَسُوسُ الدَّهْرَ مِنْهُ مُهَذَّبُ تَذْيِيرُهُ لِلْمُلْكِ خَيْرُ مِلَاكِ <sup>(٢)</sup>

جَارِي أَبَاهُ بَعْدَ مَا فَاتَ الْمَدَى فَتْلَاهُ بَيْنَ الْفَوْتِ وَالْإِذْرَاكِ

شَمْسُ النَّهَارِ وَبَذْرُهُ وَنُجُومُهُ أَبْنَاؤُهُ مِنْ فَرْقَدٍ وَسِمَاكِ <sup>(٣)</sup>

يَسْتَوْضِعُ السَّارُونَ زُهْرًا كَوَاكِبِ مِنْهُمْ تُبِيرُ غِيَا هِبَ الْأَخْلَاكِ <sup>(٤)</sup>

بُشْرَاكِ يَا دُنْيَا وَبُشْرَانَا مَعًا هَذَا الْوَزِيرُ أَبُو الْوَلِيدِ فَتَاكِ <sup>(٥)</sup>

\* \* \*

تُلْنِي السِّيَادَةَ ثُمَّ إِنْ أَضَلَّتْهَا <sup>(٦)</sup> وَمَتَى فَعَمَدَتِ السَّرَوُ <sup>(٧)</sup> فَهَوَ هُنَاكِ

وَإِذَا سَمِعْتَ بَوَاحِدٍ جُمِعَتْ لَهُ فِرْقُ الْمَحَاسِنِ فِي الْأَنَامِ فَذَاكِ

صَمَصَامُ بَادِرَةٍ وَطَوْدُ سَكِينَةٍ وَجَوَادُ غَايَاتٍ وَجِذْلُ حَكَاكِ <sup>(٨)</sup>

(١) المعنى لئن وقعت في المعنى بسبب غدرك بي فاني أنا لم يوقعني في النعى غير هواك .

(٢) ملك الأمر : مكر المم ، أى قوامه الذى يملك به .

(٣) الفرقد والسماك من النجوم البيرة (٤) هم المسترشدين برأيهم إذا دحت الحوادث أمثال

النجوم الزهر السارين في ظلمات الليل البهيم (٥) وجاء بعد هذا البيت بحز بيت ناقص هكذا : —

(وصفت جمالك واستظلت حاك)

(٦) ذهبت عنك ونذت ، والخطاب للدنيا في قوله « بشارك يا دنيا » .

(٧) المروءة والشرف والوصف على فعيل يقال سرويسرو فهو سري (٨) البادرة الحدة ، والجذل

أصل صخرة قطع رأسها أو عود ينصب في المعطن لتعتك به الابل الجربى يقال هو جدل حكاك ، ومجدال

حكاك ، ومنه قول الحباب بن المدر الأصارى يوم سقيفة بى ضاعدة « أنا حديابها الحكاك ، وعديها المرجب »

أى إنه يشتكى برأيه وعلمه وتعاريفه في الأمور كما تشتكى الابل الجربى بهذا الجذل ، ومعنى البيت أنه مضم

كالسيف في الغضب ثابت كالطود في الحلم سباق إلى الغايات مجرب يقتنى برأيه صلب لا يلين مكسره .

طَلَقُ يُفَنِّدُ فِي السَّمَاحِ ، وَجَاهِلٌ مَنْ يَسْتَشْفُ النَّارَ بِالْمُخْرَاكِ (١)

\*\*\*

صَنَعَ (٢) الضَّعِيرَ إِذَا أَجَالَ يَمْهَرِقُ (٣) يُمْنَاهُ فِي أَمَلٍ وَفِي إِشْكَ (٤)

نَظَمَ الْبَلَاغَةَ فِي خِلَالِ سَطُورِهِ نَظَمَ اللَّالِي الثُّومَ فِي الْأَسْلَاكِ

نَادَى مَسَاعِيَهُ الزَّمَانُ مُنَافِسًا أَحْرَزَتْ كُلَّ فَضِيلَةٍ فَكَفَّاكِ

مَا الْوَرْدُ فِي مَجْنَاهُ سَاعَرَهُ النَّدَى مُتَحَلِّيًا إِلَّا بِبَعْضِ حُلَاكِ

كَلَّا وَلَا الْمِسْكَ النَّوْمُ (٥) أَرِيحُهُ مُتَعَطِّرًا إِلَّا بِوَسْمِ (٦) ثَنَّاكِ

اللَّهُوْ ذِكْرُكَ لَا غِنَاءَ مُرَجَّعٍ يَفْتَنُ فِي الْإِطْلَاقِ وَالْإِمْسَاكِ (٧)

طَارَتْ إِلَيْكَ بِأَوْلِيَايَاكِ هَزَّةٌ تَهْفُو لَهَا أَسْفًا قُلُوبُ عِدَاكِ (٨)

\*\*\*

يَأْيُهَا الْقَمَرُ الَّذِي لِسَنَائِهِ (٩) وَسَنَاهُ تَعْنُو السَّبْعُ فِي الْأَفْلَاكِ

فَرَحُ الرِّيَاسَةِ إِذْ مَلَكَتْ عِنَانَهَا فَرَحُ الْعُرُوسِ بِصِحَّةِ الْإِمْلَاكِ (١٠)

(١) الخشبة التي تحرك بها النار ، والمعنى أنه باش الوجه سمع وأن الكرم طيبة ميسه وليس يزيد.

تفنيده الجاهلين إلا تماديا في كرمه كالنار يزيد بها الحراك اشتعلا

(٢) يقال لسان صنع ، وشاعر صنع ، وبلغ صنع ، إذا كان حاذفا ماهراً ، والمعنى أنه كاتب رائع البيان

سيان رويته وإسراعه (٣) صحيفة (٤) إسراع

(٥) صيفه مبالغة من تم المسك سطع ، والأريج توهج ريح المسك

(٦) الوسم : العلامة والثناء والمدح - يخاطب على لسان الزمان في هذا البيت والذي قبله مساعي المدوح

مثبتاً أن الورد في مجناه ليس متحلياً إلا ببعض حلاها ، وأن المسك في سطوع أريجها لم يكن متعطراً إلا من

اتسامها بالثناء (٧) ما اللهو إلا ذكر تلك المساعي لاغناء مرجع يطلق في الغناء صوته ويمسكه .

(٨) طارت : أسرع ، والحطاب للمساعي ، والهزة تحرك في نشاط وارتياح ، والمعنى أسرع إليك أيتها

المساعي مواكب بالأولياء ، وقد خففت لها حزناً تلوب الأعداء

(٩) النساء بالمدح الرقة والقصر الضوء (١٠) عهد النكاح

مَنْ قَالَ إِنَّكَ لَسْتَ أَوْحَدٌ فِي النَّهْيِ وَالصَّالِحَاتِ قَدَانِ <sup>(١)</sup> بِالْإِشْرَاكِ  
 قَلَدْنِي الرَّأْيَ الْجَمِيلَ فَإِنَّهُ حَسْبِي لِيَوْمَيَّ زِينَةٍ وَعِرَاكِ  
 وَإِذَا تَحَدَّثْتَ الْحَوَادِثُ بِالرَّأْيَا شَرَّارًا إِلَى قَقْلٍ لَهَا إِيَّاكَ <sup>(٢)</sup>  
 هُوَ فِي ضَمَانِ الْعَزْمِ يَعْبَسُ وَجْهَهُ لِلخُطْبِ وَالْخُلُقِ النَّدَى الضَّحَّاكَ <sup>(٣)</sup>

\*\*\*

وَأَحْمَ دَارِيَّ تَضَاعَفَ عِزُّهُ لَمَّا أَهَيْنَ بِمَسْحَقٍ وَمَدَاكَ  
 وَاللَّجْنُ لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ حَاجِبٌ وَالْجَفْنُ مَثْوَى الصَّارِمِ الْفَتَّاكَ  
 هَنَاتُكَ صَحْتُكَ الَّتِي لَوْ أَنَّهَا شَخْصٌ أَحَاوِرُهُ لَقُلْتُ هَنَاكَ  
 دَامَتْ حَيَاتُكَ مَا اسْتُدْمَتَ فَلَمْ تَزَلْ تَحْيَا بِكَ الْأَخْطَارُ بَعْدَ هَلَاكَ

### ذكرى ولادة <sup>(٤)</sup>

وَدَّعَ الصَّبْرَ مُحِبٌّ وَدَّعَكَ ذَائِعٌ مِنْ سِرِّهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ  
 يَقْرَعُ السَّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخُطَا إِذْ شَيَّعَكَ  
 يَا أَخَا الْبَذْرِ سَنَاءٌ وَسَنَا حَفِظَ اللَّهُ زَمَانًا أَطْلَمَكَ  
 إِنْ يَطْلُنْ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكُمْ بَتُّ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ

(١) أى عدلك الذى قال لك لست أوجد فيهما قدان بالشرك

(٢) إذا الحوادث تحدثت بالظن إلى بمؤخر عينها ، فقل لها حذار (٣) هو أى ذلك الذى تهم الحوادث أن تنظر إليه شرراً في ضمان عزم المدوح العابس في وجه الحوادث وفي ضمان خلقه الندى أى الدخى الضاحك عن ثمر الأمان .

(٤) جاء في قلائد المقيان :

ولما رحل عنه من كان يهواه ، وفاجأه بينه ونواه ، فسأيره قليلا وماشاه . وهو يتوهم ألم الفراق حتى غشاه ، فاستعجل الوداع ، وفي كبده ما فيها من الالصداع ، فأقام يومه بحالة المفجوع ، وبات ليلته نافر الهسوع ، يردد الفكر ، ويحدد الذكر . فقال :

وقد عزا صاحب نفع الطيب هذه الأبيات الأربعة إلى ولادة .



## بعد الفرار من السجن<sup>(١)</sup>

« بعد أن فرّ ابن زيدون من السجن أرسل يخاطب ولادة ويستنهض الأديب أبا بكر للشفاعة ويستنزل أبا الحزم ابن جهور وكان ابن زيدون مخفياً بقرطبة . فقال : « . . . . . وبلغني أنك أحد اللائمين لي ، ومن أمثالهم : « ويل للشجى من الخلى » ، وهان على الأملس<sup>(٢)</sup> ما لاقى الدبر<sup>(٣)</sup> وعلمت أن العاصي من لا يستبد<sup>(٤)</sup> ، فالمرء يجوز لا محالة ، ولم أستجز أن أكون ثالث الأذلين - العير والوتد<sup>(٥)</sup> .

وتذكرت أن الفرار من الظلم ، والحرب مما لا يطلق من سنن المرسلين ، وقد قال تعالى على لسان موسى : « ففررت منكم لما خفتكم »

فنظرت في مفارقة الوطن ، فقديماً ضاع الفاضل في وطنه ، وكسد العلق في معدنه ، كما قال :

أضيع في معشري وكم بلد يكون عود الكباء<sup>(٦)</sup> من حطبه  
فاستخرت الله في إنفاذ العزم ، وأنا الآن حيث أمنت بعض الأمن  
إلا أن النفي لم يرتفع ، ومادة البغي لم تقطع :

شَحَطْنَا وَمَا بِالْأَدَارِ نَأْيٌ وَلَا شَحَطٌ      وَشَطَطٌ بَيْنَ نَهْوَى الزَّارِ وَمَا شَطُوا<sup>(٧)</sup>

(١) جاء في قلائد العقيان :

وله عند مراره ، وخروجه من مراره ، وقد أقام بقرطبة متولياً يحاطب ولادة ويستنهض الأديب أبا بكر للشفاعة ويستنزل أبا الحزم بن جهور

(٢) المصحح الطهر . (٣) الذي يطهره قرحه ، أى أن السليم الظاهر لا يحسن ألم أخيه

المفروح الطهر . (٤) يشير إلى البتين المشهورين :

« ليت همداً أنجزت ما تمعد وشمت أنفساً مما نجد

واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد »

(٥) يشير إلى قول القائل :

ولا يقوم على ضيم يراد به إلا الأذلان غير الحى والوتد

هذا على الحسف مربوط برمته وإذا يشع فلا برئى له أحد

وابن زيدون يعنى أنه جدير ألا يقم على الدل ، وأن يتخلص من الضيم بكل ما يوسع ، والله درّ الشفري إذ يقول : « ولكن نساخرة لا تقيم بي على الضيم إلا ربنا آتحوّل »

(٦) عود البغور أو ضرب منه (٧) شحطت الدار : تشحط بمنع العين شحطاً وشحوطاً وشطت تشط بالضم بعدت . يقول : قربت دار من أهوى ، ودنا مزارها . إلا أنه قرب في غاية البعد لاستحالة اللقاء .

أَخْبَابَنَا أَلَوْتَ بِحَادِثِ عَهْدِنَا      حَوَادِثُ لَاعَقْدَتْ عَلَيْنَهَا وَلَا شَرَطُ<sup>(١)</sup>  
لَعَزُّكُمْ إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي قَضَى      بِشَتْ جَمِيعِ الشَّمْلِ مِنَّا لَمَشْتَطُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَمَّا الْكَرَى مُذْ لَمْ أَزُرْكُمْ فَهَاجِرُ      زِيَارَتُهُ غِيبٌ وَإِلْمَامُهُ فَرَطُ<sup>(٣)</sup>  
وَمَا شَوْقُ مَقْتُولِ الْجَوَانِحِ بِالصَّدَى      إِلَى نُطْفَةٍ زَرْقَاءَ أَضْمَرَهَا وَقَطُ<sup>(٤)</sup>  
بِأَبْرَحَ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكُمْ وَدُونَمَا      أُدِيرُ الْمُنَى عَنْهُ الْقَتَادَةُ وَالْخَرَطُ<sup>(٥)</sup>  
وَفِي الرَّبْزِ الْإِنْسِيَّ أَحْوَى كِنَاسُهُ      نَوَاحِي ضَمِيرِي لَا الْكَثِيبُ وَلَا السَّقَطُ<sup>(٦)</sup>

قال هذه القصيدة عند مراده من السجن واحتمائه بقرطبة ، يخاطب بها ولادة عن كثر وهو لا يمكنه أن يدنو من دارها ، أو يخف لمزارها ، مشقاً أن يقع فريسة في يد من يمدو عليه أو يسطو ، ملازماً مخبأه لا يشعرك ولا يخطو ، جاعلاً الأديب « أبا بكر » عوضاً من أبيه والقرين ، مستطناً من أبي الازم ابن جهور العتي ، شاكياً إليه فرط إصمائه ، إلى عصاة السوء من أعدائه ، راحياً أن يحريه من شيمته ، على سابق عادته ، وأن يختصه بالشفاعة ، بعد طول البث والضراعة ، وأن يسعفنه بطلبته ، وتتمس كربيته فان أى أن يفس عن نفسه ذلك الضبط ، فأمره إلى من بيده القضا والبسط .

(١) ألوت : دحبت ، والعقد أوكد اليهود ، والمعنى ذهبت بجديد عهدنا حوادث تجري صروفها على غير منهوي وزيد ليس بيننا وبينها عهد يؤكد ، ولا شرط نجدده (٢) الشت : التعريق ، والجميع : المجتمع ، والشمل : الاجتماع . يقال جمع الله شملك أى ماتشت من أمرك ، وفرق الله شمله أى ما اجتمع من أمره ، ومشتط : أى جأر فيما حكم به وقضى (٣) الكرى : اليوم ، وزيارته غيب : أى يزور يوماً بعد انقطاعه أياماً ، ومسه « زرغاً » تردد جأً والالمام مصدر ألم به راره غما ، والفرط : بمنع فسكون الحين . يقال آتبه في المرط ، أى في الحين بعد الحين

(٤) الجوايح : حنايا الصواع المطقة على القلب ، والنطفة : الماء الصافي وتجمع على نطف ، والوقط : حفر في الصخر مجتمع فيها ماء السماء .

(٥) أبرح بأشد برحاً ومشفه وعذاباً من شوقي ، أدير المني عنه : أى ما أطالب المني بتركه والانصراف منه من قولهم ، أدار فلاناً عن الأمر إذا طلب منه تركه . قال الشاعر :

يديروني عن سالم وأديرم وحلة بين العين والأنف سالم

والقنادة شجرة قصيرة ذات نصبان مجتمعة كل نصيب منها ملآن ماين أعلاه وأسفله شوكا كالابر ، وخرط القنادة اجتذاب شوكتها من أعلى إلى أسفل بأسرار اليد مقبوضة على أعضائها ، وفي المثل « من دون ذلك خرط القناد » (٦) الربرب : السرب من الغلباء أو القطيع من بئر الوحش ، والانسى : مقابل الوحشى أحوى في شفتيه حمرة مناربة إلى السواد ، والكناس : مستتر من الشجر للغلباء كالبيت للانسان والبرستكن : فيه من الحر ، والكثيب الرمل المحدود ، والسقط : مثلث الفاء الرقيق من الرمل حيث اقتطع معظفه

غَرِيبُ فُنُونِ الْحُسْنِ يَرْتَاحُ دِرْعُهُ      مَتَى ضَاقَ ذَرْعًا بِاللَّيِّ حَازَهُ الْمُرْطُ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ قُوَادِي يَوْمَ أَهْوَى مُودَعًا      هَوَى خَافِقًا مِنْهُ بِحَيْثُ هَوَى الْقُرْطُ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا مَا كِتَابُ الْوَجْدِ أَشْكَلَ سَطْرُهُ      فَمِنْ زَفَرَتِي شَكْلٌ وَمِنْ عَبَرَتِي نَقْطُ<sup>(٣)</sup>  
أَلَا هَلْ أَتَى الْفَتَيَانَ أَنَّ فَتَاهُمْ      فَرِيَسَةً مَنْ يَمْدُو وَنُزَّةً مَنْ يَسْطُو<sup>(٤)</sup>  
وَأَنَّ الْجَوَادَ الْفَائِتَ الشَّوِ صَافِينَ      تَخَوُّنُهُ شَكْلٌ وَأَزْرَى بِهِ رَبْطُ<sup>(٥)</sup>  
وَأَنَّ الْحُسَامَ الْعَضْبَ ثَاوٍ بِجَفْنِهِ      وَمَا ذَمَّ مِنْ غَزِيْنِهِ قَدْ وَلَا قَطُ<sup>(٦)</sup>

\* \* \*

عَلَيْكَ ( أبا بكر ) بَكَرْتُ بِهَيْمَةَ      لَهَا الْخَطَرُ الْعَالِي وَإِنْ نَالَهَا حَطُ<sup>(٧)</sup>  
أَبِي بَعْدَ مَا هِيلَ التُّرَابُ عَلَى أَبِي      وَرَهْطِي فَذَا حِينَ لَمْ يَبْقَ لِي رَهْطُ<sup>(٨)</sup>  
لَكَ النِّعْمَةُ الْخَضْرَاءُ تَنْدَى ظِلَالُهَا      عَلَى وَلَا جَحْدُ لَدَيَّ وَلَا غَمْطُ<sup>(٩)</sup>

(١) الدرع : القميص ، والمرط : كساء من خزّ ونحوه يؤتز به ، والقميص يحوز النهدين والحصر ، والمرط : يحوز الردف ، والردف ثقيل ، والحصر نحيل (٢) أهوى مال إليه حائبا يظهره في حال توديعه ، وهوى القُرط ، وهو ما يعلق في شحمة الأذن ، سقط متديلا فهو دُوَادُه معه خافقا (٣) أسكل سطره من أشكل عليه الأمر اختلط ولم يبين ، والشكل والنقط تمييز الكتاب بحركات الأعراب ، وإيجامه ليظهر معناه . يقول إذا أشكل على من أهوى كتاب الوجد أوضحته له بما أصعبه من زفرات ، واسمعه من عبرات (٤) الفتيان يريد بهم فتياك قرطبة ، والنهزة : الصيد الممرض لمن يسطو عليه ويفتنعه (٥) الشاؤ : الماية ، والشافين : الذي يقوم على ثلاث ويثى سنبك يده الرابع تخونه وتخوفه : تنقصه ، ومنه قوله تعالى : « أو يأخذهم على تخوف » ، وشاهد تخونه بمعنى تنقصه قول لبيد : عدافرة تنقص بالرداي تخونها نزول وارتحالي أي تنقص لمهاوشحها وشكل الدابة : شد قوائمها بجبل ، وأررى به : أهانه وحقره (٦) الحسام المصبب : السيف الفاطم ، وثاؤ مقيم : يريد أنه كالسيف الممد في حصه ، وما عيب من غريبه : أي حديده قد ، وهو القاطع طولا ولاقط ، وهو القاطع عرضا . (٧) بدأ يخاطب الأديب ( أبا بكر ) ويستنهض همه ، ويذكر يده عنده . يقول : إن لي همة عالية لها خطرهما بكرت بها عليك وتقوت لك قديما ، وإن نالها الآن انحطاط بعد علو .

(٨) أنت أبي بعد فقد أبي وأنت وحدك رهطى حين لم يبق لي رهط . (٩) غمط النعمة غمطاً لم يشكرها أي لك عدى النعماء التي تظلي ، والتي مارلت أشكرها ولا أنكرها وأكبرها ولا أحقرها

وَلَوْلَاكَ لَمْ تَتَّقِبْ زِنَادُ قَرِيحَتِي  
وَلَا أَلَقْتَ أَيْدِي الرَّيِّعِ بَدَائِعِي  
هَرِمْتُ وَمَا لِلشَّيْبِ وَخَطٌّ بِمَقَرِّي  
وَطَاوَلَ سُوءَ الْحَالِ نَفْسِي فَأَذْكَرْتُ  
مِثُونَ مِنْ الْأَيَّامِ خَمْسٌ قَطَعْتُهَا  
أَتَتْ بِي كَمَا مِصْصَ الْإِنَاءِ مِنَ الْأَذَى  
أَتَدْنُو قُطُوفُ الْجَنَّتَيْنِ لِمَعْشَرِ

فَيَنْتَهَبِ الظُّلُمَاءُ مِنْ نَارِهَا سِرْقُطُ<sup>(١)</sup>  
فِنْ خَاطِرِي نَظْمٌ وَمِنْ زَهْرِهِ لَقَطُ<sup>(٢)</sup>  
وَكَاثِنٌ لِشَيْبِ الْهَمِّ فِي كَيْدِي وَخَطُ<sup>(٣)</sup>  
مِنْ الرُّوَصَةِ الْغَنَاءِ طَاوَلَهَا الْقَحْطُ<sup>(٤)</sup>  
أَسِيرًا وَإِنْ لَمْ يَبْدُ شَدٌّ وَلَا قَطُ<sup>(٥)</sup>  
وَأَذْهَبَ مَا بِالثُّوبِ مِنْ دَرَنِ مَسْنُطُ<sup>(٦)</sup>  
وَعَايَتِي السَّدْرُ الْقَلِيلُ أَوْ الْخَمَطُ<sup>(٧)</sup>

(١) لم تتق: أي لولاك لم تظهر نار ، قريحى الشبهة بالزناد فى الايراء ، وينتهب الظلماء يأتى عليها ويلاشيها ، والسقط : مثلث الفاء ساكن العين ما سقط من الاربعة الزندين . يقول : لولاك لم تذق قريحتي فيظهر عند اقتداحها نار تنتهب الظلماء . (٢) النظم : نظم الحب فى السك ، واللقط : التفاطة - أي ولولاك (أبا بكر) ما ألفت بدائى يسد الربيع ، فهو يلقط من محاسن الزهر ما أنظمه فى سك خاطر . (٣) الوخط : فشو الشيب ، واختلاط بياضه بسواد الرأس ، والمرقق : وسط الرأس ، وهو موضع مرق الشعر من الجين إلى الدائرة ، والمعنى لم أشب شيب الكبرة ، ولكن شبت شيب الله . (٤) يقول أن مطاولة سوء الحال نفسه ذكرته بحال الروصة الغناء طال عليها أمد القحط . (٥) القحط : هنا قحط الأسير ، وهو أن يجمع بين يديه ورجليه بحبل أو نحوه ، والمعنى أنه قطع حسنة يوم قرطه أسيراً ، ولكن بلا قيد ولا غل لأنه كان محتجماً موارياً عن الأنظار .

(٦) الموص : العسل ، وميص الثوب : غسل بالأصابع ، ومسقط الثوب : بله ثم تحريكه لاستخراج مائه والدرن : الوسخ ، والمعنى جاءت بى أيام الخوف والاعتقال عند نهايتها معسول الدنوب كما غسل الإناء من الأدى ، والثوب من الدرن . (٧) السدر : السق ، والخمط : كل ثوب أخذ من الحرارة طمعا فلم يمكن أكله - يشير بهذا إلى قصة الجنيتين فى قوله تعالى - فأرسلنا عليهما سيل العرم وبدلناهم بجنتيهما جنيتين ذواتى أكل حمط وأثل وشى . من سدر قليل - ووصف السدر بالقله لكونه أحسن شئ فيما بدلوا ، والعرم بفتح وكسر ، والسكر : بكسر فسكون ، والمسناة : بضم ففتح فتشديد النون كلها - كما يؤخذ من اللسان والكشاف - أسماء للسد يبنى لحبس ماء العيون والأمطار ويترك فيه فتحات توضع عليها أبواب لاطلاق الماء على حسب ما يحتاجون إليه فى سقيهم ، وقد ورد ذكر المساء فى بعض قصائد الديوان . يمثل فى هذا البيت حاله بحال سبأ إذ أعرضوا عن الشكر ، فأنظر الله جنيتهم بسيل العرم وأبدلها عنهما الخمط ، والأثل والقليل من السدر ، ومعنى البيت : أيموز غيرى بالنعيم ولا أكاد أظفر بالنافه الحفير .

وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنْ تَغُرَّنِي الْمَنَى  
أَمَّا وَأَرْتَنِي النَّجْمَ مَوْطِيَّ أَخْصِي  
وَسُتَبْطِلُ الْعُتْبَى إِذَا قُلْتَ قَدْ أَتَى  
وَمَا زَالَ يُدْنِي وَيُدْنِي قَبْوَاهُ  
وَنَظْمُ ثَنَاءٍ فِي نِظَامٍ وَلَايَةٍ  
عَلَى خَضِرِهَا مِنْهُ وَشَاخٌ مُفَصَّلٌ  
عَدَا تَمَمَهُ عَنِّي وَأَصْنَعِي إِلَى عِدَى  
بَلَغَتْ الْمَدَى إِذْ قَصَرُوا - فَقَلُّوهُمْ  
وَالْغُرَّ فِي الْعَشَوَاءِ مِنْ ظَنِّهِ خَبِطُ<sup>(١)</sup>  
لَقَدْ أَوْطَأَتْ خَدَى لِأَخْصٍ مِنْ يَخْطُو<sup>(٢)</sup>  
رِصَاهُ تَمَادَى الْعُتْبَى وَأَتَّصَلَ السُّخْطُ<sup>(٣)</sup>  
هُوَ سَرَفٌ مِنْهُ وَصَاعِيَةٌ قَرِطُ<sup>(٤)</sup>  
تَحَلَّتْ بِهِ الدُّنْيَا لِأَلِئْهُ وَسَطُ<sup>(٥)</sup>  
وَفِي رَأْسِهَا تَاجٌ وَفِي جِيدِهَا سِمْتُ<sup>(٦)</sup>  
لَهُمْ فِي أَدِيمِي كُلَّمَا اسْتَمَكَّنُوا عَطُ<sup>(٧)</sup>  
مَكَانٍ أَضْغَانٍ أَسَاوِدُهَا رُقْطُ<sup>(٨)</sup>

(١) المرء : الذي لم يعرب الأمور ، وفي النسل : « هو يحبط خط عشواء » يضرب لدى بركب رأسه ، ولا يهتم لما قبله أمره ، كاللابة العشواء التي تحبط بيديها كل مامرت به لسوء بصرها ، والعشواء : هيا ظلمة الليل لا الباه ، يريد أن ظلمه حمله على الاغترار بالمال ، تخط لمرارته في عشواء من طسه أي في ظلمة وليس . (٢) أما حرف للاستفتاح بمعنى ألا ، ولتحقيق الكلام الذي يتلوه بمعنى حقا ، والأخص باطن الندم الذي لا يلمق بالأرض عند الوطء . يقول : حقا لقد أوطأت خدي لكل واطي في حال أنها أرنتي فيما مضى البجم موطي أخصي (٣) العتي : الرضا ، والعتب : السخط ، ورواية : « قد أتى » (٤) صاعية الرجل من يلم به ويمشى مجلسه من أهله وحاشيته ، وفرط يريد بهذا أنهم يفرطون عليه في القول أي يسرفون ، والمعنى وما زال يقربى منه هوى متجاوز حد الاعتدال ويمد قبوله حاشية مسرفة في القول . وقد جرى في هذا البيت على أسلوب اللب والذعر المرتب ، فهو يرى أن ممدوحه مسرف في هواء فهو يدنيه لذلك وان حاسديه مسرفون في الوشاية به فهو يشبهه لما يسمعه من وشايتهم المتكررة (٥) أي وما زال يقربى منه نظم ثناء أحبه في نظام ولاية كأنه المقدر التمس تحلت به الدنيا كل لؤلؤة منه جديرة أن تكون واسطة العقد لتفاستها .

(٦) أي على حصر الولاية من نظمه وشاخ مفصل ، وفي رأسها تاج مرصع ، وفي جيدها سبط من لؤلؤ (٧) الأديم : الجلد ، والمط : شق الثوب طولا أو عرضا من غير إبانة ، والمعنى صرف ابن جهود سمعه عني وأصغى إلى أعداء كلما تمكنوا من عرضي قدوه كما يتد الأديم وتثوقه كما يشق الثوب . (٨) المدي : العاية ، والأرسمان : الأحقاد ، والأساود ، الحيات ، والرقط : جمع رقطاء ، وهي التي في ألونها سواد وبياض ، والمعنى بلغت العاية التي قصروا عنها فكمن في قلوبهم من الأحقاد ما يشبه الحيات الرقط التي تنثت السموم الفائلة .

يُؤْلُونِي عَرْضَ الْكَرَاهَةِ وَالْقَلَى  
وَقَدْ وَصَمُونِي بِأَلْتِي لَسْتُ أَهْلَهَا  
فَرَزْتُ فَإِنْ قَالُوا الْفِرَارُ إِرَابَةٌ  
وَإِنِّي لَرَاجٍ أَنْ تَعُودَ كَبْدُهَا  
وَحِلْمُ أَمْرِي تَعْفُو الذُّنُوبَ لِعَفْوِهِ  
فَمَا لَكَ لَا تَخْتَصُّنِي بِشَفَاعَةٍ  
يَنِي بِنَسِيمِ الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ نَفْحُهَا  
فَإِنْ يُسْعِفِ الْمَوْتَى فَنُعْنِي هَبِئْتَهُ  
وَإِنْ يَأْبَ إِلَّا فَبُضَ مَتَسُوطٍ فَضْلِهِ  
وَمَا دَهَرُهُمْ إِلَّا النَّفَاسَةُ وَالنَّمَطُ<sup>(١)</sup>  
وَلَمْ يُنَفِّ أَمْتَالِي بِأَمْتَالِهَا قَطُ<sup>(٢)</sup>  
فَقَدْ فَرَّ مُوسَى حِينَ هَمَّ بِهِ الْقَبِيطُ<sup>(٣)</sup>  
لِى الشَّيْمَةِ الزَّهْرَاءِ وَالْخَلْقُ السَّبْطُ<sup>(٤)</sup>  
وَتَمَحَّى الْخَطَايَا مِثْلَ مَا تُحِى الْخَطُ  
يَلُوحُ عَلَى دَهْرِي لِمِسْمَهَا عَلَطُ<sup>(٥)</sup>  
إِذَا شَمَشَ الْمِسْكَ الْأَحْمَ بِهِ خَلَطُ<sup>(٦)</sup>  
تُنْفَسُ عَنْ نَفْسِ الْظُّ بِهَا ضَغَطُ<sup>(٧)</sup>  
فَنِي يَدِ مَوْتَى فَوَقَهُ الْقَبْضُ وَالنَّسْطُ

(١) وفي رواية : النمط والمعنى يعملونى أسعبل منهم ناحية الكراهة والدمى ، وليس منهم أبد الدهر ( إلا الاماسة ) من مى عليه بالقى سى به وكره أن يصل إليه ، و ( النمط ) : من فسط الرجل يسطه فسطا من باب ضرب حسده ، ومن معانيه أيضا تى الوصول إلى نعمة فبك من غير أن تروى عنه .  
(٢) أى جعلونى معروفا بالسة والصفة المعية التى لست متأهلا لها ، والذى ما حى أى ابتلى بها أمثالى  
(٣) إرابة : سبب فى الريبة والشك والاثام ، والمعنى مرت من السجن ، فان حلوا إن فى الفرار ما يعملى متهما ، وقد فرّ موسى من القبط حين اتندروا به وهما يقتله يشير إلى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : « وسرت منكم لما خفتكم »

(٤) السبط : السهل . (٥) الميسم : المكواة بوسم بها البعير ، والعلط : الوسم عرسا فى المعنى يقول : لماذا لا مرضى عى وتمحى شفاءك لأنقلب بها على دهرى وأدله وأدممه فى دماء دمنه بدينة الأثر يخط أو خطين أو خطوط . (٦) العنبر : الطيب الماروف ولونه أسود ، ويطلق العنبر أيضا على الزعفران ، وهو المراد هنا ، والورد حمرة تضرب إلى صفرة حسنة ، وشمشع : مزج ، والأحم : الأسود من كل شىء ، أى فى نفع هذه الشفاعة برائحة الزعفران الورد إذا مزج بالمسك الأسود .

(٧) تنفس : تترج ، وألط بها — وفى رواية : ألت بها — لازمها . قال أبو العلاء :

ألطوا بالقبح وتابعوه ولو أمروا به لتجنبوه

أى لازم الناس القبيح عاداً منهم حين نهام الله به ولو أمرهم به لدفعهم عنادهم إلى تنكبه، ضغط : أى ضيق

## في مدينة بطليوس (١)

يَا دَمْعُ صُبْ مَا شِئْتَ أَنْ تَصُوبَا (٢)  
وَيَا فُؤَادِي أَنْ تَذُوبَا  
إِذِ الرَّزَايَا أَضْبَحَتْ ضُرُوبَا (٣)  
لَمْ أَرِ لِي - فِي أَهْلِهَا - ضَرِيْبَا (٤)  
قَدْ مَلَأَ الشَّوْقُ الْحَشَا نُذُوبَا (٥)  
فِي الْغَرْبِ إِذْ رُحْتُ بِهِ غَرِيْبَا  
عَلَيْلَ دَهْرٍ سَأَمَنِي تَعْذِيْبَا (٦)  
أَذَنْ (٧) الضُّعْفَى إِذْ أَبْعَدَ الطَّيِّبَا (٨)

✽ ✽

لَيْتَ الْقَبُولَ (٩) أَحَدَنْتَ هُبُوبَا  
رِيحٌ يَرْوُحُ عَنْهَا قَرِيْبَا (١٠)  
بِالْأَفْقِ الْمُهْدَى إِلَيْنَا طِيْبَا (١١)

- (١) مدنته كبيرة من مدن الأندلس تقع غربي قرطبة. وهذه الأرحورة تذكرنا بالأرحورة المذمورة :  
« دمع المطايا تسم الجنوب » الخ (٢) اسكب يادمي ما شئت أن تنسكب ، والأصل في الصوب نزول المطر ، والعمل صاب يصوب والأمز صب . قالوا : وكلّ تارل من علو إلى أسفل فقد صاب ، ومنه قوله « كأنهم صابت عليهم سحابة » . (٣) أضنافا . وفي رواية : إن الرزايا نظيراً أو مثيلاً . نقول : اسكب يادمع فقد صبت عليك ألوان من المصائب والآلام لم تصب على أحد من المرزئين . (٤) آثار الحروح إذا لم ترتفع عن الجلاء ، ومنه قول الفرزدق :  
ومكبل ترك الحديد بساقه ندبا من الرسفان في الأحجال  
(٥) أمرضى دهر قد حشمى دلّ الاغتراب وسامى سوء العذاب . (٦) وفي روايه : أعبي الضى  
(٧) قرب الدهر مني المقام في وقت أبعد فيه عني الطبيب . (٨) ما يستقبلك بين يديك من الريح إذا وقفت في القبة . (٩) أي يكون دوايح ما تحمله الريح من المطر قريبا ، والعهد هنا معناه المطر الأول الذي يليه الوسمي . (١٠) أي متصلا بالأفق الذي طالما أهدى إلينا من ناحية الحبيب طيبا . (١١)

تَعَطَّرَتْ مِنْهُ الصَّبَا جُيُوبًا  
يُبْرِدُ حَرَّ الْكَبِدِ الْمَشْبُوبًا<sup>(١)</sup>

\*\*\*

يَا مُتَّبِعًا إِنْكَادُهُ<sup>(٢)</sup> التَّأْوِيَا  
مُشْرِقًا وَذَ سَاسَمِ التَّغْرِيَا  
أَمَّا سَمِعْتَ الْمَثَلِ الْمَضْرُوبَا  
أَرْسَلَ حَكِيمًا<sup>(٣)</sup> وَأُسْتَشِيرَ لَيْبَا

\*\*\*

إِذَا أَتَيْتَ الْوَطْنَ الْحَبِيبَا  
وَالْجَانِبَ الْمُسْتَوْضَحَ<sup>(٤)</sup> الْعَجِيبَا  
وَالْحَاضِرَ<sup>(٥)</sup> الْمُنْفَسِحَ الرَّحِيبَا  
فَحَيَّ<sup>(٦)</sup> مِنْهُ مَا أَرَى الْجَنُوبَا

(١) يطفى ذلك الطيب الذى تعطرت منه جيوب الصبا كبدا مشبوبة فيها ايران الشوق. وفي الأصل «المشوبا»

(٢) الاكساد سير الليل كله لا تعريس فيه ، والتأويب : سير النهار كله لا تعريج فيه .

(٣) وفي رواية : أرسل حلما .

(٤) المبحوث عنه أو الذى يستوضحه الراكب أى يستدركه ويستكشفه بأن يصع كفه على عيائه فى الشمس

لينظر هل يراه . (٥) الحاضر : ضد البادى . (٦) مرتبط بالأيات قبله . يقول : أيها  
المواصل سير الليل كله - سير النهار كله مشرقا قد ملّ السير إلى الجانب الغربى أى مرسلتك فى حاجة ،  
ومتبع المثل المشهور :

إذا كنت فى حاجة مرسلا فارسل حكيما ولا توصه

وإن باب أمر طيك التوى مشاور ليلى ولا تمصه

ذلك أنك إذا أتيت ذلك الوطن المحبوب ، والجانب المأهول والحاضرة النفسية لحنى مما قد ترى الجنوب  
حيث يقيم الحبيب ، وقوله : ما رأى جملة معترضة وحدث هكذا وحرر .



مَصَانِعُ <sup>(١)</sup> تَجْتَذِبُ <sup>(٢)</sup> الْقُلُوبَ  
 حَيْثُ أَلْفَتْ الرَّشَّاءُ الرَّيْبَ <sup>(٣)</sup>  
 مُخَالَفًا <sup>(٤)</sup> فِي وَضْلِهِ الرَّقِيبَ  
 كَمْ بَاتَ يَذْرَى <sup>(٥)</sup> لَيْلَهُ الْغَرِيبَ  
 لَمَّا أُنْتَنَى فِي سُكْرِهِ قَضِيبًا  
 تَشْدُو <sup>(٦)</sup> حَمَامُ حَلِيهِ تَطْرِيًا  
 أَرْسُفُ مِنْهُ الْمَبْسَمُ الشَّنِيبَ <sup>(٧)</sup>  
 حَتَّى إِذَا مَا أُعْتِنَ لِي مُرِيًا <sup>(٨)</sup>  
 شَبَابُ أَفْقٍ هَمٌّ أَنْ يَشِيبَا  
 بَادَرْتُ سَعْيًا ، هَلْ رَأَيْتَ الذَّبِيَا ؟ <sup>(٩)</sup>

(١) ديار وأبوية وقصور . قال لبيد :

بلينا وما تلى النجوم الطوالع وتلقى الديار بمدنا والمصانع

(٢) تجذب . (٣) الرشأ : الطي إذا قوى وتحرك وحشي مع أمه ، والريب : المربي من قولهم

سبي مربي ورب . وفي رواية : اللبيا

(٤) من المخالفة بمعنى عدم الموازنة أو من قولهم جاء خلاف صاحبه ومخالفته إذا أتى بعده مخالفاً له .

(٥) يذرى يحتال من دولهم دريت الذي أى احتلت له وختلت حتى أصيده ، والعريب : الشديد السواد

ومعنى الأبيات تلك دور ومصانع تجذب القلوب إليها ألف فيها الرشأ المتربى في حجر النعمة محالما أى آتيا في غفلة الرقيب ، فكثيراً ما بات يحتال ليله الشديد السواد ليصيب منه غرة ويحتلس منه غفلة .

(٦) تدعى ، استعار شدو الحمام لوسوسة الحلى (٧) أرسف : كأنصر وأضرب مصارع رشف

الماء والريق ونحوهما رشفاً ، وهو المص والنفيل وشرب الماء قليلاً قليلاً ، والمبسم ، المقبل ، والشنيب : صفته مأخوذ من الشب وهو برد وعذوبة في الأسنان . قل ذو الرمة :

لمياء في شفتها حوة لس وفي اللثات وفي أنيابها شنب

(٨) اعتن : اعترض ، ومرياً : ذارياً . (٩) يقول في هذا البيت والأبيات قبله : بت ناعما

ليلقى بالعناق والنفيل حتى إذا اعترضني مارأبى من سواد أفق وشك أن يفمحه ضوء الصبح بادرت الطريق أسمى ، هل رأيت الذئب ، يريد : هل رأيت الذئب في خفته وسرعة عدوه وفراره ومعنى : أنه قد فرّ فرار الذئب .

هَضَرْتُهُ (١) حُلُو الْجَنَى رَطِيبًا

\* \*

أَهَاجِرِي أُمِّ مُوسَى تَأْنِيْبًا  
مَنْ لَمْ أُسِغْ مِنْ بَعْدِهِ مَشْرُوبًا (٢)  
مَا ضَرَّهُ لَوْ قَالَ لَا تَثْرِيْبًا (٣)  
وَلَا مَلَامَ يَلْحَقُ الْقُلُوبَا  
فَدَا طَالَ مَا تَجَرَّمَ الذُّبُوبَا (٤)  
وَلَمْ يَدْعُ فِي الْعُذْرِ لِي نَصِيْبًا

\* \*

إِنْ قَرَّتِ الْعَيْنُ بِأَنْ أُوْبَا (٥)  
لَمْ آلْ أَنْ أَسْتَرْضِي الْغَضُوبَا  
حَسْبِي أَنْ أُحَرِّمَ الْمَغِيْبَا  
قَدْ يَنْفَعُ الْمَذِيبَ أَنْ يَتُوبَا

يوم بوصول ساعة

بِاللَّهِ خُذْ مِنْ حَيَاتِي يَوْمًا وَصِلْنِي سَاعَةً  
كَئِنَّمَا أَنَا لَ بِقَرَضٍ مَا لَمْ أَنْلِ بِشَفَاعَةٍ

(١) أمله إلى وعظمته على وهو جواب لما .

(٢) هل هذا الحبيب الذي قصصت بهرائه ولم أحد بعده مسامحة لثغراب إلى حلقى هاجري أو موسى

لوما وتثريباً . (٣) أي ضرر عليه إذا هو قل العذر وفي الملام والعتاب .

(٤) كثيراً ما ادعى على ذنوبها لم أفعلها (٥) يقوله في هذا البيت والذي بعده : إن قرأت العين

بالرحوم إلى الوطن بذات جهدي في استردائه ، وكفاني أن أحرم على نفسي ترك هذا الوطن وأتوب

فقد تنفع توبة الذنب .

## في عيد الأضحى (١)

« لما حلّ ابن زيدون من المعتضد بالمكان الذي حلّ ، وانتكث  
عقد شدائده وانحلّ ، تسلت نفسه من شجونها ، وختت إلى صفا  
« ولادة » وحجونها ، وتذكرها وما تناساها ، وعاودته لوعتها  
وأساها ، وحنّ إليها حين من حيل بينه وبين ما يشتهي ، وقنع  
باهداء تحية تبلغ إليها وتنتهي . فقال يتغزل فيها ويمدح المعتضد (٢) » :

أَمَّا فِي نَسِيمِ الرِّيحِ عَرَفْتُ مُعْرِفُ      أَنَا هَلْ لِدَاتِ الْوَقْفِ بِالْجَزْعِ مَوْقِفُ (٣)  
فَنَقَضِي أَوْطَارَ الْمُنَى مِنْ زِيَارَةِ      لَنَا كَلَفٌ مِنْهَا بِمَا تَتَكَلَّفُ (٤)  
ضَمَانٌ عَلَيْنَا أَنْ تُرَارَ وَدُونَهَا      رِقَاقُ الظُّبَا وَالسَّمْهَرِيِّ الْمُثَقَّفُ (٥)  
وَقَوْمٌ عِدَى يُبْدُونَ عَنْ صَفَحَاتِهِمْ      وَأَزْهَرُهَا مِنْ ظُلْمَةِ الْحَقْدِ أَكْلَفُ (٦)  
غِيَارِي يَعْدُونَ الْغَرَامَ جَرِيرَةً      بِهَا وَالْهَوَى ظُلْمًا يَغِيظُ وَيُؤْسِفُ (٧)

(١) هو أضحى سنة ٤٤٥ هـ . وهذه القصيدة من ضمن قصائده التي يمدح بها المعتضد ، وقد ذكر  
طرفاً منها ابن بسام في الدحيرة ، وقد نعت أبياتها ، وذكر طائفة منها كذلك صاحب فلائذ العقيان في  
ضمن ما ذكره من طرف ابن زيدون وأحاده ، وفقره وأشعاره . (٢) فلائذ العقيان .  
(٣) أما استفهام فيه معنى التوبيخ ، والعرف : الرخ الطيبة ، والجزع : منعطف الوادي ، ولوقف : السوار  
- من العاج وغيره - قال حران المود القميري :

كُوفِتِ الْعَاجُ مِنْ ذِكْرِ مَسْكٍ تَحِيَّ بِهِ مِنَ الْبَيْنِ الدَّخَارُ

أو هو الخللخال من المسكة وغيرها . والمعنى : لي لانا في هبوب النسيم طيب رائحة يعرفنا هل المحبوبة  
واقعة بمكان وقودها من منعطف الوادي فنقضى الخ . وفي رواية : يعرف .

(٤) المعنى : هل لها وقعة بالمحبي فنقضى حاجات النفس من زيارة لما ولع بما تعجشمه من مشقة التعرض لها .  
(٥) الظبا : جمع ظبية ، وهي حد السيف ، والسهمري : الرمح ، والمتقف : السوى بالثقاف ، وهي  
خشنة فيها خرق توضع فيه الرماح لتسوية ما اعوج منها ، أي نحن ضامون على أنفسنا أن تزار ، ودون  
زيارتها ظا السيوف الرقيقة ، وأسنة الرماح الصلبة ، وفي بعض النسخ عزيز علينا أن تزار .  
(٦) أي ودون الوصول إليها أصلاً قوم معادون يظهر ما يخفونه من العداوة والشر على وحوهم -م- ،  
والشرق للمضى ، من تلك الوجوه أكلف أي به كلف وسواد من ظلمة الحقد .

(٧) غياري وغياري - بمعن الفين وضنها - كسكاري وسكاري جمع غيران من غار الرجل على امرأته  
يمار غيرة ، والجريرة : الذنب والجناية يجنيها الرجل على نفسه أو يجرها على غيره ، ويؤسف : يفضب  
وزناً ومعنى ، ومنه قوله تعالى « فلما آسفونا انتقمنا منهم » .

يَوَدُّونَ لَوْ يَدْنِي الْوَعِيدُ زَمَاعَنَا      وَهَيْهَاتَ رِيحِ الشَّوْقِ مِنْ ذَاكَ أَعْصَفُ<sup>(١)</sup>  
يَسِيرُ لَدَى الْمُشْتَاكِ فِي جَانِبِ الْهَوَى      نَوَى غُرْبَةً أَوْ مَجْهَلًا مُتَعَسِّفُ<sup>(٢)</sup>  
هَلِ الرُّوعُ إِلَّا غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي      أَمِ الْهَوَلُ إِلَّا غُمَّةٌ ثُمَّ تُكْشَفُ<sup>(٣)</sup>  
وَفِي السَّيْرَاءِ الرَّقْمُ وَسَطَ قِيَابِهِمْ      بَعِيدُ مَنَاطِ الْقُرْطِ أَحْوَرُ أَوْطَفُ<sup>(٤)</sup>  
تَبَايَنَ خَلْقَاهُ ، فَعَبَلُ مُنْعَمُ      تَأَوَّدَ فِي أَعْلَاهُ لَدُنَّ مُهْفَفُ<sup>(٥)</sup>  
فَلِلْمَانِكِ الْمُرْتَجِّ مَا حَازَ مِثْرُ      وَلِلْفُصْنِ الْمُهْتَزِّ مَا ضَمَّ مِطْرَفُ<sup>(٦)</sup>  
حَبِيبُ إِلَيْهِ أَنْ نُسَرَّ بِوَصْلِهِ      إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ وَهَيْهَاتَ وَنُسَعَفُ  
وَلَيْلَةً وَافِينَا الْكَثِيبَ لِمَرْعِدِ      سُرَى الْأَيْنِ لَمْ يُعْلَمْ لِمَسْرَاهُ مَرْحَفُ<sup>(٧)</sup>

(١) الوعيد : التهديد والتخويف ، والرمال : مالهج المضي في أسر الريارة والعزم عايه ، وأعصف : امم تعميل من عصفت الريح تعصف بالكسر ، هي عاصف أى شديدة تعصف بما صرت عليه من تراب ونحوه ، أى يودون لو يصرفنا تهديدهم عما أرمعناه من أسر ريارت تلك الحساء التي مارون عليها ، وهيهات أن يصرفنا عن ذلك صارف ، فإن ربح الشوق أشد مصيبا بنا من ناهيتهم ، من تهديدهم ووعيدهم .

(٢) بقول يسير علينا في جانب الهوى الاغتراب والاندساف المتخاضل .

(٣) الروع : الخوف ، والغمرة : الشدة .

(٤) السيراء : كسر هج نوع من البرود يحلظه حرر كالسبور ، ويقال ثوب رقم إذا رقم أى كتبت عليه ثمة ، أو اسم الناحر ، ومناط القرط معلمة ، وأحور : وصف من حور العين . وهو شدة سواد اللقطة في شدة بياضها ، وأوطاف : طويل شعر أهداب العين ، وفي الأصل أوطاف ، وللمعنى أن حبيسه التي تلتس تلك الحلة السيراء الثمينة تقيم وسط قبال الأعداء وهي بعيدة مهوى القرط أى طويلة العنق ، في عيذها حور ، وفي أهدابها وطب . (٥) عبل : أى ردف مشخيم تام ، ومنعم : من النعمة والراحة ، وعدم الامتهان في عمل البيت لتوفر الخدم ، ويلزم ذلك العبالة والامتلاء ، وتأود : تلى ، ولدن أى غصن لين ، ومهفف أى خصر دقيق نازل ، بقول : تباينت خلقة أسفله وأعلاه ، مردف تليل وخصر نجيل .

(٦) المانك : من الزمال ما تمقد وارتفع ، وفي الأصل : المانك . والمثزر : معروف وهو ما يشد على الوسط ، والمطرف - وهي مثلة الميم - من ثياب الخز ما جعل في طرفيه حلان ، ويجمع على مطارف ، أى فلاكتيب للربح ما حواه المثزر ، وللمعنى المهتز ما سبه المطرف . (٧) وافينا الكتيب : أى توافينا على موعد في الكتيب ، والسرى : السير بالليل ، والأين : الأعياء والتعب ، والمزحف الغاية وهو من الزحف وهو المعنى قليلا قليلا ، أو المراد به هنا أثر المعنى ومنه مزحف الحية ، وهو أثر انسياها في الرمل قال الشاعر :

كأن مزاحف الحيات فيه قبيل الصبح آثار السباط

تَهَادَى أَنَاةَ الْخَطْوِ مُرْتَاعَةَ الْحَشَا  
كَمَا رِيحَ يَعْقُورِ الْفَلَا الْمُتَشَوِّفِ<sup>(١)</sup>  
فَمَا الشَّمْسُ رَقَّ الْغَيْمُ دُونَ إِيَّاتِهَا  
سِوَى مَا أَرَى ذَاكَ الْجَبِينُ الْمُنْصَفِ<sup>(٢)</sup>  
فَدَيْتُكَ أَنَّى زُرْتِ نُورُكَ وَاضِحٌ  
وَعِطْرُكَ نَمَامٌ وَحَلْيُكَ مُرْجَفُ<sup>(٣)</sup>  
هَيْبِكَ أَعْتَرَزْتَ الْحَىَّ وَاشْيِكَ هَاجِعُ  
وَفَرْعُكَ غَرِيبٌ وَلَيْلُكَ أَغْضَفُ<sup>(٤)</sup>  
فَأَنَّى أَعْتَسَفْتَ الْهَوَلَ خَطْوُكَ مُدْمَجُ<sup>(٥)</sup>  
لَجَاجُ ، تَهَادَى الْحُبُّ فِي الْمَعْشَرِ الْعِدَا  
وَأَنْ تَتَلَقَّى السُّخْطَ - عَايِنَ - بِالرَّضَى  
وَأُمُّ الْهَوَى الْأَفَقَ الَّذِي فِيهِ نُشْنَفُ<sup>(٦)</sup>  
لِغَيْرِ أَنْ أَجْنَى مَا يُرَى حِينَ يَنْطَفُ<sup>(٧)</sup>  
كَفَاءً مِنَ الْوَصْلِ التَّجِيَّةُ خُلْسَةٌ  
فَيَوْمِي طَرْفُ أَوْ بَنَانُ مُطَرَفُ<sup>(٨)</sup>

(١) تهادى أصله تهادى أى تثنى فى تمال وسكون ، وأناة الخطو : مثبثة الخطو وصفها بالمصدر ، وهو الأناة بمعنى التؤدة العذابة ، ومرتاعة الحشا : متفرعة القلب ، وريح : فزع واهيب ، واليعقور : الذي والمتشوف : المتطلع . وفى بعض النسخ المنصرف ، وهو الذى يرفع رأسه ويحد بصره لينظر إلى السى .

(٢) إناة الشمس - بالكسر والفتح - حسننها وسوءها ، وادة هى الشمس أما ، قال أبو العلاء :

ومن العالم من يعبه لولا إياه لم يكن - سحت

أى لولا الشمس لما كان العمر ، والمنصف : الذى على الصيف وهو الحار ، أى لست الشمس يستر العيم الرقيق حسننها وسوءها إلا ما أراه ذلك الحين من حسن يبدو من ظل الصيف .

(٣) وفى بعض الروايات : قعيدك وهو مصدر منصوب لسابته عن العمل والقدير سألت الله خفذك من قوله تعالى « عن اليمين وعن الشمال قعيد » أى حفيظ ، والمتعمل قعيدك الله مثل صمرك الله ، وهو مصدر منصوب أيضاً ناب عن العمل تقدره عمرك الله بالانشديد ، ومعناه هنا : ملازمك ، ومرحب : من أرحب إذا تحرك واضطرب ، ويصح أن يكون من أرحف ذابنا المجهول فهو مرحف ، وفى بعض النسخ بدل قعيدك قعيدك . (٤) هيك : يقال هيك فعلت ، وهيك فعلت كذا ، ولا يقال هب أنك فعلت ، ولا هي أنك فعلت ، والمعنى احسنى واعددى ، واعتزرت الحى : حشه وجزت به على غير علم ، وفرعك غريب : شعرك شديد السواد ، وأغضف حالك السواد ، يقال ليل أعضف إذا ألبس ظلامه .

(٥) مدمج : داخل بعينه فى بعض ، ومحط : ضامر يقال فرس محط الحشا : أى ضامره .

(٦) نشنف : ينفس ، والمعنى أسرى لجاج فقد تهادى بنى حب من أهواء بين المعشر العداء وقصد الهوى :

المكان الذى فيه أمقت وأبفس . (٧) المعنى ولجج أيضاً أن تتحمل السخط وقد عنانا ردا صاحب

خيرة يشتد جفاؤه وغلظته ، حين يظن لطفه ورقته (٨) البنان : الطرف الذى طرف بالحناء .

خَلَيْلِي مَهْلًا لَا تَلُومَا فَإِنِّي  
فَأَعْتَفُ مَا يَلْقَى الْمُحِبُّ لِحَاجَةٍ  
وَإِنِّي لَيْسَتْهُوَ بِنِي الْبَرْقُ صَبُوءَةٌ  
وَمَا وَلَعِي بِالرَّاحِ إِلَّا تَوَهُمٌ  
وَتَذَكِيرُني الْعِقْدَ الْمُرِنَّ مَجَانَهُ  
فَمَاقِبِلَ مَنْ أَهْوَى طَوَى الْبَذَرِ هَوْدَجٌ  
وَلَا قَبْلَ «عَبَّادٍ» حَوَى الْبَحْرَ مَجْلِسٌ  
فَوَادِي أَلَيْفُ الْبَثِّ وَالْجِسْمُ مُذَنَّفُ  
عَلَى نَفْسِهِ فِي الْحُبِّ حِينَ يُعْتَفُ  
إِلَى بَرْقٍ تَغْرِ إِنْ بَدَا كَادَ يَخْطَفُ  
إِظْلَمَ بِهِ كَالرَّاحِ لَوْ مَيَّرَشَفُ<sup>(١)</sup>  
مُرِنَاتُ وَزَقِي فِي ذُرَا الْأَيْكِ تَهْتَفُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَا صَانَ رِيَمَ الْقَفْرِ خِذْرُ مُسَجَّفُ<sup>(٣)</sup>  
وَلَا حَمَلَ الطَّوْدَ الْمُعْظَمَ رَفَرَفُ<sup>(٤)</sup>

(١) اظلم به : أى بانثمر في البيت قبله . قال في اللسان ، والظلم : الماء الذي يجري ويطهر على اللسان من صماء ، اللون لامن الريق كالمزند حتى يتحول لك منه سواد من شدة البرق والصفاء ، قال كعب بن زهير :  
تخلو غوارب دى ظلم إذا ابتسمت كأنه . . . . . ينهل بالراح معلول  
لو يترشم : لو هنا للدمى ، وفي بعض النسخ إذا يترشم ، والترشم : من الماء قليلا قليلا ، قال ابن بسلام :  
« أراه بدت أبى الطيب : وما شرق بالماء إلا تذكرنا للماء . به أهل الحبيب نزول  
(٢) المرن : اسم فاعل من الأرنكان ، وهو الصوت الحزين ، والجان : حب يتخذ من صغار القوئل ، أو من العمة أمثال القوئل ، ولورق : جمع ورقاء وهي الحماة التي لونها بين السواد والغبرة وهي ما تسمى في عرف أهل مصر باليمامة ، وفي مثل هذا يقول الشاعر المحسن حران العود القهيري :  
. . . . . ثم هاجي حاتم ورق بالمدينة هب

والأيك : جمع أيبكة ، وهي الشجر الكثير اللدغ ، وتهتف : تنوح . (٣) الهودج : ما ترك فيه المرأة يكون مقبلا وغير مقبب ، وفي بعض النسخ بدل صان ضم ، والريم : الطي الخالص البيضاء ، والتخدر المسحب : ما على كل مدخل أو نافذة من بوافده سبحانه أى صتران بينهما مشقوق كالصراعين .  
(٤) ( ولا قل عاد ) هو المعتمد بالله أبو عمر عاد بن الظاهر المؤيد بالله أبي القاسم محمد بن إسماعيل قاضي أشبيلية ينهى سبه إلى العماد بن المدر آخر ملوك الحيرة ، وهو صاحب قرطبة وأشبيلية وما والاها من جزيرة الأندلس ، ولي الملك بعد وفاة أبيه الظاهر محمد بن إسماعيل القاسم سنة ٤٣٣ هـ وكان هو وابنه المعتمد أوسع ملوك الطوائف ملكا ، وأشداهم بأسا ، وأكثرهم عددا وعددا ، وكان المعتضد فيما ذكره ابن بسلام صاحب الدخيرة قطب رحي الفتنة ، ومنتهى غاية المحبة في بلاد الأندلس ، وإلى سياسته يعزى السبب في تلك الحروب الطاحنة التي نشبت بين ملوك الطوائف واستعان بعضهم على بعض فيها بالعدو الذي انتهز فرصة ضعفهم ، وتفرق كلمتهم فعمل على إزالة ملكهم ، وإخراج المسلمين من بلادهم - والرفرف - الفرش والبسط ، وكل ما أعد للجلوس ، وفي التذييل العزيز « متكئين على رفرف خضر » وهو جمع رفرفة ورفارف جمع الجمع . قال ابن بسلام : وهذا البيت للقسطلي بجماعته حيث يقول في ابن أبي طاهر :  
وكيف أسوى بالبر والبحر مجلس وقام بمبء الراسيات سرر

هُوَ الْمَلِكُ الْجَمْعُ الَّذِي فِي ظِلَالِهِ  
مُحَامٌ يَزِينُ الدَّهْرَ مِنْهُ وَأَهْلُهُ  
يَتِيهِ بِعِرْقَاهُ سَرِيرٌ وَمِنْـبَرٌ  
رَوِيَّتُهُ فِي الْحَادِثِ الْإِذْ لَحْظَةٌ  
يَذِلُّ لَهُ الْجَبَّارُ خِيفَةً بِأَسِيهِ  
حِذَارَكَ - إِذْ تَبَنَّى عَلَيْهِ - مِنَ الرَّدَى  
سَتَعْتَامُهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِالتَّوَى  
أَغْرَى مَتَى نَذْرُسْ دَوَاوِينَ نَجْدِهِ  
إِذَا نَحْنُ قَرَّظْنَاهُ قَصَرَ مُطْنِبُ

تُكْفُ صُرُوفُ الْحَادِثَاتِ وَتُصَرَّفُ<sup>(١)</sup>  
مَلِكٌ قَقِيهِ كَاتِبٌ مُتَفَلِّسٌ  
وَيَحْمَدُ مَسْعَاهُ حُسَامٌ وَمُضْجَفُ  
وَتَوْقِيمُهُ الْجَالِي دُجَى الْخَطْبِ أَحْرَفُ<sup>(٢)</sup>  
وَيَعْنُو إِلَيْهِ الْأَبْلَجُ الْمُتَعَطِّرُ<sup>(٣)</sup>  
وَدُونَكَ فَاسْتَوْفِ الْمَتَى حِينَ تُصَرِّفُ  
كِتَابُ تُرْجَى أَوْسَفَانِ تُجْدَفُ<sup>(٤)</sup>  
يَرْقَنَّا غَرِيبٌ مُجْمَلٌ أَوْ مُصَنَّفُ<sup>(٥)</sup>  
وَلَمْ يَتَجَاوَزْ غَايَةَ الْقَصْدِ مُسَرِّفُ<sup>(٦)</sup>

(١) الحمد : قال في اللسان « والحمد إذا ذهب به مذهب المدح وله معنيان مستحيان ، أحدهما : أن يكون معصوب الجوارح ، شديد الأسر والخلق غير مسترح ولا مضطرب ، والثاني : أن يكون شعره حمدا غير سبط ، لأن سبوطة الشعر هي الغالة على سمور العجم من الروم والفرس ، وحمودة الشعر هي الغالبة على شعور العرب ، فإذا مدح الرجل بالحمد لم يخرج عن هذين المعنيين » الخ ما قال في الحمد على كلا الاعتبارين المدح أو الدم فادعوه ، والمعنى هو الملك المجتمع الخلق الذي ليس رهلا مسترخيا الاعضاء ، أو الجعد السمر ، أو السكرم الذي في طله وكسه تكف غير الحوادث وصروف الدهر وتردها عن أن تقصد المستظلين بطله بالسوء .

(٢) الاد العظيم ، والوقيع : ما يكتنه الملك في الكباب من حل قصيرة ، وأحرف بسيرة ، لانفاذ أوامره ، وإمضاء شؤون دولته ، والمعنى تمكينه في الحادث العظيم القطع الداعي سريع لايحتاج إلى تريث ، وعدم تعجل ، وتوقيعه الكاشف طلمة الخطوب كلمات قليلة حامية لمصموم ما يريد إنفاذه .

(٣) الأبلج : الأيسر ، والمتعطر : السيد السرى المحتال في مشيته .

(٤) ستعتامهم : ستعتارهم ، والتوى : الهلاك ، وترجى : تساق وتسير ، وتعجف تدعج بالمجاديف .

(٥) أغرَى كريم الأفعال واضحها ، وندرس : أى متى نرض أنفسنا على قراءة ماسطر في دقائره مجده ، يرقنا : أى يعجبنا الخ ، وفي الأصل : « متى تدرس » ، والغريب : الفاعل البعيد عن الفهم ، والمجمل : المحتاج إلى التفسير والبيان ، والمصنف : المميز بعصه من بعض ، والمبين خفاؤه وإحماله .

(٦) قرظناه : من القرظ وهو المدح والثناء ، وأصله من تقرظ الجلد أى دبقه بالقرط ، والطيب : المسهب المتوسع في القول ، والقصد : التوسط والاعتدال .

وَأَرْوَعُ لَا الْبَاغِي أَخَاهُ مُبْلَغُ  
 مُرِّ الْقُوَى لَا يَمْلَأُ الْخَطْبُ صَدْرَهُ  
 لَهُ ظِلُّ نَعْنَى يَذْكُرُ الْهَمُّ عِنْدَهُ  
 جَحِيمٌ لِعَاصِيهِ يُشَبُّ وَقُودُهُ  
 مَحَاسِنُ ، غَرَبُ الدَّمِّ عَنْهَا مُفْلَانُ  
 تَنَاهَتْ فَعَقْدُ الْمَجْدِ مِنْهَا مُفَصِّلَانُ  
 طَلَافَةٌ وَجْهِهِ فِي مَضَاءٍ كَثَلِ مَا  
 عَلَى السَّيْفِ مِنْ تِلْكَ الشَّهَامَةِ مَيْسَمُ  
 سَجَايَا لِمَنْ وَالَاهُ كَالْأَرَى تُجَنِّى  
 يُرَاقِبُ مِنْهُ اللَّهُ « مُعْتَصِدٌ » بِهِ  
 مُنَاهُ وَلَا الرَّاجِي نَدَاهُ مُسَوِّفُ (١)  
 وَلَيْسَ لِأَمْرِ قَائِلٍ يَتَلَهَّفُ (٢)  
 ظِلَالُ الصَّبَا بَلْ ذَاكَ أُنْدَى وَأُورَفُ (٣)  
 وَجَنَّةُ عَدْنٍ لِلْمُطِيعِينَ تَرْأَفُ (٤)  
 كَهَامُ ، وَشَمْلُ الْمَجْدِ فِيهَا مُؤَلَّفُ (٥)  
 سَنَاءٌ وَبُرْدُ الْفَخْرِ مِنْهَا مُفَوِّفُ (٦)  
 يَرُوقُ فِرْنَدُ السَّيْفِ وَالْحَذُّ مُرْهَفُ (٧)  
 وَفِي الرَّوْضِ مِنْ تِلْكَ الطَّلَافَةِ زُخْرُفُ (٨)  
 تَعُودُ لِمَنْ عَادَاهُ كَالشَّرَى يُنْقَفُ (٩)  
 يَدُ الدَّهْرِ يَقْسُو فِي رِصْنَاهُ وَيَرَأَفُ (١٠)

- (١) الأروع : الذي يروعت حسبه ، ويعدك مرآه ، ومعنى سائر الدت ليس الذي يعنى له مثيلاً ببالغ  
 مناه ، وليس الذي يرحو نداء مؤجراً عطوؤه . (٢) الأمر : الخيل الذي أجيد فله ، والقوى :  
 طاقاته يريد أنه مستحكم تقوى وائس رحوا صعباً يملأ الهول صدره مرهاً وبأسى على ماهاه تاهلاً وتحسراً .  
 (٣) الهم : الدبح الكبير الفانى ، يعنى أن الشيخ الهم يذكر عند استظلاله حبل نمام الوارف أنه في ظل  
 الشاب الذي المعتدل إن ظل نمام أكثر ندوة ووروا وامداداً .  
 (٤) ترأف : تقرب ، وفي التنزيل العزيز « وأزمت الحنة المتقين » أى قرب .  
 (٥) القرب : الحد ، معلل : فيه كسور ، وكهام : كليل ناب عن الضربة لا يقطع .  
 (٦) السناء : الرمة ، وبرد موف : رقيق من سح المن .  
 (٧) فرند السيف : صهره وماؤه الذي يجرى فيه وطرائقه ، والمعى : يعلو وجهه ماء كفرند السيف  
 المتفرق ، مع مضاء مكرم كده المرهب في التميم والقطع ، وفي رواية : « طلامة بحر »  
 (٨) ميسم أثر وعلاء . وفي الأصل : « من تلك الطلامة مطرف »  
 (٩) الأرى : العسل ، والشرى : الحنظل ، وينقف : أى يشق لأخذ ما في داخله قال امرؤ القيس :  
 كائن غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى نانف حنظل  
 (١٠) يد الدهر : مدى الدهر ، قال أبو العلاء :

فيا ليتنا هشا حياة بلا ردى — يد الدهر — أو متنا هشا بلا نثر  
 ومعنى اليت أنه يرأف وبمف دائماً في سبيل مرصاة الله وحده ، ويقال أيضاً يد الحياة ، قال أبو العلاء :  
 لو كان لى أمر يطاوع لم يشن ظهر الطريق — يد الحياة — مجم



فَقُلْ لِلْمُلُوكِ الْحَاسِدِيهِ مَتَى أَدْعَى      سِبَاقَ الْعَتِيقِ الْفَائِتِ الشَّأْوِ مُقْرِفٌ<sup>(١)</sup>  
 أَلَيْسَ « بَنُو عَبَّادٍ » الْقِبْلَةَ الَّتِي      عَلَيْنَهَا لِأَمَالِ الْبَرِيَّةِ مَعَكَفٌ<sup>(٢)</sup>  
 مُلُوكٌ يُرَى أَحْيَاؤُهُمْ فَخَرَّ دَهْرُهُمْ      وَيَخْلَفُ مَوَاتَاهُمْ ثَنَاءٌ مُخْلَفٌ<sup>(٣)</sup>  
 بِهِمْ بَاهَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءُ فَأَوَّجُهُ      شُمُوسٌ وَأَيْدِيهِمْ مِنْ حَيَا الْمُزْنِ أَوْ كَفٌ<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

أَشَارِحَ مَعْنَى الْمَجْدِ وَهُوَ مُعَمَّسٌ      وَمُجْزِلَ حَظِّ الْحَمْدِ وَهُوَ مُسْفَسٌ<sup>(٥)</sup>  
 لَعَمْرُ الْبِدَا الْمُسْتَدْرِجِيكَ بَرَنَمِهِمْ      إِلَى غِرَّةٍ كَادَتْ لَهَا الشَّمْسُ تُكْسَفُ<sup>(٦)</sup>  
 لَكَالُوكَ صَاعَ الْغَدْرِ لَوْثٌ سَجِيَّةٌ      وَكِيلَ لَهُمْ صَاعُ الْجَزَاءِ الْمُطَفَّفُ<sup>(٧)</sup>  
 لَقَدْ حَاوَلُوا الْمُظْمَى الَّتِي لَا شَوَى لَهَا      فَأَعْجَاهُمْ عَقْدٌ مِنْ أَلْهَمٍ مُخَصَّفٌ<sup>(٨)</sup>

(١) العتيق : النجيب الكريم من الخيل ، والشأو : الأاية ، والمقرف : الهجين وهو الذى أمه بردونة وأبوه عربى أو بالعكس . (٢) معكف مصدر ميمى بمعنى المكوف أى إقامة وملازمة .

(٣) أى بنو عبادة ملوك يرى الناس أحياءهم مفخرة الزمان ، ويخلف من بعد موتهم ذكر حسن وثناء موروث يتحدث به الناس ، ويقال له الخلف عن السلف .

(٤) الحيا : المطر ، والمزن : السحاب ، وأوكف : أهطل وأعزر والمعنى : فاخرت بهم الأرض السماء فوجوههم أبهى طلعة من النيرات ، وآثار نعمهم ، ومنزل أيديهم أقزر وأهطل من السحب الهاطلات .

(٥) معمس : ملبس ملتوع من جهته مظلم لا يدرى من أين يؤتى له ، ومسفس : نازل من أسف الطائر إذا دنا من الأرض ، والمعنى : يا من بعمالك المجيدة أبنت معنى المجد فى حال كونه عامضا ملتبسا ، وأجزل بآثارك الحميدة حظ الحمد على حين حظ غيرك منه حقير ، وجواب النداء فى الأبيات بعده .

(٦) لعمرالدى : يقسم بحيانهم متكماً للإشارة إلى إحفاقهم فيما حاولوا ، المستدرجيك : أى الدين حاولوا فى زعمهم أن يتدرجوا بك قليلا قليلا على غرة ، ويأخذوك على غفلة إلى ما تكاد له الشمس تكسف لجرأتهم ، وهول ما أدموا عليه . (٧) لكالوك : أى لقد كالوك من لؤم سجيئهم صاع الغدر ، وكتهم صاع الجزاء والمعقوبة على غدرهم ، والمطفف : فى الأصل النقموس المبعوس من طفف الكيل نقصه وبخسه ، وقد يستعمل بمعنى الوافى وهو المراد هنا .

(٨) لقد حاولوا المظمى : أى الفتنة العظمى ، التى لا شوى لها : أى التى لا تصيب الأطراف ولكن تصيب المقاتل ، وأعجلهم عقد : أى رأى وتدير من همك وعزمك ، محصف : محكم شديد لا خلل فيه .

وَلَمَّا رَأَيْتَ الْقَدَرَ هَبْ نَسِيمُهُ      تَلَقَّاهُ إِعْصَارُ لِبَطْشِكَ حَرْجَفُ<sup>(١)</sup>  
 أَظَنَّ الْأَعَادَى أَنَّ حَزْمَكَ نَأْمٌ      لَقَدْ تَعَدَّى الْفَسْلَ الظَّنُّونُ فَتُخَلِفُ<sup>(٢)</sup>  
 دَوَاعِي نِفَاقٍ أَنْذَرْتُكَ بِأَنَّهُ      سَيَشْرَى وَيَذْوِي الْعُضْوُ مِنْ حَيْثُ يُشَافُ<sup>(٣)</sup>  
 تَحَمَّلْتَ عِبَاءَ الدَّهْرِ عَنْهُمْ وَكَلَهُمْ      بِنِعْمَتِكَ مَوْصُولُ التَّنْعَمِ مُتَرَفُ<sup>(٤)</sup>  
 فَإِنْ يَكْفُرُوا النِّعْمَى فَلَاكَ دِيَارُهُمْ      بِسَيْفِكَ قَاعُ صَفْصَفِ الرَّسْمِ تُنْسَفُ  
 وَطَى الثَّرَى مَثْوًى يَكُونُ قُصَارُهُمْ      وَإِنْ طَالَ مِنْهُمْ فِي الْأَدَاهِمِ مَرَسَفُ<sup>(٥)</sup>  
 وَبُشْرَاكَ عِيدٌ بِالْمُرُورِ مُظْلَلُ      وَبِالْحَظِّ فِي نَيْلِ الْمُنَى مُتَكَنَّفُ<sup>(٦)</sup>

(١) النسيم : الريح نهب هبوبا . حيفا ، والأعصار : الريح الشديدة الى تهب من الأرض ، وتثير العمار فيرتفع كالعمود إلى نحو السماء ، وهي الى تسمى بالروامة ، وفي النزل « إن كنت رجلاً فقد لاقيت إعصاراً » يضرب للرجل يلقى فيه في الدلالة والقوة ، والحرجب : البارد وصف بها الأعصار . وفي الأصل « حرجب »  
 (٢) الفسل : الردل الذي الأحمق ، والمعنى لم يتحقق طل الأعادي أن تدبيرك قائم عن كيدهم وغدرهم وكثيراً ما تعد الفنون الحكي الأرفال مغفلهم .

(٣) شري العضو : أي يضرب عليه ورم وفروح تحياح إلى السكى ، ويدوى : يدل ويسمر ، ويشاف أي تكوى شأفه أي قرحة اندهد بالكي . والذات تشييل لعل طائفة ، ثم منها العناق والشر مكات كالعندو الرئيس الخ به الداء فلم يكن د من معالجه . السكى لاستئصال ساقه ، وفي رواية « يدوى العندو »  
 (٤) أي كميته مؤونه نسبي ، وحملت عنهم العباء ، فكلمهم في طل نعمتك دائم التمتع والترف .

(٥) قصارهم : ينال مصرك وقصارك وقصارك أن تعمل كذا أي عايك ، والأداهم : القيود لسوادها جمع أدهم وتسمى بالأسود أيضاً ، والمرسف : مصدر ميمي من الرسفان وهو مشى القيد ، أي أن هؤلاء الأعداء سيكون ما لهم أن يموتوا في الحبس ، بعد أن تطول عليهم مدته .

(٦) انتقل إلى ذكر مظهر من مظاهر الدولة عند خروج الملك لصلاة العيد ، وترتيب المملكة في ذلك على ما يؤخذ من صحح الأعشى أن يبادى في طامة اللد ، وأهل الأسواى ليلة العيد يخرج أهل كل صاعة بظاهر اللد ، ويسبح أهل كل سوق ناحية ، متجملين بأحسن الثياب ، وكل منهم متنكب فوساً أو مقلد سيبا ، ومع أهل كل سوق علم يختص بهم ، عليه رنك أهل تلك الصاعة بما يناسبهم ، ويكر الملك بالركوب فيركب وهم يمينه ويساره فارسان ، وممك بركاية رحلان مقلدان مسيحين ، ويركب العسكر معه ميمنة ومهسرة ، ويصطف الناس صفواً يمسون قدامه ، والمولج خلفه ملتفون به ، والأعلام منشورة ورائه ، والطبول خلفه حتى يصل إلى العيد ، ثم يعود فيصرف طامه الشعب وبعد السباط فيحضر طامه حوامه وأعيان مملكته ، ومعنى البيت أنه يبعثه بالعيد : بالله السرور ، ويكتشفه الحظ يبلغ إلى .

بَشِيرٌ بِأَعْيَادٍ تُؤَافِيكَ بَعْدَهُ      كَمَا يَنْسُقُ النِّظَمَ الْمُوَالِي وَيَرْصِفُ<sup>(١)</sup>  
تَجَرَّدَ فِيهِ سَيْفٌ دَوْلَتِكَ الَّذِي      دِمَاءُ الْعِدَى دَأْبًا يَغَرِّيهِ تُظْلَفُ<sup>(٢)</sup>  
هُوَ الصَّارِمُ الْمَضْبُ الَّذِي الْعَزَمُ حَذُّهُ      وَحَلِيَّتُهُ بَذَلُ النَّدَى وَالْتِعَافُ<sup>(٣)</sup>  
مُهَامٌ سَمَا لِلْمَلِكِ إِذْ هُوَ يَافِعُ      وَتَمَّتْ لَهُ آيَاتُهُ وَهُوَ مُخْلَفُ<sup>(٤)</sup>  
كَرِيمٌ يَمُدُّ الْحَمْدَ أَنْفَسَ قَنِيَّةٍ      فَيُولَعُ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ وَيُشْغَفُ<sup>(٥)</sup>  
غَدَاً بِخَمِيسٍ يُقْسِمُ النَّعِيمُ إِنَّهُ      لَا خَفْلٌ مِنْهَا مُكْفَهَرًا وَأَكْثَفُ<sup>(٦)</sup>  
هُوَ النَّعِيمُ مِنْ زُرْقِ الْأَسِنَّةِ بَرَقُهُ      وَلِلطَّبْلِ رَعْدَةٌ فِي نَوَاحِيهِ يَقْصِفُ

\*\*\*

فَلَمَّا قَضَيْنَا مَا عَنَّا أَدَاؤُهُ      وَكُلُّ بِمَا يُرْضِيكَ دَاعٍ فَلَحِفُ<sup>(٥)</sup>  
قَرْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ خَدَكَ إِنَّهُ      لَا زَكْدَ مَا يُحْظَى لَدَبُهُ وَيَزَافُ<sup>(٦)</sup>

(١) ينسق النظر : أى يتابع بینه ومحملة على طريقة نظام واحد ، ويرصف : أى ينظم وينشد ، والمعنى هذا العدد شعر باعداد تأتى بعده على دمه وترتيبه .

(٢) بدميه : بدميه ، وتطام : تهدر من دونه ذهب دمه طلباً أى هدرأ .

(٣) اللام الياصع الذى شارف الاحتلام ، واخلف : الذى احتلب نظار الناس فيه بمصم يقول قد احتلم وأدرك ، وبعض يقول غير مدرك ، والمعنى لما هبته إلى الملك وهو دون الاحتلام ، وتمت له علاماته ورسومه ومميزاته ، وهو مشكوك فى احتلامه .

(٤) الخيس : الجيش الجرار التام العرق من المقدمة والميمنة واليسرة والقلب والساقي وأراد به المسكر السائر فى موكب الملك عند خروجه لصلاة العدد ، واليم : السحاب ، وأحمل : أى أكثر منها احتشاداً واحتماءً فى حال كونه ( مكهراً ) أى مطلقاً أسود لما على الجدم من الدروع والسلاح ، وأكثف : أى أكثر كثافته وتراكباً من السحاب لشدة الزحام وكثرة العدد وأعاد الصير فى قوله ( منها ) على الهم مؤشراً صراحة للمعنى . (٥) أى فلما أدبنا ما أهمنا أداؤه من صلاة العيد : وكل الناس داعٍ فلح فى الدعاء بما يرضيك ، وحواب لما يأتى بعد .

(٦) يحظى : أى يوجب الخطوة والتعجيل ، وزلف : يقرب ، والمعنى : ولما انتهينا من صلاة العيد جمعنا بين حمد الله والثناء عليك لأنه أبلغ فى بلوغ الخطوة لديه ، والزلفى إليه .

وَعُدْنَا إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي هُوَ كَعْبَةٌ      يُغَادِيهِ مِنَّا نَظِيرُهُ أَوْ مُطَرَّفُ (١)  
فَإِذْ نَحْنُ طَالِعُنَاهُ وَالْأَفُقُ لَابَسٌ      عَجَاجَتُهُ وَالْأَرْضُ بِالْخَيْلِ تَرْجُفُ (٢)  
رَأَيْتُكَ فِي أَعْلَى الْمُصَلَّى كَأَنَّمَا      تَطْلَعُ مِنْ مِحْرَابِ دَاوُدَ يُوسُفُ (٣)  
وَلَمَّا حَضَرْنَا الْإِذْنَ وَالْدَّهْرُ خَادِمٌ      تُشِيرُ فَيَمُضِي وَالْقَضَاءُ مُصَرَّفُ (٤)  
وَصَلَّيْنَا فَقَبَّلْنَا النَّدَى مِنْكَ فِي يَدٍ      بِهَا يُتَلَفُ الْمَالُ الْجَبِيمُ وَيُخْلَفُ

\*\*\*

لَقَدْ جُذِتَ حَتَّى مَا بِنَفْسٍ خَصَاعَةٌ      وَأُمْنِتَ حَتَّى مَا بِقَلْبٍ تَخَوُّفُ

(١) يغاديه : أى يباكره ويمدو عليه فى أول النهار ، والمطرف : الذى يديم النظر فى النصر من حب وإعجاب ، وهو فى الأصل الذى أمام طرفه أى عينه عود يهود تآ يثبت طرفه فى الشيء ، ولا يفهم طرفه أو هو اسم فعل من طرف الشيء اختاره ، قال الشاعر :

أطرف أبكارا كأن وحوهما      وجوه عذارى حشرت أن تقما

(٢) طالعناه : أى القصر ، والمعجاجة : ماثيره سنايك الحيل من البوار ، وترحب : تصطرب .

(٣) المصلى : المكان المعد لصلاة العيد ، وتطلع : طلع وأشرف عليهم من محراب ، وروى عن الزجاج فى قوله تعالى « وهل أتاك نأ الخضم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود » قال : المحراب أرفع بيت فى الدار ، وأرفع مكان فى المسجد ، والمعنى : رأيتك حين عودتنا إلى القصر ومطالعنا إياه مشرفا بأعلى المصلى من غرفة قصر كائنما أشرق من محراب داود فى يوم سكه وعبادته وجه يوسف رائعا فى حسنه وحاله .

(٤) قال ابن بسام :

وقوله ولما حضرنا الإذن البيت مع الذى بعده أرى أبا الوليد احتدى فيه حدو الوليد فى آيات أشدها لحسها وهى من أحسن ما قيل فى الهيبة :

ولما حضرنا سدة الأذن آخرت      رجال عن الباب الذى أما داخله  
مأفضيت من قرب إلى دى مهابة      أقابل بدر التم حين أقابله  
كما اتصب الرمح الرديى تنفت      أنايبسه واهتز لاطمن عامله  
وكالبدر وافته لثم سعوده      وتم بناء واستهلت مبارله  
وسلت فاعتافت حنانى هبة      تازهى القول الذى أنا قائله  
ولما تاملنا الطلاقة وانقى      إلى ينشر آسستى بحايه  
دنوت فقبل البدى من يداسرى      كريم بحياه سباط أمانله  
صفت مثل ما يصفو المدام خلاله      ورقى كما رقى النسم شمانله

وقول ابن زيدون وصلنا قبلنا الندى من يد اسرى معنى ملبح ولفظ صحيح ، إلا أنه كما تراه ليط بيت البحرى ويقول بعض أدباؤنا إن ابن زيدون بحترى زمانا وصدقوا لأنه هذا حدو الوليد فى بعض قصائده .

وَلَوْلَاكَ لَمْ يَسْتَهْلِكْ مِنَ الدَّهْرِ جَانِبٌ  
لَكَ الْخَيْرُ ، أَنَّى لِي بِشُكْرِكَ نَهْضَةٌ ؟  
أَفَذَتْ بِهِمِ الْحَالِ مِنِّي غُرَّةٌ  
وَبَوَّأَتْهُ دُنْيَاكَ دَارَ مَقَامَةٍ  
وَلَا ذَلَّ مُقْتَادُ وَلَا لَانَ مَقْطِفُ  
وَكَيْفَ أَوْدَى فَرَضَ مَا أَنْتَ مُسْلِفُ ؟<sup>(١)</sup>  
يُقَابِلُهَا طَرْفُ الْجَمُوحِ فَيُطْرَفُ<sup>(٢)</sup>  
بِحَيْثُ دَنَا ظِلٌّ وَذُلِّلَ مَقْطِفُ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

وَكَمْ نِعْمَةٍ أَلْبِسَتْهَا سُتْدُ سَيِّئَةٍ  
مَوَاهِبُ فَيَاضِ الْيَدَيْنِ كَأَنَّمَا  
فَإِنْ أَكُ عَبْدًا قَدْ تَمَلَّكَتْ رِقَّةُ  
أَسْرَبَلُهَا فِي كُلِّ حِينٍ وَالْحَفُ  
مِنْ الْمَزْنِ تُتْرَى أَوْ مِنَ الْبَحْرِ تُغْرَفُ  
فَارْقَعِ أَحْوَالِي وَأَسْنَى وَأَشْرَفُ<sup>(٤)</sup>

(١) نهضة : أى طاقة وقدرة أى كيف يكون لى قدرة على القيام بشكرك ، ومسلم : اسم فاعل من أسلفه أى أقرسه ، وفى رواية : « قرص ما أب مسلم »

(٢) المسمى اكتبت سواد الحال من غرة يداه نواحيها طرف الطموح الذى يتد بصره إلى الشئ ، فيطرف أى يثبت فيها نظره من قولهم فلان مطروف العين بفلان إذا كان لا ينظر إلا إليه .

(٣) أى أزلتنى وأحلتنى من دنياك الشبيهة بدار المقامة حدة دنا ظلها ودلت قطوعها .

(٤) فان أك بما أوليتى من نعم عمداً مرموقاً لك فانى أعد اتماي إليك بالعوده والرق اسى أحوالى وأرفعها وأشرفها ، قال أبو الطيب المتنبى « ومن وجد الاحسان جيداً تفيداً » .

وليدكر — بمناسبة هذه القصيدة العبد الذى قالها ابن زيدون يحترى العرب فى المعتمد بالله بمناسبة عيد الأضحى — قصيدة يحترى الشرق التى قالها فى الموكل بمناسبة عيد الفطر — ليرى القارى صورتين قارب بينهما اتحاد العرض والشاعره وان اختلفت الغا فيه والبحر :

الله مكن للخليفة حمير ملكاً يحسنه الخليفة جعفر  
بعضى من الله اصطفاه بعلمها والله رزق من يشاء ويقدر  
عاسم أمير المؤمنين ، ولا تزل تعطى الريادة — فى البقاء — وتشكر  
صمت فواضلك السرية ، فلقى فيها القل على الفى والمكثر

\*\*\*

بالرصم — وأنت أفضل صائم — وبسنه الله الرعية تغدار  
فادم يوم الفطر عينا ، إنه يوم أعر — من الرمان — مشهر  
أطهرت عز الملك فيه بمحفل لجب ، يحاط الدين فيه وينصر

## في طرطوشة (١)

غَرِيبٌ بِأَقْصَى الشَّرْقِ يَشْكُرُ لِلصَّبَا (٢)  
تَحْمَلُهَا مِنْهُ السَّلَامُ إِلَى الْغَرْبِ  
وَمَا ضَرَّ أَنْفَاسَ الصَّبَا فِي أَحْتِمَالِهَا  
سَلَامٌ هَوَى يُهْدِيهِ جِسْمٌ إِلَى قَلْبِ (٣)

حنا الجبال تسير فيه ، وقد غدت  
فانحلل تصل ، وانموارس ندى ،  
والأرض حاتمة تتمد ثفلها ،  
والشمس مامة تومد ناصحي  
حق طلعت بصوت وجهك ، فاختلت  
وافتي فيك الظروف ، فاصبح  
يمجدون رؤيتك التي فاروا بها  
دكروا لطلعتك التي مهلوا  
حتى انتهت إلى المعلى لا ساء  
ومشيت مشية حاتم متوابع  
فلو ان مشتاقا تكلم فوق ما  
عدداً يسير بها العديد الأكر  
والبص تلمع ، والأسنة ترهر  
والخوف معتكر الحواب أعبر  
طورا ، وبطعها المعاج الأكر  
تلك الدعي ، وانحاح ذلك العثير  
يومي لا يك بها ، وعين تنظر  
من أسم الله التي لا تكبر  
لما طلعت من الصعوف وكبروا  
نور اغدى يسدو عليك ويظهر  
لله لا يرهمي ، ولا يتكبر  
في وسعه لسمي لا يك المسير

١١

أمدت من فصل الخطاب بحكمة  
ووقت في برد النبي مذكرا  
ومواعظ شفت الصدور من الذي  
حتى اقد علم الجهول وأخلصت  
صلوا وراءك آحدين بمصمة  
فاسلم بمفخرة الاله فلم يزل  
الله أعطاك المحبة في الوري  
ولأت أملا للعيسون لئيمهم  
تبي عن الحق المبين وتخير  
بالله تسدر تارده وتبهر  
يمتادها وشفاؤها مسدر  
نفس المروى واهتسدى للتحير  
من ربهم وبذمة لا تحمر  
يهب الذنوب لمن يشاء ويغفر  
وحاك بالعسل الذي لا يسكر  
وأجل قدراً في الصدور وأكبر

(١) هي مدينة بأقصى الشرق من الأندلس على البحر الأبيض المتوسط ، وهي من أعمال بلنسية . قالوا :  
وكانت متقنة العمارة ، وهي من العرص البحرية التي ينتابها التجار ويسافرون منها إلى سائر الأمصار ، وقد  
استولى عليها الانرنج وعلى جميع حصونها في سنة ٥٤٣ هـ (٢) ريح النسا ، وهي التي تهب من  
الشرق ، وتقابلها الدبور (٣) ليت الصا تحتمل أمامها سلا من جسم في الشرق إلى فؤاده الثاني  
هذه في الغرب ، وقريب من هذا المعنى قول عبد الرحمن الداخل « صقر قريش » :

إن جسي كأعلنت مآرض وفؤادي وساكنيه بأرض  
فسدر الله بالفراق علينا فمسي ناجتماعنا سوف يمضي

## إلى الوزير أبي عبد الله<sup>(١)</sup>

« لم ترل الأيام تدنى « ابن زيدون » وتبعده ، وتسوءه وتسعده ،  
وتقذف به إلى كل نازح ، وتطرف أمله بعين اللاعب المارح ، حتى  
أحلت له « بلنسية » وهلال ذكائه كما أقر ، وغصن نباهته يانع قد أثمر ،  
وبنو عبد العزيز غرر ملكها ، ودرر سلكها ، يفيضون بحور الدى ،  
ويومضون في كل مستدى ، فخل منهم محل الجيا في الكؤوس ،  
ووقع منهم موقع الدش في النفوس ، وأقام بين مبرة تواضله ، وسرة  
تغازله ، ومكارمة تفاديه ، ومجاملة كرائح القطر وغاديه ، فإلى الفصل ،  
وحصل ما حصل ، تذكر بعد رهة ذلك العيش وورع عمره قد  
صوح ، وغصن سه قد دوح ، فلم يجد إلا له طيبا ، ولم يهصر غير  
فنه عصا رطيا ، فكتب إلى ابن عبد العزيز<sup>(٢)</sup> : »

رَاحَتْ فَصَحَّ<sup>(٣)</sup> بِهَا السَّقِيمُ      رِيحٌ مُعْطَرَةٌ النَّسِيمُ  
مَقْبُولَةٌ      هَبَّتْ قَبُولُ      لَا<sup>(٤)</sup> فَهِيَ تَعْبِقُ فِي الشَّمِيمِ<sup>(٥)</sup>  
أَفْضِيضُ مِسْكِ أُمِّ بَلَدٍ      سَيِّئَةٌ لِرِيَّاهَا<sup>(٦)</sup> نَعِيمِ<sup>(٧)</sup>  
بَلَدٌ حَبِيبٌ أَفْقُهُ      لِفَتَى يَحُلُّ بِهِ كَرِيمِ

- 
- (١) هو الوزير أبو عبد الله بن عبد العزيز . (٢) فلان العيان .  
(٣) وفي رواية « راح لها السقيم » راحت أى بردت وطابت ، وراح لها السقيم من قولهم : « راح  
للأمر يراح » إذا أخذته أريجبة وخفة وشاط ، أى فارتاح لطيبها السقيم .  
(٤) القبول : ريح الصبا لأنها تقابل الدبور أو لأن النفس تميلها .  
(٥) أى أن ريح الصبا تحمل معها عطرا تنسم منه طيب الشدى .  
(٦) لريحها الطيبة . (٧) يقول لعل نسيم بلنسية الشدى الذى تستروح النفس لآيه مد هبّ عليا .

\* \* \*

أَيُّهَا أَبَا عَبِيدِ الْإِلَهِ دُعَاءُ مَغْلُوبِ الْعَرِيمِ<sup>(١)</sup>  
 إِنَّ عَيْلَ صَبْرِي مِنْ فِرَا قِكَ فَالْعَذَابُ بِهِ أَلِيمٌ<sup>(٢)</sup>  
 أَوْ أَتَّبَعْتُكَ حَتَيْنَهَا نَفْسِي فَأَنْتَ لَهَا قَسِيمٌ<sup>(٣)</sup>  
 ذِكْرِي لِعَهْدِكَ كَالشَّهَادَةِ<sup>(٤)</sup> مَرَرِي قَبْرِحَ بِالسَّلِيمِ  
 مَهْمَا ذَمَّمْتُ فَمَا زَمَا نِي فِي ذِمَامِكَ بِالذَّمِيمِ<sup>(٥)</sup>  
 زَمَنْ كَمَا لَوْ رِضَا عِيشُوفٍ ذِكْرُ أَهْلِ الْفَطِيمِ<sup>(٦)</sup>  
 أَيَّامَ أَعْقَدُ نَظَرِي بِذَلِكَ الْمُرَأَى الْوَسِيمِ<sup>(٧)</sup>  
 فَارَى الْفُتُوَّةَ غَضَّةً فِي تَوْبِ أَوَاهِ حَلِيمِ<sup>(٨)</sup>  
 اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ حُبَّكَ مِنْ فَوَادِي الْعَسِيمِ<sup>(٩)</sup>  
 وَلَنْ تَحَالَ عَنْكَ لِي جِسْمٌ فَعَنْ قَلْبٍ مَقِيمِ<sup>(١٠)</sup>

(١) أيها : بكسر الهمزة بمعنى ردف من الحديث ، وبفتحها بمعنى اكتمب واسكت ، أو للتبديد بمعنى هيهات ، أي بعد دعاء مغلوب العريم ، والعريم : الأمر الداهي العظيم ، والمغلوب هيهات يمدى دعاتي وأنا من خاتمة الحادثات على تمره . وفي الأصل : « مغلوب العريم »

(٢) لي "عذر" إذ ضحرت مرافقك وعيل صبري فقد اشتد لي الألم لعدوك .

(٣) القسيم : شطر الشيء المقسوم ، أي أنت شطر نفسي الثاني فلا عي لي عنك .

(٤) وفي الأصل : « كالعهد »

(٥) الدمام : الحق والحكمة ، والمعنى مهما سميت : من عهد الرمان الغادر ولن أدم ذلك العهد الحيد

الذي قضاه معك وحدت بيه قربك ووطأتك .

(٦) « وكان في ذلك العهد المحبوب سمعت ذكريات سارة أحس إليها كما يحسن الظاهر المقطوع إلى عهد

الرياح العريب . وفي الأصل « زمن كما لو رضى » (٧) أيام نعم ناطري برؤية محياك البهى .

(٨) الأواه : الكثير الأوه إشباعاً وفرقاً ، قالوا : « وهو الكثير التضرع والدعاء أو الحزن والبكاء

أو هو الرحيق الرقيق » والمعنى : ما رى الفتوة — في صوانها — معتزة بالخشية والتضرع والحلم ، وفي الكتاب

الكريم : « إن إبراهيم حلم أواه ميب » (٩) العسيم : المحس أو الخالص .

(١٠) وإذا رحل عنك جسمي فإن نبي لم يرحل عنك ولم يخل عن حبك وهو ثابت مقيم عندك .



قُلْ لِي بِأَيِّ خِلَالٍ سَرُ      وَكَ<sup>(١)</sup> قَبْلُ أَفْتَنُ أَوْ أَهِيْمُ<sup>(٢)</sup>  
 أَيْمَجِدُكَ الْعَمَمَ<sup>(٣)</sup> الَّذِي      نَسَقَ الْحَدِيثَ مَعَ الْقَدِيمِ<sup>(٤)</sup>  
 أَمْ ظَرَفِكَ الْخُلُو الْجَنَى      أَمْ عِرْضِكَ الصَّافِي الْأَدِيمِ  
 أَمْ بِرِّكَ الْعَذْبِ الْجَمَا      م، وَبِشْرِكَ الْغَضِّ الْجَمِيمِ<sup>(٥)</sup>  
 أَمْ بِالْبَدَائِعِ كَاللَّآ      لِي مِنْ تَثِيرٍ أَوْ تَظِيمِ  
 وَبِلَاغَةِ إِنْ غَدَّ أَهْلُهَا فَأَنْتَ لَهُمْ زَعِيمِ  
 فِقَرٌ تَسُوغُ بِهَا الْمَدَا      مُ إِذَا تَكَرَّرَهَا النَّدِيمِ<sup>(٦)</sup>  
 إِنْ أَشْمَسَتْ تِلْكَ الطَّلَا      قَةً قَالَتِي مِنْهَا مُقِيمِ

\* \* \*

إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْخُطُو      ظَ حَبَاكَ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ  
 لَا أَسْتَزِيدُ اللَّهَ نَعْمِي فِيكَ ، لَا بَلْ أَسْتَدِيمُ  
 فَلَقَدْ أَقَرَّ الْمَعِينُ أَنَّكَ غُرَّةُ الزَّمَنِ الْبَهِيمِ  
 حَسْبِي الثَّنَاءُ لِحُسْنِ بَرِّكَ مَا بَدَا بَرَقَ فَشِيمِ<sup>(٧)</sup>  
 ثُمَّ الدُّعَاءُ بِأَنْ تَهْنَأَ طُولَ عَيْشِكَ فِي نَعِيمِ  
 ثُمَّ السَّلَامُ تُبَلِّغُنِيهِ فَعَيْبُ ، مُهْدِيهِ سَلِيمِ<sup>(٨)</sup>

- (١) السرو : الفصل والسجاء في الروءة . (٢) لأنى لا أدرى أى خلال مصلك جدير بالاشارة والتنويه ، وأى مزاك حدير بأن يهيم به عارفك ويمتق (٣) الشامل .  
 (٤) انتظم المجد الحديث ، والمجد القديم . (٥) الجماء - جمع جة بتشديد الميم - الماء الكثير المجتمع ، يقال : جت البئر جوما ، إذا اجتمع ماؤها وارتفع بمد ترح ما فيها ، قال زهير :  
 « ولما وردن الماء زرقا جامه وصعن عصي الحاضر المنعيم »  
 والجيم : النبات الكثير . (٦) كلمات تنذب بها الجمر إذا ردها القديم .  
 (٧) شام البرق : نظر إليه أين يقصد وأين ينظر ، وفي الأصل : « لحسن برقك » .  
 (٨) وفي رواية : « ثم السلام تبليغه بقاب مهديه السليم »

## جَوَابُ كِتَابِ

« كتب إليه الوزير أبو بكر بن الطيبي :

أبا الوليد وما شطت بما الدار  
وقلّ منا ومك اليوم زوّار  
وبينا كل ما تدري به من ذم  
والصبا ورق حصر ونوّار  
وكل عيب وإعجاب جرى له  
مواقع حلوة عندى وآثار  
فادكر أحوالك بخبر - كلما اعت  
به الليالى - فإن الدهر دوّار  
بخار به بديها في ظهر رقعه : «

لَوْ أَنَّنِي لَكَ فِي الْأَهْوَاءِ مُخْتَارُ	لَمَّا جَرَّتْ بِالذِّى تَشْكُوهُ أَقْدَارُ
لَكِنَّهَا فِتْنٌ فِي مِثْلِ غَيْبِهَا	تَعْنَى الْبَصَائِرُ إِنَّمَا تَعْنَى أَبْصَارُ <sup>(١)</sup>
فَأَحْسِنِ الظَّنَّ لَا تَرْتَبِ بِعَهْدِ فَتَى	تَعَفُّوْا الْعُهُودَ وَتَبْقُ مِنْهُ آثَارُ
لَوْ كَانَ يُعْطَى الْمُنَى فِي الْأَمْرِ يُمَكِّنُهُ	لَمَّا أَغْبَيْتَ - يَوْمًا - مِنْهُ زَوَّارُ <sup>(٢)</sup>
فَلَا يَرِيْنُكَ فِي ذِكْرِ الصَّدِيقِ بِهِ	مَنْ لَيْسَ يَجْهَلُ أَنَّ الدَّهْرَ دَوَّارُ

(١) لو كان لي الخيار مما تهواه وتعه لما جرى القدر بما يسرك وبينك على الشكوى ، ولكنه قدر

لا سبيل إلى رده ، وقتنه فصل في غيابهها الممول وتعمى الأصار .

(٢) لو كان الأمر بيدي لما تعامت عن زيارتك يوما واحداً .

## في الغزل

وَضَحَّ الْحَقُّ الْمُبِينُ      وَتَفَى الشَّكُّ الْيَقِينُ  
وَرَأَى الْأَعْدَاءَ مَا غَرَّ      تَهْتَمُّ مِنْهُ الظُّنُونُ  
أَمَلُوا مَا لَيْسَ يُمْنَى      وَرَجَّوْا مَا لَا يَكُونُ  
وَتَمَنَّوْا أَنْ يَخُونُ      الْمَهْدَ مَوْتَى لَا يَخُونُ <sup>(١)</sup>  
فَإِذَا الْغَيْبُ سَلِمٌ      وَإِذَا الْوُدُّ مَصُونُ <sup>(٢)</sup>

\* \* \*

قُلْ لِمَنْ دَانَ بِهِجْرِي      وَهَوَاهُ لِي دِينُ  
يَا جَوَادًا بِي إِنْ      بِكَ وَاللَّهِ صَنِينُ  
أَرْخَصَ الْحُبُّ قُوَادِي      لَكَ وَالْعَلَقُ <sup>(٣)</sup> تَمِينُ

\* \* \*

يَا هِلَالًا تَتَرَا      هَاهُ نُفُوسٌ لَا عِيُونُ  
مُحِبًّا لِلْغَلَبِ يَقْسُو      مِنْكَ وَالْقَدُّ يَلِينُ <sup>(٤)</sup>  
مَا الَّذِي ضَرَّكَ لَوْ سُرَّ      بِمَرَاكِ الْحَزِينِ  
وَتَلَطَّفْتَ لِصَبِّ      حَيْثُ <sup>(٥)</sup> فَيْكَ يَحِينُ  
فَوُجُوهُ اللَّفْظِ شَتَّى      وَالْمَعَاذِيرُ فُنُونُ <sup>(٦)</sup>

(١) وفي رواية: وتَمَنَّوْا أَنْ يَخُونُ الـ سَبَدَ مَوْلَى لَا يَخُونُ  
(٢) تَغَابَ ظَنُّ الْأَعْدَاءِ وَظَهَرَ أَنِّي لَمْ أَخُنْ لِمَوْلَايَ عَهْدًا، وَأَنْ إِخْلَاصِي وَوَفَائِي لَهَا سَلِيمَانٌ وَوَدَى لَهُ لَا يَتَغَيَّرُ  
(٣) الْغَيْبُ، وَفِي رِوَايَةٍ: « وَالْعَلَقُ الْغَيْبُ » .  
(٤) وَفِي رِوَايَةٍ: « وَالْمَطْلَبُ يَلِينُ » . (٥) هَلَكَ . (٦) سَقَى .

## في مدح ابن جهور

قال يمدح الوزير الأجل محمد بن جهور بن محمد بن جهور :

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّقِيعَ شَبَابٌ      فَيَقْدُرُ عَنْ لَوْمِ الْمُحِبِّ عِتَابٌ <sup>(١)</sup>  
 عَلَامَ الصَّبَا غَضٌ يَرِفُ رَوَاؤُهُ      إِذَا عَنَّ مِنْ وَصْلِ الْحِسَانِ ذَهَابٌ <sup>(٢)</sup>  
 وَفِيمَ الْهُوَى مَحْضٌ يَشْفُ صَفَاؤُهُ      إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ عَنْهُ ثَوَابٌ <sup>(٣)</sup>  
 وَمُسْتَعِفَّةٌ بِالْوَصْلِ إِذْ مَرَّ بَعْضُ الْحِمَى      لَهَا كُلَّمَا قَظْنَا الْجَنَابَ جَنَابٌ <sup>(٤)</sup>  
 تَظُنُّ الذُّوَى تَعْدُو الْهُوَى عَنْ مَرَارِهَا      وَدَاعَى الْهُوَى نَحْوَ الْبَعِيدِ مُجَابٌ <sup>(٥)</sup>

(١) ألم تعلم أن حير شاعر المعبود إذا حى دما هو غصارة شبابه ، وأن الشباب لحسه في الأعين ولما فيه من الترمه والخفة يعتبر ضعيفا في تحميه العقوبة وتنزيلها من لوم عفيف إلى عتاب حميف يلطف مدخله على القلب ، وإذا كان الشاب حير شاعر للحسان فما أدره من الاقتصار عن اللوم ، وما أبدع قول علقمة :

فان تسألوني بالنساء ، فافنى حسير بأدواء النساء طليبا  
 إذا شاب رأس المرء أو دلّ ماله فليس له في ودعه نصيب  
 يردن ثراء المال حث وحده وشرخ الشباب عندهن عجيب

(٢) غس : طرى ناعم ، يرف : رواؤه : يترقق فيه ماء الحسن ، والرواء الحسن ، ومعنى البيت : وما قيمة الشباب وغصارة الصبا إذا احتقنا في ترغيب الحسان ومجزا عن اكتساب ودهن .

(٣) محض : حاصر لا شائبة فيه ، وشب من شموغ الماء أى يبدى ما وراءه أى وفيه حبا خالص لا يشوب سماء كدر إذا لم يكن من الحسان مشوبة به وحزاء عليه .

(٤) المرب : الموسع الذى يتزلون به زمن الربيع ، والحمى : موسم فيه كلاً يحبه أهله من أن يرحاه غصيرهم ، وقظنا : من القبط وهو صبب الصيب يقال قطنا بمكان كذا أى أقفا فيه زمن الصيب والقبط والصيب بمعنى واحد ، والجناب الأول ما قرب من محلة القوم أى قدثنا في المكان القريب من الحمى واتخذناه مصيفاً لنا ، والجناب الثانى الناحية ، أى رب حساء تسقى بوصلها كلما اتخذنا جانب الحمى مصيفاً لنا وكانت لها ناحية الحمى سكناً في زمن الربيع ، وفي هذا البيت جناس متكاف كما ترى .

(٥) تظن مسافة المدينة وبها تصرف تنسى عن زيارتها والحال إن داعى الهوى الذى ينادى من ناحيتها بجانب الدعوة .

وَقُلْ لَهَا نِضْوٌ بَرَى مَحْضَةُ الشَّرَى      وَبَهْمَاءُ غُفْلُ الصَّخْصَحَانِ تَجَابُ<sup>(١)</sup>  
 إِذَا مَا أَحَبَّ الرَّكْبُ وَجْهًا مَضَوَا لَهُ      فَهَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَخْبَ رِكَابُ<sup>(٢)</sup>  
 عَرُوبُ الْأَحْتِ مِنْ أَعَارِبِ حِلَّةِ      تَجَاوَبُ فِيهَا بِالصَّهِيلِ عَرَابُ<sup>(٣)</sup>  
 غِيَارَى بْنِ الطَّيْفِ الْمَعَاوِدِ فِي الْكَرَى      مُشِيحُونَ مِنْ رَجْمِ الظَّنُونِ غِضَابُ<sup>(٤)</sup>  
 وَمَاذَا عَلَيْهَا أَنْ يُسَنَّى وَصَلَهَا      طِمَآنٌ - فَإِنْ لَمْ يُغْنِنَا - فَضِرَابُ<sup>(٥)</sup>  
 أَلَمْ تَذَرِ أَنَا لَا تَرَاخُ لِرَيْبَةٍ      إِذَا لَمْ يُلَمَّعْ بِالنَّجِيعِ خِضَابُ<sup>(٦)</sup>  
 وَلَا تَنْشَقُّ الْعِطْرَ النَّمُومَ أَرْيَجُهُ      إِذَا لَمْ يُشْعَشَعْ بِالْعَجَاجِ مَلَابُ<sup>(٧)</sup>

(١) البهو : المهزول والمراد به البعير الذي أنصاه السفر أى أهزله ، وبرى تحمصه السرى : أى أذهب لحمه السير بالدليل ، والبهماء : الغلاة لا يهتدى فيها ، وغفل : أى لا علامه بها ولا أثر يعرف ، والصخصحان : المستوية الجرداء ، أى ولى لهذه المحبوبة 'مائية' بعير أنصاه السفر ودلاة مجهولة لا أثر فيها للامارة والطرق تحاب وتطمع سيرا لأحلمها . (٢) فى معنى هذا البيت قول الشاعر :

وكنت إذا ما جئت يسلى أزورها      أرى اليد تطوى لى ويدو عيدها

(٣) العروب : المطعمة لروحها المنتحة إليه ، والأاحت : ظهرت أولوحت بطرف شيء من مكان بعيد والأعارب : الأعراب ، والحلة : مجتمع البيوت ، والعراب : الحيل العربية ، والمعنى : روعة من طاعة زوجها والتحجب إليه بحيث لا تلتصق إلى غيره . قد لوحت بطرف منديل أو نحوه من ناحية الحلة التى ينزل بها أولئك الأعراب العيورون حيث ارتبطوا خيولهم وركزوا رماحهم .

(٤) غيارى : جمع غيران من العيرة وهى الحمية والأفقه . يقال رحل غبير على أهله وكذلك غيران والأفقى فبرى ، والمشيح : الحدز المجذ المدرع إليك لمدامعة الموت أو الدفاع عن الحرم ، ومنه قوله .

أب لى همى وأنى بلائى      وأحدى الحمد بالمنى الريح

وقد امدى على المكروه منى      وضربى هامة البطل المشيح

(٥) يسى : أى سهل ويسر ، ومنه تسمى له كذا أى تسهل وتيسر ، وفك الشاعر :

وأعلم علما لى بالطن أنه      إذا الله سى عقد نى تيسرا

والمعنى : وأى تبعة ولوم عليها فى أن يسهل الطريق إلى وصلها مطاعة بالرماح فإن لم تمن فصارية بالسيوف

(٦) تراخ : كخفاف من قولهم فلا يراخ المعروف إذا أحدث له أريحية وحة ، ويلمع أى يلون بلون النجيع أى الدم ، يقول نحن لا سترج لوصل الغافيات إذا لم تدفع نحه من دم الأعداء .

(٧) النوم : مبالغة فى التمكن به عن سطوع الرائحة ، والأريج : ما يفوح من العطر ، ويشمع :

يمختلط ، والعجاج : العبار ، والملاّب : كسحاب العطر ، أى لا سترج إلى اشتاق عطره الساطع الأريج

إلا بعد امتشاق الحسام ، واختلاط ما تثيره سنابك الخليل من التراب ، بما يروح من رائحة الملاّب ، والمعنى أنه

لا يجب أن يظفر بتلك اللذائذ إلا إذا اغتمسها اعتصابا بحمد السيب . فهو لا يسئل الرية إلا بادم ولا يدشق

العطر إلا مشوبا بفبار الهيجاء .

وَكَمْ رَاسِلَ الْغَيْرَانِ يُهْدِي وَعِيدُهُ      فَمَا رَاعَهُ إِلَّا الطَّرُوقَ جَوَابُ<sup>(١)</sup>  
وَلَمْ يَذْنِبْنَا أَنَّ الرَّبَابَ عَقِيلَةٌ      تَسَانَدُ سَعْدُ دُونَهَا وَرِبَابُ  
وَأَنْ رُكِزَتْ حَوْلَ الْخُدُورِ أَسِنَّةُ      وَحَفَّتْ بِقُبِّ السَّابِحَاتِ قِبَابُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَوْ نَذَرَ الْحَيَّانِ غَيْبَ الشَّرَى بِنَا      أَكْرَرْتُ دُغَالِي أَوْ أَمَادَ كُلابُ<sup>(٣)</sup>  
وَلَيْلَةٌ وَافَقْنَا تَهَادَى فَنَمْتَرَى      أَيْسَمُو حَبَابُ أَوْ يَسِيدُ حُبَابُ<sup>(٤)</sup>  
يُعَذِّبُهَا عَضُّ السَّوَارِ عِمَصَمِ      أَبَانَ لَهَا أَنَّ النَّعِيمَ عَذَابُ  
لَأَبْرَحْتُ مِنْ شَيْحَانٍ حُطَّ لِثَامُهُ      إِلَى خَفِيرٍ مَا حُطَّ عَنْهُ نِقَابُ<sup>(٥)</sup>  
تَوَى مِنْهُمَا ثَنَى النِّجَادِ مُشَمِّعُ      نَجِيدُ وَمَيْلَاهُ الْوُشَاحُ كَمَابُ<sup>(٦)</sup>

(١) الميران : وصف من العيرة ، والطروق : طروق الحى بالليل ، وفي التمتع بلوصل رغم العبور يقول ابن الرومي .

ألا ربما سوت العبور وساء في      ويات كلانا من أحبسه على وحر  
وملت أنواراً عذاباً كأنها      يابيع حر حصبت لؤلؤ الحر

(٢) الف : جمع ماء وأنت والأف الساء ، من الخيل ، ومعنى هذا البيت والذي قلناه لم يصرفا عن زيارة هذه المحبوبة التي كفى عنها دلرب أن تساد هاتان القيلتان وتماوتتا دون لوصول إليها .

(٣) نذير به كمرح عليه فخره وعطالي وكلاب يضم أولهما يومان من أيام العرب ، أي لو علم بسرانا إليها هذان الحيان لسكان لنا معهما يومان كيومي عطالي وكلاب في الشهرة والمول .

(٤) يسمو : أي يرتفع للناظر إليه من بعيد فيستبينه وحاب — فافتح — توج الماء وطرائقه التي كأنها الوشي أو الدسيج وبالضم الحبة ، وسمو إليها حباب بالفتح وهو الماء في تدامعه وتموجه وإحداثه طرائق كطرائق النسيج وهو تمثيل لاحتلاص الخطأ في المنى ، والمعنى : وادكر ليلة وادما محتمة فشك أقبل نحونا حبيب أو تذاب البنا حبة . يقول : لقد كما لا ندرى أن تكون ليلتنا ليلة أس وافتشاط بقرب الحبة ، أم ليلة حرب وضراب بفرو أهدانا إياها ، وسمو الحباب : فيه إشارة إلى قول امرئ القيس :

سموت إليها — بعد ما نام أهلها — سمو حباب الماء . حالا على حل

(٥) لأمرحت : لقد أفرط في الحذر وتوقع موانة العدو ومشايخه ، والشيجان : العبور الحذر على الحرم ، والخمر : الحياء ، واللاثام : للرجل ، والقاب : للمرأة ، يقول : لقد وضعت اللثام عن وجهي وتمتعت بحبيب لم يرفع عنه وجهه نقاب ليرط حائه . ولقد كنت — إلى ذلك — دائم الحذر والتوقع لموانة العدو .

(٦) توى : أدم ، وثى السجاد : بكسر أولهما أي طلى الفرش والوسائد ، والمشيح : كمظام الشجاع ، والنجيد : الأسد — وهو يعنى بذلك منه — وميلاء الوشاح : يريد أن وذاحبابه ميل وانحدار لنهود ثديها وضبور كشحيها ، والكعاب : كسحاب التي كعب ثدياها — وهو يعنى بها حيتته — وفي معنى هذا البيت يقول الطمرائي :

وبنا على رغم العبور يسمنا      حياء حواشي بردها وردائيا  
وكانت إساءات الليالي كثيرة      فما برحت حق شكرنا الليالي

يُمَلَّلُ مِنْ إَغْرِيسٍ تَغْرِ يَعْلُهُ (١)  
إِلَى أَنْ بَدَتْ فِي دُفْهَةِ الْأَفْقِ غُرَّةٌ  
وَقَدْ كَادَتْ الْجَوَازُاءُ تَهْوِي فَخِلَتْهَا  
كَأَنَّ الثَّرْيَا رَايَةً مُشْرِعٌ لَهَا  
كَأَنَّ سُهَيْلًا فِي رِبَاوَةِ أَفْقِهِ  
كَأَنَّ الشَّمَا قَانِي الْحُشَاشَةِ شَفَّةٌ  
كَأَنَّ الصَّبَّاحَ اسْتَقْبَسَ الشَّمْسَ نَارَهَا  
كَأَنَّ إِيَّاهُ الشَّمْسُ بِشْرُ ابْنِ «جَهْوَرِ»  
هُوَ الْبَشْرُ شَمْنَا مِنْهُ بَرَقَ غَمَامَةٌ

غَرِيضٌ كَمَا الْمُزْنُ وَهُوَ رُطَابٌ (١)  
وَتَفَرَّ مِنْ جُنْحِ الظَّلَامِ غُرَابٌ (٢)  
ثَنَاهَا مِنَ الشَّعْرَى الْمَبْجُورِ جَنَابٌ (٣)  
جَبَانٌ يُرِيدُ الطَّعْنَ ثُمَّ يَهَابُ  
مُسِيمٌ تُجُومُ حَانَ مِنْهُ إِيَابٌ (٤)  
ضَنَى فَخُفَاتٍ مَرَّةً وَمَتَابٌ  
فَجَاءَ لَهُ مِنْ مُشْتَرِيهِ شِهَابٌ  
إِذَا بَدَلَ الْأَمْوَالَ وَهِيَ رِغَابٌ (٥)  
لَهَا بِاللَّهْمَا فِي الْمُعْتَفِينَ مَصَابٌ (٦)

(١) مَلَّلَ : أى يكرر من التمليل وهو حى الثرة مرة بعد مرة ، ومنه قول امرئ القيس :

فقلت لها سيري وأرخي زمامه ولا تمديني من حناك الممل

والأغريس : الطلع حمل ما ناله مكررا من نقييلها بمنزلة إغريس أبيض حلو تكرر جده ، ويطعه أى يسقيه مكررا ، والغريس : ماء الأسنان ، والرحاب : الرق المرشوف ، ولوا : وهو الريق مادام فى الدم .

(٢) الدفحة : سواد الليل ، والجرة : باض الصبح ، شبه الصبح فى استعجاله الدسى بمن يطير غرابا ، ويطير هذا قول ابن المعتز :

كأنا وصوء الصبح يستعمل الدسى يطير غرابا ذا قوادم حوت

(٣) الجوزاء : نجم يمتد فى جور السماء أى وسطه ، والشعري : شعريان « إحداهما » الشعري العبور وهى كوكب يطلع بعد الجوزاء وسميت العبور لأنها — كما يقال — عبرت السماء عرضاً ولم يعبر السماء عرضاً غيرها وهى التى عيها طائفة من العرب فى الحاعلية ، وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « وأنه هو رب الشعري » أى التى تعبدونها « والثانية » السبيضاء نقول العرب فى أحاديثها لأنها غمضت من تكائها على العبور ، وثناها : عطفا ، والجناب : الناحية والفناء .

(٤) سهيل نجم ، وراوة أئمة ما ارتفع منه ، ومسيم : اسم فاعل من ألام الأبل أى أرحاها ، شبه سهيلا فى اتحداره آخر الليل وراء المحوم براع حان منه رجوع ورواح .

(٥) إياة الشمس : بكسر الهزة وفتحها صوابا وحسنها .

(٦) اللهما : بالضم العطايا ، والمعنى : كالمافى حال العسل رالجود ، والمصاب : بالفتح نزول المطر مصدر ميمى من صاب المطر يصبوب إذا نزل .

جَوَادٌ مَتَى اسْتَعَجَلْتَ أُولَى هَبَاتِهِ  
غَنِيٌّ عَنِ الْإِبْسَاسِ دَرُّ نَوَالِهِ  
إِذَا حَسَبَ النَّيْلَ الزَّهِيدَ مُنِيْلُهُ  
عَطَايَا يُصِيبُ الْحَاسِدُونَ بِحَمْدِهِ  
مَوْطَأٌ أَكْنَافِ السَّمَاحِ دَنَتْ بِهِ  
فَرْزُهُ تَرَزُّ أَكْنَافَ غَنَاءِ طَلَّةٍ  
زَعِيمُ الْمَسَاعِي أَنْ تَلَيْنَ شَدَائِدُ  
مَهِيْبٌ يُغَضُّ الطَّرْفُ مِنْهُ لِأَذِنِ  
لَا بُلَجَ مَوْفُورِ الْجَلَالِ إِذَا أُحْتَبِ  
وَذِي تُدْرَا يَعْدُو الْعِدَا عَنْ قِرَاعِهِ  
إِذَا هُوَ أَمْضَى الْعَزَمَ لَمْ يَكُ هَفْوَةً

كَفَاكَ مِنَ الْبَحْرِ الْخِصَمِ عُبَابُ  
إِذَا اسْتَنْزَلَ الدَّرَّ الْبَكِيَّ عَصَابُ<sup>(١)</sup>  
فَمَا لِعَطَايَاهُ الْحِسَابِ حِسَابُ<sup>(٢)</sup>  
عَلَيْهَا ، وَلَمْ يُحِبُّوا بِهَا فَيُحَابُوا  
خَلَائِقُ زُهْرُهُ إِذَا أَنْفَ نِصَابُ<sup>(٣)</sup>  
أُرَبَّتْ بِهَا لِلْمَكْرُمَاتِ رِبَابُ<sup>(٤)</sup>  
يُمَارِسُهَا أَوْ أَنْ تَلَيْنَ صِعَابُ  
مَهَابَتُهُ دُونَ الْحِجَابِ حِجَابُ<sup>(٥)</sup>  
عَلَا نَظْرُهُ مِنْهُ وَعَزَّ خِطَابُ  
غِلَابُ فَهَمَّا عَزَّةٌ فَنِغْلَابُ<sup>(٦)</sup>  
يُوَعِّزُهُ عَنْهَا فِي الْأَتَامِلِ نَابُ<sup>(٧)</sup>

(١) الناقة البسوس : هي التي لا تدرك إلا على الإبساس بأن يقال لها « بس بس » تسكباً لها ، والدرا اللين ، والكي الناقة التي قل لبنها ، والمصاب : بالكسر شد تخدى الناقة لتدرك . يقول : إن نواله قريب ميسور لا يكحك مشقة ولا يحوذك إلى الخاب . (٢) حسب : عد ، والحساب : بالكسر بمعنى الكثرة الكافية صفة لعطاياه ، ومنه قوله تعالى « عطاء حساباً » أي كافي ، والمعنى : إذا عد العطاء القليل مثله ومعطيه ليحصى بها عطاياه الكثرة الكافية عد ولا إحصاء .

(٣) يقال رمل موطأ الأكشاف : كمطم أي سهل دمت الأحلاق سمع كريم ، والمصاب : كالصعب الأصل ، والمعنى : أنه سهل حوالب السباح يقربه منك ويدنو به إليك دماؤه أخلاقه وإن علا نصبه وسما أصله

(٤) البناء : الكثرة الشجر ، والطلحة : الروضة بلها الطل ، وأربت : من أرب بالمكان إذا لزمه والرباب السحاب . (٥) يقول : إن ابن جهور مهيب يعضى من مهابه ومع هذا فهو يمس طرفه حياء ، وهذا قريب من قول الفرزدق :

« يعضى حياء ، ويمضى من مهابته فلا يكلم إلا حين ينسم »

(٦) دو تدراً : يضم أوله أي صاحب عدة وقوة طلى دمع أعدائه عن نفسه ، وغلاب : أي مغالبة ، وعزه : غلبه ، وحلاب : من خلبه إذا خدعه ، وفي المثل « إذا لم تطلب فاخلب » .

(٧) يقول : إذا أمضى العزم لم يك هفوة بمعنى عليها أتامله ندماً وغيظاً .



عَزَائِمُ يَنْصَاعُ الْعِدَا عَنْ مُرَّهَا      كَمَا رَهَبَتْ يَوْمَ النَّضَالِ رِهَابُ<sup>(١)</sup>  
صَوَائِبُ ، رِيَشُ الْمُضَرِّ فِي جَنْبَاتِهَا      لَوَامُ ، وَرِيَشُ الطَّائِشَاتِ لُعَابُ<sup>(٢)</sup>  
حَلِيمٌ تَلَا فِي الْجَاهِلِينَ أَنَاثُهُ      إِذَا لِحْلُمُ عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ عِقَابُ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا عَثَرَ الْجَانِي عَفَا عَفْوَ حَافِظِ      بِنَعْمَى لَهَا فِي الْمُذْنِبِينَ ذِنَابُ<sup>(٤)</sup>  
شَهَامَةٌ نَفْسٍ فِي سَلَامَةِ مَذْهَبِ      كَمَا الْمَاءُ لِلرَّاحِ الشَّمُولِ قِطَابُ<sup>(٥)</sup>  
« بَنَى جَهْوَرٍ » مَهْمَا فَخَرْتُمْ بِأَوَّلِ      فَسِرُّ مِنْ الْمَجْدِ التَّلِيدِ لُبَابُ  
حَطَّطْتُمْ بِحَيْثُ أَسْلَنْتُمْ سَاحَةَ الْعُلَا      وَأَوْفَتْ لِأَخْطَارِ السَّنَاءِ هِضَابُ  
بِكُمْ بَاهَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءَ فَأَوْجُهُ      شُمُوسُ وَأَيْدٍ فِي الْمُخُولِ سَحَابُ

\*\*\*

أَشَارِحَ مَعْنَى الْمَجْدِ وَهُوَ مُعَمَّرُ      وَعَارِ مَعْنَى الْحَمْدِ وَهُوَ خَرَابُ<sup>(٦)</sup>  
مُحْيَاكَ بَذَرُ وَالْبَدُورُ أَهْلَةٌ      وَيُعْنَاكَ بِحَرِّ وَالْبُحُورُ ثِعَابُ<sup>(٧)</sup>  
رَأَيْتُكَ جَارَاكَ الْوَرَى فَعَلَبَتْهُمْ      لِذَلِكَ « جَرَى الْمَذْكِيَاتِ غِلَابُ »<sup>(٨)</sup>

- (١) الانصياع الرجوع أي رجع الأعداء عما أمره من العزائم خوفا ورهبة كما رهمت يوم النضال رهاب أي نضال رقيقة جمع رهب كحل . (٢) صوائب : صفة العزائم في البيت فله يريد أنها عزائم صائبة كالسهام ، واللعب : ريش السهم إذا لم يتدل فاذا اعتدل فهو أوام . (٣) وهذا ريب من قول المتنبي : « ترفق أيها المولى عليهم فان الرفق بالخاص عقاب »
- (٤) الدناب : بالسكر خيط يشد به ذنب البعير لئلا يخطر به أي يحركه يمينا وشمالا فيبلا راكمه ، أي أنه بما يسديه إلى الحنطة من تعمي يندهم من الوقوع في الدناب كما يتبع لدناب ذنب البعير عن تلويث راكمه بحطراته
- (٥) قطاب : بالسكر مزاج . (٦) معوس : خفي مشتبه ، ونعوى : المنزل .
- (٧) ثعاب : بالسكر جمع ثوب وهو العدير . أو هو مسيل الوادي ، وجمعه ثعاب ، قال ابن دريد : « والناس ضحاح ثعاب وأضى » ويجمع أيضا على ثعبان ، قال الحريري في أحاجيه إلى ذكرها في مقاماته : « أيجور الموضوع من ماء الثعبان » فليل : « وهل أحسن منه ثعربان »
- (٨) والمذكيات : والمذكيات بالضعيف — الجبل التي بلغت تمام السن ونهاية الشباب وفي المنزل : « جرى المذكيات غلاب » أي أن تغاب الجرى غلابا .

فَقَرَّتْ بِهَا مِنْ أَوْلِيَاكَ أَعْيُنُ      وَذَلَّتْ لَهَا مِنْ حَاسِدِيكَ رِقَابُ

\*\*\*

فَتَحَّتَ الْمُنَى مِنْ بَعْدِ إلهَامِنَا بِهَا      وَقَدْ صَنَعَ إِفْلِيدُهُ وَأُنْهَوْمَ بَابُ<sup>(١)</sup>  
 مَدَدَتْ ظِلَالُ الْأَمْنِ تَحْضُرُ تَحْتَهَا      مِنَ الْعَيْشِ فِي أَعْدَى الْبِقَاعِ شِعَابُ<sup>(٢)</sup>  
 حَتَّى سَأَلَتْ فِيهِ الْبُغَاثُ جَوَارِحُ      وَكَفَّتْ عَنِ الْبَهْمِ الرِّتَاجُ ذِتَابُ<sup>(٣)</sup>  
 فَلَا زِلْتَ تَسْعَى سَعَى مَنْ حَظَّ سَعْيِهِ      نَجَاحُ وَحَظُّ الشَّائِنِيهِ تَبَابُ  
 فَإِنَّكَ لِلدِّينِ الشَّعِيبِ لِمَلَامُ      وَإِنَّكَ لِلْمُلْكِ الثُّنَى لِرِثَابُ<sup>(٤)</sup>  
 إِذَا مَعَشَرَ أَلْهَاهُمْ جُلَسَاؤُهُمْ      فَلَهُوْكَ ذِكْرُ وَالْجَلْدِيسِ كِتَابُ<sup>(٥)</sup>  
 تُعْزِيكَ عَنْ تَهْرِ الصِّيَامِ الَّذِي أَتَقْضَى      فَإِنَّكَ مَفْجُوعُ بِهِ قُصَابُ  
 هُوَ الزُّورُ لَوْ تُعْطَى الْمُنَى وَضَعُ الْعَصَا      لِيَزْدَادَ مِنْ حُسْنِ التَّوَابِ مُنَابُ  
 شَهِدْتَ لَأَدَى مِنْكَ وَاجِبَ فَرْجِهِ      عَلِيمُ يَمَا يُرْضَى الْإِلَهِ نِقَابُ<sup>(٦)</sup>  
 وَجَاوَرْتَ يَتَى اللَّهِ أَنْسَاءَ مَعَشَرِ      خَشُوءَ فَخَرُّوا رُكْعًا وَأَنَابُوا  
 لَقَدْ جَدَّ إِخْبَاتُ وَحَى تَبْتُلُ      وَبَالَغَ إِخْلَاصُ وَصَحَّ مَتَابُ<sup>(٧)</sup>

(١) إلهام : اللب إعلافة ، وباب : مهمم أى مفلق ، والإفليد : المفتح .

(٢) أهدى : أعمل تفصيل من عديت الأرض يقال أرض هداة وهى الطيبة القربة الخالصة من الرزع البعيدة من ماء الأنهار والحداول ، والشعاب : جمع شعب بالكسر وهو الطريق فى الجبل ومسيل الماء ، يقول ، أنه مد طلال الأمن على البلاد النائية ، وحمل الخصب يمتد إلى الجهات البعيدة من مياه الأنهار .

(٣) البغاث : صغار الطير ، البهم : واحدها بهيمة بالفتح وهى أولاد الصان والمز والبتر . وهذا البيت من أبداع ما قرأناه فى وصف استنابات الأمن . (٤) الشعيب : المنفرد ، واثنى : العاسد من ثأى

يتأى فهو تأ ككسر إذا مسد ، ورتاب : جمع رؤبه وهى القطعة من الحشب يشعب بها الاناء ويسد بها ثلمة الجفنه (٥) يشير إلى قول المتنبي : « وخير جالس فى الزمان كتاب »

(٦) النقاب : بالسكسر العالم بالأمور .

(٧) الاخبات : مصدر اخبت إلى ربه اطمأن إليه وتغشع وتواضع ، والتبتل : الانقطاع إلى الله تعالى .

سَيَخْلُدُ فِي الدُّنْيَا بِهٍ لَكَ مَفْخَرٌ  
وَبُشْرَاكَ أَعْيَادُ سَيَنْمِي أَطْرَادُهَا  
تَرَى مِنْكَ سَرَّوَالْمَلِكِ فِي قَشْفِ الثَّقَى  
قَابِلٍ وَأَخْلِفَ إِنَّمَا أَنْتَ لَابِسٌ  
قَدَيْتُكَ كَمْ أَلْقَى الْفَوَاغِرَ مِنْ عِدَا  
عَفَا عَنْهُمْ قَدَرَى الرَّفِيعِ فَأَهْجَرُوا  
وَقَدْ تَسْمَعُ الْمَيْتَ الْحَحَّاشِ نَهَيْقَهَا  
إِذَا رَاقَ حُسْنُ الرِّوَضِ أَوْ فَاحَ طَيْبُهَا  
فَلَا بَرَحَتْ تِلْكَ الضَّغَائِنُ نَهْيًا  
يَقُولُونَ شَرِّقْ أَوْ فَعَرِّبْ صَرِيعةً  
فَأَنْتَ الْحَسَامُ الْعَضْبُ أَصْدَى مَتْنُهُ  
وَمَا السَّيْفُ مِمَّا يُسْتَبَانُ مَضَاوِهُ  
وَإِنَّ الَّذِي أَمَلْتُ كُدَّرَ صَفْوُهُ  
وَقَدْ أَخْلَفَتْ مِمَّا ظَنَنْتُ مَحَايِلُ  
فَنَ لِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ عَلَيْهِمُ  
لِيُخْزِيَهُمْ إِنْ لَمْ تَرِدْنِي نَبْوَةُ

وَيَحْسُنُ فِي دَارِ الْخُلُودِ مَأْبُ  
كَمَا أَطْرَدَتْ فِي السَّمْهَرِيِّ كِمَابُ  
فَيَبْزُقُهَا مَرَأَى هُنَاكَ مُجَابُ  
لِهَذِي اللَّيَالِي الْغُرِّ وَهِيَ ثِيَابُ  
قِرَاهُمُ - لِئِنْ أَرَادَ الْفَسَادُ ثِقَابُ <sup>(١)</sup>  
وَبَيَانَهُمْ خُلِقَ الْجَمِيلُ فَعَابُوا  
وَتَعَلَّى إِلَى الْبَدْرِ الشَّبَاحُ كِلَابُ  
فَمَا ضَرَّهُ أَنْ طَرَفَ فِيهِ ذُبَابُ  
أَفَاعَ لَهَا بَيْنَ الضَّلُوعِ لِحَابُ <sup>(٢)</sup>  
إِلَى حَيْثُ آتَى النُّفُوسَ نِهَابُ <sup>(٣)</sup>  
وَعُطَّلَ مِنْهُ مَضْرَبُ وَذَبَابُ <sup>(٤)</sup>  
إِذَا حَارَ جَفْنُ حَدَّهِ وَقِرَابُ  
فَأَضْحَى الرِّضَا بِالسُّخْطِ مِنْهُ يُشَابُ  
وَقَدْ صَفَرَتْ مِمَّا رَجَوْتُ وَطَابُ  
إِذَا لَجَّ بِالْخَصْمِ الْأَلَدُ شِفَابُ  
يُسَاءُ الْفَتَى مِنْ مِثْلِهَا وَيُرَابُ

(١) الفواغر : جمع فاغره من مفرغ إذا فتحه أراد بها المخاوف ، والثقاب : ما انثبت به البار واشعلتها به من صغار العيدان . يقول : نسي الدواؤك ، كم ألقى الكوارث من أعداء خبيثاء دوى مكر خفى في تدبير الفتن ، ودهاء في نصب الشراك . (٢) لصاب : بالكسر من لصب الجلد باللحم لرق به من شدة الهزال يريد أن ما يحملونه من ضغن له لدغ في صدورهم كلدغ الأفاعي سبب لهم الهزال . (٣) الصريعة : العزيمة وقطع الأسر ، والنهاب : بالكسر الغنائم جمع نهب . (٤) مضرب السيف : بالفتح والكسر ، وذبابه : بالضم حده .

فَقَدْ تَتَغَشَّى صَفْحَةَ الْمَاءِ كُذْرَةً  
سُرُورُ الْغِنَى مَا لَمْ يَكُنْ مِنْكَ حَسْرَةً  
وَإِنْ يَكُ فِي أَهْلِ الزَّمَانِ مُؤْمِلٌ  
أُبْعُورُ مِنْ جَارِ السَّمَاءِ كَيْنِ جَانِبِ  
فَاتِنَ ثَنَاءٍ يَهْرَمُ الدَّهْرُ كَبْرَةً  
سَابِكِي عَلَى حَظِّي لَدَيْكَ كَمَا بَكِي  
وَأَشْكُو بُؤْسَ الْجَنْبِ عَنْ كُلِّ مَضْجِعٍ  
فَتَقِ يَهْزُرُ الشَّعْرُ وَأَصْفَحَ عَنِ الْوَرَى  
وَلَا تَعْدِلِ الْمُشِينِ بِي فَأَنَا الَّذِي  
يَتُوبُ عَنِ الْمَدَاحِ مِنِّي وَاحِدٌ  
وَرَدْتُ مَعِينَ الطَّمْعِ إِذْ زِيدَ دُونَهُ  
وَتَحَدَّنِي عِلْمُ تَوَالَتِ فُتُونُهُ  
فَعُدَّ بَيَّارٍ يَيْضَاءُ يَعْصِدُ صِدْقُهَا  
وَحَاشَاكَ مِنْ أَنْ تُسْتَعْمَرَ مَرِيرَةٌ

وَيَعْطُو عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابٌ<sup>(١)</sup>  
وَأَرَى الْمُنَى مَا لَمْ تُنَلْ بِكَ صَابٌ<sup>(٢)</sup>  
فَأَنْتَ الشَّرَابُ الْعَذْبُ وَهُوَ سَرَابٌ  
وَيُمَعِرُ فِي ظِلِّ الرَّيْسِ جَنَابٌ<sup>(٣)</sup>  
وَحَلِيَّتُهُ فِي الْغَابِرِينَ شَبَابٌ  
رَبِيعَةٌ لَمَّا ضَلَّ عَنْهُ ذُؤَابٌ  
كَمَا يَتَجَانَى بِالْأَسِيرِ ظَرَابٌ<sup>(٤)</sup>  
فَإِنَّهُمْ - إِلَّا الْأَقْلَ - ذُبَابٌ  
إِذَا حَضَرَ الْعَقْمُ الشَّوَارِدُ غَابُوا  
تَجِيعُ الْخِصَالِ لَيْسَ عَنْهُ مَنَابٌ  
أَنْسُ لَهُمْ فِي حَجَرَتَيْهِ لُؤَابٌ<sup>(٥)</sup>  
كَمَا يَتَوَالَى فِي النِّظَامِ سِخَابٌ<sup>(٦)</sup>  
فَإِنْ أَرَا جَيْفَ الْمُسَدَاةِ كِذَابٌ  
لِمَهْدِكَ أَوْ يَخْفَى عَلَيْكَ صَوَابٌ<sup>(٧)</sup>

(١) غطا ، غطوا : ستر والاضباب سحاب رقيق يشبه الدخان .

(٢) الأرى : المثل ، والصاب : شجر سر واحدته صابه .

(٣) أعور : من أعور المكان إذا بدت منه عورة ، ويميز : أى يصاب ومنه المذراء للأرض الصلبة .

(٤) الطرب : ككذب ما مأ من الحجاره وحده خمره والجمع طراب بالسكس .

(٥) ديد : بالناء للجهول منع ، والحجرة : منع مسكون الناجية ، ولواب : فالضم عطش ، والمعى : أنه طبع

على الشعر وورد ميم الطمع في حين أن عيه من الشعراء حبس عن وروده فله في حابيه لواب أى عطش

(٦) المسجد : كمقله الذى حرب الأمور وقامها مقله وعلمته التجارب ومثله المسجد بالذال المعجمة ،

والسخاب : بالسكس المعمد . (٧) المرير : والمريرة الحبل ، والاستمرار إحكام فله ، يقول أحاشاك

أن أدعوك إلى إصلاح حادث من مهديك ، أو يخفى عليك وجه الصواب .

## بعد خمسمائة يوم في السجن

« نظم ابن زيدون هذه القصيدة في مدح ابن جهور واستعطافه ،  
وقد وردت في آخر رسالته الجديدة التي بعث بها إلى ابن جهور (١)  
بعد أن مهد لتلك القصيدة بقوله مخاطبا ابن جهور :

وإنك إن سنيت عقد أمري تيسر (٢) ، ومتى أعتذرت (٣)  
في فك أسري لم يعتذر ، وعلمك محيط بأن المعروف ثمرة النعمة ،  
والشفاعة زكاة المروءة ، وفضل الجاه تعود به صدقة (٤)

وإذا امرؤ أهدي إليك صنعة من جاهه ، فكأنها من ماله  
لعل ألقى العصا بذراك (٥) ، وتستقر في النوى في ظلك ، وأستأنف  
التأدب بأدبك ، والاحتمال على مذهبك ، فلا أوجد للحاسد مجال  
لحظه (٦) ، ولا أدع لقادح مساغ لفظه ، والله ميسرك من إطلابي (٧)  
بهذه الطلبة ، واشكائي من هذه الشكوى بصنعة تصيب منها  
مكان المصنع ، وتستودعها أحفظ مستودع ، حسبا أنت خليق له ،  
وأنا منك سري به ، وذلك بيده ، وهين عليه .

ولما توالى غرر هذا النثر واتسقت (٨) درره ، فوز عطف  
غلاوته ، وجر ذيل خيلائه (٩) ، عارضه الظام ماهيا ، بل كايده  
مداهيا ، حين أشفق من أن يعطفك استعطافه ، وتميل بنفسك  
الطافه ، فاستحسن العائدة منه ، واعتد بالعائدة له ، وما زال

(١) وقد أثبتنا هذه الرسالة في مكان آخر من الكتاب فليرجع إليها القارئ إذا شاء .

(٢) ان يسر ما تعقد من أمري تيسر وسهل . (٣) قبلت العذر .

(٤) قال الشاعر :

قد نصب العنول أن الشفقة على الصديق والعدو صدقة  
وأفصل المالم عند الله من ساعد الناس بفضل الجاه  
ومن أعات البائس الملهوفا أعاته الله إذا أخيم

(٥) و كعك . (٦) فلا يجد الحاسد سبيلا إلى الشهامة في وعتنه بالغر إلى وأنا منكوب .

(٧) أسماقي واتألفي ما أبخيه . (٨) انتظمت . (٩) كبره ورموه .

يستكد الذهن العليل ، والخطر الكليل حتى زف إليك عروسا  
مجلوة في أنوابها ، منصوصه (١) بحليها وملابها (٢) وهامى القصيدة «

الهوى فى طلوع تلك النجوم . والمنى فى هبوب ذاك النسيم .  
سرتنا عيشنا الرقيق الحواشي لو يدوم الشروور للمستديم .  
وطر ما انقضى إلى أن تقضى زمن ما ذمامه (٣) بالذميم (٤)  
إذ ختام الرضا المسوغ منك . ومزاج الوصال من تسنيم .  
وغريض الدلال (٥) غرض (٦) جنى الصبوة (٧) نشوان من سلاف (٨) النعيم .  
طالما نافر الهوى (٩) منه غر (١٠) لم يطل عهد جيده بالثميم (١١)

\* \* \*

أيها المؤذنى بظلم الليالى ليس يوزى بواجد من ظلوم (١٢)  
قمر الأفق - إن تأملت - والشمس هما يكسفان دون النجوم

(١) مرموعة .

(٢) اللاب : الرحرا . قال الشاعر : « كالخفة الصفراء ما كعيرها بملابها »

(٣) ذمامه : عهده . (٤) لم يقض لنا ودر من المرور بتلك الحياة الباعمة والعيش الرغد

حتى تولى ذلك الزمن غير مدموم المهد . (٥) وذلك الدلال اللطيف الحس .

(٦) الغرض : الطرى ، الناعم : الناضر . (٧) الهوى . (٨) حمر .

(٩) نافر الهوى : خاله . (١٠) لم يجرب الأمور .

(١١) التميم : جمع تميمه ، وهو العود : جمع عودة . أى الحرزات ونحوها مما يطاق على الصبي ليس

هذه العين ، وقد أنكر الاسلام ذلك ، وى هذا يقول القائل :

وإذا النية اشبت أظفارها الفيت كل تيممة لا تمنع

ومضى ذلك البيت : أب حبيبه قد طاحى الهوى وجافاه لأنه غر حدث لا يزال قريب المهد بالتمام ، فهو  
لا ينفك كإزال النار لمرارته وحدثه عهده .

(١٢) أيها المحبى بما تدخره لى الليالى من كيد ، رويدك لا تخفى بذلك طلت يحاق يوما على دهرى

لأننى ألت منه الظلم دائما .

وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْحُو بِالمَصَابِ العَظِيمِ نَحْوِ العَظِيمِ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

بَوَّأَ اللهُ « جَهْوَرًا » شَرَفَ السُّو  
وَأَحَدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْأَمْرُ  
قَلَدَ النُّمْرِ<sup>(٢)</sup> ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ  
خَطَرٌ يَفْتَضِي الكَمَالَ بِشَوْعَى  
دَدٍ فِي السَّرْوِ<sup>(٣)</sup> وَالْأَبَابِ الصَّيِّمِ<sup>(٤)</sup>  
رَ، فَكَانَ الْخُصُوصُ<sup>(٥)</sup> وَفَقَ الْعُمُومُ<sup>(٦)</sup>  
وَأَكْتَفَى جَاهِلٌ بِعِلْمِ الْعَلِيمِ<sup>(٧)</sup>  
خُلُقٍ بَارِعٍ وَخُلُقٍ وَسِيمِ<sup>(٨)</sup>

\* \* \*

أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرُ هَا أَنَا أَشْكُو وَالْمَصَلَّ بَدَأَ قَرَعَهَا لِلْحَلِيمِ<sup>(٩)</sup>

(١) أكثر الشعراء من ذكر هذا المعنى في صور مختلفة ، وكادوا يذكرونه بمس هذه الألفاظ ، وقد ذكره أبو تمام بأسلوب آخر فقال :

لا نكرى عطل الكريم من العلى فالسبيل حرب المكاث العالى

ومنه قول أبي العلاء :

والخط يهباح الخليل وكم شكا نأ على ، ما شكاه قنبر

(٢) المروءة . (٣) المحسن : الخالص . (٤) الخصوص : الخاصة ، قال الشاعر :

أبلغ حليلى عند هند ولا رلت قريباً من سواد الخصوص

(٥) اتفق الخاصة والعامة على تسليمه مقاليد الأمور (٦) النمر : بالضم والمج ، الذى لم يحرب الأمور

(٧) سلم الجميع مقاليد أمورهم إليه ، واتفق علمهم وحاصتهم على الاعتراف له بالفضل وأولو العلم عرفوا بالعلم وسله ، ثم تلدهم في ذلك الجاهلون ، واكتفى النمر الجاهل بعلم الخبير المجرب ، قالوا : وابن ربدون ينظر من طرف حتى إلى قول البحرى :

ودوو الفضل يجمعون على فضلك من بين سيد ومسود

عرف العالمون فضلك بالعلم سم وقال الجهمال بالتقليد

(٨) خطر : شرف وارتفاع قدر ، وعلو منزلة ، يقتضى الكمال : يستلزم الكمال وبلوغ العاية

لما أحرزه من جلال السجاية ، ووسامة الخيانة .

(٩) والمصا بده قرعها للحليم : تصدين للمثل العربى المشهور : « إن المصا قرعت لدى الحليم » وهم

يضربون هنا المثل للذكي الذى إذا نبهته انتبه .

مَا عَنَّا أَنْ يَأْتِفَ السَّائِقُ الْمَرْ  
وَبَقَاءَ الْحُسَامِ فِي الْجَفْنِ يَثْنِي  
أَفْصَرُ مِثْنَيْنِ خَمْسًا مِنَ الْأَيَّامِ  
وَمَعْنَى مِنَ الضَّغْنِ يَهْنَأُ  
سَقَمٌ لَا أَعَادُ فِيهِ وَفِي الْعَا  
نَارُ بَغْيٍ سَرَى إِلَى جَنَّةِ الْأَمْنِ أَظَاهَا فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ

\*\*\*

بَابِي أَنْتَ - إِنْ تَشَأْ - تَكُ بَرْدًا وَسَلَامًا كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ

(١) السابق : الفرس ، المربط : اسم مكان - بكسر العين وفتحها - والعق في الخيل : الكرم ، والتطعيم : تمام الحس فيها يشبه نفسه - وهو على هذه الحال من الاعتقال - بالصاد الذي سُم مكاه الذي ربط فيه - لفتقه وكرمه ، وقد وحد هذا اليب في ديوانه على هذه الصورة :

..... يَأْتِ الْمَرْبُطُ فِي الْمُتَقَمِّهِ وَالتَّطْعِمِ

ما كُتِبَ مما ورد في الروايات الأخرى .

(٢) المعنى : المعبوس من التعبية وهي الحبس الذليل ، والعسى : المرض لللارم ، والهات : جمع هنة وهي الشدائد أو كنى بها عن الأشياء ، وسكأت : أى قشرت الخرج قبل أن يبرأ فأدنته ، والكوم : الحراحت والعبي : ومحبوس من المرض لللارم بسبب أشياء ألبت قرح حراحتة بخراحت أخرى ، يريد أن صاء السجن أسيب إليه صاء المرض فهو في محبين ، يعانى ألم شديدين .

(٣) أى سرس لا يعودنى فيه - وأما في السجن - طأء وق عيادة من يرورنى ما يكى ويى شئائى لو أمكن ذلك (٤) أى نار بى وطم استمر لطاها في حنة الدعة والراحة والأمن فأصبح كالصرم : أى كالليل في السواد بعد الاحترق ، وفيه تلميح إلى قصة أصحاب الجنة المذكورة في قوله تعالى في سورة الفلم « إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصيبين » الآيات ١٧ : ٣٣ وهم قوم كانت لأبهم هذه الجنة مكان يأخذ منها قوت سنته ويتمدد في الباقي ، فلما مات رأى بوه أن يستأروا بها لأمهم وعيالهم فخذوا ليصرمنها مصيبين ، أى ليقطع ثمارها مبكرين في الصبح خفية عن أهلي المساكين « مظاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبح كالصريم » أى احترقت فصارت في السواد كحمية الليل .

(٥) أديك أب أيها الممدوح بآي ، إن تشأ تكن تلك النار التي صرت إلى حنة الأمن برداً وسلاماً فلا تحترق كنار إبراهيم إذ قدف فيها ناسم نمرود فكانت برداً وسلاماً عليه فلم يخرق ، وفيه تلميح إلى قوله تعالى « قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم » .



لِلشَّفِيعِ الشَّاهِدِ ، وَالْحَمْدُ فِي صَوْنِ بِي الْحَيَا لِلرِّيَّاحِ ، لَا لِلْغَيُومِ (١)  
وَزَعِيمٌ بِأَنْ يُذَلَّ لِى الصَّعْبُ مَثَانِي إِلَى الْهُمَامِ الرَّعِيمِ (٢)  
وَوِدَادٌ يُغَيِّرُ الدَّهْرَ مَا شَاءَ ، وَيَبْقَى بَقَاءَ عَهْدِ الْكَرِيمِ -  
وَتَنَاءٌ أَرْسَلْتُهُ سَلَوَةَ الظَّا عَنِ عَن شَوْقِهِ وَلَهُوَ الْمُقِيمِ (٣)  
فَهُوَ رِيحَانَةُ الْجَلْدِيسِ - وَلَا فَخْرَ - وَفِيهِ مِزَاجُ كَأْسِ النَّدِيمِ -  
لَمْ يَزَلْ مُخْضِيًّا عَلَى هَقْوَةِ الْجَا نِي مُصِيخًا إِلَى أَعْتِدَارِ الْكَرِيمِ -  
وَمَتَى يَبْدَأِ الصَّبِيغَةَ يُؤَلِّمُكَ تَعَامُ الْخِصَالِ بِالسَّمِيمِ (٤)

(١) أى الشفيع الشاهد والحمد لا للشفورع إليه ، كما ان الحمد في نزول المطر للرياح التي تؤلب من الغيوم فينزل المطر بسببها لا لغس الغيوم ، وهو كقول البحري :

حار حدى وللرياح اللواتي تحلب العيث مثل حمد الغيوم

(٢) كعيل بتذليل ما استصعب تدليله رجوعى إلى الهمام الرئيس . وقد ورد في بعض النسخ البيت التالي بعد هذا البيت :

أمل برغم الحفاء إليه وهو ثبت للمقام ماضى العزم

(٣) أى مدح أرسلته يسار على السنة الناس مسير المثل إذا تلاه الذاعن تلى به من شوقه إلى وطنه وحنينه إلى أهله ، وإذا تلاه المقيم كان فيه لهوه وألسه .

(٤) أى متى يبتدئك الحبل تغرك خصاله التامة ، وتحملك أخلاقه الكاملة على المطالبه بتعيم ما ابتدأك به من معروف ، وتكمل ما شرع فيه من صنع يرمد - بعبارة أوضح - أن ماله عليه من نعمة متدأة ، ويد سابقة يبعث في نفسه أملا قويا في إتمام تلك النعمة بانجاز ما وعده به ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

هذا سحاب أنت سقت غمامه فعليك - بمد الله - فيس غمامه

إن ابتداء العرف مجد باسق والمجد - كل المجد - في استتمامه

وقرب منه قول المتنبي :

ولم أرى عيوب الناس عيباً كدس القادرين على التمام

وقول الفاتل :

إذا أسديت مكرمة فأقم فان البدر يسطع بالتمام

## من قصيدة صنعها بَطْلَيْوَس (١)

« قال هذه القصيدة عند فراره من الدجن والتجائه إلى بى عاد باستبيلية سنة ٤٢١ هجرية ، وكان قد وافاه الفطر بالأضنى وهو على حاله من الذكرى والشوق إلى معاهد قرطبة ، كان يخرج إليها في العيد ، ويتعرج بمفارهما ، ويلهو بمحاسنها مع من يهوى ، وقد أذكى تذكرها في فؤاده لاعج الشوق ، وبه كامن الوجد ، فأخذ يذكرها ممهداً ممهداً ، ويصف ما حلفت في نفسه من الأثر ، ويبين ما أثارته دواعي الذكرى في ناله من العصابة والأسى والشوق ، ويقول صاحب ثلاث العقيان في هذه الأماكن التي يذكرها بهد : — « هذه معاهد لبي أمية سميت بها ليالي وأياما ، وظلت فيها الحوادث عنهم نياما ، فهاموا ( بفرق العقاب ) وشاموا به برقاً يدو من تقاب ، ونعموا ( بحوى الرصاة ) ، وطعموا عيشاً تولى الدهر حلاؤه وزفافه ، وأنعدوا صبح الباصح ، ووجدوا أمس ( مجلس ناصح ) ، وعموا ( بالزهراء ) ، وصمدوا من نبأ صاحب ( الرواء ) حتى رحلهم الموت عنها وقوضهم ، وعوضهم منها ما عوضهم » إلى آخر ما قال .

خَلِيٍّ لَا فِطْرُهُ يَمُرُّ وَلَا أَضْنَى      فَا حَالُ مَنْ أَمْسَى مَشُوقًا كَمَا أَضْنَى  
لَنْ شَاقِي (شَرِقُ الْعُقَابِ) فَلَمْ أَزَلْ      أَخْصُ بِمَحْوُضِ الْهَوَى ذَلِكَ السَّقْمَا (٢)  
وَمَا أَنْفَكْ جُوفِي (الرِّصَافَةَ) مُشْعِرِي      دَوَاعِي ذِكْرِي تُعْقِبُ الْأَسْفَ الْبَرَحَا (٣)

(١) بطليوس : بسحيتين وسكون اللام ، وياء مصمومة ، وسين مهملة مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر « آنه » قربى قرطبة كما في معجم البلدان . (٢) العقاب : بالضم العلم الضخم والصخرة العظيمة في عرض الجبل اسم موضع بقرطبة ، ومحووس الهوى : خالسه .

(٣) ( حوى الرصاة ) : الجوى بضم الجيم الواسع الجوف . قال في اللسان وثىء حوى أى واسع الجوف ، ودلاء حوف : أى واسعه ، و ( الرصافة ) : بضم راء اسم لعدة مواضع منها بالأندلس موضعان أحدهما بليدة صديرة عند المنسية ينسب إليها الرءاء الأندلسى الرصافى الشاعر المشهور والأخرى وهي التي ذكرها هنا عند قرطبة أنشأها عبد الرحمن الداخل أول ملوك الأندلس من بى أمية وسماها رصافة جده هشام بن عبد الملك بن مروان التي كانت بالشام كما يؤخذ من ابن خلدان ، فقلنا من كتاب لياقوت الحموى اسمه « المشترك وشما الخلف صما » ، والبحر : بفتح فسكون العذاب والشدة وصف به الأسف بمبالغة والمراد أنها تعقب أسفاً مبرحاً شاقاً شديداً .

وَيَهْتاجُ ( قَصْرُ الْفَارِسِيِّ ) صَبَابَةً      لِقَلْبِي لَا تَأْلُو زِنَادَ الْأُسَى قَدْحًا <sup>(١)</sup>  
وَلَيْسَ ذَمِيمًا عَهْدُ ( مَجْلِسِ نَاصِحٍ )      فَأَقْبَلَ فِي قَرْطِ الْوُلُوعِ بِهِ نَضْحًا  
كَأَنِّي لَمْ أَشْهَدْ لَدَى ( عَيْنِ شَهْدَةٍ )      نَزَالَ عِتَابٍ كَانَ آخِرُهُ الْفَتْحَا <sup>(٢)</sup>  
وَقَائِعُ جَانِبِهَا التَّجَبُّى فَإِنْ مَشَى      سَفِيرُ خُضُوعٍ يَدْنِنَا أَكْذَابُ الصُّلْحَا <sup>(٣)</sup>  
وَأَيَّامُ وَصِلِ ( بِالْعَقِيقِ ) اقْتَضَيْتُهُ      فَإِلَّا يَكُنْ مِيعَادُهُ الْعِيدَ فَالْفِصْحَا <sup>(٤)</sup>  
وَأَصَالَ لَهْوٍ فِي مُسْنَنَةِ مَالِكٍ      مُعَاطَاةً نَدْمَانٍ إِذَا شِئْتُ أَوْ سَبَحَا <sup>(٥)</sup>  
لَدَى رَاكِدٍ يُضْبِيكَ مِنْ صَفَحَاتِهِ      قَوَارِيرُ خُضْرٍ خِلَتْنَهَا مُرَدَّتْ صَرْحَا <sup>(٦)</sup>

(١) يقول : تثير ذكرى قصر الفارسي لقلبي صباية لانفتر من قدح زناد الحزن ، والرناد : ما يقصد به النار

(٢) يعنى أنه عباً لمحبوبته فى هذا المكان حبش عتاب أحرز به نصراً عليها وفتحاً .

(٣) التجبى ادطاؤها عليه دنبا لم يفعله ، والسفير المصلح بين القوم ، والمعنى أن هناك وقائع جابها ادطاؤها الذنوب عليه كان خضوعه فيها رسول سلام لتوكيد الصلح بينهما . (٤) يقال اقتضيت الدين أى قبضته وأخذته ، والفصح بالكسر عيد النصارى ، والمعنى أن أياما معلومة من السنة كنت أحصل فيها ( بالعقيق ) على الوصل واقتضيه فى ميعاده كما يقتضى أى يقم من الغريم دينه ، فإن لم يكن ذلك الاقتضاء موعده العيد فالفصح . (٥) الأصال : جمع أصيل وهو ما بعد العصر إلى المغرب ، والسنة : سدة

ينبى فى وسط الوادى لاحتجاز الماء ورد ما لا يعلب منه ومنعه عن الحرى فى طريقه المعتاد ، له أبواب تفتح لإطلاق الماء بحسب الحاجة ، وهى العرم . قال فى الصحاح ، « والسنة العرم لا واحد له من لفظه » ، والمعنى أنه يذكر تلك الأيام التى ياهو بها مع الأصيل فى تلك السنة الملكية مرة بمعاطاة الراح إذا شاء ، وأخرى بالسبح والعموم فى الماء ، وهذا مما يثبت أنهم كانوا يبنون ( الحزانات ) لاختصاب الأرض وإمداد البرك بالماء بعد ثعلبته . (٦) قال بعض المفسرين فى قوله تعالى ( قيل لها ادخلى الصرح ) . الصرح : بلاط اتخذ لها من قوارير ، ومن معانى الصرح الساحة أيضا ، فكانه أراد تشبيه ماء السنة الراكد فى خضرته واسوائه بزجاج أخضر مرد ( بالشديد ) أى ماس صرحا أى ساحة مستوية من زجاج .

مَعَاهِدُ لَذَاتٍ وَأَوْطَانُ صَبْوَةٍ      أَجَلْتُ الْمُعَلَى فِي الْأَمَانِي بِهَا قِدْحًا<sup>(١)</sup>  
 الْآهَلُ إِلَى (الزَّهْرَاءِ) أَوْبَةً نَازِحٍ      تَقَضَّى تَنَائِيهَا مَدَامِعُهُ نَزْحًا<sup>(٢)</sup>  
 مَقَاصِيرُ مُلْكٍ أَشْرَقَتْ جَنَائِمُهَا      فَخَلْنَا الْمِشَاءَ الْجَوْنَ أَثْنَاءَهَا صُبْحًا<sup>(٣)</sup>  
 يُمَثِّلُ قُرْطَيْنَا لِي الْوَهْمُ جَهْرَةً      فَتَبَّهَا فَالْكَوْكَبَ الرَّحْبَ فَالْسَّطْحًا<sup>(٤)</sup>  
 مَحَلُّ أَرِيَّاحٍ يُذَكِّرُ الْخُلْدَ طَبِيبُهُ      إِذَا عَزَّ أَنْ يَصْدَى الْفَتَى فِيهِ أَوْ يَضْحَى<sup>(٥)</sup>

(١) القدح : بكر فكون واحد البهام التي كانوا يستقسمون بها الحزور في الميسر ، وكانت قداح الميسر عشرة ثلاثة منها غمل ، وسبعة من دوات الاصماء ، وكان المولى أوفرها حظا له سبعة أجزاء من الحزور ، فإذا أقال يخرج القداح يده في الخريطة ، وأخرج المولى باسم أحد المتقامرين كان هو الفائز بأكبر الأقسام وأوفر الخطوط . يقول : هذه معاهد لذات قضيت فيها من اللذات ، وبلغت فيها من الأمان ما حمل قدسي منها المولى . (٢) الزهراء من عتبت أمه الدنيا أنشأها أبو المظفر عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن الحكم بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي الملقب بالناصر أحد ملوك بني أمية بالأندلس بالقرب من قرطبة في سنة ٣٢٥ هـ والمسافة بينها وبين قرطبة ستة أميال تقريبا ، وطول الزهراء من الشرق إلى الغرب ٢٧٠٠ ذراع ، وعرضها ١٥٠٠ ذراع ، وعدد الدواب التي فيها ٣٠٠ : سارية ، وأبنائها نحو ١٥ نارا ، وكان الناصر يقيم على صارتها ثلث حياهه بلاد الأندلس التي كانت تبلغ في ذلك الوقت نحو ستة ملايين من الدنانير ، وهي من أحسن مناره الدنيا وأبدعها ، وقد أكثر أهل قرطبة في وصفها وما قاله الشعراء فيها ، ولهم في ذلك تصانيف ، والأوبة : الرحوع ، والنازح : البعيد ، وتقضى أحد وتناول حقه من غريمه ، وهي المدامع هنا ، والنزح : من نزع الثمر ، وهو استنزاف مائها ، ورأيت في بعض النسخ ( تقصت مآيها مدامعه سحفا ) (٣) المفصورة : ناحية من البناء على حياها تقصر على الملك ، أو على صاحب الدار ، أو هي الدار الواسعة المحفنة ، وتجمع على مآصر ومقاصير ، والجنات : جمع جنه كسدة وسعدات ، وفي اللسان ما يفيد اختلاف اللعوبين في إسكان النون وفتحها في المفرد ، وقيل عن ابن جني قوله : وقد غرى الناس بقولهم ، أنا في ذراك وحببتك بفتح النون قال والصواب إسكان النون ، واستشهد على ذلك بقول أبي صعقره البولاني :

فما نظمة من حبّ مزن تفادفت بها حنينا الجودي والليل دامس  
 بأطيب من فيها وما دقت طعمها ولكني فيما ترى العين فارس

والجود : هنا الأسود ، والمعنى أن تلك المقاصير أسيئت نواحيها بالمصابيح والسرج ، فحنينا المشاء في داخلها صمعا (٤) يمثل له اليوم هذه المواضع من الزهراء كأنه يراها جهرة (٥) في بعض النسخ من بدل من وفي بعضها بفتى بدل يصدى ، ولعلها مصدرة عن يمرى ، والأنشبه بالصواب ما هنا ، ومعنى البيت أن

هَتَاكَ الْجِمَامُ الزُّرْقُ تَنْدَى حِفَافَهَا      ظِلَالُ الْعَهْدِ الدَّهْرُ فِيهَا فَتَى سَمَحًا<sup>(١)</sup>  
تَعَوَّضْتُ مِنْ شَذْوِ الْقِيَانِ خِلَالَهَا      صَدَى فَلَوَاتٍ قَدْ أَطَارَ الْكَرَى ضَبَحًا<sup>(٢)</sup>  
وَمِنْ حَمَلِي الْكَأْسَ الْمَفْدَى مُدِيرُهَا      تَقَحَّمُ أَهْوَالٍ حَمَلْتُ لَهَا الرُّنْحَا  
أَجَلٌ إِنْ لَيْلِي فَوْقَ شَاطِئِ نَيْطَةٍ      لَأَقْصُرُ مِنْ لَيْلِي بِآتَةٍ فَالْبَطَحَا<sup>(٣)</sup>

### في الغزل

عَلَامَ صَرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ وَضُولٍ      فَدَيْتَكَ وَأَعْتَزَّتْ عَلَى ذَلِيلٍ<sup>(٤)</sup>  
وَفِيمَ أَتَيْتَ مِنْ تَعْلِيلٍ صَبَّ      صَبِيحِ الْوُذْ ذِي جِسْمٍ عَلِيلٍ  
فَهَلَّا عُدَّتْنِي إِذْ لَمْ تُعَوِّذْ      بِشَخْصِكَ بِالْكِتَابِ أَوِ الرَّسُولِ<sup>(٥)</sup>  
لَقَدْ أَغْيَا تَلَوْنُكَ أُخْتِيَالِي      وَهَلْ يُغْنِي أُخْتِيَالٌ فِي مَلُولٍ<sup>(٦)</sup>

الزهراء محل ترناح النفس إليه يذكر طيبه حة الحلد حيث يمتنع أن يصدى التي أى يعطش أو يصحى أى يبرز للشمس ، وميه الاشارة إلى قوله تعالى « إِنَّ لَكَ أَلَا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى وَأَمَّا لَا تَطْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى » ولا شك أن الجوع ، والعرى ، والظما ، وعدم السكن أركان الشقاء فى هذه الحياة وبدونها يكون العم والراحة والسعادة ، وأن الشخص فى الحياة الدنيا معنى بطلب هذه الأشياء بخلافه فى دار العيم والحلد ، وقد توفرت له فى الزهراء أسباب الراحة والعيم فادكره ذلك جنة الحلد .

(١) الحمام : جمع حمة ، وهى مكان اجتماع الماء ، والزرق : صفة للجمام بمعنى المياه المكنمة ، وحفافها : حوانها وما يطيب بها من حولها ، والمعنى هناك فى الزهراء البرك ذات الأمواه الزرق تظللها حفافها وحولها ظلال بليلة ندية (٢) أى أدلت من سماع صوت المنيات خلال تلك النوادى الآهله بأواع الطرب سماع صدى هذه الفلوات الخفة يتردد فيها ضجج العاديات من الحيل فيطير النوم من العين (٣) نيطه وآه : نهران (٤) يقول : لماذا قطعت حل مع دائم الوصال لك ولماذا تكبرت على صدىك الخاضع الذليل .

(٥) هلاعدنى بالكتاب أو الرسول إذ لم يكن من عادتك أن تمودنى بشخصك .

(٦) من أجل ما قرأناه فى هذا المعنى قول العباس بن الأحنف :

لو كنت طائفة لكن لوعتى      أملى رضاك وزرت غير معاتب  
لكن مللت فليس لى من حيلة      صدى للؤلؤ خلاف صدى العاتب

وقرب منه قول ابن الرومى :

ولكنكم كنتم تريدون علة      فهاجكم أدنى عتاب إلى الصدى  
أردت صلاح القبل بالبعد فانبرى      لنا ظالمكم فاستفسد القبل بالبعد

## بين صديقين

« كتب اليه ذو الوزارتين أبو عامر معاتبا :  
 تباعدنا على قرب الجوار  
 كأننا صدنا شحط المزار  
 تطلم لي هلال الهجر بدرا  
 وصار هلال وصلك في سرار  
 وشاع شنيع وصلك لي وهجرى  
 فهلا كان ذلك في استنار  
 أبجمل أن ترى غنى صورا  
 وأصبح مولعا دون اصطبار  
 ولما أن هجرت وطال غفري  
 عقرت هموم تنسى بالعقار  
 وكنت أزيد سمعك من عتابي  
 ولكن عافني قرب الخمار  
 فراع مودتي واحفظ جوارى  
 فان الله أوصى بالجوار  
 وزرني منعمة من غير أمر  
 وآنس موحشا من عقردار  
 فجأوه ابن زيدون : »

هَوَايَ - وَإِنْ تَنَاءَتْ عَنْكَ دَارِي -	كَمْثَلِ هَوَايَ فِي حَالِ الْجَوَارِ
مُقِيمٌ لَا تُغَيِّرُهُ عَوَادِي	تُبَاعِدُ بَيْنَ أَخْيَابِ الْمَزَارِ
رَأَيْتُكَ قُلْتَ : إِنَّ الْوَصَلَ بَدْرٌ	مَتَى خَلَّتِ الْبُدُورُ مِنَ السَّرَارِ (١)
وَرَأَيْتُكَ أَنَّيَ جَلْدٌ صَبُورٌ	وَكَمْ صَبْرٌ يَكُونُ عَنِ اصْطِبَارِ (٢)

(١) متى أمررت أن الوصل بدر فأت حليق أن تلم أن لندر - لان شتى هو إذا اكتمل نموه في وسط الشهر لحقه الحاق في آخره .

(٢) إن صبري ليس طبيعيا ولكني انكفاه اضطرارا إليه لأنني لا أجد مندوحة عنه .

وَلَمْ أَهْجُرْ لِعَتَبٍ غَيْرِ أَنِّي أَضَرْتُ بِي مُعَاوَرَةُ الْمُقَارِ  
وَأَنَّ الْخَمَرَ لَيْسَ لَهَا خِمَارٌ<sup>(١)</sup> مُتَبَرِّحٌ بِي ، فَكَيْفَ مَعَ الْخِمَارِ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

وَهَلْ أَنَسَى لَدَيْكَ نَعِيمَ عَيْشٍ كَوَيْثِي الْخَدَّ طُرَّرَ بِالْعِذَارِ  
وَسَاعَاتٍ يَحُولُ اللَّهُوْ فِيهَا مَجَالِ الطَّلَّ فِي حَدَقِ الْبَهَارِ<sup>(٣)</sup>  
وَإِنْ يَكُ قَرٌّ عَنْكَ الْيَوْمَ جِسْمِي - قُدَيْتَ - فَمَا لِقَلْبِي مِنْ قَرَارِ<sup>(٤)</sup>  
وَكُنْتَ عَلَى الْبِعَادِ أَجَلٌ عَلِقَ<sup>(٥)</sup> لَدَيَّ ، فَكَيْفَ إِذَا صَبَحْتَ جَارِي<sup>(٦)</sup>؟

## دعوة

« كتبها إلى ذي الوزارتين أبي عامر يدعو به إلى زيارته »

طَابَتْ لَنَا لَيْلَتُنَا الْخَالِيَةِ فَلَتُنَسِّنَاهَا هَذِهِ التَّالِيَةِ<sup>(٧)</sup>  
أَبَا الْمَعَالِي نَحْنُ فِي رَاحَةٍ فَأَنْقُلْ إِلَيْنَا الْقَدَمَ الْعَالِيَةَ  
لَيْلَتُنَا عَاطِلَةٌ إِنْ تَغَيَّبَ عَنَّا ، فَرَزْنَا كَيْ تَرَى حَالِيَةَ  
أَنْتَ الَّذِي لَوْ تَشْتَرِي سَاعَةً مِنْهُ يَدَهْرِ لَمْ تَكُنْ خَالِيَةَ

(١) سورة . (٢) إذا كانت الحر التي لا سكر فيها تبرح بي فما بالك بها إذا أسكرت .

(٣) البهار : نبت طيب الريح . (٤) إذا كان جسمي قد قرَّ قراره بعيداً عنك فإن قلبي لا يزال

يهفو إليك . (٥) العلق : النفيس ، قال الشاعر :

« أبيت إلا أن سكاب علق بهيس لا يعار ولا يباع »

(٦) إليك - مع البعاد الذي يندى الألف - كنت أجل مخلوق لدى ، فكيف أنباك وقد زادني الجوارح بافك

(٧) لقد طابت ليلة أمس بقربك منا فلذكروها ، ولينسنا ما يغمرنا من السرور في ليلتنا التالية ما نعمنا

به في ليلتنا الماسية .

## قال في الوزير الشيخ أبي الحزم

« بَنِي جَهْوَرٍ » أَحْرَقْتُمْ بِحَفَائِكُمْ جَنَانِي وَلَكِنَّ الْمَدَامِحَ تَعْبِقُ <sup>(١)</sup>  
تَعْدُونَنِي كَالْعَبْرِ الْوَرْدِ <sup>(٢)</sup> إِنَّمَا تَطِيبُ لَكُمْ أَنْفَاسُهُ <sup>(٣)</sup> حِينَ يُحْرَقُ

\*\*\*

قُلْ لِلْوَزِيرِ وَقَدْ قَطَعْتُ بِمَدْحِهِ زَمَنًا فَكَانَ السَّجْنُ مِنْهُ تَوَابِي  
لَا تَحْشَى فِي حَقِّي عَمَّا أَمْضَاتُهُ مِنْ ذَلِكَ فِي وَلَا تَوَقَّ عِتَابِي <sup>(٤)</sup>  
لَمْ تُخْطِ <sup>(٥)</sup> فِي أَمْرِي الصَّوَابَ مُوَفَّقًا هَذَا جَزَاءُ الشَّاعِرِ الْكَذَّابِ

## وصال

وَشَادِنِ أَسْأَلُهُ قَهْوَةً <sup>(٦)</sup> فَجَادَ بِالْقَهْوَةِ وَالْوَرْدِ <sup>(٧)</sup>  
فَبِتُّ أَسْقَى الرَّاحَ مِنْ رِيْقِهِ وَأُجْتَنِي الْوَرْدَ مِنْ الْخَدِّ

(١) عبق : الطيب يسبق من باب فرح بقيت وانتمت زمانا ، يقول بالرغم من أنكم أحرقتن قوادى بنار الحفاء ، وقابلتم شكواي بعدم الاصفاء ، فان مديحي باق فيكم ملازم لكم ملازمة الطيب صاحبه .  
(٢) الرعفران لمرته . (٣) ما يبعث عنه عند الاحراق من الروائح الطيبة ، والمعنى : تحملوني في عداد ما يحرق من الطيب الذي ليس لكم من إحراقه إلا طيب أنفاسه . قال ابن ساسم عند إيراد هذين البيتين ، وأراه توارد مع أبي علي بن رشيقي القيرواني حيث يقول :  
أراك اتهمت أحك الله وعنديك مقت وعندي مقه  
وأني عليك وقد سؤني كما طيب العود من أحرقة  
وأخذه مما من قول أبي تمام :

لولا اشتعال النار فيما حاورت ما كان يعرف طيب عرف العود  
(٤) لا تحش في حق لوما بما أنذته في من حكم السجن ولا تتوق عتابي فاني أنا الحقيق بالالوم والعتاب  
(٥) أبدل الهزة من الباء وحدثها للحارم كما يحذفها من المعتل وأصله لم تحطى ، يقول : لم تعد في أسرى الصواب وقد وقت في حكمك على بالسجن بعد أن انقطعت زمانا لمحك ، وهذا جزاء من يكذب في شعره ويعدح من لا يستحق المدح ، وقريب من هذا الهجاء قول ابن الرومي :  
إن كنت من جهل حق غير معتذر وكنت من رد مدحى غير متنب  
فأعطى عن الطرسى الذى كتبت فيه القصيدة أو كفارة الكذب  
(٦) حراً : يعنى حر ريقه . (٧) أى ورد وحنته .



## وقال معاتباً من قصيدة أولها

بَنَيْتَ فَلَا تَهْدِمِ وَرِشْتَ<sup>(١)</sup> فَلَا تَبْرِي  
أَرَى نَبْوَةً لَمْ أَذْرِ سِرًّا أُعْتَرِاضَهَا  
جَفَاءَ هُوَ اللَّيْلُ أَذْلَهُمْ ظَلَامُهُ  
هَبِ الْعَزَلَ أَضْحَى لِلْوَلَايَةِ غَايَةُ  
فَقِيمَ أَرَى رَدَّ السَّلَامِ إِشَارَةَ  
أَنَاسٍ هُمْ أَخْشَى لِلذَّغَةِ مِقْوَلِي  
فَإِنْ عَاقَتِ الْأَقْدَارُ فَالْنَفْسُ حُرَّةٌ  
وَأَمْرَضْتَ حُسَّادِي وَحَاشَاكَ أَنْ تُبْرِي<sup>(٢)</sup>  
وَقَدْ كَانَ يَجْلُو عَارِضَ الْهَمِّ أَنْ أَذْرِ<sup>(٣)</sup>  
فَلَا كَوْكَبٌ لِلْعُذْرِ فِي أَفْقِهِ يَسْرِي<sup>(٤)</sup>  
فَمَا غَايَةُ الْمُوفِي مِنَ الظِّلِّ أَنْ يُكْرِي<sup>(٥)</sup>  
تُسَوِّغُ بِي إِزْرَاءَ مَنْ شَاءَ أَنْ يُزْرِي<sup>(٦)</sup>  
إِذَا لَمْ يَكُنْ مِمَّا فَعَلْتَ لَهُمْ مُضِرٌ<sup>(٧)</sup>  
وَإِنْ تَكُنِ الْعُتْبَى فَأَخْرِجْهَا أُخْرَى

### موقف وداع

وَلَمَّا التَّقِينَا لِلْوَدَاعِ غُدِيَّةً  
وَقُرْنَتِ الْجُرْدُ الدِّتَاقُ<sup>(٨)</sup> وَصَفَّقَتْ<sup>(٩)</sup>  
بَكَيْنًا دَمًا حَسْبِي كَانَ عِيُونَنَا  
وَكُنَّا نُرْجَى الْأَوْبَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ  
وَقَدْ خَفَقَتْ فِي سَاحَةِ الْقَصْرِ رَايَاتُ  
طُبُولٍ وَلَا حَتَّ لِلْفِرَاقِ عِلَامَاتُ  
لِجَرْمِي الدُّمُوعِ الْحُمْرِ فِيهَا جِرَاحَاتُ  
فَكَيْفَ وَقَدْ كَانَتْ عَلَيْهَا زِيَادَاتُ

- (١) من راح صديقه كساه وأصلح حله . (٢) من البرء : وهو الشفاء من المرض .  
(٣) أرى جموة لم أدر سرَّ اعتراضها أي منها الود من أن يسير في طريقه الأول ، وقد يكشف ما عرس  
لى من الهم والحزن بسبب ذلك أن أعرف سرَّ تلك النبوة والخفوة .  
(٤) جفاء كالليل اشتدَّ ظلامه فلم يسر في أفقه كوكب عذر واضح . وفي الأصل :  
« حياء هو الليل ادلهم ظلامه »  
(٥) أكرى : الطل يكرى نفس ، والمعنى : هب العزل أضْحَى ما وليته من عمل ولا ينبغي أن تكون  
غاية ما أوفى على من طلاك ورطابتك أن يكرى أى ينقص . (٦) معنى البيت : في أى ذنب أراك تشير  
بالسلام إشارة تسبيح وتحوز لمن شاء أن يزرى بى الارراء بى والتحقير لثنائى .  
(٧) اضراء : بالصيد ونحوه أعراه به فهو مضر أى مضر ، يقول : أولئك الزارون على المحمرون لثنائى  
أناس هم أخوف الناس من لسانى لو لم تكن مما فعلته معى قد اضربتهم بى وأعريتهم بالرراية على .  
(٨) الجياد السكرية . (٩) دقت الطبول إيذاناً بالمسير .

## وقال أيضا يمدح أبا الوليد بن جهور

هَلْ عَمِدْنَا الشَّمْسَ تَعْتَادُ الْكِلَانَ (١)      أَمْ عَمِدْنَا الْبَدْرَ يَحْتَابُ (٢) الْحُلْنَ  
أَمْ قَضِيبُ الْبَابِ يَعْنِيهِ الْهَوَى      أَمْ غَزَالُ الْقَفْرِ يُصْبِيهِ الْغَزْلُ (٣)  
خَرَقَ الْعَادَاتِ مُبْدَى صُورَةٍ      حَشَدَ (٤) الْحُسْنِ عَلَيْهَا فَأَحْتَقَلَ (٥)  
مُشْرَبُ الصَّفْحَةِ مِنْ مَاءِ الصَّبَا      مُشْنَعُ الْوَجْهِ مِنْ صَبْغِ الْخَجَلِ  
مَنْ عَذِيرِي (٦) مِنْهُ إِنْ أُغْبِئْتُهُ (٧)      نَسِيَ الْعَهْدَ وَإِنْ عَاوَدْتُ مَلًّا

(١) جمع كله بالكسر ، وهي ستر رقيق يخط كالنبت يتوقى فيه من العوس ونحوه ، وتقدم هذا المعنى عند قوله في القصيدة البونية :

كأن له الشمس ظنرا في أكلته بل ما تخلى لها إلا أحيانا

(٢) يحتاب يلبس من قوهم : احتاب الفميص إذا لبسه ، وسأهده قول لبيد :

سلك إذا رقص اللوامع بالسحى واجتأب أردية السراب أكلها

أى لبست الأكمام أردية السراب ، والحل بالضم جمع حلة أثرت أن من يهواه سمس وأنه بدر على الحقيقة ، وتصحب من احتجاب الشمس في السكل ، واجتباب أى لبس الصدر الحلال ، وأنكر أن يكون ذلك معهودا في العادة . (٣) يعنیه : يهيمه ، وصديه : يشوّهه ويدعوه إلى الصا والحين إلى من يحب ، والغزل : معاراة النساء ومحادثتهن ، أى ولم نعهد أيضا أن الهوى يهيم قسب النان ، وأن المغازلة تدهو غزال اقمر إلى الصا فيحن إلى من يهوى . (٤) احتقم .

(٥) احتشد واحتقم : أى أتى بالمعزات داء الذى طلع عليها بصورته العائسة الجامعة لمون الحسن ، الحاملة بألوان الحمال .

(٦) يقال من عذيري من فلان أى من يصيرى ، ويقال : عذير فلان النصب أى هات عدرا له ، ومنه قول ذى الأصم العدواني :

عذير الحى من عدوا ن كانوا حية الأرض

نقى بعض على بعض فلم يرعوا على بعض

أى هات عدرا فيما فعل بعضهم ببعض من البغى ، والقتل ، والتباعد ، والتنافس ، ولم يرع بعضهم على بعض بعد ما كانوا حية الأرض التى يحذرها كل أحد ، ويقال عذيري من فلان أى من يعذرنى ، ومنه قول الآخر :

عذيري من الانسان لا إن جموته صفالى ولا إن كنت طوخ يديه

ولانى لمشتاق إلى طلق صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه

(٧) من العب في الزيارة ، أى جئته زائرا يوما وتركته يوما أو أكثر يقال : « زرغبنا تزدوجا » وفي

اللسان : « الغب في الزيارة فالحسن في كل أسبوع »

قَاتِلْ لِي بِالتَّجَنِّي ، مَا لَهُ لَيْتَ شِعْرِي أَخْلَاكَ مَا أَسْتَحِلُّ ؟

\*\*\*

أَيُّهَا الْمُخْتَالُ (١) فِي زِينَتِهِ أَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْخَالِ (٢) فَخَلْ (٣)  
لَكَ إِنْ أَذَلَّتْ (٤) عُذْرُ وَاضِحٌ كُلُّ مَنْ سَاعَقَهُ (٥) الْحُسْنُ أَذَلُّ  
سَبَبُ الشُّقْمِ الَّذِي بَرَّحَ بِي صِحَّةٌ كَالشُّقْمِ فِي تِلْكَ الْمُقَلِّ (٦)  
إِنَّ مَنْ أَضْحَى أَبَاهُ « جَهْوَرٌ » قَالَتْ الْأَمَالُ عَنْهُ فَفَعَلْ (٧)  
مَلِكٌ لَدَّ جَنَى الْعَيْشِ بِهِ حَيْثُ وَزِدُ الْأَمْنِ لِلْعَادِي عِلَالٌ (٨)

(١) ذو الخيلاء المعجب بنفسه المتباهي زينته وجماله .

(٢) الخال له معان كثيرة منها الخيلاء ، وهو المراد هنا ، وقد أورد صاحب اللسان عن ابن بري أحياناً في معاني الخال ، والمناسب منها لما نحن فيه قوله :

وَإِذَا أَنَا خَدْنُ لَعَوَى أَحَى الصَّبَا وَلَلْعَزَلُ الْمَرْحُ ذِي الْإِثْمِ وَالْخَالِ

أَيُّ الْخِيَلَاءِ . (٣) أَيُّ كُنْ دَا خِيَلَاءُ وَزَهْوٍ وَتَكْبَرٍ ، مِنْ خَالٍ يَخَالُ بِمَعْنَى اخْتَالٍ ، وَمِنْهُ بَيْتُ الْحَمَاسَةِ :

فَإِنْ صَكَّتْ سَيِّدُنَا سِدَّتْنَا وَإِنْ كُنْتَ لِلْخَالِ فَادْهَبْ فَخَلْ

معناه : إِنْ فَعَلْتَ مَا يُوْجِبُ لَكَ السِّيَادَةَ عَلَيْنَا سِدَّتْنَا ، وَإِنْ حَاوَلْتَ أَنْ تَسُوْدَنَا لِمَجْرَدِ الْكِبَرِ وَالْاِخْتِيَالِ فَادْهَبْ فَاحْتَلْ مَا شِئْتَ أَنْ تَحْتَالَ ، فَارْكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَسُوْدَنَا حَيْثُذَ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِهِ :

أَيُّهَا الْمُخْتَالُ الزَّهْوُ سُلْطَانُ وَكِبَرُ زِينَتِهِ وَجَمَالِهِ كُنْ دَا خِيَلَاءُ وَنَفَرٌ وَاعْجَبْ فَأَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ لِمَرْطِ جَمَالِكَ .

(٤) يُقَالُ أَذَلَّ عَلَيْهِ وَتَدَلَّى : انْبَسَطَ وَاحْتَرَأَ وَتَحَيَّ فِي غَيْرِ مَوْسِعٍ تَحْنُ .

(٥) سَاعَدَهُ وَوَاتَاهُ وَأَسْعَفَهُ بِاجْتِمَاعِ أَسْبَابِهِ لَدَيْهِ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنْ أَمْرَطَتْ فِي الدَّالَةِ عَلَى ثِقَةٍ بِمَعْجَتِي لَكَ ، وَاعْتِدَادًا بِمُسَاعَفَةِ الْحَسَنِ وَمَوَاتَاتِهِ فَلَكَ فِي الْإِدْلَالِ عُذْرٌ وَاصِحٌ .

(٦) يَقُولُ : أَنَّ سَبَبَ الصِّيِّ وَالشُّقْمِ الَّذِي اشْتَدَّ بِي تَبَرِّجِي وَأَذَاءُ فَتُورٍ فِي لُحْطِ تِلْكَ الْعَيُونِ الصَّحِيحَةِ الْمَرْضِيَّةِ ، وَهَذَا مَعْنَى مَطْرُوقِ الشُّرَاءِ ، وَمَنْ أَحْسَنَ مَا جَاءَ فِي مَرَضِ الْعَيُونِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

عَلِمَ بِمَاتَحَتِ الصَّدُورُ مِنَ الْهَوَى سَرِيعَ بَكْرٍ لَلْحِظِّ وَالْقَلْبِ حَازِعٍ

وَبِمَرْحِ أَحْشَانِي سَيْنٍ مَرِيضَةٍ كَمَا لَانَ مِنَ السِّيفِ وَالسِّيفِ قَاطِعٍ

(٧) يَعْنِي أَنَّ « ابْنَ جَهْوَرٍ » : إِذَا قَالَتْ الْأَمَالُ عَنْهُ قَوْلًا صَدَقَ قَوْلُهَا فَعَلَهُ .

(٨) شَرِبَ بَعْدَ شَرِبٍ .

أَحْسَنَ الْمُحْسِنِينَ مِنَّا فَجَزَى      مِثْلُ مَا لَبِجٌ مُسِيءٌ فَاحْتَمَلَ<sup>(١)</sup>  
 سَعْيُهُ فِي كُلِّ بَرٍّ مِثْلُهُ<sup>(٢)</sup>      إِذْ مَسَاعِي مَنْ يُنَاوِيهِ<sup>(٣)</sup> مِثْلُهُ<sup>(٤)</sup>  
 لَا يَزَلُ مِنْ حَاسِدِيهِ مُكْتَبِرٌ      أَوْ مُقِلٌّ، سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

« يَا بَنِي جَهْوَرٍ » الدُّنْيَا بِكُمْ      حَلَيْتِ أَيَّامَهَا بَعْدَ الْعَطَلِ<sup>(٦)</sup>  
 إِنَّمَا دَوَّلْتُكُمْ وَاسِطَةً<sup>(٧)</sup>      أَهْدَتِ الْحُسْنَ إِلَى عِقْدِ الدُّوَلِ  
 نَحْنُ مِنْ نَعْمَائِكُمْ فِي زَهْرَةٍ      جَدَّدَتِ عَهْدَ الرَّيِّعِ الْمُقْتَبِلِ<sup>(٨)</sup>  
 طَابَ كَانُونٌ<sup>(٩)</sup> لَنَا أَثْنَاءُهَا      فَكَأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ بِالْحَمَلِ<sup>(١٠)</sup>  
 زَهَرَتْ أَخْلَاقُكُمْ فَأَبْتَسَمَتْ      كَابِتِسَامِ الْوَرْدِ عَنْ لَوْثِ طَلٍّ

(١) أحسن المحسن ما جزاه وكاناه على إحسانه ، كما تكررت لإساءة المسمى ، فاحتملها عفواً منه وكرماً .

(٢) أى كمثل السائر يشيع في الناس ذكره ، ويحمد أثره .

(٣) يماحره ويماديه . (٤) جمع مثال ، أى أمثلة وصور يقول أن مساعي المدح في صلة الناس

بأنواع البر والاحسان أصبحت مضرب الأمثال ، في حين أن مساعي أعدائه المناوئين له صور جائحة أملاك — كاترى —

لم ينسج لها ذكر ولم يعرف عنها أثر . (٥) يدعو استمرار حاسديه على الاكثار أو الافلال

من لومه على ما يصبه على رءوسهم من ويلات ، ويزله بهم من عقوبات ، ويقول « سبق السيوف العدل »

أى فلامسى لوم أكثر الأعداء منه أم أملاوا ، وهو مثل مشهور يضرب للأمر الذي فات فلم يمكن تداركه .

(٦) مصدر عطلت المرأة كفرح لم يكن عليها حلى ، وهو ضد « حليت » .

(٧) هى الدرة التى فى وسط العقد وتعد أنفس «وهرقة فيه .

(٨) يقول : نحن قد حللنا من نعمائكم فى بهجة من الرمان ، وضررة من الحياة ، جددت لنا عهد الربيع

هدد استقبال أيامه ، وتجدد أوانه ، والربيع عند العرب ربيعان . الربيع الذى فيه النور والكلأ ، والربيع

الذى تدرك فيه الثمر . (٩) شهر ، وهو اثنان : كانون الأول ، وكانون الثانى .

(١٠) الحمل : برج من بروج السماء .

\* \* \*

أَيُّهَا الْبَخْرُ الَّذِي مَهَّمَا تَفِضُ بِالنَّدَى <sup>(١)</sup> يُمْنَاهُ فَالْبَخْرُ وَشَلَّ <sup>(٢)</sup>  
مَنْ لَنَا فِيكَ بَعِيبٍ وَاحِدٍ تَحْذَرُ الْعَيْنُ إِذَا الْفَضْلُ كَمَلُ <sup>(٣)</sup>  
شَرَفُهُ تَغْنَى عَنِ الْمَذْحِ بِهِ مِثْلَ مَا يَغْنَى عَنِ الْكُحْلِ الْكَحَلُ <sup>(٤)</sup>

\* \* \*

أَنَا غَرَسٌ فِي ثَرَى الْعَلْيَاءِ لَوْ أَبْطَأْتُ سُقْيَاكَ عَنْهُ لَدَبُلُ  
لِي ذِكْرُهُ بِالَّذِي أَسْدَيْتَهُ نَابِهِ <sup>(٥)</sup> وَدَّ حَسُودٌ لَوْ خَنَ <sup>(٥)</sup>  
فَلَيْمْتُ بِالْدَّاءِ مِنْ حَالٍ فَتَى أَدْبَتُهُ سِيرُ النَّاسِ الْأَوَّلِ  
فَوَعَى الْحِكْمَةَ عَنْ قَائِلِهِمْ : « الزَّمِ الصَّحَّةَ يَلْزَمَكَ الْعَمَلُ »

\* \* \*

أَقْبَلْتَ نِعْمَاكَ تُهْدِي نَفْسَهَا لَمْ أُرْغِ <sup>(٦)</sup> حَظَى مِنْهَا بِالْحَلِيلِ  
فَقَبِلْتُ الْيَدَ <sup>(٧)</sup> مِنْ بَطْنِ يَدٍ ظَهَرُهَا - الدَّهْرُ - مَحَلٌّ لِلْقُبْلِ  
كَلْنَا بُلُغَ مَا أَمَلَهُ قَابِلُغِ الْغَايَةِ مِنْ كُلِّ أَمَلٍ  
وَإِذَا مَا رَامَكَ الدَّهْرُ فَفُتْ وَإِذَا رُمْتَ الْأَمَانِي فَنَلْ

(١) الكرم . (٢) ماء قليل يتحلب من حل أو صخرة .  
(٣) يقول من لنا بمن يعد فبك عينا واحدا فانا نحن نحمد عليك وقد كنت فضايلك عيون الحاسدين ، وهو نظير قول الآخر :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العيب

(٤) الكحل : محرقة أن تسود مواضع الكحل من العين خلقة ، أى شرف تستمى بسببه عن المدح كما تستمى العين المكحولة خلقة عن التكحل بالكحل صناعة . (٥) أسديته : أعطته ، والتذكر

النايه : التبريف المشتهر ، وهو خلاف الحامل . (٦) لم أطلب وفي الأصل : « لم أدع » .  
(٧) الجليل .

## مداعبة

« كتبها إلى أبي عبد الله بن القلاس البطليوس

يداعبه بها »

أَصِخْ لِمَقَالَتِي وَأَسْمَعْ      وَخُذْ - فِيمَا تَرَى - أَوْ دَعْ  
وَأَقْصِرْ - بَعْدَهَا - أَوْ زِدْ      وَطِرْ - فِي إِثْرِهَا - أَوْ قَعْ

\*\*\*

أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يُعْطِي بَعْدَ مَا يَمْنَعُ  
وَأَنَّ السَّعْيَ قَدْ يُكْذِبُ<sup>(١)</sup>      وَأَنَّ الظَّنَّ قَدْ يَخْدَعُ  
وَكَمْ ضَرَّ أَمْرًا أَمْرًا      تَوَهَّاهُمْ أَنَّهُ يَنْفَعُ

\*\*\*

فَإِنْ يُجْدِبُ مِنَ الدُّنْيَا      جَنَابُ طَالَمَا أَمْرُ  
فَمَا إِنْ غَاضَ لِي صَبْرُ      وَمَا إِنْ فَاضَ لِي مَدْمَعُ  
وَكَأَنَّ رَامَتِ الْأَيَّامُ      مُمْ تَرْوِيحِي فَلَمْ أَرْتَعْ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا ضَاغَتْنِي الْجُلَى      تَجَلَّتْ عَنْ فَتْنِي أَرْوَعُ<sup>(٣)</sup>  
عَلَى مَا فَاتَ لَا يَأْسُنِي      وَمِمَّا نَابَ لَا يَجُزُّ  
تَدِبُ إِلَى مَا تَأْلُو      عَقَارِبُ مَا تَنِي تَلْسَعُ

(١) يخفق ، وقد كرر هذا المعنى في سبئته فقال :

« ولستم أجسدى قعود      ولكم اكدى التماس »

(٢) حاولت الأيام أن تهيجني فلم أخف .

(٣) أى أن المصائب لا تناله منه منالا ، ضاغت من صافه الهم لا تنزل به ، والجلى : الأمر العظيم والحادث المروع ، والأروع : الدكي الحديد الفؤاد الحى النفس ، والمعنى : إذا نزلت بي جلى الحوادث فكشفت عن فتى حاضر العقل حديد الفؤاد ، وى الأصل « صابنى » من صاب السهم القرمطاس بمعنى أصاب وهي لغة قليلة لا نفلن أن ابن زيدون يلجأ إلى استعمالها مع غزارة مادته .

كَأَنَّا لَمْ يُوَافِقْنَا زَمَانُ لَيْنُ الْأَخْدَعِ <sup>(١)</sup>  
 إِذِ الدُّنْيَا - مَتَى تَقْتَدِ أَيْ سُرُورِهَا - يَتَّبِعُ <sup>(٢)</sup>  
 وَإِذْ لِلْحَظِّ إِقْبَالُ وَإِذْ فِي الْعَيْشِ مُسْتَمْتَعٌ  
 وَإِذْ أَوْتَارُنَا تَهْفُو وَإِذْ قَدْ أَحْنَا نُتْرَعُ <sup>(٣)</sup>  
 وَأَوْطَارُ الْمُنَى تُقْضَى وَأَسْبَابُ الْهَوَى تَشْفَعُ  
 فَمِنْ أَدْمَانَةٍ <sup>(٤)</sup> تَعْطُو <sup>(٥)</sup> وَمِنْ قُمْرِيَّةٍ تَسْجَعُ  
 أَعِذْ نَظْرًا فَإِنَّ الْبَغْدَ حَىِّ مِمَّا لَمْ يَزَلْ يَصْرَعُ  
 وَلَا تُطْعِمِ الْآتَى تُغْوِيكَ، فَهِيَ لَعَبَهُمْ أَطْوَعُ <sup>(٦)</sup>  
 تَقْبَلْ - إِنْ أَتَى - خَطْبًا وَأَنْفُ الْفَحْلِ لَا يُقْرَعُ <sup>(٧)</sup>

- (١) يقول : إني مولى آل الكيد والاساءة إلى مناسيا تلك الأيام التي ألب فيها ، منا الزمن المواتي ، حين كنا أخوين متآلفين ، وفي الأصل : « كأنما لم يولينا » .  
 (٢) وفي الأصل : « إيد الدنيا مي » . (٣) تملأ .  
 (٤) الأدمان - بالفتح - شجر الحبة ، وهي أكبر من البقول وأصغر من الشجر ، الأدمانة : بضم فسكون قالوا إنه جمع إدماء كحمراء وهي الطيبة الخالصة البيضاء ، قال ذو الرمة :  
 من المؤلفات الرمل أدماء حرة شعاع الضحى في منها يتوجع  
 وصحح بعض المصنفين أن أدمانة مفرد تكمة صانة وإذن فهي مرادف لأدماء ، وتمطوا : تنطاول إلى الشجر لتناول منه . (٥) تمل .  
 (٦) دع غواية هذه المأكرة فلما أطوع لغواية أعدائك ومناصيك ولن تستطيع أن تغلب على كيدهم وغوايتهم ، وفي الأصل : « هي ليعيهم أطوع » .  
 (٧) قرع الأنف رمز للهوان ، قالوا : وخس الألف بالضرب لأنه محل الألفة والكبر والشم .  
 والمرب تقول في أمثالها : « أنف الفحل لا يقرع » وهي تقوله : للخطاب الكف .  
 والأصل لغل الأبل إذا ضرب وجهه عن الناقة التي يريدون نتاجها منه .  
 قالوا : وتمثل به أبو سفيان بن حرب حين مله زواج النبي ( صلى الله عليه وسلم ) ابنته أم حبيبة فقال :  
 « داك الفحل لا يقرع أنفه » .  
 وفي الأصل : « وأنف النمل لا يقرع » يقول : إن العظيم لا يهن عزمه أمام الخطوب والكوارث ، وليكن لك في هذا عزاء ولتقبل أي خطب إن أناك بصدر رحيب ، غير واحد على تلك المرأة العادرة التي لا قيمة لها ولا خطر .

وَلَا تَكُ مِنْكَ تِلْكَ الدَّارُ رُ بِالرَّأْيِ وَلَا الْمُسْتَعِ  
فَإِنَّ قُصَارَكَ الدَّهْلِيَّ—زُ، حِينَ سِرَّ الْكَفَى الْمَضْجَعُ<sup>(١)</sup>

### جَرَّبِ النَّاسَ وَأَمْتَحِنِ

خُنْتُ عَهْدِي وَلَمْ أَخُنْ بَعْتَ وَدَى يَلَا ثَمَنَ  
قَائِلًا : « هَلْ مُزَايِدٌ رَاجِحًا ؟ ثُمَّ مَنْ يَزِنُ<sup>(٢)</sup> »  
عُدَّتِي كُنْتُ لِلزَّمَانِ ، فَقَدْ حُلْتُ وَالزَّمَانُ<sup>(٣)</sup>  
أَرْخِصَ الْبَيْعَ كَيْفَ شِئْتَ وَذَرْنِي ، لَتَنْدَمَنَّ<sup>(٤)</sup>  
سَوْفَ تُبْلَى بِغَيْرِنَا ، جَرَّبِ النَّاسَ وَأَمْتَحِنِ

(١) وتناس تلك الدار التي كانت ذكرياتها ، بحث آلامك وأحزالك ، فليس لك أمل واكتساب ودها ، وقصاري ما تصل إليه أن تكون في الدهليز حين ينعم فبك بالمصجع .

(٢) بنت عهدي رحيصاً مع صدق ودادي لك ، وأخذت تدال عليه في السوق زاهداً فيه باحثاً ممن يشتره بأجس الأمان . (٣) كنت عدتي التي أحاربها الزمن فأصحت حرباً على أمت والزمن . وقريب من هذا المعنى وأدق منه وأروع قول ابن الرومي :

« تحدثكمو دروا طميحاً ! لتنعوا سهام العدا على فكمتم لهاها  
وقد كنت أرحو منكم خير ناصر على حين حدلان المين شهاها »

إلى أن يقول :

« تقفوا وقفة المذور على بنجوة وحلوا نبالي لعدا ونبالها »

وقول المائل :

« واخوان حبتهمو دروا فكاتوها ، ولكن للأعادي  
وحبتهمو مهاما صائبات فكاتوها ، ولكن في دوادي  
وقالوا : « قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ، ولكن عن ودادي »

(٤) ازهد في ودي كما شئت فوالله لتندمن على زهادتك في ، وما أحل قول ابن الرومي .

« واربا بودي أن يذال فاني في غير ذاك من الأمور أرخص  
إياك لا تستمل ما أرخصته بطرا ، فأغلي منه ما لا أرخص  
ستري — متى استغرتي وطلبتي — أني سأزهد عند ذاك — وتحرم »



## في مدح ابن جهور

« قالها في مدح أبي الحزم بن جهور  
أحد ملوك الطوائف »

هَذَا الصَّبَاحُ عَلَى سُرَاكِ رَقِيبَا      فَصَلِّي بِفَرْعِكَ لَيْلَكَ الْغَرِيبَا <sup>(١)</sup>  
وَلَدَيْكَ - أَمْثَالَ النُّجُومِ - قَلَائِدُ      أَلِفَتِ سَمَاءُكِ لَبَّةً وَتَرِيبَا <sup>(٢)</sup>  
لِيَنْبُ عَنِ الْجَوَازِاءِ قُرْطُكَ كُلَّمَا      جَنَحَتْ تَحْتُ جَنَاحَهَا تَغْرِيبَا <sup>(٣)</sup>  
وَإِذَا الْوَشَاحُ تَعَرَّضَتْ أَثْنَاوُهُ      طَلَعَتْ ثُرَيَّا لَمْ تَكُنْ لِتَغْيِبَا <sup>(٤)</sup>

(١) سراك : سيرك ليلا ، الغريب : الشديد السواد يقول كاد الصبح يفضحك فصلى - واد الليل بسواد شعرك ، أليس شعرك كالليل ، قال ابن بسام :  
قوله : « فصلى بهررك ليلك الغريب » من قوله أبي الطيب :  
« كسحت ثلاث دوائ من شعرها في ليلة فأرت ليالي أرسا »  
وينظر إلى قول المعري :  
« يود أن طلام الليل دام له وزيد فيه سواد القلب والصر »  
وقتهاى :

« وتود لو حطت سواد قلوبها وسواد أعينها سواد عذار »

وقال محمد بن هاني :

قد أطلعوا بالدم منها فجرهم فتكورت شمس النهار تعصبا  
واستأفوا بشاتها بحرا ، فلو عقدوا نواصيها أعادوا العسبا

(٢) اللب بوزن الحب البحر - والترب : واحد ترائب الصدر ، وهي موضع القلادة منه - والمعنى لديك قلائد شبيهة بالنجوم تسكن سماء البحر والصدر ملك كما تسكن الدحوم السماء - وأمثال النجوم بالنصب حال من قلائد السكره متقدم عليه ، وهو الذي سوغ بحى صاحب الحال نكره ، قال ابن مالك :

« ولم يتكر غالبا ذو الحال إن \* لم يتأخر » ومن شواهد قوله : « وما لام رمى مثلها لى لام »  
فثلها بالنصب حال من لأم السكره ، ويجوز أن يكون أمثال مبتدأ خبره لديك وقلائد بدلا منه .

(٣) الجوراء : نجم يعترض في جور السماء أى وسطه ، شبه قرطها بالجوراء وجنحت أى مالت معرفة كأنها طائر يمتد جناحه . يقول أبيبي عن الجوزاء قرطك إذا مالت مغربة لتعيب في الأفق .

(٤) الوشاح : أديم ينسج عريضا ويرصع بالجواهر وتشد المرأة بين طائفيها وكشحيها وتشه الثريا إذا تعرضت أى سارت معوجة بالوشاح المعوجة أثناؤه - وأثناء الوشاح ما انتهى منه ، قال اسرؤا القيس :

إذا ما انتريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المعصل

أى أعوجت ولم تستقم في سيرها اعوجاج ما انتهى من الوشاح على جارية اتشحت به .

وَلَطَّامًا أَبَدَيْتِ إِذْ حَيَّيْتِنَا كَفَّاهِ الْخَضِيبُ خَضِيبًا

\*\*\*

أُظْنِئَنَّةَ ، دَعَوَى الْبَرَاءَةِ شَأْنُهَا أَنْتِ الْعَدُوُّ فَلِمَ دُعِيتَ حَيِّبًا (١)  
مَا بَالُ خَدِّكَ لَا يَزَالُ مُضَرِّجًا يَدَمٍ وَلَحْظُكَ لَا يَزَالُ مُرِيًّا (٢)  
لَوْ شِئْتُ مَا عَذَّبْتُ مُهْجَةَ عَاشِقٍ مُسْتَعَذِّبٍ فِي حُبِّكَ التَّعْذِيبَا  
وَلَزُرْتِهِ - بَلَّ عَذَّتِهِ - إِنَّ الْهَوَى  
مَا الْهَجَرُ إِلَّا الْبَيْنُ لَوْلَا أَنَّهُ لَمْ يَشْخُ فَاهُ بِهِ الْغُرَابُ نَعِيًّا (٣)

(١) يا متهمة بقتل العاشقين يا محضوية الكعب بدمائهم أنت العدو فكيف دعوت نفسك حياء .

(٢) مثله قول الحميري :

« عيناك قد اعترفا بدمي وعلى خديك تورده »

(٣) شجا فاه بشجوه : متحه ، والعيب والنماب : صوت الغراب ، وانعى : ما الهجر إلا البين إلا أن الغراب في هذه المرة - لم يفتح فاه ليندونا بذلك المهر المميت ، والعيب ندير المراقب عند العرب ، ويسمون الغراب الأبقع غراب أنيس ، ول تنقرة :

« طعن الذين فراقهم أتوقع وحرى بينهم الغراب الأبقع »

وقال نابغة البدياني :

« زعم الأحة أن رحلتهم غذا لا مرحبا بمد ، ولا اهلا »  
وبذلك تنماب الغراب الأسود إن كان تمريق الأحة في عد »

وقال قيس ابن ذريح :

« الا يغراب البين ، قد ضرت بالدي وأحذر من لبي فهل أنت واقع وإنك لو أبلمتها : قبلي اسلمي بكت حدرا وأرمت منها المدامع »  
وقد المعري : « نبي من القران ليس على شرع يحبرنا أن الشعوب إلى صدق أسدقه في سريره ، وقد امترت صحابة موسى بعد آياته الذم »  
وقال في رثاء الشريف المرتضى :

« من شاعر لا ين قال قصيدة رثي الشريف على روى القاف »

لأن آخر هذه الأبيات التي لاحظنا بنا إلى تفصيلها .

وقد شد أحد الشعراء : « أنحنى باللائمة على من يذهب هذا المذهب الخاطيء في ذم الغراب » ، وبرأه من تهمة التفريق ، فقال :

والناس يلحون غراب البين لما جهلوا  
وهل غراب البين إلا ناقة أو جل  
وما على طهر غراب البين تطوى الرحل

وَلَقَدْ قَضَىٰ فِيكَ التَّجَلُّدُ نَجْبَهُ      فَتَوَىٰ وَأَعْقَبَ زَفْرَةً وَنَحِيًّا  
وَأَرَىٰ دُمُوعَ الْعَيْنِ لَيْسَ لِفَيْضِهَا      غَيْضٌ إِذَا مَا الْقَلْبُ كَانَ قَلِيًّا

\* \* \*

مَالِي وَلِلْأَيَّامِ لَبِجٌ مَعَ الصَّابَا      عُدْوَانُهَا فَكَسَا الْعِذَارَ مَشِيًّا  
مَحَقَّتْ هِلَالَ السَّنِّ قَبْلَ تَمَامِهِ      وَذَوَىٰ بِهَا غُصْنُ الشَّبَابِ رَطِيًّا  
لَا لَمْ بِي مَا لَوْ أَلَمْ بِشَاهِقٍ      لَأَنْهَالَ جَانِبُهُ فَصَارَ كَثِيًّا<sup>(١)</sup>  
فَلَنْ تَسْمُنِي الْحَادِثَاتُ فَقَدْ أَرَىٰ      لِلْجَفْنِ فِي الْعَضْبِ «الطَّرِيرِ نُذُوبًا»<sup>(٢)</sup>  
وَأَنْتَ عَجِبْتُ لِأَنْ أَضَامَ «وَجْهَوْرٌ»      نِعَمَ النَّصِيرِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَجِيًّا  
مَنْ لَا تُعَدِّي النَّائِبَاتُ لِجَارِهِ      زَحْفًا وَلَا تَمْشِي الضَّرَاءُ دَيْبًا<sup>(٣)</sup>  
مَلِكٌ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْهُ مُوَفَّقٌ      مَا زَالَ أَوَّابًا إِلَيْهِ مُنِيًّا  
يَأْتِي رِضَاهُ مُعَادِيًا وَمُوَالِيًا      وَيَكُونُ فِيهِ مُعَاقِبًا وَمُشِيًّا  
مُتَمَرِّسٌ بِالْدَّهْرِ يَقْعُدُ صَرْفُهُ      إِنْ قَامَ فِي نَادِي الْخُطُوبِ خَطِيًّا

- (١) المعنى : لقد نزل بي مالهو رمل بجبل شاهق لسقط جانبه فصار كثيبا مهيلا أى رملا قد هيل وانتثر — وهو مأخوذ من قوله تعالى « يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا »
- (٢) تسمى : أى تجتمع مكروها من قولهم سامه حسفا إذا أولاه إياه وأراده عليه — والجفن : النعمد — والمضب : السيف — والطير : القاطع — والندوب : جمع ندب بفتحين وهو فى الأصل أثر الجرح فى الجسم إذا لم يرتفع عن الجلد — وأراد به هنا أثر الصدا الذى يملو فرند السيف لطول مكثه فى النعمد — والمعنى فلن يعبرنى طول المكث فى السجن قال السيف يصدأ بطول المكث فى الجفن .
- (٣) تسمى : بالتضعيف تحضر وتسرع فى العدو — وزحفا من زحف الجيش — والضراء : من قولهم فلان يمشى الضراء إذا مشى مستخفيا فيما يوارى من الشجر — والديب : مصدر دب النمل والشيخ مشى على هيئته والمعنى : نعم النصير جهور من لا تسرع النائبات إلى جاره رجعا ولا تدب إليه مستخفية .

لَا يُوسَمُ الرَّأْيُ الْفَطِيرُ بِهِ وَلَا  
تَأْنِي ضَرَائِبُهُ الضُّرُوبَ تَفَاسَةً  
بَسَامُ تَغْرِ الْبَشْرِ إِنْ عَقَدَ الْحُبَا  
مَلَأَ النَّوَاطِرَ صَامِتًا وَلَرُبَّمَا  
عَقْدُهُ تَأَلَّفَ فِي نِظَامِ رِيَّاسَةٍ  
يَغْنَى التَّجَارِبَ كَهَلْهُمُ مُسْتَغْنِيَا  
وَإِذَا دَعَوْتَ وَلِيدَهُمْ لِعَظِيمَةٍ  
يَعْتَادُ إِزْسَالَ الْكَلَامِ قَضِيًّا<sup>(١)</sup>  
مِنْ أَنْ تَقْدِسَ بِهِ النَّفُوسُ ضَرِيًّا<sup>(٢)</sup>  
فَرَأَيْتَ وَصَاحًا هُنَاكَ مَهِيًّا<sup>(٣)</sup>  
مَلَأَ الْمَسَامِعَ سَامِعًا وَمُجِيًّا<sup>(٤)</sup>  
نَسَقَ اللَّالِي مَنْجِبًا وَمُنْجِبًا  
بِقَرِيحَةٍ هِيَ حَسَنُوبُهُ تَجْرِيًّا  
لَبَّاكَ رَقْرَاقَ السَّمَاحِ أَدِيًّا<sup>(٥)</sup>

(١) الرأى الفطير : ما فيه عجلة وأصله من اختبار المعين قبل أن يحتمر — والقضيب : المفتض من قولهم افتضب الخطبة والسكرام أى أرسلها من غير إعداد وتهيئة — والمعنى : أنه لا ينضم بسمة العجلة فى الرأى ولا يرسل السكرام مفتضاً مرتحلاً من غير إعداد له ورياسة عليه .

(٢) ضرائبه : سجاياه — والضروب : جمع ضرب وهو المثل والشبيه كالضرب ، أى تمنع سجاياه أن يكون له أمثال وأشباه نفاسة بتلك الللال الكريمة أى ضاها وأما من أن تقيس به النفوس ضرباً وشيهاً (٣) الحبوة : كمرفة وسدره تجمع على حباً كمرف وسدر ، والاحتباء أن يضم الجالس رجله إلى بطنه ويجمعهما مع ظهره بثوب وقد يحتمى بيديه ، وهو يوم مقام إسناد الظهر إلى حائط أو نحوه ، يعنى أنه كثير الابتسام فى طلاقة وبشر أن جلس محتبياً فنظرت منه وصاح الجين مشرق الطعمة مهيباً .  
(٤) المعنى : أنه ملأ النواظر — روعة وهيبة فى حال صمته والمسامع حكمة وبياناً سامعاً من الناس ومجيباً قال ابن سام :

قوله : « ملأ النواظر صامتاً » من قول ابن زيدون أيضاً :

اسألها واحمل بكاك جواباً تخدم الشوق سائلاً ومجيباً

وينظر أيضاً إلى اعط هذا البيت دون معناه قول أبى الطيب :

فدعاك حاسدك الرئيس وامسكوا ودعاك خالفك الرئيس الأكبرا

خلقت صفاتك فى العيون كلامه كالخط يملأ مسمى من أبصرا

ويلحق أيضاً هذا البيت قول أبى نواس — على ما فسره بعض الناس —

« ألا فاسقى حمرا وقل لى : هى الحمر » وهذا التفسير فيه أضعف الوجوه ، وبيت بن شرف أشبه من هذه

كلها بيت ابن زيدون ، وهو قوله يمدح صاحب القيروان :

سل عنه وأطلق به وانظر إليه تعبد ملء المسامع والامواه والقلل

(٥) لباك : أجبك — ورقراق السباح : يريد أن سباحه يترفرق أى يجرى كالماء جرياً سهلاً — وأدياً :

لعلها أدياً بالراء المهملة أى طافلاً .

هَمُّ تُنَافِسُهَا النُّجُومُ وَقَدْ تَلَا فِي سُودَدٍ مِنْهَا الْعَقِيبُ عَقِيبًا  
وَمَحَاسِنُ تَنْدَى رِقَائِقُ ذِكْرِهَا فَتَكَادُ تُوهِمُكَ الْمَدِيحَ نَسِيبًا <sup>(١)</sup>  
كَالَاسٍ أَخْضَرَ نَضْرَةً، وَالْوَرْدِ أَخْمَرَ بَهْجَةً، وَالْمِسْكِ أَذْفَرَ <sup>(٢)</sup> طِيبًا  
وَإِذَا تَفَنَّنَ فِي اللِّسَانِ ثَنَاؤُهُ فَافْتَنَّ لَمْ يَكُنِ الْمُرَادُ غَرِيبًا <sup>(٣)</sup>  
غَالِيًا بِمَا فِيهِ فَغَيْرُ مُوَاقِعٍ سَرَفًا وَلَا مَتَوَقَّعٍ تَكْذِيبًا <sup>(٤)</sup>

\*\*\*

كَانَ الْوُشَاةُ وَقَدْ مُنِيتُ بِإِفْكَهِمْ - أَسْبَاطَ يَعْقُوبٍ وَكُنْتُ الذِّبَا <sup>(٥)</sup>  
وَإِذَا الْمَنَى يَقْبُولُكَ الْغَضُّ الْجَنَى هَزَّتْ ذَوَائِبُهَا فَلَا تَثْرِيَا  
أَنَاسِيْفُكَ الصَّدَى الَّذِي - مَهْمَا تَشَأْ - تُعِدُّ الصَّقَالَ إِلَيْهِ وَالتَّذْرِيَا <sup>(٦)</sup>  
كَمْ ضَاقَ بِي مِنْ مَذْهَبٍ فِي مَطْلَبٍ فَثَنَيْتُهُ فُسُحَ الْمَجَالِ رَحِيَا  
«وَزَهَا» جَنَابُ الشُّكْرِ - حِينَ مَطَرَتْهُ - بِسَحَابِ النَّعْمَى - فَرُدَّ خَصِيْبًا <sup>(٧)</sup>

(١) قال ابن بسام :

قوله : « فتَكَادُ تُوهِمُكَ المَدِيحَ نَسِيبًا » من قول أبي تمام :

(٢) أذفر : ذكى طيب الريح .

طاب فيك المديح والدحى فاق وصف الديار والنشيبا

(٣) إذا تفنن : أى أطرد مديحه في اللسان - فافتن : أى أخذ في فنون وضروب من المدح لم يكن

مراد المادح غريباً لأنه يستعمل من صفاته فيقول .

(٤) مواقع : مدان ، والتوقع : المنتظر - والمعنى : بالغ مادحه بما فيه من الصفات فلم يكن مدانياً

إفراطاً ولا متخوفاً تكديباً .

(٥) منيت بليت - والافك الكذب والتحديث بالباطل ، يريد أنه برى مما ابلى به من إفكهم براءة

الذئب من دم ابن يعقوب .

(٦) التذريب : التحديد .

(٧) وجد هذا البيت في الأصل وفي غيره من المطاوع ناصاً ، والزيادة يعطيها السياق .

\* \* \*

فَتَهَنَّا الْأَعْيَادَ عَادَةً لَا بَسِي      يُنْبِلِي الدَّرِيسَ فَيَسْتَجِدُّ قَشِيْبَا <sup>(١)</sup>  
وَمَتَى سَعَيْتَ لِتَنَارِحَ مُتَعَذِّرٍ      فَوَجَدْتَهُ سَهْلَ الْمَرَامِ قَرِيْبَا <sup>(٢)</sup>  
وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْقَدَرُ الَّذِي      لَا تَسْتَطِيعُ لِحُكْمِهِ تَعْقِيْبَا

### عتاب

أَحِينَ عَلِمْتَ حَظَّكَ مِنْ وَدَادِي      وَلَمْ تَجْهَلْ مَحَلَّكَ مِنْ فُؤَادِي  
وَقَادَنِي الْهَوَى فَاثْقَدْتُ طَوْقًا      وَمَا مَكُنْتُ غَيْرَكَ مِنْ قِيَادِي  
رَضِيتَ لِي السَّقَامَ لِباسَ جِسْمٍ      كَحَلَّتْ الطَّرْفَ مِنْهُ بِالشَّهَادِ <sup>(٣)</sup>

\* \* \*

أَجَلْ عَيْنِيكَ فِي أَسْطَارِ كُنِي      تَجِدُ دَمْعِي مِرَاحًا لِمَدَادِ <sup>(٤)</sup>  
فَدَيْتُكَ إِنِّي قَدْ ذَابَ قَلْبِي      مِنْ الشُّكْوَى إِلَى قَلْبِ جَمَادِ

(١) يقال تهنا الطعام ونهأ به كما يقال تعلق الشيء وتعلق به — أى تهأ بالأعياد غير محالف طادتك فيها من إبلاء الثوب الدريس أى الخلق ، وليس القشيب أى الحديد ، وهذا بطير قوله فى البائية .

فأبل وأخلف إنما أفنت لاس لهدى اللبالي الفر وهى ثياب

(٢) ومتى سعت لعل الأصل ولكم سعت البت — والذي يظهر ان هذه الأبيات التى ختمت بها هذه القصيدة ومع فيها شيء من التعريب فليحذر .

(٣) يقول : « أحيى أبقت أبى لا أحل أحداً منك من فلي وهلت أبى أسير هواك حزيتى على ذلك الاخلاص فى الحب سقاماً وتهدداً . وما أحل قول المجنون :

وأديتني حتى إذا ما فتننى بقول يحل المعص سهل الأباطح

تاءيت عسى حين لالى حيلة وعادرت ما قادرت بين الجوائح

(٤) تأمل فى سطور الكتب التى أبعت بها إليك تجد دمعى محتفظاً بمدادها .

## رثاء فتاة

« قال يرثي ابنة المعتضد المتوفاة قبل وفاته بثلاث »

سَرَّكَ الدَّهْرُ وَسَاءَ قَافِنَ شُكْرًا وَعَزَاءَ (١)  
 كَمْ أَفَادَ الصَّبْرُ أَجْرًا وَأَقْتَضَى الشُّكْرُ نَمَاءَ (٢)  
 أَنْتَ إِنْ تَأْسَى عَلَى الْمَقْصُودِ إِلْفًا وَاجْتِبَاءَ (٣)  
 فَاسْأَلْ عَنْهُ غَيْرَةً وَأَخْشَلِ الرُّزْءَ إِبَاءَ (٤)  
 أَيُّهَا « الْمُعْتَضِدُ » النَّصُورُ مَلَيْتَ الْبَقَاءَ (٥)  
 وَتَزَيَّدْتَ مَعَ الْأَيَّامِ عِزًّا وَغِلَاءَ (٦)  
 إِنَّمَا يُكْسِبُنَا الْحُزْنَ نُ عَنَاءَ لَا غِنَاءَ (٧)  
 أَنْتَ طَبٌّ أَنْ دَاءَ الْمَوْتِ قَدْ أَغْيَا الدَّوَاءَ (٨)  
 فَتَأْسَى (٨) إِنْ ذَاكَ الْخَطْبُ غَالِ الْأَنْبِيَاءِ  
 وَسَيَفْنِي الْمَلَأُ الْأَعْلَى إِذَا مَا اللَّهُ شَاءَ

\*\*\*

حَبِّذَا هَدَى عَرُوسٍ دَفْنُهَا كَانَ الْهِدَاءَ  
 عَمَّرَتْ حِينًا وَمَاءَ الْمُزْنِ شَكْلَيْنِ سَوَاءَ

(١) افن : الرم من بوفهم ميت حياى أى لرمته ، قال عنقرة :

فأحببتها إن الـمـيـة منهل لا يد أن أسقى بذاك المنهل  
 فاقى حياهك لا أبالك واعلمى أنى امرؤ ساموت إن لم أقتل

والمعى : مراك الدهر وساءك فاشكره على أن مراك وتمنر بذلك عما ساءك .

(٢) زيادة . (٣) الاجتباء : الاصطماء .

(٤) ملئت البقاء : متعتك الله بالبقاء . (٥) الغلاء : الرمة .

(٦) إنما يكسبها الحزن ألما لا فائدة فيه ولا هدوى منه .

(٧) أنت عالم خبير بأن داء الموت لا دواء له . (٨) اصبر .

ثُمَّ وَلَّتْ فَوَجَدْنَا أَرْجَ (١) الْمِسْكِ ثَنَاءً  
جَمَعْتَ تَقْوَى وَإِخْبَاءً (٢) وَفَضْلاً وَذَكَاءً  
سَتَوْنِي مِنْ جِوَارِ الْكَوْثَرِ الْعَذْبِ رَوَاءَ (٣)  
حَيْثُ تَلْقَى الْأَتْقِيَاءَ ، السُّعَدَاءَ الشُّهَدَاءَ

\*\*\*

هَانَ مَا لَاقَتْ عَلَيْهَا أَنْ غَدَتَ مِنْكَ فِدَاءُ (٤)  
غُثِّمُ أَحْبَابِكَ أَنْ تَبْقَى وَإِنْ عُمُوا فَنَاءُ (٥)  
فَالْبَسِ الصَّنْعَ مُلَاءً (٦) وَأَسْحَبِ السَّعْدَ رِدَاءُ (٧)  
وَرِثِ الْأَعْدَاءَ أَنْعَمًا رَهْمُ وَالْأَوْلِيَاءَ (٨)

### في الغزل

مَا ضَرَّ لَوْ أَنَّكَ لِي رَاحِمٌ وَعَلَيَّ أَنْتَ بِهَا خَالِمٌ  
يَهْنِيكَ يَا سَوْفِي وَيَا مُبْنِيَّ أَنْكَ مِمَّا أَشْتَكِي سَالِمٌ (١)  
تَضَحَّكَ فِي الْحُبِّ وَأَبْكِي أَنَا اللَّهُ - فِيمَا يَتَنَنَّا - حَاكِمٌ  
أَقُولُ لَمَّا طَارَ عَنِّي الْكَرَى قَوْلَ مُعْنَى قَلْبُهُ هَائِمٌ  
« يَا نَائِمًا أَيْقَظْنِي حُبُّهُ هَبْ لِي رُقَادًا أَيُّهَا النَّائِمُ » (٢)

- (١) طيب . (٢) الاخبات : الخشوع . (٣) ستروى من ماء الكوثر .  
(٤) هون عليها حطب الموت أنها اقتدتك بنفسها من الردى .  
(٥) إن أحبابك ليرون في بقاءك أكبر فوز لهم ولو اقتدوك بأنفسهم .  
(٦) اللاء والملاءة : الربطة ذات لفتين ، والمعنى : ارجل في حلل المعروف والسعادة .  
(٧) وهبك الله أعمار أعدائك وأسعيائك .  
(٨) من أبدع ما قرأناه في هذا المعنى قول الشريف الرضي :  
« أهورن عليك - إذا امتلأت من الكرى - أني أبيت بليسة للـ...وع »  
(٩) يقول : « ليس من العدالة أن تنام وأسهر ، فأنم على بالكرى بعد أن أيقظي هجرتك » .



## تهنئة

« وفل يهنى المعتضد وقد شرب دواء »

أُخِذْتُ عَاقِبَةَ الدَّوَاءِ      وَنِلْتُ عَافِيَةَ الشِّفَاءِ  
وَخَرَجْتُ مِنْهُ مِثْلَمَا      خَرَجَ الحُسَامُ مِنَ الْجِلَاءِ  
وَبَقِيتَ لِلدُّنْيَا قَانُتَ دَوَاوِهَا مِنْ كُلِّ دَاءِ  
وَوَرِثْتَ أَعْمَارَ الْمَدَى      وَقَسَمْتَهَا فِي الْأَوْلِيَاءِ (١)  
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْجِيَاءِ      دَسَارَ فِي ظِلِّ اللَّوَاءِ  
وَأَجْتَالَ يَوْمَ الْحَرْبِ قَدْ      مَا وَأَحْتَبَّنِي يَوْمَ الْحِبَاءِ (٢)  
بُشْرَاكَ عُقْبَى صَحَّةٍ      تَجْرِي إِلَى غَيْرِ انْتِهَاءِ  
فِي دَوْلَةٍ تَبْقَى بَقَا      الدَّهْرِ آمِنَةً الْفَنَاءِ  
وَمَسْرُوعٍ يُفْضَى بِهَا      زَمَنٌ كَحَاشِيَةِ الرِّدَاءِ  
وَأَشْرَبَ فَقَدْ لَدَّ النَّسِيمُ      وَرَقَّ سِرْبَالُ الْهَوَاءِ  
لِنَرَى بِكَ الْبَهْوَ الْمُطِلَّ يَمِيسُ فِي حُلَلِ الْبَهَاءِ  
وَبَقِيتَ مَفْدِيًّا بِنَا      إِنْ مَحْنُ جُزْنَانَا فِي الْفِدَاءِ (٣)

(١) قوله : « وقسمتها في الأولياء » يذكرنا قول العباس الأحف :

لو كانت هذا الحب يند      فذقيه حكيمى أو قضائى  
لطالته لجمعته      من كل أرض أو سما  
فقسمته يلى ويى      من حبيب نفسى بالسواء  
حسنى إذا ما حمى      بما ، والأمور إلى انتهاء  
مات الهوى - من بعدنا -      أو عاش فى أهل الوفاء

(٢) أجال : من إجاله الفداح فى البسر ويناسبه قدما أى فار بالظفر والصر على الأعداء ، واجتال فى الحرب وجال بمعنى واحد ويناسبها قدما بضمين - والتخفيف بالاسكان فى مثله جائز - ومما جال فى الحرب يعنى قدما أى إلى الامام ، والحباء : نالكسر العطاء .  
(٣) فذلك أعمارنا إن كان يقبل ما هذا الفداء .

## تهنئة بفصد

« وقال يهنيه بفصد »

لِيَهْنِكَ أَنْ أُنَحِّدَ عَاقِبَةَ الْفُصْدِ      فَلِلَّهِ مِنَّا أَنْجَلُ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ  
وَيَا عَجَبًا مِنْ أَنْ مَبْضَعٌ قَاصِدٍ      تَلَقَّيْتَهُ لَمْ يَنْصَرِفْ نَابِي الْحَدِّ  
وَمِنْ مُتَوَلَّى فَصْدٍ يُمَنَّاكَ كَيْفَ لَمْ      يَهْلُهُ عُبَابُ الْبَحْرِ فِي مُعْظَمِ الْمَدِّ  
وَلَمْ تَغْشَهُ الشَّمْسُ الْمَنِيرُ شُعَاعُهَا      فَيُخْطِئَ فِيمَا رَامَهُ سَنَنُ الْقُصْدِ

\*\*\*

سَرَى دَمُكَ الْمُهْرَاقُ فِي الْأَرْضِ فَاسْتَسْتِ      أَفَانِينَ رَوْنِي مِثْلَ حَاشِيَةِ الْبُرْدِ  
فِصَادُ أَطَابِ الدَّهْرِ فَالْقَطْرُ فِي الثَّرَى      كَمَا طَابَ مَاءُ الْوَرْدِ فِي الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ  
لَقَدْ أَوْفَتْ الدُّنْيَا بِعَهْدِكَ نُصْرَةً      كَأَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَهَا كَرَمَ الْعَهْدِ (١)  
لَدَى زَمَنِ غَضٍّ أُنِيقَ فِرْنَدُهُ (٢)      كِمِثْلِ فِرْنَدِ الْوَرْدِ فِي خَجَلَةِ الْخَدِّ  
تُسَوِّغُ مِنْهُ الْعَيْشُ فِي ظِلِّ دَوْلَةٍ      مُقَابِلَةً الْأَرْجَاءِ بِالْكَوْكَبِ السَّعْدِ

\*\*\*

فَهَبْ إِلَى الْأَذَاتِ مُرْتَرٍ رَاحَةٍ      تُجْمُ بِهَا (٣) النَّفْسُ الْفَيْسَةَ لِلْكَدِ (٤)  
وَوَالِ بِهَا فِي لَوْلُوٍ مِنْ جَنَابِهَا (٥)      كَجِيدِ الْفَتَاةِ الرُّودِ فِي لَوْلُوٍ الْعِقْدِ  
وَإِنْ تَدْعُنَا لِلْأَنْسِ - عَنْ أَرْيَحِيَّةٍ -      فَقَدْ يَا نَسُّ الْمَوْلَى إِذَا أَرْتَاحَ بِالْعَبْدِ

(١) يقال وى بالعهد أوى بالعهد وكلاهما بمعنى واحد قال تعالى « وأودع بعهد الله » ومعنى البيت لقد طاهدتك الدنيا على الضرورة وومت بالعهد ولم تنقضه فكأنك قد علمتها الوفاء وكرم العهد .

(٢) أبقى الوشى . (٣) ترتاح بها .

(٤) نعم : يقال حمت وأحمها هو أى تركها تستجمع ما نقدته ، والمعنى : انشط إلى اللذات ممصلا الراحة قليلا ، واترك نفسك تستجمع ما نقدته من قوتها لتسأنف الكد والعمل لمهام الدولة .

(٥) الجناح : الناحية وما قرب من محلة النوم .

## في مدح ابن جهور

- مَا طُولُ عَذْلِكَ الْمُحِبِّ بِنَافِعِ - ذَهَبَ الْفَوَادُ فَلَيْسَ فِيهِ بِرَاجِعِ<sup>(١)</sup>  
 فَتَدَّتْ حِينَ طَمِعَتْ فِي سُلوَانِهِ - هَيْهَاتَ لَا ظَفَرَهُ هُنَاكَ لِطَامِعِ<sup>(٢)</sup>  
 فَدَعِيهِ حَيْثُ يَطُولُ مَيْدَانُ الصَّبَا - كَيْمَا يَحْرُ بِهِ عِنَانُ الْخَالِعِ<sup>(٣)</sup>  
 مَاذَا يَرِيكَ مِنْ فَتَى عَزِّ الْهُوَى - فَعَمَّا لِنَخْوَتِهِ بِذِلَّةٍ خَاضِعِ<sup>(٤)</sup>  
 هَلْ غَيْرَ أَنْ تَحْضَ الْوَفَاءُ لِنَادِرِ - أَوْ غَيْرَ أَنْ صَدَقَ الْوَصَالُ لِقَاطِعِ<sup>(٥)</sup>  
 لَمْ يَهْوَ مَنْ لَمْ يُنْسِ قُرَّةَ عَيْنِهِ - سَهَرُ الصَّبَابَةِ فِي خَلِيِّ هَاجِعِ<sup>(٦)</sup>  
 وَاهَا لِأَيَّامٍ خَلَتْ مَا عَزَّ ذُهَا - فِي حِينَ ضَيَّعْتَ الْعُهُودَ - بِضَائِعِ<sup>(٧)</sup>  
 زَمَنٌ كَمَا رَاقَ السَّقِيطُ مِنَ النَّدَى - يَسْتَنُّ فِي صَفَحَاتٍ وَرْدٍ يَانِعِ<sup>(٨)</sup>  
 أَيَّامٍ إِنْ عَتَبَ الْحَبِيبُ - لِهَفْوَةٍ - شَفَعَ الشَّبَابُ فَكَانَ أَكْرَمَ شَافِعِ<sup>(٩)</sup>

(١) العذل : اللوم ، والمعنى : لا تمديه فليس العذل نافع محاذ ذهب فؤاده مع من يرواه فليس يرجعه كثرة الاوم والتعميق . (٢) فتدت : أى نسبت إلى السكذب وسدعت الرأى حين تطمعين في سلو محب يبعد كل البعد أن يظفر طامع في سلوانه بظائل .

(٣) الخالع : من خلع الفرس عذاره ألقاه عن نفسه فعدا بشر ، وهو مثل يضرب لمن أطلق من قيده ، يقول : اتركه وشأنه في الهوى حيث يتسع له مجال الصبا ، وسراح الشاب ، كي يطلق لنفسه العنان في اللهو والمرح . (٤) ماذا يريك : ماذا تكرهينه ويسوءك من فتى ، أو أى شئ يجعلك منه في ريبه وشك ، وعما : خضع وأطاع ، والنخوة : العظمة ، والكبر ، وهذا البيت يذكرنا بقول الشريف الرضى :

« لو حيث يستمع السرار وقمتا لعجتما من عزه وحضوعي »

(٥) معناه : هل يعرف غير محسن الوفاء لمن غدر ، وحسن الصلة لمن هجر .

(٦) لم يذق طعم الهوى من لم يكن سهر الصبابة في خلى تأم حبيباً إلى نفسه ، وقررة لعينه .

(٧) واهي : كلمة يتمحب بها من طيب الشئ وحسنه ، والمعنى : ما عهد تلك الأيام التي تروق بهجتها بضائع عندى في حين ضيعت أنت كل العهود .

(٨) راق : أعجب ، والسقيط : ماسقط من الندى على الزهر ، ويستن : ينصب كالدمع في صفحة الورد

(٩) قريب من هذا المعنى قوله في مطلع بائته :

أما علمت أنت الشفيح شباب فبقصر عن لوم المح عتاب  
 علام الصبا غنى يرف رواؤه إذا عن من وصل الحسان ذعاب

مَالِي وَلِلدُّنْيَا غُرِزْتُ مِنَ الْمَنَى      فِيهَا بِيَارِقَةٍ السَّرَابِ الْخَادِعِ  
مَا إِنِ أَزَالَ أَرْوْمُ شُهْدَةَ عَاسِلٍ      أَنْحَى مُجَاجَتَهَا بِإِبْرَةِ لَاسِعٍ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الْبِلَادَ إِذَا نَبَتْ      أَنْ لَسْتُ لِلنَّفْسِ الْأُلُوفِ بِبَاخِعٍ<sup>(٢)</sup>  
أَمَّا الْهُوَ أَنْ فَصَنْتُ عَنْهُ صَفْحَةً      أَغْشَى بِهَا حَدَّ الزَّمَانِ الشَّارِعِ<sup>(٣)</sup>  
فَلْيُزْنِمِ الْخَطَّ الْمُوَلَّى أَنَّهُ      وَلَّى فَلَمْ أَتَّبِعْهُ خُطْوَةً<sup>(٤)</sup> تَابِعِ  
إِنَّ الْغِنَى لَهُوَ الْقَنَاعَةُ لَا الَّذِي      يَشْتَفُ نُطْقَةَ مَاءٍ وَجْهِ الْقَانِعِ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

اللَّهُ جَارُ « الْجَهْوَرِيِّ » فَطَالَمَا      مُنِيتُ<sup>(٦)</sup> صَفَاءُ<sup>(٧)</sup> الدَّهْرِ مِنْهُ بِقَارِعِ

(١) شهدة : بالعم والفصح واحدة الشهد وهو العسل مادام لم يمصر من شحمه ، والعاسل : الذي يشتار العسل أى يأخذه من الخلية ، والمجاجة : ما يصبه الدحل من العسل ، وبين « عاسل » و « لاسع » حساس القلب ، والمعنى : ما رلت أظلمت من الدنيا أملا يحكى مجاجة طامل حتمها لمره لاسع .

(٢) نبت : لم يوافق المقام بها قال : « وإذا نبا بك منزل فتحول » ، وباحع : مزهق نفسى وقائلها غما والمعنى : من يبلغ عى ساكى تلك البلاد التى نزلت عندها مع سدة تعلقى بها أن لب بقائل نفسى أسفا وغما على مفارقتها إذا نبت بى ولم توافق الإقامة فيها ، وفى معنى التحول عن منزل الصيم بقول شار : إذا أمكرتنى بلدة أو بكرتها خرجت مع البازى على سواد

أى على بقية من سواد الليل .

(٣) الشارِع : من شرع نحوه حد السيف أو الرمح وأشرعه سدده له وهو نظير قول الآخر : تعرض للطعان إذا النقيا وحوها لا تعرض للسباب

(٤) بالضم ما بين التقديم وتجمع على خطأ وخطوات .

(٥) النطقة الماء : القليل ، ويشتمها : يشربها عن آخرها ، يقال اشتب فى شربه إذا أتى على آخر ما فى الإناء فلم يستر ، والمراد هنا أنه يريقها كلها عند السؤال ، والقانع : السائل ، وفى الكتاب العزيز « وأطعموا القانع والمعتر » وهو من قنع - بانفتح - فتوقا إذا سأل ، لامن قنع - بالكسر - قناعة إذا رضى ولم يرق ماء وجهه بذل السؤال ، يقول أن القنى عى النفس بالقناعة لا عى المال الذى يستغرف فيه السائل ماء وجهه ، ويشتم آخر قطرة من حياته .

(٦) ابتليب .

(٧) الحجر العريض الأملس ويجمع على صفا .

مَلِكٌ دَرَى أَنَّ الْمَسَاعِيَ مُنْعَمَةٌ      فَسَعَى فَطَابَ حَـدِيثُهُ لِلْسَّامِعِ  
 شِيمٌ هِيَ الزَّهْرُ الْجَنِيُّ تَبَسَّمَتْ      عَنْهُ الْكَمَامُ فِي الضَّحَاءِ <sup>(١)</sup> الْمَاتِعِ <sup>(٢)</sup>  
 أَغْرَى مُنَافِسَهُ يُذْرِكُ شَأُوهُ      فَشَأَاهُ بِالْبَاعِ الطَّوِيلِ الْوَاسِعِ <sup>(٣)</sup>  
 ثَبَّتُ السَّكِينَةَ فِي النَّدَى كَأَنَّمَا      تِلْكَ الْحَبَا لِيَثَّتَ بِهَضْبٍ مَتَالِعِ <sup>(٤)</sup>  
 عَذَبُ الْجَنَى لِلْأَوْلِيَاءِ فَإِنْ يَهْجُ      فَالَسَّمُ يَا بَنِي أَنْ يَسُوغَ لِحَارِجِ

\*\*\*

يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَاطَ الْهُدَى      لَوْلَاكَ كَانَتْ جَمَّى قَلِيلَ الْمَانِعِ  
 أَنَسَ الْأَنَامُ إِلَيْكَ فِيهِ ، فَهَمُّ بِهِ      مِنْ قَائِمٍ أَوْ سَاجِدٍ أَوْ رَاكِعِ  
 مُتَبَوِّثُونَ جَنَابَ عَيْشٍ مُوْتَقٍ      مُتَفَيِّثُونَ ظِلَالِ أَمْنٍ شَائِعِ  
 فَلَتَضْرِبَنَّ مَعَهُمْ بِأَوْفَرِ شِرْكَةٍ      فِي أَجْرِهِمْ مِنْ مُوْتِرٍ أَوْ شَافِعِ  
 خَيْرُ الشُّهُورِ اخْتَرْتُ عِنْدَ طُلُوعِهِ      خَيْرَ الْبَقَاعِ لَهُ بِأَسْعَدِ طَالِعِ <sup>(٥)</sup>

(١) النهار قبل انقضاءه بقليل وزمنه بعد زمن الضحى .

(٢) المرتفع .

(٣) الشأو : الطلق والشوط والعاية ، وشأه : سبقه .

(٤) الندى : المجلس ، والحا : بالضم والكسر جمع حبوه وهي أن يجمع الجالس ساقيه إلى بطنه بيديه أو يجمع ظهره وساقيه بثوب ، والاحتباء من طاعة العرب وهو يمنع الجالس من المقوط ويعنيه عن الجدار الذي يسد إليه ظهره ، وليت : لمت وطويت حوله كما تطوى العمامة ، والمعنى : أنه وقور في مجلده رابط الجأش كأنما شددت تلك الحبا منه على طود من الصخر تنحدر عنه مسايل الماء .

(٥) يقول إن شهر الصيام وهو خير الشهور قد اخترت له خير البقاع عند طلوعه بأسعد طالع .

## شكر

« وقال أيضا وقد أباح له المعتضد التنزه مع  
حرمه في إحدى جناته . »

غَمَرَتْنِي لَكَ الْيَادِي <sup>(١)</sup> الْبَيْضُ      نَشَبَ <sup>(٢)</sup> وَافِرٌ وَجَاهٌ عَرِيضُ  
كُلَّ يَوْمٍ يَجِدُ مِنْكَ أَهْتِيَالٌ <sup>(٣)</sup> ،      عَهْدُ شُكْرِي عَلَيْهِ غَضٌ غَرِيضُ <sup>(٤)</sup>  
بَوَّأْتَنِي <sup>(٥)</sup> نِعْمَكَ جَنَّةَ عَدْنٍ      جَالٌ فِي وَصْفِهَا فَضْلُ الْقَرِيضُ  
مُجْتَنِي مُدْنٍ ، وَظِلُّ بَرُودٍ ،      وَنَسِيمٌ - يَشْفِي النُّفُوسَ - مَرِيضُ <sup>(٦)</sup>  
وَمِيَاهُ قَدْ أَخْجَلَ الْوَرْدَ أَنْ عَا      رَضَ تَذْهِيئَهُ لَهَا تَقْضِيضُ  
كُلَّمَا غَنَّتِ الْحَمَامُ قُلْنَا :      « مَعْبِدٌ - إِذْ شَدَا - أَجَابَ الْغَرِيضُ <sup>(٧)</sup> »

- (١) النعم . (٢) اللب : المال والمقار . (٣) غم .  
(٤) الغريض : ماء المطر ، وكل أبيض طرى ، والمعنى : إني أطعمك كل يوم نعم جديد أقاله منك  
شكر جديد . (٥) أطلت أو أزلت أو أسكنتى .  
(٦) يصب الحنة التي أحلها فيها ممدوحه بأن قطوفها دانية وطلها ظليل ونسيمها عليل يشي النفوس .



### (٧) معبد والغريض

هذان من أعلام الموسيقى العربية وقد كانا متعاصرين ، وقد ذاع صيتهما حتى أصبحا مضرب الأمثال في  
إحادة البناء والافتتان فيه ، وقد كان معبد يتقرب نوع الغريض ويشيد به ، كما يدل على ذلك قصة تعارفهما  
التي تترك لمعد روايتها بأسلوبه الممتع ، قال :

« خرجت إلى مكة في طلب لقاء العريض ، وقد بعى حسن فنانة في لحه :

وما أس ملاً شياء لا أس شادنا      بكة مكحولا أسسبلا مداهسه

وقد كان مافى أنه أول لحن صنعه ، وأن الحن نهته أن يعنيه لأنه متن طائفة منهم فانتقلوا عن مكة من أجل حسنه  
وفي هذا التمهيد ما يدل على تصوريهم واعتقادهم في ذلك العصر ، فقد سحرتهم ألحان الغريض فذسوا إليها  
المعزات وأنشأوا حولها الأساطير .

قال معبد :

فلما قدمت مكة سألت عنه فدلت على منزله فأتيته ، ففرع الباب ، فما كلفني أحد ، وسألت بعض الجيران فقلت : هل في الدار أحد ؟ فقال لي : نعم فيها الغريض ، فقلت : إني ود أكثر دق الباب فما أجابني أحد قالوا : إن الغريض هناك ، فرجعت فددقت الباب ، فلم يحسن أحد ، فقلت : إن نفعي غنائى يوما نفعي اليوم فاندفعت وسيت لحنى في سمر جيل ، فوالله ما سمعت حركة الباب ، فقلت : بطل سحرى ، وساع سمرى وحثت أطلب ما هو عسير على واحتقرت نسي ، وقلت : لم يتوهى لصنف غائى عنده ، فما شعرت إلا صائح يصبح يا معبد المعنى ، افهم وتلق عى ، سمر جيل الذى تنى فيه ياشقى البخ ، وفى :

« وما أنس مل أشياء لا أس قولها . . . »

( قال ) فلقد سمعت شئاً لم اسمع أحسن منه وقصر إلى نسي وعلمت فسيلته على بما أحسن من نفسه ، وقلت : انه لحرى بالامتياز من الناس تنزيها لنفسه وقهطيا لعدوه وان مثله لا يستحق الاتidal ، ولا ان تتداوله الرجال ، فاردت الانصراف إلى المدينة راجعا ، فلما كنت غسيرا بعيد إذا بصائح يصبح بى : يا معبد انظر أ تلك فرجعت ، فقال : إن الغريض يدعوك ، فأمرع فرحاً فدنوت من الباب . فقال لي : آحب الدخول ، فقلت : وهل إلى ذلك من سبيل ، ففرع الباب ففتح ، فقال لي : ادخل ولا تطل الخلوس فدخلت فاذا شمس طالعة فى بيت ، فسلمت فرد السلام ثم قال : اجلس فجلست ، فاذا أنزل الناس وأحسنهم وجهاً وخلقا وخلقا ، فقال : يا معبد كيف طرأت إلى مكة ، فقلت : جعلت بداءك وكيف عرفتى ؟ فقال : بصوتك فقلت : وكيف وأنت لم تسمعه بط ؟ قال : لما غنيت عرفتك به وقلت : إن كان معبد فى الدنيا فهذا ، فقلت : جعلت فداك فكيف أجتى بقولك : « وما أنس مل أشياء لا أس قولها » ، فقال :

قد علمت أنك تريد أن أسمعك صوتى :

« وما أنس مل أشياء لا أنس شاذنا بكة مكحولاً أسيراً مدامعه »

ولم يكن إلى ذلك سبيل لأنه صوت قد نهيت أن أغنيه فغنيتك هذا الصوت جواباً لما سألت وغنيت ، فقلت : وافة ما عدوت ما أردت بهل لك حاجة ، فقال لي نيا أبا عباد لولا ملامة الحديث وتغل إطالة الجلوس لا ستكثرت منك فاعذر ، فخرحت من عنده وإنه لأجل الناس عندي ورجعت إلى المدينة ، فتحدثت بحديثه وعجبت من فطنته وقيافته ، فما رأيت انساناً إلا وهو أجل منه فى عيى .

\*\*\*

ومما تختاره من أخبار معبد الطريفة ما حدث له فى السفينة ، فقد رووا عنه أنه كان قد علم الغناء حارية من جوارى الحجاز تدعى ظبية وهى بتخريجها ، فاشتراها رجل من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك فاشتراها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها وذهبت به كل مذهب وغلت عليه ، ثم ماتت — بعد أن أقامت عنده برهة من الزمان — وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها ، فكان لمحبتة

أيامها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأين مستقره ويظهر التمسك له والليل إليه والقديم لعنائه على سائر أماني أهل عصره إلى أن عرف ذلك منه وبلغ معبدًا خبره فخرج من مكة حتى أتى البصرة ، فلما وردها صادف الرجل وقد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز فاكترى سفينة ، وجاء معبد يلتبس سفينة ينحدر فيها إلى الأهواز فلم يجد غير سفينة الرجل ، وليس يعرف أحد منهما صاحبه ، فأمر الرجل الملاح أن يجلسه معه في مؤخر السفينة ففعل وانحدروا ، فلما صاروا في قم نهر الأبله تغدوا وشربوا وأمر جواريه فغنن ومعبد ساكت وهو في ثياب السفر وعليه فروة وخفان غليظان وزى جاف من زى أهل الحجاز إلى أن غنت إحدى الجوارى :

بانت سعاد وأمسى حبلى انصرما واحتلت العور فالأجراع من إضما

( والغناء لمعبد ) فلم تجد أداءه فصاح بها معبد : يا جارية إن غناءك هذا ليس بمستقيم ( قال ) فقال له مولاهما - وقد غضب - أنت ما يدريك الغناء ؟ ما هو إلا أن تمسك وتلزم شألك فأمسك ، ثم غنت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم حتى غنت « يا بنة الأزدي قلبي كئيب . . . » ( والغناء لمعبد ) فأخلت ببعضه ، فقال لها معبد : يا جارية لقد أخلج بهذا الصوت إحلالاً شديداً . فغضب الرجل وقال له : ويحك ما أنت والغناء ، ألا تكف عن هذا الفضول . فأمسك ، وغنى الجوارى ملياً ثم غنت إحداهن :

خليلي عوجاً منكما ساعة ممي على الربيع نقضى حاجة ونودع

( والغناء لمعبد ) فلم تصنع فيه شيئاً ، فقال لها معبد : يا هذه أما تقوين على أداء صوت واحد ؟ فغضب الرجل وقال له : ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة ، وأقسم بالله لئن عاودت لأخرجك من السفينة فأمسك معبد حتى إذا سكنت الجوارى سكنت اندفع يعنى الصوت الأول حتى مرغ منه ، فصاح الجوارى : أحسب يا رجل فأعده ، فقال : لا والله ولا كرامة ، ثم اندفع يعنى الثاني ، فقالن لسيدتهن : ويحك هذا والله أحسن الناس غناء فسله أن يميد علينا ولو مرة واحدة لعلنا نأخذنه عنه فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبداً فقال : قد سمعتن سوء رده عليكن وأنا خائب مثله منه وقد أسلفناه الإساءة فاصبرن حتى نداريه ، ثم غنى الثالث فزلزل عليهم الأرض ، فوثب الرجل فخرج إليه وقبل رأسه ، وقال : يا سيدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك ، فقال له : فإني لم تعرف موسى قد كان ينبغي لك أن تتنب ولا تسرع إلى بسوء العشرة وجفاء القول . فقال له : قد أخطأت وأنا أعتذر إليك مما جرى وأسألك أن تنزل إلى وتختلط بي ، فقال : أما الآن فلا . فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه ، فقال له الرجل : ممن أخذت هذا الغناء . قال : من بعض أهل الحجاز ، فن أين أخذته حواريك ، فقال : أخذته عن جارية كانت لي ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكة ، وكانت قد أخذت عن أبي عباد معبد وعنى بتخريجها فكانت تحل مني محل الروح من الجسد ، ثم استأثر الله عز وجل بها وبقي هؤلاء الجوارى وهن من تعليمها فأنا إلى الآن أتعصب لمعبد وأفضله على المعنن جميعا وأفضل صنفته على كل صنعة . فقال له معبد : أو إنك لأنب هو افتعرتني ؟ قال : لا ( قال ) فصك معبد بيده صلته ، ثم قال : فأنا والله معبد وإليك قدمت من الحجاز ووافيت البصرة ساعة نزل السفينة لأفصذك بالأهواز والله لا أقصرت في حواريك هؤلاء ولأجملن لك في كل واحدة منهن خلفاً من الماضية ، فأكب



الرجل والجواري على يديه ورجليه يقبلونها ويقولون : كتمتنا نفسك طول هذا حتى جفوناك في المخاطبة وأسأنا عثرتك وأن سيدنا ومن تمنى على الله أن تلقاه . ثم غير الرجل زيه وحاله وخلع عليه عدة خلج وأعطاه في وقته ثلثمائة دينار وطيبا وهدايا بثملها وانحدر معه إلى الأهواز فأمام عنده حتى رضى حذق حواريه وما أخذنه ، ثم ودعه وانصرف إلى الحجاز .

\*  
\* \*

وقد روى أبو الفرج قصة قدوم معبد إلى مكة وسماعه من المعنين وغناؤه لهم فقال :

قال . معبد : غيب ما يجي ضائي وأعجب الناس وذهب لي به صيب وذكر ، فملك : لا تبين مكة فلا سمعن من المعنين بها ولأعنيهم ولأعرفن إليهم ، فابتعت حمارا فخرح عليه إلى مكة ، فلما قدمتها بم حماري وسأل عن المدين ابن بجمعون ، فقيل : بقميقتان في بيب ملان لجث إلى منزله بالملس فقرع الباب ، فقال من هذا ، فملك : انظر طاماك الله ، مدنا وهو يسبح ويستعيز — كأنه يخاف — ففتح ، فقال : من أنت طاماك ، الله ؟ قل : رجل من أهل المدينة . قال : فما حاجتك ؟ قل : أنا رجل أشتهي الغناء وأرعم أي أعرف منه شيئا وقد بلني أن القوم يجتمعون عندك وقد أحب أن تنزلي في جانب منزلك وتخلطى بهم فانه لا مؤونة عليك ولا عليهم مني ، تلوى شيئا ثم قال : انزل على بركة الله ( قال ) فقل ما نعى فنزل في جانب حجرته ثم جاء القوم حين أصبحوا واحداً بعد واحد حتى اجتمعوا فأمكروني ودلوا : من هذا الرجل . قل : رجل من أهل المدينة حبيب يشهي الغناء ويطرب عليه ليس عليكم منه عاء ولا مكروه . فرحبوا بي وكلمتهم ثم ابسطوا وشربوا وعنوا فجعلت أغني بسائهم وأطهر ذلك لهم ويعجبهم مني حتى أقام أياماً وأخذت من غنائهم وهم لا يدرون أصواتاً وأصواتاً وأصواتاً ، ثم دل لان صريح : مديتك امسك على صوتك :

قل لهسد وترها قبل شحط النوى غدا

قال : أو تحسن شيئا ، تلك : تنظر وصي أن أصنع شيئا . واندفعت فيه دمنيته فصاح وصاحوا ودلوا : أحسن فأتلك الله . قل : فأمسك على صوت كذا فامسكوه على دمنيته فازدادوا عجباً وصياحا . فاسترحت أحداً منهم إلا غنفته من غنائهم أصواتاً قد تغيرتها ( قال ) فصاحوا حتى غلب أصواتهم وهرقوا بي ، وقالوا : لأن أحسن بأداء غنائنا عنا منا ، قل : فامسكوا على ولا تصحكوا بي حتى تسمعوا من غنائ ، فامسكوا على فغيب صوتنا من غنائ فصاحوا بي ثم غنيتهم آخر وآخر فوثبوا إلى وقالوا : نخلاب بالله إن لك لصيتنا وامنا وذكراً وإن لك مينا عاينا لهما عظيما فن أن ؟ قل أنا معبد فقبلوا رأسي وقالوا : ليمت علينا وكنا نهابون بك ولا نعدك شيئا وانت أنت . فأقت عندهم شهرا آخذ منهم ويأخذون مني ثم انصرفت إلى المدينة .

\*  
\* \*

ومن الطرف النادرة ما حدث لمعبد والأسود .

قال معبد : بحث إلى بعض أسراء الحجاز وقد كان جمع له الحرمان إن اشخص إلى مكة فشخصت ، قال : فتقدمت غلامي في بعض تلك الأيام واشتد على الحر والمعش فانهيت إلى خباء فيه أسود ، وإذا حباب

جَاوَرَتْ سَحْمَةً <sup>(١)</sup> مُشَيَّدَةً الْمُبْنَى لِتَرْقِي الرِّخَامِ فِيهِ وَمِيضُ  
مَرَمَرٍ أَوْقَدَ الْفِرْنَدَ <sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ سَمْسَلٌ بِحَرُّهُ الزُّلَالُ يَفِيضُ  
وَسَطَهَا دُمِيَّةٌ يَرُوقُ أَجْتِلَاءُ الْكُلِّ مِنْهَا وَيَفْتِنُ التَّبَعِيضُ <sup>(٣)</sup>

ماء قد بردت قلت إياه قلت : يا هذا اسقي من هذا الماء ، فقال لا ، قلت : فأذن لي في الكن ساعة  
قال : لا ، دأبت ثأنتي ولحأت إلى طلبها فاستترت به ، وقلت : لو أحدثت لهذا الأمير شيئاً من العناء أقدم  
به عليه ولعلني إن حرّكت لسانى أن يبل حاقى ريقى فيحف عى بهس ما أجده من العناء. فترنمت بصوتى :  
« القصر والجل دلتها بينهما » فلما سمعنى الأسود ما سعرت به إلا وقد احتملى حتى ادخلنى خلاءه ثم قال  
إى مأبى أنت وأبى هل لك فى سوقى أملت بهذا الماء البارد ، قلت : قد منمتى أبلى من ذلك وشربة ماء  
تجزئى ( قال ) فسقانى حتى رويب وحاء العلام فأقت عبده إلى وقت الرواح ، فلما أردت الرحلة قال : إى  
مأبى أنت وأبى الحمر شديد ولا آمن عليك منى الذى أصابك فأذن لى أن أحمل معك قربة من ماء على هتقى  
وأسمى بها معك بكلمة عطشت سقيتك وغيشى صوتاً ( قال ) قلت : ذلك لك ، فوالله ما فارقتنى  
سقيى واعيه حتى بلغت المنزل .

وأخبار معدد والعريس طويلة متفرقة فى كتاب الأغاني فليرجع إليها من شاء .  
(١) الحمة — بالفتح — العين الحارة الماء يستشفى بها الأعداء ومنه الحديث : « مثل العالم كمثل الحمة  
يأتيا المعداء ويتركها القراء ، فمتما هى كذلك إذ عار ماؤها وقد اسعج بها قوم وبقى أروام يتفكون أى  
يتدممون » والحمة مدينة ذات ينابيع معددة حارة واردة بالقرب من مدينة « لوشة » ومد زارها « ابن بطوطة »  
ودخل مسجدها ووصف ما فيها من صيد البر والبحر ، والحمة — أيضاً — اسم لمداين أخرى ذات ينابيع  
معددة حارة فى إقليم « غرناطة » وإقليم مرسية وغير ذلك ، وحة غرناطة ، وتسمى مدينة الحمة عند  
أهل غرناطة .

(٢) الفرند : السيمب ووشيه وحوهره ، وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نعل ، والفرند : الورد  
الأحمر أيضاً .

(٣) أحد هذا المعنى من قول ابن الرومى فى وحيد المعية :

وغرير بحسبها قال : « سمها » قلت : « أمرانء هين وشديد .

يسهل القول : إنها احسن الأشياء طراً ويصعب الحديد »

وفى هذه القصيدة يقول :

عادة زانها — من العس — قد ومن الطلي مقلتان وحييد  
ورهاها من فرعها ومن الحدين داك السوداء والوريد  
هى برد — بحدتها — وسلام وهي للعائدين جهد — حميد  
مألما معظية — من وحنيتها — غير ترشاف ريقها تبريد  
مثل داك الرصاب أخفاً داك الوجود ، لولا الأباء والتصريد

وفىها يقول :

تتحلى للناظرين إليها فشتى بحسبها وسعيد  
طلبه — تسكن القلوب وترما ها — وقرية لها تمرير

بَشَرٌ نَاصِعٌ وَخَذْتُ أَسِيلٌ وَحَيًّا طَلَّقْتُ وَطَرَفْتُ غَضِيضٌ  
وَقَوَامٌ كَمَا اسْتَقَامَ قَضِيبُ الْبَابِ إِذْ عَلَّاهُ<sup>(١)</sup> تَرَاهُ الْأَرِيضُ<sup>(٢)</sup>  
وَابْتِسَامٌ لَوْ أَنَّهَا اسْتَعْرَبَتْ فِيهِ أَرَاكَ أَلْسَافَهُ الْإِغْرِيسُ<sup>(٣)</sup>  
وَالْتِفَاتٌ كَأَنَّمَا هُوَ بِالْإِيحَاءِ - مِنْ فَرَطٍ لُطْفِهِ - تَعْرِيسُ

✱ ✱

لَمَعَ طَلَّةٌ مِنَ الْعَيْشِ مَا إِنْ لِلْهَوَى عَنْ عَمَلِهَا تَعْوِيضُ  
سَوَّغَتْنِي نَعِيمَهَا نَفَعَاتُ اللَّمْنِ - مِنْ سَحَابِهَا - تَرْوِيضُ  
تَابَعَتَهَا يَدُ الْهَمَامِ أَبِي عَمْرِو فَمَا غَمَرُهَا لَدَى مَغِيضُ<sup>(٤)</sup>

تعمى كأنها لا تعسى من سكون الأوصال - وهي تعيد  
لا تراها هناك تحفظ عيني - لك منها - ولا يدور ويد  
من هدوء وليس فيه انقطاع ، وسجود وما به تبليد  
مدى في سائر صوتهها نفس كا ف - كأساس عاشقها - مديد  
وأروى الدلال والمنع منه وراه الشجا ، فكاد يبس  
من تراها يدوت طورا وينيا مستلذ بسيطه والشد  
فيه وثى وفيه حلى من الفم م مصوع يحتال فيه القصيد  
طاب دوها وما ترجع فيه كل شيء لها بذاك شهيد  
نعم ينع الصدى ، وعاء عنده يوجد السرور العميد  
فلها - الدهر - لاثم مستزيد وها - الدهر - سامع مستعيد  
في هدوى مشها يحف حلیم - راحح حلمه - ويعوى رشيد  
ما تعاضى الغلاب إلا أصابت به - واهما منهن - حيث تريد

إلى آخر هذه القصيدة للمدة التي تحتوى منها بهذا القدر اليسير فليرجع إليها من شاء في ديوانه ليقرأ بين هذه القصيدة وقصيدة ابن زيدون .

(١) علله : سقاء ، والأريس : الركي التربة الحليق للبث . (٢) المعجب .

(٣) استعربت : بالعت في الصلح ، والاعريس : الطلم وكل أبيض طرى .

(٤) اليد : النعمة ، والفمر : الماء الكثير ، ومبيض : اسم معول من عيس الماء فهو مبيض إذا طار

ومس ، أي تابعت تلك اللع من رغد العيش يد معافة إلى « أبي عمرو » لا تزال تعمدا بمعينها الذي

الذي لا يبيض ماؤه فليس معينها العزيز الماء ناصيا عندي .

مَلِكٌ ذَادَ عَنْ حِمَى الدِّينِ مِنْهُ مَنْ إِلَيْهِ فِي نَصْرِهِ التَّقْوِيضُ  
وَسَمَا نَاطِرٌ مِنَ الْمَجْدِ فِي دُنْيَاهُ قَدْ كَانَ كَفَّهُ التَّغْمِيضُ<sup>(١)</sup>  
إِنْ أَسَاءَ الزَّمَانُ أَحْسَنَ دَأْبًا مِثْلَمَا بَايَنَ النَّقِيضِ النَّقِيضُ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

يَا مُعِزُّ الْهُدَى الَّذِي مَا لَسْنَا هُ إِلَى غَيْرِ سَمْتِهِ تَغْرِيبُ  
يَا مُحِلِّي يَفَاعَ حَالٍ ، مَكَانُ النَّجْمِ - مَهْمَا يُقَسِّ إِلَيْهِ - حَضِيضُ<sup>(٣)</sup>  
إِنْ أَنْزَلَ أَيْسَرَ الرِّغَائِبِ فِيهِ يَرْضَ فَوْزَ الْقِدَاحِ مِنِّي مُفِيضُ<sup>(٤)</sup>  
لَوْ يَفَاعُ الْمَجَرَّةَ أَعْتَضَتْ مِنْهُ رَاحَ يَدْعُو ثُبُورَهُ الْمُسْتَعِيبُ  
حَظٌّ سِنْ أُمْرِي نَأَى مِنْكَ قَرَعُ وَقُصَارَى بَنَانِهِ تَعْضِيضُ

\* \* \*

حَسْبِيَ النُّصْحُ وَالْوِدَادُ وَشُكْرُ عَطَرَ الدَّهْرِ مِنْهُ مِسْكٌ فَضِيضُ  
دُمُ مَوْقَى وَإِيكَ - الدَّهْرُ - تَجَبُّو رُ مَسَاعِيكَ ، وَالْمَدْوُ مَرِيضُ  
فَاعْرِافُ الْمُلُوكِ أَنْكَ مَوْلَا هُمْ حَدِيثُ مَا يَبْنُهُمْ مُسْتَفِيضُ

(١) وتطلع إليك ناظر المجد بعد أن كتب ناظره كثرة الدميس . يريد أنه بعد أن ذاد من حيرة الدين  
سما بنظره في شؤون دينا كاه قد صرفه عنها كثرة التعميس والاعراس .

(٢) وقريب من هذا قول الشاعر :

نشدان لما استنجمما حسا والصدّ يظهر حسنه الفصد .

(٣) اليقاع : ما ارتفع من الأرض . يقول : يا من أحلقتي حالا رديما ، إذا قيس إليه النجم - على رفعتة -

عد حضيفا . (٤) المبيض : من أفاض الرجل بقداح اليسر إذا ضرب بها فوقعت مبهنة متفرقة .

## شفاعة

قال هذه القصيدة يمدح أبا الحزم بن جهور ويتحرم بجنابه ويطلب شفاعته ، قال ابن بسام :

« كان أبو الوليد ممن أنشأته دولة الجهاورة واصطفته اصطفا الفرس  
للأساورة ، وقد اختص بأبي الوليد اختصاص الفرع بالنور وارتبطهم  
ارتباط الأفاضة بالفور ، وأبو الحزم بن جهور — إذ ذاك — رأس الجماعة  
وأصل تلك الأسرة المطاعة من رجل أدهى من عمان وأجراً من ليث  
خفان وأدهى من عمرو بن الحفان . وكان ابن زبدون متصلاً بآبائه  
أبي الوليد أطول حقه اتصال أبي زييد بلوليد بن عتبة وبينهما  
تآلف أحراماً بكميته وطافاً وسقياً من تصايبهما نطافاً وابن زيدون  
يمتد ذلك حساماً مسلولاً ويرى أنه يرد به صعب الخطوب دلولاً ، إلى  
أن طلب عند أبيه أبي الحزم وتوسل فاستدفع به تلك الأسنة والأسل  
فأتى إليه عنان عطفه ولا كعب عنه سنان صرفه مع استعطافه له  
بكل مقال يحل سقائم الاحقاد واستلطافه إياه بما يرد الصعب  
سلس القياد ، فن بدع ذلك وأحسه قوله :

إيه أبا الحزم اهتبل غرة ألسنة الشكر عليها فصاح

أَمَّا وَالْحَاطِظُ مِرَاضٍ صِحَاحٌ	تُصْنِي وَأَعْطَايَ نَشَاوِي صَوَاحٌ
لِبَائِنٍ بِالْحُسْنِ فِي خَدِّهِ	وَرَدُّ وَأُثْنَاءُ ثَنَائِيهِ رَاخٌ
لَمْ أَنْسَ إِذْ بَاتَتْ يَدِي لَيْلَةً	وَشَاخَهُ اللَّاصِقَ دُونَ الْوِشَاحِ <sup>(١)</sup>
أَلَمْتُ بِالْأَلْطَفِ مِنْهُ وَلَمْ	أَجْنَحْ إِلَى مَا فِيهِ بَعْضُ الْجُنَاحِ
لَأُصْفِيَنَّ الْمُصْطَفَى <sup>(٢)</sup> « جَهْوراً »	عَهْدًا لِرَوْضِ الْحَزَنِ عَنْهُ أَتَضَاحُ

(١) قال ابن بسام : قوله : « وشاخه اللاصق دون الوشاح » معنى متداول ، ومن أثره عصره  
قوله الفحل من أهل وقتنا :

« إن العزيز على حقوك انه بالرد حل منك ملا يحمل

تغدى له حسمى مكان وشاخه إن الليل بشكله يتمل »

وقريب من هذا المعنى قول العباس بن الأحنف :

« يا ليت عباس سربال على جسدي أو ليتي كنب سربالا لعباس »

(٢) وفي رواية ابن بسام : « لأصمى المرتضى جهورا »

جَزَاءَ مَا رَفَعَهُ شُرْبَ الْمُنَى      وَأَذَنَ السَّعْيِ بَوْشَكَ النَّجَاحِ <sup>(١)</sup>  
يَسْرَتْ أَمَالِي بِتَأْمِيلِهِ      فَمَا عَدَانِي مِنْهُ فَوْزُ الْقِدَاحِ <sup>(٢)</sup>  
لَمْ أَشِمِ الْبَرْقَ جَهَامًا وَلَمْ      أَقْتَدِحِ الصَّمَّ بِيِضِ الصَّفَاحِ <sup>(٣)</sup>  
مَنْ مِثْلُهُ - لَا مِثْلَ يُلْفِي لَهُ -      إِنْ فَسَدَتْ حَالُ فَمَزَّ الصَّلَاحُ  
يَا مُرْشِدِي جَهْلًا إِلَى غَيْرِهِ      أَغْنَى عَنِ الْمِصْبَاحِ ضَوْءُ الصَّبَاحِ  
رَكِبْتُ مَا تُثْنِي عَلَيْهِ الْحُبَّ      يَهْفُو بِهِ نَحْوَ الشَّاءِ أَرْتِيَاخِ <sup>(٤)</sup>  
ذُو بَاطِنٍ أَقْبَسَ نُورَ الثَّقَى      وَظَاهِرٍ أَشْرَبَ مَاءَ السَّمَاخِ  
أَنْظُرْ تَرَى الْبَدْرَ سَنًا وَاخْتَبِرْ      تَجِدُهُ كَالْمِسْكِ إِذَا مِثَ فَاحِ <sup>(٥)</sup>

\*\*\*

إِيَّاهُ « أَبَا الْحَزْمِ » أَهْتَبِلْ غِرَّةً      أَلْسِنَةُ الشُّكْرِ عَلَيْهَا فِصَاحُ <sup>(٦)</sup>  
لَا طَارَ بِي حَظٌّ إِلَى غَايَةٍ      إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْكَ مَرِيشَ الْجَنَاحِ

(١) ربه : من ورود الابل ردها ، وهي أن ترد الماء في كل يوم متى شاءت .

(٢) يسرت يجوز أن يكون بالتشديد بمعنى سهلت وبالتخفيف من يسر يسر إذا ضرب بقداح الميسر — والمعنى على الثاني ضربت بقداح آمالي ياسراً فلم يمدني أن فوزت بأوفر القداح - طوطا ، وفي روايه ابن بسام : « يسرت آمالي بتأمله »

(٣) أي لم انظر البرق ليس فيه مطر ، ولم اقتدح صلباً لم يور ناراً .

(٤) ركب من الركابه أي الرزاقه — والمعنى : أنه وقور الحوة رزينا يهوه به ويحركه نحو المدح أريحيه فيهتر بعد سكون في مجلسه ووقار .

(٥) مات الشيء يميته إذا مرسه يده في الماء فداب من مسك ونحوه — يقول انظر تره كالبدر سا وبهاء وأختبره نحدك كالمسك فاح شذاه وقد ميث أي مرس باليد ، والمسك — لا اسحق — فاح شذاه ، وقد قال للمرى في هذا المعنى وأجاد ما شاء أن يحيد .

« حل البلى سيفيد المرء فائدة عالمك يزداد من طيب إذا سحقا »

(٦) اهبل : اغتم يقال اهتبلت غملته — والمره : بالكسر الغلة ، وفي المثل « الغرة تحلب البره » أي الغلة تحلب الرزق — والمعنى : أسكت أبا الحزم في غلة أعدائك من المعام والأموال تنطلق الألسن ممصعة بشكرك ، وفي رواية ابن بسام : « ألسنة النحر عليها فصاح »

عُتْبَاكَ - بَعْدَ الْعَتَبِ - أُمْنِيَّةٌ  
لَمْ يَثْنِي عَنْ أَمَلٍ مَا جَرَى  
فَأَشْحَذَ بِمُحْسِنِ الرَّأْيِ - عَزَمِي يُرْعِ  
وَأَشْفَعُ فَلِلشَّافِعِ نَعْنَى بِمَا  
إِنَّ سَحَابَ الْأَفْقِ مِنْهَا الْحَيَا  
وَقَالَ مَا تَخْشَى مِنَ الدَّهْرِ مَنْ  
مَا لِي عَلَى الدَّهْرِ سِوَاهَا أَقْبِرَاحُ<sup>(١)</sup>  
قَدْ يُرْقِعُ الْخَرْقُ وَتَوْسِي الْجِرَاحُ  
مِنِّي الْعِدَاءُ أَلَيْسَ شَاكِي السَّلَاحِ؟<sup>(٢)</sup>  
سَنَاءٌ مِنْ عَقْدٍ وَثِيقِ النَّوَاحِ<sup>(٣)</sup>  
وَالْحَمْدُ فِي تَأْلِيفِهَا لِلرَّيَاحِ<sup>(٤)</sup>  
تَعَبْتُ فِي تَأْمِينِهِ وَأَسْتَرَاحُ

### هدية تفاح

« وهل في تفاح أهداء إلى المضئ بالله

أبي عمرو عباد بن محمد بن عباد »

يَا مَنْ تَزَيَّنْتَ الرَّيَا سَةِ حِينَ أَلْبَسَ ثَوْبَهَا  
وَلَهُ يَدٌ يَدْسُ الْفَمَا مٌ مِنْ أَنْ يُعَارِضَ صَوْبَهَا<sup>(٥)</sup>  
جَاءَ تِلْكَ جَامِدَةُ الْمَدَا مَ فَخُذْ عَلَيْهَا ذَوْبَهَا<sup>(٦)</sup>

- (١) العتبى : الرجوع إلى ما يرضى العاتب أى رجوعك بعد العتاب إلى ما يرضى أمسه لا اقترح على الدهر سواها . (٢) فوَّ بمحسن الرأى عزمى يحب من العدا ، أليس عزمى شاكي السلاح ؟ (٣) سناء : سهله وسره - من عقد : أى من حل عقد - وثيق النواح : أى عسر الحل من أى نواحيه أتيت ، وقرأت شاهدا على هذا فى أمالى أبى القاسم الرجعى ، إن معاوية بن أبى سفيان صرف روح ابن زبياع عن عمله لحيانة بلغته عنه ، وأصره بالدوم عليه ففعل ، فأصر ضربه فلما أخذته الشياطين قال : « لشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تهدم من ركنا أت بنيت ، أو تضع من حسنة أت رفعتها » الخ ما قال ، فقال معاوية . « إذا الله سى حل عقد تسر ، حلياهه » - ومعنى البيت أنه اطلب شعاعته ، وبين أن للشامع على المشفوع له يد ومنة بسبب ما سهله وسره من حل عقد تسر حد أن تعقدت أواخيه وتوثقت نواحيه . (٤) الحيا : المطر - يريد أن الحمد للشامع لا للذى قبل منه الشفاعة ، كما أن الحمد ليس للسحب التى منها المطر بل للرياح التى تزيحها ثم تؤلف منها فتطر ، وقد كرر هذا المعنى فى بعض قصائده فقال :  
لا تسمع النساء - والحمدى صوب الحيا للرياح لا لعيوم  
انظر ( م ) من هذا الديوان . وقد سبقه البحرى إلى هذا المعنى فقال وأبدع :  
« حارمدي ، وللرياح - اللواتى تجلب العيث - مثل حمد الغيوم »  
(٥) نزول المطر . (٦) جعل المدام وهي الخمر نوعين جامدة وهي التفاح ودائبة وهي الراح وطلب إلى الممدوح أن يشرب عليها ذوبها وهي الراح الحقيقية .

## لا يهنا الشامت

« قال يمدح أبا الحزم بن جهور وقد كتبها  
إليه من السجن . »

مَا جَالَ بَعْدَكَ لَحْظِي فِي سَنَا الْقَمَرِ      إِلَّا ذَكَرْتُكَ ذِكْرَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ <sup>(١)</sup>  
وَلَا اسْتَطَلْتُ ذَمَاءَ اللَّيْلِ مِنْ أَسْفِ      إِلَّا عَلَى لَيْلَةٍ سَرَّتْ مَعَ الْقِصْرِ <sup>(٢)</sup>  
نَاهِيكَ مِنْ سَهَرٍ بَرَحَ تَأْلَفُهُ      شَوْقِي إِلَى مَا أَنْقَضَى مِنْ ذَلِكَ السَّعَرِ  
فَلَيْتَ ذَلِكَ السَّوَادَ الْجَوْنَ مُتَّصِلُ      لَوْ اسْتَعَارَ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ <sup>(٣)</sup>

\*\*\*

أَمَّا النَّسْنَى فَجَنَّتُهُ لَحْظَةُ عَنْ      كَأَنَّمَا وَالرُّدَى جَاءَ عَلَى قَدَرِ <sup>(٤)</sup>  
فَهِمْتُ مَعْنَى الْهَوَى مِنْ وَحْيِ طَرَفِكَ لِي      إِنَّ الْخِوَارَ لَمَفْهُومٌ مِنَ الْخَوَرِ  
وَالصَّدْرُ مُذْ وَرَدَتْ رِفْهًا تَوَاحِيَهُ      تَوْمَ الْقَلَائِدِ لَمْ تَجْنَحْ إِلَى صَدْرِ <sup>(٥)</sup>

(١) أى لم أحل بلحظى فى نور القمر بعد غيبتك عني إلا ذكرتك كما يذكر الرائي عين النسيء وداته بما يراه من آثاره . (٢) الدعاء : بالفتح البقية الناقية من الليل - أى ما تميت أن يطول ما بقي من عمر الليل إلا أسما على ليلة اشتملت على ما يسر مع قصرها والشراء كثيرا ما يسمون ليلة الوصال بالعصر ، ومن أبدع ما قرأناه فى ذلك قول الشريف الرضى :

« أَشْكُو اللَّيْلَ غَيْرَ مَعْتَبَةٍ إِمَّا مِنَ الطُّوْلِ أَوْ مِنَ الْقَصْرِ

تَطُولُ فِي هَجْرِهِمْ وَتَقْصُرُ الْوَصْلَ . فَلَا يُلْتَقَى عَلَى الْقَدْرِ

بِالْيَسَةِ كَادَ مِنْ تَقَاصُرِهَا مِثْرَ دِيهَا الْعِشَاءُ وَالسَّحَرُ »

(٣) انتهى أن يسأل طلام الليل بما يسره من سواد القلب والعصر ، ولو لاحت أى وابتته استعار ، ولا خفاء أن سويداء القلب وسواد العين من أغس الأشياء وأعزها ، واسكنه يبدلها طارية فى سبيل اسدامة الليل وطوله ، وجاء لابن سنام فى الدخيرة فى نقد هذا البيت . قوله : « لو استعار سواد القلب والبصر لفظ المعرى حيث يقول :

يُودَى أَنَا طَلَامَ اللَّيْلِ دَامَ لَهُ      وَزَيْدِيهِ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ

(٤) المتن : بفتحين من عن النسيء إذا طهر أماءك واعترس .

(٥) ريفها : هو أن ترد الابل الماء كل يوم - توم القلائد : جمع تومه بالضم وهى المولودة ، استعار ورود الابل ريفها للأزمة الحلى صدرها من غير أن تمنح بعد الورود إلى الصدر .



حُسْنُ أَفَانِينَ لَمْ تَسْتَوْفِ أَعْيُنُنَا  
وَأَهَا لِمَعْرِكَ تَعَرَّأَ بَاتَ يَكْلَوْهُ  
يَقْظَانُ لَمْ يَكْتَحِلْ غَمَضًا مُرَاقِبَةً  
لَا لَهْوُ أَيَّامِهِ الْخَالِي عِزَّ تَجَمُّعٍ  
إِذْ لَا التَّحِيَّةُ إِيمَاءُ مُحَاسَنَةً  
مَنْ كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَذَكُّرُهَا

\*\*\*

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ حَالِي فَشَاهِدُهَا  
لَمْ تَطْوِ بُرْدَ شَبَابِي كِبَرَةً وَأَرَى  
قَبْلَ الثَّلَاثِينَ إِذْ عَهْدُ الصَّبَا كَثَبٌ  
مَحْضُ الْعِيَانِ الَّذِي يُعْنِي عَنْ الْخَبَرِ  
بَرَقَ الْمَشِيبِ أَعْتَلَى فِي مَارِضِ الشَّعْرِ<sup>(٣)</sup>  
وَاللِّشْبِيَّةِ غُصْنٌ غَيْرٌ مُهْتَصِرٍ

(١) يَكْلَوْهُ : يحفظه ويفار عليه - وغيوان : وصف من الغيرة - والعوالى صدور الرماح - الشعر : جمع ثغره بالضم وهو الطرق والمنافذ المسلوكة أو أراد بها جمع الثغرة وهي الثغرة في النحر .  
(٢) المرر : جمع غرة بالكسر وهي العفلة ، والمعنى : أنه يشتر غرات الرقيب الساهر طول ليله غيرة وحفاظا ومراقبة ، فيقدم رابط الجأش بالرغم من يقظته وتنبيه وسراقته إياه ، ولا يحجم عما اعتزمه من موااة حبيبه .  
(٣) الكبرة : بفتح فسكون كبر السن - والعارض : اخذ يقال أخذ الشعر من طارضيه - والمعنى : أن بياض المشيب وخط طارضيه قبل أن يخلع برد الشباب وقبل أن يعد من سنيه ثلاثين ربيعا ، وأبدع أبو نواس في هذا المعنى أيما إبداعا إذ يقول في سيبنته :

« وإذا عددت سني ، كم هي ؟ لم أحد  
قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدي  
وقال ابن الرومي : « قد شيب الفتي وليس عجبا  
وقال الآخر : « يا عز هل لك في شيخ فتى أبدا  
وقال أبو العلاء : ارجع إلى السن فابظر ما تقادها  
فكم ثلاثين حولا شيبت ، ومضت  
وليس ذلك إلا صيغة جعلت  
للشيب عذرا في التزول براسي  
عن أن تسير إلى في بالكاس »  
أن يرى النور في القضيبي الرطيب »  
وقد يكون شباب غير فتيان »  
فاحكم عليه ولا تحكم على الشعر  
ستون ، والشيب فيها غير مستمر  
طبعاء ، وإن قيل : شاب الرأس للدعر .

هَإِئِنَّهَا لَوَعةٌ فِي الصَّدْرِ قَادِحَةٌ نَارَ الْأَسَى وَمَشِيبِي طَائِرُ الشَّرِّ (١)

\* \*

لَا يَهْنِي الشَّامِتَ الْمُرْتَاخَ خَاطِرُهُ أَنِّي مُعَنَى الْأَمَانِي ضَائِعُ الْخَطَرِ (٢)  
هَلِ الرِّيحُ بِنَجْمِ الْأَرْضِ عَاصِفَةٌ؟ أَمْ الْكُسُوفُ لِفَيْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ (٣)  
إِنْ طَالَ فِي السَّجْنِ إِيدَاعِي، فَلَا عَجَبٌ قَدْ يُودَعُ الْجَفْنُ حَدَّ الصَّارِمِ الَّذِي كَرِهَ  
وَإِنْ يُدَبِّطُ - «أَبَا أَحْزَمِ» الرَّضَى - فِدَرٌ عَنْ كَشْفِ ضُرِّي فَلَا عَتَبٌ عَلَى الْقَدَرِ

\* \*

مَا لِلذُّنُوبِ - الَّتِي جَانِي كَبَائِرُهَا - غَيْرِي - يُحَمَّدُنِي أَوْزَارَهَا وَزِرِي (٤)

(١) أي أنها لوعة تقذح نار الأمل والحزن في صدره ، ومشيبي رأسه ما تطاير من شر تلك النار الموقدة فيه ، وحاء في الدخيرة لأن يسام قبل هذا البت توله :  
يا للرزايا لقد شامت منهلها عمرا فما اشرب المكروه بالعمر  
والعمر القذح الصغير ، فهو يعني انه لا يشرب من المصائب بالمدح الصغير .  
وحاء بعده في سخطي الديوان المخطوطتين هذا البت ناقصا هكذا :  
حوادث استعرضتني ما نذرت لها غرامه . . . . .  
ونحن شامتها كما وجدناها .

(٢) لا يهين : يقال هناه الأمر أي تهنا به - معني الأمانى : اسم مفعول من العناء وهو التعب - والخطر الشرف والمنزلة - والمعنى : لا يتهأ الشامت المثلوح الفؤاد يكوئى في هاء ويصب سب الأمانى ويكوئى ضائع القدر والمنزلة .  
(٣) أراد شحم الأرض ما شحم على وجهها من النبات ولم يقم على ساق ومنه قوله تعالى « والجم والشجر يسجدان » وهذا البيت قليل لحد فله أي لا تفرح أبها الشامت هارخ لا تعصب إلا بما له ساق من الشجر ، والكسوف : لا يكون امير الشمس والقمر - وهو معنى طريقه الشعراء كثيرا ، ومنه قول أبي تمام  
إن الرياح إذا ما أعصف قصفت هيدان نجد ولم يبيان بالرم  
بات تمش ونعش لا كسوف لها والشمس والبدر منها الدهرى رقم  
وقرب منه قوله أيضا :

لأنكرى عطل الكريم من الأذى فالسبيل حرب للمكاث للعالى

(٤) الوزر : بالكسر الدب والوزر بمنحيتين المعين والملجأ - والمعنى : لأي سبب يحملنى ملجئى ومعتصمى  
تبعه ما جناه غبرى من كبائر الذنوب ، وهو نظير قول المعري :  
وحرم حره سبهاء قوم وحل بغير جاره العقاب

مَنْ لَمْ أَزَلْ مِنْ تَأْنِيهِ عَلَى ثِقَةٍ  
ذُو الشِّيمَةِ الرُّسُلِ - إِنَّ هِجَتَ حَفِظَتُهُ -  
مَنْ فِيهِ لِلْمَجْتَلِيِّ وَالْمُبْتَلِيِّ نَسَقًا  
مُذَلِّلٌ لِلْمَسَاعِي حُكْمَهَا شَطَطًا  
وَزِيرٌ سَلِمَ كَفَاهُ يُمْنُ طَائِرِهِ  
أَغْنَتْ قَرِيحَتُهُ مَنِّى تَجَارِيهِ  
كَمْ أَشْتَرَى - بِكَرَى عَيْنِيهِ - مِنْ سَهَرٍ  
فِي حَضْرَةِ غَابِ صَرْفِ الدَّهْرِ - خَشْبَتَهُ -  
مُتَمِّعٌ بِالرَّيْسِ الطَّلُقِ نَازِلُهَا  
مَا إِنْ يَزَالُ يَبْتُ الثَّبْتُ فِي جَلْدِهِ



قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي وَالنَّجْمَ فِي قَرْنٍ      فَقِيمٌ أَصْبَحْتُ مُنْهَضًا إِلَى الْعَفْرِ (٨)

- (١) التَّأْنِي : التَّهْوِيل ، والنَّحْي : ادِّعَاءُ ذَنْبٍ لَمْ يَفْعَلْهُ - أَيْ أَنَا عَلَى ثِقَةٍ مِنَ الْحَصُولِ عَلَى أَمْنِي ، وَإِنْ تَأْنَى ، وَلَا أَحْذَرُ أَنْ يَسْبُحَ إِلَيَّ ذَنْبًا لَمْ أَفْعَلْهُ .
- (٢) الشِّيمَةُ الرُّسُلُ : الْخَلْقُ السَّهْلُ السَّامِعُ - وَالْمُجْتَلِيُّ : الْغَضَبُ - وَالْمُسْتَعْتَبُ : مُصَدَّرٌ مِمَّا يَعْصِي الْأَسْتِعْتَابَ أَيْ الْأَسْتِرْسَاءَ يُقَالُ اسْتَعْتَبَهُ أَيْ اسْتَرْأَاهُ فَأَعْتَبَهُ أَيْ أَرْضَاهُ - وَالْيَسْرُ : الْمَيْسَرُ .
- (٣) الْمَجْتَلِيُّ : الْبَاطِلُ ، وَالْمُبْتَلِيُّ : الْمُحْتَمَلُ ، وَالسَّرُّ : الشَّرْفُ أَيْ مُحْتَبَرٌ سَرِيٌّ شَرِيفٌ .
- (٤) الْمَسَاعِي الْمَآثِرُ أَيْ مَدَلُّ الْمَسَاعِي أَنْ تَشْتَعِلَ عَلَيْهِ فِي الْحُكْمِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَسِ الْمُنِيعُ الْجَانِبُ .
- (٥) مَحْصَدُ الْمَرْرِ : مَقْتُولُ الْقَتْلِ .
- (٦) يَقُولُ أَنَّهُ لِأَمْلِيَّتِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحَارُبٍ وَإِنْ بَدَأَتْهُ تَعْنَى عَنْ رُوبَتِهِ وَنَظَرَتِهِ السَّرِيعَةِ تَعْنَى عَنْ إِطَالَةِ الْفِكْرِ وَقَدِيمًا قَالُوا :

الْأَمْلَى الَّذِي يَنْظُرُ بِكَ الطَّيْسُ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

- (٧) الْجَلْدُ : الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ ، أَيْ أَنَّهُ مَدَّ سَاسَ الْمَلِكَةِ وَهُوَ دَائِبٌ عَلَى مَثِّ الثَّبَاتِ وَالزَّرْعِ فِي أَرْضٍ لَا تَنْتَبِ لِمَلَابَتِهَا وَإِلَافَةِ الْمَاءِ إِلَيْهَا مِنْ عِيُونِ تَتَجَرَّعُ مِنَ الصَّغْرِ .
- (٨) يَقُولُ : مَا نَالَكِ أَخْلَافَ آمَالِي وَبَدَاتِ مَكَانَتِي الْعَالِيَةِ عِنْدَكَ الَّتِي كُنْتُ تَحْلِي بِهَا فَوْقَ ذُرْوَةِ النُّجُومِ فَأَنْزَلْتَنِي إِلَى حَضِيضِ الْهَوَانِ .

أَحِينَ رَفَّ عَلَى الْآفَاقِ مِنْ أَدْبِي      غَرَسَ لَهُ مِنْ جَنَاهُ يَانِعُ الثَّمَرِ <sup>(١)</sup>  
وَسِيْلَةً سَبَبًا - إِلَّا تَكُنْ نَسَبًا -      فَهَوَّ الْوِدَادُ صَفَا مِنْ غَيْرِ مَا كَدَرِ

\* \* \*

وَبَاشٍ مِنْ ثَنَاءِ حُسْنِهِ مَثَلٌ      وَشَى الْمَحَاسِنِ مِنْهُ مُعَلِّمُ الطَّرَرِ  
يُسْتَوْدَعُ الصُّحُفَ لَا تَخْفَى نَوَافِحُهُ      إِلَّا خَفَاءَ نَسِيمِ الْمِسْكِ فِي الصَّرَرِ <sup>(٢)</sup>  
مِنْ كُلِّ مُخْتَالَةٍ بِالْخَبَرِ رَافِلَةٌ      فِيهِ اخْتِيَالُ الْكَعَابِ الرُّودِ بِالْخَبَرِ <sup>(٣)</sup>  
تُجْنَى لَهَا الرُّوضَةُ الْغَنَاءُ أَضْحَكَمَا      تَجَالُ دَمْعُ النَّدَى فِي أَغْيُنِ الزَّهَرِ <sup>(٤)</sup>

(١) رف النبات اهتز - بقول : هل حين انتشرت آدابي ومدائمي في الآفاق فاجت يانع الثمر ، ولم يذكر جواب الاستفهام في البيت بعده لأنه مفهوم من السياق ، وهي عادة مألوفة كما قال الشاعر :  
«الآن لما كذب أكل من منى      واغتر نابتك عن شباة الفارح  
وتكاملت فيك المروءة والتقى      وأعنت ذلك بالفعال الصالح»  
وقول القائل :

«أبت لي همي وأبي بلاني      وأخسدي الحمد بالتمس الربيع  
ولجشامي على المكروه نفسي      وضربني هامة البطل المشيع  
وقولي - كلما حشأت وجاشت -      مكانك تعمدى أو تستريعي»

وربما ذكر الجواب كما ترى في قول ابن الرومي :

«الآن حين زأرت واستمع الوري      زأرى وأنذر كلب شر ديبه  
الآن حين سفت كل مسابق      فتركت أسرع حربه تقريبه  
يتكلم المشكفون رياستي      ليطل بذلك معجب تعجيبه»

(٢) أى يستودع ذلك الثناء - المضروب بحسنه المثل - بطون الصحف ولا يمكن أن يخفى ما يدوح من أريته إلا إذا حو ربح المسك في الصرر .

(٣) أى من كل صحيفة تختال بما فيها من المداد الذى سطرت به آيات بيانه وسحر بلاغته اختيال الجارية التى كعب ثدياها بما تلدسه من وشى منمر وبرد غير .

(٤) أى أنه يصطبح الخبرة التى يكتب بمدادها آيات بلاغته ويجهو لأجلها الروضة الناء أضحكها الحيا ، وجالت في أعين أرهاها دموع الندى .

يَا بَهْجَةَ الدَّهْرِ حَيًّا وَهَوًّا - إِنْ فَنَيْتَ  
لِي فِي اعْتِمَادِكَ - بِالتَّأْوِيلِ - سَابِقَةً  
فَقِيمَ غَضَّتْ تَهْوِي مِنْ غَلَا هَمِي  
هَلْ مِنْ سَبِيلٍ فَنَاءَ الْعَتَبِ لِي أَسْنُ  
نَذَرْتُ شُكْرَكَ لَا أَنْسَى الْوَفَاءَ بِهِ

حَيَاتُهُ - زِينَةُ الْآثَارِ وَالسَّيْرِ (١)  
وَهَجْرَةٌ - فِي الْهَوَى - أُولَى مِنَ الْهَجْرِ  
وَحَاصَ بِي مَطْلَبِي عَنْ وَجْهَةِ الظَّفَرِ؟ (٢)  
إِلَى الْمَذُوبَةِ مِنْ عَتَبِكَ وَالْخَصْرِ؟ (٣)  
إِنْ أَسْفَرْتَ لِي عَنْهَا أَوْجُهُ الْبُشْرِ (٤)

\* \* \*

لَا تَلُهُ عَنِّي فَلَمْ أَسْأَلْكَ مُعْتَسِفًا  
وَأَسْتَوْفِرَ الْحَظَّ مِنْ نُصْحٍ وَصَافِيَةٍ  
هَبْنِي جَهَلْتُ فَكَانَ الْعِلْقُ سَيِّئَةً  
إِنَّ السِّيَادَةَ بِالْإِغْضَاءِ لَا بِسَةِ

رَدَّ الصَّبَا بَعْدَ إِيفَاءٍ عَلَى الْكِبَرِ (٥)  
كِلَاهُمَا الْعِلْقُ لَمْ يُوهَبْ وَلَمْ يُعَرِّ (٦)  
لَا عُذْرَ مِنْهَا سِوَى أَنِّي مِنَ الْبُشْرِ  
بِهَاءَهَا وَبِهَاءِ الْحُسْنِ فِي الْخَفْرِ

(١) نعى في هذا البيت ممدوحه وهو لا يزال حيا يرزق ، وقد أخذ هذا المعنى - ولم يحسن الأخذ - من قول أبي الملاء :

« جمال ذى الأرض كانوا في الحياة وهم بعد الممات جمال الكعب والسير . »

(٢) حاس : حاد وماله .

(٣) العتب : السخط وإطهار الوحدة لمخافة ارتكاب ، والعتي : الرضا والروح إلى المنة بعد السخط ، والخصر : البرودة ، والمعنى : هل من سبيل يسد العتب الشبيه بالماء الأسن أى المنير الذى لا يستسيفه شارب به إلى العتي الشبيه بالماء المذهب النارد السائغ شرابه - وقد أحس أبو الملاء فى حمل برد الماء الذى يصير به أطيب لشاربه سببا فى هجره لا قراطه فى الخصر والبرودة وذلك حيث يقول :

« لو اختصرتم من الأحسان زركم والعذب يهجر للأقراط فى الخصر . »

(٤) التزمير فى « عنها » طائد إلى العتي ، والبشر : جمع بشرى .

(٥) أى لم أعترف فى السؤال ولم أطلب مستجيلا .

(٦) استوفر : استكثر ، وصافية : الاسان خاصته الذى يملون إليه ويمشون مجلسه ويطلون ما عنده والمعنى : الشيء الذى يمس به لفاسته فلا يوهب ولا يمار ، وقد ورد فى ديوان الحماسة قول الشاعر :

« أبيت الأمن إن سكاب عاقى نفيس لا يمار ولا يباع »

مفسدة مكرمة علينا يجاع لها العيال ولا تمنع

سلبية سامعين تاجلاها إذا لبسا يصهما الكراع . »

لَكَ الشَّفَاعَةُ لَا تُدْنِي أُعِثُّهَا      دُونَ الْقَبُولِ بِمَقْبُولٍ مِنَ الْعَذْرِ (١)  
وَالْبَسَ مِنَ النِّعْمَةِ الْخَضِرَاءَ أَيْكُنْهَا      ظِلًّا حَرَامًا عَلَى «الْآفَاتِ وَالْغَيْرِ» (٢)  
نَعِيمَ جَنَّةٍ دُنْيَا - إِنْ هِيَ أَنْصَرَمَتْ -      نَعِمْتَ بِالْخُلْدِ فِي الْجَنَّاتِ وَالنَّهْرِ

### أترع الكأس

أَدْرِهَا فَقَدْ حَسُنَ الْمَجْلِسُ      وَقَدْ آتَى أَنْ تُتْرَعَ الْأَكْوُسُ  
وَلَا بَأْسَ إِنْ كَانَ وَلَّى الرَّيِّعُ      إِذَا لَمْ تَجِدْ فَقْدَهُ الْأَنْفُسُ (٣)  
فَإِنَّ خِلَالَ أَبِي عَامِرٍ      بِهَا يَحْضُرُ الْوَرْدُ وَالزَّرْجِسُ (٤)

### لا حيلة في الحب

يَا مُخْجِلَ الْغُصْنِ الْفَيْنَانِ إِنْ خَطَرَا      وَفَاصِحَ الرَّشَاءِ الْوَسْنَانِ إِنْ نَظَرَا (٥)  
يَقْدِيكَ مِنِّي مُحِبٌّ شَأْنُهُ عَجَبٌ      مَا جِئْتَ بِالذَّنْبِ إِلَّا جَاءَ مُعْتَذِرَا (٦)  
لَمْ يُنْجِنِي مِنْكَ مَا اسْتَشْعَرْتُ مِنْ حَذَرٍ      هَيْهَاتَ كَيْدُ الْهَوَى يَسْتَهْلِكُ الْحَذَرَا  
مَا كَانَ حُبُّكَ إِلَّا فِتْنَةً قُدِرَتْ      هَلْ يَسْتَطِيعُ الْفَتَى أَنْ يَدْفَعَ الْقَدَرَا (٧)

(١) العذر : جمع عذره كسدره مصدر كلعدر . (٢) وجد هذا البيت في الأصل ناقصاً هكذا :  
وَالْبَسَ مِنَ النِّعْمَةِ الْخَضِرَاءَ أَيْكُنْهَا      ظِلًّا حَرَامًا عَلَى الْآفَاتِ . . . .

ووجد في هامش بعض النسخ بكلمة لهذا البيت كله ( والغير ) وهذه الكلمة ياسبها الآفات لا الآفات  
لخصت كلمة البيت بكلمتين كما ترى إحداهما من هامش بعض الأصول ، والأخرى يعطها السياق .

(٣) أدر الكأس فقد صفا المجلس واغناه حسنه من حسن الربيع فلم يعد نحس للربيع فقدا .

(٤) فان خلا أبي عامر تذكرنا بالورد والرجس وياسبها عليها عنهما .

(٥) يقول : « لك تروى بالعصن المورق إن مشيت وتروى بالظلي الغرير الطرف إن نظرت .

(٦) يقدم لك الفداء محب أسره عجيب ، فامك كلما أتيت ذنباً أرى إلا أن يجلس لك الأعذار ويخلفها لك خلفاً

(٧) كنت أقدر أنك تهجرني بعد الوصال وكنت انلاقي كل سبب يؤدي إلى ذلك وأحذر جهدي ألا يقع  
ما حفته ولكن القدر لا بد أن يمدح حكمه وليس يدفعه حذر . وما أجل قول الشاعر البايع محمود أبي الوفاة :

« يَا لَيْتَنِي فِي الْهَوَى دَعَى وَمَا حَلَفَ      رَوْحِي لَهُ ، لَيْسَ أَمْرِي فِي الْهَوَى يَبْدَى »

وقول العباس بن الأحمب :

« أَتَدْرِي وَلَعْتَ حَوَاءَ . كَ بَلِيَّةٍ      طَلَى أَمَاسِيهَا ، وَخَبَلًا مِنَ الظِّلِّ . »

## في مدح ابن جهـور

مَرَّادُهُمْ حَيْثُ السَّلَاحُ حَمَائِلُ وَمَوْرِدُهُمْ حَيْثُ الدَّمَاءُ مَنَاهِلُ (١)  
وَدُونُ الْمَنَى فِيهِمْ جِيَادٌ صَوَافِنُ وَمَأْثُورَةٌ بِيضٌ وَسُمْرٌ عَوَامِلُ (٢)  
لِكُلِّ نَجِيدٍ فِي النِّجَادِ كَأَنَّمَا تُنَاطُ بِمَتْنِ الرُّمَحِ مِنْهُ الْحَمَائِلُ (٣)  
طَوِيلٌ عَلَيْنَا لَيْلُهُ مِنْ حَفِيزَةِ دَانَ صَبَابَاتِ النُّفُوسِ طَوَائِلُ (٤)  
كِنَاسٌ دَنَا مِنْهُ الشَّرَى فِي مَحَلَّةٍ بِهَا اللَّيْثُ يَعْدُو وَالْغَزَالُ يُغَازِلُ (٥)

(١) المراد : اسم مكان من راد يرود أى ارتاد طلباً للنخلة والسكّاء ، والحمايل : جمع حملة وهى الشجر الكثير المجتمع اللثب الذى يستر ما فى داخله ، والمناهل - جمع منهل - وهو موضع النهل وهو القرب أولاً يقال شرب عللاً بعد نهل يريد أنهم يهلون من دم واردهم ، والمعنى : الذى يرود حى أولئك العرب الانحداد حيث تسكن الحبيبة يرود هناك حمائل يكثر فيها السلاح وتشتجر الرماح ، ومن يرد مستجمعهم يتخذ مساكن تهل فيها الدماء ويتمرض واردها لأسباب السماء .

(٢) الصوافن : من الحيل جمع صافى وهو الذى يقوم على ثلاث ويثني سببك الرابعة ، ومأثورة صفة السيوف ، يقال سيف مأثور أى فى مسه أثر بمتع فكون وهو مرند السيف وحوهره وديباجه ، والسمر الرماح ، والعوامل : صدورهما جمع عامل ، يقول دون ما تتمناه حى منبع بالصافات الجياد حى ببس السيوف وسمر الرماح .

(٣) نجيد : شجاع ذو نخدة وبأس ، والنجاد : حمائل السيف ، وتنط : تملق ، بتن الرمح : أى بقامة كالرمح فى الطول ، والعرب تمدح بالطول وتدم الدمامة والقصر ، دل رحل من طي :

«ولما التقى الصمان واختلفا فلما نهالا وأسباب المايا نهالا

تين لى أنت القماء ذلة وأن أعزّاء الرجال طواها

دعوا يا سعد واشميننا لطى أسودا لشرى إندامها ونزالها»

وقد أجاد أبو الملاء فى مدح القصر ، فقال :

«عجب الأمام لطول همه ما حد أوفى به قصر على أضرابه

سهم الفتى أصى مدى من سيمه والرمح ، يوم طمانه وضرايه»

(٤) الحفيظة : العصب ، والصبايات : جمع صبايه وهى العشق ، والطوائل : جمع طائفة وهى الترة والنار

يقول يطول على كل طويل النجاد ليله من حفيظة وغصب علينا ، وكان العشق وصبايات النفوس أوجبت له هدنا طوائل وترات فهو كمن يطلبنا ليثاً منا .

(٥) السكاس : مأوى الظباء والبقر الذى تستكن فيه من الحر ، والشرى : موضع تنسب إليه الأسود .

أَمَرُ الْقِيَابِ الْحُمُرِ وَسَطَ عَرَبِيهِمْ      لَقَدْ قُصِرَتْ فِيهَا السَّرُوبُ الْعَقَائِلُ<sup>(١)</sup>  
 أَحْجُوبَةٌ لَيْلَى وَلَمْ تُخْضِبِ الْقَنَا      وَلَا حَجَبَتْ شَمْسُ الضُّحَاءِ الْقَسَاطِلُ<sup>(٢)</sup>  
 أَنَاةٌ عَلَيْنَا مِنْ سَنَا الْبَذْرِ يَسْمُ      وَفِيهَا مِنَ الْغُصْنِ النَّضِيرِ شَمَائِلُ<sup>(٣)</sup>  
 يَجُولُ وَيَسَاحَاها عَلَى خَيْرِ رَانَةٍ      وَتُشْرِقُ فِي «مَوْشِيَتَيْنِ» الْخَلَائِلُ<sup>(٤)</sup>  
 وَلَيْلَةٌ وَافْتَنَّا الْكَثِيبَ لِمَوْعِدِ      كَمَا رِيعَ وَسَنَانُ الْعَشِيَّاتِ خَاذِلُ<sup>(٥)</sup>  
 تَهَادَى - أَنْسِيَابُ الْأَيْمِ - يَمُفُّوْا ثَارَهَا      مِنْ الْوَشْيِ مَرْقُومُ الْعِطَافَيْنِ ذَائِلُ<sup>(٦)</sup>

(١) العرين : موى الأسد ، وقصرت : حبست قال تعالى « حور مقصورات في الخيام » أى محوسات في الخيام محذرات على أزواجهن في الحنات ، والسروب : جمع سرب بالكسر وهو القطيع من الطيأ والنساء والطيأ ، والمقصود في كتب اللغة أنه يجمع على أسراب وسراب ، وقد جمعه هنا على سروب ، والقياس لا يأتيه كما في حمل وحول وضرس وضروس ، والمعائل : جمع عقيلة وهي من النساء الكريمة الماهرة ، والمعنى أقسم بحياة القباب الحمر وسط عرين حمانها والداين عنها من أولئك الأسود انه حبست فيها أسراب المعائل ومنعت من السروب إلينا والخروج لملاقانا .

(٢) الضحاء : ارتفاع النهار ووقته عقب الضحى دل انتصاف النهار ، والقسائل : جمع قسطل وهو البار الساطع  
 (٣) الأناة : المرأة التى فيها مور عن القيام وتأن ، قال الشاعر :

أناة تزين الدت إما تلتس وإن قعدت هلا فأحس بها مالا

أى تزين البيت لاسه حلتها ومتفلة بثوب واحد ، والسأ : السوء ، والمسم : ما عليها من أثر الوسامة واخسن ، والشمائل : الطيأ .

(٤) وفى الأصل « وتشرق في بردتين الخلاخل » وهذه الرواية يحتمل وزن البيت ، وقد أبدلها بلغة « موشيتين » الموضوعه بين قوسين لأنها بمعنى بردتين منقوشتين ولأنها قريبة منها في رسم الحروف ، إلى أن يظهر خلاف ما أثبتناه هنا .

(٥) رح : فرح لأسر ، فاحش : واللوسان : الدائر الطرف شبه المرأة الوسى من النوم ، والعشيات : جمع عشية وهي آخر النهار ، والخادل : من حذات الظلية فهي حاذل تخلفت عن سواحبها وانفردت ، بقوله ما أس لا أنس ليلة وادنا في الكثيب لومت حدنناه موعدا لقاء مكانت كما ريع ظي فاطر اللحظ انفرد عن سائر سرب الطيأ ، وقد مر الشطر الأول من هذا البيت في قصيدته الفائقة ص (٢٤) من هذا الكتاب إذ قال :

وليلة وانذا الكثيب لموعد سرى الأين لم يعلم لسراه مزحف

تهادى أناء الخطو مرتاعة الحشا كما ريع يعمور الفلا للتصرف

(٦) تهادى : أصله تهادى ، وهو شئ في تناقل وتمايل وسكون ، والأيم : والأين الحية ، ويمفو : يمحو والآثار : جمع أثر جمه على فعل بالسكر حما قياسيا كما في جبل وجبال وجبل وجبال ، قال ابن مالك :  
 « وفعل أيضا له فعال ما لم يكن في لامة اعتلال . »



قَعِيدِكَ ، أَنَّى زُرْتِ صَوْنَكَ سَاطِعُ  
هَبِيكَ اغْتَرَزْتِ الْحَىَّ وَاشِيكَ هَاجِعُ  
فَأَنَّى اُعْتَسَفْتَ الْهَوْلَ خَطَاؤُكَ مُدْمَجُ  
خَلِيلِي مَالِي كُلَّمَا رُمْتُ سَلَوَةَ  
أَرَاخُ إِذَا رَاحَ النَّسِيمُ شَامِيَا  
مَلَالَا تَمَادَى الْحُبُّ فِي الْمَعْشَرِ الْعِدَا

وَطِيبُكَ تَفَاحُ وَحَلِيكَ هَادِلُ (١)  
وَفَرْعُكَ غَرِيْبُ وَلَيْسُكَ لَائِلُ (٢)  
وَرِدْفُكَ رَجْرَاجُ وَعِطْفُكَ مَائِلُ  
تَعَرَّضَ شَوْقُ دُونَ ذَلِكَ حَائِلُ  
كَأَنَّ شَمُولًا مَا تُدِيرُ الشَّمَائِلُ (٣)  
وَلَجَّ الْهُوَى فِي حَيْثُ تُخْتَشَى الْغَوَائِلُ (٤)

ولم نعتز فيما راحناه من كتب الامة على هذا الجمع ، والمعطاف : بالكسر والمعطف كل ثوب كالرداء والطيلسان تعطفت أى تردت به ، وسمى عطافاً لونه ، على عطى اللبس وهما ناعياً عنه ، والردوم : ذو الوشى والوشى أو المكروب عليه رتم البحر ، والذائل ذو الدبل ، وهو أيضاً من الدالان وهو مشى مقارب الخطو ميسر دمع وعجلة شبيهة بالذئب أو المنفل من حمل ، أو هو مشى سريع حفيف في ميسر وسرعة وبه سمي الذئب . وإالة ، والمعنى الأول هو المقصود هنا ، يقول وانما الدوعدي تلك الالة تنهادى في مشيتها كاسياب الحية في الرمل نحو ماركسه من آثار المشى ، دبل ثوبها الموشى ، وهو مريب من دول امرئ النيس : « حرحت بها أشى نجر وراءنا على أنربا ديل مرط مرحل . »

(١) معيدك : مصدر معسوب لنيابته عن العمل والتقدير سألت الله حفظك ، وهادل : مرسل مسترخ إلى أهله (٢ و ٣) مكرران مع قوله فيما تقدم في العائيه :

« هيك اغترزت الحى واشيك هاجع » وورعك غريب ولبك أفضف

فأنى اعتسفت الهول خطوك مدمج » وردفك رجراج وعرعك محطف »

ولكن بتغيير القافية كما ترى ، واغترزت : بالغين المعجمة أنت منهم غرة وغمة فزرتنا ، وقد ضمته معنى خدعت فعدها إلى المفعول بنفسه ، وتقدم تفسيره بالعين للهملزة بمعنى حبب الحى وضمت به سائلة على غير علم من أهله ، إلا أن هذا يستعمل غالباً في المعترأى طالب المعروف . قال حاتم الغنائى :  
« أوقد فان الليل ليل قرّ والريح يا غلام ريح صرّ  
لعلّ أن يصرها المعتر إن حلب صيماً فأنت حر . »

(٣) أراح : كأشاف من الارتياح ، وراح : من الرواح ، والشمول : من أسماء الحر ، والشمائيل : جمع

الشمال بالفتح وهى ريح تهب من قبل الشام عن يسار القبلة ، وفى الشمال والشمول يقول الشاعر :

« أملت سليمى والنسيم عليل تخيل لى أن الشمال شمول »

كأن الحزامى صمعت منه قرقفا فلكسر أعناق المطى تطول . »

(٤) معنى مكرر بلطفه ولكن بتغيير القافية مع قوله في النائية المتقدمة :

« لجاج تمادى الحب فى المعشر المدا وأم الهوى الأفق الذى فيه شنف . »

كَأَنَّ أَيْدِيَّ فِي تَعْنِي الْهَمَامِ « مُحَمَّدٍ »  
 أَغْرُ إِذَا شَمْنَا سَحَابَ جُودِهِ  
 يَبْشُرُنَا بِالنَّائِلِ الْغَمْرِ « جُودُهُ »  
 لَدَيْهِ رِيَاضٌ لِلْسَّجَايَا أُنِيقَةُ  
 أَتَى فَمَا تِلْكَ السَّمَاحَةُ بُهْرَةُ  
 زَعِيمُ الدَّهَاءِ أَنْ تُصِيبَ مِنَ الْعَدَا  
 فَمَا سَيْفُ ذَلِكَ الْعَزْمِ فِيهِمْ عِمَضِدُ  
 بَنِي « جَهْوَرٍ » عَشْتُمْ بِأَوْفَرِ غَبِطَةٍ  
 تَفَاضَلَ فِي السَّرْوِ الْمُلُوكُ، فَخَلَّتْهُمْ  
 مُسَلٍّ وَفِي مَتْنِي أَيْدِيهِ شَاغِلُ (١)  
 تَهْلَلُ وَجْهَهُ وَأَسْتَهْلَتْ أَنْائِلُ (٢)  
 وَقَبْلَ الْحَيَا مَا تَسْتَطِيرُ الْمَخَائِلُ (٣)  
 تَغْلغلُ فِيهَا لِلْعَطَايَا جَدَاوِلُ  
 وَفِي فَمَا تِلْكَ الْجِبَالُ حَبَائِلُ (٤)  
 مَكَايِدُهُ مَا لَا تُصِيبُ الْجَحَافِلُ  
 وَلَا سَهْمُ ذَلِكَ الرَّأْيِ أَفُوقُ نَاصِلُ (٥)  
 فَلَوْلَا كُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ طَائِلُ  
 أَنَا يَيْبَ رُمَحٍ أَهْتُمْ فِيهِ عَامِلُ

- (١) -ل: أي صارف عن الهوى لدى تحدث عنه فيما سبق من أبيات القصيدة ، ومتنى الأباذي : إعادة المعروف مرتين فأكثر ، والانصباء من حذور الميسر يشرها الجواد ميطعمها الأبرام ، قال اللبابة :  
 « يديك دو عرضهم على واصلهم وليس حامل أسر مثل من علما  
 أي أتمم أسارى وأوحهم متنى الأباذي وأكروالجنة الأدماء .  
 واللات من أحسن أبيات التخلص من الدبيب إلى المدح .
- (٢) تهلل : أشرق وظهرت عليه أمارات السرور ، واستهلت : من استهلال المطر وهو انصبابه بشدة حتى يسمع له صوت ، شبه أنامله في الجود بالسحاب المنهل .
- (٣) الحيا : المطر ، ما تستطير : مارائدة أو مصدرية ، وتستطير : تنشر ونعم الأتقى ، والمخايل : جمع محيلة وهي أن ترجو وتضمن أن السماء حلقة بالمطر ، وفي الأصل « يبشرونا بالنائل العمر » وسده يباش وقد أكرنا الشطر بلفظ « حوده » الموضوعه بن هلالين أخذنا من السياق ، ومعنى التت يبشرونا بالدهاء الكثير حوده وقبل استهلال المطر تنضمير محايله وعلاماته في السماء .
- (٤) الأتقى : الزاهد الذي يتأقن للآمور ، ونهزة : يريد أنه لا يلهي ل السباحة شهارة وافتراساً إذا سبحت له المرصة بل يتأقن لها ويضئ عليها في كل وقت غير متعين لها المرض ، والحل : العهد والذلة والنواصل وعدم التناطح ، والحائل : جمع حالة وهي المصيدة وفي الحديث « النساء حبايل الشيطان » أي مصايده .
- (٥) المعصد والمضاد : سيف متمم على شكل المحل يتخذ القصابون لقطع العظام ، والرعاة لقطع مروج السحر ليعلموا بما يسقط من ورقها غنمهم وإلهم ، وأفوق : مكسور الفوق بالضم وهو حرف السهم وإذا كان في إحدى رنعتي السهم أي حرفيه انكسار بذلك السهم أفوق ، والناصل : الداطل النازل وهو حديدة السهم ، والمعنى : أنه ماضى العزيمة صائب الرأي ، وفي الأصل : « أفوق نائل » .

لَنْ قَلَّ فِي أَهْلِ الزَّمَانِ عَدِيدُكُمْ  
فِدَاؤُكُمْ مَنْ إِنْ تَعِدُهُ ظَنُونَهُ  
مَنَاكِيدُ<sup>(١)</sup> فِعْلُ الْخَيْرِ مِنْهُمْ تَكْلُفُ  
فَإِنْ سُوِّرَتْ أَخْلَاقُهُمْ بِتَخَلُّقِ  
لَكَ الْخَيْرِ ، إِنِّي قَائِلٌ غَيْرُ مُقْصِرٍ  
لَعَمْرُ سَرَاةِ الشَّعْرِ وَافَاكَ وَفَدُهُمْ  
لَا عَذْرَتَ لَمَّا لَمْ يُمَلِّكَ مُكْتَنُهُمْ  
نَضَدَتْ رِيَاحِينَ الطَّلَاقَةِ غَضَّةً  
فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا سَدِيدُ نِزَاعِهِ  
صَمَانٌ عَلَيْهِمْ أَنْ سَيُؤَثَّرُ عَنْهُمْ

فَإِنْ دَرَارِي النَّجُومِ قَلَّائِلُ<sup>(١)</sup>  
لِحَاقِكُمْ فِي الْمَجْدِ فَالْدَّهْرُ مَا طِلُّ  
إِذِ الشَّرُّ طَبَعَ مَا لَهُمْ عَنْهُ نَاقِلُ  
فَكُلُّ خَضِيبٍ لَا مَحَالَةَ نَاصِلُ<sup>(٢)</sup>  
فَرَفَّ لِي بِاسْتِيفَاءِ مَا أَنْتَ فَاعِلُ ؟  
لَمَّا ذَمَّ مِنْهُمْ ذَلِكَ النَّزْلَ نَازِلُ  
إِذَا عَذَرَ الْمُسْتَنْقِلَ الْمُتَنَاقِلُ<sup>(٣)</sup>  
وَرَفَّرْتِ مَاءَ الْبِرِّ وَهُوَ سَلَاسِلُ  
إِلَيْكَ مُقِيمُ الْقَلْبِ وَالْجِسْمِ رَاجِلُ  
عَلَيْكَ ثَنَاءٌ فِي الْمَحَافِلِ حَافِلُ<sup>(٤)</sup>

(١) ألم كثير من الشعراء بهذا المعنى في صور مختلفة تختار منها قول السموأل في لاميته المشهورة :

« تعبرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها : إن الكرام قليل

وما قل من كاب بقاءه مثلاً شباب تسامى للعلا وكهول . »

وقول العباس بن مرداس :

« بعات الطير أكثرها فراحا وأم الصقر مقلاة نزور . »

(٢) جمع منكود من تكدر لرجل بالبناء المجهول وهو منكود إذا كثرت أسواله وقل خيره .

(٣) خضيب : محضوب ، وفاصل : وصف من فصل الشعر ينصل بالضم زال عنه الحضاب ، وهو معنى

كثير الورود في كلام الشعراء ، قال زهير .

« ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خلها تخفى على الناس تعلم . »

وقال الآخر : « ومن يتخذ خيلاً سوى خيم نفسه يدعه ويقبله على الفس خيلاً . »

وقال ذو الأصم العدواني .

« كل امرئ صائر يوماً لشيئته وإن تخاف أخلاقاً إلى حين . »

(٤) لأعذرت : لقد بدا عذرك واتضح ، والمستنقل : السبقطي\* لمكثهم أكثر مما تستلزمه وجبات

الضيافة ، والمتناقل : المتباطئ الذي أثقل على مضيقه فأله وأصهره ، يقول أثبت عذرا لنفسك واضحا حين

لم تمل ولم تسأم طول مكث سراة الشعر الوافدين عليك في وقت يعرف فيه المتناقل عذر مضيقه إذا مل مكانه

وعده ثقيل .

(٥) صمان على هؤلاء الوافدين أنه سيؤثر ويروى عنهم ثناء عليك في المحافل حافل بأنواع المحامد والمدائح .

تَحْمَلِي بِهَا جِيدُهُ مِنَ الدَّهْرِ طَاطِلُ  
وَتُخَصِّبُ مِنْهَا الْأَرْضُ وَالْأَفُقُ مَاحِلُ

تُرُوقُ الضُّحَا مِنْهُ وَتَتَدَى الْأَصَاوِلُ  
فَبُشْرَاكَ أَلْفُ بَعْدَ عَامِكَ قَابِلُ  
نَحْنُ صَالِحِ الْأَعْمَالِ مَا أَنْتَ عَامِلُ  
فَلَمْ تَرْضَ حَتَّى شِيعَتُهُ النَّوَافِلُ  
لَكَ اللَّهُ بِالْأَجْرِ الْمُضَاعَفِ كَافِلُ  
لِيَعْتَادَهُ مَحْضُ الْهَوَى مِنْكَ وَاصِلُ  
تَنَاقَلَتِ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ الْمَنَازِلُ  
وَكُلُّ مَدِيحٍ - لَمْ يَكُنْ فِيكَ - بَاطِلُ  
وَلَا لِلَوَاءِ الْمُلْكِ - غَيْرُكَ - حَامِلُ

وَبَلَغْتَنِي الْخَطْبُ الَّذِي أَنَا آمِلُ (٣)  
لَهُ شَاحِدٌ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ صَاقِلُ  
تَزِينُ ، وَلَكِنْ أَنْطَقْتَنِي الْفَوَاصِلُ  
خَوَالِدُ حِينَ الْعَيْشِ كَالظِّلِّ زَائِلُ  
لِنَفْسِكَ غَيْرِ الْخُلْدِ إِذْ أَنْتَ كَامِلُ (٤)

مَسَاجٍ هِيَ الْمِقْدُ أَنْتِظَامُ مَحَاسِنِ  
ثَنِيرُ بِهَا الْآمَالُ وَاللَّيْلُ وَاقِبُ (١)

هَبْنِيَا لَكَ الْعَيْدُ الَّذِي بِكَ أَصْبَحْتَ  
تَلْقَاكَ بِالْبُشْرَى وَحَيَّاكَ بِالْمُنَى  
لَنْ يَنْصَرِمَ شَهْرُ الصَّيَامِ لَبَعْدَهُ  
رَأَيْتَ أَذَاءَ الْفَرَضِ ضَرْبَةً لَازِمَ  
سَدَنْتَ (٢) بَيِّتِ اللَّهِ حُبَّ جَوَارِهِ ،  
هَجَرْتَ لَهُ الدَّارَ الَّتِي أَنْتَ آفِلُ  
قَابُ تَتَنَاقَلُكَ الدِّيَارُ فَطَالَمَا  
أَلَا كُلُّ - رَجَوَى فِي سِوَاكَ - عُلاَلَةٌ  
فَمَا لِعِمَادِ الدِّينِ - حَاشَاكَ - رَافِعُ

لَا مَتْنَنِي الْخَطْبُ الَّذِي أَنَا خَائِفُ  
أَرَى خَاطِرِي كَالصَّارِمِ الْمَضْبِ لَمْ يَزَلْ  
وَمَا الشَّعْرُ مِمَّا أَدْعِيهِ فَضِيلَةٌ  
بَقِيَتْ كَمَا تَبَقَى مَعَالِيكَ إِنَّهَا  
فَمَا نَسْتَزِيدُ اللَّهَ بَعْدَ نِهَايَةٍ

(١) في الأصل «رائد» (٢) وفي الأصل «سدت» (٣) وقد ورد بعد هذا البيت قوله :

« . . . . . أَلَمْ هَمِي فَمَا أَنَا لَا غِلَّ وَلَا أَنْتَ ظَالِمٌ . »

وقد أنبتناه نالما كما ورد بالأصل .

(٤) قريب من هذا المعنى قوله من قصيدة سابقة :

« لَا أَسْتَزِيدُ اللَّهَ لَمْ يَمِ بِكَ ، لَا بَلْ أَسْتَدِيمُ »

## إلى ابن جهور

« وقال أيضا مع تفاح أهداه إلى ابن جهور . »

أَتَيْتَكَ بِلَوْنِ الْمُحِبِّ الْحَبِيبِ      تُخَالِطُ لَوْنَ الْمُحِبِّ الْوَجِلِ<sup>(١)</sup>  
 ثَمَارُ تَضَمَّنَ<sup>(٢)</sup> إِذْرَاكَهَا      هَوَاهُ أَخَاطَ بِهَا مُعْتَدِلَ  
 تَأْتِي<sup>(٣)</sup> لِإِلْطَافٍ تَذْرِيبِهَا      فَمِنْ حَرِّ شَمْسٍ إِلَى بَرْدِ ظِلِّ<sup>٤</sup>  
 إِلَى أَنْ تَنَاهَتْ شِفَاءَ الْعَدِيلِ      وَأُنْسَ الْمَشُوقِ وَلَهْوِ الْغَزَلِ  
 فَلَوْ تَجَمَّدُ الرِّاحُ لَمْ تَعُدْهَا      وَإِنْ هِيَ ذَابَتْ فَخَمَرُ تَحِلِّ<sup>(٥)</sup>  
 لَهَا مَنَظَرٌ حَسَنٌ فِي النُّفُوسِ      كَذُنْيَاكَ لَكِنَّهُ مُنْتَقِلِ<sup>(٦)</sup>  
 وَطَعْمٌ يَلِدُ لِمَنْ ذَاقَهُ      كَلَذَةُ ذِكْرِكَ لَوْ لَمْ يُعَمَلْ<sup>(٧)</sup>  
 وَرَيًّا إِذَا تَفَحَّتْ خِلَتُهَا      تُمَلِّ ثَنَاءَكَ أَوْ تَسْتَهِّلُ<sup>(٨)</sup>  
 يُعَمِّلُ مَلَسُهَا لِلْأَكْفِ لَيْنَ زَمَانِكَ أَوْ يَمْتَلِئُ<sup>(٩)</sup>

(١) معى البيت: أتيتك هذه التماحات بحمرة كحمره حدود الملاح عند الخجل، تخالطها صمرة كصمره حدود العاشقين عند الوحل . (٢) أى تكفل بانصاج هذه الثمار هواء معدل متوسط بين الحرارة والبرودة (٣) تأتى للاسراف ترفق له وأناه من وجهه ، والمعنى : تلطف ذلك الهواء فى تدريج نحوها وصيغها بتلك الألوان الراهية فنقل معها من حر شمس إلى برد طل حتى لفضجت وأبنت . (٤) يقول لو أن ذوب الراح تحول إلى جمد لم يعد أن يكون ذلك التفاح ، ولو أن جامد التفاح تحول إلى ذوب أحر لم يعد أن يكون غرا حلالا لا إثم على شاربها . (٥) يعنى : أن منظرها حسن ينظم ما فى دنياك من محاسن إلا أنه حسن منتقل حائل ، وحسن دنياك لا يحول ولا ينتقل .

(٦) ولها طعم حلو اللذاق لذيذ كاذنة ذكراك فى الأسماع إلا أنه يمل وترديد ذكراك لا يمل . (٧) ولها ريا : أى ربح طيبة ، تمل : أى تملى مدحك ، أو تستهل : أى ترفع صوتها بالثناء عليك . (٨) يصور ملس التفاح الناعم للأكف لين زمانك حتى كأنها تحسه ، أو يمتلئ أى يضرب نفسه مثلا لين زمانك .

صَفَوْتُ فَأَذَلَّتْ<sup>(١)</sup> فِي عَرْضِهَا وَمَنْ يَصِفُ مِنْهُ الْهُوَى فَلْيُدِلْ<sup>ش</sup>  
قَبُولُكُمَا نِعْمَةٌ غَضَّةٌ وَفَضْلٌ - بِمَا قَبْلَهُ - مُتَّصِلٌ  
وَلَوْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ نَفْسِي أَخْتَصِرُ تَ عَلَى أَنَّهَا غَايَةُ الْمُحْتَظِلِ<sup>(٢)</sup>

### مجلس أبي علي

« لما ورد ابن زيدون إشبيلية نزل في دار  
ذى الوزارتين الكاتب أبي علي بن جبلة وهو  
يبنى فيها مجلساً ، فصنع أبياتا فكتبت فيه : »

عُمِّرَ مَنْ يَعْمُرُ ذَا الْمَجْلِسَا أَطْوَلَ عُمْرٍ يُنْهَجُ الْأَنْفُسَا  
وَبَعْدَ ذَا عَوْضَ عَنْ دَارِهِ عَدْنَا وَمَنْ دِيْبَا جِهَ السُّنْدُسَا  
وَوُفِيَ الْفَوْزَ بِهَا وَالرَّضَى وَوُفِيَ الْأَسْوَاءَ وَالْأَبْوَسَا<sup>(٣)</sup>  
وَدَامَ عِبَادُ لِعَهْدِ الْهُدَى يَحْرُسُ حَتَّى يُفْنِيَ الْأَحْرُسَا<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

مُعْتَضِدٌ بِاللَّهِ إِحْسَانُهُ جَمٌّ إِذَا مَا الدَّهْرُ يَوْمًا أَسَا  
الْمَلِكُ الْغَمْرُ النَّدَى الْمُقْتَنَى مِنْ كُلِّ حَمْدٍ عِلْقَةُ الْأَنْفُسَا<sup>(٥)</sup>  
إِنْ رَامَ يَوْمًا وَصَفَ عَلَيْهِ إِيَّاهُ مُفَوَّهٌ مُقْتَدِرٌ أُخْرِسَا<sup>(٦)</sup>  
لَا زَالَ بَذْرًا طَالِمًا نَيْرًا يَكْشِفُ مِنْ آمَالِنَا الْخُنْدِسَا<sup>(٧)</sup>

(١) الأدلال التذلل والانبطاح والجرأة على من تحب باظهار الدالة عليه ، أى وثقت بما بيننا من الصفاء والود فأفرطت في الدالة عليك بعرض هذا التفاح الذى يتمادى بتثله الأصفياء المحاصون ، ومن وصف في الهوى فليظهر الدلال على من يحبه .

(٢) المحتفل بالمبالغ في الاهداء ، والمعنى : لو كنت حين أردت الاهداء أهديت نفسى لاختصرت ، على أنها غاية ما أحتفل وأبالغ في تقديمه إليك هدية . (٣) الأسواء : جمع سوء والأبوس جمع بؤس .

(٤) الأحرس : الدهور ، جمع حرس بمنع مسكون وهو الدهر .

(٥) الملك العظيم الاحسان الذى طهر من الشناء بما لم يظفر به غيره من آيات الحمد .

(٦) إذا رام اللسن المبين أن يصف مجده أعياه الخرس لأنه يحاول بذلك أن يظفر بالمستحيل .

(٧) الطلام .

## جواب

« كتب الوزير الفقيه صاحب الأحكام والأجاس

« أبو طالب بن مكي » يبتين وهما :

« يا بعيد الدار موصو

لا بقلبي ولساني

ربما باعدك الدهر

وقادنتك الأمانى . »

فكتب إليه الأبيات التالية :

لَا أَفْتِنَانِ كَافْتِنَانِي فِي حُلَى الظَّرْفِ الْحِسَانِ<sup>(١)</sup>

خَصَّنِي بِالْأَدَبِ اللَّهُ فَأَعْلَى فِيهِ شَانِي

خَاطِرِي أَنْفَدُ - مَهْمَا قِيسَ - مِنْ حَدِّ السَّنَانِ

\*\*\*

أَيُّهَا الْمُرْسِلُ أَطْيَا رَ الْمُعْتَى لِامْتِحَانِي

هَآكَ كَى تَزْدَادَ فِي الْآدَابِ عِلْمًا بِمَكَانِي

قَدْ أَتَيْنَا الطَّيْرُ تَشْدُو بَعْضَ أُنْيَاتِ الْأَغَانِي

بِرِطَانَاتٍ قَضَتْنَا مَا أَقْتَضَتْنَا مِنْ بَيَانِ

\*\*\*

إِنْ تَغْنَى الْبُلْبُلُ أَهْتَا جَ غِنَاءَ الْوَرَشَانِ<sup>(٢)</sup>

(١) قال في اللسان : الظرف البراعة ودكاء القلب يوصف به الفتان الأروال والهنات الزولات ولا يوصف به الشيخ ولا السيد، وقد وصف الحسان بالظرف مبالغة ، ويمحور أن يكون بالضم جمع ظريف، فإنه يجمع على ظرف بضمين ، والاسكان في مثله جائز ، والمعنى : ليس يحيد أحد - كما أجيد - الافتنان في صوغ تلك الحلى الحسان التي عليها الظرف والاباقة .

(٢) الورشان : طائر لجه - فيما يقولون - أخف من الحمام ، والمعنى : أن غناء البلبل يحتاج غناء الورشان يشير بذلك إلى أن شعر صديقه الوزير احتاجه فحرك فيه بواث الشعر كما احتاج غناء البلبل غناء الورشان .

فَتَأْدَى مِنْهُ يَدَنَا غَزَلٍ مُنْفَرِدَانِ  
لِمُحِبٍّ فِي حَبِيبٍ عَنْهُ نَاءٌ مِنْهُ دَائِبٌ :  
« يَا بَعِيدَ الدَّارِ مَوْصُو لَا بِقَلْبِي وَلِسَانِي  
رُبَّمَا بَاعَدَكَ اللَّهُرُ فَأَذْنُكَ الْأَمَانِي »

### كن كيف شئت

بَاغَزَ إِلَّا أَصَارَنِي مُوْتَقًا فِي يَدِ الْمَحَنِّ  
إِنِّي - مَذْهَجَرَتْنِي - لَمْ أَذُقْ لَذَّةَ الْوَسَنِ  
لَيْتَ حَظِّي إِشَارَةً مِنْكَ، أَوْ لِحَظَةً عَنْهُ (١)  
شَافِعِي يَا مُمَذِّبِي - فِي الْهَوَى - وَجْهَكَ الْحَسَنِ  
كُنْتُ خِلْوًا مِنَ الْهَوَى قَانَا الْيَوْمَ مُرْتَهَنَ (٢)  
كَانَ سَرَى مَكْتَمًا وَهُوَ الْآنَ قَدْ عَلَنَ (٣)  
لَبَسَ لِي عَنْكَ مَذْهَبٌ فَكَمَا شِئْتُ لِي فَكُنْ (٤)

(١) يقول : لاني اقم معك بالشيء المليل النافه وأكتفى بأن يكون حظي من حرك إشارة أو افقة سرية وقد دار الشعراء حول هذا المعنى ، واصل أبدي ما قيل فيه قول جميل شبيهة :

« وإني لأرضى من بشية بالدي لو آصره لوأشي افرت بلايله  
بلا ، وبألا أستطيع ، وبألمي ، وبالأمل المرحو قد خاب آله  
وبالظرة العجلى ، وبالحول تنفضى أواخره - لانتقى - وأواتله . »

(٢) الخلو : انشالي . يقول « كنت طليقاً حالياً من إيسار الهوى فصرت اليوم أسيراً مرتتهنا . »

(٣) يقول : « كان سرى حامياً لا يعلمه أحد فأصبح معلنا ، وما أجل قول صرود في شبيه هذا المعنى

« وقد كشف الغطاء فما نبألى أصرحاً يذكر كأم كنينا

سائل عن ثمامات يحزوى وبات الرمل يعلم من عنينا

ولو أنا فتادى « ياسليمي » اقالوا : ما عنيت سوى لبيبي »

(٤) يقول : « لافكاك لي من إيسار حبك فاصنع بي ما أنت صانع . »



## حنين

هَلْ رَاكِبٌ ذَاهِبٌ عَنْهُمْ يُحْيِي  
قَدْ مِتُّ إِلَّا ذَمَاءٌ فِي مِسْكَةٍ  
مَا سَرَّحَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنِي وَأَطْلَقَهُ  
صَبْرًا لَعَلَّ الَّذِي بِالْبُعْدِ أَمْرَضَنِي ،  
كَيْفَ أَصْطَلِبَارِي وَفِي كَانُونٍ (١) فَارَقَنِي  
شَخْصٌ يُذَكِّرُنِي قَاهُ وَغُرَّتَهُ  
لَنْ عَطِشْتُ إِلَى ذَاكَ الرُّضَابِ لَكُمْ  
وَإِنْ أَفَاضَ دُمُوعِي نَوْحٌ بَاكِئَةٌ  
وَإِنْ بَعُدْتُ وَأَصْنَعْتُي الْهُمُومُ لَقَدْ  
أَوْ حَلَّ عَزَائِي نَأْيُهُ فَلَكُمْ

إِذْ لَا كِتَابَ يُوَافِينِي فَيُحْيِي (١)  
أَنَّ الْفُؤَادَ يُلْقِيَاهُمْ يُرَجِّي (٢)  
إِلَّا أَعْتِيَادًا سَيَّ فِي الْقَلْبِ مَسْجُونٍ (٣)  
بِالْقُرْبِ يَوْمًا يُدَاوِينِي فَيَشْفِينِي  
قَلْبِي وَهَاتِخُنْ فِي أَعْقَابِ تَشْرِينٍ (٤)  
شَمْسُ النَّهَارِ وَأَنْفَاسُ الرِّيَاحِينَ  
قَدْ بَاتَ مِنْهُ يُسَقِّينِي فَيُرْوِينِي  
فَكَمْ أَرَاهُ يُغَنِّينِي فَيُشْجِينِي (٥)  
عَهْدَتُهُ وَهُوَ يُذَنِّبِي فَيُسْلِينِي  
حَلَلْتُ عَنْ خَصْرِهِ عَقْدَ الثَّمَانِينَ (٦)

(١) هل يوافيني رسول من قل من أحبه يحمل إلى تحبهم بعد أن حرمت كتبهم التي كانت تميد إلى الحياة.  
(٢) لقد كدت أحب في عداد المهلكي لولا بقية قليلة من الروح يبعثها في الرجاء والامل في لقائهم .  
قال ابن الرومي في رثاء ابنه :

« ولقد نعى القلب سلوته أنى بأن ألقاك مرتين . »

(٣) لم ينض دمي إلا دكريات مؤلمة مسجونة في قلبي تمتدني حيناً بعد حين وتطيف بعسى فتطلق  
الدمع وتسرحه . (٤) شهر من شهور الشتاء وهو ديسمبر ، قال أبو العلاء :

مضى كانون ما استعملت فيه حميم الماء ، فاقدم يا سباط  
تشابه أنفاس الحشرات نفسى يكون لمن بالسيف ارتباط

(٥) شهر من شهور السنة الرومية وهو يوافق ١٤ أكتوبر ، وهما تشرينان أحدهما في ١٤ أكتوبر  
والثاني في ١٤ نوفمبر ، ولعل المراد تشرين الثاني . (٦) في الأصل : ديوبى .

(٧) عقد عزائي : العقد ضد الحل ، والمزاء : العبر ، والنأى : البعد وعقد الثمانين : أحد عقد  
الأصابع التي يفهم بها عدد الثمانين والاشارة إلى عقد الثمانين تكون ببسط الابهام والسبابة معا متلاصقتين  
بلا درجة ظاهرة بينهما ، والمعنى : لئن حل نأى الحبيب وبعدة عقد عزائي وسلواني عنه ، فكثيراً ما حلت  
عن خصره نطافاً تشبه في الضيق عقد الثمانين ، وهذا الحصر الذي وصفه ابن زيدون يدق في الوم ،  
ويلطف في الحيال والحس إلى حسد أنا لا يمتز له على شبيه ومثيل حتى ولا في خصور الناحلات الرشيقات



## يَا حُسَيْنَ إِشْرَاقِ سَاعَاتِ الدُّنُوبِ بَدَتْ كَوَاكِيبُهَا فِي لَيَالِي بُعْدِهِ الْجُونِ (١)

من بنات أوروبا وباريس في العصر الحاضر عصر المعن والرشاقة ، ودقة الحسور ، والامراط في تصديق عقد النطاق .

### عقد الأصابع

لما كانت كلمة « عقد الثماني » الواردة في بيت « ابن زيدون » هدا لابين فيها وجه التعقيد والمعاطة التي عمد إليها ابن زيدون أحيانا ، إلا عمد بيان ما تدلّ عليه عقد الأصابع من الأعداد العريضة للحساب ، وهو اصطلاح قديم استعمله العرب ، وجاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم عقد ثلاثة وخمسين في التشهد ، أي بنفس الحصر والبصر والوسطى على هيئة خاصة تدلّ على العدد المذكور ، فنحن نستطرد بملخص ما هو مبسوط في بعض كتب الامة والنحو متعلقاً بهذا الموضوع فنقول :

حصلوا للدلالة على الأحاد من أصابع اليد اليمنى الحصر والنصر والوسطى ، والعشرات إلى التسمين الوسطى والسبابة .

فالعقد الدالّ على الواحد يكون بالصاق الحصر باطن الكف مع بسط سائر الأصابع ، وعلى الاثنين بالصاق البصر معها كذلك ، وعلى الثلاثة بضم الوسطى اليهما كذلك ، وعلى الأربعة بالصاق النصر والوسطى وحدهما كذلك ، وعلى الخمسة بالصاق الوسطى وحدهما كذلك ، وعلى الستة بالصاق البصر وحدهما كذلك ، وعلى السبعة بالصاق الحصر وحدهما ممدودة إلى أسفل الكف على شكل يحال شكل الواحد . وعلى العشرة بوضع ظهر السبابة في وسط باطن أكلة الإبهام بحيث يحصل شكل حلقة ، ولكن مع تشويز رأس الإبهام بقدر نصف الأكلة ، وعلى العشرين بحمل المعصل الأول من السبابة على ظهر الإبهام بحيث تكون السبابة على شكل الدال ، وعلى الثلاثين بضم رأس باطن السبابة إلى باطن رأس الإبهام على هيئة لاقط الابرّة ، وعلى الأربعين بوضع باطن أكلة الإبهام على ظاهر أصل السبابة مما يلي الكف ، وعلى الخمسين بوضع الطرف الأيمن للإبهام على عجز العقدة السفلى للسبابة بحيث تكون قائمه ، والجانب الأهل للإبهام معنياً عليها ، وعلى الستين بوضع باطن أعلى أكلة الإبهام على باطن أعلى أكلة السبابة ، بحيث تكون السبابة على شكل قوس وتره الإبهام ، وعلى السبعين بوضع حرف ظهر الإبهام على العقدة الوسطى لباطن السبابة على هيئة رامي الحصاة بالهدف « وهو رمى سمار الحما بعد أحدها بين طرفي السبابة والإبهام » ، وعلى الثمانين بسطهما معاً لاصقين بلافرجة بينهما كما أسلفناه في شرح البيت الذي نحن بصددده ، وعلى التسعين بطن السبابة إلى أصلها ووضع الإبهام على ظهر العقدة الوسطى للسبابة كما تتحرى الحية .

وجعلوا للدلالة على المئات من أصابع اليد اليسرى السبابة والإبهام طبق ما في اليد اليمنى . فالمائة في اليسرى كالعشرة في اليمنى ، والمئتان كالعشرين ، وهكذا إلى التسعمائة ، والألف في اليسرى كلواحد في اليمنى ، والألفان كالانين ، وهكذا إلى تسعم آلاف ، والعشرة آلاف بضم أعلى السبابة والإبهام بطأ لبطن ، وتستعمل عند أصابع اليدين معاً للدلالة على الأعداد المركبة من الأحاد والعشرات والمئات والآلاف بنفس الهيئات المذكورة .

(١) أي أن ليالي الوصال تبدو مصيحات لامعات في ليالي البعاد السود .

وَاللّٰهُ مَا قَارَقُونِي بِاخْتِيَارِهِمْ - وَإِنَّمَا الدَّهْرُ بِالْمَكْرُوهِ يَرْمِينِي  
وَمَا تَبَدَّلْتُ حُبًّا غَيْرَ حُبِّهِمْ - إِذَا تَبَدَّلْتُ دِينَ الْكُفْرِ مِنْ دِينِي<sup>(١)</sup>  
أَفْدَى الْحَبِيبِ الَّذِي لَوْ كَانَ مُقْتَدِرًا - لَكَانَ بِالنَّفْسِ وَالْأَهْلِينَ يَفْدِينِي  
يَا رَبِّ قَرِّبْ - عَلَى خَيْرٍ - تَلَاوِينَا - بِالطَّالِعِ السَّعْدِ وَالطَّيْرِ الْمَيَّامِينَ .

### في الغزل

أَيُّوحِشْنِي الزَّمَانُ وَأَنْتَ أَنْسِي - وَيُظْلِمُ لِي النَّهَارُ وَأَنْتَ تَسْمِي  
وَأَغْرِسُ فِي مَحَبَّتِكَ الْأَمَانِي - فَأَجْنِي الْمَوْتَ مِنْ ثَمَرَاتِ غَرَمِي<sup>(٢)</sup>  
لَقَدْ جَاوَزْتَ غَدْرًا عَنْ وَفَائِي - وَبَعْتَ مَوَدَّتِي ظُلْمًا يَبْغُسِ  
وَلَوْ أَنَّ الزَّمَانَ أَطَاعَ حُكْمِي - فَدَيْتُكَ - مِنْ مَكَارِهِهِ - بِنَفْسِي<sup>(٣)</sup>

### في بعض مجالس الانس

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ بِكُلِّ أَلْسُنِنَا جَلَالُكَ  
انْظُرْ إِلَى مُحْتَلِنَا<sup>(٤)</sup> - قَدْ زَانَ سَاحَتَهُ اخْتِلَالُكَ  
نَهْرٌ وَرَوْضٌ نَحْنُ بَيْنَهُمَا تُفِيدُنَا ظِلَالُكَ<sup>(٥)</sup>  
قَدْ فَاضَ فِي هَذَا نَدَا - لَكَ وَنَعَمْتَ هَذَا خِلَالُكَ .

- 
- (١) إن إيماني بحبهم كإيماني بديي سواء بسواء . وليس في «مقدور أحمد أن يدلي بمن أحب إلا إذا استطاع أن يتغلب من ديبى إلى الكفر» .
- (٢) يقول : « هل من العدل أن أكثر من الآمال والأمانى فلا أجنى من ذلك كله إلا الاحفاق : »
- (٣) ليت الزمان يقبل حكمي ، ادن لفديتك بنفسى ، وإن كنت لا تجارىي بحبي إلا بالفدر .
- (٤) المكان الذى حللنا فيه .
- (٥) وفي الأصل : « توافنا طلالك . » والطلال : ما أظلك من سحب ونحوه ، وظلال البحر : أمواجه ، والقصود هنا النعيم والراحة ، ولما كانت بلاد العرب فى غاية الحرارة وكان الظل عندهم من أعظم أسباب الراحة جعلوه كناية عن الراحة .

## شكوى وألم !

« قال في مدح ابن جمهور »

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَنْكِى النِّعَامُ عَلَى مِثْلِي      وَيَطْلُبَ ثَأْرِي الْبَرْقُ مُنْصَلِتَ النَّصْلِ<sup>(١)</sup>  
وَهَلَّا أَقَامَتْ أَنْجُمُ اللَّيْلِ مَا تَمَّا      لِيَتَذَبَّ فِي الْآفَاقِ مَا ضَاعَ مِنْ تَشْلِي<sup>(٢)</sup>  
وَلَوْ أَنْصَفْتَنِي - وَهِيَ أَشْكَالُ هَمَّتِي -      لَأَلْقَتْ بِأَيْدِي الذَّلَّ لَمَّا رَأَتْ ذُلِّي  
وَلَا فَرَّقَتْ سَبْعُ الثُّرَيَّا وَغَاضَهَا<sup>(٣)</sup>      بِمَطْلَعَهَا مَا فَرَّقَ الدَّهْرُ مِنْ تَشْمَلِي

\* \* \*

لَعَمْرُ اللَّيَالِي إِنْ يَكُنْ طَالَ تَرْعُهَا      لَقَدْ قَرَّطَسَتْ بِالنَّبْلِ فِي مَوْضِعِ النَّبْلِ<sup>(٤)</sup>  
تَحَلَّتْ بِأَدَانِي وَإِنْ مَارِي      لَسَانِحَةً فِي عَرْضِ أُمْنِيَّةٍ عَطَلِ  
أَخَصُّ لِفَهْمِي بِأَقْلَى وَكَأَنَّمَا      يَبِيتُ لِدَى الْفَهْمِ الزَّمَانُ عَلَى ذَخِلِ<sup>(٥)</sup>  
وَأَجْنَى عَلَى نَظْمِي لِكُلِّ قِلَادَةٍ      مَفْصَلَةِ السَّمَطَيْنِ بِالْمَنْطِقِ الْفَصْلِ  
وَلَوْ أَنَّي أُسْطَلِعُ كَيْ أَرْضِي الْعِدَا      شَرِيتُ بِيَعْضِ الْحِلْمِ حَظًّا مِنَ الْجَهْلِ<sup>(٦)</sup>

(١) الذى فى الأصل المقول « ألم يأن أن يركى الحمام على قتلى » والذى أنبتناه هنا هو ما نقلناه من  
الدخيرة لابن بسام وهو أصب مما ذكر فى الأصل لأنه يريد من الطبيعة أن تنكى لبكائه ، وتأثر من أعدائه .

(٢) مثلى : أى ما انتقله واستخرجته فى حياتى من جاء ومنصب ومال .

(٣) غاضها : فوضها أى أخفاها .

(٤) نزعها : حذبها وتر القوس مصوبة نحوى سهام المصائب ، وقرطس : أى أصاب القمطرأس ، وهو  
فرض من أديم يتخذ للنضال واسديد الرماية .

(٥) اقلى - بالكسر - البعس ، والحدل النار ، يريد أن غيره من أهل الجهل نالوا الحظوة والقربى ،  
وهو لعمري خص بالقل والبد وكأنته قد جى على الزمان فبات يطالبه بشأره .

(٦) الحلم : العقل ، والحظ : النصيب . يقول : لو أستطيع لإرضاء العدا وشفاء ما فى نفوسهم من  
الحقد لاستبداد بشئ يسير من الجهل ، حظا عظيما من العقل .

\*\*\*

أَمَقْتُوَلَةَ الْأَجْفَانِ مَالِكٍ وَالْهَامِ      أَلَمْ تُرِكَ الْأَيَّامُ نَجْمًا هَوَى قَبْلِي <sup>(١)</sup>  
 أَقْلَى بُكَاءٍ لَسْتُ أَوَّلَ حُسْرَةٍ      طَوْتُ بِالْأُسَى كَشْحًا عَلَى مَضَضِ الشُّكْلِ <sup>(٢)</sup>  
 وَفِي « أُمِّ مُوسَى » عِبْرَةٌ أَنْ رَمَتْ بِهِ      إِلَى الْيَمِّ فِي التَّابُوتِ فَأَعْتَبِرِي وَأُسْلِي <sup>(٣)</sup>  
 لَعَلَّ الْمَلِيكَ الْمُجْمِلَ الصَّنْعِ - قَادِرًا      لَهُ - بَعْدَ يَأْسٍ سَوْفَ يُجْمِلُ صُنْعًا لِي <sup>(٤)</sup>  
 وَلِلَّهِ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٍ وَحَسْبُنَا      بِهِ - عِنْدَ جَوْرِ الدَّهْرِ - مِنْ حَكَمٍ عَدْلٍ <sup>(٥)</sup>

\*\*\*

هُمَامٌ عَرِيقٌ فِي الْكِرَامِ ، وَلَقَمًا      تَرَى الْفَرْعَ إِلَّا مُسْتَمَدًّا مِنْ الْأَصْلِ  
 نَهْوضٌ بِأَعْبَاءِ الْمُرُوءَةِ وَالشُّقَى      سَحُوبٌ لِأَذْيَالِ السِّيَادَةِ وَالْفَضْلِ  
 إِذَا أَشْكَلَ الْخَطْبُ الْمِلْمَ فَإِنَّهُ      وَآرَاءُهُ كَالْخَطِّ يُوضَحُ بِالشُّكْلِ

\*\*\*

وَذُو تُدْرٍ لِلْعَزْمِ - تَحْتَ أَنْاتِهِ -      كَمُونُ الرَّدَى فِي فِتْرَةِ الْأَعْيُنِ النَّجْلِ <sup>(٦)</sup>

(١) أمه دولة الأسمان ، الهزيمة فيه للعداء أي يامن في أحقادها دور وتكرار ، ولواله : الشديدة الحزن على صد ولدها شهيدا في شدة حررتها على محبة الهاوى في غيابة السجن بالمرأة التكلية التي لا تنقر أحقادها العاترة المفرحة عن الكاء لعقد الحبيب .

(٢) الكشع : الخاصرة ، وطوى كشحه على كذا استدر عليه ، والمضض : ألم المصيبة ، والشكل - بالضم - فقدان الولد والحبيب : أي لا تكي باستمرار فلت أول حرّة لارمها وجع مصيبة التكل .

(٣) يشير بهذا إلى قوله تعالى : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألنيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه إليك » أي اعبري بهذه القصة واصبري .

(٤) امل الملك المعتاد صنع الجليل - قادرا أصنعه قدره - سوف يعمل على خلاصى بعد يأس .

(٥) بلى هذا الب يرب وحدى الأصل ناصبا هكذا :

..... آل جهور لمستحكم الأسباب مستعصد الجبل

(٦) ذو تدرا - بالضم - أي - وعدة وقوة على مداومة أعدائه إذا وجه عزيمته لعمل أمر كمن الردى تحب تأنيه كونه تحب دور الأعين الجبل أي الواسعة جمع نجلاء ، واستعمل الفترة بمعنى انكسار جهنم السنين وضعها ليعقد بنها وبين الأناة مناسبة وموافقة .

يَرِفَ عَلَى - التَّامِيلِ - لَأَلَاءَ بِشْرِهِ      كَمَارَفَ لَأَلَاءَ الْحُسَامِ عَلَى الصَّقْلِ (١)  
مَحَاسِنُ مَا لِلْحُسْنِ فِي الْبَذْرِ عِلَّةٌ      سِوَى أَنَّهَا بَاتَتْ مُمِلٌ فَيَسْتَمِلِي (٢)  
تُفِصُّ ثَنَائِي مِثْلَمَا غَصَّ جَاهِدًا      سِوَارُ الْفَتَاةِ الرَّادِ بِالْمُعْصَمِ الْخَذَلِ (٣)  
وَتَغْنَى عَنِ الْمَدْحِ - اكِتِفَاءً بِسَرَوِيهَا -      غِنَى الْمُقَلَّةِ الْكَخْلَاءِ عَنْ زِينَةِ الْكُخْلِ

\*\*\*

« أبا الحزَمِ » إني في عتابك - مَائِلٌ      عَلَى جَانِبٍ - تَأْوِي إِلَيْهِ الْعُلَا - سَهْلٌ  
حَمَامٌ شَكْوَى صَبَّحْتَكَ هَوَادِلًا      تُنَادِيكَ مِنْ أَفْنَانِ آدَانِ الْهُدَلِ (٤)  
جَوَادُ إِذَا أُسْتَنَّ الْجِيَادُ إِلَى مَدَى      تَمَطَّرَ فَاسْتَوَلَى عَلَى أَمَدٍ الْخَصْلِ (٥)  
ثَوِي صَافِنًا فِي مَرْبَطِ الْهُونِ يَشْتَكِي      بِتَضْمَالِهِ مَا نَالَهُ مِنْ أَذَى الشَّكْلِ (٦)

(١) يرف - بالكسر - يبرق ويتلألأ ، أى يلوح لألاء بشره مع التأمل كما يبدو بريق السيف وللمانة حين تصقله وتجلوه .

(٢) تميل مصارع أمل : يقال أملاه العول وأمله ألقاه عليه ليكنه ، ومنه قوله تعالى : « وقلوا أساطير الأولين اكتبها فهي تملى عليه » وقوله تعالى : « فليمل وليه بالمدل » واستعملته السكتاب طلب أن يمل عليه ، أى هذه محاسن المدوح الشبيه بالدر لا عيب فيها - سوى أنها بائ - تملى على الشاعر وهو يكتب ، ويستكتبها فتمليه .

(٣) تفيض ثنائى : أى تجمعه ببعض كما يفيض الشارب بالماء ولا يمكنه أن يستوى هذه المحاسن كلها أو يسعها ، وكما يفيض سوارا لفتاة الراد أى التى ترود بيوت حاراتها بالمعصم الخذل - بالذال المهملة - أى المدنى فلا يتحرك (٤) الهوادل : جمع هادله ، والهديل : صوت الحمام ، والهدل : جمع أهده ، وهو صفة الأفنان ، يقال : تهدأ أغصان الشجرة أى تدب - يندل شكوى رفعها إليه بالحمام الهوادل تناديه بهديله من أعلى - سجرة الأدب وتد تدب أفنانها ، وتهدأ أفنانها .

(٥) استنب الحداد : مضت على وجهها فى الساق ، والمدى : الغاية تَطَرَّجَ : جاء إلى النهاية مسرعاً ، فاستولى على الخصل : غلب على الرهان - يصب الشاعر نفسه بالسق على غيره .

(٦) ثوى : أقام ، والصائس : من الجياد الذى قام على ثلاثة قوائم وقلب حائر الراحة ، والشكل - بفتح مسكون - شد قوائم الدابة دأشكال - يصف حاله فى محبسه وما يبته من الشكوى بحال الحواد المقيد على الهون يشكو بتضمهاله ، أى شكا له ، قال ابن بسام فى الذخيرة : « وقوله ثوى صاماً » كقول المتنبي :

« وإن تكن محكمات الشكل تسمى ظهور جرى فلي يهن تضمهاله . »

\*\*\*

أَفِي الْعَدْلِ أَنْ وَافَتَكَ أَتَرَى رَسَائِلِي  
أَعِدُّكَ لِلْجَلِّي وَأَمَلُ أَنْ أَرَى  
وَمَا ذَاكَ وَعَدُ النَّفْسِ لِي مِنْكَ بِالْمُنَى  
قَلَمُ تَتْرُكُنْ وَضَعًا لَهَا فِي يَدَيَّ عَدْلٍ  
بِنِعْمَتِكَ مَوْسُومًا وَمَا أَنَا بِالْعَقْلِ  
كَأَنِّي بِهِ قَدْ شِئْتُ بَارِقَةَ الْمَحَلِّ (١)

\*\*\*

أَنْ زَعَمَ الْوَأَشُونَ مَا لَيْسَ مَزْعَمًا  
وَأَصْدَى إِلَى إِسْعَافِكَ السَّائِعِ الْجَنَى  
وَلَوْ أَنِّي وَافَعْتُ عَمْدًا خَطِيئَةً  
قَلَمُ أَسْتَتِرُ حَرْبَ « الْفِجَارِ » وَلَمْ أَطِيعْ  
تُعْذِرُ فِي نَصْرِي وَتُعْذِرُ فِي خَذْلِي  
وَأُضْحِي إِلَى إِنْصَافِكَ السَّابِغِ الظَّلِّ (٢)  
لَمَّا كَانَ بِدَعَامِنِ سَجَايَاكَ أَنْ تُثْمَلِي (٣)  
« سُيْلِمَةُ » إِذْ قَالَ: إِنِّي مِنَ الرُّسُلِ (٤)

(١) في معنى هذه الآيات يقول ابن الرومي معاني :

« إِذَا أَبْ أَرَمَمَ الْعَنِيَّةَ مَرَّةً فَلَا تَعْتَصِرُ مَاءَ الْعَنِيَّةِ بِالْمَطَلِ  
وَلَا تَحْلُطُ الْحَمَى بِسَوْءِهِ فَهُوَ يَجْشَسُ أَنْ يَحْلُطَ الشُّكْرُ بِالْعَدْلِ  
أَرْضَى بِأَنْ تَكُنْ يَسِيرًا وَأَنْ تَرَى وَمَا مَطْلَبُ الْخَادَةِ عِنْدَكَ بِالْمَطَلِ  
أَنْفَ لِعِشَاقِ الْمَكَارِمِ أَنْ يَرَى مَوَاعِيدَهُمْ مِثْلَ الْوَارِقِ فِي الْمَحَلِّ . »

(٢) أصدى : مصارع صدى - بالكسر - أى أعطى ، وأضحى مضارع كل من ضحا وضحاى - بالفتح  
والكسر - أى أبرز للشمس ، ومنه قوله تعالى : « وَأَنْتَ لَا تَطْلُأُ فِيهَا وَلَا تُدْجِي » واستعمله هنا  
في البروز إلى إصافه السابغ الظل ، لا في البروز إلى الشمس ، ومع هذا اليت وجد في الأصل بمعنى بيت  
على هذه الصورة :

وحاشاك رام العذب إبلاغ سمعه . . . . .

(٣) واقمت دانيت ، وتعلى تمهل ولا تمنجل المقوبة ، أى لوأبى دانيت متممدا لوموع في الخطيئة لم يكن  
من سجاياك غير المعو والامهال .

(٤) يقول : إن هفتى صغيرة لا ينبغي أن تجسم إلى حد أن أكون كثير حرب الفجار أو كطبع مسيلة  
في دعواه الرسالة ، والفجار : بالكسر بمعنى المعاجرة كالقتال والمقاتلة ، وسبب حرب الفجار لأن العرب  
لجروا فيها إذ فاتلوا في الأشهر الحرم ، وكان للعرب قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم أربع فجارات  
آخرها حرب الفجار التي ذكرت في كتب السير ، وكان بين قريش ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان  
وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمس أيامها وسنة عشرون سنة ولم يقاتل ولكنه كان يبذل على  
أسماءه أى يرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم ، وأما « سيلة » فكان من جبهه أن وفد مع قومه

وَمِثْلِي قَدْ تَهَفُّوْا بِهِ نَشْوَةَ الصَّبَا  
وَمِثْلَكَ قَدْ يَمَقُّوْا ، وَمَا لَكَ مِنْ مِثْلٍ  
وَأَنِّي لَتَنْهَانِي نُهَى عَنِ الْبِي

\*\*\*

أَأَنْكُتُ فِيكَ الْمَذْحَ - مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ -  
ذَمُّتُ إِذَا عَمِدَ الْحَيَاةِ وَلَا يَزَلْ  
وَمَا كُنْتُ بِالْمُهْدَى إِلَى السُّودِ الْخَنَاءِ  
وَمَا لِي لَا أَتْنِي بِآلَاءِ مُنْعَمٍ  
هِيَ النَّعْلُ زَلَّتْ بِي ، فَهَلْ أَنْتَ مُكْذِبٌ  
وَهَلْ لَكَ فِي أَنْ تَشْفَعَ الطُّوْلَ شَافِعًا  
وَلَا أَقْتَدِي إِلَّا بِنَاقِضَةِ الْغَزْلِ !<sup>(٢)</sup>  
مُحَرًّا عَلَى الْأَيَّامِ طَاعَةً لِمَا لَمْ يَحْطِ  
وَلَا بِالْمُسِيءِ الْقَوْلُ فِي الْحَسَنِ الْفِعْلِ  
إِذَا الرِّوْضُ أَتْنَى بِالنَّسِيمِ عَلَى الطَّلِّ  
لَقِيلِ الْأَعَادِي إِنَّهَا زَلَّةُ الْحُسْلِ  
فَتَنْجَحَ مَيِّمُونَ النَّقِيبَةِ أَوْ تُتْلَى<sup>(٥)</sup>

« من حبيبة » على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما رجع ومن معه من قومه إلى « البصرة » نذري السوء ، وأنه أشرك مع محمد بالأمر ، واجتمع عليه « بنو حبيبة » وكانوا أرسب ألف مقاتل ، وفي عهد الخليفة « أني مكر » رضى الله عنه أرسل إليه « خالد بن الوليد » على رأس جيش ، وحررت حرب بين ألف قبيل انتهت بقتل « مسيلة » وتمرو أصحابه .

(١) نهى أى عقلى فاستعمله مريدا ، قال فى اللسان : « والذى العقل يكون واحدا وحما ، وفى التزويل العبر : إن فى ذلك لآيات لأولى النهى » اهـ ، وكان عليه حيث اعتبره فردا وأباه إلى نفسه أن نرد العمل من علامة التأنيت إلا أن يكون قد أراد جمع نهيه ، وأن عقله اتقوته بتأنيده على متعددة ، عن التلى : أى مهمة التلى ، أشاد بها : أساءها وندد بها ، ويعقلنى يحبسنى ويعنى .

(٢) ناقضة الغزل ، فى الكشف عند قوله تعالى : « ولا تكونوا كالتى مضت غزلها من بعد قوة أنكاثا » قيل فى ربيعة بات سعد بن تميم وأنت خرقاء اتحدت مغزلا قدر دراع ، وصارة مثل أصبع ، وقد عذيمة على قدرها ، فكانت تغزل فى حواربها من الدماء إلى الظهر ، ثم تأمرهن فيقسن ماغزلن .

(٣) محمرا من أسر الطعام صيره مرا ، والمحلى اسم مفعول من حليت العيش أحلاه أى استحلته .

(٤) الخسة والبلاء ، والحسل - الكسر - وله الضب ، ويكى الضب : « أبا الحسل » .

(٥) تشفع : من قولهم شفع الوتر من العدد شعما صيره روجا ، والطول : القدر . الفصل ، وتلى : تنبع مصارع أنثى ، ياه أتبعه ، والمعنى هل لك أن تضم إلى طولك وإحسانك شاعما منك يندفع لى فى الخلاص من السحر فتسمى نادراك حاجق فى حال كوكب ميمون النقية أو تلى أى تنفع الإحسان والشفاعة بأمثالهما : هذا مبلغ مايعهم من البيت ، وقد وجد فى الأصل « تلى » بالباء الموحدة ، وقد فهمنا من السياق أنها تلى لا تلى ليناسب قوله « تشفع » أى تضم .



أَجْرٍ أَعْدِ آمِنْ أَحْسَنِ أَبْدِ أَعْدِ كَفِ حُطِّ تَحَفِّ أَبْسُطِ اسْتَأْلِفِ صُنِّ أَحْمِ اصْطَنِعِ أَعْلِ<sup>(١)</sup>  
مُنَى - لَوْ تَسَنَّى عَقْدُهَا يَدِ الرِّضَا - تَبَسَّرَ مِنْهَا كُلُّ مُسْتَضْعَبِ الْحَى<sup>(٢)</sup>

أَلَا إِنْ ظَنَى - بَيْنَ فِعْلَيْكَ - وَاقِفٌ<sup>✱</sup> وَقُوفَ الْهَوَى بَيْنَ الْقَطِيعَةِ وَالْوَصْلِ  
فَإِنْ تُنَمِّنَ لِي مِنْكَ الْأَمَانِي فَشِيَمَةٌ لِدَاكِ الْفَعَالِ الْقَصْدِ وَالْخَلْقِ الرَّسْلِ<sup>(٣)</sup>  
وَالْأَجَنِبَتِ الْأَنْسَ مِنْ وَحْشَةِ النَّوَى وَهَوْلِ الشَّرَى بَيْنَ الْمَطِيَّةِ وَالرَّحْلِ<sup>(٤)</sup>

سَيِّغَنِي عَمَّا ضَيَّعْتُ مِنْ حَافِظٌ<sup>✱</sup> وَيُلْقِي لِي مَا أَرَخَصْتُ مِنْ خَطَرِي مُغْلِي  
وَأَيْنَ جَوَابُ عَنْكَ تَرْضَى بِهِ الْعَلَا إِذَا سَأَلْتَنِي بَعْدُ أَلْسَنَةُ الْحَفْلِ<sup>(٥)</sup>

(١) في هذا البيت كما يرى القاريء محاكاة لقول المتنبي ، وقد سئل بيتاً يتضمن أكثر ما يمكن من الحروف ، فقال :

« عَش ، اق ، اسم ، سد ، حد ، قد ، مر ، انه ، اسر ، هه ، تسل

غظ ، ارم ، صب ، احم ، اغر ، اسب ، رع ، زع ، دل ، اثن ، مل

وهـ — داء لو سـك كميته لأنى سأل الله فيك ، وقد جعل . «  
وحير من هذه المعاطلة قول ابن الرومي :

« ألبى ، ورجمي ، وأحزل ، وثوبى وثابر على إدرار برى وواظ

لأثري جدواك — وهي سليمة من الهم — ما فيها اعتلال لمائب . «

(٢) لو تسي : أى تسهل وتنازل لإحكام أمر تلك المني بيد المدحج لتسهل منها ما استصعب حله .

(٣) تم : تقدر من مناه الله يمينه قدره ومنه قول الشاعر :

« لا تأمن الدهر في حل وفي حرم إن الدنيا توافي كل إسان

واسلك طريقك فيها — غير محتشم — حتى تلاقى ما يمي لك المني »

أى يقدر لك القادر ، والفعل — بالفتح اسم جامع لكل فعل حسن ، والقصد التوسط بين طرق الامراض

والعريضة ، والرسل — بالسكس — الرقى والتزودة ، قال افعل كذا على رسلك أى على هيئتك وليس مراداً

هنا بل المراد الرسل — بالفتح — أى السهل بقا سبر رسل أى سهل .

(٤) وإن لم يقدر الله حصول تلك الأمانى على يدك ولم تحر على مادتك وخائفك في إسماعى بمحاذى فأخلق

سراحي لأضرب في العيانى وأحى من وحشة النوى وهول السرى أسا .

(٥) وأين جواب عنك أى بماذا يكون جوابى عنك إذا سئلت عما أسعدت من معروف أو قدمت من

معونة . قال ابن إسام في باب المواربة والقد : « وأين جواب فيك ترضى به العلاء » . أحـ وذ من

قول الآخر :

« فاختر لنفسك ما أقول فاني لا بد أخبرهم وإن لم أسأل . «

## جواب

« كتب اليه الوزير الكاتب أبو بكر بن القصيرة  
في يوم أحذف فيه دواء :

مولاي نفسي إلى مطالعة الـ  
بحسنى يعقبى الدواء مطالعه  
وكيف ذاك الحس الدكى وقد  
ناشر تلك المداقة الشعة  
وددت لو أنى حصصت بما اسـ  
تشعت منه وحزن منتفعه  
أعقك الله من فظاعته  
أسوع صنع فى مثله صنعه  
نصحة تصحب الزمان فتـ  
ليه وتنى جديدة نصعه  
فأت روح العلاء ساء الـ  
له وسمل الوفاء لا صدعه  
خاويه ابن ريدون :

قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ فِي الذِّى صَنَعَهُ عَارِضُ كَرْبٍ بِلُطْفِهِ رَفَعَهُ  
تَبَارَكَ اللَّهُ إِنَّ عَادَةَ حُسْنَانِهِ - مَعَ الشُّكْرِ - غَيْرُ مُنْتَزَعَةٍ

✽ ✽

يَا سَيِّدِي الْمُسْتَجِدَّ<sup>(١)</sup> مِنْ مِيقَتِي<sup>(٢)</sup> بِخُطَّةٍ قَاتَتْ الْحِسَابَ سَعَةً  
وَأَقَانِي الْعِقْدُ - زَيْنَ نَاطِمُهُ - وَالْوَشْيُ لَأَرَاعَ حَادِثَ صَنَعَةٍ<sup>(٣)</sup>  
بَشَّتْ فِيهِ الْبَدِيعَ مُنْتَقِيًا كَالرَّوْضِ إِذْ بَثَّ فِي الرَّبَابِ - قِطْعَةً

أَزَاحَ كَرْبَ الدَّوَاءِ مَطْلَعُهُ      لَمَّا بَدَأَ طَالِعُ الشَّرُورِ مَعَهُ <sup>(١)</sup>  
 كَمْ دَعْوَةٍ - قَدْ حَوَاهُ - صَالِحَةٍ ،      مِنْ أَمَلِي أَنْ تَكُونَ مُسْتَمَعَةً <sup>(٢)</sup>  
 بُجَلَةٌ مَا نَفْسُكَ السَّرِيَّةُ مِنْ حَا      لِي إِلَى عِلْمِ كُنْهِهِ طُلْعَةٍ  
 أَنْ الدَّوَاءِ التَّدَّتْ عَوَاقِبُهُ      مِنْ نَفْسٍ تَبَشَّعَتْ جُرْعَةً <sup>(٣)</sup>  
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ - لَا شَرِيكَ لَهُ -      إِنْ بَدَأَ الطَّوْلُ مِنْعِمًا شَفْعَةً

### حبيب

وَرَامِشَةً <sup>(٤)</sup> يَشْفِي الْعَمَلِيلَ نَسِيمَهَا      مُضْمَخَةً <sup>(٥)</sup> الْأَنْفَاسِ طَيِّبَةَ النَّشْرِ <sup>(٦)</sup>  
 أَشَارَ بِهَا نَحْوِي بَنَانٌ مُنْعَمٌ      لِأَغْيَدِ مَكْحُولِ الْمَدَامِعِ بِالسَّخْرِ <sup>(٧)</sup>  
 سَرَتْ نَضْرَةً - مِنْ عَهْدِهَا - فِي غُصُونِهَا      وَعُلِّتْ بِمِسْكِ مِنْ شَمَائِلِهِ الزُّهْرِ  
 إِذَا هُوَ أَهْدَى الْيَاسَمِينَ بِكَمِّهِ      أَخَذَتْ الشُّجُومَ الزُّهْرَ مِنْ رَاحَةِ الْبَدْرِ  
 لَهُ خُلُقٌ عَذْبٌ وَخُلُقٌ مُحَسَّنٌ <sup>(٨)</sup>      وَظَرَفٌ كَمَرْفِ الطَّيِّبِ أَوْ نَشْوَةِ الْخَمْرِ <sup>(٩)</sup>  
 يُعَلِّلُ نَفْسِي مِنْ حَدِيثِ تَلَذُّهِ      كَهَيْلِ الْمُنَى وَالْوَصْلِ فِي عُقْبِ الْهَجْرِ <sup>(١٠)</sup>

- (١) لما بدا شرك الجليل ومعه طالع السرور أنشأ سرارة الدواء .  
 (٢) كم دعوة حواها سحرك ادعو الله أن تكون مستجابة .  
 (٣) كانت طاقبة الدواء حميدة وإن حزمت غشى من شربه .  
 (٤) في الفأوس الرمش : الطائفة من الريحان ونحوه . وفي شفاء العليل ، رامشه : قال الصولي هي ورقة آس لها رأسان . قال أبو نواس :  
 « لها روامش ينتعبن لنا نظل آذاناً مطاياها . »  
 (٥) معطرة . (٦) طيبة : الرائحة .  
 (٧) رب طاعة من الزهر معطرة الشذى طيبة الأنفاس قدمها إلى من أهواه .  
 (٨) خائفة حسنة . (٩) يعنى أن سحر عينيه يفعل في النفس ما يفعله الطيب أو الخمر .  
 (١٠) العقب : بضمين ، والعقب بضم فسكون العاقبة مثل عمرو وعمر . قال تعالى : « هو خير ثوابا وخير عقبا . »

## في مدح ابن جهور

« قال يمدح ابن جهور ويذكر جواراهم يرميه ، وأملا  
ضيقه ، ويعني إنجاحه في طلبته ، وإسماعفه بأسميته . »

« جَنَاحِي » فِي جِوَارِكُمْ أَذْلِيلُ      وَحَدَى فِي رَبَائِكُمْ الْكَائِلُ <sup>(١)</sup>  
نَصِيبٌ مِنْ وَلَائِكُمْ كَثِيرُ      وَحَظٌّ مِنْ عِنَايَتِكُمْ قَلِيلُ !  
لَمُخْتَلِفَاتٍ مِنْ حَالِي مَهْمَا      أَجَالَ الْفِكْرَ يَبْنِيهِمَا <sup>(٢)</sup>  
أَنْحِيَا أَنْفُسُ الْأَمَالِ فِيكُمْ      وَلِي - أَنْفَاء هَا - أَمَلٌ قَتِيلُ ؟ <sup>(٣)</sup>  
وَأَعْجَبُ حَادِثٍ نَظَرِي لَدَيْكُمْ      إِلَى غَمَلِ النَّجَاحِ وَبِي غَلِيلُ ! <sup>(٤)</sup>  
وَقِدْحِي فِي وَدَادِكُمْ مَعْلَى      وَبَاعِي فِي أُعْيَادِكُمْ طَوِيلُ <sup>(٥)</sup>  
وَكَاثُنٌ لِي ثَنَاءِ رَاحَ يَذْنِي      إِلَيْهِ الْعُطْفُ جُدُّكُمْ الْأَمِيلُ <sup>(٦)</sup>

(١) وجد هذا البيت في نسخة الديوان على هذه الصورة .

..... في جواركم الدليل وحدي في رحائبكم السكيل

والنكمة من عدنا كما يعطها السياق .

(٢) يقول : إن حال المختلعات عند إجابة الدار ، منسبي من ولايتكم ولصرتكم وحى لكم كثير ، وحظي من عابكم وتعقدكم قليل .

(٣) يذكر عليهم أن تكون آمال الناس حية بسببهم وأمله بينها كالقيل بين الأحياء .

(٤) المال : السيل الضعيف الذي يجري في أصول الشجر فيرويه قبل أن تضف ، والميل : العطش أي وأعجب ما حدث لي أن أنظر إلى مسيل ماء من ناحيتكم فيه نخاح وانتعاش آمالي ، وفي طاماً شديد في حال يني وبين ما يرد علي ويشي غليل .

(٥) المال من فداح الميسر المشره ، والفدح : بالكسر اسم للدهم ، وكانت فداح الميسر عندهم معروفة بعلامات خاصة ، فمونها في خريطة على يدي عدل يجليها ويخرج باسم كل واحد من اليامرين فدحا ، فان كان غملاً أي لاصيب له عزم صاحبه ، وإن كان من دوات الاصبا ، أحسد نصيبه بحسبه ، والذي يخرج له المدح المعلى بعد أكبر فائز بأوثر نصيب لأن له سبعة أسماء ، وانوا بتعمرون على جزور يفتسمونها والذي يخرج لهم من الاصبا ، يوزعون على الفقراء .

(٦) وكم من ثناء ومدح راح يني إليه مجدكم المتأصل عطفه .

تَنَافُسُهُ الرِّيَاضُ مُنَوَّرَاتِ تَنَفَّسَ عَنْ نَوَافِحِهَا الْأَصِيلُ (١)  
 « أَبَا الْحَزْمِ » الزَّمَانُ - بِأَنْ تُتَدَيَّ إِذَا عُدَّتْ فَوَاضِلُكُمْ - بِخَيْلٍ (٢)  
 عَلَوْتَ النَّجْمَ - إِذْ مَلَ الْمَسَامِي وَحُزَّتْ الْخَصْلَ إِذْ كَلَّ الرَّسِيلُ (٣)  
 رَأَيْتُ النَّاسَ - مَا أَصْبَحْتَ فِيهِمْ - بَلَاءُ اللَّهِ عِنْدَهُمْ جَمِيلُ  
 وَمَاءُ الْعَيْشِ يَدْنُهُمْ فَضِيضُ وَظِلُّ الْأَمْنِ فَوْقَهُمْ ظَلِيلُ (٤)  
 وَلَوْ فَقَدُوكَ - لَافْقَدُوا - حَوَاهِمُ مَرَادٍ مِنْ زَمَانِهِمْ وَبِيلُ (٥)  
 وَشَاقَ نُفُوسَهُمْ رَسْمُ مُجِيلُ - مِنْ الدُّنْيَا - وَعَهْدُ مُسْتَحِيلُ (٦)  
 فَخَاصِرُ دَوْلَةٍ تَفْنَى لِلَّيَالِي وَلَمْ يُلَمَّ بِسَاحَتِهَا مُدِيلُ (٧)  
 وَلَا زَالَتْ نِبَالُ الدَّهْرِ تُضْمِي عُدَاتَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّبِيلُ  
 أَلَيْسَ مِنْ مُسَاعَفَةِ اللَّيَالِي وَأَنْتَ - إِلَى نِهَآيَتِهَا - سَبِيلُ ؟

- (١) النوايح : جمع نايحة وأراد بها أعماس الرياض التي تحملها سمات الأصيل فسوح منها نفحات طيبة ، يقول إن ذلك النماء الطيب تمامه الرياض وهي « ورات قد تنفس الأصيل عن نوافحها أي ما يفرح من طيب روائحها ، ويحور أن يكون عن نوافحها جمع نايحة المسك . (٢) ثناء يثبه حمل له ثانيا ، أي يا أبا الحزم الزمان بحيل بأن تعدّ لك ثانيا في العصل إذا عدت فواضلكم .
- (٣) حزت الخصل : أي أحررت العلية في الزمان أو أدرك المايه في السقي ، والرسيل الماضل ، أو السابق ، وقد جاء في الأصل « الساعي » فوحى في مكانها « السامي » كما يرشد إليه المعنى .
- (٤) العيسيس : الماء العذب الكثير المتدفق ، أو ماء السحاب الغزير المنفرق ، وظل طليل : أي دائم لا يفسخه الصباح . (٥) مراد - بالفتح - اسم مكان من رادت الابل تروء ، أي اختلط ذهابها ومجيئها في المرعى ، والوبيل الوحي الذي لا يستمرأ ، والمعنى : لو فقدوك - لا قدر الله - ولم يستطلوا بطل دولتك لاحتواهم من زماهم مرعى وبيل فلم يهنا لهم عيش ولم ينعم لهم بال .
- (٦) الرسم ما بقي من آثار الدار بعد ارتحال ساكنيها ، والحيل : المتقادم العهد الذي مرت عليه أحوال ، والمستحيل : المنعير ، أي لو فقدوك لاسحقوا العاقبة ، ولبارعتهم نفوسهم - إذا استمرعوا فقدك ولم يقوموا بنصرتك - إلى دنيا تحولت حديثا إلى بلى ، وسببها إلى هرم ، وتبر عهدها من سعادة وهناء إلى محنة وشقاء . (٧) المحاصرة أخذ الرجل بيد صاحبه إذا ماشاه ، ومنه قوله :
- ثم خاصرتها إلى القبة الخضر راء تمشى في مرمر مسنون  
 معناه ماشيتها إلى القبة الخضراء تمشى على مرمر مملس ، والمديل الانقلاب الذي تنتقل إليه الدولة ، يدعوا للدعوى ببقاء الدولة له من غير تحول ولا انتقال .

## إلى المظفر

« كتب إلى المظفر سيف الدولة أبي بكر محمد بن  
عبد الله بن محمد بن مسلم صاحب بطليوس . »

لِيَبِيضِ الطُّلَى وَلِسُودِ اللَّمَمِ      بَعَقَلِي - مُذْنٍ عَنِّي - لَمَمٌ <sup>(١)</sup>  
فَنِي نَاطِرِي - عَن رَشَادٍ - عَمِي      وَفِي أُذُنِي - عَن مَلَامٍ - صَمَمٌ <sup>(٢)</sup>  
قَضَتْ بِشِمَاسِي عَلَى الْعَاذِلِينَ      شُمُوسٌ مُكَلَّمَةٌ بِالظَّلَمِ <sup>(٣)</sup>  
فَاسْتَقِمَّتْ لَحَظَاتُ الْغَيُوثِ      نِ إِلَّا لِتُغْرِيَنِي بِالسَّقَمِ  
يَلُومُ الْخَلِيَّ عَلَى أَنْ أُجَنَّ      وَقَدْ مَزَجَ الشَّوْقُ دَمْعِي بِدَمٍ <sup>(٤)</sup>  
وَمَا ذُو التَّذَكُّرِ يَمْنُ يُلَامُ      وَلَا كَرَمُ الْعَهْدِ مِمَّا يُذَمُّ <sup>(٥)</sup>  
وَإِنِّي أَرَاخُ إِذَا مَا الْجَنُوثِ      بُ رَاحَتِ بَرِّيَا جَنُوبِ الْعَلَمِ <sup>(٦)</sup>

(١) الغلالة : ضم الطاء هي العنق والجمع طلى مثل نقاة وتقى ، واللمم : كسر اللام جمع لمه - الشعر المجاور شعمة الأذن - لم يفتح اللام - الجئون .

(٢) في هذا البيت والذي قبله يقول الشاعر أنه عمى عن الرشاد وصم عن الملام وصار في حل حنون مد بان وبعد عنه الحسان بين الأعماق سود اللمم .

(٣) شمس العرس شموسا وشماسا مع طهره - العرب تقول روية مكلمة ، يعني مخوفة بالبور ، يقول الشاعر : شُمُوسٌ مُكَلَّمَةٌ : أي مجللة بليل الشعر الأسود - وهذا البيت بمثابة التكملة لوصف حالته في البيتين السابقين فكأنه يقول وكما عميت عن الرشاد وصممت عن الملامه كذلك فقد قضى على هذا الجمال أن أشمس على العاذلين . (٤) الخلي : كعبى الفارغ ، وفي المثل العربى القديم « ويل للشجى من الخلى » .

(٥) انتقل الشاعر لتبير حنونه في غرامه وفي دموعه التي مزجت بالدم فألزم لونه بالحجة وقذف في وجوههم بالبرهان الذى ليس وراءه برهان ، فقال : إن بكائى وحنونى ولوعتى كل أوائك لا لوم فيه ولا بأس منه في سبيل الذكرى والحفاظ بالعهد فليس كرم العهد مما يذم ، وفي القرآن الكريم : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً »

(٦) أراح - استريح - ريح الجنوب هي المقابلة لريح الشمال - « راحب » - من الرواح ، وهو ضد الغدو يقول : إنى لكثرة تذكركى الأحبة ولكثرة حفاظى بعهودهم أستريح إذا ريح الجنوب طادت إلى برائحة أمكنهم المندسة المحبوة .

وَأَصْبُو لِمِرْقَانٍ عَرِيفِ الصَّبَا      وَأَهْدِي السَّلَامَ إِلَى «ذِي سَلَمٍ»<sup>(١)</sup>  
وَمِنْ طَرَبٍ عَادَ نَحْوَ «الْبُرُو      قِ» أَجْهَشْتُ لِلْبَرْقِ حِينَ أَبْتَسَمَ<sup>(٢)</sup>  
أَمَّا وَزَمَانٍ - مَضَى عَهْدُهُ      حَمِيدًا - لَقَدْ جَارَ لَمَّا حَكَمَ  
قَضَى بِالصَّبَابَةِ ثُمَّ أَنْقَضَى      وَمَا اتَّصَلَ الْأَنْسُ حَتَّى أَنْصَرَمَ<sup>(٣)</sup>  
لِيَالِي نَامَتْ عِيُونُ الْوُشَا      عَنَّا، وَعَيْنُ الرَّضَى لَمْ تَنَمْ<sup>(٤)</sup>  
وَمَالَتْ عَلَيْنَا غُصُونُ الْهُوَى      فَأَجْنَتْ ثَمَارَ الْمُنَى مِنْ أُمَمٍ<sup>(٥)</sup>  
وَأَيَّامُنَا مُذْهَبَاتُ الْبُرُودِ      رِقَاقُ الْحَوَاشِي صَوَافِي الْأَدَمِ<sup>(٦)</sup>

(١) أصبو - أميل - وعرفان - معرفة ، والعريف هو الشدي . يقول : أنى أيضا أميل صبوة وحبا إذا هبت الصبا - ريح الشمال - لأنها ممطرة بشدى من يحبه . ويهواهم يهبدى السلام إلى ذى سلم الموضع الذى حملت منه الصبا لك الشدى المحبوب .

(٢) أجهشت : ارتفع صوتى باكيا ، يقول : كما أنى أسترخ للحبوب إذا طادت برياً ريح العلم وأصبو إلى شدى الصبا كذلك أكنى من طرب بماودنى إذا ابتسم البرق ولمع ، والمعنى فى هذه الأبيات أنه يستريح لسكل دأبه من جهات أحسه لأن فى ذلك نوما من الذكرى . ولا يظن شاعرا لم يملك لابتسام البرق ولم ينتش من ربا الصبا والحنوب .

(٣) انصرم : هو الفطع ، والمعنى أن الزمان الذى مضى حميدا حاد عن العدل حين حكم وعمل أقل من رسم هذا الزمن بـ غاية العدل ، وهو الذى ما كاد يقضى لنا بالصبا والاستمتاع حتى انقضى وشيكا ، وما كادت تتصل أوقات الأنس حتى صرمة عما وحال بيننا وسه .

(٤) الوشاة : فى الأصل هم الذين يمشون بالشر والسعاية فيذيعون الأسرار ، والاراد بهم هنا الخصوم على الإطلاق والمراد بعين الرضى حالة السعادة التى ينعم بها المحبوب فى ساعات الوصال ، وكأنك بالشاعر فى هذا البيت شرع يفصل الصباة التى اصبست والانس الذى انصرم ، فقال : ليالى نامت عيون الوشاة إلى آخر هذا الوصف الذى يتخلص به إلى المديح فى أبى بكر .

(٥) أحنث ثمار إلى : أى أعطى ، والآدم هو القرب ، تقول : رأيته من أمم ، أى من مرب ، يقول أيضا فى تفصيل الأنس الذى انصرم : ومالت علينا غصون الهوى أى وليالى طلائنا هذه المصود - فجئنا منها ما نشاء -

(٦) مذهبات البرود : أى مموجة البرود - جمع برد - فاللهب ، وقوله « رفاق الحواشى » كناية عن رقة وحضرة العشب فى تلك الأيام ورغده ، وكذلك قوله صواى الأدم ، والأدم هو الخلد . ول المتن : « فبأيما قدم سميت إلى الملا أدم الهلال لأحميك حذاء . »

كَأَنَّ « أَبَا بَكْرٍ » الْأَسْلَمِيَّ أَجْرَى عَلَيْهَا فِرْنْدَ الْكَرَمِ <sup>(١)</sup>  
 وَوَشَّحَ زَهْرَةَ ذَاكَ الزَّمَانِ بِمَا حَازَ مِنْ زُهْرِ تِلْكَ الشَّيْمِ <sup>(٢)</sup>  
 هُوَ الْحَاجِبُ الْمُعْتَلِي لِلْعُلَا شَمَائِلَ بَيْحِ كُلِّ مُتَيْفٍ أَشَمِ <sup>(٣)</sup>  
 مَلِيكَ إِذَا سَابَقَتْهُ الْمُلُوكُ حَوَى الْخِصْلَ أَوْ سَاهَمَتْهُ سَهْمِ <sup>(٤)</sup>  
 فَاطَوْهُمْ - بِالْأَيَادِي - يَدًا ، وَأَثْبَتَهُمْ - فِي الْمَعَالِي - قَدَمَ <sup>(٥)</sup>  
 وَأَرْوَعَ لَا مُعْتَنِي رِفْدِهِ <sup>(٦)</sup> يَخْبِي وَلَا جَارُهُ يَهْتَضِمُ <sup>(٧)</sup>

(١) كأن أبا بكر الأسلمي أحرق حوده وديباجة كرمه على تلك الأيام والأيام التي نام عنها هيون الوساة وطلابه غسوا الهوى فيها ، وعدا مما يعمل الثمراء كثيرا نخلصا من المنزل والديب إلى المدح وهو ما يسميه علماء الدين : حسن التخلص .

(٢) وكان أبا بكر بما أحرز من شمائل يمس كأنها زهر الحرم قد وشح تلك الأيام بها وشحها به من نضرة وحسن .

(٣) شمائيل : جمع شراح أو شعروح - أعالي الحال - كل ميبف أشم : أي كل كان مرتفع . يقول : إن أبا بكر هذا لا يبق في الملا عند حد فهو في سبيلها قد نسف ذرا كل ميبف ، وعلا هو كل طاب .

(٤) حوى الخصل : أحرر الشيء المعلوم الذي تراهوا عليه في المساق ، يعني أحرز نصيب السبق ، وساهم : أي فاعله الملوك وما ساهبه معهم أي عليهم ، والمعنى : أن هذا الملك سابقه الملوك في المجد فأحرز دونهم نصيب السبق ، وفروعه في مضمار الصال فرعهم وغلبهم .

(٥) بالأيادي : بالعم ، وبدا : يريد ناعا ، وهذا البيت توصيح أو تأكيد لسابقه أو هو بيان للميزات التي بها يفتل هذا الملك أقدار الملوك من أمثاله ويسبقهم .

(٦) الأروع : من يمدك نفسه وجهارة مطرره أو شاعته كالزئج ، ودلوا في الأروع : لأنه الرجل الكريم الحى النفس الذي يروك حسنه ، ويمدك إذا رأيه ، والمعنى : كأنه في كل من جاء يطلب رعدا وعطاء وملا ، قال الأعشى :

« تطوف العمامة بأبوابه طواف النصارى بيت الوثن . »

وقال مسلم بن الوليد :

« ترى العمامة عكوما حول حجرته برجون أروع رحب الباع سلما . »

وقال أبو تمام :

« كم أعطيت راحته من شب سلامة المعتدين في مطبه . »

والرغد : العطاء - وقوله لا معتنى - في العاموس اعتنت الأبل اليأس واستعوت أحداته بلسانها فوق التراب مستمنية له ، والرغد هو العطاء ولا حاره يهضم هضم الجار وتوضه بمعنى طلمه يقول إن هذا الملك احسم له حسن الخلق هو حجب الناطر إليه بحسه وجمال هيئه كما احتجم له حسن الخلق ، لأنه لا يخيب طالب رفته ولا يظلم جاره .



ذَلُولُ الدَّمَائِ صَعْبُ الْإِبَاءِ      ثَقِيفُ الْعَزِيمِ إِذَا مَا اعْتَزَمَ<sup>(١)</sup>  
 سَمَا الْمَجَرَّةِ فِي أَفْقِهَا      فَجَرَّ عَلَيْنَهَا ذُيُولَ الْهِمَمِ<sup>(٢)</sup>  
 وَنَاصَتْ مَسَاعِيهِ زُهْرَ النُّجُومِ      وَبَارَتْ عَطَايَاهُ وَطْفَ الدِّيمِ<sup>(٣)</sup>  
 نَهْيَكَ إِذَا جَنَّ لَيْلُ الْعَجَاجِ      سَرَى مِنْهُ فِي جَنَحِهِ بَذْرُتِمِ<sup>(٤)</sup>

(١) الدمائى سهولة الخلق - وقوله ثقيف العزيم - ثقفا حصيفا طنئا، وثقيف إذا عظمت فيه هذه الصفات ، والعزيم - والمزعة والعزم واحد ، حتى أن الممدوح مع ما تقدم من صفات رجولة وسمو دروسته وطوائفه ليس يتمكبر ولا متعجرف ، وإنما هو سهل الخلق دمث الطبع ولكن في إباء ، كما أنه كثير الحدق والمطلة منتف العزيم إذا ما اعتزم الأمور أو طلب القنائس والرغاب .

(٢) المجرة : إحدى كواكب السماء فهذا الممدوح قد سما للمجرة أى علا إليها وزاد عليها سمو الهمم التي فصلها قوله في الأبيات السابقة لامتنى رعبه يحجب ولا حاره يهتضم وأنه إذا سبق الملوك غلبهم ، وأنه أطولهم بدا ، وأثبتهم ندما ، وليس المجرة من المآثر في الناس ما يعادل ما آثرهم هذا الممدوح .

(٣) ناصت مساعيه زهر النجوم الزاهره كالمجرة والثرثرة والأكايل ، وقوله وطف الديم ، وطف : جمع وطماء ، وهي السحابة المسترخية من المطر ، والديم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد ، يقول : إن عطاياه تبارى السحب الماطره الدائمة بلا حلبة ولا ضوضاء فكان هذا الدب برهان لسابقه ، وكأنه يقول : لم لاتفصل على المجرة من هذه صفات مساعيه وسحب مبراته وعطاياه .

(٤) النهيك : الشجاع القوي المانع في الشجاعة لأنه ينهك عدوه فيبلغ منه ما يريد ، حتى أبل العجاج : كل ما ستر عنك فقد حش عنك ، والمعراج : العار النثار واحده عجاجة ، وجمع الليل - بكسر الحيم ويضم - الطائفة من الليل ، وبذرتم : هو القمر إذا أبدر في ليلة تمامه أربع عشرة ، يقول : حسبك من هذا الممدوح أنه إذا جن ليل الحرب سرى منه وجه مشرق أو سيف لامع يشبه البدر في ليلة التمام يكشف ظلام هذا العجاج ، ويبين عن جبهة النصر والنور ، فهو بعد أن فرغ من إثبات كرم ممدوحه ، وحسن خلقه بما يملو به على مكاتة النجوم وزهو بقدره فوق هام الكواكب شرع يثبت له أنه فارس خيل ، وكاشف وبل ، وأنه لا يسطع بدر كلما ثارت عجاجة الهيجاء ، وادهمت الحرب الهوجاء .

فَشَامَ السُّيُوفَ بِهَامِ الْكُمَاةِ      وَرَوَّى الْقَنَا فِي نُحُورِ الْبُهَمِ<sup>(١)</sup>  
جَوَادُ ذَرَاهُ مَطَافُ الْمُفَاةِ      وَيُمْنَاهُ رُكْنُ النَّدَى الْمُسْتَلَمِ<sup>(٢)</sup>  
يَهِيْجُ النَّزْلُ بِهِ وَالسُّوَا      لَيْشَا هَضُورًا وَبَحْرًا خُضَمِ<sup>(٣)</sup>  
شَهْدَنَا ، لَأَوْتَى فَضْلَ الْخِطَابِ      وَخُصَّ بِفَضْلِ النُّهَى وَالْحِكَمِ<sup>(٤)</sup>  
وَهَلْ فَاتَ شَيْءٌ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ      جَرَى السَّيْفُ يَطْلُبُهُ وَالْقَلَمُ<sup>(٥)</sup>

(١) شام السيف : معناه أغمدتها أو سلها فهو من الاتعداد ، ولكن يتعين هنا أن يكون معناه أغمدتها في هام الكمأة ، يقال شام الشيء في الشيء - أدخله فيه أى حمل من رؤوس الكمأة أغمدا للسيف - هام : جمع هامة ، وهى الرأس ، والكمأة : جمع كمي ، وهو الفارس المدجج في السلاح والقنا : جمع قناه ، وهى الرمح ، والبهم : جمع بهمة بضم الباء وسكون الهاء الشجاع الذى لا يهتدى من أين يؤتى - أو هو الحيش ، فهو يقول : إداجن ليل العجاج وسرى من ذلك المدحوح فى تلك الداجية - بدرتم - هناك رأيت كيف يمد السيف فى رؤوس الفرسان المدججين فى السلاح ، ورأيت كيف تدق الرماح من دم نحور الشجعان الذين لا تعرف ما آتيهم فى الحروب .

(٢) يقول : ان ممدوحه جواد وإن فى داره مطافا ومثابه للمفاة من طلاب الرغد والمطام وإن يده اليمى كأنها لكثرة ما قبل من سماء الرقودين أسحت كالبحر الأسود المستلم الذى يقبله حجاج بيت الله الحرام .

(٣) الخضم : السيد المحول الممطاء . قال فى القاموس : هو خاص بالرجال ومن معايه البحر أيضا - النزال : بالسكر أن ينزل الفرقان المعاربان عن إبلهما إلى حيلهما فيساروا ، ويقال : نزال : كعظام ، أى انزل - لا واحد والجمع والمؤنث ، والثلاث من أسماء الأسد ، والمصور - كالمهمار - والمهصير - أمها . للأسد أيضا ، وقوله « وعجرا خضم » ، وكذلك بوله فى بيت سبق فى هذه القصيدة نفسها : « فأطولهم بالأيدى يدا وأنبئهم بالمعالي قدم »

أجرى فيه المنصوب المنون فى الوقف مجرى المفعول والمجرور ، فوقف عليه بالسكون ولم يقف عليه بالألف . وذكر الحاجة أن اللمة العاشية من لسان العرب قلب التوين ألما فى المنصوب المنون عند الوقف نحو رأيت زيدا ، وعجرا خضما ، وربيعة يحيزون لإحراءه فى لومف مجرى المفعول والمجرور ، قال الشاعر : « ألا حسدا غم وحسن حديثها فقد ترك دلى بها هاتما دنف . » « وابن ريدون » على غولته ما كان يبدى له أن يضطر إلى استعمال هذه اللمة القليلة فى شعره . ومعنى البيت أن دعوى الحرب تهيج من هذا المدحوح ليثا مصورا كما أن سؤال رده وعطائه يهيج منه سيده حولا لما يكلف معذرا . لما يسأل كالبهر .

(٤) فى هذا البيت الجاس بين فصل الخطاب وفصل النهى ، ومعنى البيت أن المدحوح حكيم لا فى غبا وبكم وفرب اللسان والمنطق ولكن لا فى طيش وخفة ، وهذا فلما يحتاج إلالمى هياهم الله لنصرة الحق والدفاع عن حوزة الدين ، وجدير بمن يؤتى فصل الخطاب وفصل النهى أن يشهد له زمه ويعترف له بالزامة . والرياسة والفصل . (٥) ذكر ما قاله فى البيت السابق ، فيقول : هل ترك المدحوح أو فات شيئا من المكرمات يمكن السيف والقلم إحرازه من غير أن يحرزه ؟

\* \* \*

وَمُسْتَحْمَدٍ بِكَرِيمِ الْفَعَا      لِي عَفْوًا إِذَا مَا اللَّئِيمُ أَسْتَدَمَ <sup>(١)</sup>  
شَمَائِلُ شُهَجَرٍ عَنْهَا الشَّمُولُ      وَتُجْنِي لَهَا مُشْجِيَاتُ النَّعَمِ <sup>(٢)</sup>  
عَلَى الرَّوْضِ مِنْهَا رُؤَاةٌ يَرْوِقُ      وَفِي الْمِسْكِ طِيبٌ أَرِيحُ يُشَمُّ <sup>(٣)</sup>

\* \* \*

أَبُوهُ الَّذِي فَلَّ غَرْبَ الضَّلَالِ      وَلَا أَمَّ شَعْبَ الْهُدَى فَأَلْتَأَمَ <sup>(٤)</sup>  
وَلَاذِبُهُ الدِّينُ مُسْتَعَصِبًا      بِذِمَّةِ أَبْلَجٍ وَافِي الدَّمَمِ <sup>(٥)</sup>  
وَجَاهِدَ - فِي اللَّهِ - حَقَّ الْجِهَامَا      دِمْنٌ دَانٌ - مِنْ دُونِهِ - بِالصَّنَمِ <sup>(٦)</sup>

(١) مستحمد : أى منسوب إلى الحمد ، ويقال فعل النسيء عفواً أى من غير تعمى ولا طلب ، واستندم : فعل ما يندم عليه ، والمعنى فى هذا البيت أنه من طبيعته الاستعداد - عفواً - لأنه كريم العمال التى من شأنها أن تعود على صاحبها بالحمد ، وذلك فى الوقت الذى يصدر فيه أوامر الأوامر عفواً أيضاً . يقول إن ممدوحه فى الوقت الذى يدعو فيه لؤم الأوامر رغم أوامهم وريائهم يظهر كرمه المطرى وموله الحفية التى ترغمه أيضاً على إحراز المحامد .

(٢) الشمول : من أسماء الجر - تنحى : تهجر ، والمعنى أن شمائل ممدوحه تنحى عن الجر والماء الشجى لأنها يتسمى بها متطرب ويتحدث عنها فتسخر .

(٣) الرواء الحسن - الأريج : الرائحة الطيبة ، يقول : إن هذه الشمائل تلى فى رواء الحسن الذى يروى الباطر فى الروس ، وكذلك تلى فيما يلد المعاطس فى الأريج الطيب المشموم من المسك .

(٤) فلَّ غرب الضلال : أى تلم حده الذى يشبه حدَّ السيف فى المضاء ، وقوله - ولا أَمَّ شعب الهدى فالأَمَّ معناه أصلىح شعب الهدى فاصلىح ، والمعنى أن أباه وأب صدع الهدى وفرق حزب الضلال وخمد شوأكته .

(٥) الأبلج : هو كل واسع ، ويقال : أبلج الصبح ومنح يقول بأبى الممدوح احتفى الدين منه واعتصم بواصح المسكنة وافى الذمم .

(٦) يقول : وإن أباه هذا الممدوح أبلى البلاء الحسن فى الجهاد لله وفى مجاهدة من دان من دون الله بالصنم ، يعنى أنه عاش لله ولياً لأوليائه عدواً لدوداً لأعدائه .

فَلَا سَامِيَ الطَّرْفِ إِلَّا أَذَلَّ      وَلَا شَامِيخَ الْأَنْفِ إِلَّا رَغَمَ<sup>(١)</sup>  
تَقِيلَ فِي الْعِزِّ - مِنْ خَيْرٍ -      مَقَاوِلَ عَزُّوا جَمِيعَ الْأُمَمِ<sup>(٢)</sup>  
هُمْ نَعَشُوا الْمُلُوكَ حَتَّى أَسْتَقَلَّ      وَهُمْ أَظْلَمُوا الْخَطْبَ حَتَّى أَظْلَمَ  
نُجُومُ هُدًى - وَالْمَعَالِي بُرُوجٌ -      وَأَسْدُ وَغَى وَالْعَوَالِي أَجَمَ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

« أَبَا بَكْرٍ » أَسْلَمَ عَلَى الْحَادِثَاتِ      وَلَا زِلْتَ مِنْ رَيْبِهَا فِي حَرَمَ<sup>(٤)</sup>  
أَنَادِيكَ - عَنْ مِقَّةٍ - عَهْدُهَا      كَمَا وَشَتِ الرِّوَضُ أَيْدِي الرَّهَمِ<sup>(٥)</sup>  
وَإِنْ يَعُدُّنِي عَنْكَ شَحَطُ النَّوَى      فَحَقَّطَى أَخَسَّ وَنَفْسَى ظَلَمَ<sup>(٦)</sup>

(١) رَغَم : رَغَمَ : رَغَمَ يَزُول : يُدْهِمُ لَمْ يَتْرَكْ مِنْ أَعْدَائِهِ ، سَامِيَ الطَّرْفِ إِلَّا أَذَلَّهُ ، وَلَا أَشْمُ الْأَنْفِ إِلَّا أَرْغَمَهُ ، وَيُقَالُ رَغَمَ أَمْرُهُ يَمُوتُ أَدْلُهُ عَنْ كَرَمِهِ مَعْنَى أَرْغَمَهُ .

(٢) تَقِيلُ أَبَاهُ أَشْبَهُهُ - مَقَاوِلَ وَمَقَاوِلَةٌ وَأَقْيَالٌ وَأَقْوَالٌ جَمْعُ مَعُولٍ كَبِيرٌ أَوْ جَمْعُ تَيْلٍ - الْمُلُوكُ مِنْ مَلُوكٍ حَمِيرٌ - أَوْ هُوَ مَا دُونَ الْمُلُوكِ الْأَعْلَى ، وَهِيَ بَيْلٌ لِأَنَّهُ يَقُولُ مَا شَاءَ فَيَبْعُدُ ، وَحَيْثُ دَمِيَ الْبَيْتُ أَنَّهُ فِي عِزِّهِ وَبِحَدِّهِ وَمَنَاعَتِهِ أَشْبَهُهُ - وَأَحْدَادُهُ مِنْ مَلُوكٍ وَأَبْيَالٍ حَمِيرُ الدِّينِ سَادُوا وَغَلَبُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ .

(٣) بَرُوجُ السَّمَاءِ مَمْرُوتَةٌ - الْوَعْيُ : غَمَارُ الْحَرْبِ أَوْ الْحَرْبُ - الْعَوَالِي صُدُورُ الرِّيحِ - وَالْأَحْمُ بِالضَّمِّ وَبِضْمَتَيْنِ وَالْمَحْرِيكُ جَمْعُ أَحْمَةٍ مَحْرَكَةٌ الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُنْتَفِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْمَقَاوِلَ الْأَقْيَالُ أَبَاهُ هَذَا الْمَدْحُوحَ كَانُوا فِي الْمَعَالِي يَشْهَرُونَ النُّجُومُ فِي بَرُوجِهَا فِي السَّمَاءِ كَمَا كَانُوا فِي الْخُرُوبِ يَشْهَرُونَ الْأَسْدَ تَطْلُعُهُمْ رِمَاحُهَا كَمَا أَنَّهَا أَحْمُ الْأَسْدِ .

(٤) نَدَّوْهُ أَنْ يَنْتَلِي فِي دَأْسٍ مِنْ أَحْدَاتِ الدَّهْرِ وَهَضَائِهِ ، وَأَنْ يَطْلُ فِي مَوْضِعٍ لَا تَهْتَكُ الْحَادِثَاتُ وَلَا تَعْلُ إِلَيْهِ رَيْبُهَا .

(٥) الْمِقَّةُ : الْحَبَّةُ ، وَالرَّهْمُ : كَمَثَبُ جَمْعٍ رَمَمَهُ نَكَبَرُ الرِّاءِ وَسَكُونُ الْهَاءِ وَهِيَ الْمَطَرُ الضَّعِيفُ الدَّائِمُ وَيُقَالُ رَوْصَةٌ مَرهُومَةٌ ، يَقُولُ الشَّاعِرُ : أَنَادِيكَ نَدَاءٌ مَسْدَرًا عَنْ مِقَّةٍ وَمَحَبَّةٍ عَهْدُهَا فِي الْحُدَّةِ وَالشَّابِ كَمَا نَقَشَ أَيْدِي الْمَحَابِ الْمَدَامُ ، أَدِيمُ الرِّوَضِ النَّاضِرُ ، بِالْوَاوِ الرِّبْعِ الرَّهْمُ .

(٦) عَدَاهُ عَنْ الْأَمْرِ صَرَفَهُ وَشَعْلَهُ ، وَيَعُدُّنِي عَنْكَ : صَرَفَنِي وَيَشْعَلُنِي عَنْكَ ، وَالشَّحَطُ : الْبَعْدُ ، وَالنَّوَى الْإِغْتَرَابُ . يَقُولُ : إِذَا كَانَ الْإِغْتَرَابُ يَشْعَلُنِي وَيَصْرَمُنِي عَنْكَ فَانْهَ لَمْ يَرْخَسْ إِلَّا حَقْلِي وَلَمْ يَنْظَمْ إِلَّا نَفْسِي فَضَرَرُ هَذَا الْبَعْدُ وَقَعَ بِي وَحْدِي وَلَيْسَ يَقَعُ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَيْكَ .

وَإِنِّي لِأُصْفِيكَ تَحْضَ الْهُوَى      وَأُخْنِي لِجُفْدِكَ بَرَحَ الْأَلَمِ <sup>(١)</sup>  
وَعَظِيمُكَ أَخْفَرَ عَهْدَ الدِّمَامِ      إِذَا حُسْنُ ظَنِّي عَلَيْهِ أَذَمَ <sup>(٢)</sup>  
وَمُسْتَشْفِعِي بَنِي بَشَرَتِهِ      عَلَى ثِقَةٍ - بِالنَّجَاحِ الْأَثَمِ <sup>(٣)</sup>  
وَقَدِّمًا أَفَلَتَ الْمَسِيءَ الدِّمَارَ      وَأَحْسَنْتَ بِالصَّفْحِ عَمَّا أَجْتَرَمَ <sup>(٤)</sup>  
وَعِنْدِي - لِشُكْرِكَ - نَظْمُ الْعُقُودِ      تَنَاسَقُ فِيهَا اللَّالِي التَّوَمَ <sup>(٥)</sup>  
تُجِدُ لِفَخْرِكَ بُرْدَ الشَّبَابِ      إِذَا لَبَسَ الدَّهْرُ بُرْدَ الْهَرَمِ <sup>(٦)</sup>  
تَمْشِي مَعْصَمًا بِيَفَاعِ السَّعُودِ      وَدُمُ نَاعِمًا فِي ظِلَالِ النِّعَمِ <sup>(٧)</sup>  
وَلَا يَزَلُ الدَّهْرُ أَيْامُهُ      لَكُمْ حَشَمٌ وَاللَّيَالِي خَدَمَ <sup>(٨)</sup>

- (١) نفس الهوى : حاله — وانبرج : أشدته يدعم بهذا البت معنى سابقه بقول إني لأصفيك وأعصك الهوى حاملاً لاسمائه فيه وإني في نفسك لأسمر في معنى بالألم المبرح والادوعة المرة ولكي أحيى ذلك في حايا الناس وفي موضع الأسرار من الملوب .
- (٢) أذمه به : نفس عهده وعمره — الدمام : الحرمة ويجمع على أذمة ويقال — أذم له عليه أي أخذ له ذمة أي حرمة أو اجارة . يقول : إن غيرك ، أما مكر هو الذي يحمر عهد الدمام ويسمي به ويمد به إذا جعل حسن ظني وطيب بلي له حرمة سمدي و أذما لي عليه ذمة .
- (٣) يقول : ما كنت المستشفع في لديك بالنجاح إلا تم له مطلبه ويل له ثق ببجاحك فقد تشمت بالذي لا ترد شعاعه عند أي مكر ولا يحجب له وجه لديه .
- (٤) قدما أي تديماً وأملت ولاناً من كذا يعني أعينته منه واحترم أي أقي الذمب أو الجرمة والصفيح هو المنفوق يقول وأما تعرفت فعمل العاثر من عثرته وتصور عن النسخ في حريمته .
- (٥) التناسق هو التناغم حبات المقود ولآئها والآلي التوم أي المتشابهة وتسمى الأؤودة التوامية وتوأم الهم والأؤودة ما تشابه منها يمد الشعر إلى تشويق المدوح لأفشاء مدائحه وشعره الذي يشبه المقود المدومة المساقفة بتوأم الآلي .
- (٦) أحد الثوب سيره جديداً يعني أن نظم هذه المقود المقسمة يحد ويميد أراد الشاب من انصر بها جديدة في الوقت الذي يلبس فيه الرمن ثوب - الهرم ، أو أن حر المدوح نفسه هو الذي يطل بلك المدائح جديداً .
- (٧) يفاع : كسحاب التل والنقصود به هنا المرتفع يدعو للمدوح أن يمشي معتمداً بمرتعات السعود وإن يدوم مظللاً بالعم الظليلة لوارمة .
- (٨) حشم الرجل وحشمة الدين يعصبون له من أغله وعييده وجيرانه ، والحشم ثلواحد والجمع والحدم جمع خادم . يقول : لا زال الدهر حادماً لك .

## في نكبة بني ذكوان

«قال عند نكبة بني ذكوان وابن حذام  
في سنة ٤٤٠ هـ أربعين وأربعمائة.»

هَلِ النَّدَاءُ - الَّذِي أَعْلَنْتُ - مُسْتَمَعٌ	أَمْ فِي الْمَثَاتِ الَّتِي قَدَّمْتُ مُسْتَمَعٌ <sup>(١)</sup>
إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ حَظِّ يُسَوِّفُ بِي	كَأَيَّاسٍ مَنْ يَتَّيْلُهُ أَنْ يَجْذِبَ الطَّمَعُ <sup>(٢)</sup>
تَأْتِي الشُّكُونُ إِلَى تَعْلِيلِ دَهْرِي لِي	نَفْسٌ - إِذَا خُودِعَتْ - لَمْ تُرْضِهَا الْخُدَعُ <sup>(٣)</sup>
لَيْسَ الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا ذَلِيلَ حَجًّا	فَإِنَّهَا ذُولُ أَيَّامِهَا مُتَعٌ <sup>(٤)</sup>
تَأْتِي الرِّزَايَا نِظَامًا مِنْ حَوَادِثِهَا	إِذِ الْفَوَائِدُ فِي أَثْنَائِهَا لَمَعُ <sup>(٥)</sup>
أَهْلُ النَّبَاهَةِ أَمْثَالِي لِدَهْرِهِمْ	يَقْصُرُهُمْ دُونَ غَايَاتِ الْمُنَى وَلَعُ <sup>(٦)</sup>

(١) يقول : هل وصل إلى سمعكم ذلك النداء الذي أعلنت فيه شكواي ، أم هل هما قدمه من ماثات القصائد والرسائل جاء ونفع ، وهو بهذا الاستفهام يكرر أن تكون - كواه قد سمعت ، وأن تكون نصائده قد سمعت .

(٢) الطمع : ضد اليأس . والمعنى : إني لأعجب من حظ امتدني في يله تسويف المدح ومطله ، حتى لقد أصبح شبيها - ليأس - طمع يحدني إليه يريد أن الطمع فيه أحو اليأس منه .

(٣) يقول : إن دهرى يطلى بنيل تلك الأمانى السعيدة ، ولكن نسي لا تكن إلى هذا التعليل لأنها لا تنفع إذا حودعت .

(٤) الجمع : القتل والعطش ، معناه أن الركون إلى الدنيا ليس به دليل على ذكاء وفطنة من يركن إليها لأنها زائلة متحولة ، والمتمع بها معرور مفتون .

(٥) يقول : إن الررايا في هذه الدنيا تأتي على سق تتابع من الحوادث التي يخلل سوادها بصيص من لمع الموائد .

(٦) القصير : الحبس والمنع ، والولع : مصدر ولع فلان بكذا إذا لج فيه وحرص عليه ، يعنى أن الدهر مولع بالحيلولة بين النابه الشريف وبين بلوغ أمانيه .



<p>لَوْلَا بَنُو «جَهْوَرٍ» مَا أَشْرَقَتْ هَمِيمِي  هُمْ الْمُلُوكُ مُلُوكُ الْأَرْضِ دُونَهُمْ  مِنْ الْوَرَى إِنْ يَقُوقُوهُمْ فَلَا تَجِبُ  قَوْمٌ مَتَى تَحْتَفِلُ فِي وَصْفِ سَوْدَدِهِمْ  تَجْهَمُ أَذْهَرُ فَأَنْصَاتِ لَهُمْ غُرْرُ  بَاهَتِ وُجُوهُهُمْ الْأَعْرَاضَ مِنْ كَرَمِ  سَرَوْ تَزَاحَمُ فِي وَصْفِ الْمَدِيحِ لَهُ</p>	<p>كَمِثْلٍ يَبِضُ اللَّيَالِي دُونَهَا الدَّرْعُ<sup>(١)</sup>  غَيْدُ السَّوَالِفِ فِي أَجْيَادِهَا تَلْعُ<sup>(٢)</sup>  لِذَلِكَ الشَّهْرُ مِنْ أَيَّامِهِ الْجُمُعُ<sup>(٣)</sup>  لَا يَأْخُذُ الْوَصْفُ إِلَّا بَعْضَ مَا يَدْعُ<sup>(٤)</sup>  مَاءُ الطَّلَاقَةِ فِي أَسْرَارِهَا دُقِعُ<sup>(٥)</sup>  فَكُلَّمَا رَاقَ مَرَأَى طَابَ مُسْتَمَعُ  مَحَاسِنِ الشَّعْرِ حَتَّى يَنْتَهَى قُرْعُ<sup>(٦)</sup></p>
---	---

(١) الدرع : الليالى التى اسودت أوائلها وايض سائرها ، والليالى اليبس هى التى يطلع فيها القمر من أولها إلى آخرها ، أى لولا الجهاورة ما أشرفت همى لإشراق الليالى اليبس دونها فى الياض الدرع أى الليالى التى أطلت أوائلها .

(٢) غيد جمع أعيد : أى مائل ، والسوالف : جمع سالفة ، وهى صفحة العنق مما يلى الأذن ، والتلع : طول العنق وامتداده ، يقول : مو جهور هم ملوك الأرض لا يدايهم فى المنزلة أولئك الملوك الذى أمالوا سवालهم ، وهمدوا أعانهم خيلاء وكبرا .

(٣) أى هم من الورى وليس عجيبا أن يفوقوهم ، كما أن الجمع من أيام الدهر ولكنها تنوق سائر .

(٤) تحتفل : تبالغ يريد ألك مهما تبالغ فى وصف سوددهم فلا يمكنك أن تثبت من صفاتهم فى السيادة والمجد إلا جزءا صغيرا مما تدعه لكثرة ، وبجزءك عن الاطاعة به .

(٥) تجهم : عيب وتكرت أيامه ، وانصات : اشتهرت ، والأسرار : جمع سر ، ويجمع أيضا على أسارير ، وهى خطوط فى العرة والجبين ، والدفع : جمع دفعة ، وهى الدفقة من المطر ونحوه ، والمعنى عيب وجه الزمان واسودت جوانب العيش فاشتهرت لهم فى أثناء تجهمه غرر يبيض يجرى فى غسونها ماء الطلابة والبشر متقرقا متسلسلا .

(٦) جمع قرعه ، وهى السهبة ، أى حق يساهم ويقرع بين جيد الأشعار أيها أدق وأحسن وأجدر بسنى الجوائز .



« أَبُو الْوَلِيدِ » فَدِ اسْتَوَى مَنَاقِبُهُمْ فَلِلتَّفَارِيقِ مِنْهَا فِيهِ مُجْتَمَعٌ <sup>(١)</sup>  
هُوَ الْكَرِيمُ الَّذِي سَنَّ الْكَرَامُ لَهُ زُهْرَ الْمَسَاعِي فَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعُ  
مِنْ عِزَّةٍ أَوْ هَمَّةٍ فِي تَعَاقِبِهَا أَنْ الْمَكَارِمَ إِيصَاءَ بِهَا شَرَعُ <sup>(٢)</sup>  
مُهَذَّبٌ أَخَذَ سُنَّتَهُ أَوَّلِيَّتُهُ كَالسَّيْفِ بَاغٍ فِي إِخْلَاصِهِ الصَّنْعُ <sup>(٣)</sup>

(١) يعني أن (أ. الوليد) استوفى مناب الملوك حتى اجتمع فيه مانعق في غيره منها وعبر «التفاريق» الإشارة إلى حلقم في النمل السائر «هو خير من تفاريق العصا» ، يريد أن مناقبه كالعصا جمعت كثيرا من المنافع ، وأن مناب غيره من الملوك كتفاريق العصا احتضت كل واحدة منها عائدة ومصلحة ، وجاء في كتاب العصا من البيان والتحصيل للجاحظ مدحها : «ومن حل النول في العصا» وما يوزن فيها من المنافع والمراق ، تفسير شعر «عينة» الأعرابية في شأن أسما ، وذلك أنها كان لها ابن سيد العراصة كثير السبق إلى الناس مع سبب أمر ، ودنة عظم ، واثبت مرة في من الأعراب ، تقطع التي أعنه ، وأخذت ريشه «دنه أعنه» ، فحسنت حلما مدحها مدح ، ثم واثبت آخر تقطع أدنه فأحدثت الدهن فزادت دية أدنه في المال وحسن الخاء ، ثم واثبت عند ذلك آخر تقطع سعه ، فلما رأت ما قد صار سدها من الابل والام والمالك والكسب شوارح ابنها ، حسن رأيها فيه فذكرته في أرجورة لها تقول فيها :  
«أحلف للمروءة يوما والعصا إنيك خير من تفاريق العصا» .

مثل ابن لأعرابي ، ما تفاريق العصا ؟ قال : العصا تقطع ساحورا وتقطع عصا الساور مصير أوتادا ، وينرق الوند مصير كل طعة شطاطا ، فان كان رأس الشطاط كالمملكة صار للنخى دمارا ، وهو العود الذي يدخل في أنف الحق ، وإذا فرق المهار حذت منه التوادى ، والسواحير تكون للكلاب والأسراء من الناس - وهاء التي على الله عليه وسلم ، «وثنى بناس من هاهنا يقادون إلى حذو طوطهم بالسواحير» - وإذا كانت قناة وكل شقة منها قوس بندق ، فانه فان فرق الشفة صارت سهام ، فان فرقت السهام صارت حذاء ، وهي سهام صفار ، ولو ا واحدة حظوة وسروه ، فان فرق الخطاء صارت مغارل ، فان فرق المغزل شعب به الشمام أوداعه المصدوعة المشقوقة على أنه لا يحد لها أصلح منها . وقال الشاعر :  
«توادد أطراف القنا قد شككته كشكك بالشعب الائمة اللئلا» .

فإذا كانت العصا صحيحة سالمة جميعا من المنافع الكبار ، والمراق الأوسط والصغار ، مالا يحصى أحد ، فإذا فرق فيها مثل الذي ذكرنا وأكثر إلى آخر ما أورده الجاحظ في هذا الباب .

(٢) جمع شرعة بكسر أوله أي شريع ومناهج يجري فيها على سنة الملوك من آثاته . يريد أن آباءه من الملوك لتعاقبهم على سن المكارم يمين يحلفهم من أبنائهم أو هموه لكثرة ما أوصوا بها أنها شرائع منزلة .  
(٣) الحادق في منفعته .



إِنَّ السَّيُوفَ إِذَا مَا طَابَ جَوْهَرُهَا      فِي أَوَّلِ الطَّبَعِ لَمْ يَتَلَقَ بِهَا طَبَعٌ <sup>(١)</sup>  
جَذْلَانُ يَسْتَضْحِكُ الْأَيَّامَ عَنْ شَيْمٍ      كَالرَّوْضِ تَضْحَكُ مِنْهُ فِي الرِّبَا قِطْعُ  
كَالْبَارِدِ الْمَذْبِ لَذَّةٌ مِنْ مَوَارِدِهِ      - لِشَارِبٍ غِيبٌ تَزِيحُ الصَّدَى - جُرْعُ <sup>(٢)</sup>

\* \* \*

قُلْ لِلْوَزِيرِ الَّذِي تَأْمِيْلُهُ وَزَرِي      إِنْ ضَاقَ مُضْطَرَبٌ أَوْ هَالٌ مُطْلَعٌ <sup>(٣)</sup>  
أَصِيخٌ لِهَمْسٍ عَنَابٍ تَحْتَهُ مَقَّةٌ      وَكَلْفُ النَّفْسِ مِنْهَا فَوْقَ مَا تَسْعُ <sup>(٤)</sup>  
مَا الْمَتَابُ - الَّذِي أَحْصَفَتْ عَقْدَتُهُ -      قَدْ خَامَرَ الْقَلْبَ مِنْ تَضْيِيعِهِ جَزْعُ <sup>(٥)</sup>  
لِي فِي الْمُوَالَاةِ أَتْبَاعٌ يَسْرُهُمْ      أَنِّي لَهُمْ فِي الَّذِي يُجْزَى بِهِ تَبِعُ <sup>(٦)</sup>  
أَلَسْتُ أَهْلَ اخْتِصَاصٍ مِنْكَ يُلْدِسُنِي      جَمَالَ سَيِّمَاءُ ؟ أَمْ مَا فِي مُسْطَنَعٍ ؟ <sup>(٧)</sup>

(١) الطبع : الصدا ، يقول : إنه السيوف في مبدأ طبيعتها إذا طاب جوهرها لم تلاق بها شين الصدا ،  
يعني أن المدحوح طابت أوليته غلص جوهره ولم يشنه عيب .

(٢) فيه تشبيه للمدحوح بمورد الماء البارد العذب لذ لشاربه منه جرْع أضفاته غلة صدره بعد ضماً  
مبرح شديد .

(٣) وررى : ملجئ ومعتصم ، ومضطرب اسم مكان من الضرب وهو السر في الأرض ، ومطلع :  
مكان الاطلاق من مشرف عال ، أو مكان الصعود من أسفل إلى أعلى ، وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه  
قال هند ، وته ، « لو أن لي ما في الأرض جميعاً لافتديت به من هول المظلم » وهو بالشديد مكان الاطلاق  
أراد به ما يشرف عليه من أمر الآخرة ويطلع عليه غيب الموت .

(٤) اقبل رقيق حناب كالهمس في الأدن ينطوي على مقة ومحة وكلم معك من تحقيق أسيتي  
فوق طائتها .

(٥) أحصفت : أحكمت ، والعقدة : المراد بها هنا الرأي والتقدير ، والمعنى : قد كان من الدبل وحماة  
الرأي أن أبادر إلى الثوبة وهانذا تائب مما نسب إلي ، فما لتوبتي قد صيغت ولم تقبل مما حمل قاي بمأطه  
الجزع وعدم الصبر ، وبمازجه اليأس والحزن .

(٦) يقول : أنا أول الناس في الولاء لكم وغيري تبع ، وأتباعي في الموالاتة يسرهم أن أكون في  
الجزاء تبعاً وتاليا لهم ، بهم دائماً يسعون لاسقاط منزلي وإحباط مساعي .

(٧) يقول : أفتكر اختصاصي منك بما يحللي محلياً بجماله هذا الاختصاص ، فلا يقدم علي من هم تبع  
لي في الولاء والاختلاس ؟ أم هل تنكر أني قبل غيري أهل لب الصنعة وإسداء الجليل ؟

لَمْ أَوْتِ فِي الْحَالِ مِنْ سَعْيِي لَدَيْكَ وَتَنِي  
لَا تَسْتَجِزْ وَضَعُ قَدْرِي بَعْدَ رَفْعِكَ  
تَقَدَّمْتَ لَكَ نَعْمَى رَادَهَا أَمَلِي  
مَا زَالَ يُوْنِقُ شُكْرِي فِي مَوَاقِعِهَا  
شُكْرُهُ يَرُوقُ وَيُرْضِي طِيبُ طُعْمَتِهِ  
ظَنَّ الْعِدَا - إِذْ أُغْبِتْ - أَنَّهَا انْقَطَعَتْ ،  
لَا بَأْسَ بِالْأَمْرِ - إِنْ سَاءَتْ مَبَادِئُهُ  
بَلْ بِالْجُدُودِ تَطِيرُ الْحَالُ أَوْ تَقَعُ <sup>(١)</sup>  
فَاللَّهُ لَا يَرْفَعُ الْقَدْرَ الَّذِي تَضَعُ  
فِي جَانِبٍ هُوَ لِلْإِنْسَانِ مُنْتَجِعُ <sup>(٢)</sup>  
كَالْمُزْنِ تُوْنِقُ فِي آثَارِهِ التَّرْعُ <sup>(٣)</sup>  
فِي طَيْهِ نَفَحَاتُ يَدْنِهَا خَلَعُ <sup>(٤)</sup>  
هَيْهَاتَ لَيْسَ لِمَدِّ الْبَحْرِ مُنْقَطَعُ <sup>(٥)</sup>  
نَفْسَ الشَّقِيقِ - إِذَا مَا سَرَتْ الرُّجْعُ

\*\*\*

إِنْ الْأَلَى كُنْتُ مِنْ قَبْلِ افْتِسَاحِهِمْ - مِثْلَ الشَّجِي فِي لَهَا هُمْ لَيْسَ يُنْتَزَعُ <sup>(٦)</sup>

(١) وتني : أي فترة وتوان في السعي ، والجودود : جمع جد ، لفتح وهو الحظ والحث والسعي : لم أوت ولم يذهب سعي عندك فتور ولا تنصير في المطالة والسعي ، ولكن الذي قد بدى عن درك أمنيقي عندك إنما هو حظي الذي به يعلو الحال ويرتفع ، كما يطير الطائر أو يقع .

(٢) رادها : أي تقدمي أمل أرسلته في طلب النعمة ، وارتباد النعمة ، فصادف حابيا مرمحا ، ومراداً لسمائك ومنجما .

(٣) الترعة : جمع ترعة ، وهي الروضة على المكان المرتفع من الأرض ، يعول : ما زال روص شكري مرمقا مرمحا عن سما . معماك ، كالزمن أي السحاب يعجلك على أثر نزول المطر منه الرياس والربي قد أترعت بألوان الزهر ، وأيمنت بأنواع الثمر .

(٤) طيب طعمه : أي مكسبه الطيب الحلال ، والخلع : جمع خلعه بالكسر ، وهي ما تخلعه من الثياب وتطرحه على آخر ، أي شكر يروى السامع حسه . ويرضى الشاكر ما يشره من طيبات المكاسب ، في طيه مثل دمعات الروص بينها وفي أثنائها تخلع غليبا خلع ثمنه ، وحلل فاخرة .

(٥) طل العدا أن هذه العطايا والفائس مد أعبت وتأخرت أياما أنها انقطعت عني ، هيهات أن ينقطع سطاء شبه البحر الذي ليس لمدته انقطاع .

(٦) يقول في هذا البيت والذي بعده : -

أن الدين كنت - من قبل اتضاح أمرهم وظهور صريح العداوة منهم كالشجاء معترضا في خلوقهم لا يمكن انتراعه ، لم أحط منهم - وهم أعداء ما نقول ، إلا بما كنت أعطى به منهم وهم شيعة مسالمون ، يريد أن يصيبه منهم في الحالين لم يكن سوى الشر والأذى والوقعة .

لَمْ أُحْظَ - إِذْ هُمْ عَدَا بَادٍ نِفَاقُهُمْ -  
مَا غَاطَهُمْ غَيْرُ مَا سَيَّرْتُ مِنْ مِدْحِ  
كَمْ غُرَّةٌ لِي تَلَقَّتْهَا قُلُوبُهُمْ  
إِذَا تَأَمَّلْتُ خَسْبِي غِيبَ غَشْمِهِمْ  
تِلْكَ الْعِرَانِينَ لَمْ يَصْلُحْ لَهَا شَمٌّ  
أَوْ دَعَتْ نَعْمَاكَ مِنْهُمْ شَرَّ مُغْتَرِسٍ  
لَقَدْ جَزَّتْهُمْ جَوَازِي الدَّهْرِ عَنْ مَنِي  
لَا زَالَ جَذْكَ بِالْأَعْدَاءِ يَصْرَعُهُمْ  
إِلَّا كَمَا كُنْتُ أُحْظَى إِذْ هُمْ شَيْعُ  
فِي صَائِكَ الْمِسْكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا فَنَعُ<sup>(١)</sup>  
كَمَا تَلَقَّى شِهَابَ الْمُوقِدِ الشَّمْعُ<sup>(٢)</sup>  
لَمْ يَخَفْ مِنْ فَلَقِ الْإِصْبَاحِ مُنْصَدِعُ<sup>(٣)</sup>  
فَكَانَ أَهْوَنَ مَا نِيلَتْ بِهِ الْجَدْعُ<sup>(٤)</sup>  
لَنْ يَسْكُرُمُ الْغَرَسُ حَتَّى تَسْكُرُمُ الْبَقْعُ<sup>(٥)</sup>  
عَفَتْ فَلَمْ يَنْتَبِهْ عَنْ غَمْطِهَا وَرَعُ<sup>(٦)</sup>  
إِنْ كَانَ بَيْنَ جُدُودِ النَّاسِ مُصْطَرَعُ

(١) صائك : اسم فاعل من صاك به المسك يصيك أى لصق به ، قال الأعشى :

« ومثلك ممحمة بالشبا ب صاك العير بأحلامها . »

وسياتى لصاحب الديوان قوله فى « ص ١٣٩ » :

« ثناء شعل كأن ثناء مسك بأردان المحافل صاك . »

والفنع : نعمة المسك ، ومسك دومع ذكى الرائحة طيب الأنفاس . قال الشاعر :

ومرورع ساغ أطرافها علاتها ريح مسك ذى فنع

وجاء بالأصل « صايك » بالياء ، و « كعب » بالكاف ولا معنى لهما .

(٢) كم غرّة لى واضحة منيرة تطلع عليهم فتشقها قلوبهم وهى متأججة مستمرة ، كما يتلقى الشمع عند

الانارة حر الشهاب من موقده ومشعله .

(٣) يقول حى واسع كفتاق الصبح ، وجههم مغشوش كاذب .

(٤) العرائين : جمع عرين ، وهو أعلى الأنف عند ملقى المحابين ، أو هو ما صلب من عظم الأنف ،

قال ذو الرمة :

« نثى القاب على عرين أربة شام مارنها بالمسك مرثوم . »

والشم : ارتفاع قسبة الأنف وحسنها مع استواء أعلاها وإشراف الأرنبية ، وإذا وصف الرجل بالشم

فانما يعنون أنه سيد شريف النفس ذو أمة وشموخ وحمية ، ويقال هم شم العرائين كناية عن ذلك ، قال

كعب بن زهير :

« شم العرائين أبطال لوسهم سن سج داود فى الهييجا سرايل . »

والجدع : القطع البائن فى الأنف والأذن ونحوهما وهو مصدر جدد كمرح فهو أجدد .

(٥) يقول : لقد استنبت نعاك فى بقعة خبيثة من نفوس عرف بغط النعمة ونكران الحيل .

(٦) يقول : إن الدهر جازاهم عن من أسديتوها إليهم ، فغفوا على آثارها ولم يتوردوا فى غمطها

والامتناع عن شكرها .

## تهنئة بقران

« وقال يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل الله  
أبا عمرو عبد الله ويهنيه بالناء على السيدة  
بنت الموفق مجاهد رجهما الله . »

أَخْطَبَ فَلُكُكَ يَفْقِدُ الْإِمْلَاكَ كَأَ (١)  
وَصَلَ النُّجُومَ بِحِظِّ مَنْ لَوْ رَامَهَا  
وَأَسْتَهْدِ مِنْ أُنْحَى مَرَاتِمَهَا الْمَهَا  
يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي تَذِيرُهُ  
هَذِي اللَّيَالِي بِالْأَمَانِي سَمَحَةَ  
فَاعْقِلْ شَوَارِدَهَا إِزَاءَ عَقِيلَةٍ  
أَهْدَى الزَّمَانَ إِلَيْكَ مِنْهَا تُخَفَّةً  
شَمْسٌ تَوَارَتْ - فِي ظَلَامٍ مَضِيعَةٍ -  
وَأَطْلَبَ فَسَعْدُكَ يَضْمَنُ الْإِذْرَاكَ (٢)  
هَجَرَتْ إِلَيْهِ زُهْرُهَا الْأَفْلَاكَ (٣)  
فَالصَّغْبُ يَسْمَحُ فِي عِنَانِ هَوَاكَ (٤)  
أُضْحَى لِمَمْلَكَةِ الزَّمَانِ مِلَاكَ (٥)  
فَتَى تَقُلُ: «هَاتِي» تَقُلُ لَكَ: «هَآكَ»  
وَأَفَتْ مُبَشَّرَةً بِنَيْلٍ مُنَاكَ  
لَمْ تَعُدْ أَنْ قَرَّتْ بِهَا عَيْنَاكَ  
ثُمَّ اسْتَطَارَ لَهَا السَّنَا بِسَنَاكَ (٥)

(١) الاملاك : عقد الزواج ، يقول : اخطب فملكك بعوزها الصهر والذنب ، واطلب فسعدك  
يضمن لإدراكك ماأطلب .

(٢) وصل النجوم بحظ ملك لو رام زهر النجوم لهجرت إليه أفلاكها ، يريد أنه لو رام مصاهرة من ارتفع  
نسبهم من الملوك إلى مستوى زهر السكواك في أفلاكها ، اساءوا إليه من زهر عرائسها ما يرومه ،  
وتسعو إليه نفسه ، ويختاره نسا وصهرا .

(٣) استهد : أطلب الهداء من هدى المروس يهديها إليه هداء زفها إليه ، وفي الأصل ( استهو ) وهو  
من استهواء الشياطين ، ولا معنى له هنا ، أى اطلب من أمنع أحبباء العرب وأشدها حماية وحنيفة أن  
يهدوا إليك من بناتهم الشبهات بالها أى بقر الوحش في البياض وسواد العيون من تريد وتهوى فإن المصعب  
يسلس ويتقاد في ضلانه مرادك وهو الله .

(٤) أى أضحى تديره قوام المملكة ونظامها الذى يعتمد عليه في أمورها .

(٥) مضيعه : يقال هو يدار مضيعه كمشية أى يدار ترك واطراح وإضاعة ، واستطار : إنتشر ،  
والسنا : بالنصر الضياء ، أى كانت قبل هذا الاملاك شمساً محتجبة وراء حجب الالهال والترك ، فاستطار  
إليها شعاع من سنا وجهك ، فأشرقت وأنارت .

قُرِيتَ يَبْدِرِ السِّمِّ كَافِلَةً لَهُ  
هِيَ وَالْفَقِيدَةُ كَالْأَدِيمِ اخْتَرْتَهُ  
فَاصْفَحْ عَنِ الرِّزْوِ الْمُعَاوِدِ ذِكْرُهُ  
أَنْ سَوِّفَ تُتْبِعُ فَرَقْدَيْنِ سِمَاكَ<sup>(١)</sup>  
فَقَدَدْتَ إِذْ خَلَقَ الشَّرَاكَ شِرَاكَ<sup>(٢)</sup>  
وَأَسْتَأْنِفِ النِّعْمَى فَتِلْكَ بِذَاكَ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

لَمْ يَبْقَ عُذْرٌ فِي تَقَسُّمِ خَاطِرِ  
كُفَّارِ أَنْعَمِكَ الْآلَى حَلَّتِيهِمْ  
أَعْرِضْ عَنِ الْخَطَرَاتِ إِنَّكَ إِنْ تَشَأْ  
هَضِرَ النِّعَمِ بِعِطْفِ دَهْرِكَ فَانْتَهَى  
وَبَدَا زَمَانُكَ لِأَبْسَا دِيْبَا جَاةٍ  
دُنْيَا لَزَهْرَتَيْهَا شَمَاعٌ مُذْهَبٌ  
إِلَّا الصُّبَابَةُ مِنْ دِمَاءِ عِدَاكَ  
أَطَوَّافُهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ ظُبَاكَ<sup>(٤)</sup>  
تَكُنِ النُّجُومُ أَسِنَّةً لِقَنَاكَ<sup>(٥)</sup>  
وَجَرَى الْفَرِيدِ بَصَفْحَتِي دُنْيَاكَ<sup>(٦)</sup>  
تَجَلُّوْا لِمَعِينِ الْمُجْتَلِي سِيَمَاكَ  
لَوْ كَانَ وَصْفًا كَانَ بَعْضَ خُلَاكَ

(١) يقول : قرب هذه العقيلة ببدر السِّمِّ ضامنة له أن ستنتع ورقدين نحما يريد أنها ستعجب أمثال السكواك البيرة من الذكور .

(٢) الأديم : الجلد ، وخلق : بلى ، والشراك : أحد سيور الزمل التي على ظهرها ، يقول : هذه العقيلة وزوجتك المفيدة كالأديم قطعت منه بدل الشرارك الذي بلى شرًا كما جديدا ، أي اخترت بدل الفقيدة ، زوجا أخرى جديدة ، وقد ألفت العرب أن يشبهوا المرأة بالزمل ، وجاراهم ابن زيدون في ذلك ، وقد قال الحريري في مقاماته من حوار طويل : « فان لمس ظهر نعله ، فقد انتقص وضوؤه بعمله » أي إن لمس امرأته .

(٣) أي فلك النعمى بالجديدة ، عوض من ذلك الرزء بالفقيدة ، فاحسب صفحا عما يعاودك من ذكريات تؤلم نفسك وتبعثك على الحزن .

(٤) جمع طاة بالضم ، وهي حد السيف ، يقول : إن الذين طوَّقتهم بأنعمك فاجحدوا بها ، ستجعل لهم غدا من سيوفك في أعناقهم أطواقا يطوقونها .

(٥) أعرض عن كل خطرة تخطر بقلبك ، وتوقع في بالك من حجة تدبير الملكة ، فالك منصور على أعدائك ، ولو شئت لتناولت نجوم السماء لجمعتها أسنة لرمحك .

(٦) حمل للنعم عظماء كعطف الحسناء تهصره أي تميله إليك فينتفى كما تهصر الفصن وتميله نحوك لفطع عماره ، وجعل لدنيا الممدوح التي احتوت النعم فرندا يجري في صفحتها ماؤه وتفرق ديباجته ، فأعطاك صورة ساحرة فائدة لما يتصل بالممدوح من دنيا يحفها النعم .

فَتَمَلَّ فِي فُرْشِ الْكَرَامَةِ نَاعِمًا      وَأَعْقِدْ بِمَرْتَبَةِ الشُّرُورِ حُبًّا كَا<sup>(١)</sup>  
وَأُطِلْ - إِلَى شَذْوِ الْقِيَانِ - إِصَاخَةً      وَتَلَقَّ مِثْرَعَةَ الْكُؤُوسِ دِرَاكًا<sup>(٢)</sup>  
تَحْتِهَا مِثْنِي مَنَانِي غَادَةً      شَفَعْتَ بِحَثِّ غِنَاهَا الْإِمْنَسَا كَا<sup>(٣)</sup>  
مَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي الصَّبُوحِ بِسُحْرَةٍ      قَدْ جَاسَدَتْ أَنْوَارَهَا الْأَخْلَا كَا<sup>(٤)</sup>  
لَكَ أَرْيَحِيَّةٌ مَاجِدٍ - إِنْ تَعْتَرِضُ<sup>✽</sup>      فِي لَهْوِ رَاحِكَ - تَسْتَهْلِ لَهَا كَا<sup>(٥)</sup>  
مَنْ كَانَ يَمْلُقُ فِي خِلَالِ نِدَامِهِ      ذَمٌّ يَبْعُضُ خِلَالِهِ فَخْلًا كَا<sup>(٦)</sup>  
أُسْبُوعُ أَنْسٍ تُحْدِثُ لِي وَحْشَةً      عِلْمًا بِأَنِّي فِيهِ لَسْتُ أَرَا كَا<sup>(٧)</sup>  
فَأَنَا الْمُعَذَّبُ غَيْرَ أَنِّي مُشْعَرٌ      ثِقَةٌ بِأَنَّكَ نَاعِمٌ فَهَنَا كَا<sup>(٨)</sup>  
إِنِّي أَقُومُ بِشُكْرِ طَوْلِكَ بَعْدَ مَا      مَلَأْتَ مِنْ الدُّنْيَا يَدَيَّ يَدَا كَا<sup>(٩)</sup>  
بَرَدَتْ ظِلَالُ ذَرَاكَ ، وَأَخْلَوْنِي جَنَى      نُعْمَاكَ لِي ، وَصَفَتْ جِهَامُ نَدَا كَا<sup>(١٠)</sup>  
وَأَمِنْتُ عَادِيَةَ الْعِدَا الْأَقْتَالِ مُدًى      أَعْصَمْتُ فِي أَعْلَى يَفَاعٍ حِمَا كَا<sup>(١١)</sup>

(١) تَمَلَّ : تَمَتَّعَ ، يُقَالُ مَلَأَ اللَّهُ حَبِيبَكَ أَيْ مَتَّعَكَ وَأَطَاعَتِكَ مَعَهُ طَوِيلًا ، وَالْحُبَّ : جَمْعُ حُبَّةٍ وَهُوَ أَنْ يَجْمَعَ الْحَالِسُ طَهْرَهُ وَسَاقِيهِ بِثَوْبٍ أَوْ نَحْوِهِ .

(٢) نَحْتِهَا : أَيْ الْكُؤُوسُ أَصْوَاتُ نَمَادٍ مِثْلِي مِنْ رَنَاتٍ مِثْلَانِي عَوْدٍ فِي يَدِ خَادَةٍ ، سَمِعَ إِلَى حَتِّ الْغَنَاءِ لِإِسْرَافِ الصَّوْتِ بَعْدَ إِطْلَاقِهِ .

(٣) جَاسَدَتْ : حَاطَ بِبَاسِ أَنْوَارِهَا سَوَادَ ظِلْمَلَتِهَا .

(٤) لَهْوِ رَاحِكَ : أَيْ فِي إِبَانِ لَهْوِكَ شَرِبِ الرَّاحِ : وَتَسْتَهْلِ تَعَطَّرَ وَاللَّهْيَا : جَمْعُ لَهْوَةٍ بِالضَّمِّ ، وَهِيَ الْمَطْيَا الْجَزَلَةُ الْكَثِيرَةُ .

(٥) مَنْ كَانَ فِي أَتَاءِ الْمَنَادَةِ عَلَى الشَّرَابِ يَمْلُقُ بَعْضُ حَالِهِ وَخَصَالِهِ مَا يَبَابُ وَيَذْمُ عَلَيْهِ ، تَفْلَاكَ ذَمٌّ وَحُشَاكَ عَيْبٌ .

(٦) هُوَ الْأُسْبُوعُ الَّذِي بِأَسْفِهِ بَمُرُوسِهِ ، وَلَا يَخْرُجُ إِلَى خَاصَتِهِ الْقَدْرَا : بِالْفَتْحِ كُلُّ مَا اسْتَدْرَيْتَ بِهِ ، يُقَالُ أَنَا فِي دِرَاكٍ أَيْ فِي كَفِّهِ ، وَالْجِمَامُ : جَمْعُ جَمَّةٍ بِالضَّمِّ وَهِيَ مَعْظَمُ الْمَاءِ ، وَالسَّيْدَى : الْمَطَاءُ أَيْ صَفَا صَطَاوُكِ الشَّيْبِ بِالْمَاءِ فِي الصَّمَاءِ فَلَمْ يَكْدُرْ مِنْ .

(٧) الْأَقْتَالُ : الْأَمْرَانِ السَّائِرُودِلَهُ فِي الشَّجَاعَةِ مِنْ أَعْدَائِهِ ، وَأَعْصَمْتُ : مِثْلُ اعْتَصَمْتُ أَيْ اسْتَمْسَكْتُ وَامْنَعْتُ وَجَلَّاتُ ، وَالْيَفَاعُ : الْمَكَانُ الْمُرْتَمِعُ .

جَهْدَ الْمَقْلِ نَصِيحَةً تَمَحُّوْصَةً أَفْرَدْتَ مُهْدِيَهَا فَلَا إِشْرَاكَ (١)  
وَتَنَاءٍ مُّخْتَفِلٍ كَانَ تَنَاءَهُ مِسْكٌ بِأَرْذَابِ الْمَحَافِلِ صَاكَ  
وَلْتَدْعُنِي وَعَدُّوكَ الشَّانِي ، فَإِنْ يَرُمُ الْقِرَاعَ يَجِدُ سِلَاحِي شَاكَ (٢)  
لَا تَعْدَمَنَّ الْحَظَّ غَرَسًا مُّطْلِعًا تَمَرَّ الْفَوَائِدِ دَانِيًا لِحَنَّاكَ  
وَالنَّصْرَ جَارًا لَا يُحَاوِلُ ثِقْلَةً وَالصَّنْعَ رَهْنًا لَا يُرِيدُ فِكَاكَ  
وَإِذَا غَمَامُ السَّعْدِ أَصْبَحَ صَوْبُهُ دَرْكُ الْمَطَالِبِ فَلْيَصِلْ سُقْيَاكَ  
فَالْدَّهْرُ مُغْتَرِفٌ بِأَنَا لَمْ نَكُنْ لِنَسْرَمِنَهُ بِسَاعَةٍ - لَوْلَاكَ

### عهد

كَمَا تَشَاءُ فَقُلْ لِي لَسْتُ مُنْتَقِلًا لَا تَخْشَ مِنِّي نِسْيَانًا وَلَا بَدَلًا (٣)  
وَكَيْفَ يَنْسَاكَ مَنْ لَمْ يَذَرِ بَعْدَكَ مَا طَعَمُ الْحَيَاةِ وَلَا بِالْبُعْدِ عَنْكَ سَلَا  
أَتَلَفْتَنِي كَلَفًا ، أَبْلَيْتَنِي أَسْفَا قَطَعْتَنِي شَعْفًا ، أَوْرَثْتَنِي عِلَلًا

\*\*\*

إِنْ كُنْتُ خُنْتُ وَأَضْمَرْتُ السُّلُوفَ فَلَا بَلَغْتُ يَا أَمَلِي مِنْ قُرْبِكَ الْأَمَلَا (٤)  
وَاللَّهِ لَا عَلِقَتْ نَفْسِي بِغَيْرِكُمْ وَلَا اتَّخَذْتُ سِوَاكُمْ مِنْكُمْ بَدَلًا

(١) أهدى إليك نهاية ما يستطيع إهداءه مقل مثلي ، نصيحة خالصة أفردت مهديها واختصصته بما لم تشرك معه فيه غيره .

(٢) الشاني : البعض ، والقِرَاع المفاوعة بالحبوب ، وشاك : السلاح ، شوكا ظهرت شوكته وحدته ، أى أدعى للمازلة ومجالبة عدوك الشاني البعض فانه متى يرم ذلك يجدنى شاكى السلاح مستعدا لمفاوعته .

(٣) يقول : إيمى احتمل منك كل شىء وليس ذلك بمحولى عن حبك ولا هو بدامى لى نسيانك أو الانتقال عن حبك إلى حب سواك .

(٤) يقول : « عاقبى الله بىأسمى ملك وحرمنى عظمك وودادك إن كنت فكرت لحظة فى السلو عنك .

## مدح ورثاء<sup>(١)</sup>

« قال يمدح المعتمد ، ويرى المعتضد بالله . »

هُوَ الدَّهْرُ فَاصْبِرْ لِلَّذِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ      فَنَ شِمِ الْأَبْرَارِ - فِي مِثْلِهَا - الصَّبْرُ  
سَتَصْبِرُ صَبْرَ الْيَأْسِ أَوْ صَبْرَ حِسْبَةٍ<sup>(٢)</sup>      فَلَا تُؤْثِرُ الْوَجْهَ الَّذِي مَعَهُ الْوِزْرُ<sup>(٣)</sup>  
حِذَارَكَ مِنْ أَنْ يُعْقِبَ الرُّزْءَ فِتْنَةً      يَضِيقُ لَهَا - عَنْ مِثْلِ إِيْمَانِكَ - الْعُذْرُ  
إِذَا أَسِفَ الشُّكْلَ اللَّيْبُ فَشَفَهُ      رَأَى أَفْدَحَ الشُّكْلَيْنِ أَنْ يَهْلِكَ الْأَجْرُ<sup>(٤)</sup>  
مُصَابُ الَّذِي يَأْمَى بِمَيِّتِ ثَوَابِهِ      هُوَ الْبَرْخُ لَا الْمَيِّتُ الَّذِي أَحْرَزَ الْقَبْرُ<sup>(٥)</sup>

\* \*

حَيَاةُ الْوَرَى نَهْجٌ إِلَى الْمَوْتِ مَهْجٌ<sup>(٦)</sup>      لَهْمٌ فِيهِ ابْضَاعٌ<sup>(٧)</sup> كَمَا يُوضَعُ السَّفَرُ<sup>(٨)</sup>

(١) جاء في ص ٤٧٩ من نفع الطيب ما نصه :

« ولما مات والد المعتمد واسقل بالملك ، قال ذوالوزارتين ابن زيدون يرثي المعتضد بقصيدة طويلة أولها :

« هو الدهر ، فاصبر للذي أحدث الدهر      فن شيم الأحرار في مثلها الصبر . »

وقد ذكر صاحب نفع الطيب أكثر أبيات هذه القصيدة وإن اختلفت في قليل من الألفاظ في بعض أبيات القصيدة من رواية الديوان .

وسرى القارىء تشابها كثيرا بين هذه القصيدة وبين القصيدة الرائية التي قالها ابن زيدون في رثاء الوزير أبي الحزم .

(٢) حَسْبَةٌ : احتساب الأجر ، وفي رواية نفع الطيب : « أو صبر وحشة »

(٣) وفي رواية نفع الطيب : « فلا تؤثر الوجه الذي معه العذر »

(٤) وفي رواية نفع الطيب : « أن يذهب الأجر »

(٥) وفي رواية نفع الطيب : « يأس بموت ثوابه » (٦) طريق .

(٧) الابضاع : السير السريع . قال أبو العلاء :

« لا وضع للرجل إلا بعد إيماع فكيف شاهدت إيماع وإيماعى . »

(٨) السفر : المسارون .



فَيَاهَادَى الْمِنْهَاجِ جُحْرَتَ ، فَإِنَّمَا  
إِذَا الْمَوْتُ أَضْحَى قَصَرَ<sup>(٢)</sup> كُلُّ مُعَمَّرٍ  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدِّينَ ضِيمٌ ذِمَارُهُ  
بِحَيْثُ اسْتَمْتَلَّ الْمَلِكُ ثَانِي عِطْفِهِ  
هُوَ النَّيِّمُ لَوْ غَيْرُ الْقَضَاءِ يَرُومُهُ  
إِذَا عَثَرَتْ جُرْدُ الْعَنَاجِيحِ<sup>(٤)</sup> فِي الْقَنَا

هُوَ الْفَجْرُ يَهْدِيكَ الصِّرَاطَ أَوِ الْبَجْرُ<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ سَوَاءٌ طَالَ أَوْ قَصَرَ الْعُمُرُ  
فَلَمْ يُغْنِ أَنْصَارُهُ عَدِيدُهُمْ دَثْرُ<sup>(٣)</sup>  
وَجَرَّرَ مِنْ أَذْيَالِهِ الْعَسْكَرُ الْمَجْرُ  
ثَنَاهُ الْمَرَامُ الصَّعْبُ وَالْمَسْلَاكُ الْوَعْرُ  
بِدَلِي عَجَاجٍ لَيْسَ يَصْنَعُهُ فَجْرُ

\* \* \*

أَنْفَسَ نَفْسٍ فِي لُورَى - أَقْضَدَ الرَّدَى  
أَعْبَادُ يَا أَوْفَى الْمُلُوكِ ، لَقَدْ عَدَا  
وَهَلَا عَدَاهُ أَنْ عَلِمَاكَ حَلِيَّةُ .

وَأَخْطَرَ عَلَيَّ - لِلْهَدَى - أَفْقَدَ الدَّهْرُ  
عَلَيْكَ زَمَانٌ مِنْ سَجِيَّةِ الْغَدْرِ  
وَذِكْرَكَ - فِي أَرْذَانِ أَيَّامِهِ - عِطْرُ

\* \* \*

غُشِيَتْ فَلَمْ تَغْشَ الطَّرَادَ سَوَاحِجُ ، وَلَا جُرْدَتِ بِيضُ ، وَلَا أَشْرَعَتْ سُمرُ<sup>(٥)</sup>

(١) الجر لفتح والضم : المكروه والأمر العذاب ، وتد روى البرد صاحب الكامل أن الخليفة أبا بكر رضى الله عنه حين حضرته الوفاة . قال في آخر كلمة له : ياهادى الطريق حرت ، إنما هو والله المجر أو البجر ووله « إنما هو والله المجر أو البجر » يقول : « إن انتظرت حتى يضىء لك أفجر الطريق أصبحت تصدك وإن حبط العلماء وركبت المشواء هجما بك على المكروه » وضرب ذلك مثلا لعمرات الدنيا وتخييرها أهلها (الكامل : ج ١ ص ٥ و ٦ و ٧)

وجاء في اللسان قوله : وفي حديث أنى بكر رضى الله عنه : إنما هو الفجر أو البحر قال : البحر - بالفتح والضم - الداهية والأمر العظيم . أى أن انتظرت حتى يضىء الفجر أبصرت الطرق ، وإن حبطت العلماء أنضت بك إلى المكروه . قال : ويروى البحر بالخاء يريد عمرات الدنيا شبهها بالبحر لتحير أهلها فيها .

(٢) قصر : قصارى أو غاية . (٣) دثر : كثير .

(٤) العناجيج : جياذ الحبل والأبل . (٥) بيض وسمر : سيوف ورماح .

وَلَا تَنْتِ الْمَخْدُورَ عَنْكَ جَلَالَةً      وَلَا غُرْرًا تَبْتَ وَلَا نَائِلَ غَمْرٍ <sup>(١)</sup>  
لَنْ كَانَ بَطْنُ الْأَرْضِ هَيَّ أَنْسُهُ <sup>✱</sup>      بِأَنْكَ تَأْوِيهِ لَقَدْ أَوْحَشَ الظَّهْرُ  
لَعَمْرُ الْبُرُودِ الْبَيْضِ فِي ذَلِكَ الثَّرَى      لَقَدْ أُذْرِجَتْ أَثْنَاءَهَا النِّعَمُ الْخُضْرُ  
عَلَيْكَ - مِنْ اللَّهِ - السَّلَامُ تَحِيَّةً      يُنَسِّمُكَ الْغُفْرَانَ وَنَحَائِمَهَا النَّضْرُ  
وَعَاهِدَ ذَاكَ اللَّحْدَ عَهْدُ سَحَائِبٍ      إِذَا اسْتَعْبَرْتَ فِي تَرْبِهِ - أَبْتَسَمَ الزَّهْرُ <sup>(٢)</sup>  
فَفِيهِ عِلَالٌ لَا يُسَامَى يَفَاعُهُ <sup>(٣)</sup>      وَقَدَرُ شَبَابٍ لَيْسَ يَعْدِلُهُ قَدَرُ  
وَأَيُّضَ فِي طَيِّ الصَّافِحِ كَأَنَّهُ <sup>✱</sup>      صَفِيحَةٌ مَأْثُورٍ طَلَّاقَتُهُ الْأَثْرُ <sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّ لَمْ تَسِرْ حُمْرُ الْمَنَايَا تُظِلُّهَا      إِلَى مُهَجِ الْأَقْيَالِ <sup>(٥)</sup> رَانَاتُهُ الْحُمْرُ  
وَلَمْ يَحْمِ مِنْ أَنْ يُسْتَبَاحَ حِمَى الْهُدَى      فَلَمْ يُرْضِهِ إِلَّا أَنْ أُرْتَجَعَ الْغُرُ  
وَلَمْ يَنْتَجِعْهُ الْمُعْتَفُونَ <sup>(٦)</sup> ، فَأَقْبَلَتْ      عَطَايَا كَمَا وَالَى شَأْيِيئَهُ <sup>(٧)</sup> الْقَطَرُ

(١) النائل العمر : العطاء الجزيل الكبير .

(٢) يدعو الله أن يطر حدثه سحائب تدرف ماءها على الأرض فتروى أرهاها منتضرها .

(٣) اليعاق : المرتفع من الأرض .

(٤) الأثر : حديد السيف ، ورواقه ، وهو واحد ليس بجمع ، قال الشاعر :

« حَالَاهَا الصِّقْلُونَ فَأَحْلَسُوهَا حَمَامًا ، كُلَّهَا يَبْقَى بَأَثْر . »

أى كلها يستقلك بغير نده . ويبقى بحف من يبقى .

وقال إعرابية :

« فَاذَا رَعِدَتْ فَأَتِ مَنَابِقَهُ وَإِذَا انْقَبِبَ مَزْمُوكَ الْأَثْر . »

وقالوا : سيف مأثور ، أى فى منته أثر . وأخذ من الأثر كأن وشبه أثر فيه ، أو منته حديد أنبت

وشفرته حديد دكر ، ومد رعموا أنه السيف الذى يعمله الجن .

(٥) الأقيال - جمع قيل - وهو الشجاع .

(٦) ينتجعه المعتفون : يطلب معروفه طالبو الاحسان والدى .

(٧) شأيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر .

وَلَمْ تَكْتَفِ آرَاءَهُ الْمَعِيَّةُ      كَانَ نَجَى الْغَيْبِ فِي رَأْيِهَا - جَهْرٌ<sup>(١)</sup>  
وَلَمْ يَتَشَذَّرْ لِلْأُمُورِ<sup>(٢)</sup> مُجَلِّيًا      إِلَيْهَا كَمَا جَلَى مِنَ الْمَرْقَبِ الصَّقَرُ

\* \* \*

كِلاَ لَقَبَي سُلْطَانِهِ صَحَّ قَالُهُ      فَبَا كَرَهُ عَضْدُ وَرَاوَحَهُ نَصْرُ<sup>(٣)</sup>  
إِلَى أَنْ دَعَاهُ يَوْمُهُ فَأَجَابَهُ      وَقَدْ قَدَّمَ الْمَعْرُوفَ وَأَسْتَمَجَدَ الدُّخْرُ  
فَأَمْسَى ثَبِيرُهُ قَدْ تَصَدَّى لِحِمْلِهِ      سَرِيرُهُ فَلَمْ يَبْهَضْهُ<sup>(٤)</sup> مِنْ هَضْبِهِ إِضْرُ

\* \* \*

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْوَصُولُ عَيْدُهُ      لَقَدْ رَابَنَا أَنْ يَتْلُو الصَّلَاةَ الْهَجْرُ  
تُعَادِيكَ - دَاعِينَا السَّلَامَ - كَعَهْدِنَا      فَمَا يُسْمَعُ الدَّاعَى وَلَا يُرْفَعُ السُّتْرُ  
أَعْتَبَ عَلَيْنَا ذَاكَ عَنِ ذَلِكَ الرِّضَى      فَتُعْتَبَ أَمْ بِالْمُسْمَعِ الْمُعْتَلَى وَقُرْ<sup>(٥)</sup>  
أَمَا إِنَّهُ شُغْلُ فَرَاغِكَ بَعْدَهُ      سَيَنْصَاتُ إِلَّا أَنْ مَوْعِدَهُ الْحَشْرُ<sup>(٦)</sup>  
أَأَنْسَاكَ - لَمَّا يَنْأَى عَهْدُ - وَلَوْ نَأَى      سَحَابِيسُ الْأَيَّامِ لَمْ يَرَمْ نَفْسِي الذِّكْرُ<sup>(٧)</sup>  
وَكَيْفَ بِنِسْيَانٍ وَقَدْ مَلَأَتْ يَدِي      جِسَامُ أَيْدِي مِنْكَ أَيْسَرُهَا الْوَقْرُ

(١) كان لم تتكشف فطنته والمعينة مستور الغيب الذي يتبدى لها رغم حفاؤه واضحا حليا .  
(٢) تشذر الأمور : نشط إليها وتسرع ، وتشذر الرجل تهيأ للقتال والحلة .  
(٣) يشير إلى تلقيه بالمتضد والنصور . (٤) يهضه : يهظه ، أى يتقل عليه حمله .  
(٥) في رواية فتح الطيب :

« أعتب علينا ذاهن ذلك الرضى فسمع أم الخ . . . »

(٦) يقول : إنك في شغل لن ينتضى إلا إذا جاء يوم الحشر .  
(٧) رام برم : فارق يفارق ، يقول : كيف أنساك ولم يطل عهدى بك ولو طال أمد الدهر لم أنساك ولم تفارق نفسى ذكراك .

\*\*\*

لَنْ كُنْتَ لَمْ أَشْكُرْ لَكَ الْمِنَّةَ أَنْتِ  
فَهَلْ عَلِمَ الشُّلُوُ الْمُقَدَّسُ أَنَّنِي  
وَأَنْ مَتَابِي كَمْ يُضِغُهُ « مُحَمَّدٌ »  
هُوَ الظَّافِرُ الْأَعْلَى الْمُؤَيَّدُ بِالذِي  
رَأَى فِي اخْتِصَاصِي مَا رَأَيْتَ وَزَادَنِي  
وَأَزْغَمَ فِي رِي أَنْوَفَ عِصَابَةٍ  
إِذَا مَا أَسْتَوَى فِي الدُّسْتِ عَاقِدَ حَبْوَةٍ  
تَمَلَّيْتُهَا تَتَرَى لَا وَبَقَى (١) الْكُفْرُ  
مُسَوِّغٌ خَالٍ ضَلَّ فِي كُنْهَيْهَا الْبِكْرُ (٢)  
خَلِيفَتُكَ الْمَذَلُ لِرَضَى وَأَبْنُكَ الْبَرُّ  
لَهُ فِي الذِي وَلَاءُهُ مِنْ صُنْعِهِ سِرُّ  
مَرِيَّةَ زُنْفَى (٣) مِنْ تَتَأَجَّجُهَا الْفَخْرُ  
لِقَاوُهُمْ جَهْمٌ وَلَحَظُهُمْ شَرْرُ  
وَقَامَ سِمَاطًا حَفْلِهِ فَلِي الْعِصْدَرُ (٤)

(١) لأهلكي (٢) الشلو : المصور حقه أتلوه . بقول : هل علم الحسد الميب الظاهر  
أني أحاول أن أستطيع ما لا سبيل إلى استنافته أي أنه يحاول أن يرغم نفسه على الرضى بما حدث  
ولا يحد إلى ذلك سبيلا . (٣) مري .

(٤) استوى : جلس ، ولدت : معرب دشت ومماها بالممارسة اليد كما وُحد من شفاء العليل  
وترك هذه المادة في اللسان ، وفي القاموس : « الدسب لدشت ومن الثياب والورق وصدر البيت  
ممرات . » واستعملها المؤيدون لمعان منها تجلس كما في اليد الذي نحن بصدده ، قال أبو العلاء المعري :  
« من آلة الدست ماعد الوزير سوى تحريك الحيتة في حال إيماء  
هو الوزير ولا أدر يشهد به مثل العروض له بحر بلا ماء . »  
وورد في النفاة الحادية عشرة من مقامات الحريري عند قوله :

« تبصر ودع اللوم وقل لي هل ترى اليوم

فستى لا يقر القوم إذا مادسته ثم . »

وهو هنا بمعنى الحيلة والخداع ، والمعنى تب حيله ، ويقال ملان تم عليه الدست في القمار أي لم يمز وورد  
في آخر النفاة الثامنة عشرة عند قوله :

« فمادرتنا بمد أن وخذت عنقه ، ورايلنا أنسه ، كدست عاب صدره ، أو ايل أبل بدره . »

وهو هنا بمعنى الجلس وورد في أوله النفاة الثالثة والعشرين عند قوله :

« مركنت في إثر النظاره ، حتى وائينا باب الاماره ، وهناك صاحب المذوبة متربما في دسسته ،  
ومروعا بسمته . »

وَفِي نَفْسِهِ الْعَلِيَاءَ لِي مُتَبَوِّأً      يُتَابَسُّنِي فِيهِ السَّمَاءُ كَانٍ وَالْقَسْرُ  
يُطِيلُ الْعِدَا فِي التَّنَاجِي خُفْيَةً      يَقُولُونَ: «لَا تَسْتَفْتِ، قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ»  
مَضَى نَفْسُهُمْ - فِي عُقْدَةِ السَّعْيِ - ضَلَّةً      فَعَادَ عَلَيْهِمْ غُمَّةٌ ذَلِكَ السَّحَرُ  
يَسِيبُ مَكَانِي عَنْ تَوَقِّي مَكَانِهِمْ      كَمَا شَبَّ - قَبْلَ الْيَوْمِ - عَنْ طَوْقِهِ عَمْرُو<sup>(١)</sup>

وهو هنا بمعنى المجلس أيضا وورد في آخر هذه المقامة عند قوله :

« فلما حضرت الوالي وقد خلا مجلسه ، وانجلي تعبسه ، أخذ يصف أبا زيد وفضله ، ويذم الدهر له ، ثم قال : نشدتك الله - ألسن الذي أطاره الدست ؟ قلت : لا والذي أحلك في هذا الدست ، ما أما بصاحب هذا الدست ، بل أنت الذي تم عليه الدست . » فالدست الأول هو الثوب ، والثاني المجلس ، والثالث هو الثوب أيضا ، والرابع الحيلة .

والحبوة : بضم وكسر أوله وتجمع على حبا هي أن يجمع الجالس ظهره وساقيه بثوب أو يديه ، ويقال حل ملان حبوته ، وهذا الأمر مما تحل له الحبا ، والحبوة - بالفتح - الصدر ، والسماط : الصف من الناس ، يقال قام اليوم حوله سماطين أي صفين ، ومعنى بين السماطين أي بين الصفين ، يقول إنه يفسح لي الجلوس في الصدر إذا استوى في مجلسه ومثل حوله صفان من حفله .

(١) أصل المثل : « شب عمرو عن الطوق » وفي رواية أساس البلاغة : « جل عمرو عن الطوق » ، وفي رواية يجمع الأمثال للميداني « كبر عمرو عن الطوق » ومعنى البيت :  
« لقد جل مكاني عن أن أحاذرهم » كما حل عمرو عن الطوق .

قال ابن قتيبة في كتاب المعارف : و عمرو هذا هو عمرو بن عدي بن نصر ، ابن أخت جذيمة الأبرش ، وهو الذي كان يقول - إدا حني الكمأة بين يدي خاله وهو صبي - :

« هذا جنائي ، وخياره فيه - إذ كل جان يده إلى فيه . »

وقد زعموا أن الجن استهوته حينما ، ثم طهر فوجده مالاك وعقيل ، قالوا : « فانتسب لهما . فأثريا به جذيمة فسر به سرورا شديدا وحكهما مسألاه منادمته . »

وقد ضربت الأمثال شذماني حذيمة ، فقال متمم التويري حين رثي أحماء :

« وكنا كندماني حذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن تصدقا

وعشنا بخير - في الحياة - وقبلنا - أصاب الناي رهط كسرى وتبعا

فلما تمرقنا كآني ومالكا - لطول افتراق - لم نبت ليلة معا . »

وقال أبو خراش الهذلي :

« ألم تعلمي أن قد تفرق - قبلنا - خليلا صفاء مالاك وعقيل . »

وقد أشار أبو العلاء المعري إلى ندماني جذيمة لإشارة نافعة في رسالة العفران ( ج ١ ص ١٣٢ ) فليرجع إليها من شاء ، قالوا : وأصل هذا المثل أن أم عمرو نظفته وألبسته ثياب الملوك وطوقته بطوق في عنقه وأمرته بزيارة خاله ، قالوا : فلما رأى خاله لحيته والطوق في عنقه ، قال : « شب عمرو عن الطوق » فذهبت مثلاه قالوا : « وكانت الزباء قتلت خاله فأدرك عمرو وقصير ثأره فقتلها . »



لَكَ الْخَيْرُ ، إِنَّ الرُّزْءَ كَانَ غِيَابَةً  
فَقَرَّتْ عُيُونُ كَانَ أَسْخَنَهَا الْبُكَاءُ  
وَلَوْلَاكَ أَعْيَا رَأْبُنَا ذَلِكَ النَّأْيُ (١)  
وَلَمَّا قَدَمْتَ الْجَيْشَ بِالْأَمْسِ أَشْرَقَتْ  
فَقَضَيْتَ مِنْ فَرَضِ الصَّلَاةِ لِبَانَةً  
وَمِنْ قَبْلُ مَا قَدَمْتَ مَثْنَى نَوَافِلِ  
وَرُحْتَ إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي غَضَّ طَرْفُهُ  
فَدَامَا مَعًا فِي خَيْرِ دَهْرٍ ، صُرُوفُهُ  
وَأَنْجَلَ - عَنِ النَّأْوَى - الْعَزَاءُ فَإِنْ تَوَى  
طَلَعْتَ لَنَا فِيهَا كَمَا طَلَعَ الْبَدْرُ  
وَقَرَّتْ قُلُوبُ كَانَ زَلْزَلَهَا الدُّعْرُ  
وَعَزَّ قَلَمًا يَنْتَمِشُ ذَلِكَ الْعَمْرُ  
إِلَيْكَ - مِنَ الْآمَالِ - آفَاقُهَا الْغُبْرُ (٢)  
مُشِيعُهَا نُسْكَهُ وَفَارِطُهَا طُهُرُ (٣)  
يَلَاقِي بِهَا مَنْ صَامَ مِنْ عِيدِهِ فِطْرُ  
بُعَيْدِ التَّسَامِي أَنْ غَدَا غَيْرُهُ الْقَصْرُ (٤)  
حَرَامٌ عَلَيْهَا أَنْ يَطُورُهَا هَجْرُ (٥)  
فَإِنَّكَ لَا الْوَائِي ، وَلَا الضَّرْعُ الْعُمْرُ (٦)

(١) النَّأْيُ : المساد ورأبه إصلاحه ، قال الشاعر :

« يرأب الصدع والنأى برصين من سجايا آرائه ويعير . »

(٢) قدمت : يقال قدم فلان فلانا يقدمه من باب نصر إذا تقدمه ، قال تعالى : « يقدم يومه يوم القيامة فأوردهم النار » والمعنى : ولما تقدم الجيش صبيحة يوم العطر أشرق إليك شمسوس الآمال من آفاقها الغبر يريد أن الآمال ابتسمت له مسرقة ، وقد اغبرت الآفاق حزنا على فقد والده .

(٣) اللبابة : الحاجة يقال قضى فلان لبائته أى حاجته ، والفارط : المتقدم أى قضيت حاجة فى نفسك من صلاة الفرض التى شيعها وتلاها نك العيد وسبقها وتقدمها الطهر المسنون والطيب ، وفى رواية نفع الطيب : « فشيعها نك وفارطها طهر »

(٤) أى بعد أن عدت من مصلى العيد ورحت إلى القصر الذى غض طرفه حياء - بعد أن سما يبصره إليك - لأنك تبدأت به قصرا غيره . (٥) لا بطورها : لا قريتها والصغير طائد على القصرين .

(٦) الوائى : الضعيف ، والضرع : الخاضع الدليل ، والنمر : الذى لم يحرب الأمور ، يقول : تدرب بالصبر وأجل عزاء عن الراحل النأوى فى قبره ، فانك لست - إذ ألم بك خطب - بالضعيف ولا الغر الجاهل الذى لم يحرب الأمور ولم يعتبر بصروف الدهر ، وفى الأصل « فانك لا الفانى » وقد أثبتنا هنا رواية نفع الطيب ، قال الشاعر :

أناة وحلما وانتظارا بهم خدا فما أنا بالوائى ولا الضرع الفمر

وَمَا أُعْطِيَ السَّبْعُونَ قَبْلُ - أُولَى الْحِجَابِ مِنْ الْإِرْبِ مَا أُعْطِيَكَ عِشْرُونَ وَالْعِشْرُونَ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

أَلَسْتَ الَّذِي إِنْ ضَاقَ ذَرْعُ بِحَادِثٍ فَلَا تَهَيِّضِ الدُّنْيَا جَنَاحَكَ بَعْدَهُ وَلَا زِلْتَ مَوْفُورَ الْعَدِيدِ بِقُرَّةٍ فَإِنَّكَ شَمْسٌ - فِي سَمَاءِ رِيَاسَةٍ -  
تَبَدَّلَجَ مِنْهُ الْوَجْهُ وَاتَّسَعَ الصَّدْرُ<sup>(٢)</sup> فَنُكَ - لِمَنْ هَاضَتْ نَوَائِبُهَا - جَبْرُ لِعَيْنَيْكَ مَشْدُودًا بِهِمْ ذَلِكَ الْأَزْرُ تَطْلُعَ مِنْهُمْ حَوْلَهَا أَنْجُمُ زُهْرُ

\*\*\*

شَكَكْنَا فَلَمْ تُثَبِّتْ<sup>(٣)</sup> الْأَيَّامَ دَهْرَنَا وَمَا إِنْ تَغَشَّتْهَا مُغَازِلَةُ الْكَرَى سِوَى نَشَوَاتٍ - مِنْ سَجَايَا مُمْلَكٍ -  
بِهَا وَسَنُ أَمْ هَزَّ أَعْطَافَهَا سُكْرُ وَمَا إِنْ تَمَشَّتْ - فِي مَفَاصِلِهَا<sup>(٤)</sup> - خَمْرُ يُصَدِّقُ فِي عَلَيَّاتِهَا الْخَبَرَ الْخَبْرُ

\*\*\*

أَرَى الدَّهْرَ - إِنْ يَبْطِشُ - فَأَنْتَ يَمِينُهُ وَكَمْ سَائِلٍ - بِالْغَيْبِ عَنْكَ - أَجَبْتُهُ : هُنَاكَ الْآيَادِي الشَّفَعُ وَالسُّودَدُ الْوِثْرُ<sup>(٥)</sup> وَبَذَلُ اللَّهِ وَالْبَاسُ وَالنَّظْمُ وَالنَّمْرُ هُنَاكَ الشَّقَى وَالْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالنُّهَى

(١) أُولَى الْحِجَابِ : أرباب العقول ، والارب : العقل والدماغ واليصر بالأمور ، يقال أرب ككرم أرابية هو أريب أى حائل وجاء فى نفع الطيب « اللب » بدل « الارب » ، وعشرون : بالاضافة ، وعشرون إذا أضيف سقطت منه الون لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، يقال : « هذه عشرون وعشرون » بتشديد الياء كسلى ، أى أن ثلاثين حبة أمادتك من الحجا والعنل مالم تمطه غيرك السبعون .

(٢) أَلَسْتَ الَّذِي إِنْ ضَاقَ النَّاسُ ذَرْعًا بِحَادِثٍ تَهْلِلُ لَهُ وَجْهَكَ بِصَرَا ، واتسع له صدرك احتمالا وصبرا ، ثقة منك بأنك ستكشف البازلة ، وتدفع الكارثة .

(٣) وفى نفع الطيب : « فلم ندرك » (٤) وفى نفع الطيب : « معاطفها » .

(٥) أى : هناك الايادى أى النعم المزدوجة المتكررة والمجد الفذ .

هُمَامٌ - إِذَا لَاقَى الْمُنَاجِزَ رَدَّهُ - وَإِقْبَالُهُ خَطْوُهُ ، وَإِذَا بَارَهُ حُضْرُ<sup>(١)</sup>  
نَحَّاسِينَ ، مَا لِلرَّوَضِ - خَامَرُهُ النَّدَى - رُؤَاةٍ إِذَا نُصِّتَ حُلَاهَا وَلَا نَشْرُ<sup>(٢)</sup>  
مَتَى أَنْتَشِقَّتْ لَمْ تُطَرِّ دَارِينَ مِسْكَهَا حَيَاءٌ ، وَلَمْ يَفْخَرْ بِعَنْبَرِهِ الشَّحْرُ<sup>(٣)</sup>  
عَطَائِهِ وَلَا مَنٍّ ، وَحُكْمُهُ وَلَا هَوَى وَحِلْمُهُ وَلَا عَجْزُهُ ، وَعِزُّهُ وَلَا كِبَرُهُ  
قَدِ اسْتَوْفَتْ النِّعْمَاءُ فِيكَ تَمَامَهَا عَلَيْنَا ، فَمِنَّا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ

### إلى ابن ذكوان

« كتب إلى الوزير أبي العباس بن حاتم بن ذكوان »

لَسْتُ مِنْ بَابَةِ الْمُلُوكِ<sup>(٤)</sup> أبا العباس ، دَعَهُمْ فَشَأْنُهُمْ غَيْرُ شَأْنِكَ  
مَا جَزَاءُ الْوَزِيرِ مِنْكَ - إِذَا اخْتَصَّكَ - أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي إِذْمَانِكَ  
أَثْرَاهُ لَا يَسْتَرِيبُ لِإِمْسَا كَيْكَ سَرْدَ الْعِرَاقِ تَحْتَ لِسَانِكَ<sup>(٥)</sup>  
مُذْ نَهَانَا - عَنِ الْمُدَامِ - أَنْتَهَيْنَا مَعَ أَنَا نَعْدُ مِنْ صِدْيَاكَ .

(١) المناجز : من المناجزة وهي المبارزة في القتال والمقاتلة ، قال هيب :

كالهندواني المهنــــــــــــد هزمه القرن المناجز

والحضر : إحضار الفرس وعدوه ، يقول هو ملك همام إذا لاق عدوه المناجز في الحرب والقتال رده منهزما في حال كون إقباله بطيئا وإدباره سريعا .

(٢) نصت : وضعت على المسكة بكسر الميم وهي سرير المروس الذي تنص وتجلى عليه ليلة الزفاف ، والشر : الرائحة الطيبة ، وفي الأصل « ولا بشر » والذي أثبتناه هنا رواية نفع الطيب .

(٣) لم تطر : لم تمدح ، ودارين : ثمر على الخليج الفارسي يجلب إليه الطيب من بلاد الهند ، والذي في هج الطيب « لم مدر » والشعر : ساحل البحر - بين « عمان » و « عدن » - أو هو صقع على ساحل الخليج الفارسي وإلى هذا المقع ينسب المبر الشحري ، وهناك عدة مدن بهذا الاسم كما يؤخذ من حجم البلدان ، والمعنى : متى فاح غير تلك المحاسن لم تنن دارين على مسكها ولم يفخر الشجر بعنبره .

(٤) من بابة الملوك : من الشروط والوجوه التي تصلح لهم ، ويقال : « هذا شيء من بابتك » أي يصلح لك . يقول : « لست من بيتهم » .

(٥) العراق : بالكسر الحلة المخروز على فم السقاء والزق ونحوهما تشبه بخروزه الأسنان في السرد ، والاستواء ، وجاء في الأصل « سمد العراق » يقول : أترى الوزير لا يقع في الريبة لوضعك مسرودة العراق تحت لسانك ، يريد أنه يحقن الحمر من فم زق معرق أي على فمه عراق .



## إلى المعتمد

« كتب ابن زيدون إلى المعتمد يشوقه إلى تعاطي

الحيا في قصوره البديعة التي منها المبارك والثريا (١) . »

فُزْ بِالنَّجَاحِ وَأُخْرِزِ الْإِقْبَالَ  
وَأَيْهِنِكَ التَّأْيِيدُ وَالظَّفَرُ الَّذَا  
وَحُزِرِ الْمُنَى وَتَنْجَزِ الْآمَالَ  
تَجِدِ الْمُقُولُ النَّاشِدَاتُ كَمَا لَا

\*\*\*

أَمَّا « الثَّرَيَا » (٢) فَالْثَّرَيَا نَصْبَةً  
قَدْ شَاقَهَا الْإِغْبَابُ حَتَّى أَنَّهَا  
وَإِفَادَةٌ وَإِنَافَةٌ وَجَمَالًا  
رَفَّةً (٣) وَرُودُكَهَا لِتَنْعَمَ رَاحَةً

\*\*\*

وَتَمَثَّلِ الْقَصْرَ « الْمُبَارَكَ » وَجَنَّةً  
وَأَدِرْ هُنَاكَ مِنَ الْمُدَامِ أَتَمَّهَا  
قَدْ وَسَطْتَ فِيهَا « الثَّرَيَا » خَلَا  
قَصْرُهُ يُقَرُّ الْعَيْنُ مِنْهُ مَصْنَعٌ  
أَرْجَا زَكَ وَأَشْفَهَا جِرْ يَالَ (٤)  
لَا زِلْتَ تَفْتَرِشُ السُّرُورَ وَرُحْدَاتِهَا  
بَهْجُ الْجَوَانِبِ، لَوْ مَشَى لِاخْتَالَ  
فِيهِ، وَتَلْتَحِفُ النَّعِيمِ ظِلَالًا .

(١) وردت هذه القصيدة في الديوان ولم يكتب لها عنوان ، وقد نقلنا هذه السكامة من «مع الطيب .

(٢) يعني قصره المسمى « الثريا » .

(٣) أى اجعل ورودك أياها رفها أى كل يوم ، يقال وردت الأبل رفها إذا كانت ترد الماء كلها

شامت الورد . (٤) الجريال : الحر ، أو حررتها وسيأتى تفسيرها في ص « ١٥٥ »

## مدح ورثاء وتهنئة (١)

« وقال أيضا بمدحه ويرثي الوزير الكاتب الأعلى

أبا الحزم أباه رجهما الله . »

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ ضَمَّتْهَا الْقَبْرُ  
وَأَنَّ الْحَيَا (٢) - إِنْ كَانَ أَقْلَعَ صَوْبُهُ -  
إِسَاءَةُ دَهْرٍ أَحْسَنَ الْفِعْلِ بَعْدَهَا ،  
فَلَا يَتَهَنَّ الْكَاشِحُونَ فَمَا دَجَا  
وَإِنْ يَكُ وَلَى « جَهْوَرٌ » ، « مُحَمَّدٌ »  
وَأَنْ قَدْ كَفَانَا - فَقَدْ نَا الْقَمَرُ - الْبَدْرُ  
فَقَدْ فَاضَ الْآمَالِ فِي إِثْرِهِ الْبَحْرُ  
وَذَنْبُ زَمَانٍ جَاءَ يَتْبَعُهُ الْمَذْرُ  
لَنَا اللَّيْلُ إِلَّا رَيْثَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ  
خَلِيفَتُهُ الْعَدْلُ الرَّضَى وَأَبْنَةُ الْبَرِّ

\*\*\*

لَعَمْرِي لَنِعَمَ الْعِلْقُ (٣) أَتْلَفَهُ الرَّدَى  
هَزَزْنَا بِهِ الصَّعْصَعَامَ (٤) فَالْعَزَمُ حَذَهُ  
فَتَى يَجْمَعُ الْمَجْدَ الْمَفْرَقَ هَمَّهُ  
أَهَابَتْ إِلَيْهِ بِأَقْلُوبٍ مَحَبَّةُ  
سَرَتْ - حَيْثُ لَا تَسْرَى مِنَ الْأَنْفُسِ الْمَنَى -  
لَبِسْنَا لَدَيْهِ الْأَمْنَ تَنْدَى ظِلَالُهُ  
وَعَادَتْ لَنَا عَادَاتُ دُنْيَا كَانَتْهَا  
فَبَانَ ، وَنِعَمَ الْعِلْقُ أَخْلَفَهُ الدَّهْرُ  
وَحَلِيتُهُ الْعَلِيَا وَإِفْرِنْدُهُ الْبِشْرُ  
وَيُنْظَمُ - فِي أَخْلَاقِهِ - السُّودَدُ الثُّرُ  
هِيَ السَّخَرُ لِلْأَهْوَاءِ ، بَلْ دُونَهَا السَّخَرُ  
وَدَبَّتْ دَيْبِيَا لَيْسَ يُحْسِنُهُ الْخَمْرُ  
وَزَهْرَةُ عَايَشٍ مِثْلَ مَا أَيْنَعَ الزَّهْرُ  
بِهَا وَسَنُ أَوْ هَزَّ أَعْطَافَهَا سُكْرُ

\*\*\*

مَلِيكَ لَهُ مِنَّا النَّصِيحَةُ وَالْهَوَى وَمِنْهُ الْأَيَادِي الْبَيْضُ وَالنَّعْمُ الْخَضِرُ

(١) ارجع إلى ص ١٤٠ و ص ١٧٤ من هذا الديوان .

(٢) المطر . (٣) النفيس . (٤) الحسام .

نُسِرُ وَقَاءَ - حِينَ تُعْلِنُ طَاعَةَ -  
فَمَا خَانَهُ سِرٌّ وَلَا رَابَهُ جَهْرُ  
فَقُلْ لِلْحَيَارَى: « قَدْ بَدَأَ عِلْمُ الْهُدَى »  
وَالِطَّامِعِ الْمَغْرُورِ: « قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ »<sup>(١)</sup>

\* \* \*

« أَبَا الْحَزَمِ » قَدْ ذَابَتْ عَلَيْكَ - مِنَ الْأَسَى -  
دَعِ الدَّهْرَ يَفْجَعِ بِالذَّخَائِرِ أَهْلَهُ  
قُلُوبٌ مُمْنَاهَا الصَّبْرُ، لَوْ سَاعَدَ الصَّبْرُ  
فَمَا لِنَفْسٍ - مُذْ طَوَاكَ الرَّدَى - قَدْرُ  
وَيُعْرِفُ - مُذْ فَارَقْتَنَا - الْحَادِثُ النُّكْرُ  
لَهَا أَثَرٌ يُبْنِي بِهِ السَّهْلُ وَالْوَعْرُ  
مَسَاعِيكَ حَلَى لِيَالِي مُرْصَعٍ  
وَذِكْرُكَ - فِي أَرْذَانِ أَيَّامِهَا - عِطْرُ  
فَلَا تَبْعَدَنَّ إِنَّ الْمَنِيَّةَ غَايَةٌ  
إِلَيْهَا التَّنَاهَى طَالَ أَوْ قَصُرَ الْعُمُرُ

\* \* \*

عَزَاءَ - فَدَتْكَ النَّفْسُ عَنْهُ - فَإِنْ ثَوَى  
وَمَا الرُّزْءُ فِي أَنْ يُودَعَ التُّرْبَ هَالِكُ  
فَإِنَّكَ لَا الْوَانِي وَلَا الضَّرْعُ الْعُمُرُ  
بَلِ الرُّزْءُ كُلُّ الرُّزْءِ أَنْ يَهْلِكَ الْأَجْرُ  
وَحَوْلَكَ - مِنْ آلَائِهِ - عَسْكَرُ نَجْرُ  
أَمَامَكَ - مِنْ حِفْظِ الْإِلَهِ - طَلِيعَةُ  
وَمَا بِكَ مِنْ فَقْرٍ إِلَى نَصْرِ نَاصِرٍ  
كَفْتِكَ - مِنْ اللَّهِ - الْكَلَاءَةُ<sup>(٢)</sup> وَالنَّصْرُ

\* \* \*

لَكَ الْخَيْرُ، إِنِّي وَابِقٌ بِكَ شَاكِرُ  
تَحَامِي الْعِدَا - لَمَّا أَعْتَلَقْتُكَ - جَانِبِي  
لِمَشْنَى أَيْادِيكَ الَّتِي كُفِّرْهَا الْكُفْرُ  
وَقَالَ الْمَنَاوِي: شَبَّ عَنْ طَوْقِهِ عَمْرُو<sup>(٣)</sup>

(١) قريب من هذا قول ابن هاني الأندلسي :

تمول بنو العباس : « هل فتحت مصر ؟ » فقل لبني العباس : « قد قضى الأمر »

(٢) الرماية والمفظ . (٣) ارجع إلى تفسير هذا المثل في ( ص ١٤٥ ) من هذا الكتاب .

يَلِينُ كَلَامُهُ كَانَ يَخْشُنُ مِنْهُمْ وَيَفْتَرُ نَحْوِي ذَلِكَ النَّظْرُ الشَّرُّ

\*\*\*

فَصَدَّقْ ظُنُونًا لِي وَفِيَّ ، فَإِنِّي لَأَهْلُ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ مِنْكَ وَلَا فَخْرُ  
وَمَنْ يَكُ - لِلدُّنْيَا وَلِلْوَفْرِ - سَعْيُهُ فَتَقَرِّبُكَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَكَ الْوَفْرُ (١)

### هدية عنب

« وأهدى إلى الوزير الفقيه صاحب الأحكام أبي بكر  
محمد بن محمد بن إبراهيم جده لأمته عنباً عذاري  
وكتب معه . »

أَتَاكَ مُحْيِيًّا عَنِّي أَعْتَذَارًا عَذَارَى دُونَهُ رِيْقُ الْمَذَارَى (٢)  
تَحَالُ الشَّهْدَ مِنْهُ مَسْتَمَدًّا وَتَفَحَّ الْمِسْكِ مِنْهُ مُسْتَعَارًا  
يَرُوقُ الْعَيْنَ مِنْهُ جِسْمُ مَاءٍ غَدَا ثَوْبُ الْمَوَاءِ لَهُ شِعَارًا  
وَلَوْ لَا أَنِّي قَدْ نِلْتُ مِنْهُ - وَلَمْ أَسْكُرْ - لَخِلْتُ بِهِ عُقَارًا  
بَعَثْتُ بِهِ وَلَوْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، لَكَانَ مِنْ بَرِّى أَقْتِصَارًا  
فَأَنْعِمَ بِالْقَبُولِ قَرُبًا نَعْمَى أَعَدْتُ بِهَا دُجَى لَيْلِي نَهَارًا .

(١) يقول : إن من كانت عينه من الدنيا أب تقبل عليه وأن ينال العنى فإنه يطعم بهما جميعاً حين تدنيه منك وتقبل عليه .

(٢) المذارى : صنف من العنب يشبه بأصابع المذارى لطوله ، يقول : أناك يحمل تحيى . متذكراً إليك « عنب عذاري » حلو دونه في الحلاوة ريق المذارى .

## رثاء ابن ذكوان

« قال يرثي القاضي أبا بكر بن ذكوان . »

انجَبَ لِحَالِ الْمَرْوِ كَيْفَ تُحَالُ      وَلِدَوْلَةِ الْعَلِيَاءِ كَيْفَ تُدَالُ <sup>(١)</sup>  
لَا تَفْسَحَنَّ لِلنَّفْسِ فِي شَأْوِ الْمُنَى      إِنَّ اغْتِرَارَكَ - بِالْمُنَى - لَضَلَالُ  
مَا أُمْتَعَ الْآمَالُ لَوْلَا أَنَّهَا      تَعْتَاقُ - دُونَ مَبْلُوغِهَا - الْآجَالَ <sup>(٢)</sup>  
مَنْ سُرَّ - لِمَا عَاشَ - قَلَّ مَتَاعُهُ      فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالسُّرُورُ خِيَالُ <sup>(٣)</sup>

\* \* \*

فِي كُلِّ يَوْمٍ تُنْتَحَى بِرِزْيَةٍ      لِلْأَرْضِ - مِنْ بُرَحَاتِهَا - زَلْزَالُ <sup>(٤)</sup>  
إِنْ يَنْكَدِرُ بِالْأَمْسِ - نَجْمٌ تَأْقِبُ      فَالْيَوْمَ أَقْلَعَ عَارِضٌ هَطَّالُ <sup>(٥)</sup>  
إِنَّ النَّعْيَ « لَجَهْوَرٍ » وَ « مُحَمَّدٍ »      أَبْكَى الْعَمَامَ ، فَدَمَعُهُ مُنْثَالُ <sup>(٦)</sup>  
شَكْلَانِ - إِنَّ حُمَّ الْحِمَامِ - تَجَاذَبَا      لَا غَرَوْ أَنَّ تَجَاذَبَ الْأَشْكَالُ <sup>(٧)</sup>

- (١) السرو : الشرف والسيادة ، يقول : أجب لهذا المجد كيف حال عن عهده وتحول ، وابعج لدولة العلياء كيف دالت وتبدلت . (٢) يقول : إن أحسن شيء تتمتع به النفس الآمال ، لولا أن الآجال ، تعوق دون بلوغ الآمال . (٣) من سره العيش في هذه الحياة الدنيا فليعلم أن متاعها قليل ، وأن الناس فيها نيام لا انتباه لهم ولا يقظة إلا بعد الموت إذن فسرورها خيال ، وغرورها باطل . (٤) تنتحى : تقصد ، يقال انتحاه إذا قصد ناحيته ، والبرحاء : الشدة . (٥) ينكدر : ينقض ويستقط ، قال تعالى « وإذا النجوم انكدرت » أي تناثرت ، والعارض : السحاب ، يقول : إن موت أبي بكر القاضي جاء عقب موت اثنين من آل جهور سيذكركما في البيت التالي لهذا البيت . (٦) النعي : كنى الناعي ، من نعى الميب ينهيه إذا أخبر بموته ، ومثال : من نزل الدمع وغيره استخرجه . (٧) حم : قدر ، والحمام : الموت ، يقول : « جهور » و « محمد » شكلان متجانسان حم الموت على أحدهما فاتجذب إليه شكله ، وكذلك الأشكال تنجاذب .

(٦) النعي : كنى الناعي ، من نعى الميب ينهيه إذا أخبر بموته ، ومثال : من نزل الدمع وغيره استخرجه . (٧) حم : قدر ، والحمام : الموت ، يقول : « جهور » و « محمد » شكلان متجانسان حم الموت على أحدهما فاتجذب إليه شكله ، وكذلك الأشكال تنجاذب .

✱ ✱

وَلِيَّ « أَبُو بَكْرٍ » فَرَاعَ لَهُ الْوَرَى  
قَمَرَهُ هَوَى فِي التُّرْبِ - تُحْنِيْ فَوْقَهُ -  
قَدْ قُلْتُ - إِذْ قِيلَ السَّرِيرُ يُقِيلُهُ -  
الآنَ بَيْنَ لِلْعُقُولِ زَوَالُهُ  
مَا أَقْبَحَ الدُّنْيَا ! خِلَافَ مُودَعٍ  
هَوَلٌ تَقَاصَرُ - دُونَهُ - الْأَهْوَالُ  
لِلَّهِ مَا حَازَ الثَّرَى الْمُنْهَالُ <sup>(١)</sup>  
هَلْ لِلْسَّرِيرِ بِقَدْرِهِ أَسْنَتِقِلَالُ؟  
أَنَّ الْجِبَالَ قُصَارُهُنَّ زَوَالُ  
غَنِيَّتٍ بِهِ فِي حُسْنِهَا تَحْتَالُ <sup>(٢)</sup>

✱ ✱

يَا قَبْرَهُ الْمَطَرِ الثَّرَى لَا يَبْعَدُنْ  
مَا أَنْتَ إِلَّا الْجَفْنُ أَصْبَحَ طِيَّةً  
فَهُنَاكَ نَفَاحُ الشَّمَائِلِ مِثْلَ مَا  
حُلُوٌ مِنَ الْفَتَيَانِ فِيكَ حَلَالُ <sup>(٣)</sup>  
نَضَلُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّبَابِ صِقَالُ <sup>(٤)</sup>  
طَرَقَتْ بِأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ شِمَالُ <sup>(٥)</sup>

(١) تحنى : تهاى فوقه ، والثرى : التراب الندى .

(٢) خلاف مودع : أى بعده ، يقال جاء فلان خلاف فلان أى بعده ، قال تعالى « وإذن لا يلبثون خلاصك إلا قليلا » أى خلعتك كما فى القراءة الثانية ، والمعنى : ما أُنح الدنيا بعد هذا الراحل المودع الذى كانت الدنيا به تحتال كالمرور المستغنية بحملها عن الزينة ثم أصبحت بعده قبيحة دميعة .

(٣) الحلو الحلال : من الفتيان هو الفتى الذى لاربة فيه الموثوق به ، قال الشاعر :  
« ألا ذهب الحلو الحلال الحلال ومن دونه حكم وعدل ونائل . »

وقال الآخر :

« رأيت رباطا حين تم شبابيه وولى شبابى ليس فى بره عتب

إذا كان أولاد الرجل حرازة فأنت الحلال الحلو والبارد العذب . »

والمعنى : يا قبره الشدى المطر ثراه لا بعدن بك من الفتيان ذلك الفتى الحلو الحلال أى الذى لاشك ولا ريبة فى رجولته وفنوته .

(٤) ما أب أيها القبر إلا حفن طوى فيه فتى كنضل السيف صقل بعقال الشباب .

(٥) هناك أى فى ذلك القبر وورى فتى شمائله وطباعه تنفع بأنواع العطر ، بل ما هيب بأنفاس الرياض ربح الشمال .

دَانٍ مِنَ الْخُلُقِ الْمُزِينِ ، نَارِحُ عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْهِ مَقَالُ (١)  
شِيمٌ يُنَافِسُ حُسْنَهَا إِحْسَانَهَا كَالرَّاحِ نَافَسَ طَمَعُهَا الْجِرْيَالُ (٢)

\* \* \*

يَا مَنْ شَأَى الْأَمْثَالِ ، مِنْهُ وَاحِدٌ ضُرِبَتْ بِهِ فِي السُّودِ الْأَمْثَالُ (٣)  
نَقَصَتْ حَيَاتُكَ حِينَ فَضْلِكَ كَامِلٌ هَلَّا اسْتُضِيفَ إِلَى الْكَمَالِ كَمَالُ (٤)  
وَدَّعَتْ عَنْ عُمْرٍ عَمَرْتَ قَصِيرَهُ بِمَكَارِمِ أَنْعَمَارُهَا طَوَالُ  
مَنْ لِلنَّدَى إِذَا تَنَازَعَ أَهْلُهُ فَاسْتَجْهَلْتَ حُلَمَاءَهُ الْجُهَالُ (٥)  
لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهُمْ لَقَلَّ مِرَاوُهُمْ لِأَغْرَفِيهِ - مَعَ الْفَتَاءِ - جَلَالُ (٦)

(١) دان : قريب من كل خلق حميد يزيه ، نارح : يعيد من كل فعل فيه عليه لوموه واحدة وعيب ، ولفظه كلفظ قول الشاعر :

« إذا أنت لم تعص الهوى فادك الهوى إلى «عص ما فيه» عليك . قال . »

(٢) جريال الحجر : حمرتها الشديدة ، قل الأعشى :

« وسيدة مما تمنق بابل كدم الديح سلتها جريالها . »

ومعنى سلتها جريالها - أى لونها وحمرتها - أن لونها ظهر على وجهه حين شربها ولكنها حين خرجت منه عند البول خرجت بيضاء ، وطاق الجريال والحريالة على الحجر فسميها ، قال ذو الرمة :

« كَأَنِّي أَحْوُ حَرِيَالَةً بَالِيَةً كَمِيتَ تَمَشَّتْ فِي الْعِظَامِ شَمُولَهَا . »

ودلوا في السلاف - وهو أول ما يجري من ماء العنب من غير عصر ولونه أصفر - إنه أحود من الجريال . قال المتنبي :

« ولقد خبأت من الكلام سلافة وسقيت من نادمت من جريانه . »

ومعنى البيت الذي نحن بصدده : نافس إحسان شيعك وخلالك حسنهما كما نافس لون الراح طمعها ، حين جمعت إلى لذة الطعم حسن اللون .

(٣) وفي الأصل : « يامن شاء . »

(٤) طاحتك المية في الوقت الذي كل فيه فضلك ، فهلا نسي في صمرك حتى تستضيف كمالا إلى كمالك .

(٥) الندى : المجلس ، واستجهلت نسبتهم إلى الجهل ، والحلماء : أصحاب الأحلام أى العقول .

(٦) لو كنت حاضر مجلسهم لاحتهم فلم يماروك ويجادلوك إذعانا لأغرفيه مع فتاء السن وقار وهيبة .



مَنْ لِلْعُلُومِ؟ فَقَدْ هَوَى الْعِلْمُ الَّذِي  
مَنْ لِلْقَضَاءِ يَعِزُّ (٢) - فِي أَثْنَائِهِ -  
مَنْ لِلْيَتِيمِ تَتَابَعَتْ أَرْزَاؤُهُ؟  
أَعَزَّ بِأَنْ يَنْعَاكَ نَعَى شِمَاتِهِ  
جُمِعَتْ رَحَى الْإِسْلَامِ مِنْكَ بِقُطْبِهَا  
وُسِّمَتْ بِهِ أَنْوَاعُهَا الْأَغْفَالُ (١)  
إِيضَاحُ مُظْلِمَةٍ لَهَا إِشْكَالُ؟  
هَلَاكَ الْأَبُّ الْحَانِي وَضَاعَ الْمَالُ!  
لِلْأَوْلِيَاءِ الْمَعَشَرُ الْأَقْتَالُ (٣)  
لَيْتَ الْحُسُودَ فِدَاكَ فَهُوَ ثِفَالُ (٤)



زُرْنَاكَ كَمْ تَأَذَّنَ كَأَنَّكَ غَافِلٌ  
أَيْنَ الْحَفَاوَةُ رَوْضُهَا غَضُّ الْجَنَى  
أَيَّامَ مَنْ يَعْرِضُ عَلَيْكَ وَدَادَهُ  
مَهْمَا تُنْبِئُكَ لَا تُرْبِكَ وَإِنْ تَزُرُ  
هَيَّاتَ لَا عَهْدَ - كَعَهْدِكَ - عَائِدُ  
مَا كَانَ مِنْكَ لِوَاجِبِ إِغْفَالُ  
أَيْنَ الطَّلَاقَةُ بِشْرُهَا سَلَسَالُ  
يَكُنِ الْقَبُولُ بِشِيرُهُ الْإِقْبَالُ  
رِفْهًا فَمَا لِرِيزَارَةِ إِمْلَالُ (٥)  
إِذْ أَنْتَ فِي وَجْهِ الزَّمَانِ جَمَالُ

(١) العلوم المتروكة لصعوبة الخوض فيها لإعلى أمثاله من الباحثين .

(٢) يقل ويمتنع ولا يوجد لاستكمالها حل .

(٣) أعزز : أعظم على نفسى منعاك نعى شماته أى يمز على ويشق على نفسى أن ينعاك الأقتال أى الأعداء نعى شماته لأوليائك وأصفيائك .

(٤) قطب الرضى : الحديدة القائمة فى وسط الرضى السفلى ، وهو الذى يدور عليه طبق الرضى العليا ، جعل للإسلام رضى هو قطبها الذى تدور عليه ، يعنى أن عليه نظام الإسلام ، ومدار الأحكام ، والتقاليد ما يوسع تح الرضى من جلد ونحوه ليقى ما يسقط عند الطحن من التراب ، وهذا لا يكون إلا فى رضى اليد ، قال زهير : « فتمرككم عرك الرضى بفعلها » ، والمعنى بجمع الإسلام نقطب العلماء ورؤيسهم ، وليت الحسود كان فداء لك فمركة الموت عرك الرضى فوق فعلها أى ليت رضى الموت دارت على حاسدك وشائكك .

(٥) نبيك : الاغياب أن تزوره يوما وتقبه أى تنقطع عنه يوما أو أياما ، وردها : هو من ورود الابل ردها وهو أن ترد الماء كلما شئت الورد ، والمعنى : مهما انقطعنا عن زيارتك لم ترتب فى ودما ، وإن زرتك ردها وفى كل وقت لم تسأم ولم تمل الزيارة .



فَاذْهَبْ ذَهَابَ الْبُرِّ أَعْقَبَهُ الضَّنَى  
لَكَ صَالِحُ الْأَعْمَالِ إِذْ شِيعَتَهَا

حَيًّا الْحَيَّا مَثْوَاكَ ، وَأَمْتَدَّتْ عَلَى  
وَإِذَا النَّسِيمُ أَعْتَلَّ فَأَعْتَامَتْ بِهِ  
وَلَيْتَ أَذَالَكَ - بَعْدَ طُولِ صِيَانَةٍ -

سَيَحُوطُ مَنْ خَلَفَتْهُ مُسْتَبْصِرٌ  
كَفَلَ الْوَزِيرُ «أَبُو الْوَلِيدِ» بِجَبْرِهِمْ  
مَلِكٌ سَجِيئُهُ الْوَفَاءُ فَالَهُ  
حَتَمٌ عَلَيْهِ لَمَّا <sup>(٥)</sup> لِعَثْرَةٍ حَالِهِمْ

إِيَّاهَا: بَنَى ذِكْوَانَ - إِنْ غَلَبَ الْأُسَى -  
إِنْ كَانَ غَابَ الْبَدْرُ عَنْ سَاهُورِهِ  
فَلَكُمْ إِلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ مَالٌ  
مِنْكُمْ وَفَارَقَ غَابَهُ الرَّثْبَالُ <sup>(٦)</sup>

(١) اذهب على رغم منا دهاب العافية جاء عقبها المرض ، والأمن وافى بعده الأهل .

(٢) الحيا : المطر ، والذوى ، القبر ، وضاحى ثراك : أى ثراك الضاحى أى البارر للشمس .

(٣) اعتامت : اختارت ، ومنه قول طرفة :

« أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيمة مال الفاعش المتشدد . »

والمعنى : اعتامت أى اختارت العدوات والأصالح ساحات القبر وآثرتها بمرور النسيم العليل .

(٤) أذاك : أهانك ، أى لئن امتنك القدر بعد طول صيانته ، فكل مصون لم تمتد إليه يد القدر

سيذال ويهان يوما من الأيام .

(٥) دواء للعائر أن يقبضه الله من عثرته ، وإذا قيل « لالما للعائر » فعناه لأفاله الله من عثرته .

قال ابن دريد :

« فان عثرت بعدها - إن وألت نسي من هاتا - فقولاً : « لالما »

وإن تكن مدتها موصولة بالحتف ، سلطت الأسى على الأسى . »

وقال الأخطل :

« فلا هدى الله قيساً - من ضلالتهم - ولا لما لبى ذكوان إذ عثروا . »

(٦) الساهور : دائرة القمر ، والرثبال : الأسد .

## في مدح المعتضد

« قال يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل الله  
أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد . »

أَعَرَفُكَ رَاحَ فِي عُرْفِ الرِّيَّاحِ ؟ فَهَزَّ مِنَ الْهُوَى عِطْفَ أَرْتِيَا حِي<sup>(١)</sup>  
وَذِكْرُكَ مَا تَعَرَّضَ أَمْ عَذَابُ ؟ غَصِصْتُ عَلَيْهِ بِالْعَذْبِ الْقَرَّاحِ<sup>(٢)</sup>  
وَهَلْ أَنَا مِنْكَ فِي نَشَوَاتِ شَوْقِي - هَفَّتْ بِالْعَقْلِ - أَوْ نَشَوَاتِ رَاحِ<sup>(٣)</sup>  
لَعَمْرُ هَوَاكِ مَا وَرَيْتَ زِنَادُ لَوْصِلَ مِنْكَ طَالَ لَهَا اقْتِدَا حِي<sup>(٤)</sup>  
وَكَمْ أَسْقَمْتُ - مِنْ قَلْبٍ صَحِيحٍ - بِسُقْمِ جُفُونِكَ الْمَرْضَى الصَّحَّاحِ

\*\*\*

مَتَى أَخْفِى الْغَرَامَ يَصِفُهُ جِسْمِي بِالسِّنَةِ الضَّنَى الْخُرْسِ الْفِصَّاحِ<sup>(٥)</sup>  
فَلَوْ أَنَّ النِّيَابَ فُحِصْنَ عَنِّي خَفَيْتُ خَفَاءَ خَضْرِكَ فِي الْوِشَاحِ

(١) العرف : بالمفتح الرائحة الطيبة ، والعرف : بالضم واحد أعراف الرياح وهي أوائلها وأطالها ،  
والعطف : الجوانب وما تليها إذا عطفت على شيء حموا وإشـمـامـا ، وتحركه إذا هزتك أريحية ، والمعنى :  
أمرتك وطيبك سرى إلى أوائل الرياح التي هبت مائجة من ناحيتك ، فشدت نحوك بما حمة الهوى والارتياح .  
(٢) غصصت : كشرقت بالماء وزنا ومعى ، أو وقف في حلقه فلم يسه ، والقراح : الماء الذي لم يخالطه  
غيره ، يقول : وهل ما تعرض ذكرك أم عذاب شرقت لأحله بالماء العذب الذي لم تشبه شاة لم أسفه ، وفي  
الأصل « وذكرك ما تعرض أم عداد »

(٣) نشوات : واحدها نشوة ، والنشوة تكون من الريح ومن السكر وهي من السكر أوائله ومقدماته ،  
وهفت بالعقل : ذهبت به ، يقال : هفت الريح بالشئ تهفو أى ذهبت به ، والمعنى : هل أنا من أجل هواك ،  
وبسبب ذكرك ، في نشوات من ربح الشوق أو نشوات من سكر الراح أطارت عقلى وأذهبت لى .

(٤) أقسم بهواك إن طول اقتداحى زناد الوصل لم يور نارا .

(٥) في الوقت الذي أختى فيه غرامى عن العادلين يتم على تحول جسمى بالسنة المرض الخرساء المنصحة .

لَلْقَيْنَا مِنَ الْوَاشِينَ حَتَّى رَضِينَا الرُّشْلَ أَنْفَاسَ الرِّيَّاحِ (١)  
وَرُبَّ ظَلَامٍ لَيْلٍ جَنِّ فَوْقِ قُنُبَتٍ عَنِ الصَّبَاحِ إِلَى الصَّبَاحِ (٢)  
فَهَلْ عَدَّتِ الْعَفَافَ هُنَاكَ نَفْسِي - فَدَيْتُكَ - أَوْ جَنَحْتُ إِلَى الْجَنَاحِ (٣)

\*\*\*

وَكَيفَ أَلِجُ لَا يَتَذَنِّي عِنَانِي رَشَادُ الْعَزْمِ عَنْ غَيِّ الْجِمَاحِ (٤)  
وَمِنْ سِرِّ ابْنِ « عَبَّادٍ » دَلِيلٌ بِهِ بَانَ الْفَسَادُ مِنَ الصَّلَاحِ  
هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي بَرَّتْ فَسَّرَتْ خِلَالَ مِنْهُ طَاهِرَةُ النَّوَاحِي  
هُمْ أَمْ خَطٌ - بِالْهَمَمِ السَّوَامِي - مِنَ الْعَلَيَاءِ فِي الْخُطَطِ الْفِسَاحِ (٥)  
أَغْرَ إِذَا تَجَهَّمْ وَجْهُ دَهْرٍ تَبَلَّجَ فِيهِ كَالْقَمَرِ اللَّيَّاحِ (٦)

(١) لقد قلنا من الواشين حيلهم في الوقوف على مكتوم أسرارنا ، حتى أصبحنا نقنع بأن تكون أنفاس الرياح بربداً يحمل عنا رسائل الحب والغرام ، وقد أبدع ابن الرومي حيث يقول :  
« أحببناكم لي نحوكم من تحية أحملها هبات كل حبوب  
فلا تتركوا رد السلام إذا حرت شمال على نائي المحل قريب . »  
(٢) كثيراً ما أرخى الليل علينا سدوله ، فنبت في ظلامه عن الصباح إلى أن أسفر الصباح وقرب من هذا قول أبي تمام :

« رحن والليل قد أقام رواقاً فأقن الصباح به عموداً . »

(٣) لم تنعد نفسي في تلك الليلة التي نعت فيها بالحبيب حدود العفاف ، ولم تمل إلى ارتكاب ما يخالف طبيعة الحب البريء مما فيه إثم علينا وحناء ، وفي هذا المعنى يقول ابن المعتز :  
« كم قد خلوت بها وثالثنا التي يحمى على العطشان برد المورد . »

(٤) في هذا البيت والذي بعده تنغمس في المنح حيث يقول : كيف أُلج في الهوى ، وأتمادي في الهوى ، ولا يثنى عنان جامعي اعتزامي الرشيد ، في حال أن لي من سر « ابن عباد » وقوة نفسه دليل عرفت به الرشيد من الهوى ، والصلاح من الفساد .

(٥) خط : اختط الأرض وهو أن يعلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها لبيها ، والخطط : جمع خطة بكسر أولهما ، وهي الأرض التي يختطها لنفسه ليدى عليها .

(٦) اللياح : بكسر وفتح أوله الأبيض التلألؤ .

سَمِيعُ النَّصْرِ لِأَسْتَعْدَاءِ جَارِ  
ضَرَائِبُ جَهْمَةٍ - فِي الْعَتَبِ - تُثَلَّى  
إِذَا أَرَجَ الشَّنَاءُ الرَّوْعُ مِنْهَا  
هُوَ الْمُتَبَقِي مُلُوكِ الْأَرْضِ تَدْمَى  
رَأَهُ اللَّهُ أَجْوَدَ بِالْعَطَايَا  
وَأَفْرَسَ لِلْمَنَابِرِ وَالْمَذَاكِي  
وَأَمْتَعَهُمْ جَمِى عَرْضِ مَضُونِ  
فَرَّاضَ لَهُ الْوَرَى حَتَّى تَأَدَّتْ  
« لِمُعْتَصِدٍ » بِهِ أَرْضَاهُ سَغِيًّا  
فَمَنْ قَاسَ الْمُلُوكَ إِلَيْهِ جَهْلًا  
أَصَمُّ الْجُودِ عَنْ تَقْنِيدِ لَاحِ (١)  
بِأَخْلَاقِي لَدَى الْعُتْبَى مِلَاحِ (٢)  
فَكَمَ لِلْمِسْكِ عَنْهُ مِنْ أَفْتِضَاحِ  
قُلُوبِهِمْ كَأَفْوَاهِ الْجِرَاحِ  
وَأَطْمَعَنَ بِالْمَكَايِدِ وَالرَّمَاكِ  
وَأَبْنَى فِي الْبُرُودِ وَفِي السَّلَاحِ (٣)  
وَأَوْسَعَهُمْ ذُرًّا مَالٍ مُبَاحِ  
إِلَيْهِ إِتَاوَةٌ الْحَى الْقَاحِ (٤)  
فَأَقْبَلَ وَجْهَهُ وَجْهَ الْفَلَاحِ (٥)  
كَمَنْ قَاسَ النُّجُومَ إِلَى بَرَّاحِ (٦)

(١) الاستعداد : الاستعانة وطلب النصرة ، والتقنيد : اللوم وتصنيف الرأى ، ولاح : اسم فاعل من لحاه يلحاه إذا لامه وعذله .

(٢) ضرائب : سجايا وطبائع جمع ضريبة ، وجهمة : طابسة من جهمة إذا استقبله بوجه كريمة ، والعتبي : الرجوع إلى ما يرضى العائب . وفي المثل « لك العتبي ولا أعود » أى لك منى أن أعتبك أى أرسبك ولا أعود إلى ما يستعظك .

(٣) أفرس : أعمل تفصيل من الفراسة بالفتح والفروسة والفروسمية وهى الحذق بركوب الخيل ، وفى المثل : أفرس من ملاعب الأسنة ، وأفرس من طاهر ، وأفرس من بسطام ، والمذاكي : الخيل التى أتى عليها بعد تمام السن أى - بلوغها النهاية فى الشباب - سنة أو سنتان ، والمعنى أنه أحذق الملوك باعتلاء المنابر وركوب الخيل وأبهاهم لباسا ولبوسا فى السلم والحرب .

(٤) الاتاوة : الحراج وكل ما أخذ بكره أو فرض من أموال الجباية ، والحى القاح : فى اللسان قوم لقاح وحى لقاح لم يدينوا الملوك ولم يملكوا ولم يصبهم فى الجاهلية سباء أنشد ابن الأعرابي :

« امر أهلك والأبناء تنمى لنعم الحى فى الحسلى رباح

أبوا دين الملوك فهم لقاح إذا هيجوا إلى حرب أشاحوا . »

(٥) أقبل وجهه : من قولهم أقبلته الشيء أى جعلته يلى قبائله وجهته والمعنى أن سكان الحواضر والبوادي دانوا بالطاعة « لمعتصد » بالله أرضت مولاه مساعيه فأقبل الله وجهه وجه الفلاح أى جعل وجهه يستقبل جهة الفلاح : (٦) إلى أرض ظاهرة .

## وَمُعْتَقِدُ الرِّيَاسَةِ فِي سِوَاهُ كَمُعْتَقِدِ النُّبُوَّةِ فِي سَجَّاحٍ (١)

(١) هي « سجاح » بنت الحرث بن سويد بن عقمان التميمية ، وكانت تسكن الجزيرة في أخوالها من بني تلب ، فادعت النبوة وخرحت تريد غزو المدينة في عهد « أبي بكر » رضي الله عنه ، وحررت بينها وبين مسلمي قومها - من بني تميم - حروب انتهت بمجزها عما اعتزمت من الذهاب إلى المدينة لنزوها ، فاقبلت إلى اليمامة وتقاتلت مع مسيلة ، ثم رجعت إلى موطنها من بلاد الجزيرة وبقيت في أخوالها - من بني تلب - إلى أن قتلهم « معاوية » عام المجاعة : وجاءت معهم فأسلموا وأسلمت وحسن إسلامهم .

### حروب الردة وقصة سجاح ومسيلة

وقد كتب المؤرخ « دوزي » كلمة منه عن « سجاح » - « مسيلة » وعن حروب الردة في كتابه القيم : « تاريخ الإسلام » وقد نشرنا بعض أصوله في كتاب « مختارات كامل كيلاني » ، ونحن نحترق منه بما على : كان الوقت عصيباً ، وكانت الظروف غاية في الحرج ، فقد كان موت النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي كانت تقر به العرب منذ زمن طويل بفارغ الصبر مؤذناً بالثورة في كل مكان ، ولقد كنت ترى الثائرين - في حثا فحمت - راضين تلم الثورة والتمرد ، وقد رجحت كفتهم أيما رجحان حتى لقد طردوا رلائهم من بلادهم ، فلم يجد هؤلاء أمامهم ملجأ إلا المدينة ، فتقاطروا عليها من كل فج يحتمون بها من أذاهم . وكان لا يمر يوم حتى يفد على المدينة بعض الولاة والعامل المعرودين ، وأعدت القنائل الجائرة للمدينة عدتها لحصارها .

كيف يعارضهم « أبو بكر » وليس لديه حش محاربهم به بعد أن أرسل جيشه إلى سوريا ليفتحها تنفيذاً لأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - برغم حقيقة المسلمين الذين رأوا خطورة الحال ، فقد ألحوا عليه أن يمدد عن تنفيذ فكرة المتح حبيد ، فقال لهم : « ان أخالف ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ولو أصعبت المدينة نفسها نهياً للثائرين والمتردين ولا بد لي من تحقيق مشيئته ! »

ومن ثم ترى الخطر العظيم نادياً على أنه - على الحقيقة - خطر أقل مما تدل عليه ظواهره ، فان قوة الحضم الحقيقية لانقاس بما لديه من عترة ورجال بل بما عسده من قوة معنوية ، وبما يصبو إلى تحقيقه من غاية سامية يتطلع إليها ويخوض غمار الحرب من أجلها بأذلى سبيلها النفس والنفس .

فأما هي العاية التي يسعى إليها الثائرون ؟ وأي حائر يدفعهم إلى إضرار هذه الحرب ؟ أهو إيمان وثيق متوشح في أعماق قلوبهم كإيمانهم القديم الذي كانوا عليه قبل العتة ؟ لو كان ذلك لما كان ثمة شك في انتصارهم الحاسم !

ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، فانهم لا يحاربون الآن لينصروا دينهم القديم ويؤيدوه ، بل هم يشورون على دينهم الجديد لأنهم لا يطبقون احتمال .

وليس هذا بالسبب القوي الذي يلهب حماسهم ويحفزهم إلى الاتيان بمجالات الأعمال ، ولا هو بالسبب الذي يخلق البطولة والأبطال ، فقد كان رؤساء القبائل المتردة أنفسهم شاعرين كل الشهور بصعف قوتهم المعنوية ، ملجأهم إلى فكرة مسخيفة حسوا أنها تعيد إليهم تلك القوة ، فادعوا النبوة ! وخبل إليهم أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - لم ينتج إلا بهذه الفكرة فأرادوا تقليده .

ولكنهم نسوا أمراً واحداً - هو سر نجاحه في بث دعوته - ذلك أنه كان مؤمناً بما يدعي إله إيمان المستيقن الجازم . وهذا هو الذي يعوزهم وينيره لايتم نجاح .

## أُبْحِرَ الْجُودِ - فِي يَوْمِ الْمَطَايَا - وَلَيْتَ الْبَاسِ فِي يَوْمِ الْكِفَاحِ

وكانت تلك الثورة الهائلة وتلك الحرب الشعواء - على ما أريق فيها من دماء غريرة إذا قورفت بما أقام المسلمون في غزواتهم التي عز بها الاسلام - ظاهرة سحيمة مصحكة ، يتمثل فيها الانسان - غير قصد - كيف قبلوا تمثيل هذه الرواية الجدية - التي مثلها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه - مهزلة وعيباً ؟ ألا ترى إلى مسيلة لدى مثل دور النبي صلى الله عليه وسلم في اليمامة ؟ ألا ترى إلى ذلك الدجال السوقى النفس ، ذلك المشمود السمح الذي لا يصلح لغير التدجيل وإدخال بيعة في زجاجة ضيقة الفوهة ؟ ألا ترى إليه ينشئ قرآناً سحيفاً يقلد به محمداً - صلى الله عليه وسلم - ثم يرخص لأتباعه في شرب الخمر أنى شاءوا ، ولا يكاد يدرى دعوته حتى يصادفه سوء الحظ فتحاصره « سجاح » وتنازعه السوء ؟

أما « سجاح » هذه فقد كانت مسيحية نشأت في « بلاد النهرين » وجاءت تبث الدعوة لنفسها - على رأس جيش عظيم فنادا يصنع مسيلة ؟ ليس أمامه إلا أن يلجأ إلى طريق المسالمة - وقد فعل - فأرسل إليها هدايا فاخرة ودعاهها إلى عاداته ، وطال بينهما الحوار .

ولما عادت « سجاح » إلى قومها سألوها عن رأيها في « مسيلة » فقال لهم - :

« لقد رأيته نبياً حقاً فتزوج منه 1 »

سألتها التميميون - : « هل أهدى إلينا شيئاً من مهر الزواج ؟ » فقالت : « لا » فقالوا لها - :

« طار علينا أن تزوج بيتنا بلا مهر 1 ولن تقبل ذلك بحال ما 1 »

فأرسلت إليه بذلك - وكان « مسيلة » حائماً متحصناً - فلما جاءه الرسول لم يأذن له حتى عرف العرض الذي جاء من أحد فاضماً إليه وقال له :

« عد إلى قومك فأخبرهم أن « مسيلة بن حبيب » رسول الله قد رفع عن التميميين - من الصلوات الخمس - صلاة الصبح والعشاء »

واقعد فرح التميميون بذلك وطلوا يتبعونه حتى بعد أن طادوا إلى الاسلام من حديد .

\*\*\*

ومن ثم ترى أن هؤلاء النافرين ليس لهم عقيدة جدية يدافعون عنها ، فلاغرو إذا قهرهم رجل كأبي بكر وثيق اليمين قوى الارادة صلب العزيمة لا يعرف هوادة في إرغام أنوبهم ولا رحمة 1

ولو شاء أبو بكر أن يبادم لتنازل لهم عن قليل من مطالبه فكسب بذلك مساعدة كثير من القبائل - أو سجن جادهم على الأقل - فقد وعدوه بالمواظبة على إقامة الصلاة المفروضة عليهم على شريطة أن يعفيهم من إنشاء الركعة ، ونصحه أعيان المسلمين أن يقبل ذلك منهم مرفض رأيهم بإباء شديد ، وقال لهم :

« إن الاسلام قانون واحد لا يتجزأ ، وليس لأحد أن يأخذ ببعضه ويرفض البعض الآخر . »

وندا كان هذا الاصرار الحازم وذلك الحقد الشديد - على أهل الردة - سبباً في منحه قوة أكثر مما تصوره .

\*\*\*

ولم يكف ينتهي من إخضاع القبائل المجاورة له حتى بدأ يهاجم « طليحة » الذي كان بطلام قبل وقد جاء يدعى الخيوة كعيره ثم جبن عن دخول المعركة فظل يرقب الحرب - وهو بعيد عن الميدان - مدثراً في عباءته

## لَقَدْ سَفَرْتَ بِعِلَّتِكَ الْيَاكِلِي لَنَا عَنْ وَجْهِ حَادِثَةٍ وَقَاحٍ (١)

كأنما يؤمل أن ينزل وحى من السماء أو تحدث معجزة خارقة ، وقد لبث زمناً طويلاً ثم وقعت المعجزة — إذ بدأت تنهرم قبيلته أشع انهرام — وحينئذ صاح في جنده « اخذوا حذوى إن استطعتم . » ثم امتدلى جواده وأطلق له العنان وأمن في مراره .

\*\*\*

وكانت تلك المعركة التي اصطلاها المسلمون معركة مروعة ماثلة ، وفي الحق أن الدماء التي أريقَت في هذه الحرب كانت أكثر مما أريق في تلك الحروب الفاحشة التي نشبت — فيما بعد — بين المسلمين والفرس ، ثم بين المسلمين والامبراطورية الرومانية ، وقد اقترَف العرب من المظالم في هذه الحرب « حرب الردة » شنعاً لم يعرفها الاسلام قط . مكابوا إذا انهزم العدو تقبوه ونكسوا به . لأن الردة حراؤها القتل ، لا هودة في ذلك ولا رحمة ، وقد بعث أبو بكر إلى خالد يأمره بقوله — :  
« عليك بإبادة الكفر بالحديد والبار ، ولا تأخذك رحمة بهم قط »

\*\*\*

ولقد انهزم أصحاب « مسيلة » — وكان عددهم زهاء عشرة آلاف مقاتل — ومروهم المسلمون شرَّ ممرق ، وغرقت بلاد العرب كلها في الدماء !

ولكن الاسلام قد خرج من تلك المأزق — الناشئة في كل مكان — مؤيداً منصوراً ، ودان به العرب بعد ذلك . — طوعاً أو كرهاً — فقد أقامهم خذلانهم بوجود الاعتراف بالدين الاسلامي ، إن لم يكن اعتراف المستيقن للمؤمن فاعتراف الحائب الذي يعرف قوة هذا الدين العظيمة التي لا تحدى معها أية مقاومة .  
بعد النصر

ولم يكد يتم انتصار أبي بكر حتى وحى هؤلاء البدو الغامضين إلى الدماء ، إلى مهاجمة فارس : الامبراطورية الرومانية ، وهذا العمل — عند من ينظر إلى ظواهر الأمور وحدها — حراً وتهوراً ، ولكنه — على الحقيقة — رذالة وتغل .

ولأنما سار أبو بكر في هذا على خطة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يتبعها ، وحى أن يشل العرب عن التفكير في خصومهم ولا يدع لهم وقتاً كافياً لذلك ، وقد رأى أن خير ما يربطهم بالاسلام لا يكون إلا عن طريق الفتح والانتصارات الحربية وما يجره ذلك من العناء .

\*\*\*

وهكذا انتهت حروب الردة ولم تقم للمرتدين بسد مأزقهم ، فقد كان عقاب الردة اقْتِل ، ومن هنا تظاهر الناس بالاسلام ووقفوا عند هذا الحد .

ومن — إذا استنبينا صفوة المسلمين ونواتهم المؤلفة من المهاجرين والأنصار وبعض من يمتثل إليهم بسبب — لم نجد بعد ذلك من يعرف القرآن وتعاليمه إلا عدداً ضئيلاً في القلة . أما العرب الذين استوطنوا أفريقيا فقد ظلوا — حتى بعد مضي قرن من الهجرة — لا يعرفون من الاسلام أكثر من أنه دين أنى بتحريم الخمر . أما أولئك الذين استوطنوا مصر فأنهم ما تحدثوا عن الاسلام أو شعلوا به أنفسهم قط . وكانوا لا يدركون إلا أيام الوثنية وعهودها الظلمة بالشاء والحسين .

(١) وقاح : صلبة الوجه لحياء فيها ، يقال رجل وقيح الوجه ووقاح الوجه صلبه لحياء فيه ، والآتي وقاح بغير هاء .

أَلَسْتُ مُصِحِّهَا مِنْ كُلِّ دَاءٍ ؟ وَمُبْدِي حُسْنِ أَوْجُهِهَا الصَّبَاحِ  
وَلَوْ كَشَفْتُ - عَنِ الصَّفَحَاتِ - شَامَتِ بُرُوقَ الْمَوْتِ مِنْ بَيْضِ الصَّفَاحِ (١)

\*\*\*

وَقَالَ اللَّهُ مَا تَخْشَى وَوَالِيَّ عَلَيْكَ بِصُنْعِهِ الْمُغْدَى الْمَرَّاحِ (٢)  
فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ سَوَّغَتْهَا تَجَارَتَهَا الْمِلْثَةَ بِالرَّجَاحِ  
تَجَافَيْنَا عَيْدَكَ عَنْ نُفُوسِ - عَلَيْكَ مِنَ الضَّنَى - حَرَى شِحَاحِ (٣)  
شَهْنَأُ فِيكَ بِالْبُرءِ الْمُؤَفَّى وَتُبْهِجُ مِنْكَ بِالْأَلَمِ الْمَزَاحِ

\*\*\*

فَدَيْتُكَ كَمْ لِعَيْنِي مِنْ سُمُورٍ - لَدَيْكَ - وَكَمْ لِنَفْسِي مِنْ طَمَاحِ  
أَلَا هَلْ جَاءَ مَنْ قَارَقْتُ أَنَّى بِسَاحَاتِ الْمُنَى رَفْلُ الْمَرَّاحِ (٤)  
وَأَنَّى - مِنْ ظِلَالِكَ - فِي زَمَانٍ نَدَى الْأَصَالِ رَقْرَاقِ الضَّوَاحِ  
تُحَيِّنِي بِرِيحِكَ التَّحَفِّي وَتُصْبِحُنِي مُعْتَقَةً السَّمَاحِ (٥)  
فَهَا أَنَا قَدْ نَمَلْتُ مِنَ الْأَيَادِي إِذْ اتَّصَلَ اغْتِيَابِي فِي أَصْطِبَاحِي

(١) لو كشف هذه الليالي ، وأبدت عن صفحة الشر والعداء لثام سيوف بأس المدوح تلمع يبروق موت وهلاك تلك الليالي التي فاحتنا بمرضه ، بعد أن أحبها من كل داء وخلع عليها من الرواء والحسن أبهى رداء .

(٢) وقال الله ما تخشى من عارض المرض وعصبك من كل محذور ومخوف ، وتعمدك بمجمل صنعه المغدى المراح أى الذى يجعله يسدو عليك فى أوله النهار ، ويروح فى آخره ، فلا يفبك صديقه ، ولا يتخلف عنك لإحسانه .

(٣) الضنى : السقم ، وحرى : عطشى ، وشحاح : جمع شحيحة من الشح وهو البخل .

(٤) الرفل : جر الدبل وركضه بالرجل ، يقول : ألا هل أنى من فارقت من فتيان « قرطبة » أنى أجر ذيل مرج وأرغل فى ثياب النعمة وغضارة العيش .

(٥) التحفى : الحفاوة ، والسماح : الجود .



فَإِنْ أَعْجَزَ فَإِنَّ النُّصْحَ ثَقِفْ      وَإِنْ أَشْكُرْ فَإِنَّ الشُّكْرَ صَاحِ  
لِمَا كَسَبْتَ قَدَرِي مِنْ سَنَاءِ      وَمَا لَقَيْتَ سَعْيِي مِنْ نَجَاحِ

\*\*\*

لَقَدْ أَنْفَذْتَ - فِي الْأَمَالِ - حُكْمِي      وَأَجْرَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى اقْتِرَاحِي  
وَهَلْ أَخْشَى وَقُوعًا - دُونَ حَظِّ -      إِذَا مَا أَثَّ رِيشُكَ مِنْ جَنَاحِي  
فَمَا أَسْتَسْقِيْتُ مِنْ غَيْمِ جَهَامِ      وَلَا أَسْتَرْوَيْتُ مِنْ زَنْدِ شِحَاحِ  
وَوَاصَ - لَنِي جَمِيلُكَ - فِي مَغْيِبِي -      وَطَالَعَنِي نَدَاكَ مَعَ اقْتِرَاحِي  
وَلَمْ أَنْفَكْ - إِذْ عَدَّتِ الْعَوَادِي -      إِلَيْكَ رَهْنِ شَوْقِي وَالتِّيَاحِ  
فَحَسَنِي أَنْتَ - مِنْ مُسَدِّ لِنُعْمَى -      وَحَسْبُكَ بِي بِشُكْرِي وَامْتِدَاحِ

## هدية تفاح

« وأهدى إليه تفاحا وأراد أن يكتب معه قطعة ،  
فدأ بها ثم عرض له غيرها فتركها . »

دُونَكَ الرَّاحَ جَامِدَةً      وَفَدْتَ خَيْرَ وَافِدَةٍ  
وَجَدْتَ سُوقَ ذَوْبِهَا      - عِنْدَ تَقْوَاكَ - كَاسِدَةً  
فَاسْتَحَالَتْ إِلَى الْجُمُودِ      دِ وَجَاءَتْ مُكَايِدَةً

والقطعة التي بعثت هي هذه

جَاءَتْكَ وَافِدَةُ الشَّمُولِ      فِي الْمَنْظَرِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ  
لَمْ تَحْظَ ذَائِبَةً لَدَيْكَ      وَلَمْ تَنْلِ حَظَّ الْقَبُولِ

فَتَجَامَدَتْ مُحْتَاكَةً وَالْمَرْءُ يَعْجَزُ لَا الْحَوِيلَ<sup>(١)</sup>  
لَوْلَا انْقِلَابُ الْعَيْنِ سُدَّتْ دُونَ بُغْيَتِهَا السَّبِيلَ<sup>(٢)</sup>  
لَهَجَرَتْهَا صَفَرَاءُ فِي بَيْضَاءَ هَاجِرُهَا قَلِيلَ  
الْكَأْسُ مِنْ رَأْدِ الضَّحَى وَالرَّاحُ مِنْ طَفَلِ الْأَصِيلِ  
آثَرَتْ عَائِدَةَ الثُّقَى وَرَغِبْتَ فِي الْأَجْرِ الْجَزِيلِ  
يَأَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي مَا فِي الْمُلُوكِ لَهُ عَدِيلُ<sup>❦</sup>  
يَا مَاءَ مِزْنٍ ، يَا شَهَا بَ دُجْنَةٍ<sup>(٣)</sup> ، يَا لَيْتَ غِيلِ  
يَا مَنْ عَجِبْنَا أَنْ يَجُوءَ دَ عِثْلِهِ الزَّمَنُ الْبَخِيلِ  
بُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةٌ فِي ظِلِّ إِقْبَالِ ظَلِيلِ  
رَقَّتْ كَمَا سَالَ الْعِذَا رُ بِحَايِبِ الْخَدِّ الْأَسِيلِ  
وَتَأَوَّدَتْ كَالْعُصْنِ قَا بَلَّ عِطْفَهُ نَفْسُ الْقَبُولِ<sup>(٤)</sup>  
يُضَيِّ مُقْبَلُهَا الشَّهْيُ وَلَحْظُهَا السَّاجِي الْعَلِيلِ  
فَتَمَلَّهَا<sup>(٥)</sup> فِي الْعِزَّةِ الْقَعَمَسَاءَ وَالْعُمُرِ الطَّوِيلِ

(١) الحويل : الحيلة ، يقال : احتال احتيالا وحولا وحيلة وحويلا ومخاللة ، قال دؤاد يمايب زوجته :

« حازلت — بين صرمتي — والمرء به — حر لا المخال  
والدهر يلمب نالف — قى والدهر أروغ من ثاله  
والمرء يكسب ماله بالشح ، يورثه الكلاله . »

وفي المثل المشهور : « المرء يعجز لا المخاللة » أو « لا المخاللة » في رواية أخرى ، أي لا تصيق بخارج الأمور إلا على الماهر الذي لا يعرف وجوه الخيل . ويقال : احتال وتحيل وتحول ، قال أبو الملاء :  
« لا يعجبك خطيب — فام في ملا بخطبة — ذات معناها وطولها  
فالمطبات — وإن راعب — سوى حيل — من ذى مقال على ناس تحولها . »

(٢) يقول : لولا انقلاب عينها من ذائبة إلى جامدة اسدت دون ما تنويه من إهداء نفسمها إليك السبيل لأنك لا تبيح لها أن تزور مجلسك وهي ذائبة . (٣) يقال يوم دجنة ، والدجنة : الظلمة والقيم المطبق الريان المظلم لا مطربه . يقول : إليك نور تبدد الدياحى والطللمات .

(٤) القبول : ربح العبا ، قالوا وذلك بأنها تقابل الدبور . (٥) رانم بها .

## شكر على زيارة

« قال يشكر المعتمد على الله أبا القاسم محمد  
ابن المعتض بالله عباد بن محمد بن عباد ، وقد  
شرفه بالعبادة في بعض عله . »

لَسْتُ بِالْجَاحِدِ آلاءَ الْعِلَلِ أَجْتَلِي - مِنْ أَجْلِهَا - بَذَرَ الْعَلَا  
حُلَّةَ الْبَسِّ عَيْنِي فَخَرَهَا  
رَفَّ بِشَرِّ الْأَفْقِ فِي عَيْنِي لَهَا  
مَا أَبَالِي مِنْ زَمَانِي بَعْدَهَا  
كَمْ لَهَا مِنْ أَلَمٍ يُذْنِي الْأَمَلِ  
مُشْرِقًا فِي مَنْزِلِي حِينَ كَمَلِ  
فَاغْتَدَّتْ تَرْفُلُ فِي أَبْهَى الْحُلَلِ  
لَا لِأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ فِي الْحَمَلِ (١)  
إِذَا صَحَّ النَّفْسَ - إِنْ جِسْمِي أَعْلَ (٢)

أَيُّهَا الْمَوْلَى لَقَدْ حُمِلْتُ مَا  
وَضَحَّ الطُّوقُ الَّذِي حَلَّيْتَنِي  
أَنَا لَوْ طَوَّقْتُ مِنْهُ بَدَلًا  
كَمْ مَرَادِي - مِنْ نَعْمَائِكُمْ -  
لَا تَزَلْ دَوْلَتُكُمْ مَبْسُوطَةً  
وَرَأَى الْمُتَضِيعُ الْمَنْصُورُ مَا  
فَسَلَقَاهُ اللَّيَالِي طَلَمَةً  
لَمْ يَدْعُ فِي وَسْعِ عَبْدٍ مُحْتَمَلِ  
فَتَرَاءَتْهُ نَفُوسٌ لَا مُقَلَّ (٣)  
أَنْجُمَ الْجَوَازِ لَمْ أَرْضَ الْبَدَلِ  
وَارِفَ الظِّلِّ وَكَمْ وَرَدٍ عَلَلِ (٤)  
بَسْطَةً فِي طَيْهَا قَبْضُ الدُّوَلِ  
أَنْبَأَتْهُ فَيْكَ لَيْتَ أَوْ لَعَلَّ  
بِتَفَارِيقِ أَمَانِيهِ جَمَلِ (٥)

- (١) الحمل : برج في السماء من البروج الربيعية ، يقول إن الألق أشرق بنوره وازدان بيهاته لا يباه  
الشمس التي حلت في برج الحمل .  
(٢) يقول : لا أبالي بعد أن صحت نفسي بزيارته وتشريفه منزلي إن أرض الدهر حسمى .  
(٣) يقول : إن إحسانك الذي طوَّقْتُ به عني قد وضع للهوس لا للعيون . وفي الأصل : تماءته من  
مأى في الشيء يعأى مأيا بالغ وتماهى الحشد إذا مددته ، وقد سبق له هذا المعنى في قوله :  
« يا هلالا تترأءا » نفوس لا عيون . انظر صفحة ٣٩ .  
(٤) العلل : الشرب الثاني ويقال علل بعد نهل أي شرب ثمان بعد شرب أول أي أنه ورد حياض كرمه  
مرة بعد أخرى . (٥) أي سبيله الدهر جملة أمانيه المنفرقة فلا يدع منها شيئا إلا حققه له .

## تهنئة

« وقال يهيه أيده الله بقدم وإبلال » .

إَقْدَمَ كَمَا قَدِمَ الرَّيْسُ الْبَا كِرُ  
قَسَمًا لَقَدْ وَفَى الْمُنَى وَتَنَى الْأَسَى  
لِيُسَرَّ مُكْتَتِبٌ وَيُعْفَى سَاهِرُ  
قَفَلٌ وَإِبْلَالٌ - عَقِيبَ مُطِيفَةٍ -  
إِنْ أَعْنَتَ الْجِسْمَ الْمَكْرَمَ وَغَسَّكُمَا  
مَا كَانَ إِلَّا كَأَنْجِلَاءِ غِيَابَةٍ  
فَلْتَعُدُّ أَلْسِنَةُ الْإِنَامِ وَدَأْبُهَا  
إِنْ كَانَ أَسْعَدَ - مِنْ وَصُولِكَ - طَالِعُ  
أَضْحَى الزَّمَانِ نَهَارُهُ كَافُورَةٌ  
قَدْ كَانَ هَجَرِي الشَّعْرَ - قَبْلُ - صَرِيعةً (١)  
حَتَّى إِذَا آنَسْتُ أَوْبَكَ بَارِئًا  
عَى قَلْبَتِ إِلَى الْبَلَاغَةِ عِيَّةُ  
لَقَعْتَ ذَهْنِي ، فَأَجْنِ غَضَّ عِمَارِهِ

وَأَطْلَعُ كَمَا طَلَعَ الصَّبَاحُ الزَّاهِرُ  
مَنْ أَقْدَمَ الْبُشْرَى بِأَنْتَكَ صَادِرُ  
وَيَرَّاحَ مَرْتَقِبٌ وَيُوفِي نَازِرُ  
غَشِيَتْ كَمَا غَشَى السَّبِيلَ الْعَابِرُ (٢)  
فَلَرُبَّمَا وَعِكَ الْهَزَبُ الْخَادِرُ (٣)  
لَيْسَ الْفِرْدَوْسُ نَدْبَهَا الْحُسَامُ الْبَاتِرُ (٤)  
شُكْرُ الْمُجَادِبَةِ الْخَطِيبِ الشَّاعِرِ  
فَكَذَلِكَ أَيْمَنْ مِنْ قُفُولِكَ (٥) طَارُ  
وَاللَّيْلُ مِسْكٌ - مِنْ خِلَالِكَ - عَاطِرُ  
حَذَرِي لِدَاكَ النِّقْدَ فِيهَا عَازِرُ  
صَفَتِ الْقَرِيحَةَ وَأَسْتَنَارَ الْخَاطِرُ (٦)  
لَوْ لَا ثِقَاكَ لَقُلْتُ : إِنَّكَ سَاحِرُ (٧)  
فَالْتَحَلُّ يُحَرِّزُ مُجْتَنَاءَهُ الْآبِرُ (٨)

(١) يقول : قدوم من السر ، وإبلال من المرض عقيب علة أطاب بك وغشيتك غشيان طار سابل .  
(٢) الوعك : الحمى أو ألمها والموعوك المصوم ، والخادر : الفاتر الكسلان ، والأسد الخادر : المقيم في خدره أي الذي لزم عرينه . (٣) يقول : لم يكن المرض إلا فترة طاد بعدها الحسام إلى حالته وروقه .  
(٤) وحولك . (٥) الصريعة : المزينة ، يقال : « هو رجل ذو صريعة وصرائم » أي ذو صريعة ، يقول : إني هجرت قبل قدومك الشعر هجرًا صارمًا فاطمأ ، وعذري في ذلك واضح وهو ما كنت أحذره من ذلك النقد الذي يتعرض له شعري ، أما الآن فقد صفت القرية لأوبتك بارئًا . (٦) يقول كنت اعتزمت هجرًا بشعر حتى إذ آنس خاطري لما بك من سمرك صفت قريحتي وشجدة فكري ففتحت أمامي طرق الشعر .  
(٧) يقول إنك ألهمت العبي بالبيان فعاد بليما ولولا أمك تقي لانهمتك بالسحر في ذلك . وفي الأصل : « عي رددت إلى البلاغة عينه . »  
(٨) يقال لفح السخلة وألفحها وألفح الفحل النافع أحبلها ، وألقت الرمح الشجر والسحاب أحلتها ، والواقع من الرياح : التي تحمل الندى ثم تنجم في السحاب فاذ اجتمع في السحاب صار مطرًا ، يقول إنك : لفحت ذهني - كما يلقح الزارع السخلة - فأني بأحسن الثمر وأشبهه ، فأنت أحق باجتناء الثمر لأنك فارسه ومعهده .

(٨) يقال لفح السخلة وألفحها وألفح الفحل النافع أحبلها ، وألقت الرمح الشجر والسحاب أحلتها ، والواقع من الرياح : التي تحمل الندى ثم تنجم في السحاب فاذ اجتمع في السحاب صار مطرًا ، يقول إنك : لفحت ذهني - كما يلقح الزارع السخلة - فأني بأحسن الثمر وأشبهه ، فأنت أحق باجتناء الثمر لأنك فارسه ومعهده .

كَمْ قَدْ شَكَرْتُكَ - غِيبَ ذِكْرِكَ - فَأَنْتَشْنِي مُتَذَكِّرٌ مِنِّي وَغَرَّدَ شَاكِرٌ (١)  
يَأْيَاهَا الْمَلِكُ الَّذِي عَلَيَاؤُهُ \* \* \* مَثَلٌ - تَنَاقَلَهُ اللَّيَالِي - سَائِرُ  
يَا مَنْ لِبَرَقِ الْبَشْرِ مِنْهُ تَهَلَّلُ مَا شِيمَ إِلَّا أَنْهَلَ جُودُ هَامِرُ  
أَنْتَ ابْنُ مَنْ مَجَّدَ الْمُلُوكَ ، فَإِنْ يَكُنْ لِلْمَجْدِ عَيْنٌ فَهُوَ مِنْهَا نَاطِرُ  
مَلِكٌ أَعْرَأُ أَزْدَانَتِ الدُّنْيَا بِهِ وَأَعَزَّ دِينَ اللَّهِ مِنْهُ نَاصِرُ  
أَبْنَاكَ فِي ثَبَجِ الْمَجْرَةِ قُبْسَةٌ فَهَنَّاكَ أَنْكَ لِلنُّجُومِ مُخَاصِرُ (٢)  
وَتَلَقَّ - مِنْ سِمَتِكَ - صِدْقَ تَفَاوُلِي فَهَمَّا « الْمُوَيْدُ » بِالْإِلَهِ « الظَّافِرُ » (٣)

### ابتداء قصيد

« وقال ابتداء قصيد اعتقد إنفاذه إليه وقد طالت  
غيبته في بعض أسفاره ولم يكلمه . »

سَأَهْدِي النَّفْسَ فِي نَفْسِ الشَّمَالِ فَقَدْ لَفَحَ التَّشْوِيقُ عَنْ خِيَالِ  
إِلَى الشَّيْنِ الْعَزَائِمِ - إِنْ أُثِيرَتْ حَفِيزَتُهُ - إِلَى اللَّذَنِ الْخِلَالِ (٤)  
إِلَى الْوَضَّاحِ آثَارَ الْمَسَاعِي إِلَى النَّفَّاحِ أَخْبَارَ الْمَعَالِي  
إِلَى مَلِكٍ هُوَ الْمَعْنَى الْمُجَلَّى بِهِ الْإِشْكَالُ مِنْ لَفْظِ الْكَمَالِ  
إِلَى مَنْ لَا مَثِيلَ لَهُ إِذَا مَا بَدَأَ فِي السَّرَجِ أَوْ فَوْقَ الْمِثَالِ  
هَدِيَّةٌ مِنْ - لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ سَنَى مُنَاهُ - هَدَى إِلَيْكَ سُرَى الْخِيَالِ  
فَكَمْ بَوَّأَتْنِي سَاحَاتٍ نَعْمَى عَذَابِ الْوَرْدِ وَارِفَةِ الظَّلَالِ

(١) يقول ما شكرتك عقب ذكراك إلا تملك من نشوة المرح وغردت بالثناء عليك . وفي الأصل :  
« وعربد شاكر . » (٢) ثبج المجرة وسطها أو أعلا مكان فيها ، وتخاصر : أى تمشى إلى جنبها ،  
يقول : « لقد بنى لك أبوك قبة في ذروة المجرة فهيننا لك هذا المقام الرفيع الذى تخاصر فيه الجيوم في عليائها . »  
(٣) يقول : ثقي بتفاؤلي فيك فسيحقق الله صدق لفيك وهما المؤيد والمنصور فيؤيدك وينصرك على أعدائك .  
(٤) إلى ذى العزيمة القوية إن هاجه مثير والخلال المرضية السمعة إذا لاینه سالم ، ودريب من هذا  
قول ابن دريد :

« سهل إذا لونت لدن معطى أوى - إذا خوشفت - مرهوب الشذا . »

## إلى أبي القاسم

« كتب إلى أبي القاسم بن رفق »

عِذْرِي<sup>(١)</sup> - إِنْ عَذَلْتِ فِي خَلْعِ عِذْرِي<sup>(٢)</sup> - غُصْنٌ أَثْمَرَتْ ذُرَاهُ يَبْدُرُ<sup>(٣)</sup>  
 هَزَّ مِنْهُ الصَّبَا فَقَوَّمَ شَطْرًا - وَتَجَافَى - عَنِ الْوِشَاحِ - بِشَطْرِ  
 رَشَاءٍ أَقْصَدَ<sup>(٤)</sup> الْجَوَانِحَ قَصْدًا - عَنْ جُفُونِ كَحْلَنَ - عَمْدًا - بِسِحْرِ  
 كُسَى الْحُسْنِ فَهَوَّ يَفْتَنُ فِيهِ - سَاحِبًا ذَيْلَ بُرْدِهِ الْمُسَبِّكَرِ<sup>(٥)</sup>  
 تَحْتَ ظِلِّ - مِنَ الْعَرَاةِ - فِينَا - نَ وَوُزْقٍ<sup>(٦)</sup> مِنَ الشَّبِيبَةِ نُضْرٍ  
 أَبْرَزَ الْجِيدَ فِي غَلَائِلَ بِيضٍ - وَجَلَا الْخَدَّ فِي مَجَاسِدِ مُحَرِّ<sup>(٧)</sup>  
 وَتَمَثَّتْ بِعِطْفِهِ - إِذْ تَهَادَى - خَطَرَةٌ تَمْرُجُ الدَّلَالِ بِكِبَرِ  
 زَارِنِي - بَعْدَ هَجْعَةٍ - وَالْثَرَيَّا - رَاحَةٌ تَقْدِرُ<sup>(٨)</sup> الظَّلَامَ بِشِيرِ  
 وَالْدُّجَا - مِنْ نُجُومِهِ - فِي عُقُودِ - يَتَلَأْلَأَنَّ مِنْ سَمَاكِ وَنَسْرِ  
 تَحْسَبُ الْأَفُقَ يَبْنِيهَا لَا زَوْدًا - مُثَرَّتْ - فَوْقَهُ - دَنَانِيرُ تَبْرِ  
 فَرَشَفْتُ الرُّضَابَ أَعَذَّبَ رَشْفٍ - وَهَصَرْتُ الْقَضِيبَ الْطَفَ هَصْرِ

(١) عذر - جمع عذرة بالكسر - أى معاذير . (٢) عذر : بضم أوله وثانيه جمع عذار وهو

الحياء ، وخلق العذار أى ترك الحياء .

(٣) يقول لاني إذا خلعت عذارى فى الهوى فان معاذيرى واضحة فقد فتنى قوامه المياد الذى يشبه الفصن

ووجهه المضى كالدر . (٤) يقال أقصد فلانا : طعنه فلم يخطئه .

(٥) المسبكر : المسترسل ، والمسبكر كل شىء امتد وطال .

(٦) الورق الخائم الذى يضرب لونها إلى خضرة ، قال جرير العود :

« وكان فؤادى قد صماء ثم هاجنى حاتم ورق بالمدينة هتف . »

(٧) المجاسد - جمع مجسد - وهو الفميس الذى يلى البدن ، قال ابن الأعرابى : « ولا تخرجن إلى

(٨) تقيس .

المساجد بالمجاسد »

وَنَعِمْنَا بِلَفِّ جِسْمٍ بِجِسْمٍ - لِلتَّصَافِي - وَقَرْنِ تَغْرِ بِشَغْرِ  
يَالَهَا ! لَيْسَ لَكَ تَجَلَّى دُجَاهَا - مِنْ سَنَا وَجَنَّتِيهِ - عَنْ ضَوْءِ نَجْرِ  
قَصَرَ الْوَصْلُ عُمرَهَا، وَبُودَى أَنْ يَطُولَ الْقَصِيرُ مِنْهَا بِعُمَرَى

\*\*\*

مَنْ عَذِيرِي مِنْ رَيْبِ دَهْرٍ خَثُونِ - كُلَّ يَوْمٍ - أُرَاعُ مِنْهُ بِغَدْرِ  
كُلَّمَا قُلْتُ : « حَاكَ فِيهِ مَلَامِي » نَهَسْتَنِي مِنْهُ عَقَارِبُ تَسْرِي (١)  
وَتَرْتَنِي خُطُوبُهُ فِي صَفِيٍّ فَاضِلٍ نَابِهٍ - مِنْ الدَّهْرِ - وَتَرِ (٢)  
بَانَ عَنِّي - وَكَانَ رَوْضَةً عَيْنِي - فَعَدَا الْيَوْمَ وَهَوْرَ وَضَةٍ فِكْرِي (٣)  
فَكَهْ يُبْهِجُ الْخَلِيلَ بِوَجْهِهِ تَرِدُ الْعَيْنُ مِنْهُ يَنْبُوعَ بَشْرِ  
لَوْ ذَعِي - إِنْ يَيْلُهُ الْخَبْرُ يَوْمًا - أُخْجَلَ الْوَرْدَ عَنْ خَلَائِقَ زُهِرٍ  
وَإِذَا غَاظَلَتْهُ مُقْلَةٌ طَرَفٍ كَادَ مِنْ رِقَّةٍ يَذُوبُ - فَيَجْرِي (٤)

\*\*\*

يَا « أَبَا الْقَاسِمِ » الَّذِي كَانَ رِدْثِي وَظَهِيرِي - عَلَى الزَّمَانِ - وَذُخْرِي

(١) حاك : رشح أو أثر فيه ، ونهستني : عصتني ، يقول : « كلما قلت إن زمانى قد اراعوى وأثر فيه صناعى ظهر لى خطئى فى ظنى وعصتني تقارب لوم تدب إلى وتسرى فى الظلام من عقارب دهرى » ولله درّ أبوالملاء إذ يقول فى الزمن :

« وَغِيظَ بَنُوهُ هَمْ ، وَغِيظَ مِنْهُمْ فَعَسَى ذَبْ سَاكِنِيهِ وَهَمْ دَبُوهُ »

وما يخشى الوعى - د فبوعدوه ولا يرعى العتاب فيعتبوه

أساء - بجهله - أدبا عليهم فهل من حيلة فيؤدّبوه .

(٢) وتر : فذ . (٣) كنت أراه ألامى فتنعم به عيناى واليوم لا أراه - بعد نأيه - فأصبح

ينعم خاطرى بذكره .

(٤) يقول إنه كاد من رِقَّةٍ يسيل . وقريب من هذا المعنى قول ابن الرومى :

« أَيْضِيْمِنِي غَدَتِ الشَّمَائِلُ - لَوْضًا عَنْهُ غَلَاتِهِ - حَسَاهُ الْحَاسِي . »

يَا أَحَقَّ الْوَرَى بِمَمْنُوحٍ إِخْلَا صِي وَأَوْلَاهُمْ بِغَايَةِ شُكْرِي  
طَرَقَ الدَّهْرُ سَاحَتِي - مِنْ تَنَائِيكَ - بِجَهْمٍ مِنَ الْحَوَادِثِ نُكْرِي

\*\*\*

لَيْتَ شِعْرِي ! وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ بِمُجْدٍ عَلَى الْفَتَى : «لَيْتَ شِعْرِي»<sup>(١)</sup>  
هَلْ لِحَالِي زَمَانًا مِنْ رُجُوعٍ ؟ أَمْ لِمَاضِي زَمَانًا مِنْ مَكْرٍ ؟

\*\*\*

أَيْنَ أَيَّامُنَا وَأَيْنَ لَيَالٍ	كَرِيَاضٍ لَيْسَنَ أَفْوَافَ زَهْرٍ
وَزَمَانٌ كَأَنَّمَا دَبَّ فِيهِ	وَسَنٌ أَوْ هَفَا بِهِ فَرَطُ سُكْرٍ
حِينَ نَعْدُو إِلَى جَدَاوِلِ زُرْقٍ	يَتَغَلَّغَلْنَ فِي حَادَائِقِ خُضْرِ
فِي هِضَابٍ - مَجْلُوءَةِ الْحُسْنِ - مُخْرِ	وَبَوَادٍ - مَضْقُولَةِ النَّبْتِ - عُمْرٍ
تَتَعَاطَى الشَّمُولُ - مُذْهَبَةَ السَّرِّ	بَالٍ - وَالْجَوْثُ فِي مَطَارِفِ <sup>(٢)</sup> غُبْرِ
فِي فُتُوٍّ <sup>(٣)</sup> تَوْشَّحُوا بِالْمَعَالِي	وَتَرَدَّدُوا بِكُلِّ مُجْدٍ وَفَخْرِ
وُضِّحَ تَنَجَّيْلِ الْفَيَاهِبِ مِنْهُمْ	عَنْ وَجُوهِ - مِثْلِ الْمَصَائِيحِ - غُرٍّ
كُلُّ خِرْقٍ يَكَادُ يَنْهَلُ ظَرْفًا	زَانَ مَرَأَى بِهِ بِأَكْرَمِ خُبْرِ <sup>(٤)</sup>

(١) يقول « ليت شعري » ، وإن كنت أعلم أنها غير مجدية ، قال ابن الرومي :

« يا ليت شعري وليت غير مجدية إلا استراحة قلب وهو اسوان . »

وقال الشاعر :

« ليت وهل ينفع شيئا « ليت » ليت شبابا بيع فاشترى . »

(٢) مطارف - جمع مطرف بضم الميم وكسر ها - مع فتح الراء في كليهما - : رداء مربع من خز

ذو أعلام . (٣) فتو - جمع فتى وهو يجمع على فتيان وفتو وفتى بتشديد الواو والياء .

(٤) الحرق : من الفتيان الظريف في سباحة ونجدة ، وينهل : يريد يكاد يسيل رقة وظرفا ، وقد جاء

بعد هذا البيت قوله :

« . . . . . بحس حال نفع المسك عرفها طيب شعر . »

وقد أثبتناه كما ورد ناصراً بالأصل .



وَسَجَايَا كَأَنَّهُنَّ كُثُوسٌ      أَوْ رِيَاضٌ قَدْ جَادَهَا صَوْبُ قَطْرِ  
يَتَلَقَّى الْقَبُولَ مِنِّي قُبُولٌ      كُلَّمَا رَاحَ تَفْحُهَا أَرْتَاحَ صَدْرِي  
فَهُوَ يَسْرِي مُحْمَلًا - مِنْ سَجَايَا      لَك - نَسِيمًا يُزْهِى بِأَفْوَحِ عِطْرِ

\*\*\*

يَا خَلِيلِي وَوَاحِدِي وَالْمَعْلَى      مِنْ قِدَاحِي <sup>(١)</sup> وَالْمُسْتَبْدِ بِرِّي  
لَا يَضَعُ وَدِّي الصَّرِيحُ الَّذِي أَرَى      صَاكَ مِنْهُ أَسْتَوَاهُ سِرِّي وَجَهْرِي  
وَتَوَالِي أَدِمَّةٌ نَظَمْتَنَا      نَظَمَ عَقْدَ الْجُمَانِ فِي نَحْرِ بَكْرِي  
لَا يَكُنْ قَصْرُكَ الْجَفَاءَ ، فَإِنَّ أَلْ -      وَدَّ - إِنْ سَاعَدَتْ حَيَاتِي - قَصْرِي <sup>(٢)</sup>  
وَأَعِذْ - بِالْجَوَابِ - دَوْلَةَ أَنْسِي      قَدْ تَقَضَّتْ إِلَّا غُلَّالَةَ ذِكْرِي <sup>(٣)</sup>  
وَأَكْسُ مِنْ الْقِرْطَاسِ دِيْبَاجَ لَفْظِي      يَبْهَرُ الْفِكْرَ مِنْ نَظِيمٍ وَشَرِي  
غُرَّرَ مِنْ بَدَائِعٍ لَا يَشْكُ      الدَّهْرُ فِي أَتَمِّهَا قَلَائِدُ دُرِّ  
تَتَوَالِي عَلَى النُّفُوسِ دِرَاكَا      عَنْ فَتَى مُوسِرٍ - مِنَ الطَّبْعِ - مُثَرِّ  
شَدَّ فِي حَلْبَةِ الْبَلَاغَةِ حَاسِي      بَانَ فِيهَا عَنْ شَأْوٍ سَهْلٍ وَعَمُرُو  
وَإِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْجَلْ جَوَابِي      كَانَ هَذَا الْكِتَابُ بَيْضَةً عَقْرِي <sup>(٤)</sup>  
فَاقْبِ - فِي ذِمَّةِ السَّلَامَةِ - مَا أَنْجَا      بَ عَنِ الْأَفْقِ عَارِضٌ مُتَسَرِّ  
وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مَا غَنَّتِ الْوُزْ      قُ وَمَالَتْ بِهَا ذَوَائِبُ سِدْرِي <sup>(٥)</sup>

(١) أى القدرح المعلى . (٢) يقول : لا يكن قصارك الجفاء فان قصارى الوداد أى لا تكن  
خايتك قطيعتي فان غابني وصلك .

(٣) يقول : أعد عهد الأنا الذى مضى ولم يترك لنا إلا ذكريات تتعل بها .

(٤) إذا لم تعجل بالرد على كتابي كان هذا آخر كتاب أبعث به إليك .

(٥) السدر : شجر البق يقول : « تحيى إليك كلما غنت الحمام ومالت بها أغصان الشجر » .

## مدح ابن جهور ورثاء أمه

« كرّر ابن زيدون في هذه القصيدة أكثر  
الآيات السابقة التي ذكرناها في ص « ١٤٠ »  
من هذا الديوان . »

هو الدهرُ فأصبرِ للذي أحدث الدهرُ	فمن شيم الأبرار - في مثلهما - الصبرُ
ستصبرِ صبرَ اليأسِ أو صبرَ حسبةٍ	فلا ترضَ بالصبرِ الذي معه وزرُ
حذارك من أن يُعقبَ الرزءَ فتنةٌ	يضيئُ لها - عن مثل أخلاقك - العذرُ
إذا أسفَ النكَلُ اللَّيْبُ فشفه	رأى أبرح الثكلىين أن يحبطَ الأجرُ
مصابُ الذي يأسى بميتِ ثوابه	هو البرحُ لا الميتُ الذي أحرزَ القبرُ

\*\*\*

حياةُ الورى نهجٌ إلى الموتِ مَبْعٌ	لهم فيه إيضاعٌ كما يوضعُ السفرُ
فيا هادى المنهاجِ جُـرَّتْ فَإِنَّمَا	هو الفجرُ يَهْدِيكَ الصَّراطُ أو البجرُ
لنا - في سوانا - عبرةٌ غيرَ أننا	نغرُ بِأَطْمَاعِ الْأَمَانِي فَتَفْتَرُ
إذا الموتُ أضْحَى قَصَرَ كُلُّ مُعَمَّرٍ	فإنَّ سَوَاءَ طَالَ أَوْ قَصَرَ الْعُمُرُ

\*\*\*

ألم ترَ أنَّ الدِّينَ رِيعَ ذِمَّارِهِ	فلم يُغنِ أنصارُه عديدهُ ولا وفَرُهُ
بَحِثْ أَسْتَقِلَّ الْمَلِكُ ثَانِي عِطْفِهِ	وجرَّ من أذْيَالِهِ الْعَسْكَرُ الْمَجْرُ
هو الضَّيْمُ لوَ غَيْرِ الْقَضَاءِ يَرُومُهُ	شَاءَ الْمَرَامُ الصَّعْبُ وَالْمَسْلَكُ الْوَعْرُ

إِذَا عَثَرْتَ جُرْدُ السَّوَاخِ فِي الْقَنَا      بَدِيلِ عَجَاجٍ لَيْسَ يَصْدَعُهُ فَجْرُ  
لَقَدْ بَكَرَ النَّاعِي عَلَيْنَا بِدَعْوَةٍ      عَوَانٍ أَمْضَتْنَا لَهَا لَوْعَةٌ بِكْرُ

\*\*\*

أَنْفَسُ نَفْسٍ فِي الْوَرَى - أَفْصَدَ الرَّدَى؟      وَأَخْطَرُ عِلْقٍ - لِلْهُدَى - أَهْلَكَ الدَّهْرُ؟  
هَنِيئًا لِبَطْنِ الْأَرْضِ أَنْسُ مُجَدِّدُ      بِشَاوِيَةٍ حَلَّتْهُ فَاسْتَوْحَشَ الظَّهْرُ  
بِطَاهِرَةِ الْأَنْوَابِ ، قَاتَةِ الضُّحَى      مُسَبِّحَةِ الْآثَاءِ ، مَحْرَابِهَا الْخِذْرُ  
كَأَنَّ أَتَيْتَ فَالْنَفْسُ أَنْأَى نَفِيسَةٍ      إِذِ الْجِسْمُ لَا يَسْمُو لِتَذَكِيرِهِ ذِكْرُ  
حَصَانُ - إِنْ النُّقْوَى اسْتَبَدَّتْ بِسِرِّهَا -      فَمَنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ يُسْتَوْضَحُ الْجَهْرُ  
يُطَاطَأُ سِتْرُ الصَّوْنِ دُونَ حِجَابِهَا      فَيَرْفَعُ - عَنْ مَثْنَى نَوَافِلِهَا - السُّتْرُ

\*\*\*

لَعَمْرُ الْبُرُودِ الْبَيْضِ فِي ذَلِكَ الثَّرَى      لَقَدْ أَذْرَجْتَ - أَثْنَاءَ هَا - النِّعَمُ الْخَضِرُ  
عَلَيْهَا سَلَامُ اللَّهِ تَتَرَى تَحِيَّةَ      يُنَسِّمُهَا الْغُفْرَانُ رَيْنَحَانِهَا النَّضْرُ  
وَعَاهِدَ تِلْكَ الْأَرْضِ عَهْدُ غَمَامَةٍ      إِذَا اسْتَعْبَرْتَ فِي ثُرَيْيَا أَبْتَسَمَ الزَّهْرُ

\*\*\*

فَدَيْنَاكَ ، إِنَّ الرُّزْءَ كَانَ غَمَامَةً      طَلَعْتَ لَنَا فِيهَا كَمَا يَطْلُعُ الْبَدْرُ  
أَلَسْتَ الَّذِي - إِنْ صَاقَ ذَرْعُ مِحَادِثٍ -      تَبْلُجُ مِنْهُ الْوَجْهَ وَأَنْسَعَ الصَّدْرُ  
تَعَزَّ بِحَوَاءٍ - الَّتِي الْخَلْقُ نَسَلُهَا -      فَمَنْ دُونَهَا فِي الْعَصْرِ يَتَّبِعُهُ الْعَصْرُ  
نِسَاءَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى أَهْمَانَتَا      ثَوَيْنَ فَعَنَاهُنَّ - مُذْ حُقِبَ - قَفْرُ  
وَجَازَيْتَهَا الْحُسْنَى ، فَأُمُّ شَفِيقَةٍ      تَحْنَى بِهَا ابْنُ كُلِّ أَعْمَالِهِ بَرُّ

تَمَنَّتْ وَفَاةً - فِي حَيَاتِكَ - بَعْدَ مَا  
كَانَ الرَّدَى نَذْرُ عَلِيهَا مُؤَكَّدُ  
تَوَلَّتْ فَأَبْقَتْ - مِنْ مُجَابِ دُعَائِهَا -  
تِيمٌ بِهِ النُّعْمَى ، وَتَسْقُ الْمُنَى ،  
فَلَا تَهْرِضِ الدُّنْيَا جَنَاحَكَ بَعْدَهَا  
وَلَا زِلْتَ مَوْفُورَ الْعَدِيدِ بِقُرَّةِ

\*\*\*

بَنِي « جَهْوَرِ » أَنْتُمْ سَمَاءُ رِيَاسَةٍ  
تَرَى الدَّهْرَ - إِنْ يَبْطِشُ - فَنَكُمُ يَمِينُهُ  
لَكُمْ كُلُّ رَقَرَاقِ السَّمَاحِ كَأَنَّهُ  
سَحَابٌ نَعْمَى أَبْرَقَتْ وَتَدَفَّقَتْ  
إِذَا مَا ذُكِرْتُمْ ، وَأُسْتَشْفَتْ خِلَالُكُمْ  
طَرِيقُكُمْ مُثْلَى ، وَهَدْيُكُمْ رِضَى  
وَكَمْ سَائِلٍ - بِالْغَيْبِ عَنْكُمْ - أَجَبْتُهُ  
عَطَاءً وَلَا مَنٍّ ، وَحُكْمٌ وَلَا هَوَى  
قَدْ اسْتَوْفَتْ النِّعْمَاءُ فِيكُمْ تَمَامَهَا

لِمَافِيكُمْ - فِي أَفْقِهَا - أَنْجُمُ زُهْرُ  
وَإِنْ تَضْحَكِ الدُّنْيَا فَأَنْتُمْ لَهَا ثَمَرُ  
حُسَامٍ عَلَيْهِ - مِنْ طَلَاقَتِهِ - أَثَرُ  
فَصِيْبُهَا الْجَدْوَى ، وَبَارِقُهَا الْبِشْرُ  
تَضَوَّعَتْ الْأَخْبَارُ ، وَأُسْتَمَجَدَ الْخَبْرُ  
وَنَائِلُكُمْ ثَمَرُ ، وَمَذْهَبُكُمْ قَصْرُ  
هُنَاكَ الْأَيْدِي الشَّفْعُ وَالسُّودَدُ الْوِثْرُ  
وَحِلْمٌ وَلَا عَجْزٌ ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرُ  
عَلَيْنَا ، فِنَا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ

## في مدح ابن جهور

« قال يمدح أبا الحزم بن جهور . »

أَجَلٌ ، إِنَّ لَيْلَى حَيْثُ أَحْيَاؤُهَا الْأَسَدُ      مَهَاةٌ سَمَتْهَا - فِي مَرَاتِمِهَا - أُسْدُ<sup>(١)</sup>  
يَمَانِيَّةٌ تَذْنُو وَيَنَائِي مَزَارُهَا      فَسَيَّانٍ مِنْهَا فِي الْهَوَى الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا تَحَنُّ زُرْنَاهَا تَمَرَّدَ « مَارِدٌ »      وَعَزَّ - فَلَمْ تَنْظَرْ بِهِ - « الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ »<sup>(٣)</sup>  
تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ أَعْيَادِهَا      وَخَيْلٌ تَمْطِي نَحْوَ قَايَاتِهَا جُرْدُ  
لَحَى لِقَاحٍ تَأْنَفُ الضَّيْمَ مِنْهُمْ      جَحَاجِجَةٌ شَيْبُ وَصِيَابَةٌ مُرْدُ<sup>(٤)</sup>  
أَبٌ ذُو أَعْتِرَامٍ ، أَوْ أَخٌ ذُو تَسْرِعٍ      فَشَيْخَانُ مَاضِي الْهَمِّ ، أَوْ فَاتِكُ جَلْدُ  
فَمَا شِيمَ مِنْ ذِي الْهَبَةِ الصَّارِمِ الشَّبَا      وَلَا حُطٌّ عَنْ ذِي الْمَيْعَةِ السَّابِحِ اللَّبْدُ

\*\*\*

وَفِي الْكِلَّةِ الْحَمْرَاءُ وَسَطَ قِيَابِهِمْ      فَتَاةٌ كَمَثَلِ الْبَذْرِ قَابِلَةُ السَّعْدِ

(١) الأسد : لغة في الأزدي ، والأسد : الأسود ، يقول : نعم إن ليلى من قبيلة الأزدي وهي ظبية تحمىها الأسود وتزود عنها .

(٢) يقول إن قربها وبمسدها سيان لأن وصلها - على القرب ، والبعد - بعيد المنال ، وما أجل قول المعري :

« فيادارها بالحيف ، إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أحوال . »

(٣) الأبلق الفرد : حسن السموة بن هاديا بياه أبوه . فلوا بل بياه سليمان - عليه السلام - بأرض تيماء ، وأصدته الزباء فمجزت عنه وعن مارد ، فقالوا : « تمرّد مارد ، وعز الأبلق » . وفي هذا الحسن يقول السموة - من لاميته الرائعة المشهورة :

« لنا جبل يحتله من نجيره منيع ، يرد الطرف وهو كليل

هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره - يمز - على من راعه - ويطول . »

(٤) الحى اللقاح : هم الذين لا يدينون الملوك ولا يؤدون لهم الاتاوة ، والجحاججة : جمع ججاج ، وهو السيد السمع أو هو الكريم وهو وصف حاسم بالرجال ، قال الشاعر : « بيض فظافره غلب - جحاججة . » ويجمع أيضاً على ججاج ، قال ابن الزبير :

« ماذا يسدر فالقنصل من مرازية ججاج . »

صياغة القوم وصوابهم : لبابهم .

عَقِيْلَهُ مِرْبٍ لَا الْأَرَاكَ مَرَادُهُ      وَلَا قِنٌ مِنْهُ الْبَرِيرُ وَلَا الْمَرْدُ (١)  
تَهَادَى فَيُضْنِيهَا الْوِشَاحُ غَرِيرَةٌ      تَأَوُّهُ مَهْمَا نَاسٌ (٢) فِي جِيْدِهَا الْعِقْدُ  
إِذَا اسْتَحْفِظَتْ سِرَّ السَّرَى جُنَحَ لَيْلِهَا      تَنَاسَى النُّمُومَانِ : الْأَلُوَّةُ ، وَالنَّدُّ (٣)  
لَهَا عِدَّةٌ بِالْوَصْلِ ، يُوعِدُ غَيْبَهَا      مَصَالِيْتُ، يُنْسَى - فِي وَعِيدِهِمْ - الْوَعْدُ  
عَزِيْرٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعُوْدَ خِيَالَهَا      فَيُسْعِفُ مِنْهَا نَائِلٌ فِي الْكَرَى تَمْدٌ (٤)  
كَفَى لَوَعَةٍ أَنْ الْوِصَالِ نَسِيْبَةٌ      يُطِيلُ غَنَاءَ الْمُقْتَضَى وَالْهُوَى تَقْدُ (٥)  
سَبْلُهَا عَنَّا الشَّمَالُ تَحِيَّةٌ      نَوَافِحُ أَنْفَاسِ الْجَنُوبِ لَهَا رَدُّ (٦)  
فَمَا نَسَى الْإِلْفُ الَّذِي كَانَ يَتَنَنَّا      - إِطْوَلِ تَنَائِينَا - وَلَا ضِيْعَ الْعَهْدِ

\*\*\*

لَنْ قِيلَ : « فِي الْجِدِّ النَّجَاحُ لِطَالِبٍ »      لَقَلَّ غَنَاءُ الْجِدِّ مَا لَمْ يَكُنْ جَدُّ (٧)

(١) المرء : النعمان من عمر الأراك أو ضيقه . (٢) ناس : النسيء يتوس نوساً ونوساناً تحرك  
وتذبذب واضطرب متديلاً ، وسعى ذرئاً نواس - وهو من ملوك - الذين بذلك لذوا بين كاشا تنوسان على ظهره .  
(٣) الألوة : عود هندي يتبحر به ، وقال أعرابي حين مرّ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
وهو يدفن :

« أَلَا جِئْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ فِي سَفَطٍ مِنْ الْأَلُوَّةِ أَحْوَى مَلْبَساً ذَهَباً . »

والند : ضرب من الطيب .

(٤) تمّد : قليل ، يقول وهم يستكثرون علينا أن يزورنا خيالها فيسعدنا بالوصال في فترات الكرى  
المنقطعة القليلة . (٥) يقول : كفانا ألماً أنها لا تمن علينا بالوصال إلا وعوداً مؤجلاً يعطينا اقتضاؤها  
وأداؤها في مواعيدها مع أننا نصفها الهوى طابلاً غير متحملين ولا مؤجلين .

(٦) الشمال : ريح الشمال ، والجوب : ريح الجنوب ، وفي الأصل نوافج ، والنوافج : السحب الكثيرة  
المطر ، ويقال نفج الندى القيمس أي رقبته ونفجت الريح أي جاءت بقوة ، والنوافج - جمع نافلة وهي النسيم .  
(٧) يقول ابن دريد في هذا المعنى :

« لَا يَنْفَعُ الْجِدَّ بِلَا جِدٍّ وَلَا يَحْفَظُ الْجَهْلُ إِذَا الْجِدُّ عَلَا . »

« عَشَّ يَجِدُّ وَلَا يَضُرُّكَ نَوْكُ »

ويقول الشاعر :

وقد أكرت الشعراء من الكلام في الجدود ، ومن أبدع ما قرأناه في ذلك قول ابن الرومي :

« إِنْ لِلْحَفْظِ كَيْمِيَاءُ إِذَا مَا مَسَّ كَلْبًا أَحَالَهُ إِنْسَانًا . »

يَنَالُ الْأَمَانِي بِالْحَظِيرَةِ وَادِعٌ كَمَا أَنَّهُ يُكْدِي الَّذِي شَأْنُهُ الْكَدُ<sup>(١)</sup>

\* \*

هُوَ الدَّهْرُ مَهْمَا أَحْسَنَ الْفِعْلَ مَرَّةً  
حِذَارَكَ أَنْ تَغْتَرَّ مِنْهُ بِجَانِبٍ  
وَلَوْلَا السَّرَاةُ الصَّيْدُ مِنْ آلِ «جَهْوَرٍ»  
مُلُوكُ لَبَسْنَا الدَّهْرَ فِي جَنَابَتِهِمْ  
بِحَيْثُ مَقِيلُ الْأَمْنِ صَافٍ ظِلَالُهُ  
هُمْ النَّفَرُ الْبَيْضُ الَّذِينَ وَجُوهُهُمْ  
كِرَامٌ يَمُدُّ الرَّاغِبُونَ أَكْفَهُمْ  
فَمَنْ خَطَا ، لَكِنْ إِسَاءَتُهُ عَمْدُ  
فَنِي كُلِّ وَادٍ مِنْ نَوَائِيهِ «سَعْدُ»<sup>(٢)</sup>  
لَا عَوَزَ مَنْ يُعْدِي عَلَيْهِ مَتَى يَعْدُو  
رَقِيقَ الْحَوَاشِي مِثْلَ مَا قُوفَ الْبُرْدُ  
وَفِي مَنَهْلِ الْعَيْشِ الْمُدُوبَةُ وَالْبُرْدُ  
تَرُوقُ فَتَسْتَشْفِي بِهَا الْأَعْيُنُ الرَّمْدُ  
إِلَى أَبْحَرٍ مِنْهُمْ لَهَا بِاللَّهْمَا<sup>(٣)</sup> مَدُّ

وقول المتنبي :

« هو الجدد حتى تفضل العين أختها وحتى يصير اليوم لليوم سيديا . »

وقول المعري :

« والجدد يدرك أقواما فيرفعهم وقد ينال الى أن يعبد الحجر »

وعرفت ذات أنواط قبائلها ولم تباين على علائها الشجرا . »

وقد ذكرنا طرفا من أقوال الشعراء في هذا المعنى في رسالة النفران « ج ٢ ص ٩٨ » فليرجع إليها من شاء .

(١) الحظيرة : عى بها هنا الأموال المخطورة يقال : احتظر الرجل وحظر اتخذ حظيرة حبس فيها أمواله

من تضيق ، ويقال للرجل الذليل الحير « إنه لنكد الحظيرة » وسببت أمواله حظيرة لأنه حظرها ومنعها

عنده ، والوادع : الذي ينال حظه من العيش من غير كلفة ولا مشقة ، يقول : « كثيرا ما ينال الوادع الذي

هو في خفض ودعة من العيش أمانيه بأمواله المخطورة عنده كما أنه كثيرا ما يخفق ذو السمي والكدة فلا

يحصل من تعبته وكده على طائل » ، ولعل أبرع ما قرأناه في هذا المعنى قول ابن الرومي :

« إذا كان مجرى كوكب سمت هالة علاها وإلا اعتناص ذلك مطلباً . »

وقول الآخر :

« سبحانه ربي يعطى ذا ويحرم ذا هذا يصيد ، وهذا يأكل السمكة . »

(٢) يقال « بكل واد سعد » أو « بكل واد بنو سعد » يريدون بذلك أن في كل جهة كفاءها من الشر

والأذى . قالوا وأصل المثل أن الأضيظ بن قريع بن هوف بن كعب بن - عبد بن زيد - مائة - رأى من أهله وقومه

أمورا كرمها ففارقهم . فلا في القبائل فرأى من غيرهم مثل ما رأى منهم فقال : « في كل أرض سعد بن زيد . »

(٣) الأعطيات والهبات .

فَلَا يُنْعَ مِنْهُمْ هَالِكٌ فَهَوَ خَالِدٌ      بِآثَارِهِ ، إِنَّ الشَّاءَ هُوَ الْخَالِدُ  
« أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لَأَبَا لَأَيِّكُمْ      مِنَ اللُّومِ ، أَوْسُدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا <sup>(١)</sup> »  
أَوَّلِكَ إِنْ نَعْنَا سَرَى فِي صَلَاحِنَا      سِجَاحٌ عَلَيْنَا كُحْلُ أَجْفَانِهِمْ مُهْدُ

\*\*\*

الْبَسَ « أَبُو الْحَزَمِ » الَّذِي غِيبَ سَعْيِهِ      تَبَصَّرَ غَاوِينَا فَبَانَ لَهُ الرُّشْدُ  
أَغْرُ تَمَهَّدْنَا بِهِ الْخَفْضَ <sup>(٢)</sup> بَعْدَ مَا      أَقْضَى عَلَيْنَا مَضْجَعٌ وَنَبَا مَهْدُ <sup>(٣)</sup>  
لَشَمَّرَ حَتَّى أَنْجَابَ عَارِضُ فِتْنَةٍ      تَأَلَّقَ مِنْهَا الْبَرْقُ وَأَصْطَخَبَ الرَّعْدُ  
فَسَاسَمَ مَنْ كَانَتْ لَهُ الْحَرْبُ عَادَةً      وَوَافَقَ مَنْ لَاشَكَ فِي أَنَّهُ ضِدُّ <sup>(٤)</sup>  
هُوَ الْأَثَرُ الْمَحْمُودُ إِنْ عَادَ ذِكْرُهُ      تَطَلَّعَتِ الْعُلَيَاءُ وَاسْتَشْرَفَ الْمَجْدُ  
تَوَلَّى فَلَوْلَا أَنْ تَلَاهُ « مُحَمَّدٌ »      لَأَوْطَأَ خَدَّ الْحُرِّ أَخْمَصَهُ الْعَبْدُ <sup>(٥)</sup>

\*\*\*

مَلِيكَ يَسُوسُ الْمَلِكَ مِنْهُ مُقَالِدٌ      رَوَى عَنْ أَبِيهِ فِيهِ مَا سَنَّهُ الْجَدُّ  
سَجِيَّتُهُ الْحُسْنَى ، وَشِيَمَتُهُ الرِّضَى ،      وَسِيرَتُهُ الْمُثَلَى ، وَمَذْهَبُهُ الْقَصْدُ

(١) ورد هذا البيت في الأصل :

« ..... عليهم ، لا أبا لأبيكم من اللوم ، أوسدوا المكان الذي سدوا . »

وليس هذا البيت لابن زيدون بل هو انتباس ، وأصل البيت كما أُنشِئ ، وهو من القصيدة المشهورة  
للقى يقول فيها الشاعر :

« وتعدلى أبناء سعد عليهم ومافلت إلا بالذى علمت سعد . »

(٢) الخفض : القهق . (٣) يقول إنه بدلنا من خوف أمنا ومن سهاد رقادا .

(٤) يقول : وقد سألته أشد الأعداء ولو عا بالهرب ووافقه من لاشك في حصونه ولدده بمد ما رأوا  
من شدة بأسه وقوته .

(٥) يقول : لولا أن عمدا قد حلف أبا الحزم لساءت العاقبة ولسادت دولة العبيد على دولة الأحرار  
مألولهم أدللا وداسو خدودهم بأرحلهم .



مُهَامٌ إِذَا زَانَ النَّدَى بِحَبْوَةٍ      تَرَجَّحَ فِي أَثْنَائِهَا الْحَسْبُ الْعَدُوُّ  
زَعِيمٌ لِأَبْنَاءِ السَّيَادَةِ بَارِعٌ      هَلِينِهِمْ بِهِ تُثْنَى الْخَنَاصِرُ إِنْ عُدُّوا  
بَعِيدُ مَنَالِ الْحَالِ ، دَانِي جَنَى النَّدَى      إِذَا ذُكِرَتْ أَخْلَاقُهُ خَجَلَ الْوَرْدُ  
تَهْلَلُ فَأَتَهَلَّلَتْ سَمَاءُ يَمِينِهِ      عَطَا يَا ثَرَى الْأَمَالِ مِنْ صَوْبِهَا - جَعْدُ (١)  
مُحَرَّرٌ لِمَنْ عَادَاهُ إِذْ أَوْلِيَاؤُهُ      يَلِدُ لَهُمْ كَالْمَاءِ شَيْبَ بِهِ الشَّهْدُ  
إِذَا اعْتَرَفَ الْجَانِي عَفَا عَفْوٌ قَادِرٌ      عَلَا قَدْرُهُ عَنْ أَنْ يَلِيجَ بِهِ حَقْدُ (٢)  
وَمُسْتَدُّ لَوْ زَا حَمَ الطَّوْدَ حِلْمُهُ      لِحَاجَزِهِ رُكْنٌ مِنَ الطَّوْدِ مُنْهَدُّ  
لَهُ عَزْمَةٌ مَطْوِيَّةٌ فِي سَكِينَةٍ      كَمَا لَانَ مَتْنُ السَّيْفِ وَأَخْشَوْشَ الْحَدُّ (٣)  
يُؤَكِّلُ بِالتَّدْبِيرِ خَاطِرَ فِكْرَةٍ      إِنْ اقْتَدَحَتْ فِي خَاطِرِ أَنْقَبِ الزُّنْدِ (٤)  
ذِرَاعٌ - لِمَا يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ - وَاسِعٌ      وَبَاعٌ - إِلَى مَا يُحْرِزُ الْفَخْرَ - مُتَمَدُّ  
إِذَا أَسْهَبَ الْمُنُونُ فِيهِ شَأْنُهُمْ (٥)      مَرَاتِبُ عُلْيَا كُلِّ عَنْ عَفْوِهَا الْجَهْدُ  
هُوَ الْمَلِكُ الْمَشْفُوعُ بِالنَّسْكِ مُلْكُهُ      فَيَا فَضْلَ مَا يَخْفَى وَيَا سِرَّ مَا يَبْدُو (٦)  
إِلَى اللَّهِ أَوَّابٌ ، وَلِلَّهِ خَائِفٌ      وَبِاللَّهِ مُعْتَدٌ ، وَفِي اللَّهِ مُشْتَدُّ

(١) حمد : ندى .

(٢) قريب من هذا قول عنتره :

« لَا يَحْمِلُ الْحَقْدُ مِنْ تَمَلُّوْهُ بِهَ الرِّبِّ      وَلَا يَنَالُ الْعَلَا مِنْ طَعْمِهِ الرِّضْبُ . »

(٣) في هذا المعنى يقول الشاعر :

« وَكَالسَيْفِ - إِنْ لَا يَنْتَه - لَانَ حِدَهُ      وَجَدَاهُ - إِنْ خَاشَنَهُ - حَسَانُ . »

(٤) أنقب الزند : أورى . (٥) شأنتهم : فاتتهم وقصروا فيها عن الداية .

(٦) يقول هو الملك الذي يجمع إلى سطوة الملك نسك الزرعين فما أبدل ما بجره في نفسه وما أنبل

وأصرف ما يملكه ، يعنى أن سره وإعلانه غاية في النبل والفضل .

\*\*\*

لَقَدْ أَوْسَعَ الْإِسْلَامَ بِالْأَمْنِ حِسْبَةً  
أَبَاحَ حِمَى الْحَمْرِ الْخَيْثَةِ ، حَائِطًا  
فَطَوَّقَ بِأَسْنَتِهَا الْمِصْرَ مَنَّةً  
هِيَ الرَّجْسُ إِنْ يَذْهَبُ عَنْهُ فَمُحْسِنٌ  
مُظِلٌّ لِقُلُوبِ أَتْلَامٍ ، وَأُمٌّ كَبَائِرٍ  
رَأَى تَقْصَ مَا يَجْبِيهِ مِنْهَا زِيَادَةً

نَحْتَمِ غَرَضَ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ فَلَمْ تَعُدْ  
حِمَى الدِّينِ مِنْ أَنْ يُسْتَبَاحَ لَهُ حَدُّ  
يَكَادُ يُودَى شُكْرُهَا الْحَجَرُ الصَّلْدُ  
شَهِيرُ الْأَيْدِي مَا لِأَلَا تَجْعُدْ  
يُقْصَرُ عَنْ أَذْنَى مَعَايِبِهَا الْعَدُّ  
إِذِ الْعَوْضُ الْمَرْضِيُّ إِلَّا يَرُخُّ يَغْدُو

\*\*\*

عَفَنِي ، فَحَسَنَ الظَّنَّ بِاللَّهِ مَالَهُ  
نَعِمَ حَدِيثُ الْبَرِّ تُودِعُهُ الصَّبَا  
تَعْلَمُكَ فِي سَمْعِ الرَّبَابِ وَطَالَعَتِ  
سَاعِ أَجَدَّتْ زِينَةَ الْأَرْضِ ، فَالْخَصَى  
لَيْ زَهْرَاتِ الرُّوضِ - عَنْهَا - بِشَارَةً

عَزِيزٌ ، فَصَنَعُ اللَّهِ مِنْ حَوْلِهِ جُنْدُ  
تَبَتْ نَقَاهُ حَيْثُ لَا تُوضَعُ الْبُرْدُ (١)  
لَهُ صُورَةٌ لَمْ يَنْعَمْ - عَنْ حُسْنِهَا - انْخَلَدُ  
لَا لِي نَثْرٌ ، وَالتَّرَى عَنْ بَرٍّ وَرَدُ  
وَفِي نَفَحَاتِ الْمِسْكِ - مِنْ طِيبِهَا - وَقَدْ

\*\*\*

أَدَيْتُكَ ، إِنِّي قَائِلٌ فَمَرَّضُ  
نَحَى كَالشَّجَا دُونَ اللَّاهَةِ (٢) تَعَرَّضْتُ

بِأَوْطَارِ نَفْسٍ مِنْكَ لَمْ تَقْضِهَا بَعْدُ  
فَلَمْ يَكُ الْمَصْدُورِ - مِنْ نَفْسِهَا - بُدُّ

(١) يقول : لعمري حديث البر أردته ربح الصبا فحملته وبتت خبره في الجهات النائية حيث لا توضع البرد  
في حيث لا تعدو خيل البريد إليها ولا تصلها الأخبار لبعدها ، وفي الأصل : « توضع »  
(٢) اللاهة : اللعنة المشرقة على الخلق ، أو ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم ،  
وجمعها لهوات ولهيات ولهى . قال ابن دريد :

« والناس كالبيت ، فنه رائق فني نضير هوده من الجسي  
ومنه ما تفتحهم العين ، فان سفت جناح لساغ عذابا في اللهى . »

أَمْثَلِيْ غُفْلٌ خَامِلٌ الذِّكْرُ ضَائِعٌ      ضَيَّاعَ الْحُسَامِ الْعَضْبِ أَصْدَأُهُ الْغِمْدُ  
أَبَى ذَاكَ أَنَّ الدَّهْرَ قَدْ ذَلَّ صَعْبُهُ      فَسُنِّي مِنْهُ - بِالَّذِي نَشْتَهِي - الْعَقْدُ <sup>(١)</sup>

\*\*\*

أَنَا السَّيْفُ لَا يَنْبُو مَعَ الْهَزِّ غَرْبُهُ      إِذَا مَا نَبَا السَّيْفُ الَّذِي تَطْبَعُ الْهِنْدُ  
بَدَأَتْ يَنْعَمِي غَضَّةً إِنْ تُوَالِهَا      فَحَسُنُ الْأَلَى <sup>(٢)</sup> فِي أَنْ يُوَالِيَهَا سَرْدُ  
لَعَمْرُكَ مَا الْمَالِ أَسْمَى فَإِنَّمَا      يَرَى الْمَالَ أَسْنَى حَفْظُهُ الطَّبِيعُ الْوَعْدُ <sup>(٣)</sup>  
وَلَكِنْ لِحَالٍ - إِنْ لَبِسْتُ جَمَالَهَا -      كَسَوْتُكَ ثَوْبَ النُّصْحِ أَغْلَامُهُ الْحَمْدُ

\*\*\*

أَتَتِكَ الْقَوَافِي شَاهِدَاتٍ بِمَا صَفَا      مِنَ الْغَيْبِ فَأَقْبَلَهَا فَمَا غَرَّكَ الشَّهْدُ  
لِيَحْظَى وَلِيَّ - سِرُّهُ وَفَقُّ جَهَرِهِ -      فَظَاهِرُهُ شُكْرُهُ ، وَبَاطِنُهُ وَدُّ  
يُمَيِّزُهُ - يَمْنُ سِوَاهُ - وَفَاوُهُ      وَإِخْلَاصُهُ ، إِذْ كُلُّ غَايَةٍ هِنْدُ <sup>(٤)</sup>

(١) سنى منه العقد ، أى تيسر الصعب وسهل . قال الشاعر :

« وأعلم علما ليس بالطن أنه إذا الله سنى عقد أمر تيسرا . »

(٢) الألى : النعمة جميعها آلاء .

(٣) الطبع : يقال 'رجل طبع طبع' ( بكسر ثانيا ) متدنس العرض ذو خاق ذنى لا يستحي من

سوءة ، والوعد : الخفيف الأحق الضعيف العقل والبدن الدنى الخسيس النذل .

(٤) كل غاية هند : مثل يضرب هند تساوى القوم فى فساد الباطن .

## رثاء أم المعتضد

« قال يرثي السيدة الكبرى والدته . »

أَلَا هَلْ دَرَى الدَّاعِي المُنَوِّبُ - إِذْ دَعَا  
وَأَنَّ التُّشَقَّى قَدْ آذَنَتْنَا بِفُرْقَةٍ  
لِرُزْنِكَ تَهْلِكُ الدُّمُوعُ ، فَمِثْلُهُ  
لَقَدْ أَجْهَشَ الإِخْلَاصُ بِالْأَمْسِ بَاكِيًا  
بِنَعْيِكَ - أَنْ الدِّينَ مِنْ بَعْضِ مَا نَعَى ؟  
وَأَنَّ الهُدَى قَدْ بَانَ مِنْكَ فَوَدَّعَا ؟  
- إِذَا حَلَّ - وَدَّ الْقَلْبُ لَوْ كَانَ مَدْمَعًا  
عَلَيْكَ ، كَمَا حَنَّ اليَقِينُ فَرَجَمَا

\*\*\*

وَدُنْيَا وَجَدْنَا العَيْشَ فِي غَمَلَاتِهَا  
نُعَلِّلُ فِيهَا بِالْمُنَى وَنَعْرُثَا  
طَرِيقًا - إِلَى وَرْدِ الْمَنِيَّةِ - مَهْيَعًا <sup>(١)</sup>  
بَوَارِقُ لَيْسَ الْآلُ مِنْهَا بِأَخْدَعًا <sup>(٢)</sup>

\*\*\*

أَصْبْنَا بِمَا لَوْ أَنَّ هَضْبَ مَتَالِيعِ  
مَنَارٍ - مِنَ الإِيمَانِ - لَمْ يَعْدُ أَنْ هَوَى ،  
وَشَمْسُ هُدَى أَمْسَى لَهَا التُّرْبُ مَغْرِبًا  
أُصِيبَ بِهِ لِأَنَّهُدَّ أَوْ لَتَضَعُضَمَا  
وَحَبْلٌ - مِنَ التَّقْوَى - وَهَى فَتَقَطَّعَا  
وَكَانَ لَهَا المِجْرَابُ - فِي الخِذْرِ - مَطْلَعًا <sup>(٣)</sup>

\*\*\*

لَنْ أَتْبَعْتَ مِنَّا غَمَامَةً وَخَمَّةً  
لَقَدْ ظَلَلَتْ ذَاكَ السَّرِيرَ المُرْفَعَا

(١) الموهب : الطريق الواسع الواضح البين .

(٢) الآل : السراب ، يقول إن الأمانى تمرنا وتخدعنا كما يخدع السراب . والله ذو مهيار إذ يقول :

« شد مامى غرورا نفسه تاجر الآمال فى أن يربحا . »

وقوله : « ربما يقرر بالظن الكدوب . » ، وفى هذا المعنى يقول ابن نباه السمدى :

« وأقسم ما الدنيا بدار إفاة ولاهى إلا مثل بعض المنازل

نسير إلى الآجال حول وجائها ونطوى بها الأيام طي المراحل . »

(٣) يقول : أنها شمس أشرقت فى خدرها ثم غربت فى قبرها .

سِرِيرُ بِأَمْلَاكِ وَزُهْرٍ مَلَانِكِ  
لَتَبِكَ الْآيَاتِي وَالْيَتَاكِ فَقِيْدَةً  
أَصْلَهُمْ فَقْدَانِهَا ، فَكَأَنَّمَا  
مُسَبَّحَةُ الْآنَاءِ ، قَانِتَةُ الضُّحَى  
تَبِيتُ مَعَ الْإِخْبَاتِ <sup>(١)</sup> مُسْتَعْرِةَ الْحَشَا  
إِذَا مَا هِيَ أَسْتَوْفَتْ مِنَ الْبِرِّ غَايَةَ  
كَأَنَّ قَضَاءَ الْوَاجِبَاتِ مُخْرَجٌ  
أَصْرَفَ الرَّدَى ! لَوْ أَنَّ لِلسَّيْفِ مَضْرِبًا  
فَلَوْ كُنْتُ - إِذْ سَا تَرْتُ - رَامٌ مُجَاهِرٌ  
إِذَا لَتَنَاهُ الْجَيْشُ مِنْ كُلِّ أَلَيْسٍ <sup>(٢)</sup>  
« وَمُعْتَصِدٌ بِاللَّهِ » يَحْمِي ذِمَارَهُ  
وَلَكِنْ عَرَزْتُ الْمَلِكَ - مِنْ حَيْثُ لَا يَرَى -  
إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ - رَاحَ مُشِيْعًا  
هِيَ الْمِزْنَ أَحْيَا صَوْبُهُ ثُمَّ أَقْشَعًا  
أَصْلَتْ سَوَامُ الْوَحْشِ فِي الْجَذْبِ مَرْتَعًا  
ثَوَتْ فَتَوَى مَعْنَى التَّأَوُّهِ بَلَقْمًا  
تَقِيَّةً مَنْ يَحْشَى إِلَى اللَّهِ مَرْجِعًا  
تَأْتَتْ لِأُخْرَى لَا تَرَى تِلْكَ مَقْنَعًا  
تَقَبَّلُهُ إِلَّا بِأَنْ تَتَطَوَّعًا <sup>(٣)</sup>  
لَمَّا رُعْتِنَا ، أَوْ أَنَّ فِي الْقَوْسِ مَنَزَعًا  
ذِمَارَ الْهُدَى كَانَ الْمَحُوطَ الْمُنْعَمًا  
يُشَايِعُ قَلْبًا فِي الْحِفَاظِ مُشِيْعًا  
فَلَا سِرْبَ يُلْفِي - فِي حِمَاهُ - مُرَوَّعًا  
فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِلْحَادِثِ الْحَتْمَ مَدْفَعًا <sup>(٤)</sup>

(١) الاخبات : القوي والحشوع والقنوت ، يقول : هي البقية الباقية من الفناء الصالحات تبت من خشية الله مصلية داعية مسعرة الحشا خوفًا من لقاء الله ، وفرا من هول يوم المرح والمآب .

(٢) يقول : أنها لحرصها على النظر وعزم النوازل إلى الفرائض كأنها تعتقد أن في أداء الفرائض وعدّها غير مشفوعة بالتلوع حرجًا وإنما لا يعمل عبادها متقبلة وعملها مثابًا عليه إلا بأن تتطوع ، نهى لذلك تبيت ليلا قائمة متهجدة .

(٣) الأليس : الشجاع الذي لا يبالى الحرب ولا يروعه القتال والجمع ليس ، قال الشاعر :

« تخال نديهم مرضى حياء وتلقاهم غداة الروح ليا . »

(٤) عروت : وطئت وزلت ، عن غير هدى وعلم وبلا تمييز ، وهو من قول الله عز وجل : « ولولا رجال مؤمنون . نساء مؤمنات لم تلمسوهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم . » ، وقال عمر رضي الله عنه : « اللهم إني أعوذ بك من معرة الجيش » تبرأ رضي الله عنه من وطأة جيش المسلمين من سررا به بلا تمييز بين مسلم ومعاهد وكافر وإصابتهم لإيهم في حريتهم وأموالهم وزروعهم بما لم يؤذن لهم فيه . من قل الشرع . يقول : لو كان صرف الدهر شخصاً يواجه مجاهرة ليجر عن غرضه ولئله المعتصد الشجاع وجيشه النازل ولكن صرف الدهر يأتي على غرة فلا يستطيع أحد أن يواجهه ، ويدفع عائله ، والله در القائل :

يَمِيزُ الْعِتَاقَ الْجُرَدَ أَلَّا تَرَى لَهَا  
وَتَأْسَفُ بِيضُ الْهِنْدِ أَنْ لَيْسَ تُنْتَضَى،  
بِحَالَا ، فَتَمْنُو فِي الْمَرَايِطِ خُشْمَا  
وَتُسْرُ الْقَنَا أَلَّا تُهَزَّ وَتُشْرَحَا

\* \*

لَنْ سَاءَ لَكَ الدَّهْرُ الْمُسِيءُ فَلَمْ يَكُنْ  
شَهِدَنَا : لَقَدْ طَرَزْتَ بُرْدَ جَمَالِهِ  
وَمَا فَخْرُهُ إِلَّا بِأَنْ كَانَ مُصْغِيَا  
أَتَى الْعَثْرَةَ الْمُظْمَى ، فَهَلْ أَنْتَ قَائِلٌ  
وَهَا هُوَ مُنْقَادٌ لِحُكْمِكَ ، فَأَحْتَكِمْ  
لَعَمْرُ اللَّهِ الَّتِي وَدَّعْتَ أَمْسٍ - مُفَارِقًا -  
تَمَنَّتْ وَفَاةً - فِي حَيَاتِكَ - بَعْدَ مَا  
فَوَيْتَهَا مَا لَمْ يَدْعُ لِضَمِيرِهَا  
خَفَضَتْ جَنَاحَ الذَّلِّ فِي الْعِزِّ رَحْمَةً  
تَرُوحُ أَمِيرًا فِي الْبِلَادِ مُحْكَمًا  
عَزَاهُ فَدَتِكَ النَّفْسُ ، عَزَمَ مُسَلِّمٌ  
بِأَوَّلِ عَهْدٍ وَاجِبِ الْحِفْظِ ضَئِيمًا  
وَقَلَّدَتْهُ عِقْدَ الْبَهَاءِ مُرَصَّمًا  
لِأَمْرِكَ ، إِنْ نَادَيْتَ لَبِي فَأُسْرَحَا  
لَهُ حِينَ أَشْفَى مِنْ كَأَبْتِهِ : « أَلَمَّا » (١)  
لِتَبْلُغَ مَا تَهْوَى ، وَمُرُهُ لِيَصْدَحَا  
لَقَدْ وَرَدَتْ حَوْضَ السَّعَادَةِ مَشْرَحَا (٢)  
حَشَدَتْ لَهَا الْأَمَالَ : مَرَأَى ، وَهَسَمَمَا  
إِلَى غَايَةِ مِنْ بَعْدِهِ مُتَطَلَّمَا  
لَهَا ، وَعَزَّيْرٌ أَنْ تَذِلَّ وَتَخْضَعَا (٣)  
وَتَعْدُو شَفِيمَا فِي الذُّنُوبِ مُشْفَعَا  
لِمَرْقِعِ أَمْرِ لَمْ يَزَلْ مُتَوَقَّعَا

« اليوم بيني لدويد بينته يارب وجه حسن رأيتنه »

ومعصم - ذى برة - لويته لو كان للدمر بلى أبلتته

أو كان قرنى واحدا كفتته . »

(١) أشى : من قولهم أشى على الهلاك وأشى على الموت إذا أشرف عليه ، والكناية : الحزن ، ولما : كلمة تعادل للعائر وهي فى الالتهاب دعاء له ، وإذا قيل : لا ألاما للعائر ، فمعناه لا أقال الله عثرته ، يقول : لقد أساء إليك الدهر فى هذا الخذلان فهل أنت صانع عنه ومقبله من عثرته .

(٢) المشرع : كالشريعة والعزيمة السكان الذى يتصدر منه الناس والدواب إلى الماء لوروده .

(٣) يشير إلى قوله تعالى فى بر الوالدين :

« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا »

مَتَى ظَنَنْتِ الْآيَّامُ أَنَّكَ جَارِعٌ  
فَمَا أَرْبَدَ وَجْهُ الْخَطْبِ إِلَّا لَقِيَّتَهُ  
وَمَا كُنْتَ أَهْلًا أَنْ يُصِيبَكَ حَدِثٌ  
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الدَّهْرِ جَانِبٌ  
فَأَنْتَ الَّذِي لَمْ يَنْتَقِمِ غِيبٌ قُدْرَةً  
مَتَى تُسَدِّ نَعْمَى - قِيلَ أَنْعَمَ مِثْلُهَا -  
وَإِنْ يَسِلِ الْمَافُونَ جَذْوَالَهُ يُعْطِيهِمْ  
وَيُغْرِى بِتَوْكِيدِ الْإِسَاءَةِ مُذْنِبٌ  
خَلَائِقُ مُمَهَّاةُ الْفِرْنِدِ كَأَنَّهَا  
تُنَافِحُهَا مِنْهَا أَحَادِيثُ سُودِدِ  
تَغْلُغُلُ فِي الْآفَاقِ أَسْرَى مِنَ الصَّبَا  
فَلَوْ صَرَفَتْ صَرْفَ الْمُنُونِ جَلَالَةً  
فَلَا زِلْتَ بِتَمْنُوعِ الْحِمَى مُسْتَعْفَ الْمُنَى  
وَدُمْتَ مُلَقًى أَنْجُمِ السَّعْدِ بَاقِيَا

أَوْ اسْتَشْعَرْتَ فِي قَلِّ صَبْرِكَ مَطْمَعًا  
بِصَفْحَةٍ طَلَّقِ الْوَجْهَ أَبْلَجَ أَرْوَعًا  
فَتُصْبِحُ عَنْهُ مُقْصَدَ الْقَلْبِ مُوجِعًا  
وَلَا أَهْتَرُ أَعْطَافًا ، وَلَا لَانَ أَخْذَا  
وَلَمْ يُؤْثِرِ الْمَعْرُوفَ إِلَّا لِيَشْفَعَا  
يُقَلِّ جَلَلٌ حَتَّى إِذَا قِيلَ أَبْدَعَا (١)  
جَوَادٌ إِذَا لَمْ يَسْأَلُوهُ تَبَرَّعَا  
فَيَلْتَقَاكَ بِالْإِحْسَانِ أَغْرَى وَأَوَامَا (٢)  
حَدَائِقُ رَوْضِ الْحَزَنِ جِيدَ قَائِنَمَا  
تَحَاكُ قَتِيتَ الْمِسْكَ عَنْهَا تَضَوَّعَا  
وَأَشْهَرَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ وَأَسْرَعَا  
لَكُنْتَ مُحْيَا مِنْ تَوَدُّ مُمْتَعَا  
إِذَا كَانَ شَانِيكَ الْمَصَابِ الْمُفْجَعَا (٣)  
لِدَيْنٍ وَدُنْيَا أَنْتَ فَخْرُهُمَا مَعَا

(١) يقول كلما أسديت جيلا فال الناس : كم لهذا الجليل من أشباه ونظائر وهو - على نظيره - تابه عندهم لكثرة ما ألفوه من صنائك ، ولو أبدعت لم يسترع انظارهم لإبداعك لطول ما ألفوا من روائك وبدائك .  
(٢) يقول : ان المسمى يطعمه تفورك عن زكته فهو إذا أولع بتوكيد إساءته وجذك أشد ولو لم يتوكيد إحسانك وتفورك عنه .  
(٣) يقول : لا زال الزمن يمر من حاك ويسمفك بأمايك على حين يصيب عدوك ويفجعه فيها يجب .

## قل للبغاة

« وقال ذو الوزارتين رحمه الله »

الْدَّهْرُ - إِنْ أَمَلَى - فَصَبِيحُ الْعَجْمِ      يُعْطَى أَعْتَبَارِي مَا جَهِلْتُ فَأَعْلَمُ <sup>(١)</sup>  
 إِنْ الَّذِي قَدَّرَ الْحَوَادِثَ قَدَّرَهَا      سَاوَى لَدَيْهِ الشَّهْدَ مِنْهَا الْعُلُقَمُ <sup>(٢)</sup>  
 وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَلَا أُغْتَرَابُ يَقْتَضِي      كَدَّرَ الْمَالَ وَلَا تَوَقَّ يَعْصِمُ  
 كَمْ قَاعِدٍ يَحْظِي فَتُعْجِبُ حَالُهُ      مِنْ جَاهِدٍ يَصِلُ الشُّؤْبَ فَيُحْرَمُ  
 وَأَرَى الْمَسَاعِيَ كَالسُّيُوفِ تَبَادَرَتْ      شَأَوُ الْمَضَاءِ فَتُنْثِنِ وَمُصَمَّمُ  
 وَلَكُمْ تَسَامَى بِالرَّفِيعِ نِصَابُهُ      خَطَرُهُ فَنَاصِبُهُ الْوَضِيعُ الْأَلَامُ <sup>(٣)</sup>  
 وَأَشَدُّ فَاجِعَةً الدَّوَاهِي مُحِينُ      يَسْمَى لِئِمْلَقَةِ الْجَرِيمَةِ مُجْرِمُ <sup>(٤)</sup>  
 تَلْقَى الْحَسُودَ أَصَمَّ عَنْ جَرَسِ الْوَفَا      وَلَقَدْ يُصْبِحُ - إِلَى الرِّقَاةِ - الْأَرْقَمُ <sup>(٥)</sup>

\*\*\*

قُلْ لِلْبَغَاةِ الْمُنْبِضِينَ قِسِيَهُمْ      سَتَرُونَ مَنْ تُصْنِيهِ تِلْكَ الْأَسْهُمُ  
 أَسْرَزْتُمْ فَرَأَى نَجِيَّ عِيُوبِكُمْ      شَيْعَانُ مَذْلُولٌ عَلَيْهَا مُلْهُمُ

- (١) يقول إن الدهر إن أملى بلسان الحوادث الفصيح الأبحم يكسب اعتباري وقياسي الحوادث والمبرمضها بعض علم ما جهلت . (٢) إن الذي قاس الحوادث بمقياس صحيح استوى لديه حلول الحيات ومرها . (٣) وكثيرا ما يتسامى بالذي ارتفع منصبه خطره وشرفه فيناصبه النداء ومع لثيم حسدا منه وديا . (٤) وأشد ما يذبح الانسان من الدواهي محسن يسمى مجرم ليلصق به إساءة وحرمة . (٥) يصيب مضارع أصاخ له استمع ، والرقاة جمع راق من الرقية وهي ما ينثف فيه من المود ، والأرقم ذكر الحيات وهو أخشها وأظلمها للناس ، أو هو ما به يباين وسواد ، يقول : إن الحسود أصم عن سماع صوت الوفاء في حين أن الأرقم وهو أخبث الحيات وأشدّها عداوة للناس يصيح بسدده للراق الذي يتلو وينثف في المود ، وفي الأصل « ولقد يصيح إلى الرقاة الأرقم » .



وَعِبَائُكُمْ لِلْفِسْقِ ظُفْرٌ سِمْكَانِيَّةٌ  
وَنَبَذْتُمْ التَّقْوَى وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ  
مَا كَانَ حِلْمٌ « مُحَمَّدٍ » لِيُحْيِلَهُ  
مَلِكٌ تَطْلَعُ لِلنَّوَاطِرِ غُرَّةٌ  
يَغْشَى النَّوَاطِرَ مِنْ جَهْرِ رُؤَايِهِ  
وَسَنَا جَبِينٍ يَسْتَطِيرُ شُعَاعُهُ  
صَلَتْ تَوَدُّ الشَّمْسُ لَوْ صِغَتْ لَهُ  
فَضَحَتْ مَحَاسِنُهُ الرِّيَاضَ بَكِي الْحَيَا  
بِالْقَدْرِ يَبْعُدُ وَالتَّوَاضُّعَ يَدِّنُ  
جَذْلَانُ - فِي يَوْمِ الْوَغَى - مُتَطَلِّقُ  
بَاسٍ - كَمَا صَالَ الْهَزْبُ - إِزَاءَهُ  
لَمْ يَمْدُكُمْ أَنْ رُدَّ وَهُوَ مُقَلَّمٌ  
فَقَدْ بَنَيْضَكُمْ التَّقِي الْأَكْرَمُ  
عَنْ عَهْدِهِ دَغِلُ الضَّمِيرِ <sup>(١)</sup> مُدَمَّمٌ  
زَهْرَاءُ يُبْدِيهَا الرِّمَانُ الْأَدْهَمُ  
خَلَقَ - يُرَى مِلَّ الصَّدُورِ - مُطَهَّمٌ <sup>(٢)</sup>  
يُغْنِي - عَنِ الْقَمَرَيْنِ - مَنْ يَتَوَسَّمُ <sup>(٣)</sup>  
تَاجًا تُرْصَعُ جَانِبَيْهِ الْأَنْجُمُ <sup>(٤)</sup>  
- وَهَنَا عَلَيْنَا - فَأَغْتَدَتْ تَبَسُّمُ  
وَالشَّرَّ يَشْمُسُ وَالنَّدَى يَتَغَيَّمُ <sup>(٥)</sup>  
وَجْهًا إِلَيْهَا وَالرَّدَى مُتَجَهَّمُ <sup>(٦)</sup>  
جُودٌ كَمَا جَاشَ الْخِصْمُ الْخِضْرُ <sup>(٧)</sup>

- (١) بصيره حقد مكتم . (٢) الرواء : الحسن ، وخلق مطهم : تام بارع الجمال .  
(٣) يستطير : ينتشر ، من القمرين : الشمس والقمر ، والذي أجاز التثنية مع اختلاف لفظ المرد  
العليب كما هو معروف في كتب النحو ، ويتوسم : ينظر إلى وسامة ذلك الجبين المضيء وحسنه .  
(٤) الصلت : صفة الجبين ومعناه الواضح البارز المستوى ، أي تود الشمس لو أنها صيغت تاجاً مرصعاً  
بلائي النجوم ، ووضع فوق جبين المدحج : (٥) في الأصل :  
« بالمدحج يعبد والتواضع يدني » والبشر شمس والتدى يتغيم .  
والقدي أثبتناه هنا هو ما عطيه المعنى .  
(٦) يقول : أنه يرى يوم الحرب جذلان فرحا طلق الوجهه باشاً إلى الحرب والردى متجهم عابس  
الوجه كرية النظر ، وفي الأصل : « والروا متجهم »  
(٧) البحر العظمطم العظيم .

❖

كُلُّ الْمُلُوكِ لَهُ الْعَلَاءُ تُسَلِّمُ  
أَنْ صِرْتَ فَذَهُمُ الَّذِي لَا يُنَامُ<sup>(١)</sup>  
مِنْ أَنْ يُضَافَ إِلَيْكَ صِنُوءٌ - أُعْقَمُ<sup>(٢)</sup>  
فَالدَّاءُ يَسْرِي إِنْ عَدَا لَا يُحْسَمُ  
بُرْكَانَ نَارٍ كُلِّ شَيْءٍ تَحْطِمُ  
أُولَاهُ طَلٌّ ثُمَّ وَبَلٌ يَشْجُمُ<sup>(٣)</sup>  
وَأَفْهَمُ فَإِنَّكَ بِالْبَوَاطِينِ أَفْهَمُ  
فِي كُلِّ مَتَّهَمٍ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ  
فَصَصَفَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَلَدَّ الْمَطْعَمُ  
وَلَأَنْتَ أَمْضَى فِي الْخُطُوبِ وَأَشْهَمُ  
وَحُسَامُكَ الْمَضْبُ الَّذِي لَا يَكْهَمُ  
وَالْمَجْدُ أَشْمَخُ وَالصَّرِيْمَةُ أَضْرَمُ<sup>(٤)</sup>

❖

وَأَحْزَمُ ، فِثْلُكَ فِي الْعِظَائِمِ أَحْزَمُ  
يَنْتَا عَلَى مَرٍّ اللَّيَالِي يُعْلَمُ :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي  
سُدَّتَ الْجَمِيعَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ مُنْكَرٌ  
لَا غَرْوٌ أَمْ الْمَجْدُ - فِي بَكْرِ الْحِجَابِ  
فَاحْسِمِ دَوَاعِي كُلِّ شَرٍّ دُونَهُ  
كَمْ سَقَطَ زِنْدٍ قَدْ نَمَّا حَتَّى غَدَا  
وَكَذَلِكَ السَّيْلُ الْجَحَافُ فَإِنَّمَا  
وَالْمَالُ يُخْرِجُ أَهْلَهُ عَنْ حَدِّهِمْ  
وَإِذَا كُرِ صَنِيعَ أَيْكَ أَوَّلَ أَمْرِهِ  
لَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ مَنْ تَوَقَّعَ شَرَّهُ  
فَعَلَامَ تَنْكُلُ عَنْ صَنِيعِ مِثْلِهِ  
وَجَنَابُكَ الثَّبْتُ الَّذِي لَا يَنْتَدِي  
وَالْحَالُ أَوْسَعُ وَالْمَوَالِي بَحَّةٌ

لَا تَتْرُكَنَّ لِلنَّاسِ مَوْضِعَ شُبْهَةٍ  
قَدْ قَالَ شَاعِرٌ كِنْدَقٍ فِيهَا مَضَى

(١) الذي لا يكون له توهم ونظير من الملوك .

(٢) لا غرو فان أم المجد عقيم في بكرها الموسوم بالحجا والعقل قد يئست من أن تضيف إليه صنوا .

(٣) الجحاف : كغراب الذي يذهب بكل شيء .

(٤) الصريمة : الصريمة وأصرم أى أقطع ، وفي الأصل : « والصريمة ضيغم . »

« لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ <sup>(١)</sup> »

\*\*\*

فَرَّقَ عَوْتَ ، فَزَارَتْ زَارَةً زَاجِرِ	رَاعَ الْكَلْبَ بِهَا السَّبْتَى الضَّيْفَمُ <sup>(٢)</sup>
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَعُودُ سَفِيهِمُ	أَمْ قَدْ سَمَاهُ النَّبْجُ ذَاكَ الْمَكَمُ ؟
لِي مِنْكَ فَلْيَذِبِ الْحَسُودُ تَلْظِيًا	لُطْفُ الْمَكَانَةِ وَالْمَحَلِّ الْأَكْرَمُ
وَشَفُوفُ حَظِّ لَيْسَ يَفْتَأُ يُجْتَلَى	غَضَّ الشَّبَابِ وَكُلُّ حَظٍّ يَهْزَمُ
لَمْ تُلَفْ صَاغِبَتِي <sup>(٣)</sup> لَدَيْكَ مُضَاعَةً	كَلًّا وَلَا خَفِيَّ أَصْطِنَاعِي الْأَقْدَمُ
بَلْ أَوْسَعَتْ حِفْظًا وَصِدْقَ رِعَايَةٍ	ذِمَمٌ مُوَهَّغَةُ الْعُرَا لَا تُفْصَمُ
فَلْيَخْرِقَنَّ الْأَرْضَ شُكْرُ مُنْجِدٍ	مِنِّي تَنَاقُلُهُ الْمَحَافِلُ مُتْهِمُ
عَطِرٌ - هُوَ الْمِسْكُ السَّطُوعُ - يَطِيبُ فِي	شَمِّ الْعُقُولِ أَرِيحُهُ الْمُتَنَسِّمُ
وَإِذَا غُصُونُ الْمَكْرُمَاتِ تَهَدَّلَتْ	كَانَ الشَّاءُ هَدْيُهَا الْمُرْتَمِّمُ
الْفَخْرُ تَغَرُّ - عَنْ حِفَاظِكَ - بِاسِمٍ	وَالْمَجْدُ بُرْدٌ - مِنْ وَفَائِكَ - مُعْلَمُ
فَأَسْلَمَ مَدَى الدُّنْيَا فَأَنْتَ جَمَالُهَا	وَتَسْوَعُ النُّعْمَى فَإِنَّكَ مُنْعِمُ

(١) هذا البيت للمثنى وقد انتبه ابن زيدون في هذه النصيدة .

(٢) السبتي والضيفم من أسماء الأسد .

(٣) صاغية الرجل خاصته : الذين يشون مجلسه .

## ذكرى قرطبة

سَقَى اللَّهُ أَطْلَالَ الْأَحِبَّةِ بِالْحَمَى  
وَحَالَكَ عَلَيْهَا ثَوْبَ وَشِي مُنَمَّنَا  
وَأَطْلَعَ فِيهَا لِلْأَزَاهِيرِ أَنْجُمَا  
فَكَمْ رَفَلَتْ فِيهَا الْخَرَائِدُ كَالْدُمَى<sup>(١)</sup> إِذِ الْعَيْشُ غَضٌّ وَالزَّمَانُ غُلَامٌ

\*\*\*

أَهْمِ بِحَبَّارٍ يَعِزُّ وَأَخْضَعُ<sup>(٢)</sup>  
شَدَا الْمِسْكِ - مِنْ أَرْذَانِهِ - يَتَضَوَّعُ  
إِذَا جِئْتُ - أَشْكُوهُ الْجَوَى - أَيْسَ يَسْمَعُ  
فَمَا أَنَا - فِي شَيْءٍ مِنَ الْوَصْلِ - أَطْمَعُ وَلَا أَنْ يَزُورَ الْمُقْلَتَيْنِ مَنَامُ

\*\*\*

قَضِيبٌ - مِنَ الرِّيحَانِ - أُنْمَرَ بِالْبَدْرِ  
لَوَاحِظٌ عَيْنَيْهِ مُلَائِنٌ مِنَ السَّخْرِ  
وَدِيْبَاجٌ خَدَّيْهِ حَكَى رَوْتَقَ الْخَمْرِ  
وَأَلْفَاظُهُ - فِي النُّطْقِ - كَاللَّوْلُو النَّثْرِ وَرِيقَتُهُ - فِي الْإِرْتِشَافِ - مُدَامُ

(١) رمل : حر ذيله وتحت ، قال الشاعر : « يرملن في سرق الحرير وفرته » الخرائد - جمع خريدة -  
وهي المرأة الحية ، وهي أيضاً الأواؤة التي لم تنقب ، قالوا : وكل عذراء خريدة ، والدمى - جمع دمية -  
وهي الصورة الملقشة المربنة فيها حرة كالدَّم ، وقيل : هي من الرِّحَام ، وقيل : هي من العاج ، وهي تفترق  
مثلاً في الحسن ، يقال « أحسن من الدمية »

(٢) قال الشريف :

« لو حيث يستمع السرار وقتها ، لمجبتها من عرقه وخفوه » .

سَقَى جَنَبَاتِ الْقَصْرِ صَوْبُ النَّمَامِ -  
وَفَغَى عَلَى الْأَغْصَانِ وَرَقُ الْحَمَامِ -  
« بِقُرْطُبَةَ » الْغُرَاءِ دَارِ الْأَكَارِمِ -  
بِلَادِهَا شَقَى الشَّبَابُ تَمَامِي <sup>(١)</sup> وَأُنْجَبَنِي قَوْمٌ - هُنَاكَ - كِرَامُ

فَكَمَ لِي فِيهَا مِنْ مَسَاءٍ وَإِصْبَاحِ -  
بِكُلِّ غَزَالٍ مُشْرِقِ الْوَجْهِ وَضَاحِ -  
يُقَدِّمُ <sup>(٢)</sup> أَفْوَاهَ الْكُؤُسِ بِتُفَّاحِ -  
إِذَا طَلَعَتْ فِي رَاحِهِ أَنْجُمُ الرَّاحِ - فَإِنَّا - لِإِعْظَامِ الْمَدَامِ - قِيَامُ

وَيَوْمَ لَدَى « النَّبِيِّ » فِي شَاطِئِ النَّهْرِ -  
تُدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي قِتْيَةِ زُهْرِ <sup>(٣)</sup> -  
وَلَيْسَ لَنَا فَرْشٌ سِوَى يَانِعِ الزَّهْرِ -  
يَدُورُ بِهَا عَذْبُ اللَّمَّا أَهْيَفُ الْخَصْرِ - بِفِيهِ - مِنَ النَّعْرِ الشَّيْبِ - نِظَامُ <sup>(٤)</sup>

(١) النَّمَامُ - جمع تيمية - وهي عوذة تعلق على الأطفال بحافة العين ، ومنه قول القائل : « من علق تيمية فلا أثم الله له » وقول الشاعر :

« وَإِذَا النِّيَّةُ أُنْثِثَتْ أَطْفَارُهَا أَلْبِثَ كُلُّ تَيْمِيَةٍ لَا تَنْفَعُ . »

(٢) قَدَّمَ فَمِ الْآتِيَةِ وَأَقْدَمَهَا جَعَلَ عَلَيْهَا الْقَدَامَ أَيْ الْغَطَاءَ .

(٣) زَهْرٌ : مُشْرِقُ الْوَجْهِ ، وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا - فِي بَابِ الْحَرِيَاتِ - قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :

« وَدَارُ نَدَامِي عَطَلُوهَا وَأَدْلَجُوهَا بِهَا أَثَرُ مِنْهُمْ جِيٌّ وَدَارِسٌ

مَسَاحٌ مِنْ حَرِّ الرِّقَاقِ عَلَى الثَّرَى وَأَضْغَنَاتٌ وَيَحْمَانٌ حَنِيٌّ وَيَاسٌ

حَبَسَتْ بِهَا صَحْبِي بِخَدَّتِ عَهْدَهُمْ وَإِنِّي عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ الْحَابِسِ

وَلَمْ أَدْرِ مِنْهُمْ غَسِيرٌ مَا شَهِدْتُ بِهِ - بِمَشْرِقِ سَابِطٍ - الْهَيَارُ الْبَسَابِسِ

أَقْبَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَلَاثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرْحَلِ خَامِسٌ

تُدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجِدِيَّةٍ حَتْمًا بِأَنْوَاعِ التَّصَايِرِ فَارِسٌ

قَرَارَتِهَا كَسْرِي وَفِي جَنَابَتِهَا مِمَّا تَدْرِيبُهَا بِالْقَسَى الْقَوَارِسُ

فَلَا خَمْرَ مَا زَرَّتْ عَلَيْهِ جِيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَفْلَانِسُ »

(٤) الشَّيْبُ - مِنَ الشَّبَابِ - وَهُوَ رِقَّةٌ أَوْ هَذُوبَةٌ فِي الْأَسْنَانِ ، وَقِيلَ يَقُطُّ بَيْضُ فِيهَا .

وَيَوْمَ « بِجُوفِي الرُّصَافَةَ » مُبْهِجٍ  
مَرَزْنَا بِرَوْضِ الْأَفْحْوَانِ الْمُدَّيِّجِ  
وَقَابَلْنَا فِيهِ نَسِيمُ الْبَنْفَسِجِ  
وَلَاخَ لَنَا وَرَدٌ<sup>(١)</sup> كَخَدِّ مُضَرَّجٍ تَرَاهُ أَمَامَ النُّورِ وَهُوَ إِمَامُ

وَأَكْرَمُ بَأَيَّامِ « الْعُقَابِ » السَّوَالِفِ<sup>(٢)</sup>  
وَلَهُوَ أَثَرُ نَاهُ بِتِلْكَ الْمَعَاطِفِ  
بِسُودِ أَثِيثِ الشَّعْرِ بِيضِ السَّوَالِفِ  
إِذَا رَفَلُوا فِي وَشْيِ تِلْكَ الْمَطَارِفِ<sup>(٣)</sup> فَلَيْسَ - عَلَى خَلْعِ الْعِذَارِ - مَلَامُ

وَكَمْ مَشْهَدٍ عِنْدَ « الْعَقِيقِ » وَجْسِرِهِ  
قَعَدْنَا عَلَى مُخْرِ النَّبَاتِ وَصُفْرِهِ  
وَوَظَنِي يُسْقِينَا سُـلَافَةَ خَمْرِهِ  
حَكِي جَسَدِي فِي السَّقَمِ - رِقَّةَ خَضْرِهِ لَوَاحِظُهُ - عِنْدَ الرُّثُوثِ - سِهَامُ

فَقُلْ لِيَزْمَايَ قَدْ تَوَلَّى نَعِيمُهُ  
وَرَثْتُ - عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي - رُسُومُهُ  
وَكَمْ رَقٍّ فِيهِ - بِالْعَشِيِّ - نَسِيمُهُ  
وَلَا حَتَّ لِسَارِي اللَّيْلِ فِيهِ نُجُومُهُ : « عَلَيْكَ مِنَ الصَّبِّ الْمَشُوقِ سَلَامٌ »

(١) في الأصل : « نجد »

(٢) السوالمف - جمع سالفه - وهي صفحة العنق ، وقيل : ناحية مقدمها من لدن معاق القرمط إلى الترقوة . وقد تقدم في ص ( ٥٤ ) وما يليها شرح أمكنة ومعاهد بقرطبة منها ( جوفى الرصافة ) و ( العقاب ) فارجع إليها إن شئت . (٣) المطارف - جمع مطرف - وهو رداء من خز مربع ذو أعلام .

## سلوى المضطر

لَنْ قَصَرَ الْيَأْسُ مِنْكَ الْأَمَلُ      وَحَالَ تَجَنُّيْكَ دُونَ الْحِيلِ  
وَنَاجَاكَ - بِالْإِفْكَ - فِي الْحَسُودِ      فَأَعْطَيْتِهِ - جَهْرَةً - مَا سَأَلَ  
وَرَأَقَكَ سِحْرُ الْعِدَا الْمُفْتَرَى      وَغَرَّكَ زُورُهُمْ الْمُفْتَعَلِ  
وَأَقْبَلْتَهُمْ فِي وَجْهِ الْقَبُولِ      وَقَابَلَهُمْ بِشْرِكَ الْمُقْتَبَلِ  
فَإِنَّ ذِمَامَ الْهَوَى لَمْ أَزَلْ      أَبْقِيَهُ <sup>(١)</sup> حِفْظًا كَمَا لَمْ أَزَلْ

\* \*

فَدَيْتِكَ - إِنْ تَعَجَّلِي - بِالْجَفَا      فَقَدَّيْتَهُ الرِّيثَ بَعْضُ الْمَجَلِ <sup>(٢)</sup>  
عَلَامَ أَطْبَتِكَ <sup>(٣)</sup> دَوَاعِي الْقَلَى ؟      وَفِيمَ ثَنَّتِكَ نَوَاهِي الْعَدَلِ ؟  
أَلَمْ أَلْزِمِ الصَّبْرَ كَيْمَا أَخَفَّ ؟      أَلَمْ أَكْثِرِ الْهَجَرَ كَيْ لَا أَمَلُ  
أَلَمْ أَرْضَ مِنْكَ بِغَيْرِ الرِّضَى      وَأَبْدَى الشُّرُورَ بِمَا لَمْ أَتْلُ ؟  
أَلَمْ أَغْتَفِرْ مُوْبِقَاتِ الدُّنُو      بِعَمْدٍ أَتَيْتَ بِهَا أَمْ زَلَلْ ؟

(١) في الأصل : « أَبْقِيَهُ »

(٢) في هذا قصيدتين للمثل المشهور : « رب عجلة تهب ريثاً » ، قالوا : وأصل المثل فيما حكاه المفضل الضبي أن مالك بن عوف بن أبي عمرو بن عوف بن محم شام غيماً فأراد أن يرحل بأمرأته خاتمة بنت عوف بن أبي عمرو ، فقال له مالك : أين تظنن يا أخى ؟ قال : أطلب موقع هذه السحابة ، قال : لا تفعل فإنه ربما خيلت وليس فيها قطر ، وأما أخاف عليك ، قال : لكنني لست أخاف فضي ، وعرض له عيسى وأعجله عن امرأته وجعلها بين لسانه ولم يكشف لها سترها ، فقال مالك بن سنان : ما فعلت أحق ، قال : نفتى عنها الرماح فقال مالك : رب عجلة تهب ريثاً ، وفروقة يدعى لينا ، ورب غيث لم يكن غيثاً .

(٣) اطبتك : أعجبتك وراقتك . قال ابن دريد :

« ولا اطبي عيني - منذ فارقتهم - شيء يروق العين من هذا الوردى . »

وَمَا سَاءَ ظَنِّي فِي أَنْ يُسِيءَ      بِي الْفِعْلَ حُسْنُكَ حَتَّى فَعَلَ  
عَلَى حِينٍ أَصْبَحْتَ حَسْبَ الضَّمِيرِ      وَلَمْ تَبْغِ مِنْكَ الْأَمَانِي بَدَلْ  
وَصَانَكَ مِنِّي وَفِيَّ أَبِي      لِعَلِّقِ الْعَلَاقَةَ أَنْ يُبْتَدَلَ

\* \*

سَمِعْتَ لِتَكْدِيرِ عَهْدٍ صَفَا ،      وَحَاوَلْتَ نَقْصَ وَدَادٍ كَمَلْ  
فَمَا عُوِفَيْتَ مِقَّتِي <sup>(١)</sup> مِنْ أَدَى      وَلَا أُعْفِيْتَ ثِقَتِي مِنْ خَجَلْ  
وَمَهْمَا هَزَزْتُ إِلَيْكَ الْعِتَا      بَ ظَاهَرْتَ بَيْنَ ضُرُوبِ الْعِلَالِ  
كَأَنَّكَ نَظَرْتَ أَهْلَ الْكَلَامِ      وَأَوْتَيْتَ فَهْمًا بِعِلْمِ الْجَدَلِ  
وَلَوْ شِئْتَ رَاجَعْتَ حُرَّ الْفَعَالِ      وَعُدْتَ لَتِلْكَ السَّجَايَا الْأُولِ  
فَلَمْ يَكْ حَظِّي مِنْكَ الْأَخْسَ      وَلَا عُدَّ سَهْمِي فِيكَ الْأَقْلَ

\* \*

عَلَيْكَ السَّلَامُ سَلَامَ الْوَدَاعِ      وَدَاعَ هَوَى مَاتَ قَبْلَ الْإِجَالِ  
وَمَا بِاخْتِيَارٍ تَسَلَّيْتُ عَنْكَ ،      وَلَكِنِّي : مُكْرَهُ لَا بَطْلَانِ <sup>(٢)</sup>  
وَلَمْ يَذَرِ قَلْبِي كَيْفَ التُّرُوعِ      إِلَى أَنْ رَأَى سِيرَةً فَاثْتَمَلْ  
وَلَيْتَ الَّذِي قَادَ عَفْوًا إِلَيْكَ      أَبِي الْهَوَى فِي عِيَانِ الْغَزَلِ  
يُحِيلُ عَذُوبَةً ذَاكَ الْمَا      وَيَشْنِي مِنَ الشَّقَمِ تِلْكَ الْمُقْلَ .

(١) مَقَّتِي : حَقِي .

(٢) يَقُولُ : لَأَنْتِي مَرْغَمٌ عَلَى السَّلَاوِ لَيْسَ لِي فِيهِ اخْتِيَارٌ وَفِي الْمَثَلِ « مُكْرَهُ أَخُوكَ لَا بَطْلَانِ » يَضْرِبُ لِمَنْ يَحْمِلُ  
هَلِي مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ ، وَلَا هُوَ دَاخِلٌ فِي حُدُودِ اسْتَطَاعَتِهِ .



## في مدح المعتضد

« وقال أيضا يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل

الله أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد . »

لِلْحُبِّ - فِي تِلْكَ الْقِيَابِ - مَرَادُ<sup>(١)</sup>      لَوْ سَاعَفَ الْكَلِيفَ الْمَشُوقَ مُرَادُ  
لِيَغْمُرَ هَوَاكَ فَقَدْ أَجَدَّ حِمَايَةَ<sup>(٢)</sup>      لِفَتْاقَةِ نَجْدٍ فِتْيَةٍ أَنْجَادُ<sup>(٣)</sup>  
كَمْ ذَا التَّجَلُّدُ؟ لَنْ يُسَاعِفَكَ الْهُوَى      بِالْوَصْلِ إِلَّا أَنْ يَطُولَ نِجَادُ<sup>(٤)</sup>  
أَعْقِيلَةَ السَّرْبِ ! الْمُبَاحُ لَوِزْدِهَا      صَفْوُ الْهُوَى إِذْ حُلِيَ الْوُرَادُ<sup>(٥)</sup>  
مَا لِمَصَايِدٍ لَمْ تَنْلِكَ بِحِيلَةٍ؟      إِنَّ الظَّبَاءَ لَتُدْرِي<sup>(٦)</sup> فَتُصَادُ  
إِنْ يَعْدُ عَنْ سَمَرَاتٍ جِزْعِكَ - سَامِرُ<sup>(٧)</sup>      فِي كُلِّ مُطْلَعٍ لَهُمْ إِرْعَادُ<sup>(٨)</sup>

(١) مكان ارتياد . (٢) ليغمر : لينحدر إلى النور ، والانعقاد : جمع محيد وهو الشجاع ذو النجدة والبأس . (٣) يقول : ما هذا النجلد والصبر / لأنه لن يسعك الهوى بالوصل ما لم تكن شجاعا طويل النجاد بحيث يبابك الأعداء ، وتستطيع زيارة هذه الحبيبة في حي دوما رغم رثيم ووعيدهم . (٤) العقيلة : الكريهة من النساء المخدرة ، وحلي الوراد : منعوا من ورود الهوى صفوا ، أي يا عقيلة بين سرب من النساء مباح لها ورد الهوى صافيا ممنوع غيرها من ورده ، وجواب النداء في البيت بعده . (٥) المصايد : بلا همز جمع مصيده كعيشه ومعايش ، وتدرى : تفعل من ادري الصائد الصيد إذا ختل واحتال له ليصيده ، قال الشاعر :

« وماذا يدري الشعراء مني      وقد جاوزت حد الأربعين . »

وقال أبو نواس في وصف كأس :

« قرارتها « كسرى » وفي جنباتها      مها تدورها - بالقوى - الفوارس . »

(٦) سمرة : جمع سمرة ( بفتح فضم ) ضرب من الشجر . قال امرؤ القيس :

« كائن غداة البين - يوم ترحلوا -      لدى سمرة الحى نائف حنظل . »

وجزعك : أراد به جزع الوادي أي منقطعه الذي يقطعه عرضا إذا أراد زيارتها ، والسامر : مجلس السمر يقول : إن يمدني ويعني عن سمرة جزع واديك سمار من قومك لهم في كل ثنية ومطلع لإرصاد وإبراق وجر وتخويف ، وجواب الشرط في البيت بعده .

فَبِمَا تَرَقَّرَقَ الْمُتَسِّمُ بَيْنَهَا      غَلَّلَ شَفَى حَرِّ الْغَلِيلِ بُرَادُ (١)  
 أَنَا حِينَ أُطْرِقُ لَيْسَ يَفْتَأُ طَارِقِي      شَوْقُ كَمَا طَرَقَ السَّلِيمُ عِدَادُ (٢)  
 يَنْهَى جَفَاؤُكَ عَنْ زِيَارَتِي الْكَرَى      كَيْلًا يَزُورُ خِيَالُكَ الْمُعْتَادُ  
 لَا تَقْطَعِي صِلَةَ الْخِيَالِ تَجَنُّبًا      إِذْ فِيهِ مِنْ عَوَزِ الْوِصَالِ سِدَادُ (٣)  
 مَا ضَرَّ أَنَّكَ بِالسَّلَامِ ضَفِينَةٌ      أَيَّامَ طَيْفِكَ بِالْعِنَاقِ جَوَادُ  
 هَلَّا سَمَلْتَ الشَّقَمَ عَنْ جِسْمٍ لَهُ      فِي كِلَةِ زُرَّتْ عَلَيْكَ فُؤَادُ  
 أَوْعَدْتَ مِنْ سَقَمِ الْهَوَى، إِنْ الْهَوَى      مِمَّا يُطِيلُ ضَنِّي الْفَتَى فَيُعَادُ  
 إِيهَا ! فَلَوْلَا أَنْ أُرْوَعَكَ بِالشَّرَى      لَدَنَا وَسَادُ أَوْ لَطَالَ سِوَادُ (٤)

(١) ترقق : تحرك وجاء وذهب كما يرى في ترقق السراب والماء ودرند السيف ، والصمير في « بينهما »  
 حائذ نلى السمرات ، والغلل : الماء الذي يتدل بين الشجر ، والغليل : العطش ، والبراد : البارد ، يقول :  
 لأن يمنعني قومك من الوصول إليك فبعسيل الوادي الذي يتغلل ماؤه بين سمرات الحى ما يشقى غليلي ويبرد  
 فلتى ، يريد أن الوصول إلى هذا المكان يدعى حرارة الشوق عنده ، وقد ورد هذا البيت والذي قبله في  
 الأصل على هذه الصورة :

« إن يمدعن ثمرات جردك ساسر في كل مطلع لهم إرهاد

فبما ترقق للمتسم بينها غلل تى جر الليل براد . »

(٢) السليم : المدوخ ، وعداد السليم : احتياج الوجع عنده ، وذلك إذا تمت له سنة من يوم لدغ حاج  
 به الألم ، أو عداؤه أن تعد له سبعة أيام فإن مدت رجوا له البرء ، يقول : أنا حين أطرق برأسى مفكرا  
 يطرقنى من ألم الشوق ما يطرق اللدغ حاج به الألم المعاد .

(٣) سداد : بالكسر هو كل شيء سدوت به خلا ، ومنه سداد القارورة وهو صمامها الذى يسد به  
 رأسها ، ويقال : سداد من عوز وسداد من عيش وهو مائسد به الحاجة .

(٤) الوساد : الخدة والسواد : السرار مصدر ساردها مسودة وسوادا أى سارها مسارة وسرارا فأدنى  
 سواده من سوادها ، وقيل لابنة الحس : « لم زنت وأنت سيدة قومك » ؟ فقالت : « قرب الوساد ،  
 وطول السواد . » وأرادت بطول السواد كثرة المسارة عند النوم لأن المسارة يلزمها قرب السواد من السواد ،  
 أى دنو شخصها من شخصه ، وهو مثل يضرب الأمر يلقى صاحبه فيما يكره .

لَفَشَيْتُ سَجْفَكَ فِي مُلَاءَةٍ نَثْرَةٍ (١)  
فُضِّلَ سِرْوَى أَنْ الْعِطَافَ نِجَادُ (١)  
لَا مِيلَ فِي سُكْرِ اللَّمَّا فَيَبَيْتَ لِي - مِمَّا حَوَى ذَاكَ السَّوَارُ - وَسَادُ  
فَعَدَى الْمُنَى، فَوَعِيدُ قَرْنِكَ لَمْ يَكُنْ لِيَعُوقَ عَنْ أَنْ يُقْتَضَى الْمِيعَادُ

\*\*\*

أَصْبُو إِلَى وَرْدِ الْخُدُودِ إِذَا عَدَتْ  
جُرْدُ - تُبْلَغُنِي جَنَاهُ - وَرَادُ  
وَأَرَاخُ لِلْعِطْرِ السَّطُوعِ أَرْيَحُهُ  
إِنْ شَيْبَ بِالْجَسَدِ الْعَطِيرِ جَسَادُ (٢)  
عَزَمُ إِذَا قَصَدَ الْحِمَى لَمْ يَنْدِهِ  
أَنَّ الْقَنَا - مِنْ دُونِهَا - أَقْصَادُ (٣)  
مَنْ كَانَ يَجْهَلُ مَا الْبَلِيدُ، فَإِنَّهُ  
مَنْ تَطْبِيهِ - عَنِ الْخُطُوطِ - بِلَادُ (٤)  
وَفَتَى الشَّهَامَةِ مَنْ - إِذَا أَمَلَ سَمَا -  
نَفَذَتْ بِهِ شُورَى أَوْ اسْتَبْدَادُ (٥)

\*\*\*

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِ الْأَحْبَبَةِ إِذَا بَتَ  
ذِكْرَاهُمْ أَنْ يَطْمُنَّ مِهَادُ  
لَا يَأْسَ ، رُبَّ دُنُوِّ دَارٍ جَامِعٍ  
لِلشَّمْلِ قَدْ أَدَّى إِلَيْهِ بَعَادُ (٦)

(١) السجف : الستر ، قالوا : أو هو الستران المقرونان بينهما فرجة ، أو دوكل باب ستر بسترين مقرونين ، فكل شق سجف وسجاف ، ويقال : اسجف الستر أى أرسله ، والملاءة : الرقعة ، والنثرة : الدرع السلسلة الملبس أو الواسعة ، والمفضل - كالمفضلة - : الثياب التى تبتذل للنوم ، وثوب فضل أى واحد أو هو أن يخالف بين طرفيه فيجعلهما على طاقه ويتوشع به ، والنجاد : حائل السيف وضعها على طاقه فكانت بدل العطف ، يقول : لفشيت سجفك ، ودخلت عليك سترك فى درع واسمة كالملاءة ، فضل أى خالفت بين طرفيها فجعلتهما على طاقى حين توشعت بها ، أو فضل أى واحدة ليس على غيرها سوى ما وضعته على طاقى كالمطاف من نجاد السيف أى حائله .

(٢) الجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران أو المصفر ، والجساد : الزعفران ، قالوا : « والجسد والجساد : الزعفران » ويقال : أجسد ثوب فلان إجاداً فهو مجسد . يقول : لاني أرتاح وأنعم بعطرك الساطع إذا امتزج طيب الزعفران بثوبك الأحمر المصبوغ بالزعفران أو الأصفر المصبوغ بالمصفر .

(٣) أقصاد : يقال تقصدت الرماح تكسرت ورمح أقصاد منكسر ، ورماح أقصاد متكسرة يوصف به الواحد والجمع ، يقول : إذا اعتزمت زيارتها ، وقصدت حماها لم يصرفنى من هزى أن الرماح تتكسر دون الوصول إليها ، وفى الأصل : « الفنى . » (٤) اطباء : ازدهاء ، وشاء وأعجبه .

(٥) وفى الأصل : « نفذت به شورى أو استبداد »

(٦) وفى الأصل : « لا يأس »

إِنَّ أَغْتَرِبَ فَمَوَاقِعَ الْكَرَمِ - الَّذِي  
 أَوْ أَنَا - عَنْ صَيْدِ الْمُلُوكِ بِجَانِبِي -  
 الْمَجْدُ عُدْرُهُ فِي الْفِرَاقِ لِمَنْ نَأَى  
 يَا هَلْ أَتَى مَنْ ظَنَّ بِي - فَظَنُّوهُ  
 أَنِّي رَأَيْتُ « الْمُنْذِرِينَ » كَلِمَتَهُمَا  
 وَبَصُرْتُ بِالْبُرْدَيْنِ إِرْثٍ « مُحَرَّقٍ » (٣)  
 فِي الْغَرْبِ شَمْتُ بُرُوقَهُ - أُرْتَادُ  
 فَهُمْ الْعَبِيدُ مَلِيكُهُمْ « عَبَادُ » (١)  
 لِرَى الْمَصَانِعِ مِنْهُ كَيْفَ تُشَادُ (٢)  
 شَيْتَى تَرْجَحُ يَتْنَهَا الْأَضْدَادُ -  
 فِي كَوْنِ مُلْكٍ لَمْ يُحِلَّهُ فَسَادُ  
 - لَمْ تَخْلُقَا - إِذْ تَخْلُقُ الْأَبْرَادُ

(١) وفي الأصل :

« أو أمان عن صيد الملوك بجانبني فهم العبيد ملوكهم عباد . »

(٢) وفي الأصل : « المجد عذر في الفراق لمن نأى »

(٣) محرق

هو - كما في شرح العيون - « عمرو بن المنذر بن ماء - الماء » وهو « عمرو بن هند » وكان يعرف بأمه هند بنت الحرث بن حجر آكل المرار الكندي ، وكان يقال لعمرو مضطرب الحجارة لشدة بأسه ، وسعى محرقاً لقصة استوفى أبو العرج شرحها في كتاب الأغاني ، فقال : كان قد طاق حياطيني على ألا ينزعوا ، ولا يفرخوا ، ولا يفرأ ، ثم أنه غرا اليماة ورجع معتبطاً ومربطاً ، فقال له زرار بن عدس التميمي ، وكان من خواصه أبيات اللعن أصب من هذا الحمى شيئاً ، فقال ويلك إن لهم هنداً . قال وإن كان لهم ، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأدوا ، فقال في ذلك قيس بن وجرة الطائي :

« أراك ابن هند لم تعفك أمانة وما المرء إلا عهده ومواقفه

فأقسمت جهدي بالأباطيح من مـ وما خب في بطائن درادته

لئن لم أمير بعض ما قد فعلته لانتحين للعظم ذوات طارقه . »

سمى طارما بهذا البيت وبلغ الشعر عمرو بن هند ، فقال له زرار بن عدس أبيات اللعن أتوعدك ؟ فقال عمرو لرميلة بن شمار الطائي أبهجوني ابن عمك وتوعدني . قال لا والله ما هجأك ، ولكنه قال :

« والله لو كان ابن جفنة جارك ما إن كساكم شبيعة وهوانا . »

وأراد رميلة أن يسلم سجيته ، فقال والله لأقتلنه ، فبلغ ذلك طارما ، فقال لمشدأ :

« أيوعدني والرمل يبنى وبينه تبين رويداً ما امامة من هند

غدرت بمهد كنت أنت أخذتنا عليه وشر الشبيمة المدر بالهد

وقد يترك المدر التقي وطعامه إذا هو أمسى جلده من دم القصد . »

فبلغ عمرو بن هند قوله فغز أطياً فأسراً سرى من بني عدي بن أحزم رهط حاتم ، فوفد حاتم عليه وسأله في الأسرى فأطلقهم له ، وكان المنذر بن ماء السماء أبو عمرو قد وضع ابناً له صغيراً يقال له مالك عند زرار

ابن عدس ، وأن مالكا خرج وما يتصيد فأخفق ولم يجد شيئاً ، فرجع فربا بل لرحل من بنى عبدالله بن دارم يقال له سويد ، وكان هند سويد ابنة زرارعة ، فولدت له سبعة غلعة ، فأمر مالك بن المنذر بناقاة سبيغة منها فنصرها ، ثم اشتوى وسويد تأثم ، فلما انتبه شد على مالك بعصا فضربه فأتمته ، فمات وخرج سويد هارباً حتى لحق بمكة ، وكانت طى تطلب عنزة بن زرارعة وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك ، فقال ثعلبة بن عمرو الطائي :

« من مبلغ عمرواً بأن المرء لم يخلف صباره  
وهـ سوادن الأيام لا تبقى لها إلا الحجارة  
أن ابن عمرو أمتـه بالسفح أسمل من أواره  
تسقى الرياح خلأ كشحيه وقد سلوا أواره  
فاقتل زرارعة لا أرى في القوم أوفى من زرارعه . »

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن هند بكى وفاضت عيناه ، وبلغ الخبر زرارعة فهرب وركب عمرو في طلبه فلم يقدر عليه ، فأخذ أسراؤه وهي حبلى ، فقال أذكرك في بطنك أم أبى ؟ قالت لا علم لي بذلك دبقر بطنها ، فقال قوم زرارعة لررارة والله ما نزل أبا الملك فإنه بأصدقته الخبر ، فأتاه فتنصل إليه ، فقال على بسويد ، فقال إنه لحق بمكة ، قال دعلى ببنيه ، فأتاه ببنيه السبعة وأمرهم بات زرارعة غلعة بعضهم دوى بعض ، فأمر بقتلهم ، فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه وتعلوا بزرارعة الآخرون ، فقال زرارعة : يا بعضى ، وذهب مثلاً وقتلوا وآلى عمرو بن هند ألية ليحرق من بنى حنظلة مائة رجل ، فخرج يريدكم وبعث على مقدمته عمرو بن ثعلبة الطائي فوجد القوم قد أذروا فأخذ منهم ثمانية وتسعين رجلاً بأحذية البحرين فحبسهم ولحقه ابن هند فضربت قبلته وأسراهم بأحدود ثم أضرم فيه ناراً ، فلما احتدم وتلظت قدف بهم فيه فاحترقوا فأقبل راكم من البراجم وهم بطن من بنى حنظلة لا يدري بشيء مما كان يصنع ببيعه فأحد وأتى في النار وأمام عمرو بن هند لا يرى أحداً ، فتيل له لو تحملت بأسراؤه منهم فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلاً ، فدعا بأسراؤه من بنى حنظلة ، فقال لها من أنت ؟ قال الحراء بنت صمرة ، فقال إني لأظنك أعجمية ؟ فماتت : ما أنا بأعجمية ولا ولدتنى العجم :

« إني لبنت صمرة بن جابر ساداً معداً كابرًا عن كابر . »

فقال عمرو : أما والله لولا مخافتي أب تلد مثلك لصرفتك عن النار ، فقالت : « أما والذي أسأته أن يضع وسادك ويغص عمادك ، ما تقتل إلا نساء أقالها ثدى ، وأسادلها دمي . » قال اقذفوها في النار فالتقت وقالت : ألا فنى يكون مكان مجوز ، فلما أبطلوا عليها قالت : هيهات صار الفيان حمداً وسبى من ذلك اليوم محرقاً ، ومن ملوك جفنة أيضا المحرق لسكرته غير صاحب البردين — فأما أمر البردين فخفى أن الوفود اجتمعت عند محرق فأخرج بردين من لباسه يابو الوفود وقال ليقيم أعز العرب قبيلة فليأخذها ، فقام طامر بن أحيمر فأخذها فأثرز بالواحد وارتنى بالآخر ، فقال له أنت أعز العرب قبيلة ؟ قال المر كله في معد والعدد في معد ، ثم في نزار ، ثم في مضر ، ثم في خندف ، ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في بهدلة فن أنكر هذا فلينا فرنى فسكت الناس ، فقال هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك ؟ قال أما أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وهم عشرة ، وخال عشرة ، وما أنا في نفسي وشاهد المر شامدى ، ثم وضع قدمه على الأرض وقال من أزالها من مكانها فله عشرة من الابل فم يقيم إليه أحداً ، وخرج بالبردين فضربت العرب بعزه المثل ويرديه .

## وَعَرَفْتُ مِنْ ذِي الطُّوقِ عَمْرٍو <sup>(١)</sup> تَأْرَهُ لِحَذِيْمَةِ الْوَضَّاحِ <sup>(٢)</sup> حِينَ يُكَادُ

(١) عمرو « ذو الطوق »

انظر ص « ١٤٥ » من هذا الديوان .

(٢) حذيمة الوضح أو الأبرص

هو حذيمة بن مالك بن طامر النخعي ، وقيل الأردى أول من قاد العرب وملاك على قضاة ، وكانت مازله الحيرة والانباء وولايته من قبل اردشير بن بابك ، وكان أبرص فعُدل عن هذا الاسم ، فقيل الأبرص والوضح ، وزعم بعضهم أنه كان يأنف من اسم الأبرص ، ولذلك كنى عنه بالأبرص ، وفي العرب من يفتخر بذلك . قال الرازي يمدح أبرص :

« أبرص فباس اليبدين أكلف والأبرص أدرى باللهما وأعرف . »

وهو أول من صنع له الشع وأدلى من الملوك ، وكان ذا رأى وهمة وديه مفرط ، ويقال له ندم الفرقدين كان إذا شرب قدحاً صب لها قدحين ولا ينادم غسيرهما ، وكان سبب ذلك فيما رعموا أنه كان تكهن واتخذ صنم يقال لها العريان يستسقى بهذا وينتصر على أعدائه ، وكانت ايام قد خرج قوم منهم من الحجار وانتشروا فيما بين البصرة والكوفة وتمكنوا على ما يلي الحيرة وكثروا بين أباغ ، فخرج حذيمة غارياً ، وكان في ايام رحل يقال له عدى بن نصر ، وكان له ظرف وجمال ، وإليه تنسب الملوك من آل نصر ، فنزل حذيمة بساحتهم ، فبعثت ايام قوماً منهم إلى صنم حذيمة فسقوا مسدتهم الحجر وسرتوها فأصبحوا بهذا في ايام ، فبعثت ايام إلى حذيمة تقول : إن صميك قد أصبحا عندنا زهداً فيك ورغبة فينا ، فإن طاهدتنا على أن لا نرونا رددناهما إليك ، فقال حذيمة وتعطوني أيضاً عدى بن نصر يكون عندي ففعلوا وانصرف عنهم ، وضم عديا إلى نفسه وولاه شرابه وأمر مجله ، وكان لحذيمة أخت تسمى رفاش وهي بكر ، فأجبت هديا وأحبها ، فسأله أن يخطبها من حذيمة إذا سكر ففعل ذلك وزوجه بها وأشهد عليه من حضر ، فلما أصبح دخل عليه بثياب العرس ، وكان قد دخل بها تلك الليلة ، فقال حذيمة ما هذه الآثار يا عدى ؟ فقال آثار عرس رفاش ، فقال من زوجكها ويحك ؟ قال تلك ، فأكب على الأرض مفكراً وهرب عدى فلم يعرف له أثر ولا خبر ، وأرسل حذيمة إلى أخته يقول :

« خبري رفاش لا تكذبي أبحر زيت أم يبعين

أم بسد فأت أهل لعبد أم بدون فأت أدل لدين . »

فالت بل أنت زوجتي امرأة غريباً ولم تشاوري في نفسي ، فكف عنها وآلى أن لا ينادم إلا الفرقدين وحملت رفاش غلاماً وسمته عمرا ، فلما ترعرع ألبسته وطرته ودخلت به على خاله ، فلما رآه أحبه وجله مع ولده وخرج حذيمة متدياً بأهله في سنة خصبة ، فأقام في روضة ذات زهر ونهر ، فخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكمأ ، فكانوا إذا أصابوا كمأة جيدة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها وانصرفوا إلى حذيمة يتعادون وعمرو يقول : هذا حناي وخياره فيه ، إذ كلّ جائّ يده إلى فيه ، ففصه حذيمة إلى صدره وسرّ بقوله وحلاه بطوق من ذهب ، فكان أول عربي لبس الطوق ، ثم إن الجن استطارتة فطلبه حذيمة في الآفاق زماناً فلم يقدر عليه ، ثم أنبل رجلان من قضاة يقال لها مالك وعقيل ابنا فارح من الشام يريدان حذيمة وأهديا له طرفاً ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل فتى دريان فد تلبس شمره فعرقهما نفسه فنهضا وغسلا

وَأَتَى بِي النُّعْمَانُ <sup>(١)</sup> - يَوْمَ نَعِيمِهِ - نَجْمٌ تَلَقَّى سَمْعَهُ الْمِيلَادُ  
قَدْ أَلْفَتْ أَشْتَائُهُمْ فِي وَاحِدٍ إِلَّا يَكُنُّهُمْ أُمَّةٌ فَيَكَادُ <sup>(٢)</sup>

رأسه وأصلحاً أمره وألبساً ثياباً ، وقالا ما كنا لنهدى جذية أنس من ابن أخته ، وخرجا به إلى جذية فسر به ورأى الطوق ، فقال شب عمرو عن الطوق مذهب مثلاً ، وقال لك وعقيل حكمكما قالا مناديتك ما بقينا وبقيت فكنتهما من ذلك وهما نديما جذية اللذان يضرب بهما المثل وإياهما عن متم بن نوبة بقوله في رثاء أخيه :

« وكنا كندمان جذية حقة من الدهر حتى قيل ان يتصدما . »

وقيل إنما عن الفرقدن ، ويحكى أن جذية سكر مرة أخرى فقتلها ، فلما أصبح ندم ، وبني عليهما النريين ونادم الفرقدن وقيل إن صاحب النريين المنذر الأكبر ، ثم إن جذية أرسل بخطب الزباء ملكة الحضرم الحاجر بين الفرس والروم ، وكاذها وترعده فأجابته واستدعته إليها ، فاستشار أصحابه فأشاروا عليه بالمضي فخالفهم تصير ابن سعد ، وكان ليلاً ، وقال : إن النساء يهدين إلى الأزواج فصاه وسار حتى إذا كان بمكان يدعى بقة استشارهم فأشاروا عليه لما يمامون من رأيه فيها ، فقال قصير انصرف ودمك في وجهك فأبى ، وظن جذية حتى إذا طين الكتاب قد استقبلته . قال قصير ما الرأي ؟ قال تركت الرأي بقة ، ثم ركب قصير فرساً لجذية تسمى العصا فنجأ وأخذ جذية ، فلما أدخل على الزباء أمرت برواحش فقطعت والرواحش عروق اليد واستنزفته حتى مات في خبر طويل مشهور ، وكان مدة ملكه ستين سنة ، وله أشعار حسنة مشهورة فيها :

« أضحى جذية في يبرين منزله قد حاز ما جمعت من قبله طاد

مستعمل الخير لا تفي زيادته في كل يوم وأهل الخير تزداد . »

### (١) النعمان

قالوا إن النعمان كان له نديمان فغضب عليهما فقتلها ، فلما أصبح ندم على ذلك أشد الندم ، فبنى على قبريهما ضريحين ، وجعل لنفسه يومين في كل عام يجلس فيها بجوار القبرين أحدهما يوم نعيم ، والآخر يوم يؤس . فأول من يطلع عليه في يوم النعيم يعطيه مائة من الابل ، وأول من يطلع عليه في يوم يؤس يقتله ويطلق بدمه ضريحى نديمه .

وقد ذكروا مثل ذلك عن المنذر بن ماء السماء ، وقالوا إنه أتى « عبيد بن الأبرص » في يوم يؤس فقتله . فقال له جلته التي صارت مثلاً فيما بعد وهي قوله : « حال المريض دون القريض » .

(٢) يقول : قد اجتمع هؤلاء الأعلام الذين أزدانت بهم السير في شخص واحد هو المدوح ، فإذا لم يكن أمة مجتمعة فيه صفاتهم ومزاياهم فهو يكاد أن يكون .

وقديماً قال الفائل :

« ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد . »

## فَكَأَنِّي طَالَعْتُهُمْ بِوِفَادَةٍ لَمْ يَسْتَطِعْهَا «عُرْوَةُ» الْوَفَادُ<sup>(١)</sup>

### (١) عروة الوفاء

نلخص هنا طرما من أخباره عن كتاب الأغاني فنقول :

هو عروة بن الورد بن زيد ، وقيل : ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هرم بن لديم بن عوذ بن ظالم بن قطيعة بن عيس بن نفيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن ويس بن عيلان بن مضر بن نزار ، شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها ، وجواد من أحوادها المقدمين ، وكان يجمع الصعاليك ويقوم بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يصيبوا معاشا ، ولذلك سمي عروة الصعاليك ورووا عن عبد الملك بن مروان أنه قال : ما يسرنى أن أحدا من العرب ولدنى ممن لم يلدنى إلا عروة ابن الورد لقوله :

« إني امرؤ طاق لثاني شركة وأنت امرؤ طاق لثانيك واحد  
أترأى مني أن سنب وأن ترى بجسمي من الحق والحق جاهد  
أفرق جسمي في جسوم كثيرة وأحسو فراح الماء والماء بارد . »

ويقال أيضا : إن عبد الملك قال : من رغم أن حائما أسبح الناس فقد ظلم عروة بن الورد . قالوا : وكان إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريس والكبير والضعيف ، وكان عروة يجمع هؤلاء وأشباهم ثم يخفر لهم الأسراب ، وتهد لهم حظائر يكفها عليهم ووثيقها لايها ، ومن قوى منهم بأن يرى من مرسه أو ثابت إليه قوته خرج به معه فأغار ، وجعل لأهل الدماء من أصحابه الناني نصيبا ، وعن ابن الأعرابي قال : أجذب ناس من بني عيس في سنة أصابتهم فأهلك أمواتهم وأصابهم جوع تسدبد وبؤس ، فأتوا عروة بن الورد فجلسوا أمام بيته ، فلما بصروا به صرخوا ودلوا : يا أبا الصعاليك ، أغشنا ، فرق لهم وخرج ليؤزيم ويصيب معاشا فنهته امرأته عن ذلك لحودها عليه من الهلاك ، فعمها وخرج عاريا ، فربح مالك بن حمار الفرادي فنجر له جرورا فأكل منها هو وأصحابه ، وأشار عليه مالك أن يرجع فعمها ، ومضى حتى انتهى إلى بلاد البين فأغار عليهم فأصاب هجمة حاد بها على نفسه وأصحابه وقال في ذلك :

« أرى أم حسان المداء تلومي تخومي الأعداء والفس أخوف  
تقول سايبي لو أقبل لسننا ولم تدر أنني لل مقام أطرف  
لعل الذي خوتنا من أماننا يصادفه في أهله المخلف . »

وقال في ذلك أيضا :

« أليس ورائي أن أدب على المعاصي فبشت أعدائي ويسأمني أهل  
رهينة قمر البيت كل عشية لايف في الولدان أهدج كالرأل  
أقيموا بني أمي صدور ركابكم فكل مايا النفس خير من الهزل  
فانكبوا لن تلدوا كل متى ولا أربي حتى تروا منبت الأثل  
لعل ارتيادي في البلاد وحيلتي وشدي حيازيم الطية بالرحل  
سبدغمي يوما إلى رب هجمة يدافع عنها بالمعوق وبالبل . »



## في قصر ملك كالسدير<sup>(١)</sup> أو الذي ناطت به شرفاتها سنداد<sup>(٢)</sup>

### (١) السدير

« السدير » قصر — وهو معرب — قالوا « وأصله بالفارسية « سه دل » أى قبة فيها ثلاث قباب متداخلة » فعرّبه العرب ، وقالوا : « سدير » قالوا : « وهو موضع معروف بالحيرة » وقالوا : « هو قصر قريب من « الخورنق » كان النصفان الأكبر اتخذه لبعض ملوك العجم .  
وسياتى ذكره فى شعر الأود بن يعفر عند الكلام على « سنداد » فى شرح هذه القصيدة .  
وقد ذكره « عبد المسيح بن عمرو » عند غلبة « خالد بن الوليد » والمسلمين على « الحيرة » فى خلافة أبى بكر فقال :

« أبعد المنذرين أرى سواما      تروح بالخورنق والسدير  
تحماه فوارس كل حى      مخافة أغلب على الزئير  
فصرنا بعد ملك « أبى قبيس »      كمثل الشاء فى اليوم المطير  
فتسمننا القبائل من « معد »      كأننا بعض أعصاء الجزور »

وقال الخبيل فى قصيدته المشهورة :

« فاذا سكوت ، فانى رب الخورنق والسدير  
وإذا صحت ، فانى رب الشوية والبعير . »

### (٢) سنداد

« سنداد » قصر بالمذيب وهو المقصود هنا ، وسنداد — فى رواية أبى الحسين الأديب : نهر ، وقد استدلل على ذلك بقول أبى دؤاد الأيادى :

« أقفر الدبر فالأجارع من قو      مى ، فروق ، فرامح ، تخفيه  
فتلاع الملا إلى جرف سنداد      د ، فقو ، إلى تعاف طيه  
موحشات من الأنيس — بها الوح      ش خناطيل موطن أو بنيه . »

قالوا : وسئل عنه « أبو عمرو » أهو بفتح السين أو كسرهما ، فقال : « بفتح السين » وعن صاحب التكملة : بفتح السين وسامى بالكسر .

وفى رواية « الكونى » : « سنداد منازل لا ياد نزلتها لما قاربت الريف ، بعد لصف وشرح وناظرة ، وهو أسفل سواد الكوفة ، وراء نجران الكوفة .

قال حمزة فى تاريخه : « وكان قد تملك فى القديم من الفرس على مواضع متفرقة من أرض العرب ستة عشر مرزباناً ، وقد ذكرهم صاحب معجم البلدان « ج ٥ ص ١٥٠ » إلى أن قال : « ثم تملك سنداد على عمل سخت ، وطال مكثه فى الريف حتى بنى فيه أبنية : وهو صاحب اقصر ذى الشرفات من « سنداد » الذى يقول فيه « الأسود بن يعفر » « والقصر ذى الشرفات من سنداد »

تَتَوَهَّمُ الشَّهْبَاءُ فِيهِ كَتِيبَةً      بِفَنَاءٍ ، الَّتِي حُمُومٌ فِيهِ جَوَادُ  
يَخْتَالُ مِنْ سَيْرِ الْأَشَاهِبِ وَسَطُهُ      يَبِضُّ كَمُرْهَفَةِ السُّيُوفِ جِمَادُ<sup>(١)</sup>

\* \*

فِي «آلِ عِبَادٍ» حَطَّطْتُ فَأَعْصَمْتُ      هَمِي بِحَيْثُ أَنْفَتِ الْأَطْوَادُ  
أَهْلُ الْمَنَازِرَةِ الَّذِينَ هُمْ الرُّبَا      فَوْقَ الْمُلُوكِ إِذِ الْمُلُوكُ وَهَادُ<sup>(٢)</sup>  
قَوْمٌ إِذَا عَدَّتْ مَعْدُ عَقِيلَةٍ      مَاءَ السَّمَاءِ ، فَهُمْ لَهَا أَوْلَادُ  
يَنْتُ تَوَدُّ الشَّهْبُ فِي أَفْلَاكِهَا      لَوْ أَنَّهَا - لَبِنَائِرٍ - أُوتَادُ

قال ابن السكبي :

وكانت «إباد» تنزل سنداد - وهو نهر فيما بين «الحيرة» إلى «الابلة» وكان عليه قصر تبحر العرب إليه ، وهو القصر الذي ذكره الأسرود بن يعفر .  
قالوا : وسموا «عمر بن عبد العريز» بقصر لآل حفنة فتأمل «مزاحم» مولاه بقول «الأسود بن يعفر النهشلي :

«ومن الحوادث - لأبائك - أنني      ضربت على الأرض بالأسداد  
لا أمتدى فيها المدفع تلعة      بين العراق وبين أرض مراد  
ماذا أوصل - بعد آل محرق -      تركوا منازلهم وبعث إباد  
أهل الخورنق والسدير وبارق      والفقر - ذى الشرفات - من سنداد  
حلوا بأنقرة يسيل عليهم      ماء الفرات يحيى من أطواد  
أرض تخيرها - لطيب مقلها -      كعب بن مامة وابن أم دؤاد  
جرت الرياح على عراس ديارهم      فكأنما كانوا على ميماد  
واقعد غنوا فيها بأفضل عيشة      في ظل ملك ثابت الأوتاد  
فاذا النعيم وكل ما يلهى به      يوماً يصير إلى بلى ونقاد .»

فقال له عمر : ألا قرأت : «كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين  
كذلك وأورثناها قوماً آخرين»

(١) يقول يختال القصر من سير الجداول وسطه متعددة كبعض السيوف المرهفة ، وفي الأصل :

«يختال من سر الأشاهب وسطه      يبض كرهفه السيوف جماد .»

(٢) قريب من هذا المعنى قول ابن دريد :

«هم العمارج المنيقات الذرى      والناس ضحاح ثباب وأضى .»

تَمْدُودَةٌ يُلْهَى <sup>(١)</sup> النَّدَى أَطْنَابُهُ  
مُتَقَادِمٌ إِلَّا تَكُنْ شَمْسُ الضُّحَا  
نَيْطَتْ «بِعَبَادٍ» لَا لِيْ مَجْدِهِمْ  
مَلِكٌ إِذَا أَفْتَنَتْ صِفَاتُ جَلَالِهِ  
نَسِيَتْ زَيْدٌ <sup>(٢)</sup> عَمْرَهَا بَلْ أَعْرَضَتْ  
مَرْفُوعَةٌ - بِالْبَيْضِ - مِنْهُ عِمَادُ  
لِدَّةٌ لَهُ ، فَتُجْوِمُهَا أَزَادُ <sup>(٣)</sup>  
فَتَلَلَّاتٌ - فِي ثُومِهَا <sup>(٤)</sup> - الْأَفْرَادُ  
فَتَقَاصَرَتْ عَنْ بَعْضِهَا الْأَعْدَادُ  
.....

(١) الالهى : العطايا :

(٢) أرَاد - جمع رَاد - يقال رَاد الضحى : أى ارتفاعه ورَاد الأرض : خلاؤها ، قال الطغرائى :

« مجدى أخيرا ومجدى أولا شرع والشمس راد المسمى كالشمس فى الطفل. »

(٣) النوم : جمع تومة وهى اللؤلؤة ، وسميت تومة لأنها تومة نظيرتها فى المقد أو فى الأذن ، والافراد :

جمع فرد وهو ما لا نظيره فى المقد يقال : فرد وفريد ، ويقال : تاهم أخاه أى ولد معه ، فهو ثمة ، وتومه .

(٤) عمرو بن معديكرب الزبيدى

ويضرب المثل باقدامه وشجاعته .

اقسام عمر فى سباحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء إياس .

هو - كما فى سرح العميون - عمرو بن معديكرب بن عبد الله الزبيدى ، وكنيته « أبو ثور » الفارس

المشهور صاحب الفارات والوفائع المذكورة فى الجاهلية والاسلام ، وقد على رسول - صلى الله عليه وسلم -

فى السنة العاشرة من الهجرة .

قال عمرو :

قدمت المدينة ، فرأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فافلا من « تبوك » فأردت أن أدنو إليه ،

فمنعنى من حوله .

فقال : « دعوه » فدنوت منه ، فقلت :

« أنعم صباحا أبيت اللعن »

فقال : « يا عمرو أسلم تسلم ويؤمك الله من الفزع الأكبر » فأسلت

وحاش « عمرو » إلى أيام عثمان ، وأبلى فى وقائع الاسلام بلاء حسنا مثل وقعة القادسية ، وهو الذى

ضرب خطم الفيل بالسيف فأنزله وانزمت الأعاجم ، وكان سبب الفتح ومثل وقعة اليرموك وغيرها ، قال

الحشمى ما رأيت أشرف من رجل يوم اليرموك خرج له حليج فقتله ، ثم آخر فقتله ثم أنزموا فنبعهم وتبعته ،

ثم انصرف إلى خيابه له أسود فنزل فدعا بالجفان ودعا من حوله ، قلت من هذا ؟ قالوا عمرو بن معديكرب ،

وحدث بن أبى حاتم . قال سررتنا يوم القادسية بعمر بن معديكرب وهو يحض الناس بين الصدين ويقول :

أيها الناس كونوا أشد مناشأ إن هذا الرجل من الأعاجم إذا لقي مزارعا فأنما هو نس ، فبينما هو كذلك

يخرجنا إذ خرج رجل من الأعاجم فوقف بين الصدين فرماه بنشابة ، فلما أخطأت سية قوس كان متنكبها

فالتفت ، ثم حمل عليه فاعتنقه ، ثم أخذ بمنطقته فأحمله فوضعه بين يديه وجاء حتى إذا دنا منا كسر عنقه ،

ثم أمر الصمصامة على حلقه فذبحه ونزع سواريه ومنذقته وألقاه، وقال : « هكذا فاصنعوا بهم » فقلنا : « من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع ؟ » وحكى أبو عبيدة قال : لما كان فتح القادسية أصاب المسلمون أموالاً عظيمة فنزل سعد بن أبي وقاص الخس ثم قسم البقية بأصاب العارس ستة آلاف وبقي مال دثر ، فكتب إلى عمر بما فعل فكتب إليه أن رد على المسلمين الخس وأعط من لحى بك ممن لم يشهد الواقعة ففعل ذلك ، ثم كتب إليه أن أعط ما بقي حلة القرآن ، وأناه عمرو بن معديكرب ، فقال ما معك من حفظ القرآن ؟ قال : لاني أسلمت ، ثم شعلت بالرد عن حفظ القرآن ، وقيل أناه بشر بن ربيعة ، فقال له ما معك من حفظ القرآن ؟ قال ممي بسم الله الرحمن الرحيم ، فضحك القوم ، فقال سعد مالك في هذا المال من شيء ولا من نصيب ؟ فقال عمرو مشدداً :

« إذا قتلنا ولا ينكى لنا أحد فالت قريش ألا تلك المقادير

تعطى السوية من ضمن له نقد ولا سوية إذ تعطى الدنانير . »

وقال بشر أبياتاً، وكتب سعد إلى عمر بما قال ، فكتب إليه : « أعطهما على بلائهما » فأعطاهما أربعة آلاف درهم ، وحكى المدائني قال : كان عمرو بن معديكرب في سرية أميرها سلمان بن ربيعة فعرض الخيل ، ففر عمرو على فرس له ، فقال هذا هجين ، فقال عمرو عتيق . قال فأمر به بمعايش ، ثم دعا بقرس ، فقلب فيه ماء فدعا بخيل عتاق فشربت فجاء فرس عمرو ، فنى يديه وشرب وهكذا يصنع الهجين ، فقال له ألا ترى ؟ فقال عمرو أحل الهجين يعرف الهجين ، فبلغ عمر ، فكتب إليه قد بلاني ما قالت لأميرك ، وبلاني أن لك سيفاً تسميه الصمصامة . وعندى سيف مصصم بالله من رصعته على هامك لا أنلح حتى أبلغ به شراسيفك فان سرك أن تعلم أحق ما أقول فمد ، ويروى أن عمر رضى الله عنه سأله يوماً ، فقال ما تقول في الحرب ؟ قال مرّة المذاق إذا كدفت من ساق ، فرى صبر طرف ، ومن ضمف ثاقف . قال فما تقول في الرمح ؟ قال خيلك وربما خاك . قال فالليل ؟ قال منايا تخلى وتصيب . قال فالترس ؟ قال عليه تدور الدوائر . قال فالسيف ؟ قال عبدك تملكك أمك . قال عمر بل أمك ، فقال الجي أمرعتني ، فأناظ له عمر في الكلام ، فقال :

« أنوعدني كمالك ذو ردين بأنقم عيشة أو ذر نواس

ولا تقدر بملكك كل ملك يصير لدلة بعد الشماس . »

فقال عمر صدقت فانتص مني قال يا أمير المؤمنين لولا آية سمعتها لك لملكك بالسيف أخذ منك أم ترك ، قال وما هي ؟ قال سمعتك تقرأ أنه من يأت ربه مجرمًا فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ، والله لو علمت اني إذا دخلتها مت لملك ، وحكى أن عبيدة بن حصن لما قدم الكوفة أمام أياماً ، ثم قال : والله مالي بأبي ثور عهد ، ثم ركب فرساً وسأل عن علة بنى زبيد فأرشد إليها وسأل عن عمرو موقف يبابه ، ثم قال : يا أبا ثور اخرج إلينا فخرج مؤثراً كأنما كسر وجبر ، فقال له انعم صباحاً أبا مالك ؟ فقال أوليس قد بدلنا الله تعالى يبدأ السلام عليكم ، فقال دعنا مما لا نعرف انزل فان هندی كبشاً سيدنا فنزل فعبد إلى الكباش فذبحه ثم ألقاه في قدر وطبخه ، وجلس يتحدث إلى أن أدرك فترد في جفنة عظيمة وألقى الفدر عليها وقعداً فأكل منها ثم قال : أي الشراب أحب إليك اللب أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية ، فقال أو ليس حرمها الله تعالى في

الاسلام ، فقال : أنت أقدم إسلاماً أم أنا ؟ قال : أنت ، قال : فاني قد سمعت ما بين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريماً إلا انه قال : وهل أنتم منتهون . قلت : « لا » ثم جاء بنيذ وجلسا يشربان ويتحدثان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا ، فلما أراد عينة الانصراف . قال عمرو إن انصرف أبو مالك بدير حياء لأنها توصية فأمره بناقاة أرحية وحمله عليها ثم أتى بمزود فيه أربعة آلاف درهم فوضعه بين يديه ، فقال أما المال فوالله لا آخذه ولا ألمسه ، فانصرف وهو يقول :

« جريت أبا ثور جزاء كرامة فنعمة الفتى أنت المزور المضيف . »

وقيل انه لم يكن في عمرو خصلة رديئة إلا الكذب ، حكى أبو عمرو بن الملاء ، قال : وقف عمرو يوماً بالمريد يتحدث — على عادتهم — قال : « غزوت في الجاهلية على بني مالك فخرجوا مستدمين بخالد بن الصقبة فقلت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه » وكان خالد بن الصقبة حاضراً ، فقال بعض الجماعة : « مهلاً أبا ثور قتيلك يسمع كلامك » وأشار إليه ، فقال اسكت إنما أنت محدث فاسمع أرقم ، ثم التفت إلى خالد وقال : « إنما نرهب هذه المدينة بهذه الأخبار » وعضى في حديثه فلم يقطعه ، فقال له رجل : « انك لشجاع في الحرب والكذب » فقال : « إني كذلك » وحكى أبو عمرو بن الملاء قال : جاء رجل إلى عمرو وهو واقف بالمريد على فرس له وقد أسن فقال لا تظن ما بقي من قوة أبي ثور فأدخل يده بين ساقه وجنب الفرس ففطن عمرو لذلك فضم رجليه وحرك الفرس فجعل الرجل يمد مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده حتى إذا بلغ منه صاح به فقال : « يا ابن أخي مالك ؟ » قال : « يدي تحت سارك » غلى عنه وقال : « إن في عمك بقية بعد » ومن كلامه حكى أنه أتى مجاشع بن مسعود فقال : أسألك حملان مثلي وسلاح مثلي فأمر له بفرس جواد وسيف صارم وعشرين ألف درهم فربى ببني حنظلة فقالوا : « يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك ؟ » فقال : « والله بنو مجاشع ما أشد في الحرب لقاءها ، وأجرل في الربات عطاءها ، وأحسن في المكرمات بناءها ، والله لقد قاتلتها فما أجبتني وسألتها فما أبجلتني ، وما جبتني فما أخفمتها » ومن حيد شعره :

« ولما رأيت الحيل زوراً كأنها حداول ماء أرسلت فأسبطرت

لجاشت إلى النفس أول مرة مردت على مكروهاها فاستقرت

ظلت كأنني للرماح دريشة أقاتل عن أحساب جرم ومرت

ولو أن قومي أنطقني وماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت . »

قوله أقاتل عن أحساب حرم من الهجاء المص ، وذلك أنه ذكر أن قوما دروا وليس هو منهم غير أنه يقاتل غصياً لهم وعصية ، وقوله ولو أن قومي أنطقني ، يعني لو قاتلوا وطاعوا لفظت بمدحهم ، ولكنهم دروا ، فأسكتوني عن المدح ، والأصل في الاجرار أن الفصل إذا أرادوا نظامه شقوا لسانه فلم يقدر على الرضام وقي القصيدة التي أولها : « أمن ربحانة الداعي السبيع » يقول :

« وقد عجبت أمانة أن رأني تفرع لتي شيب طبع

أشاب الرأس أيام طوال وهم ما تبلغه الصلوع

وزحف كتيبة لقاء أخرى كان زهاءها رأس صليح

ولم يأسد الأسنة نحو نحري وهم المشرقية والوقوف  
فان تنب التوائ آل نهم تجد حكاهم فيها رفوع  
إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع  
وصله بالخزوع فكل شيء سالك أو سوت له نزوع .  
وقوله أيضاً :

« يا أيها الغنابتا — جهلا بنا — وولدت عبدا  
ليس الجبل بمشور — فاعلم — وإن رديت بردا  
إن الجبال معادت ومناقب أورثن مجدا  
أعددت للحدثات سائفة وعداء عذسي  
نهدا وإذا شطب يقدر اليبس والأبدان قد  
كل امرئ يجرى إلى يوم الهياج بما استعدا

لما رأيت نساءنا يفصحن بالمعزاة شدا  
وبدت محاسنها التي تخفى ، وطاد الأسر حدا  
فارت كبشهم ، ولم أر من نزال الكش — بدا  
هم يندرون دمي وانسدر إن لقيت بأن أشدا  
كم من أخ لي صالح بوأته يدي لحدا  
ذهب الذين أحبههم وبقيت مثل السيف — مردا .

قلت : « لو لم يكن له إلا هذه القسيمة لاستحق بها التقدم على شرك كثير » وأما العمصامة فهي سيفه  
للمشهور . قال عبد الملك بن عمير أهدت ملاقيس إلى سليمان حمسة أسياف ، وهي : ذو الفقار ، وذو النون ،  
ومجدوب ، ورسوب ، والصمصامة . وأما ذو الفقار : فكان لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — أخذه  
من منبه بن الحجاج يوم بدر ، ومجدوب ورسوب : للحرث بن حبة السائي ، وذو النون والصمصامة :  
لعمر بن معديكرب ، وحكى أن عمر بن الخطاب قال لعمر : ابث لي الصمصامة ، فبث به إليه فلم يره كما  
يلفه ، فقال له في ذلك ؟ فقال لي بعت إليك الصمصامة ولم أعت لك باليد التي قضرت به ، وحكى أبو عبيدة  
أن الصمصامة انتقلت إلى سعيد بن العاص ، وذلك أن خالد بن الوليد لما غزا بني زيد ، وكان خالد بن  
سعيد من جملة أسرائه أرقع بهم وأسر رجحانة أخت عمرو بن معديكرب فداها خالد وأتابه عمرو الصمصامة ،  
ثم فقد يوم الدار في مقتل عثمان ووجد ، ولم يزل إلى أن صعد المهدي البصرة ، فلما كان بواسطة أرسل  
إلى بني العاص يطلب الصمصامة ، فقالوا إنه في السبيل محبسا ، فقال حمسون سيفاً فاطعاً في السبيل أغنى من  
سيف واحد وأعطاهم خمسين سبيها وأخذه ، فلما صار إلى الهادي أحضره وأسر الشراء بوصفه ، فقال  
بعضهم من أبيات :

« حاز صمصامة الزبيدي عمرو من جميع الأمام موسى الأمين  
ما يبالي من انتضاء اضرب أشمال سقطت به أم بين . »

ثم وصل إلى التوكل فدفعه إلى غلامه « باغزا » التركي فقتله به ، ومن عند « باغزا » تقطع خبره .

عَنْ وَصِيفٍ « كَعْبٌ » <sup>(١)</sup> بِالسَّمَّاحِ إِيَادُ . . . . .  
فَضَحَ الدُّهَاءَ فَلَوْ تَقَدَّمَ عَهْدُهُ لَعَنَّا « الْمُغِيرَةَ » أَوْ أَقَرَّ « زِيَادُ » <sup>(٢)</sup>

### (١) كعب بن مامة

هو كعب بن مامة الايادي ، وكان أحد أجواد العرب يضرب به المثل في الوفاء ، آثر على نفسه وكان مسافراً مع رفيقه فقل عليها الماء فتصافناه ، والتصافن أن يوضع في الماء مقلة أي حجر صغير يغمر بالماء لئلا يتغابنوا في القسمة ، فجعل رفيقه يشرب نصيبه ، فاذا جاء دور كعب . ول له رفيقه وقد جهده الم ش : « أسق أخاك » فيؤثره على نفسه حتى جهد كعب من العطش وأشرف على الهلاك ، ورمعت له أعلام الماء ، وقيل له رد كعب ولا ورود به فبات عطشاً ، وفي ذلك يقول أبو دواد الايادي :

« أرفى على الماء كعب ثم قيل له رد كعب إنك وراذ فإ وراذ . »

ارجع إلى الكامل للمبرد « ص ١٣٦ »

### (٢) زياد بن أبيه والمغيرة بن شعبة

كانا من أممذ العرب وساستهم ودهاتهم وأخبارهما مستفيضة في كتب التاريخ ، ولكننا نجتزئ القول اجتزاء فيما يلي :

قالوا :

وسمى « زياد ابن أبيه » أو « زياد بن سمية » لأن أمه كانت جارية للحارث بن كلدة الثقفي ، فزوجها بمبد له روى يقال له : « عبيد » فولدت « سمية » زياداً على فراشه ، فهو ولد « عبيد » شرعاً . قالوا : وكان « أبو سفيان » قد سار في الجاهلية إلى « الغائب » فنزل على بائع خر يقال له : « أبو صريم » — وقد أسلم ذمها بعد — فقال له « أبو سفيان » : « قد اشتبهت النساء » فقال أبو صريم : « هل لك في سميه ؟ »

فقال أبو سفيان :

« هاتها على طول ثديها وذفر بطنها »

فأتاه بها ، فوقع عليها ، فيقال إنها علقت منه زياد ، ثم وضعت في السلة التي هاجر فيها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ونشأ « زياد » فصيحاً .

وحضر « زياد » يوماً بمحضر جنازة من الصحابة في خلافة « عمر » فقال « عمرو بن العاص » : لو كان أبو هذا الدلام من قريش ، لساق العرب بعصاه .

فقال أبو سفيان لعلي بن أبي طالب :

« إني لأعرف من وضعه في رحم أمه »

فقال علي :

« فما يمنعك من استلحاقه »

قال :

« أخاف الأصابع ( يعني عمر ) أن يقطع إيدي بالدره »

لَا يَأْمَنُ الْأَعْدَاءُ رَجْمَ ظُنُونِهِ      إِنَّ الْعَيُوبَ وَرَاءَهَا إِمْدَادُ  
مَلِكٍ - إِذَا مَا اخْتَالَ - غُرَّةٌ فَيَلْقَى      قَدْ أُمْطِيتَ عِقْبَانَهُ الْأَسَادُ (١)  
أَسَدٌ، قَرَأَتْهَا الْفَوَارِسُ فِي الْوَعَى،      لَكِنْ بَرَأْتِهَا - هُنَاكَ - صِعَادُ (٢)

فلما كانت قصيدة شهادة الشهود على المعيرة بالرنا وجلدهم لعدم ثبوت الرنا عليه - ومنهم أبو بكرة أخو زياد لأمه - وامتناع « زياد » حين كان يؤدى الشهادة عن التصريح ، وكان أحد الأربعة الذين شهدوا عليه - اتخذ المعيرة لذلك لرياد بدا .

ثم لما ولى « علي بن أبي طالب » الخلافة ، استعمل « زيادا » على فارس ، فقام بولايتها أحسن قيام ، ولما سلم « الحسن » الأمر إلى « معاوية » امتنع « زياد » بفارس ، ولم يدخل في طاعة « معاوية » واهتم معاوية بالأمر ، وحاف أن يدعو إلى أحد من بني هاشم ويعيد الحرب ، وكان معاوية قد ولى « المعيرة بن شمعة » الكوفة ، فقدم « المعيرة » على « معاوية » سنة ٤٢ هـ فشكا إليه « معاوية » امتناع « زياد » بفارس ، فقال « المعيرة » :

« أتأذن لي في السير إليه ؟ »

فأذن له ، وكتب « معاوية » لرياد أماناً ، فتوجه « المعيرة » إليه - لما بينهما من المودة - ومازال به حتى أحضره إلى « معاوية » وبايعه .

وفي سنة ٤٤ هـ استلحق « معاوية » « زياداً » فأحضر الناس ، وحضر من يشهد لزياد بالنسب ، وكان ممن حضر لذلك « أبو مريم » نافع الحمر الذي أسلفنا ذكره - وهو الذي أحضر « سمية » أم « زياد » إلى « أبي سفيان » بالطائف - فشهد بنسب « زياد » من « أبي سفيان » .

قالوا : « فاستلحقه معاوية » وقد أعظم الناس ذلك وأكروه لاسيما هو أمية لأن زيادا ابن عبيد الرومي قد ألحق به بنى أمية بن عبد شمس ، وقد قال « عبد الرحمن الحكم » أخو « مروان » في ذلك :

« ألا ببلغ « معاوية بن صحر » : « لقد ضاقت بما تأتى اليدان »

أتعصب أن يقال : « أبوك عتب ؟ » وترضى أن يقال : « أبوك زاني ؟ »

وأشهد أن رحلك - من زياد - كرحم النبل من ولد الأثان . »

ثم ولى « معاوية » « زياداً » البصرة ، وأضاف إليه « حراسان » و « سحستان » ثم جمع له الهند والبحرين وعمان .

(١) عقاب - جمع عقاب - وهو من سماع الطير التي تعيد . قال المتنبي :

« شكوى الحريخ إلى العقبان والرخم »

وقال البحتري :

« صاغت بسعد أرضها لما رمى ساحاتها بالخيول والفرسان »

بفوارس - مثل المفقور - وضمير مجدولة ، ككواسر العقبان . »

(٢) صعاد - جمع صعدة - وهي القاعة التي تبت مستقيمة لا تحتاج إلى التثيف ، والصعدة - من

النساء - المستقيمة القائمة - على النشبية - قال « كمب بن حميل » بصف امرأة شبه قدما بالقناة :

« فاذا قامت إلى جاراتها لاحت الساق بخلخال زجل »

صعدة نابتة في حائر أينما الريح تميلها تمل . »



خِلْتَ اللّوَاءَ غَمَامَةً فِي ظِلِّهَا قَرَرْتُ ، بِغُرَّتِهِ السَّنَا الْوَقَادُ

\*\*\*

شَيْخَانُ مُنْعَمِسُ السَّنَانِ مِنَ الْعِدَا - فِي النَّقْعِ - حَيْثُ تَفْلَغُ الْأَحْقَادُ  
تَشْكُو إِلَيْهِ الشَّمْسُ نَقْعَ كَتِيبَةٍ مَا زَالَ مِنْهُ لِعَيْنِهَا إِرْمَادُ (١)  
جَبِشٌ - إِذَا مَا الْأَفْقُ سَافَرَ طَيْرُهُ مَعَهُ - فَنِي ذِمَمِ الصَّوَارِمِ زَادُ (٢)  
مُسْتَطَرَفٌ لِلْمَجْدِ لَمْ يَكُ حَسْبُهُ مَجْدٌ - يَدُورُ مَعَ الزَّمَانِ - تِلَادُ (٣)  
مَا كَانَ مِنْهُ إِلَى رِفَاهَةٍ رَاحَةٍ حَتَّى يُخْلَدَ مِثْلَهُ إِخْلَادُ  
أَرِجُ النَّدَى ، مَتَى تَقْزُ بِجَوَارِهِ يَطِيبُ الْحَدِيثُ وَيَعْبِقُ «الْإِنْشَادُ» (٤)  
لَوْ أَنَّ خَاطِرَهُ الْجَمِيعَ مُفَرَّقٌ فِي الْخَلْقِ أَوْشَكَ أَنْ يُحْسَ جَمَادُ

\*\*\*

نَفْسِي فِدَاؤُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي زُهْرُ النُّجُومِ - لَوْجِيهِ - خُسَادُ  
تَبْدُو عَلَيْكَ - مِنَ الْوَسَامَةِ - حُلَّةٌ يَهْفُو إِلَيْهَا - بِالنَّفُوسِ - وَدَادُ  
لَمْ يَشْفِ مِنْكَ الْعَيْنَ أَوَّلُ نَظَرَةٍ لَوْلَا الْمَهَابَةُ رَاجَعَتِ تَرْدَادُ

(١) النقع : العبار ، والكتيبة : الجيش ، يقول : « تشكو إليه الشمس سطوع الببار ، والنقع النار لأنه أرمدها عينها فأغمضتها ولم تبصر . »

(٢) يقول : إن هذا الجيش إذا سافره في الأفق عقبان الجوّ وحوارح الطير ، في ذمة الصوارم من السيوف أن تضمن لها الزاد من قتلى الأعداء .

(٣) مستطرف : أي مستحدث لنفسه مجدا طريقا أي حديدا مكسوبا غير موروث ، والخب : بحركة وقد يسكن كما هنا مايعده الانسان من مآخره ، والتلاد : القديم الموروث عن الآباء .

(٤) الندى : الجباس ، يقول : هو أريج الندى أي عطر ماينبعث عن مجلسه من طيب انقول واطر الثناء ، إذا فزت بقرينه ودنوت من مجلسه ، يطيب الحديث ، ويعبق في أرواح المجلس غير الاثاء ، وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا :

« أريج الندى ، متى تفر بجواره بطب الحديث ويعبق . . . »

والتكلمة يعطيها السياق .

مَا كَانَ مِنْ خَلَلٍ فَأَنْتَ سِدَادُهُ      فِي الدَّهْرِ - أَوْ أَوْدٍ فَأَنْتَ سِدَادُ<sup>(١)</sup>  
 الدِّينِ وَجْهُهُ أَنْتَ فِيهِ غُرَّةٌ      وَالْمَلِكُ جَفْنُهُ أَنْتَ فِيهِ سَوَادُ  
 لِلَّهِ مِنْكَ يَدٌ عَلَتْ ، تُوَلِّي بِهَا      صَفْدًا فَيُحْمَدُ ، أَوْ يُفَكُّ صِفَادُ<sup>(٢)</sup>  
 لَوْ أَنَّ أَقْوَاهُ الْمُلُوكِ تَوَافَقَتْ      فِيهَا لَوَافِقَ حَظْهَا الْإِنْسَامُ  
 نَقَعَ الْعُدَاةُ الْيَأْسُ<sup>(٣)</sup> مِنْكَ ، لِأَنَّهُ      بَرَدَتْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ الْأَكْبَادُ  
 يَنْفَسَعُ مَنْ جَارَكَ مَقْبُوضَ الْخَطَا      فَكَأَنَّمَا عَضَّتْ بِهِ الْأَقْيَادُ<sup>(٤)</sup>

قَدْ قُلْتُ لِلتَّالِي ثَنَاءَكَ سُورَةٌ      مَا لِلوَدَى فِي نَصِّهَا إِنْخَادُ<sup>✽</sup> :  
 « أَعِدِ الْحَدِيثَ عَنِ السِّيَادَةِ ، إِنَّهُ      لَيْسَ الْحَدِيثُ يُمَلُّ حِينَ يُعَادُ . »  
 كَرَّمَ كَمَاءَ الْمُزْنِ رَاقٍ خِلَالَهُ      أَدَبُ كَرَوْضِ الْحَزْنِ بَاتَ يُجَادُ<sup>(٥)</sup>  
 وَمَحَاسِنُ زَهَرَ الزَّمَانُ بِزُهْرِهَا      فَكَأَنَّمَا أَيَّامُهُ أَغْيَادُ<sup>(٦)</sup>

(١) يقول : ما كان من خلل في الرمان فأت سداه الذي يسد به ، أو كان من أود يبه واهوجاج  
 مأت سداد ، أي بك سداه وصلاحه وتقويته .  
 (٢) الصغد العطاء ، والصفاد : ما يوثق به المقيد من قيد ونحوه ، يقول : لله ملك يد تولى الجبل وتهب  
 العطاء ، لا تزال تحمدها وتشكرها لك إلى أن يفك ما قيدتنا به من أصفاد العم ، وقد جالس بين الصغد بمعنى  
 العطاء ، والصفاد بمعنى القيد ، وحمل الاحسان صفادا وقيدا مستفيض في كلام الشعراء ، قال الشاعر :  
 « ومن وجد الاحسان قيد تقيدا . » ، وقال ابن الرومي :  
 « ما على الأحرار من رق إذا نقدوا شكرهم مولى أيادي  
 إنما النعمى صـ صفاد فاذا لقيت شكرا فليست بصفاد . »  
 وقال ابن حيوس :

« عقلتهم بالجبل فالتقوا رب عناة أصفادها الصفد . »

أي قيودها العطاء ، وفي الأصل : « تولى بها \* صفد . »

(٣) في الأصل : « البأس »

(٤) يقول : ينصاع ويرجع عن مجارته في المجد كل من جاره ، ويقف حيث ابتداء مقبوض الخطا كأنما  
 عضت بسيفانه القيود فنمته من المضي .

(٥) اللون : السحاب ويجاد يعطر بالحدود (بفتح فسكون) وهو المطر الزير .

(٦) يقول : ويضاف إلى هذا الكرم الذي وصفه في البيت السابق محاسن أضاء الزمان بزهر نجومها ،  
 فكأنما كل يوم من أيامها عيد .

\* \* \*

يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي - فِي ظِلِّهِ -  
يَا خَيْرَ « مُعْتَصِدٍ » بِمَنْ أَقْدَارُهُ  
لَمَّا وَرَدْتُ - بِوَرْدِ حَضْرَتِكَ - الْمُنَى  
فَأَسْتَقْبَلْتَنِي الشَّمْسُ تَبْسُطُ رَاحَةً  
فَلَمَنْ فَخَرْتُ - بِمَا بَلَغْتُ - لَقَلَّ لِي  
مَهْمَا أُمْتَدَحْتُ سِوَاكَ - قَبْلُ - فَلِئَمَّا  
يَغْشَى الْمَيَادِينَ الْفَوَارِسُ - حِقْبَةً -  
فَلَأَسْحَبَنَ ذَيْلَ الْمُنَى فِي سَاحَةِ  
وَلَيْسْتَ تَفِيدَنَ السَّنَاءَ مَعَ الْغِنَى  
وَلَأَنْتَ أَنْفَسُ شَيْعَةٍ مِنْ أَنْ يُرَى  
هَيْهَاتَ قَدْ ضَمِنَ الصَّبَاحُ لِمَنْ سَرَى  
لَا تَعْدَمَنَّ - مِنَ الْحُظُوظِ - ذَخِيرَةٌ

رِيضَ الزَّمَانِ قَدْ لَ مِنْهُ قِيَادُ  
- فِي كُلِّ مُعْضِلَةٍ - لَهُ أَعْضَادُ  
فَهَمَّتْ لَدَى جَاهِهَا الْأَعْدَادُ (١)  
لِلْبَحْرِ - مِنْ نَفَحَاتِهَا - أَسْتِمْدَادُ  
أَلَّا يَكُونَ مِنَ النُّجُومِ عِتَادُ  
مَذْحِي - إِلَى مَذْحِي - لَكَ أَسْطِرَادُ  
كَيْمَا يُعْلَمُهَا النَّزَالُ طِرَادُ (٢)  
- إِلَّا أَوْفَ بِهَا الْمُنَى - فَأَزَادُ (٣)  
عَبْدٌ يُفِيدُ النُّصْحَ حِينَ يُفَادُ  
- لَنَقِيسِ أَعْلَاقِي لَدَيْكَ - كَسَادُ  
أَنْ يَسْتَتِبَّ لِسَعْيِهِ الْإِنْحَادُ (٤)  
تَبْقَى فَلَا يَشْلُو الْبَقَاءُ نَفَادُ

(١) فهمت : جواب لما أى سأل ، وجاها : جمع جم ( بالفتح ) وجة ( بالضم ) وهو الماء الكثير والأعداد : جمع عد ( بالكسر ) ، وهو الماء الدائم الذى له مادة لا انقطاع لها كماء العيون ، يقول : حين وردت فى حضرتك ورد المنى ، همت جامها ، وسالت مياهها الأعداد ، يريد أنه رأى فىض المنى ينبثق من راحتيه ، وفى الأصل :

« لما وردت بورد حضرتك المنى فهمت لدى جامها الأعداد . »

(٢) هو مطاردة الفرسان بعضهم بعضاً للفران على الحرب .  
(٣) فلاسحبن من المنى ذيلها فى ساحة جواد إن لم أوف بها ما تطمح إليه نفسى من الأمانى فأما سآزد عليها ، يقول : إن أمره دائر بين أن ينى له بما تسو إليه نفسه من الأمانى ، أو يزيده عليها فوق ما يريد ويختي .

(٤) يشير إلى النمل المشهور : « عند الصباح يحمد القوم السرى . » وسيجربك شرحه فى ص ( ٢١٧ ) من هذا الديوان .

## في مدح المعتضد

« قال يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل الله  
أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد ، ويذكر  
بعض مواقف له مع خاصته من أصفياه ،  
والمناوين له من أعدائه . »

وَأَنْ رَّاحَ صُنْعُ اللَّهِ نَحْوَكْ وَأَعْتَدَى <sup>(١)</sup>	لِيَهْنِ الْهُدَى إِنْجَاحُ سَعْيِكَ فِي الْعِدَا
وَعَدْلُكَ فِي اسْتِصْالِ مَنْ جَارَ وَأَعْتَدَى <sup>(٢)</sup>	وَنَهْجُكَ سُبُلَ الرُّشْدِ فِي قَمْعِ مَنْ غَوَى
وَأَصْبَحَ مَنْ عَادَاكَ فِي غَمْرَةِ الرَّدَى <sup>(٣)</sup>	وَأَنْ بَاتَ مَنْ وَالَاكَ فِي نَشْوَةِ الْغِنَى
كَمَا ابْتَسَمَ النُّوَارُ عَنْ أَدْمَعِ النَّدَى <sup>(٤)</sup>	وَبُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةُ الْعَهْدِ طَلْقَةُ
إِذَا قِيلَ فِيهِ قَدْ تَنَاهَى تَوْلَدَا	وَدَوَّلَةَ سَعْدٍ لَا أَتْنَهَاءَ لِحَدِّهِ
وَلَمْ تَكُ كَالِدَّاعِي يُجَاوِبُهُ الصَّدَى	دَعْوَتَ ، فَقَالَ النَّصْرُ : لَبَّيْكَ مَائِلًا

(١) السعي : التصرف في كل عمل من خير أو شر ، أي أن سبيل الهدى وسبيل المؤمنين جديران بكل تهينة وبشرى حيث أنجح الله سعيك في مناجرة أعدائك ولم يزل يصعدك بحبيل صنمه ولطيف إحسانه في الرواح والغدو ، والصباح والعشى .

(٢) ولين الهدى أيضا سلوكك مناهج الرشد ، وإجراؤك سنة العدل في قمع العابثين المفسدين ، واستئصال شأفة الجائرين المعتدين ، واقتلاعهم من أصولهم ، وإذهاب المملوكة من مفاسدهم وشرورهم .

(٣) والى : الموالاة ضد المعاداة ، وقد طابق في البيت بين « بات » و « أصبح » و « والى » و « عادى » و « نشوة الغنى » و « غمرة الردى »

(٤) النوار : بضم أوله وتشديد ثانيه النور ، واحدته نواره وقد نور الشجر والنبات أي أزهر ، وفي البيت تشبيه النوار بالنور الباسم عن لؤلؤ الغل .

وَأُنْجِدْتَ عَقْبِي الصَّبْرَ فِي دَرَكِ الْمُنَى      كَمَا بَلَغَ السَّارِي الصَّبَاحَ فَأُنْجِدَا <sup>(١)</sup>

« أَعْبَادُ » يَا أَوْفَى الْمُلُوكِ بِذِمَّةِ <sup>\*\*\*</sup> وَأَرْعَاهُمْ عَهْدًا وَأَطَوْهُمْ يَدًا  
تَبَايَنْتَ فِي حَالِيكَ : غُرْتَ تَوَاضُعًا      لَتَسْتَوِي الْعَلِيَا ، وَأُنْجِدْتَ سُودَا <sup>(٢)</sup>

(١) الدرك : محركا اللهاق والوصول إلى الشيء ، يقال أدركته إدراكا ودركا ومثله الدرك بالسكون . قال  
جحدر يخاطب الأسد :

« لَيْتَ وَلَيْتَ فِي مَكَانِ ضَنْكَ      كَلَامَا ذُو أَنْفٍ وَحَكْ  
وَبَطْشَةٍ وَصَوْلَةٍ وَفَكَ      إِنْ يَكْشِفُ اللَّهُ قَنَاعَ الشَّكْ  
بِظْفَرٍ مِنْ حَاجَتِي وَدَرْكٍ      فَلَنَا أَحَقُّ مَنْزِلَ يَتْرَكُ  
الذَّبَّ يَمُوتُ وَالْغَرَابُ يَبْكِي »

والساري : اسم فاعل من السرى وهو سير الليل وأصل المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » وأوله من  
قاله ذلك كما في مجمع الأمثال عن « المفصل » الصبي هو « خالد بن الوليد » لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنهما  
وهو « بالجماعة » أن سر إلى « المراق » فأراد سلوك المفازة ، فقال له « رافع » الطائي : قد سلكتها في  
الجاهلية ، هي خمس للابل الواردة ، ولا أظنك تقدر عليها إلا أن تحمل من الماء . فاشتري مائة شارف  
مسطحها ، ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم كتبها وكم أفوامها ، ثم سلك المفازة حتى إذا مضى يومان وخاف  
المطش على الناس والخليل وخشى أن يذهب ما في بطون الابل ، نحر الابل ، واستخرج ما في بطونها من الماء  
وسقى الناس والخليل ومضى لما كان في الليلة الرابعة ، قال « رافع » : انظروا هل ترون سديرا عظيما ؟ فان  
رأيتوها وإلا فهو الهلاك . فظفر الناس فرأوا السدر فأخبروه فسكبر وكمر الناس ثم همحموا على الماء ،  
قال خالد :

« اللَّهُ دَرِّ رَافِعٍ أَنِّي امْتَسَدِي      فَوْزٌ مِنْ قَرَارٍ إِلَى سَوِي  
حَسَا إِذَا سَارَ بِهِ الْجَيْشُ بَكِي      مَاسَارُهَا مِنْ قَبْلِهِ لَأَنْسَ يَرِي  
عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمَ السَّرِي      وَتَنْحَلِي عَنْهُمْ غِيَابَاتُ الْكَرَى . »

يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة .

(٢) غرت : من غار غورا فهو غائر إذا أتى النور وهو ما انحدر مسيله ، ويقابله النجد : يقال : غار  
وأنجد وأغار وأنجد ، قال جرير .

« يَا أُمَ حَزْرَةَ مَا رَأَيْنَا مِثْلَكُمْ      فِي الْمُنْجِدِينَ وَلَا يَنْوِرُ الدَّائِرُ . »

وقال الأعشى :

« نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذَكَرَهُ      أَغَارَ لِعَمْرَى فِي الْبِلَادِ وَأُنْجِدَا . »

وأنكر الجوهري أعار ، وقاله الأصمعي : أغار وأنجد في بيت الأعشى بمعنى أسرع وارتفع ، على أن النصف  
الثاني من البيت روى مغزوما هكذا : « غار لعمرى في البلاد وأنجد » ، يقول : بين حالك من التواضع  
والسوء إلى مراتب السيادة بون شاسع ، فقد انحدرت إلى غور التواضع فكانت عاقبة ذلك أن استوفيت حظك  
من العلباء وبلغت أسمى مراتب السوء والرفعة .

وَلَمَّا اعْتَصَذْتَ اللَّهَ كُنْتَ مُوَهَّلًا      لَدَيْهِ لِأَنْ تُحْمَى وَتُكْفَى وَتُعْصَدَا  
وَجَدْنَاكَ إِنْ أَلْقَحْتَ سَعِيًّا تَنْجَتُهُ      وَغَيْرُكَ شَاوٍ حِينَ أَنْضَجَ رَمْدًا <sup>(١)</sup>  
وَكَمْ سَاعَدَ الْأَعْدَاءَ أَوَّلَ مُطْمَعٍ      رَأُوكَ بِعُقْبَاهُ أَحَقَّ وَأَسْمَدًا  
فَلَا ظَافِرٌ إِلَّا - إِلَى سَعْدِكَ - اِعْتَرَى      وَلَا سَائِسٌ إِلَّا بِتَذِيرِكَ اِقْتَدَى

\* \*

ضَلَالًا لِمَفْتُونٍ سَمَوْتَ بِحَالِهِ      إِلَى أَنْ بَدَتْ - بَيْنَ الْفِرَاقِدِ - فَرَقْدَا  
رَأَى حَطَّهَا أَوَّلَى بِهِ ، فَأَحْلَمَهَا      حَضِيضًا بِكُفْرَانِ الصَّنِيعَةِ أَوْ هَذَا <sup>(٢)</sup>  
وَمَا زَادَ - لَمَّا لَجَّ فِي الْبَغْيِ - أَنَّهُ      سَعَى لِلَّذِي أَصْلَحْتَ مِنْهَا فَأَفْسَدَا  
فَزَلَ وَقَدْ أَمْطَيْتُهُ ثَبَجَ الشَّهَا      وَصَلَ وَقَدْ لَقَيْتُهُ قَبَسَ الْهُدَى <sup>(٣)</sup>  
طَوِيلُ عَثَارِ الْجُرْمِ قُلْتَ لَهُ: «لَعَا» <sup>(٤)</sup>      بِحِلْمٍ تَلَقَّى جَهْلَهُ فَتَغَمَّدَا <sup>(٥)</sup>

(١) أَلْقَحْتَ مِنَ الْقَحِّ الْفَعْلُ الْإِيقَاعُ ، وَلَقَعْتَ هِيَ ، قَالَ الْحَرْثُ بْنُ هَبَادٍ :

« قَرَّبًا مَرِيضًا النِّعَامَةَ مَيِّ لَقَعَتْ حَرْبٌ وَائِلٌ مِنْ حِبَالِ » .

وَالسَّمَى : التَّصَرُّفُ فِي الْأُمُورِ ، وَتَنْجَتُهُ : مَنْ قَوْلُهُمْ تَنْجَعُ إِذَا لَوَّى تَنَاحَهَا وَهِيَ مَا خَسَّ حَتَّى تَضَعُ ، وَفِي الْمَثَلِ : « هَلْ تَنْجَعُ الْإِيقَاعُ إِلَّا لِمَنْ لَقَعَتْ لَهُ » ، وَكُتِبَ عَلَيْهِ صَاحِبُ بَيْتِ الْأَمْثَالِ مَا نَسَخْتَهُ : يُقَالُ تَنْجَعُ الْإِيقَاعُ عَلَى مَا لَمْ يَسْمُ فَارِلَهُ ، وَأَتَنْجَعُهَا إِذَا أُنْسِمَا عَلَى ذَلِكَ ، وَالنَّائِجُ لِلْبُوقِ كَالْقَابِلَةِ لِلْإِسَاءِ ، وَلَقَعْتَ تَلَقَّحْتَ لِقَاعًا وَلِقَاحًا وَالْإِيقَاعُ لَا تَنْجَعُ وَتَنْجُوحُ ، وَمَعْنَى الْمَثَلِ : هَلْ يَكُونُ الْوَلَدُ إِلَّا لِمَنْ يَكُونُ لَهُ الْمَاءُ ؟ يَضْرِبُ فِي التَّقْدِيرِ ، وَيُرْوَى « لَمَّا لَقَعْتَ لَهُ » أَيْ لِقَاحَهَا أَيْ لِقَبُولِ رَحْمَتِهَا مَاءَ الْفَعْلِ ، يُشِيرُ إِلَى صِدْقِ الشَّيْءِ ، وَ « مَا » مَعَ « لَقَعْتَ » لِلْمَصْدَرِ ، وَغَيْرُكَ شَاوٍ : أَصْلُ الْمَثَلِ « شَوَى أَخْوَكَ حَتَّى إِذَا أَنْضَجَ رَمْدًا » وَالتَّرْمِيدُ الْقَاءُ الشَّوَاءُ فِي الرَّمَادِ ، يَضْرِبُ - كَمَا فِي بَيْتِ الْأَمْثَالِ لِلْبَيْدَانِ - لِمَنْ يَفْسُدُ اصْطِنَاعُهُ بِالْمَنْ ، وَيُرَدِّفُ صِلَاحَهُ بِمَا يُوَرِّثُ سِوَهُ الطَّلَى ، وَيُرْوَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ « عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّهُ سَرَّ بِدَارِ رَجُلٍ عَرَفَ بِالصِّلَاحِ فَسَمِعَ مِنْ دَارِهِ صَوْتَ بَعْضِ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ : شَوَى أَخْوَكَ حَتَّى إِذَا أَنْضَجَ رَمْدًا .

(٢) الْحَضِيضُ : الْفِرَارُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُنْحَضِ عَنْ سَفْحِ الْجَبَلِ ، وَأَوْهَدُ : أَفْعَلَ تَفْضِيلًا مِنَ الْوَهْدَةِ وَهِيَ الْهَوَّةُ ، يَقُولُ : رَأَى ذَلِكَ الْمَفْتُونُ انْخِطَاطَ حَالِهِ أَوَّلَى بِهِ وَأَنْزَلَهُ الْمَدْوَحُ مِنْ مَسْتَوَى الْفِرَاقِدِ إِلَى أَحْطَ قَرَارٍ مِنَ الْأَرْضِ بِسَبَبِ كُفْرَانِ النِّعْمَةِ وَتَكَرُّرِ الْجَبَلِ .

(٣) ثَبَجَ السَّهَا : أَعْلَاهُ ، وَالسَّهَا : نَجْمٌ صَغِيرٌ فِي بَنَاتِ نَعَشِ الْكِبَرَى يَتَحَنُّونَ بِهِ أَبْصَارَهُمْ خَلْفَانَهُ ، وَفِي الْمَثَلِ « أَرِيهَا السَّهَا وَتَرِيْنِي الْقَمَرَ » .

(٤) دَعَوْتُ لَهُ بِأَنْ يَقِيْمَهُ اللَّهُ مِنْ سَقَطَتِهِ . (٥) غَطَّى عَلَى جَهْلِهِ وَسَتَرَهُ .

تَجَنَّى فَأَهْدَيْتَ النَّصِيحَةَ مَحْضَةً ، وَلَمْ تَأَلُهُ بِقِيَا عَلَيْهِ تَنْظَرًا  
فَمَا آثَرَ الْأُولَى ، وَلَا قَلَدَ الْحِجْبَى ،  
كَأَنَّكَ أَهْدَيْتَ السَّوَابِحَ ضُرًّا  
وَأَجْرَ زَنَّتِهِ ذَيْلَ الْحَبِيرِ (١) تَأَلَّفَا  
سَلَّ الْخَائِنَ الْمُتَرَّ : كَيْفَ اخْتِقَابُهُ  
رَأَى أَنَّهُ أَضْحَى هَزَبًا مُصَمَّمًا ،  
دَهَاهُ - إِذَا مَا جَنَّتَهُ اللَّيْلُ - أَنَّهُ  
وَلَجَّ فَوَالَيْتَ الْعِقَابُ مُرَدَّدًا (٢)  
لِفَيْئَةٍ مِنْ أَكْرَمَتِهِ فَتَمَرَّدَا  
وَلَا شَكَرَ النُّعْمَى ، وَلَا حَفِظَ الْيَدَا  
لِيَرْكُضَهَا - فِيمَا كَرِهْتَ - فَيَجْهَدَا (٣)  
لِيَخْلُقَ - فِيمَا جَرَّ - حِقْدًا مُجَدَّدًا (٤)  
- مَعَ الدَّهْرِ - عَارًا بِالْعِرَارِ مُخَلَّدًا (٥)  
قَلَمَ يَعُدُّ أَنْ أُمْنَى ظَلِيمًا مُشَرَّدًا (٦)  
أَقَامَ عَلَيْهِ - آخِرَ الدَّهْرِ - سَرْمَدًا (٧)

(١) يقول بدأ يتجنى عليك الذنوب وبحقها خلفا ، وكان جراؤه منك أن تحضه الصبح خالصا بريئا ، فلما لج في غروره وعصيانه صبيت عليه عقابك المثالي لتزجره - على أسأته ونؤدبه .

(٢) كأنما أهديته الجياد الضمر ليحاربك بها ويجهد نفسه في توخي أعدائك وتلب ما تكره .

كأن هذا الخائن ظن أنك أهديته الجياد الضمر السواح ليجهدها ركضا فيما تكره من مناصرة أعدائك .  
(٣) أحررت ذيل الحبير : جعلته يجر ذيل العمة .

وكانه ظن أنك تتألفه بما تخلف عليه من حبير أجرته دله ليعلم لك مشاكل ويجدد أحقادا بسبب ما حره من حرائر وجرائم . (٤) وفي الأصل : « للحدد مجددا »

(٥) الخائن : الأحمق ، والمتر الفقير المعترض المعروف من غير أن يسأل ، والاحتقاب الادخار ، يقال : احتقب الشيء : ادخره ، واحتقب خيرا أو شرا واحتقبه : احتمله وجعله خلفه ، واحتقب الاثم : جمعه ، والعرار - جمع عرة وهي الحلة القبيحة .

(٦) المصمم : الماضي في الأمر معتزما ، والظلم : الذكر من النعام ، قال تأبط شرا :

« أنا الذي نكح الفيلان في بلد ما طل فيه سماكي ولا جادا

في حيث لا يعمت العادي عمايته ولا الظلم به يعني تهيدا

وقد لهوت - بمصقول عوارضها - بكر تنازعتي ككاسا وعناقدا

ثم انتفى عصرها عني ، وأعقبه عصر المشيب ، قتل في صالح نادا .

أي نكح الفيلان في بلد لم يظفر بالطل وهو الرذاذ « المطر الخفيف » ولم يظفر فيه الظلم - « فرخ النعام » - بالهيد - وهو الخنظل - ليأكله ، وقد لها بفتاة من الأبقار مصقولة العارضين تنازعت ككاس الحمر وعناقيد العنب ، ثم انتفى ذلك العصر الصالح وأعقبه عصر المشيب .

(٧) يقول : وقد أصبح يترقب جزما أن يكون حينه مرتبعا بيومه وصار يتوجس الضر خوفا من أن يكون ليله سمردا إذا قتلته .

يُحَاذِرُ أَنْ يُلْمَقَ قَتِيلًا مُعَقَّرًا - إِذَا الصَّبِيحُ وَافَى - أَوْ أَسِيرًا مُقَيَّدًا

\* \* \*

لَبِئْسَ الْوَفَاءَ أُسْتَنَّ فِي «أَبْنِ عَقِيدَةٍ»  
قَرِينٌ لَهُ أَغْوَاهُ حَتَّى - إِذَا هَوَى -  
فَأَصْبَحَ يَبْكِيهِ الْمَصَابُ بِشُكْلِهِ ،  
فِدَاهُ لِإِسْمَاعِيلَ كُلُّ مُرْشَحٍ - إِذَا جُشِمَ الْأَمْرَ الْجَسِيمَ تَبَلَّدًا<sup>(١)</sup>

\* \* \*

أَفَادَ مِنَ الْأَمْثَلِكِ حَدَثَانِ فَشَلِهِمْ  
أَعَادَ الصَّبَّاحَ الطَّلُقَ لَيْلًا عَلَيْهِمْ  
فَحَلَّ هِلَالًا - فِي ظَلَامٍ عَجَاجَةٍ -  
يُرَاجِمُ مِنْ «صِنْهَاجَةٍ» وَ «زَنَاطَةٍ»  
مَوَالِي، لَمْ يَشْكُ الصَّدَى مِنْهُمْ الصَّدَا<sup>(٢)</sup>  
فَجَاءَ وَأَثْنَى نَاطِرَ الشَّمْسِ أَرْمَدَا  
تَلَا حِظَّهُ الْأَقْمَارُ - فِي الْأَفْقِ - حُسْدَا  
- بِمِثْلِ نُجُومِ الْقَذْفِ - مِثْنَى وَمَوْحَدًا<sup>(٣)</sup>

(١) يقول : أن قرينه زين له الصلال حتى إذا تردى في سوء عمله تبرأ قرينه من عمله ورأى في التحلي عنه وسيلة إلى نجاته .

(٢) المرشح : المؤهل .

(٣) يقول : إن توالى الأحداث والحوادث التي أنزلها حبشه بالملوك قد أفادته موالى ظاية في البسالة لا يشكو العطشان منهم عطشاً لشدة ما أوتيه من صبر وحلد .

(٤) راحم عنه : ناضل ، وراحم في الكلام والحرب بالغ بأشد مساحلة ، ونجوم القذف ، أو شهب القذف هي الرحوم ، قال الشاعر :

« كَشْهَابِ الْقَذْفِ يَرْمِيكُمْ بِهِ فَارِسٌ فِي كَفِّهِ لِلْحَرْبِ نَارُ . »

يقول : لأنه يساحل بنصرة أهل زناته وصنْهَاجَةٍ ويقذف بهم الأعداء كما يقذف بالشهب ويرحم بها شائتيه ، وقد اشتهرت صنْهَاجَةُ بتلك المذبحة الكبرى التي حدثت في القرن الخامس من الهجرة سنة ٤٥٩ هـ وقد ثارت صنْهَاجَةُ على اليهود وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفيهم الوزير يوسف بن نضلة اليهودي ، وكان سبب هذه المذبحة أن ذلك الوزير - وكان قد استوزره باديس صاحب غرناطة - قد وثق بأبي إسحق الفقيه زاهد البيرة فأقصاه السلطان عن بلاده .

قالوا : « وكان ذلك الوزير قد تعرض لتسفيه بعض الآراء الدينية الإسلامية ، وكان عظيم الخطر واسع



## هُمْ الْأَوْلِيَاءُ الْمَانِحُونَ صَفَاءَهُمْ إِذَا أُمْتَارَ مُصْنِفِي الْوُدِّ مِمَّنْ تَوَدَّدَا

النفوذ — فوجد أبو إسحق من ذلك حافزا إلى إنشاء قصيدته البليغة التي دفعه إلى قولها غيظه من عدوه — ذلك الوزير الخطير — فلأما تحريضها وأفعها حجباً وبراها، أفلح في التأثير بها على العامة وحلهم على إنفاذ رغباته — وما زال يفتن في ضروب الاحتشاك والتضييق حتى اشتمل الجمهور حساسة وهجم على ذلك الوزير فقتله — في قصر السلطان نفسه — وليس من شك في أن أبا إسحق يدل كل مواهبه في الضرب على النعمة الدينية وإظهار الفجع الشديد على ما انتاب الدين من التهاون به وعرف كيف يوالى فيها اطراد الأدلة واتساقها وتدقيق المعاني وغرارتها مع دقة عجيبة في التعبير عن أغراضه وخوالجه بكلام نظم ، يتطير حساسة ويتأجج نارا ، وسعر صارخ

« خارج من قلب فائله مثلما يزور بركان . »

وبهذا استطاع أن يوهم سامعيها أن قتل أولئك اليهود — أخصامه — مرض لا مناص من أدائه وواجب حتم لا يصح السكوت عنه وأنهم — إن كانوا غلبوا عن القيام به فيما مضى — فهم حليقون أن يتداركوه في الحال ، حتى لا تصيب عليهم لعنة الله ، أو يخيق بهم غضبه ، فيحسف بهم الأرض ، أو ينزل عليهم الساء ، وكذلك لم يترك ناطقا وسيلة من الوسائل التي تستمر أحق العواطف الدينية السكامة إلا استخدها ، ولا نعمة من نعمات متمصب للعقيدة الدينية إلا ضرب على وتيراتها . كل ذلك بأسلوب سهل رشيق كاد يصل — لسنواته — إلى حد الركافة في بعض الأبيات مع أنه من أجل الشعر وأبدعه ، وإن شئت فقل وأروعه ، وإليك هذه القصيدة العريضة في بابها :

« ألا قل لصنحة أجمين بدور الزمان وأسد العرين  
مقالة ذي مقة مشفق يعد الصيحة زلى ودين  
لقد دلّ سيديكم ذلة نقر بها أعيى الشامتين  
تحسير كتابه كافرا ولو شاء كان من المؤمنين  
فمر اليهود به وانتخوا وتاهوا، وكانوا من الأرداين  
ومنها :

« فكم مسلم راغب راهب لأردل قرد من المشركين  
وما كان ذلك من سعيهم وإمكن منا يقوم الممين  
فهلا اقتسدى منهم بالألى من القادة الحيرة المنقين  
في هذا البيت شيء كثير من الركافة في قوله « بالألى من القادة الحيرة المنقين » ولكننا ستفرها لما في إياه من تعة تلك الصورة الشعرية المنطقية البديعة .

« وأنزلهم حيث يسألون وردهم أسهل السافلين  
فلم يستمعوا بأعلامنا ولم يستطيعوا على الصالحين »  
ومنها يخاطب السلطان باديس :

« أبا ديس ! أنت امرؤ حاذق تصيب بطك نفس اليقين  
فكيف خفي عليك ما يعشون وفي الأرض تضرب منها القرون  
وكيف تحب فراخ الزنا وقد بغضوك إلى العالمين

لَهُمْ كُلُّ مَيِّمُونَ النَّقِيبَةِ بَازِلٍ <sup>(١)</sup> كَفِيلٍ بِأَنْ يَسْتَهْزِمَ الْجَمْعَ مُفْرَدًا  
يَسْرُكُ فِي الْهَيْجَا إِذَا جَرَّ لَامَةً وَيُرْضِيكَ فِي النَّادِي إِذَا أَعْتَمَّ وَأُرْتَدَى <sup>(٢)</sup>

\*\*\*

كَرِهْتَ - لِسَيْفِ الْمَلِكِ - أَلْفَةَ عِمْدِهِ      وَقَلَّ غَنَاءُ السَّيْفِ مَا كَانَ مَغْمَدًا  
وَلَمْ تَرَ لِلشَّيْلِ الْإِقَامَةَ فِي الشَّرَى      فَجَدَّ أَفْتِرَاسًا حِينَ أَصْحَرَ لِلْعِدَا  
هُمَا - إِذَا حَارَبْتَ - فَأَرْفَعِ لَوَاءَهُ ،      فَمَا زَالَ مَنْصُورَ اللَّوَاءِ مُوَيَّدًا  
وَيَأْتِفُ مِنْ بَيْنِ الْمِهَادِ تَعَوُّضًا      بِصَهْوَةِ طَيَّارٍ - إِلَى الرُّوْعِ - أَجْرَدًا  
وَقَدْ مَا شَكَا حَبْلَ التَّمَاهِمِ يَافِعًا      لِيَحْمِلَ رَقْرَاقَ الْفَرِيدِ مُهْنَدًا  
وَلَمْ تَرَ سَيْفًا - بِأَتَلِكِ <sup>(٣)</sup> - الْحَدَّ قَبْلَهُ -      تَنَاولَ سَيْفًا - دُونَهُ - فَتَقَلَّدَا

وكيف يتم لك المرقى      إذا كف تبي وهم يهدمون  
وكيف استنمت إلى فاسق      وقارنته وهو بش العرين ؟  
ومنها :

« واني حلت بفرناطة      سكت أراهم بها طابين  
وقد نسسوها وأعمالها      ففهم بكل مكان ادين »  
ومنها :

« وهم أما كم على سركم      وكيف يكون أمينا خؤون ؟  
ويأكل عـيرهم درهما      فيقتى ويدنون إذ يأكلون  
وقد نهضوكم إلى ربكم      فما ينعون وما يتكرون »  
ومنها :

« ورخم قردهم داره      وأجرى إليها نعيم العيون  
وصارت حوائجنا عندهم      ونحن - على بابيه - قائلون  
ويضحك منا ومن دينا      فانا إلى ربها راجعون »  
(١) البارل : الرجل الكامل ، والبالز أبطا الناقة في طامها التاسع ، قال الشاعر :  
« عذرت البزل إن هي قالتني      فما بال وبال ابني لبون »

(٢) أي تعجب بشجاعته إذا لبس لامة الحرب كما تعجب بسحاخنة التعف رماه ولبس عمامته في السلم .  
(٣) باتك الحد : فاطمة مرهفة .



لَبْنُ أَنْجَزَتْ مِنْهُ الشَّمَائِلُ آخِرًا      لَقَدْ قَدَّمَتْ مِنْهُ الْمَخَائِلُ <sup>(١)</sup> مَوْعِدًا  
قَرَرْتَ بِهِ عَيْنًا، فَكَمْ سَادَ عِثْرَةٌ      وَكَمْ سَاسَ سُلْطَانًا، وَكَمْ زَانَ مَشْهَدًا  
وَأَعْطَيْتُمَا - فِيمَا تُرِيدَانِهِ <sup>(٢)</sup> - الرِّضَى،      وَبُلَّغْتُمَا - مِمَّا تُرِيدَانِهِ - الْمَدَى

### دولة عباد

كَمْ لِرِيحِ الْغَرْبِ مِنْ عَرَفٍ نَدَى      كَالشَّرَابِ الْعَذْبِ فِي نَفْسِ الصَّدَى <sup>(٣)</sup>  
حَيْثُ «عَبَادٌ» فَتَى الْمَجْدِ الَّذِي      نَصَّتِ الدُّنْيَا بِهِ نَصَّ الْهَدَى  
مَلِكٌ رَاحَتْهُ بِحَرْزِ النَّدَى      مِثْلَمَا غُرَّتُهُ بِذُرِّ النَّدَى  
أَضْبَحَتْ دَوْلَتُهُ فِي عَصْرِنَا      كَفَرِنْدِ عَادَ فِي سَيْفِ صَدَى <sup>(٤)</sup>

### إلى حبيب

يَا ظَبِيَّةَ لَطُفْتَ مِنِّي مَنَازِلَهَا      فَالْقَلْبُ مِنْهُمْ وَالْأَخْدَاقُ وَالْكَبِيدُ  
حُبِّي لَكَ النَّاسُ طُرَا يَشْهَدُونَ بِهِ      وَأَنْتِ شَاهِدَةٌ إِنْ يَثْنِيهِمْ حَسَدُ  
لَمْ يَعْزُبِ الْوَضَلُ فِيمَا يَبْنِيْنَا أَبَدًا      لَوْ كُنْتَ وَاجِدَةً مِثْلَ الَّذِي أَجِدُ

(١) الخيال من السحب : المندرة بالمطر . قال مروان ابن أبي حفصية :

« إِنْ أَخْلَبَ الْغَيْثُ لَمْ تَخْلَفْ مَحَايِلَهُ »

وهي هنا بمعنى الدلائل التي تتوهم بها الشيء ، والشمايل : الصفات ، قال أبو تمام يرثي ظليلين :

« لَهْفَى عَلَى تِلْكَ الْخَيَالِ مِنْهُمَا لَوْ أَمَهَكَ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلًا »

لعدا سكونتهما حبا ، وصباحهما عزما ، وتلك الأريحية نائلا .

(٢) تريقاته : تطلباته ، تقول : أراغ الشيء أى أراده وطلبه ، وقد جاء في الأصل :

« وَأَعْطَيْتُمَا - فِيمَا تُرِيدَانِهِ - الرِّضَى »

(٣) الصدى : الظلمان .

(٤) أعادت دولته إلى زماننا روثقه وبهاؤه فصار كالسيف عارده العقول والروث بعد أن علاه الممدأ .

## في مدح أبي المظفر

« وقال يمدح أبا المظفر سيف الدولة أبا بكر محمد

ابن مسلم صاحب بطليوس . »

هِيَ الشَّمْسُ مَغْرِبُهَا فِي الْكِلَالِ      وَمَطْلَعُهَا مِنْ جُيُوبِ الْحُلَلِ (١)  
وَعُصْنُ تَرَشَّفَ مَاءِ الشَّبَابِ      تَرَاهُ الْهَوَى وَجَنَاهُ الْأَمَلِ (٢)  
تَهَادَى لَطِيفَةً طَى الْوِشَاحِ      وَتَرْنُو ضَعِيفَةً كَرَّ الْمُقَلِ (٣)  
وَتَبْرُزُ خَلْفَ حِجَابِ الْعَفَافِ      وَتَسْفِرُ تَحْتَ نِقَابِ الْحَجَلِ (٤)  
بَدَتْ فِي لِدَاتِ - كَزُهرِ النُّجُومِ -      حِسَانِ التَّحَلَّى مِلَاحِ الْعَطَلِ  
مَشَيْنَ يَهَادِينَ رَوْضَ الرُّثَا      يَبَانِعِ رَوْضِ الصَّبَا الْمُقْتَبَلِ  
فَرْنَ قُضْبٍ تَتَنَّى بِرِيحِ      وَمِنْ قُضْبٍ تَتَنَّى بِدَلْ  
وَمِنْ زَهْرَاتٍ تُنْدَى بِمِنْكَ      وَمِنْ زَهْرَاتٍ تُنْدَى بِطَلْ  
تَعَاهَدَ صَوْبُ الْعِهَادِ الْحِمَى      وَلَا زَالَ مَرْبُعُهَا فِي مَلَلِ (٥)

(١) الكل : جمع كلة ، وهي ستر رقيق صريح يتوق به من البعوض ونحوه ، والجيوب : جمع جيب ، وهو من القميص طوقة ، والحلل : جمع حلة بالصم وهي إزار وراية ( برد أو غيره ) ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة ، والمعنى أن هذه الحساء شمس تعرب في الكل كما تقيب الشمس في مربيها ، وتشرق من جيوب الحلل كما تطلع الشمس من مشرقها .

(٢) وهي عصن غرس في أرض الهوى وارتوى بماء الشباب لاماء السحاب فأجنانا ثمرة الأدل .

(٣) تهادى : تمشى مشية في مهمل وتناقل ، وترنو : تنظر بهوخر عينها ، يعنى أنها تهادى بين أترابها يكاد ينعدم ما انطوى عليه الوشاح من الحصر ، وتكر بسيف لحظها من جفون فائرة مريضة .

(٤) تسفر : مضارع سمرت المرأة سفورا كشفت النقاب عن وجهها ، يقول : إذا برزت لأرجال برزت وراء حجاب يصونها من عفتها وإذا بدت لهم سائرة ستر وجهها نقاب من الحياء والحجل .

(٥) العهد : المطر ، وصوبه نزوله ، والريع : الموضع الذى ينزلون فيه أيام الربيع ، ولا زال مربيها في ملل : أى ولا زال المطر يصوب في مربيها حتى يميل لكثرة نزوله ، وفي الأصل :

« ولا مل مربيها في ملل » وجاء في ابن الأثير : في حديث الاستسقاء فألف الله السحاب وملتنا ، كذا في رواية مسلم ، قبل هي من الملل أى كثر مطرها حتى مللناها . انظر ج ٤ ص ١٠٩ من النهاية لابن الأثير .

مَرَّادٌ - مِنْ الْحُبِّ - غَضُّ الْجَنَى ،  
 لِيَاكِي مَا أَتَفَكَّ يُهْدِي الشُّرُورَ  
 زَمَانٌ كَانَ الْفَتَى الْمَسْلَمِيَّ  
 تَدَارَكَ <sup>(١)</sup> مِنْ حُكْمِهِ أَنْ يُعِيدَ  
 وَيُوضِحَ رَسْمَ الثَّقَى - إِذْ عَفَا -

حَمْدَنَا « الْمُظَفَّرَ » لَمَّا رَأَى  
 مَلِيكَ تَجَلَّى لَهُ غُرَّةٌ  
 أَشْفَى الْوَرَى - فِي الثُّهَى - رُتْبَةً ،  
 وَأَحْرَى الْأَنَامِ بِأَمْرِ وَنَهْيِ  
 يَمَانٍ لَهُ التَّاجُ مِنْ بَيْنِهِمْ  
 سَنَامٌ - مِنَ الْمَجْدِ - عَلَى الذَّرَا  
 تَقِيلَ - فِي الْمَهْدِ - ظِلُّ الْوَاءِ  
 وَنِيطَتْ حَمَائِلُهُ الْوَافِيَاتُ  
 وَمَا بَلَّتِ الْبُرْدَ تِلْكَ الدُّمُوءُ

لَدَيْنِهِ - مِنَ الْوَصْلِ - وَرَدُّ عِلَلٍ  
 حَبِيبٌ سَرَى ، وَرَقِيبٌ غَفَلٌ  
 تَكْنَفُهُ عَدْلُهُ فَأَعْتَدَلْ  
 بِهِ عِزَّةَ الدِّينِ أَيَّامَ ذَلٍّ  
 وَيُطْلِعَ نَجْمَ الْهُدَى إِذْ أَقَلَّ

« لِنَصُورِنَا » سِيرَةً فَاْمَثَلَنَ  
 تَأَمَّلَهَا غِرَّةٌ شُهْبَلَنَ  
 وَأَشْهَرُهُمْ - فِي الْمَعَالِي - مَثَلٌ <sup>(٢)</sup>  
 وَأَذْرَى الْمُلُوكِ بِمَقْدٍ وَحَلٍّ  
 بِمَا أَوْرَثَ التَّبَعُونَ الْأُولَى  
 يَظَلُّ الْعِدَامَةُ تَحْتَ الْأَظَلِّ <sup>(٣)</sup>  
 وَسِيمَ النَّهْوضِ بِهِ فَاسْتَقَلَّ <sup>(٤)</sup>  
 - مَكَانَ تَمَائِمِهِ - فَاحْتَمَلَ  
 عِ إِلَّا وَفَى الْبُرْدَ لَيْثٌ أَيْلٌ <sup>(٥)</sup>

(١) في الأصل : « تبارك »

(٢) وقف على « مثل » بالسكون مع أنه منصوب لوقوعه تمييزاً ، وريضة يحبرون المنسوب في الوقف  
 مجرى المرفوع والمجرر فيقفون عليه بالسكون ، وقد اسطرته القافية - في غير ما موضع - أن يترك  
 الاستعمال العاشق من لغة العرب ويلجأ إلى هذه اللغة القليلة .

(٣) باطن منهم البعير .

(٤) تقيل : استظل ، وسيم : كلف ، بالغ إلى حد الأفرار فجعل المدوح وهو في المهد يفود الجيوش  
 ويتقيل ظل اللواء ويكلف النهوض بهذا العبء يستدل بحمل اللواء وحده .

(٥) الليث الأبل : الأسد الشديد الحصومة .

عَهْدَنَا الْكَارِمَ فِيهِ مَعَانِ      تَبَشَّرْنَا فِيهِ مِنْهَا الْجَمَلِ  
تَرَى بَعْدَ بَشِيرِ يُرِيكَ النِّعَامَ      تَهَلَّلَ بَارِقُهُ قَامَتْهُلْ  
يُصَدِّقُ مَا حَدَّثْنَا « عَسَى »      بِهِ عَنْهُ ، أَوْ أَنْبَأْنَا « لَعَلَّ »  
فَمَا وَعَدَ الظَّنَّ إِلَّا وَفَى      وَلَا قَالَتِ النَّفْسُ إِلَّا فَعَلْ  
فَلَقَى مُنَاوِئَةً مَا اتَّقَى      وَأَعْطَى مُؤَمِّلَهُ مَا سَأَلَ

كَمْ اسْتَوْفَتِ الشُّكْرَ نَعْمَاوُهُ      فَأَقْبَلَ يُنْعِمُ مِنْ ذِي قَبْلِ<sup>(١)</sup>  
غَمَامٌ يُظِلُّ ، وَشَمْسٌ تُذِيرُ ،      وَبَحْرٌ يَفِيضُ ، وَسَيْفٌ يُسَلُّ<sup>(٢)</sup>  
قَسِيمُ الْمُحْيَا ، ضَحْوُكُ السَّمَاحِ ،      لَطِيفُ الْخَوَارِ ، أَدِيبُ الْجَدَلِ  
ثَوَشَى الْبَلَاغَةَ أَقْلَامُهُ      إِذَا مَا الضَّمِيرُ عَلَيْهَا أَمَلُ<sup>(٣)</sup>  
يَبَانُ يُبَيِّنُ - لِلْسَّامِعِينَ -      أَنْ مِنَ السَّحْرِ مَا يُسْتَحَلُّ<sup>(٤)</sup>  
أَلَا هَلْ سَبِيلٌ إِلَى الْعَيْبِ فِيهِ      فَكَمْ عَيْنٍ مِنْ قَبْلِهِ - مَنْ كَمَلُ<sup>(٥)</sup>

- (١) يقال : لقيته من ذى قبل (بفتحين وبكسر وفتح) أى فيها يستقبل .  
(٢) يقال أمل عليه الكتاب أى أملاه ليكتبه ، وفى الكتاب الميز : (فليكتب وليمل الذى عليه الحق) وفيه أيضا : ( وقالوا أساطير الأولين اكتبها ففى تملى عليه )  
(٣) السحر الذى يستحل هو سحر البيان ، وفيه الإشارة إلى المثل المشهور : إن من البيان لسحرا ، قاله النبى - صلى الله عليه وسلم - حين وفد عليه ، عمرو بن الأهتم ، والزبرقان بن بدر ، وقيس ابن عاصم ، فسأل عليه الصلاة والسلام عمرو بن الأهتم عن الزبرقان . فقال عمرو : « مطاع فى أدبه ، شديد المارضة ، مانع لما وراء ظهره » . فقال الزبرقان : « يا رسول الله ! إنه ليعلم منى أكثر من هذا ، ولكنه حديدى » . فقال عمرو : « أما والله ! إنه لزم من المروءة ، ذيق المظن ، أحق الوالد ، لكى الحال ، والله يا رسول الله ما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الأخرى ، ولكى رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وسخطت فقلت أنجح ما وجدت » . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن من البيان لسحرا » ، وإنما سعى البيان سحرا لتأثيره فى سامعه ، وسرعة قبول القلب له .  
(٤) عين : أصيب بالعين ، من كان المحسود بعينه فهو طأن والمحسود ممين أصابه بالعين ، يقول : هل من سبيل إلى وجود عيب واحد فيه يشبه شر أعين الحاسدين ، فكثيرا ما أصيب بالعين الكامل الذى لا نقص فيه ولا عيب . وهذا قريب من قول الفائل :  
« ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العين . »

\*\*\*

لَنْ لَيْسَ الْمَلِكُ رَحْبَ الْمَلَا • فَاخْتَالَ مِنْهُ بِذَيْلٍ رَفَلَن  
فَإِنْ تَزَوَّدَهُ لِلْمَعَالِي وَإِنْ تَأَهَّبَهُ لِلْجَلَن  
فَأَخْبِرْ سُوَاسِ هَذِي الْأُمُورِ وَنَاسِكَ أَرْبَابِ هَذِي الدُّوَلِ

\*\*\*

وَلَيْتَ الشُّعُورَ فَلَمْ تَعُدْ أَنْ رَأَيْتَ الثَّمَايَ (١) وَسَدَدْتَ الْخَلَلَن  
سِوَاكَ - إِذَا قُلِّدَ الْأَمْرَ - جَارَ، وَغَيْرُكَ - إِنْ مُلِّكَ الْيَوْمَ - غَلَّ (٢)  
حَتَّى لَا يَزَالَ لِمَنْ حَلَّهُ أَمَانَانِ : مِنْ عَدَمٍ ، أَوْ وَجَلَن (٣)  
فَأَنْجِمُ دَهْرِهِمْ سَمْعَةً وَشَمْسُ زَمَانِهِمْ فِي الْحَمَلَن (٤)

\*\*\*

« أَبَا بَكْرٍ » اسْمَعِ أَحَادِيثَ لَوْ تَبَثُّ بِسَمْعٍ عَلِيلٍ أَبْلَ (٥)  
سَأَشْكُرُ أَنَّكَ أَغْلَيْتَنِي بِأَحْظَى مَكَانٍ وَأَذِنَ تَحَلَّ  
وَأَنَّى إِنْ زُرْتُ لَمْ تَحْتَجِبْ وَإِنْ طَالَ بِي تَجَلَّسْتُ لَمْ تَمَلَّ

(١) الثَّمَايَ : الفساد ، ورأبته أصلحته .

(٢) « الْيَوْمَ » : ما حصل للمسلمين من أموال الكفار عفوا بلا قتال ، وتقسيبه غير تقسيم الفتناء ، وغل : خاف ، وخصه بعضهم بالغلول ( أى الخيانة ) فى « الْيَوْمَ » والمغنم ، وهو من قول الله عز وجل : « وما كان لنبى أن يفل » .

(٣) عدم أو وجل : أى فقرأ وخوف .

(٤) سمعة : صفة للأنجيم ، يقال : يوم سعد ليلة سمعة ، وفى الأصل : « وأنجم دهرهم أسعد » وأسعد وصف للمذكر ، ولا يصح وصف الأنجم به ، وفى السماء كواكب يقال لكل منها : « سعد » وسعود النجوم عشرة وهى : « سعد الذابح ، وسعد بلع ، وسعد السمود ، وسعد الأحيية ، وسعد ناضره ، وسعد الملك ، وسعد البهام ، وسعد الحمام ، وسعد البارخ ، وسعد مطر » .

(٥) صح من مرضه .

تَبَسَّمتَ ثُمَّ ثَنَيْتَ الْوِسَادَ      فَحَسَنِي مِنْ خَطَرٍ مَا أَجَلٌ <sup>(١)</sup>  
 فَلَوْ صَافَحَ الثَّبَرُ خَدِّي لَهَانَ      وَلَوْ كَاثَرَ الْقَطَرُ شُكْرِي لَقَلُّ  
 بِأَمْثَالِهَا يُسْتَرَقُّ الْكَرِيمُ      إِذَا مَطْمَعٌ بِسِوَاهُ أَخْلُ

\*\*\*

فَلَا تَعْدَمَنَّكَ الْمَسَاعِي الَّتِي      لِأَمِّ الْمُنَاوِيكَ فِيهَا الْهَبَلُ <sup>(٢)</sup>  
 فَأَنْتَ الْجَرِيُّ - إِذَا الشَّبْلُ هَابَ -      وَأَنْتَ الدَّلِيلُ - إِذَا النَّجْمُ ضَلَّ -  
 وَمَا أَبْنُكَ إِلَّا جِلَاءَ الْعُبُونِ      إِذَا نَظَرْتُ - بِسِوَاهُ - أَكْتَحَلْنَ  
 رَيْبُ السَّيَادَةِ - فِي حَجْرِيهَا -      تُدِرُّ لَهُ تَذْيِهَا إِذْ حَقَلْنَ <sup>(٣)</sup>  
 تَمَكَّنَ يَثْلُوكَ - فِي الصَّالِحَاتِ -      فَلَمَّا تَفَقَّسَهُ ، وَلَمَّا يَنْلَنَ

(١) ثنيت الوساد : الوساد المنكأ ، وثنيت أي رددت بعده على بعض ، وذلك لأنه ، أو ثنيه جعلت له ثانيا وصدته عليه ليحصل الارتفاق ، والاتكاء عليه عند الجلوس ، وهذه الحفاوة إما أن تكون حصلت بفعل مباشر من الملك تواضعا منه ومباغة في إكرام ذي الوارثين (ابن زيدون) ، وإما أن تكون حصلت من الخدم والاتباع بناء على أمر الملك ، يقول في هذا البيت والبيتين قبله : سأشكر لك إلك أعليت مكاني ، وأدريت علي ، ولما إن ردتك لم تحتجب وإن طال بي الجلوس في مجلسك لم تسأم ولم تل ، وأني إن جئت زائرا تبسمت وثنيت الوساد احتفاء بي ، لحسي هذا من خطر عظيم وشرف ما أجله وما أعظمه .

(٢) يقال : هلته أمه ثكلته ، ولأمه الهبل أي الثكل . قال الشاعر :

« والناس من يلق خيرا ، قائلون له ما يشتهي ، ولأم المخطى الهبل . »

وقال البحتري :

« ولاكم البغي ، ثم الساب نحوكم بالشرية فيها الثكل والهبل . »

وقال المعري :

« دع آدمًا - لاشغاه الله من هل - يكي على ولده المقتول هايلا . »

(٣) حفل : امتلأ ، حفل اللين في الفرع يحفل حفلا وحفولا ، وتحفل واحتفل : اجتمع وهذا ضرع

حفيل أي مملوء لنا .



ذكرى قرطبة وإيام الصبا

تَنَشَّقُ - مِنْ عَرَفِ الصَّبَا <sup>(١)</sup> - مَا تَنَشَّقَا

وَعَاوَدَهُ ذِكْرُ الصَّبَا فَتَشَوَّقَا

وَمَا زَالَ لَمْعُ الْبَرْقِ - لَمَّا تَأَلَّقَا -

يُحِيبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ حَتَّى تَدَفَّقَا ، وَهَلْ يَمْلِكُ الدَّمْعُ الْمَشُوقُ الْمَصْبَا <sup>(٢)</sup> ؟

\*\*\*

خَلِيلِي - إِنْ أَجْزَعُ - فَقَدْ وَضَحَ الْعُذْرُ

وَإِنْ أَسْتَطِيعُ صَبْرًا فَمِنْ شِيَمَتِي الصَّبْرُ

وَإِنْ يَكُ رُزْءًا مَا أَصَابَ بِهِ الدَّهْرُ

فِي يَوْمِنَا خَيْرٌ ، وَفِي غَدِهِ أَمْرٌ <sup>(٣)</sup> وَلَا عَجَبٌ ، إِنْ الْكَرِيمُ مُرَرًّا

(١) الصبا : ريح الصبا أى ريح الشمال . والعرف : الطيب .

(٢) يهيب : مضارع أهاب بصاحبه دفاه ، أى يدعو الدمع ليتدفق ، والمصبا : ذو الصبابة ، والصبوة : جهلة الفتوة يقال صبا صبوا وصا وصباء . وصبي إليها - كرضى - حن ، وأصبته المرأة وقصبته : شاقته ودعته إلى الصبا لحن إليها .

(٣) فى المثل : « اليوم خير وغدا أمر » وقد قاله امرؤ القيس - بن بلخه قتل أبيه ، ومعناه : اليوم ناهو وننعم تاركين إلى المدأداء ما علينا من الواجبات والفروض . ويروى ، وهو أيضاً لامرؤ القيس : « اليوم فخاف ، وغدا تقاف » والفخاف جمع تخف ، وهو إلقاء يشرب فيه ، والقاف : المداقة من تنف الهامة شقها عن الدماغ .

\* \* \*

رَمَتْنِي اللَّيَالِي عَنْ قِسْيِ النَّوَائِبِ  
فَمَا أَخْطَأْتُ نِي مُرْسَلَاتِ الْمَصَائِبِ  
أَقْضَى نَهَارِي بِالْأَمَانِي الْكَوَاذِبِ  
وَأَوْرَى إِلَى لَيْلٍ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ<sup>(١)</sup> وَأَبْطَأُ سَارِ كَوَاكِبِ بَاتٍ يُكْثَلُ

\* \* \*

أَقْرُطِبَةَ الْغُرَاءِ أَهْلَ فَيْكِ مَطْمَعُ ؟  
وَهَلْ كَبِدُ حَرَّى لَيْبِنِكَ تَنْقَعُ ؟  
وَهَلْ لِلْيَالِيكِ الْحَمِيدَةِ مَرْجِعُ ؟  
إِذِ الْحُسْنُ مَرَأَى فَيْكِ - وَاللَّهُ وَمُسْمَعُ وَإِذْ كُنْتُ الدُّنْيَا لَدَيْكِ - مُوَطَّأً<sup>(٢)</sup>

(١) إشارة إلى البيت المشهور في قصيدة النابغة الذبياني :

« كايى لهم يا أميمة ناصب وليل أفاقيه بطيء الكواكب  
تطاول حتى قلت ليس ينقض وليس الذى يرعى النجوم بأشب  
وصدر أراح الليل طازب مه تضاعف فيه الحزن من كل جانب . »

حمل صدره مألفاً للهموم وجعل الهموم كاللايل العازبة بالنهار حتى إذا أوى الاليل أراحها الرخاء في أماكنها  
والنابغة أول من حمل الهموم تعرب بالنهار وتزايد بالليل ، وتبعه الشعراء في ذلك ، فقال مجنون ليلى :

« يغم إلى الاليل أطفال حبكم كما ضم أزرار القيس البنائق . »

وقال ابن الدمينه :

« نهاري نهار الناس حتى إذا بدا لي الاليل هرتني إليك المضاجع »

أقصى نهاري بالحديث وبالملى ويجمعنى والهم بالاليل جامع . »

ولهذا السبب تهرم الشعراء بطول الاليل فقال :

« كواكب ليلة طالت ونمت وهذا الصبح راحمة فحورى »

وقال امرؤ القيس :

« فياك من ليل كأن نجومه بكل منار الفتل شدت يذبل »

وقد أكثر الشعراء من أمثال هذه المعاني فلتجتزئ بهذه الأبيات .

(٢) موطأ : ميسر مذلل .

أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ تَشُطَّ النُّوَى بِكَ  
فَأَحْيَا كَأَنْ لَمْ أُنْسَ نَفْحَ جَنَابِكَ  
وَلَمْ يَلْتَمِ شَعْبِي خِلَالَ شِعَابِكَ  
وَلَمْ يَكْ خَلْقِي بَدْوُهُ مِنْ ثُرَابِكَ وَلَمْ يَكْتَفِنِي مِنْ نَوَاحِيكَ مَنَشَأُ

نَهَارُكَ وَصَاحُ ، وَلَيْلُكَ صَخِيَانُ  
وَتُرْبُوكِ مَصْبُوحُ ، وَغُصْنُكَ نَشْوَانُ  
وَأَرْضُكَ تُكْسَى ، حِينَ جَوْكِ عُرْيَانُ  
وَرَيَّاكَ رَوْحُ - لِلنَّفُوسِ - وَرَيْنَحَانُ وَحَسْبُ الْأَمَانِي ظِلُّكَ الْمُتَفَيُّ (١)

أَلَأَنْسَى زَمَانًا « بِالْعُقَابِ » مُرَفَّلًا  
وَعَيْشًا بِأَكْنَافِ « الرُّصَافَةِ » دَغْفَلًا (٢)  
وَمَنْنَى - إِزَاءَ « الْجَعْفَرِيَّةِ » - أَقْبَلًا  
لَنِعْمَ مَرَادُ النَّفْسِ رَوْضًا وَجَدَوْلًا وَنِعْمَ مَحَلُّ الصَّابِوَةِ الْمُتَبَوُّ

وَيَارُبِّ مَلَهَى « بِالْعَقِيقِ » وَمَجْلِسِ  
لَدَى ثُرْعَةٍ ، تَزْنُو بِأَحْدَاقِ تَرْجِسِ  
بِطَاحِ هَوَاءِ مُطْمِعِ الْحَالِ مُؤَيِّسِ  
مَغِيمٍ وَلَكِنْ مِنْ سَنَا الرَّاحِ - مُشْمِسِ إِذَا مَا بَدَتْ - فِي كَأْسِيهَا - تَتَلَا

(١) فخيان : أى بارز ظاهر لا يستتره ظلام ، وذلك لكثرة ما يضاء فى قرطبة من المصابيح والسرير بالليل ، وعريان : محو يريد أن أرضها مكسوة بالنبات وجوها محو صافى الأديم ، المتفيا : الذى يستظل به ويستريح فيه المقيـل . (٢) الدغفل : العيش الواسع المخصب .

وَقَدْ ضَمَّنَا مِنْ «عَيْنِ شُهَدَاةٍ» — مَشْهَدٌ  
 بَدَأْنَا وَعُدْنَا فِيهِ ، وَالْعَوْدُ أَفْخَذُ  
 يَرْفُ عَرُوسَ اللَّهِوِ أَحْوَرُ أَغْيَدُ  
 لَهُ مَبْنَسِمٌ عَذْبٌ ، وَخَذٌ مُورَّدٌ ، وَكَفٌ — بِحِثَاءِ الْمَدَامِ — تُقْنَأُ <sup>(١)</sup>

\*\*\*

وَكَأَنَّ عَدَوْنَا — مُصْعِدِينَ — عَلَى الْجِسْرِ <sup>(٢)</sup>  
 إِلَى الْجَوْسِقِ <sup>(٣)</sup> النَّصْرِيِّ بَيْنَ الرُّبَا الْعُفْرِ  
 وَرُخْنَا إِلَى الْوَعْسَاءِ <sup>(٤)</sup> مِنْ شَاطِئِ النَّهْرِ  
 بِحَيْثُ هُبُوبُ الرِّيحِ عَاطِرَةِ النَّشْرِ عِلَا قُضْبِ النُّوَارِ ، فَهِيَ تُكَفَّأُ

\*\*\*

وَأَحْسِنِ بِأَيَّامٍ — خَلَوْنَ — صَوَائِلِ  
 بِمَضِيَّةِ الدُّوَلَابِ ، أَوْ قَصْرِ نَاصِحِ  
 تَهْزُ الصَّبَا — أَثْنَاءَ تِلْكَ الْأَبَاطِحِ —  
 صَفِيحَةَ سَلْسَالِ الْمَوَارِدِ سَائِحِ تَرَى الشَّمْسَ تَجْلُو وَنَصْلَهَا حِينَ يَصْدَأُ <sup>(٥)</sup>

(١) تقنأ : تصنع باللون الأحمر القاني ، وذلك حين تمسك بالسكاس فينعكس عليها من لون الراح ما يشبه الحضاب بالحناء . (٢) وكم حربنا صاعدين على الجسر .

(٣) الجوسق : القصر ، والربا : جمع ربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض والعفر جمع شعراء — وهي أرض بيضاء لم توطأ .

(٤) الوعساء : رابية من رمل لينة تنبت أحرار البقول .

(٥) يقول : إن ريح الصبا تهز خلال تلك الأباطح صفيحة جدول سلسال الموارد سائح في الأباطح ، والشمس تجلو نصل هذا الجدول الشبيه بصفيحة السيف حين يصدأ من الطل .

\* \* \*

وَيَا حَبِّذَا « الزَّهْرَاءِ » بَهْجَةً مَنظَرِ  
وَرِقَّةَ أَنْفَاسٍ ، وَصَحْفَةَ جَوْهَرِ  
وَنَاهِيكَ مِنْ مَبْدَأِ جَمَالٍ وَمُخْضَرِ  
وَجَنَّةِ عَذْبٍ تَطْيِيكَ وَكَوْثَرِ بِمَرَايِ يَرِيدُ الْعُمَرِ - طَيْبًا - وَيَنْسَأُ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

مَعَاهِدُ - أَبْكِيهَا - لِعَهْدٍ تَصَرَّمَا<sup>(٢)</sup>  
أَغْضًى - مِنْ - الْوَرْدِ الْجَنِيِّ - وَأَنْعَمَا  
لَبَسْنَا الصَّبَا فِيهَا حَيْرًا مُتَمَتِّمَا<sup>(٣)</sup>  
وَقَدْ نَاكَ - إِلَى اللَّذَاتِ - جَيْشًا عَرَمَرَمَا لَهُ الْأَمْنُ رِذْوً<sup>(٤)</sup> وَالْعَدَاوَةُ مَرْبَأُ

\* \* \*

كَسَاهَا الرَّيِّعُ الطَّلُقُ مَوْشَى الْخَمَائِلِ<sup>(٥)</sup>  
وَرَاخَتْ لَهَا مَرْضَى الرِّيَّاحِ الْبِلَائِلِ  
وَعَادَى بَنُوهَا الْعَيْشَ حُلُوَ الشَّمَائِلِ  
وَلَا زَالَ مِنَّا بِالضُّخَا وَالْأَصَائِلِ سَلَامٌ - عَلَى تِلْكَ الْمَيَادِينِ - يُقْرَأُ

(١) تطييك : تعجبك وتزدهيك ، ينسأ : يؤخر ، أى يطيل العمر ، وقد مرَّ التعريف بأزهاره وغيرها من آثار « قرطبة » فى الحاشية ص ( ٥٤ - ٥٦ ) فارجع إليها إن شئت .

(٢) تصرم : انقضى وفات :

(٣) الحبير : الناعم الجديد ، وضرب من برود الين والمشم : المنفوش الموشى .

(٤) رده : ظهير أو معين .

(٥) الخمائيل - جمع خيلة - وهى الموضع الكثير الشجر .

أُخْوَانَنَا ! لِلْوَارِدِينَ مَصَادِرُ  
وَلَا أَوَّلَ إِلَّا سَيَتَلَوُهُ آخِرُ  
وَإِنِّي - لِإِغْتَابٍ <sup>(١)</sup> الزَّمانِ - لَنَاظِرُ  
فَقَدْ يَسْتَقِيلُ الْجَدُّ - وَالْجَدُّ عَائِرُ - وَتُحَمَّدُ عُقْبَى الْأَمْرِ مَا زَالَ يُشْنَأُ <sup>(٢)</sup>

\* \* \*

ظَمَنْتُ ، فَكَانَ الْحَرُّ يُخْفِي فَيَظْمَنُ <sup>(٣)</sup>  
وَأَصْبَحْتُ أَسْلُو بِالْأَسَى <sup>(٤)</sup> حِينَ أَحْزَنُ  
وَقَرَّ - عَلَى الْيَأْسِ - الْفُؤَادُ الْمُوَطَّنُ  
وَإِنْ بِلَادًا - هُنْتُ فِيهَا - لَأَهْوَنُ وَمَنْ رَامَ مِثْلِي بِالْذَّنْبِ أَذْنَأُ

\* \* \*

وَلَا يُغْبِطُ الْأَعْدَاءُ كَوْنِي فِي السَّجْنِ  
فَإِن رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَحْصَنُ بِالْذَّجْنِ <sup>(٥)</sup>  
وَمَا كُنْتُ إِلَّا الصَّارِمَ الْمَضْبِ فِي جَفْنِ <sup>(٦)</sup>  
أَوِ اللَّيْثِ فِي غَابٍ ، أَوِ الْعَقْرِ فِي وَكْنٍ <sup>(٧)</sup> أَوِ الْعَلِقِ يُخْفِي - فِي الصَّوَارِ - وَيُخْبَأُ <sup>(٨)</sup>

(١) الإغتاب : إرضاء العاتب .

(٢) يستقيل : ينهض ، والجدة : الحظ . ويشنأ : يمس .

(٣) أي رحلت فكان رحيلي هذا لأني أقيت جهاء فترحلت عن مكان الجفوة والحر إذا ثبت به أرضه

هاجر إلى غيرها . (٤) الأسى : جمع أسوة ، وهي التأسى والتجمل ، قال ابن دريد :

« فان عثرث بمدحها - إن وألت نفسى من هاتما - فذولا : لالما . »

وإن تكن مدتها موصولة بالختلف سلطت الأسى على الأسى . »

أي سلطت الصبر والتجمل على الحزن .

(٥) الذجن : الغيم . (٦) جفن : غمد (٧) الوكن : عش الطائر ، لوكنة مثله .

(٨) الصوار : وطاء المسك .

\* \* \*

يَضِيقُ - بِأَنْوَاعِ الصَّبَابَةِ - مَذْهَبِي  
إِلَى كُلِّ رَحْبِ الصَّدْرِ - مِنْكُمْ - مُهَذَّبِ  
مَفْضُضٍ لَأَلَاءِ الْأَسَارِيرِ مُذْهَبِ (١)  
يُنَافِسُ - مِنْهُ الْبَدْرُ - غُرَّةَ كَوْكَبٍ دَرَى أَنَّهَا أَبْغَى سَنَاءٍ وَأَضْوَأُ

\* \* \*

أَسِفْتُ ، فَمَا أَرْتَاحُ - وَالرَّاحُ تُشْمِلُ -  
وَلَا أَسْعِفُ الْأَوْتَارَ - وَهِيَ تَرَسَّلُ -  
وَلَا أَرْعَوِي عَنْ زَفَرَةٍ - حِينَ أُعْذَلُ -  
وَلَا لِي - مُذْ قَارَقْتُكُمْ - مُتَعَلِّلُ سِوَى خَبَرٍ مِنْكُمْ - عَلَى النَّأْيِ - يَطْرَأُ

\* \* \*

حَمِدْتُمْ - مِنْ الْأَيَّامِ - إِيْنَ خِلَالِهَا  
وَسَرَّتُكُمْ الدُّنْيَا بِحُسْنِ دَلَالِهَا  
مُؤَمَّنَةً مِنْ عَثْبِهَا وَمَلَالِهَا  
وَلَا زَالَ مِنْكُمْ لَابِسٌ مِنْ ظِلَالِهَا يُسَوِّغُ أَبْكَارَ الْمُنَى وَيُهْنَأُ

(١) أسارير الوجه : محاسنه ، والأسارير - جمع أسرار والأمراء جمع سرار وهي خطوط الكف .

## إلى ابن عبدوس<sup>(١)</sup>

« وكتب إلى الوزير الكاتب أبي عليّ

ابن عبدوس معاتباً . »

(١) كان بين ابن زيدون وابن عبدوس صداقة أصيلة - بعد صداقة أكيدة - وكان من أكبر أسباب تلك الصداقة تنازعهما على «ولادة بنت المستكفي» وقد كانت هذه الصداقة حاضرة لابن زيدون على إنشاء هذه القصيدة ، كما كانت حاضرة له على إنشاء رسالته الهجرية المشهورة التي ستمر بك في هذا الكتاب . وقد كتب ابن نباتة في مقدمة الرسالة كلمة تمهيدية علل بها أسباب هذه الصداقة كما كتب صاحب نفح الطيب وغيره ونحن نجتزئ بما يلي :

كانت بقرطبة امرأة ظريفة من بنات خنساء الدرب الأمويين المنسوين إلى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالفاخل - من بني عبد الملك بن مروان تسمى : «ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن» ابتذل حجابها - بعد نكبة أبيها وقته وتعلت ملوك الطوائف - في خير طويل - ثم صارت تجلس للشعراء والكتاب وتماشرهم وتحاضرهم ويتمتعها الكبراء منهم ، وكانت ذات خلق جميل وأدب غرض ونوادر عجبية ، ونظم جيد فمن ذلك ما كتبت به لابن زيدون وهي راضية عنه فنقول :

« ترقب - إذا جى العلام - زيارتي فاني رأيت الليل أكرم للسر

وبني منك ما لو كن بالبدلم ينر ، وبالليل لم يظلم ، وبالجم لم يسر . »

وقولها فيه وهي عليه غصبي :

« إن ابن زيدون - على فضله - يلجح بي شتما ولا ذنب لي

يلحطني شذرا إذا حشده كأمما جئت لأحصى على . »

تعني غلاما له يسمى عليا . وكان سبب قولها فيه هذا الشعر أنه اتهمها بمواصلة الوزير «أبي طاهر بن عبدوس» وكان يلقب بالفار ، فقال فيه وفيها :

« غيرتمونا بأن قد صار يخلفنا - فين نحب - وما في ذاك من طار

أكل شهى ، أصبا من أطايبه بمضاء ومضا صفعا عنه للفار . »

ومن شعرها ما كتبت به على كنها وقيل : على تاجها :

« أنا والله أصلح للمعالي وأشي مشقى وأتبه تيهها

وأكن طاشقى من اثم ترى وأعطي قبلي من يشتهيها . »

ومما ينسب إليها وهو عندي كثير على شعر امرأة :

« لحاظكم تجرحنا في الحصى ولحظنا يحرككم في الحسودود

جرح بجرح ، فاجعلوا ذا بذنا فما الذي أوجب جرح الصدود . »

وكان ابن زيدون كثير الشغف بها ، والميل إليها ، وأكثر غزل شعره فيها وفي اسمها ، ثم إن الوزير «أبا طاهر بن عبدوس» أيضاً هام بها وكاتب بمشترتها ، وكان تصدم الظرف والأدب ، وكانت «ولادة» كثيرة الحبث به ، ولها معه نوادر ظريفة ، ومن نوادرها الظريفة أنها مرت يوما بدار «ابن عبدوس» وهو جالس بالباب وحوله جماعة من أصحابه - وأمامه بركة تولى من مراقبض وأقذار - فوقفت عليه وقالت يا أبا طاهر :

« أنت الخصيب وهذه مصر فتدققا فكلا كما بحر . »



أَثَرْتُ هَزْبَ الشَّرَى - إِذْ رَبَعْنَ - وَنَبَّهْتُ إِذْ هَذَا فَأَقْتَمَعْنَ<sup>(١)</sup>  
وَمَارِلْتُ تَبْسُطُ<sup>(٢)</sup> - مُسْتَرَسِلًا - إِلَيْهِ يَدَ الْبَغْيِ لَمَّا أَنْقَبَضْنَ

\* \*

حَذَارِ حَذَارٍ فَإِنَّ الْكَرِيمَ - إِذَا سِيمَ خَسْفًا - أَبِي فَأَقْتَمَعْنَ  
فَإِنَّ سُكُونَ الشَّجَاعِ النَّهْوُ - سِ<sup>(٣)</sup> لَيْسَ بِمَانِعٍ أَنْ يَمْعَضَ  
وَإِنَّ الْكَوَاكِبَ لَا تُسْتَزَلُّ - وَإِنَّ الْمَقَادِيرَ لَا تُعْتَرَضُ  
إِذَا رِيغَ فَلْيَقْتَصِدْ مُشْرِفٌ - مَسَاعٍ يُقْصَرُ عَنْهَا الْحَفْضُ<sup>(٤)</sup>  
وَهَلْ وَارِدُ الْعَمْرِ مِنْ عِدِهِ - يُقَاسُ بِهِ مُسْتَشْفٍ الْبَرَضُ<sup>(٥)</sup>

لم يخرجوا، فاضت وحفظت هذه النادرة، واشتغل بها الناس، وهذا البيت لأبي نواس تمثل به ونقلته هذا  
القل الحسن من - المدح إلى الهجاء - وكان كثيرا ما يخذلها ويغني التمرد بها ، وفي ذلك يقول ابن زيدون :  
« وفرك من عهد ولادة سراب تراءى وبرق ومض  
في الماء يأبى على قابض ويمنع زبدته من محض . »

وكان أول أمرها معه والباعث لابن زيدون على إنشاء هذه الرسالة : أن «ابن عبدوس» لما سمع بها أرسل  
إليها امرأة من جهته تستميلها إليه وتذكر لها مأساته ومناقبه وترغبها في التفرّد به واصلته ، فبلغ ابن زيدون  
ذلك ، فكتب هذه الرسالة البديعة جوابا له عن لسانها تتضمن هذه الفرائب من سب أبي عامر والتهكم له  
والهجاء له وجعلها جوابا له على لسان ولادة ، وأرسلها إليه عقيب رجوع المرأة - بلفت منه كل مبلغ ، واشتهر  
ذكرها في الآفاق ، وأمسك «ابن عبدوس» عن التعرّض لولادة إلى أن انتقل «ابن زيدون» إلى «إشبيلية» وتوفي بها  
تتمده الله برحمته ، وغفر لنا ولهم بمنه وكرمه . هذا معنى ما ذكره ابن حيان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين .  
(١) أثرت : هجت ، والهزبر : من أسماء الأسود ، والشرى : موضع تكثر فيه الأسود ، وربى :  
أوى إلى عرينه ، وهذا : نام .

(٢) يقول : وما رلت تبسط يد البعش والبغى على ذلك الأسد الرابض في مجثمه على حين أمنت يده  
المنقبضة منك .

(٣) النهوس : المعنوس ، والشجاع الذكر من الحيات ، قال القائل :

« أتبيح له - وكان أخا حيل - شجاع - في الحماطة - مستكن . »

(٤) الحفض : الجمل الضعيف .

(٥) المد : أراد به هنا معين الماء الذي له مادة لا تنقطع ، يقال ماء عد أى كثير دائم لا ينقطع ،

البرض : القليل . قال ابن دريد :

« أرمق العيش على برض فان رمت ارتشافا رمت صعب المنسى »

يقال ماء برض (بالسكون) أى قليل وهو خلاف الغمر ، والمستشف : الذى يأتى على آخر ما في الأثناء عند العزب .

إِذَا الشَّمْسُ قَابَلَتْهَا - أَرْمَدًا - فَحَظُّ جُفُونِكَ فِي أَنْ تُنْقَضَ <sup>(١)</sup>

\*\*\*

أَرَى كُلَّ مُجَرٍّ « أَبَا عَامِرٍ »  
أَعِيدُكَ مِنْ أَنْ تَرَى مِنْزَعِي <sup>(٢)</sup>  
فَإِنِّي أَلِيْنُ لِمَنْ لَانَ لِي  
وَكَمْ حَرَّكَ الْعُجْبُ مِنْ حَائِنٍ  
يُسْرُهُ إِذَا فِي خَلَاءٍ رَكُضٍ  
إِذَا وَتَرَى بِالْمَنَآيَا أَنْقَبَضُ  
وَأَتْرُكُ مَنْ رَامَ قَسْرِي حَرَضُ <sup>(٣)</sup>  
فَقَادَرْتَهُ ، مَا بِهِ مِنْ حَبَضُ <sup>(٤)</sup>

\*\*\*

« أَبَا عَامِرٍ » أَيْنَ ذَاكَ الْوَفَاءُ  
وَأَيْنَ الَّذِي كُنْتَ تَعْتَدُ مِنْ  
تَشُوبُ وَأَنْحَضُ <sup>(٥)</sup> مُسْتَبْقِيَا  
إِذَا الدَّهْرُ وَسْنَانُ ، وَالْعَيْشُ غَضُ ؟  
مُصَادَقَتِي الْوَاجِبَ الْمُفْتَرَضُ ؟  
وَهَيْهَاتَ مَنْ شَابَ يَمُنُّ مَحْضُ !

\*\*\*

أَبْنِ لِي ، أَلَمْ أَصْطَلِعْ نَاهِيضًا <sup>(٦)</sup>  
أَلَمْ تَنْشَ مِنْ أَدْبِي نَفْحَةً  
بِأَعْبَاهُ بَرِّكَ ، فَيَمَنْ نَهَضُ ؟  
حَسِبْتَ بِهَا الْمِسْكَ طِيْبًا يُفَضُّ ؟

(١) قال المتنبي :

« قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم . »

(٢) المنزع : السهم الذي يرمى به أبعد ما يقدر عليه لتقدر به النلوة قال الأعمش :

فهو كالمنزع المريش من الشو حط عاك به يمين الغالي

(٣) حرَض : ساقط لا يقوى على النهوض .

(٤) الحبض : التحرك والصوت ، والقوة وبقية الحياة ، يقول : كم دفع النور من قرب حينه إلى ..

وَأَيُّ فِكْرَتِهِ مِثْلًا لِأَحْرَاكَ بِهِ .

(٥) أى تخرج الصافي بالكدر وأصفبك الهوى خالصا من كل شائبة .

(٦) وفي رواية : « مَادِيَا »

أَلَمْ تَكْ مِنْ شِيعَتِي غَادِيَا إِلَى تُرْعِ صَاخَكُنْهَا قُرْضٌ<sup>(١)</sup> ؟  
وَلَوْلَا اخْتِصَاصُكَ لَمْ أَلْتَفِتْ لِحَالِكَ مِنْ صِحَّةٍ أَوْ مَرَضٍ  
وَلَا عَادَتِي - مِنْ وَفَاءٍ - سُرُورُ وَلَا نَالَتِي - لِحَفَاءٍ - مَضَضُ  
يَعِزُّ اُعْتِصَارُ الْفَتَى وَارِدَا إِذَا الْبَارِدُ الْعَذْبُ أَهْدَى الْجَرَضِ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

تَمَدَّتْ لِشِعْرِي وَلَمْ تَتَّعِبْ<sup>(٣)</sup> تُعَارِضُ جَوْهَرَهُ بِالْعَرَضِ  
أَصَاقَتْ أَسَايِبُ هَذَا الْقَرِيضِ ؟ أَمْ قَدْ عَفَا رَشْمُهُ فَأَنْقَرَضُ ؟

\* \* \*

لَعَمْرِي لَفَوْقَتْ سَهْمَ النُّضَالِ وَأَرْسَلْتُهُ، لَوْ أَصَيْتَ الْغَرَضِ<sup>(٤)</sup>  
وَشَمَّرْتَ لِلْخَوْضِ فِي جُلَّةٍ - هِيَ الْبَحْرُ - سَاكِحَهَا لَمْ يُخَضِّ  
وَعَرَّكَ مِنْ عَهْدٍ « وَلَادَةٌ »<sup>(٥)</sup> سَرَابُ تَرَاوَى وَبَرَقَ وَمَضَّ  
تَظُنُّ الْوَفَاءَ بِهَا وَالظَّنُّ نُ فِيهَا تَقُولُ عَلَى مَنْ قَرَضَ :  
« هِيَ الْمَاءُ يَأْبَى عَلَى قَابِضٍ »<sup>(٦)</sup> وَيَمْنَعُ زُبْدَتَهُ مَنْ مَخَضَّ

(١) الغرض - جمع فرضة ، والفرضة من النهر ثلثة يستقى منها ومن البحر محط السفن .  
(٢) وفي الأصل : « ولـكن يعز اغتصار الفتى واردا » ، والجرض معناه المصص بالريق ، يقال  
حرض بريقه : ابتلعه بالجهد . والاعتصار : أن يفص الانسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يعربه قليلا  
قليلا ، قال عدى بن زيد :

« لو بذر الماء حلقى شرق كنت - كالغصاة - بالماء اعتصاري . »

(٣) ولم نال جهدا . (٤) الغرض : الهدف .

(٥) وفي الأصل : « وعرك من عهد فعالة » ولكنه في بقية الروايات : « ولادة »

(٦) وفي رواية : « هي الماء يعز على قابض » .

وَبُنْتُهَا بَعْدِي أَسْتَحْمِدَتْ بِسِرِّي إِلَيْكَ لِمَعْنَى غَمَضُ  
\* \* \*

« أبا قَامِرٍ » عَثَرَةٌ فَاسْتَقِلَّ لِتُبْرِمَ مِنْ وَدْنَا مَا أَنْتَقَضَ  
وَلَا تَعْتَصِمُ ضَلَّةً بِالْحِجَابِ (١)  
وَالَا أَنْتَحَتِكَ جُيُوشُ الْعِتَابِ مُنَاجِرَةٌ فِي قَضِيضٍ وَقَضُ  
\* \* \*

وَأُنْذِرُ خَلِيلَكَ مِنْ مَاهِرٍ بِطِبِّ الْجُنُونِ إِذَا مَا عَرَضَ  
كَفِيلٌ يَبِطُّ خِرَاجَ قَسَا (٢)  
يُبَادِرُ بِالْكَيِّ قَبْلَ الضَّمَادِ جَرِيٌّ عَلَى شَقِّ عِرْقٍ نَبَضُ  
وَأَشْعِرُهُ أَنِّي أَنْتَخَبْتُ الْبَدِيلَ وَيُسْعِطُ بِالسَّمِّ لَا بِالْحَضَضِ  
فَلَا مَشْرَبِي - لِقِلَافِهِ - أَمْرٌ وَأَعْلِمُهُ أَنِّي أَسْتَجَدْتُ الْعَوْضُ  
وَإِنْ يَدَ الْبَيْنِ مَشْكُورَةٌ وَلَا مَضْجَعِي - لِنَوَاهِ - أَقْضُ  
وَحَسْبِي أَنِّي أَطَبْتُ الْجَنَى لِعَارِ أَمَاطٍ وَوَضَمٍ رَحَضُ (٣)  
وَيَهْنِيكَ أَنْكَ يَا سَيِّدِي لِإِبَانِهِ ، وَأَبْجَحْتُ النَّفَضُ (٤)  
غَدَوْتُ مُقَارِنَ ذَاكَ الرَّبَضُ (٥)

(١) الحجاج : الحاجة والجدل .

(٢) وفي الأصل : « خراج حري . »

(٣) رحنى : غسل .

(٤) النفض : ماسقط من الورق والتمر وحب العنب - حين يوجد بعضه في بعض .

(٥) الرضى : الأمعاء أو ما في البطن سوى القلب ، وماوى النعم ، وقونك الذى يكفيك من اللين .

## مدح ابن جهور وشكر باديس<sup>(١)</sup>

« وقال من قصيدة طويلة يمدح بها الوزير

الأجل محمد بن جهور . »

سَلِ الْمَعَشَرَ الْأَعْدَاءَ - إِنْ رُمِنتَ صَرَفَهُمْ - عَنِ الْقَصْدِ إِنْ أَعْيَاكَ مِنْهُ مَرَامُ  
أَتَوَكَّ كَأَسَادِ الشَّرِّى قَرَدَدَتِهِمْ كَمَا أَجْفَلْتَ وَسَطَ الْفَلَاةِ نَعَامُ  
مَضَوْا يَسْأَلُونَ النَّاسَ عَمَّا وَرَاءَهُمْ فَيُخْبِرُهُمْ - بِالْمُبْكَيَاتِ - عِصَامُ<sup>(٢)</sup>

(١) سقى الكلام عن « باديس » وعن « صنهاجة » فى ص ( ٢٢٠ و ٢٢١ ) من هذا الديوان ، فليرجع إليها من شاء .

(٢) يقول المثل : « ما وراءك يا عصام ؟ » وجاء فى مجمع الأمثال عن المفضل الضبي أن أول من قال ذلك الحرث بن عمرو ملك كندة ، وذلك أنه لما بلده جبال ابنة عوف بن سلم الشيباني وكلها وقوة عقلها ، دعا امرأة من كندة يقال لها « عصام » ذات عقل ولسان ، وأدب وبيان ، وقال لها : ادعني حتى تعلمي لى علم ابنته عوف ، فمدت حتى انتهت إلى أمها ، وهى « أمامة » بنت الحرث ، فأعلمتها ما قدمت له ، فأرسلت « أمامة » إلى ابنها وقالت : أى بنية ! هذه خالك أنت لتنظر إليك فلا تسترى عنها شيئا إن أرادت النظر ، من وجهه أو خلق ، وناطقها إن استندت بك « مدخلت إليها » فظارت إلى مالم تر قط مثله ، فخرجت من عندها وهى تقول : « ترك الخداع ، من كشف الخداع . » فأرسلتها مثلاً ، ثم انطلقت إلى الحرث فلما رأها مارة ، قال لها : « ما وراءك يا عصام . » قالت : « صرح الخوض عن الربد . » رأيت حبة كالمرآة المصقولة ، يزينها شجر حالك كأذناب الحيل ، إن أرسلته خلته السلاسل ، وإن مشطته قلت هنا قيد جلها الوائل ، وحاجين كأنما خطا بقلم ، أو سودا بحم ، تقوسا على مثل عين ظبية هبيرة ، بينهما أنف كحد السيف الصنيع ، حفت به وجنتان ، كالأرجوان ، فى يياض كاللجان ، شق فيه فم كالحاتم لزيد المبسم ، فيه ثنايا غر ذات أشر ، تقلب فيه لسان ، ذو فصاحة وبيان ، بعقل وافر ، وحواب حاضر ، تلتقى فيه شفتان حراوان ، فى رقبة يضاء كالفضة ، ركبت فى صدر كصدر تمثال دمية ، وعصدان مديحان ، يتصل بهما دراعان ، ليس فيهما عظم يمس ، ولا مرق يجس ، ركبت فيهما كفان دقيق قصبهما ، ابن عصبهما ، تعقد إن شئت منوما الأنامل ، تنأ فى ذلك الصدر ثديان كالزمانتين يخرفان طليها ثيابها ، تحت ذلك بطن طوى طوى القباطى المدبجة ، كسر عكنا كالقراطيس المدرجة ، تحيط بذلك العكن سره كالمدهن الجلو ، خلب ذلك ظهر فيه كالجدول ، ينتهى إلى خصر لولا رحمة الله لا يتر ، لها كفل يعمدا إذا نهضت ، وينمها إذا قعدت ، كأنه دعس الرمل ، ليدس سقوط الدل ، يحمله ثغدان افراوان ، تحتهما ساقان خذلجان ،

وَمَا ضَاقَ عَنْهُمْ جَانِبُ الْعُذْرِ إِنَّهُمْ كَمِثْلِ الْقَطَا لَوْ مِثَرَ كَوْنٍ لَنَامُوا<sup>(١)</sup>

يحمل ذلك قدمان ، كحذو اللسان ، فبإذن الله مع صغرهما ، كيف تطيقان حمل ما فوقهما ؟ . فإرسل الملك إلى أبيها فخطبها فزوجها إياه وبث بصدانها فجهرها إليه ، فلما أرادوا أن يحملوها إلى زوجها قالت لها أمها : أى بنية ! إن الوصية لو تركت لفضل أدب لترك ذلك منك ، ولكنها تذكر للغافل ، ومعمونة للعامل ، ولو أن امرأة استعنت من الزوج لى أبيها ، وشدة حاجتهما إليها ، لكنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال ، أى بنية ! إنك إن طارقت الجو الذى منه خرجت ، وخافت العش الذى فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفه ، وقرين لم تألفه ، فأصبح بملكك عليك رقيباً ومليكاً ، فكونى له أمة يكن لك عبداً وشيكاً ، إلى آخر ما جاء فى هذا الخبر ، قال فى مجمع الأمثال بعد سياقة هذا الخبر : وروى أبو عبيد ، ما وراءك على التذكير ، وقال : يقال إن المتكلم به النامة الذيبانى قاله لعصام بن شهر حاجب النعمان وكان النعمان مريضاً ، وقد أرجف بموته ، فسأله النامة عن حال النعمان ، فقال : « ما وراءك يا عصام . » ومعناه ما خلفت من أمر العليل ، أو ما أمامك من حاله ، ووراء من الأضداد . (١) يشير إلى مثل المشهور : « لو ترك القطا ليلاً لنام » بضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته .

وقد تمثل به الحسين بن على ( رضى الله عنه ) فى الليلة الأخيرة التى تلاها مصرعه ، قال على ابنه :  
إني لحالس فى تلك العشيبة — التى قتل أبى فى صبيحتها — وعمتى « زينب » عندى تمرضنى ، إذ اعتزل أبى بأصحابه — فى خباء له — وعنده « حوى » مولى « أبى ذر » — وهو يمالج سيفه ويصلحه — وأبى يقول :

« يادهر : أف لك من خليل  
كم لك — بالاشراق والأصيل —  
من صاحب ، أو طالب قتيل  
والدهر لا يقنع بالسديل  
وانما الأسر إلى الجليل  
وكل حى سالك السبيل . »

قال على بن الحسين :

فأأادها أبى مرتين أو ثلاثاً — حتى فهمتها — فعرفت ما أراد ، فخنقننى عبرتى ، فرددت دمعى ولزمت السكوت ، وحلفت أن البلاء قد نزل ، فأما عمتى فأنها سمعت ما سمعت — وهى امرأة ، وفى النساء الرقة والجزع — فلم تملك نفسها أن وثبت تحجر ثوبها — وإنها لحاسرة — حتى انتهت إليه ، فماتت :

« وانكلاه ! ليت اليوم أعدمى الحياة ! اليوم ماتت « فاطمة » أمى و « على » أبى و « حسن » أخى . يا خيلة الماضى ، وثمان الباقي . » فنظر الحسين ، وقال :

« يا أخيه ! لا يذهبن حلمك الشيطان ! »

قالت : « بأبى أنت وأبى ، يا أبا عبد الله استقتلت ، نفسى فذاك ! » فردت فصته ، وترقرقت

حينئذ ، وقال :

« لو ترك القطا ليلاً لنام ! »



فِدَاءُ « لِبَادِيسَ » النُّفُوسُ ، وَجَادُهُ      مِنْ الشُّكْرِ - فِي أَفْقِ الْوَفَاءِ - غَمَامُ  
فَمَا لَحِقَتْ تِلْكَ الْعُهُودَ مَلَامَةٌ      وَلَا ذُمَّ - مِنْ ذَاكَ الْحِفَاطِ - ذِمَامُ <sup>(١)</sup>  
وَمِثْلَكَ وَالِي مِثْلَهُ فَتَصَافِيَا      كَمَا صَافَتْ - الْمَاءَ الْقَرَّاحَ - مُدَامُ  
رَسِيْلَكَ - فِي شَأْوِ الْمَعَالِي - كِلَا كَمَا      بَعِيدُ الْمَدَى صَعْبُ الْهُمُومِ هُمَامُ



لَعَمْرِي لَقَدْ أَحْظَيْتَهُ بِوِفَادَةٍ      لِأَسْنَى كَرِيمٍ أَنْجَبْتَهُ كِرَامُ  
فَمَا أَنْفَكَ إِلَّا عَدَلَ نَفْسِكَ إِنْ يَسِرْ      فَلِلْجِسْمِ لَا لِلنَّفْسِ مِنْكَ مُقَامُ <sup>(٢)</sup>  
حُسَامُكَ مَهْمَا تَخْتَرِطُهُ لِيْلَهَا      فَقَلَّ غَنَاءُ السَّيْفِ حِينَ يُشَامُ

### اسم من أحب

« وقال في معشوقة يؤخذ اسمها بالتوالي من أرض  
وسماء وماء ، فيتكوّن من مجموعها « أسماء . » »

إِنَّ لِلْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَالْمَاءِ      عَلَيْنَا أَذِمَّةً لَا تُذَمُّ  
هِيَ بِمَنْضِ أَسْمٍ مَنْ أَحَبُّ وَلَاءِ      وَبِتَكَرُّرِ بَعْضِهَا يَسْتَتِمُّ

قالت :

« يا ويلتنا ! أفتنصب نفسك اختصاباً ؟ فذلك أفرح قلبي ، وأشدّ على نفسي ! » ولطفت وجهها ،  
وأمرت إلى جيبها وشقته ، وخرت مفشياً عليها .

فقام إليها الحسين فصبّ على وجهها الماء ، وعزّأها بكلام طويل يرجع إليه القارئ - إذا شاء في كتابنا

« مصارع الأعيان » من ص « ٢٥ إلى ٥٦ »

(١) عهد . (٢) وفي الأصل :

« فَمَا ابْنُكَ إِلَّا عَدَلَ نَفْسِكَ ، إِنْ يَسِرْ . فَلِلْجِسْمِ - لَا لِلنَّفْسِ مِنْكَ - مُقَامُ . »

## وقال

« كان أبو العطف بن حي إذ ورد إشبيلية  
رسولا قد سأله أن يريه من شعره ، فطاله  
حتى كتب إليه شعرا يستقطه فيه ، فجاء به  
عليه في عروضه وفافيته . »

أَفَذَنِي مِنْ نَفَائِسِ الدَّرَرِ      مَا أُبْرَزْتُهُ غَرَائِرُ الْفِكْرِ <sup>(١)</sup>  
مِنْ لَفْظَةٍ قَارَنْتَ تَظْيِيرَتَهَا      قَرَانَ سَقَمِ الْجُفُونِ لِلْحَوَرِ <sup>(٢)</sup>  
أَبْدَعَهَا خَاطِرٌ ، بَدَائِثُهُ      - فِي النَّظْمِ - حَازَتْ جَلَالََةَ الْخَطَرِ  
الْعِطْرُ مِنْهَا سَرَى لَهُ نَفْسٌ ،      مِنْ نَفْسِ الرِّوْضِ رَقٌّ فِي السَّحَرِ <sup>(٣)</sup>



يَا رَاقِمَ الْوَشْيِ - زَانَهُ ذَهَبٌ -      رَقْرَقَ إِذْ رَفَّ مِنْهُ فِي الطَّرَرِ <sup>(٤)</sup>

(١) يقول : أذنتي من نفائس تلك الشبهة بالدر اشتقت عنه الأسداف ما أبرزته غرائر فكرك من مكنون روائع الحكم ، وبدائع الحكم .

(٢) سقم الجفون : فتورها ، والحور : في العين شدة سواد المقلة في شدة بياضها في شدة بياض لون الجسد ، وقيل الحور أن تسود العين كلها كما في عين الطباء والبقر ، وهذا ليس بموجود في آدميين ، يقول : أكتبتني من نفائس دررك كل لفظة وافقت قربنتها ، وقارنت تظييرتها ، قران سقم الجفون ، الحور العيون .

(٣) يقول : العطر من هذه الحكمة البديعة التي أبدعها خادرك سرى له نفس يحكي في الأريج والرفة نفس الروض العطر ، سرى به النسيم وقت السحر ، وفي الأصل : « أخطر مهما سرى له نفس . » ، وما أثبتناه هنا هو ما يرشد إليه السياق .

(٤) الوشي : النقش ، ورقرق : تحرك ولمح وصار له بصيص وتلاؤ ، ورف يقال : رف اللون والذهب والبرق يرف ، ( بالكسر ) رفيقا برق وتلاؤا ، ورمت الأسنان كذلك ، وفي الحديث أن « الناقة » الحمدى أشد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« ولا خير في حلم إذا لم تكن له بواذر تحمي صفوه أن يكدرها »

ولاخير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا يفضض الله فاك . « فبقيت أسنانه ترف حتى مات ، يقول : يا كاتبا يرقم في الكتاب ما يحكي البدر الموشى المذهب الطرر والمواشي ، والذي للونه رقرق وبصيص ، وفي الأصل « رقرق » وقد وضعنا بدلها « رفرق » ليستقيم المعنى والوزن .



وَنَاطِمَ الْعِقْدِ - نَظَمَ مُقْتَدِرٍ - يَفْصِلُ بَيْنَ الْعُيُونِ بِالْعُرَرِ (١)  
لِي بِالنِّصَالِ الَّذِي نَشِطَتْ لَهُ عَهْدٌ قَدِيمٌ مُعْجَمُ الْأَثَرِ (٢)  
هَلْ أُتْبِلَ السَّهْمُ فِي الْجَفِيرِ وَقَدْ تَعَطَّلَتْ فَوْقَهُ مِنَ الْوَتْرِ ؟ (٣)

\*\*\*

مَا الشَّعْرُ إِلَّا لِمَنْ قَرِيحَتُهُ غَرِيضَةُ النُّورِ غَضَّةُ الشَّعْرِ (٤)  
تَبَسُّمٌ عَنْ كُلِّ زَاهِرٍ أَرْجَ مِثْلَ الْكِيَامِ ابْتَسَمَنَ عَنْ زَهَرٍ  
إِنَّ الشَّفِيعَ الْهُمَامَ سَوَّغَهُ اللَّهُ اتِّصَالَ التَّائِيْدِ بِالظَّفَرِ  
الْفَاضِلُ الْخُبْرُ فِي الْمُلُوكِ إِذَا أَقْصَرَ خُبْرُهُ عَنْ غَايَةِ الْخَبْرِ (٥)  
نَجَلُ الَّذِي نُصَحُّهُ وَطَاعَتُهُ كَالْحَبِجِّ تَتْلُوهُ بَرَّةُ الْعُمَرِ (٦)

(١) العيون : الحيار المنتعب من حبات العقد ، والعرر البيض ، يقول : وبأ ناطم الشعر نظم قدير يفصل بين أجزائه ، ويؤلف بين واقع كله ، كما يؤلف ناطم العقد بين خرزه وحبائه ، ويفصل بين الحيار المنتخب منها برر الآلى .

(٢) النصال : المرامء بالسهم وأراد به هنا المساجلة والمسايق في مجل القول ، ومعجم الأثر : مهمم مشكل قد انجست معاملته وآثاره ، يقول : بعثت إلى بهذه الكلام الثمينة ، والدظم الرائع تريد بذلك أن تجدد عهد النصال الذى نشطت له أنت الآن بعد أن طال فى عهده ، وأهم على أمره ، واستعجم أثره .

(٣) أنصل . مضارع أنصل السهم جعل له نصلا ، والجفير : جعبة السهام ، والفرق : موضع الوتر من السهم ، يقول : هل أجعل للسهم الذى فى الجفير نصلا ، وقد تعطلت فوقه أى مشى رأسه فلم تمتد صالحة لأن يوضع الوتر فى موضعه منها ، يريد أن آلة النصال بطلت عنده وتعطلت أسبابها لطول العهد .

(٤) غريضة النور : الفريض ، والنض : كلامهما اللين الطرى الناضر من الزهر والنيات وغيرهما .

(٥) الخبر : (بضم وكسر أوله وسكون ثانيه) العلم بالشئ ، عن عيان وخبرة ، والخبر : البأ الذى يأتيك عن طريق السماع ، يقول : هو الملك الذى يفصل ويزيد الخبر والعلم بصفاته وأحواله عن الخبر الذى يملكه عنه فى حين أن غيره من الملوك يقتصر الخبر والعلم بأحوالهم عن الخبر الذى يأتيك عنهم .

(٦) برة العمر : أى العمر المبرورة المقبولة جمع عمرة ، وهى فى الأصل الريارة ، وتنحقق شرعا بالطواف بالبيت والسعى بن السفا والمروة ، والفرق بينها وبين الحج أن العمرة تطوع وأنه يجوز للإنسان أن يعتد فى السنة كلها بخلاف الحج فإنه لا يجوز الإحرام به وأداء مناسكه إلا فى أشهر الحج المعروفة وهى شوال ، وذو القعدة ، وعشر ذى الحجة ، يعنى أن نفسه وطاعته من أعمال البر التى تقابل من الله بالثواب ، وهى لكونها من الطاعة والبر بمثابة الحج الذى تتلوه العمر المبرورة .

شَاهِدُ عَهْدِي لَكَ الصَّحِيحُ بِإِخْلَاصٍ نَأَى صَفْوُهُ عَنِ الْكَدَرِ

\* \* \*

مَشَيْتُ فِي عَذْلِي الْبَرَّازَ لِمَنْ لَمْ يَرْضَ فِي الْعُذْرِ مِشْيَةَ الْخَمْرِ<sup>(١)</sup>  
وَقُلْتُ : مَطْلُ الْغَنِيِّ وَرَدُّ مِنَ الظُّلْمِ ، مُبْلَقٌ مَلَاوِمَ الصَّدْرِ<sup>(٢)</sup>  
وَلِي مَمَازِيرُ لَوْ تَطَلَّعُ فِي لَيْلِ سِرَارٍ أَغْنَتْ عَنْ الْقَمَرِ  
مِنْهَا اتِّقَائِي لِأَنْ أَكُونَ أَنَا الْجَالِبَ مَا قُلْتُهُ إِلَى هَجَرِ<sup>(٣)</sup>  
لَكِنْ سَيِّئَاتِكَ مَا يُجَوِّزُهُ سَرُّوكَ دَابَّ الْمَسَامِيحِ الْيَسْرِ  
فَأَكْتَفِ مِنْهُ بِنَظَرَةٍ عَنِّي<sup>(٤)</sup> لَأَحْظُ فِيهِ لِكِرَّةِ النَّظَرِ

(١) البراز : من الأرض الفضاء الواسع الذي ليس به حر يستريح من شجر أو غيره ، والحر : ما يستريح الناس ويوارى الصبيد من شجر أو جرف أو جبل من حال الرمل أو غير ذلك ، يقول : هناك ولك لوما صريحاً لا مواربة فيه ، فكنت فيه كن بمعنى البراز لا يواريه حر ، ولا يستريح سائر من يرتفع أو شجر ، وهو هذا أعلنه لمن لم يرض قبول عذر وراه عجز عن مجاراته ، وأخفى في التماسه ضمني عن مباراته وفي المثل : « مشى إليه البراز » و « مشى إليه الملا والبراح » أي مشى إليه ظاهراً غير مستتر ، وجاء في صد هذا المثل مثل آخر وهو : « مشى إليه الحر ، ودب له الضراء . »

(٢) المطل : المديقال مطل الجبل وغيره يحمله مدلاً ، وفي الحديث : « مطل الغني ظلم . » والملاوِم : جمع الملامة ، والمصدر : الانصراف والرجوع عن الشيء .

(٣) في المثل : « كستبضع الثمر إلى حجر . » و « ناقل الثمر إلى حجر » وهو مثل قديم متداول : بضرب في الخطأ لأن ناقل الشيء إلى معدنه مخطئ ، ويقال أيضاً كستبضع الثمر إلى خير . قال اللابغة الجعدي :  
« وإن امرأ أهدى إليك قصيدة كستبضع تمراً إلى أرض خبيرا . »

وقد ورد هذا المثل في كتاب لسيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه بعث به جواباً إلى معاوية رضي الله عنه وهو من محاسن كتبه ، وذلك حيث يقول عليه السلام في صدر هذا الكتاب : —

« أما بعد » فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفا الله محمداً صلى الله عليه وآله لدينه ، وتأييده إياه بمن أيدته من أصحابه ، فاقدر خبا لنا الدهر منك مجباً إذ طفقت تخبرنا بلاء الله عندنا وأعمته علينا في نبينا ، فسكنت في ذلك : « كناقل الثمر إلى حجر ، أو داعي مسدده إلى النضال . » إلى آخر ما جاء في هذا الكتاب المتبع ، فارجع إليه في نهج البلاغة إن شئت .

(٤) أي تمترض لك من غير تسمل ولا قصد ، يقول : سيأتيك نظمي هذا الذي يجيزه سروك وإغضاؤك عما فيه أعضاء المسامح السهل ، فاكثف منه بنظرة عجلي ، فإنه لاحظ فيه لماودة النظر ككرة بعد كرة .

## بين ابن زيدون والمعتمد

« وكتب إليه المعتمد على الله المؤيد  
بنصر الله وهو جالس في فصيل من القصر  
تحت غرفة لزومه :

أيها المنحط عني مجلسا  
وله في القلب أعلى مجلس  
بفؤادي لك حب يقتضى  
أن ترى تحمل فوق الأرواس  
بجاوبه ابن زيدون . »

أَسْقِطُ الطَّلَّ فَوْقَ النَّزْجِسِ	أَمْ نَسِيمُ الرِّوْضِ تَحْتَ الْحِنْدِسِ
أَمْ نِظَامٌ لِلَّالِ نَسَقِ	جَامِعٍ كُلِّ خَطِيرٍ مُنْفِسِ <sup>(١)</sup>
أَمْ قَرِيضٌ جَاءَ نِي عَن مَلِكِ	مَالِكٍ بِالْبِرِّ رِقَّ الْأَنْفُسِ
دَلَّهْتَ فِكْرِي مِنْ إِبْدَاعِهِ	حَايِرَةٌ فِي مَنْطِقِي لِي مُخْرِسِ
بِتُّ مِنْهُ يَنْ سَهْلٍ مُطْمَعٍ	خَادِجٍ يُتْلَى بِحُزْنٍ مُؤَيَّسِ

\* \*

يَا نَدَى يُعْنَى « أَبِي الْقَاسِمِ » غِمِّ	يَا سَنَا شَمْسِ الْمَحْيَا أَشْمِسِ
يَا بَهِيَجَ الْخُلُقِ الْعَذْبِ أَبْتَسِمِ	يَا مُهَيِّجَ الْأَنْفِ الصَّعْبِ أَعْبِسِ
يَا جَمَالَ الْمَوْكِبِ الْغَادِي - إِذَا	سَارَ فِيهِ - يَا بَهَاءَ الْمَجْلِسِ
أَنْتَ لَمْ يُقْنِعْكَ أَنْ أَلْبَسْتَنِي	نِعْمَةً تَذْكُرُ عَهْدَ السُّتْدُسِ
فَتَلَطَّفْتَ لِأَنْ حَلَّيْتَنِي	مَوْلِيَا طَوْلِي مُحَلِّي مَلْبَسِ

(١) يقول : أم هي لآلى منسقة في نظام جامع أنفس الأعلاق وأجلها خطرا .

ذَلِكَ تَنْوِيهِ تَنَانِي فَخَرُهُ      سَامِيَ اللَّحْظِ أَشَمَّ الْمَغْطِسِ  
شَرَّفَتْ بِكَرِّ الْمَعَالِي خِطْبَةً      مِنْكَ ، فَانْعَمَ بِسُرُورِ الْمُعْزِسِ  
تُمْنَحُ التَّائِيدَ يُجَالِي لَكَ عَنْ      ظَفَرِ حُلُوٍ وَعِزِّ أَفْعَسِ  
وَأَرْتَشِفَ مَعْسُولَ نَضْرِ أَشْنَبِ      تَجَنَّدِيهِ مِنْ عَجَاجِ الْعَسِ  
وَأَرْتَفِقَ بِالسَّعْدِ فِي دَسْتِ الْمُنَى      تُصْبِحُ الصَّنْعَ دِهَاقِ الْأَكْوَثِ  
فَاعْتَزَّضْ الدَّهْرَ - فِيمَا شِئْتَهُ -      مُرْتَقَى فِي صَدْرِهِ لَمْ يَهْجِسْ

### وقال

« وقد أمره بدخول حمام القصر وبعث إليه بسخور وطيب . »

رِضَاكَ لَنَا - قَبْلَ الطَّهُّورِ - مُطَهَّرُ      وَقُرْبُكَ - مِنْ دُونِ الْبُخُورِ - مُعْطَرُ  
قَلَوِ عَزَّ حَمَامُ لَأَذْفَانَا ذَرَى      يَفِيضُ بِهِ مَاءُ النَّدَى الْمُتَفَجَّرُ  
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ طِيبٌ لَأَغْنَتْ حَفَاوَةٌ      تَمْسُكُ مِنْهَا حَالِنَا وَتُعْنِبُ (١)  
فَلَا فَارَقَ الدُّنْيَا سَنَاءَ مُقَدَّسُ      بِمِشْكٍ فِيهَا أَوْ ثَنَاءَ مُجَمَّرُ (٢)  
وَدُمْتَ مُلَقًى - كُلَّ يَوْمٍ - صَبِيحَةٌ      يُغَادِيكَ فِيهَا - بِالْفُتُوحِ - مَبْشَرُ

### وقال

« مجاوباً له عن شعر خاطبه به . »

أَمْ وَلَايَ بُلَّغْتَ أَقْصَى الْأَمَلِ      وَسَوْغْتَ دَأْبَ نِسَاءِ الْأَجَلِ (٣)

(١) لو لم نجد الطيب لأغتنا عنه حفاوتك التي تعطرنا بالمسك والعنبر .  
(٢) السناء : الرعة ، والثناء : المدح ، والمجرم المبق ، يقال : حمر ثوبه : بخره ، وجر النار : هياها .  
(٣) نساء الأجل : طول العمر .

وَعُمِّرْتَ مَا شِئْتَ فِي دَوْلَةٍ تَقْصُرُ عَنْهَا طِوَالُ الدُّوَلِ  
فَأَنْتَ الَّذِي غُرُّ أَعْمَالِهِ تَحَلَّى بِهَا الدَّهْرُ بَعْدَ الْعَطَلِ  
يُشْرِفُ تَمْلُوكَكَ الْمُسْتَرَقُّ نَظْمٌ مِنَ الْكَلِمِ الْمُتَنَحِّلِ (١)  
وَرَاحُ تَعِيدُ إِلَى مَنْ أَسْنَنَ طَيْبَ زَمَانِ الصَّبَا الْمُقْتَبِلِ (٢)  
فَأَخْجَلَنِي الْبِرُّ مِنْ قَرْطِهِ وَإِنْ الْجَوَابَ لِيُبْدِيَ الْحَجَلَ  
وَقَدْ يَقْبَلُ الدَّهْرَ مَوْلَى الْأَنَا مِ جُهْدِ الْعَبِيدِ إِذَا مَا أَقْلَ  
سَعِدْتَ كَمَا سَعِدَ الْمُشْتَرَى وَنِلْتَ غَلَا لَمْ يَنْلَهَا زُحَلُ (٣)

### جواب

« وقال مجابا له أيضا . »

هَلْ يَشْكُرُنَّ «أَبُو الْوَلِيدِ» (٤) إِذْ نَأَى الْأَمَلُ الْبَعِيدُ  
أَوْ أَنْ تُسَوِّغَ نِعْمَةً لِلدَّهْرِ أَسْهَرَتْ الْحُسُودُ  
إِنْ لَمْ يَدِنْ بِنَصِيحَةٍ تُرْضِيكَ فَهُوَ مِنَ الْيَهُودِ  
لَا زِلْتَ رَافِعَ رَايَةٍ تُضْحِي، السُّعُودُ لَهَا جُنُودُ

### وقال يستهديه خمرأ

يَا بَانِيَا كُلَّ مَجْدٍ وَهَادِمَا كُلِّ وَجْدٍ  
جِسْمُ الشُّرُورِ سَوِيٌّ مِنْ صَوْنِغِ نِعْمَاكَ عِنْدِي  
فَهَبْ لَهُ رُوحَ رَاحٍ يَنْطِقُ بِأَحْفَلِ تَحْمِدِ

(١) المتنحل : المنقح المتخير . (٢) وقد جاء بعد هذا البيت قوله :

« أَنْتَ مَعَ اسْرَاءِ مَا يَقْنَدِي وَأَغْرِبُ بِأَكُورَةِ تَنْقُلُ . »

(٣) المشتري وزحل كوكبان معروفان . قال أبو الملاء :

« زحل أشرف الكواكب دارا من لقاء الردي على ميعاد . »

(٤) يعني نفسه .

## وقال مجاوباً المعتمد

أَفَاضَ سَمَاحُكَ بِحَزَنِ النَّدَى      وَأَقْبَسَ هَذِيكَ نُورَ الْهُدَى  
وَرَدَّ الشَّبَابَ أَعْتِلَاقَكَ بَعْدَ      مُفَارَقَتِي ظِلَّهُ الْأَبْرَدَا <sup>(١)</sup>  
وَمَا زَالَ رَأْيُكَ فِي الْجَمِيلِ      يُفْتَحُ لِي الْأَمَلَ الْمُوصَدَا <sup>(٢)</sup>  
وَحَسْبِيَ مِنْ خَالِدِ الْفَخْرِ أَنْ      رَضِيتَ قَبُولِي مُسْتَعْبِدَا <sup>(٣)</sup>  
وَيَا فَرَطَ مَا بِي <sup>(٤)</sup> إِذَا مَا طَلَعْتَ      فَقُمْتُ أَقْبَلُ تِلْكَ الْيَدَا  
وَرَدَّدْتُ لَحْظِي فِي غُرَّةِ      إِذَا اجْتَلَيْتَ شَفَتِ الْأَزْمَدَا  
وَطَاعَةُ أَمْرِكَ فَرَضٌ أَرَا      هُ مِنْ كُلِّ مُفْتَرَضٍ أَوْ كَدَا  
هِيَ الشَّرْعُ أَصْبَحَ دِينَ الضَّمِيرِ      فَلَوْ قَدْ عَصَاكَ لَقَدْ أَلْهَدَا  
وَحَاشَايَ مِنْ أَنْ أَصِلَ الصَّرَاطَ      فَيَعْدُونِي الْكُفْرُ حَمَا بَدَا <sup>(٥)</sup>  
وَأُخْلِفَ مَوْعِدَ مَنْ لَا أَرَى      لِدَهْرِي إِلَّا بِهِ مَوْعِدَا <sup>(٦)</sup>

- (١) يقول : رد على شبابي بعد أن فارقت ظله الأبرد اعتلاقاً بأسبابك واتصالاً بدولتك .  
(٢) وما زال جميل رأيك فيّ يفتح لي من الآمال كل باب مطلق .  
(٣) وكفاني فخراً خالداً أنك رضيت قبولى ضمن من استعبدتهم بأحسانك ، ومسددت عليهم ظلي نعمتك الوارف .  
(٤) في الأصل : « يا فرط باوى . »  
(٥) يقول : حشاي أن أصل الصراط وأرفض أول فرض على من طاعتك التي هي الخمر ، ومعتقد الصير ، فيبعدني الكفر عما بدا لي من صحة الإيمان .  
(٦) في الأصل : « وأخلف بالوعد » وهو لا يعتمدى بالباء ، فأبدلناه بالوعد ليصح اللفظ ، والسبب في أنه ينتصل هنا من خلف الموعد أن « المعتمد » كان قد عرض له سفر فجأة فكتب إلى « ابن زيدون » :  
« العين بمدك تهذي بكل شيء تراء  
فليجل شخصك عنها ما بالغيب جاء . »  
صاغت « ابن زيدون » عن الجواب أشغال توالى عليه ، ثم استبطأه « المعتمد » فبحث إليه بالقصيدة التالية معاتباً :

وعدت وأخلفتني الموعدا وخالفت بالنتهى المبتدا

أَتَانِي عِتَابُهُ مَتَى أَدْكُرُ      هُمْ فِي نَشَوَاتِ الْكَرَى أَسْهَدَا<sup>(١)</sup>  
وَأِنْ كَانَ أَغْقَبَهُ مَا أَقْتَضَى      شِفَاءَ السَّقَامِ وَتَقَعِ الصَّدَى<sup>(٢)</sup>  
ثَنَاءُ ثَنَى فِي سَنَاءِ الْمَحَلِّ زُهْرًا لَكُوا كِبَالِي حُسْدَا<sup>(٣)</sup>  
قَرِيضٌ مَتَى أَبْغِرَ لِلْقَرَضِ مِنْهُ      أَدَاءُ أَجِدْ شَأْوُهُ أَبْعَدَا  
لَوْ الشَّمْسُ مِنْ نَظْمِهِ حُلِيَّتْ      أَوْ الْبَذْرُ قَامَ لَهُ مُنْشِدَا  
لَضَاعَفَ مِنْ شَرَفِ النَّيِّرَيْنِ حَظًّا بِهِ قَارَنَ الْأَسْعَدَا

وأطمعني ثم أيتسنى      ويعني الود أن أحقدا  
وأضعفت بالمطل جل الرجا      فرث وأعهده محصدا  
وطاد ضياء ارتقاى ظلاما      وأصبح مصباحه أرمدا  
وكان فمالك قبل المقال      فإذا عدا الآن فيما بدا  
وقد كان ظى بها رأيت      به أنه الذي بلّ اليبدا  
وكم قد توكتفها روضة      تقرب لى الأمل الأبعدا  
بنور هلك أرجاءها      ويقطر طبعك فيها ندا  
توكتفها زمنا ناظري      إذا سر يوم تهادى غدا  
على ذاك أمديك من ماجد      تشبث بالطرف فيه الهدى  
لحيناً أزور به روضة      وحيناً أحى به مسجدا  
لك العلم بهما أرد محرم      لأروى به أحد الموردا  
وفيك تجتمعت المآثرا      ت طرا قصرت بها مفردا  
شبهائل تنثر شمل الهدو      م نترك بالرأى شمل العدا  
فتعنى الله بالخط منك      ولا زالتى وناسرمدنا  
ودمت ودمت على حالنا      كما يصحب الفرقد الفرقدا  
فلولاك كانت ربوع السرو      رمتى تجاوب فيها الصدى

- (١) أتانى من قبل المدوح عتاب تسبب لى ذكره الأرق والسهد كلا رنحتى نشوات الكرى وغشيتى أوائل النوم .  
(٢) يقول : أسهدنى وأرتنى اذكار هذا العتاب ، وإن كان أغقبه ما اقتضى شفاء القلوب ، وإطفاء وحر الصدور .  
(٣) ثناء ومدح وفتت به على ، فأثنت زهر النجوم تحمدنى عليه .

فَدَيْتُكَ مَوْتِي : إِذَا مَا عَثَرْتُ      أَقَالَ ، وَمَهْمَا أَرِغْ أَرْشَدَا  
رَكَنْتُ<sup>(١)</sup> إِلَى كَرَمِ الصَّفْعِ مِنْهُ      فَأَمَنَنِي ذَاكَ أَنْ يَحْقِدَا  
وَأَنْتَ سُوقَ أَحْتِمَالِ أَبِي      لِمُسْتَبْضِعِ الْعُذْرَانِ يَكْسِدَا<sup>(٢)</sup>  
شَفِيعِي إِلَيْهِ هَوَى مُخْلِصِي      كَمَا أَخْلَصَ السَّابِكُ الْعَسْجَدَا  
وَمِنْ وَصَلِي هِجْرَةٍ لَا أَعُدُّ      لِحَالِي سِوَى يَوْمِهَا مَوْلِدَا<sup>(٣)</sup>  
وَنُعْمَى تَقَيَّأَتْهَا أَيْكَةً      فَشُكْرِى حَمَامٍ بِهَا غَرَّدَا  
تَبَارَكَ مَنْ جَمَعَ الْخَيْرَ فِيكَ      وَأَشْعَرَكَ الْخُلُقَ الْأَمْجَدَا  
مَضَاهُ الْجَنَانِ وَظَرَفُ اللِّسَانِ      وَجُودُ الْبَنَاتِ بِسَكَبِ الْجَدَا  
رَأَى شَيْمَتَيْكَ لَمَّا تَسْتَحِقُّ      وَقَفَى فَأَظْفَرَ إِذْ أَيْدَا  
لِيَهْنِكَ أَنْكَ أَزْكَى الْمُلُوكِ      بِنَى وَأَشْرَفُهُمْ سُودَدَا  
سِوَى نَاجِلٍ لَكَ سَابِى الْهُمُومِ      مَرَدَانِي الْفَوَاضِلِ نَائِي الْمَدَى<sup>(٤)</sup>  
هُمَامٌ أَعْرُ رَوَيْتَ الْفَخَارَ      حَدِيثًا إِلَى سَرُوهِ مُسْنَدَا<sup>(٥)</sup>

- (١) فى الأصل « وكنت » وقد وضعنا بدلها « ركنت » التى هى كمورتها فى الخط ليستقيم المعنى .  
(٢) المستبضع : اسم فاعل من استبضع الشئ ، جعله بساعة ، والبساعة طائفة من المال ترسل إلى الأسواق للتجارة ، يقول : إن احتماله وإغصامه عن الهوات بمثابة سوق تأبى لمن استبضع إليها الأعذار أن تكسد بساعته ، وهو مأخوذ من المثل : « كستبضع التمر إلى حجر . »  
(٣) الوصل : جمع وصلة بمعنى الانفصال والاسباب والدرائع ، يقول : ومن أسباب انفصالي به وذرائعى إليه هجرة فارقت فيها موطنى ، وانفصلت على أثرها بدولته ، واعتلقت بحجبه وذمته ، تلك الهجرة التى لأعد أن حال استغرت وولدت ، إلا يوم أن حصلت وتمت .  
(٤) الناجل : الكريم العال ، يقول : ليس فى الملوك أزكى منك سوى والدك الذى نجبك وأنجبك .  
(٥) يقول : إن أباك همام أعز مشرق الوجه ، رويت عنه الفخار حديثاً مسنداً إلى سروره ومجده ونبله .



سَلَكْتَ إِلَى الْمَجْدِ مِنْهَاجَهُ      فَقَدْ طَافَ الْأَطْرَفُ الْأَتْلَدَا (١)  
هُوَ اللَّيْتُ قَلَدَ مِنْكَ النَّجَادَ      لِيَوْمِ الْوَغَى شِبْلَهُ الْأَنْجَدَا (٢)  
يُعِدُّكَ صَارِمَ عَزْمٍ وَرَأَى      فَتُرْضِيهِ جُرْدَ أَوْ أُغْمِدَا (٣)  
وَمَا اسْتَبَهَمَ الْقُفْلُ فِي الْحَادِثَا      تِ إِلَّا رَاكَ لَهُ مِقْلَدَا (٤)  
فَأَمْطَاكَ مِنْكَبِ طَرَفِ النُّجُومِ      وَأَوْطَا إِنْخَصَاكَ الْفَرْقَدَا  
فَلَا زِلْمًا يَرْفَعُ الْأَوْلِيَا      مَلِكُكُمْ وَيَحْطُ الْعِدَا  
وَنَفْسِي لِنَفْسَيْنِ كَمَا الْبَرَّيْنِ      مِنْ كُلِّ مَا يُتَوَقَّى الْفِدَا  
فَنَ قَالَ : أَنْ لَسْتُمَا أَوْحَدَيْنِ      فِي الصَّالِحَاتِ فَا وَحَدَا (٥)

### وقال

لَعَمْرِي لَنْ قَلْتُ إِلَيْكَ رَسَائِلِي      لَأَنْتَ الَّذِي نَفْسِي عَلَيْهِ تَذُوبُ  
فَلَا تَحْسَبُوا أَنِّي تَبَدَّلْتُ غَيْرَكُمْ      وَلَا أَنَّ قَلْبِي مِنْ هَوَاكِ يَتُوبُ

### وقال

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَصَادِفُ خَلْوَةً      لَدَيْكَ ، فَأَشْكُو بَعْضَ مَا أَنَا وَاجِدُ؟  
رَعَى اللَّهُ يَوْمًا فِيهِ أَشْكُو صَبَابِي      وَأَجْفَانُ عَيْنِي - بِالْذُمُوعِ - شَوَاهِدُ

- (١) الأطراف : الحديث ، والأتلد : القديم .  
(٢) النجاد : حائل السيف ، والأنجد : الشجاع ذو النجدة والباس ، يقول : هو أي والدك الملك ليث قلد شبله الأنجد الشجاع السيف ليوم الوغى والحرب .  
(٣) يعذك صارم عزم وحزم في الحرب والسياسة ، فترضيه في الحايين : جرد السيف ، أو أغمد .  
(٤) استبهم : استمتع ، والقفل : ما يلقى به الباب ، والمقلد : المفتاح ، يقول : لاستستلق الحادثات إلا رآك مفتاحاً لأقفالها المغلقة ، وفي الأصل : « الفعل » فوضعنا مكانها « القفل » ليناسب الاستبهام والمقلد .  
(٥) يقول : أن من ينكر أنكما في البر والصالحات أو حدين قد بلغ في الجحد والانكار مبلغ من ينكر التوحيد ولا يقول بوحدة الله .

## تهنئة

« وقال رجه الله يهيه أيده الله بالقدوم من سفر . »

أَيُّهَا الظَّافِرُ أَبْشِرْ بِالظَّفَرِ      وَاجْتَلِ التَّأْيِيدَ فِي أَبْنَى الصُّورِ  
وَتَقِيًّا ظِلَّ سَعْدٍ تَجْتَنِي      فِيهِ مِنْ غَرَمِ الْمُنَى أُحْلَى الثَّمَرِ  
وَرِدِ الصُّبْحَ فَكَمْ مُسْتَوْحِشٍ      غَرَضٍ<sup>(١)</sup> مِنْكَ إِلَى أُنْسِ الصَّدَرِ  
كَانَ مِنْ قُرْبِكَ فِي عَيْشٍ نَدٍ      عَطِرِ الْأَصَالِ وَصَّاحِ الْبُكْرِ  
كُلَّمَا شَاءَ تَأْتَى أَنْ يَرَى      خُلُقَ الْبَرْجِيسِ<sup>(٢)</sup> فِي خَلْقِ الْقَمَرِ

(١) غرض : يصف من الغرض ( محرك ) وهو شدة النزاع نحو الشيء ، والشوق إليه يقال : غرض إلى لقائه فهو غرض اشتاق ، ومنه قول الشاعر :

فمن بك لم يغرض فاني وما فتى      بمحجر إلى أهل الحمى غرضان  
بحن فبدي ما بها من صباة      وأخى الذي لولا الأسى اقضاني

وفي الأصل : « غرض » .

## (٢) البرجيس

البرجيس : المشتري وهو أحد الداراري الخمسة : المشتري ، وزحل ، والمريخ ، وعطارد ، والزهرة ، وهذه الكواكب الخمسة هي الجنس الكنسي المذكورة في قوله تعالى : « فلا أقسم بالجنس الجوار الكنسي . » قالوا : وإنما وصفت بما ذكر في الآية لأنها من الكواكب السيارة التي تجرى مع الشمس والقمر ، وخنوسها رجوعها مزمرة بعد اختفائها في ضوء الشمس ، ولذلك تسمى الرواجع ، وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس من كنس الظبي والوحش إذا دخل كئناسه ، وفي النهاية لابن الأثير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، « أن النبي — صلى الله عليه وسلم — سئل عن الكواكب الجنس فقال هي البرجيس وزحل وعطارد وبهرام والزهرة ، البرجيس : المشتري ، وبهرام : المريخ . »  
والبرجيس : لفظة فارسية تدل على « المشتري » وهو كوكب معروف تطلق عليه الفرنجة اسم « جوبيتر » « Jupiter » وهو — في أساطير قدماء الرومان واليونان ، اله الآلهة ، المهيمن على كل الكائنات العلوية والسفلية ، قالوا : « وإنما سمي المشتري — من المراء ، وهو الوضع لضياء لونه وصفاته . » قال الشاعر :

« يا ربَّ ليل بت أرعى نجمه      — حتى الصباح — بزفرة وهويل  
والمشتري — في الأفق — يخفق لامعا      كغم الحبيب يشير بالتقبيل . »

فَتَوَى دُونَكَ مَتَوَى قَلِقِ      يَشْتَكِي مِنْ لَيْلِهِ مَطْلَ السَّحَرِ  
 قُلْ لِسَاقِينَا : « يَحْزُ أ كَوْسُهُ »      وَلِشَادِينَا : « يَصِلُ قَطْعَ الْوَتَرِ »  
 حَسْبُنَا سُكْرُ جَنَّتِهِ ذِكْرُ      دُونَهُ السُّكْرُ الَّذِي يَحْنِي السُّكْرُ (١)  
 لَمْ يُغَادِرْ لِي سَقَائِي جَلَدًا      مَعَ أَنِّي لَمْ أَزَلْ ثَبَتَ الْمِرْرَ (٢)  
 أَيُّهَا الْمَاشِي الْبَرَّازَ الْمُنْبَرِي      لَزَمَانِي إِنْ مَشَى تَحْوِي الْخَمَرِ (٣)  
 وَالَّذِي إِنْ سِيمَ مَا فَوْقَ الرِّضَى      وَجِدَ الْأَلْوَى الْبَعِيدَ الْمُسْتَمِرَّ (٤)  
 وَإِذَا أُعْتَبَ فِي مَعْتَبَةٍ      لَأَنَّ مِنْهُ جَانِبُ السَّمْعِ الْبَسَرِ  
 تَنْظِمِي الْمُهْدَى إِلَى أَبْرَجِ مَنْ      نَظَمَ السَّحَرِ بَيَانًا أَوْ نَثَرَ

(١) السكر : النىء غير المظبوخ من ماء التمر المشد ، والشراب المتخذ من التمر نومان : ما يسبل من التمر حين يكون رطبا فاذا اشتد سمي سكرا ، وما يفسح أى يشق من التمر ثم يقع فى الماء ليستخرج الماء حلاوته ثم يترك حتى يشتد وتذهب حلاوته ويسمى فصيحا وكلامها مسكر . وقد ورد ذكر السكر فى قوله تعالى : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتغذون منه سكرا ورزقا حسنا . » ، ومعنى هذا البيت الذى قبله : قل لساقينا : نوح كؤوسك عنا فقد أغناانا السكر الذى تحدته الذكر ، عن السكر الذى يحنيه السكر ، وقل لشادينا : صل قطع الوتر والغناء ، فهما حلا فى السمع من ذكراء الكفاية والدناء .

(٢) ثبت : ثابت ، والمرر : جمع مره ( بالسكر ) وهى القوة والشدة أى لم يغادر أى السقام جلدا وصبرا مع أنى لم أزل ذا مرة قويا ، وورد هذا البيت فى الأصل هكذا :

لم يغادر لى شفا من جلد مع أنى لم أزل ثبت الغرر

وما أثبتناه من الاصلاح هو ما يرشد اليه السياق .

(٣) البراز : المنسج من الأرض الذى ليس به ما يستقره من شجر أو غيره ، والخمر : ما يستقر الماشى أو الصيد من شجر أو جرف أو جبل رمل أو غير ذلك ، يقول : يا من يدافع عني إذا رأى زمانى معنى إلى متكررا يريد ختلى وأخذنى على غره . (٤) الألوى : الشديد الحصومة الجدل السليط ، والمستمر : من استمر استحكم مصدر ميمى يعنى أنه بعيد شأوا الحصومة ، وفى المثل : « لتجدن فلانا ألوى بعيد المستمر . » وقد جاء هذا المثل فى قول الراجز :

« إذا تحازرت وما بى من خزر ثم كسرت الطرف من غير عور

وجدتنى ألوى بعيد المستمر أحمل ما حملت من خير وشر . »

أى وجدتنى خصما سليط اللسان بعيد شأوا الحصومة .

لِي فِيهِ الْمَثَلُ السَّائِرُ عَنْ      جَالِبِ التَّمْرِ إِلَى أَرْضِ هَجَرَ  
غَيْرَ أَنَّ الْعُذْرَ رَسْمٌ وَاضِحٌ      تُنْفَتِ الشُّكُوى إِذَا الشَّوْقُ صَدَرَ<sup>(١)</sup>  
ثُمَّ قَدْ وَفَّقَ عَبْدٌ عَظُمْتَ      نِعْمَةُ الْمَوْلَى عَلَيْهِ فَشَكَرَ  
لَا عَدَا حَظُّكَ إِقْبَالَ تَرَى      قَاضِيًا أَثْنَاءَهُ كُلَّ وَطَرٍ  
وَأُصْطَبِخَ كَأْسَ الرِّضَى مِنْ مَلِكٍ      سِرَّتَ فِي إِرْضَائِهِ أَزْكَى السَّيْرِ  
حِينَ صَمَمْتَ إِلَى أَعْدَائِهِ      فَأَنْتَحَتَهُمْ مِنْكَ صَمَاءُ الْغَيْرِ  
فَاضَ غَمْرٌ لِلنَّدَى مِنْ فَوْقِهِمْ      كَانَ يُرْوَى شُرْبُهُمْ مِنْهُ الْغَمْرُ<sup>(٢)</sup>  
سَبَقَ النَّاسَ فَصَلَّى مِنْكَ مَنْ      إِنْ رَأَى آثَارَهُ الزَّهْرَ أَقْتَفَرَ<sup>(٣)</sup>  
زُنْثَا الْأَيَّامِ إِذْ مُذَكُّكُمْ      سَالَ فِي أَوْجُهِهَا سَيْلَ الْغُرَرِ  
فَابْقِيَا فِي دَوْلَةٍ قَادِرَةٍ      بَعْضُ حُرَّاسِ نَوَاحِيهَا الْقَدَرِ  
مُسْتَدِلِّي مَنْ طَغَى مُسْتَأْصِلِي      شَافَةَ الْبَاغِي مُقِيلِي مَنْ عَثَرَ  
عَلَمِي مَنْ ضَلَّ مُزْنِي مَنْ شَكَا      خَلَّةَ الْإِمْحَالِ بَدْرِي مَنْ نَظَرَ  
تَضَحَّكَ الْأَزْمُنُ عَنْ عَلِيَّا كَمَا      ضَحِكَ الرَّوْضَةُ عَنْ تَغْرِ الزَّهَرِ

(١) صدر : أسباب الصدر ، يقال : صدر فلان فلانا يصدره صدرا ( من باب نصر ) أصاب صدره .

(٢) السمير : تدح صمير يتصافن به القوم في السفر إذا قل الماء ولم يكن معهم منه إلا اليسير ، والتصافن أن يلقوا فيه حصاة ثم يصب فيه من الماء قدر ما يغمر الحصاة ، ثم يعطى الاناء كل رجل منهم بحسب دوره وجاء في شعر أعشى بأهله : -

« يكفيه حزة فلذ إن ألم بها من الشواء ويروى شربه الغمر »

(٣) اقتفر - من اقتصر الأثر - اقتفاه وتبعه ، والمعنى : « سبق أبوك لجملك مصلياً وتالياً بعده أنت يامن

يفتق آثار أبيه الزهر .

## ذكرى ولادة

« كان يكلف بولادة بنت المهدي هذه وبهيم ،  
ويستضيء بسور تخيلها في الليل البهيم ، وكانت من  
الأدب والظرف ، وتبسم المسمع والظرف ، بحيث تختلس  
القلوب والألباب ، وتعيد الشيب إلى أخلاق الشباب ،  
فلما حل بذلك القرب ، وانحل عقد صبره بيد الكرب ،  
كر إلى الزهراء ليتوارى في نواحيها ، ويتسلى برؤية  
مافيه ، فوافاهما والربيع قد خلع عليها برده ، ونثر  
سوسنه وورده ، وأترع جداولها ، وأنطق بلابلها ، فارتاح  
ارتياح جيل بوادي القرى ، وراح بين روض يانع  
وريح طيبة السرى ، فتشوق إلى لقاء ولادة وحن ،  
وخاف تلك النوائب والمحن ، فكتب إليها يصف فرط  
قلقه ، وضيق أمده إليها وطلقه ، ويعاتبها على إغفال  
تعهد ، ويصف حسن محضره بها ومشهده (١) : »

وَإِنِّي ذَكَرْتُكَ « بِالزَّهْرَاءِ » مُشْتَقًا	وَالْأَفْقُ طَلَقٌ ، وَمِنْ أَى الْأَرْضِ قَدْ رَاقَا <sup>(٢)</sup>
وَاللَّيْسِيمِ أَعْيَالٌ - فِي أَصَائِلِهِ -	كَأَنَّهُ رَقٌّ لِي ، فَأَعْتَلَّ إِشْفَاقًا
وَالرَّوْضُ - عَنِ مَائِهِ الْفِضَى - مُبْتَسِمٌ ،	كَمَا شَقَقْتَ - عَنِ اللَّبَاتِ - أَطْوَاقَا <sup>(٣)</sup>
يَوْمٌ ، كَأَيَّامِ لَدَاتِ لَنَا أَنْصَرَمَتْ ،	بِتَنَّا لَهَا - حِينَ نَامَ الدَّهْرُ - سُراقَا
نَلْمُو بِمَا يَسْتَمِيلُ الْعَيْنَ مِنْ زَهَرٍ	- جَالَ النَّدى فِيهِ - حَتَّى مَالَ أَعْنَاقَا

(١) قلائد المعيان . (٢) وفي بعض الروايات : « ووجه الأرض قد راقا » .

(٣) اللبات : جمع لبة ، وهي موضع القلادة من الصدر ، ولأطواق : جمع طوق ، وأراد به ما يطيف بالعنق من الثوب ، ولا شك أن الهيئة الحاصلة من اسيااب الماء الفضى في الروض تشبه الهيئة الحاصلة من انشفاق طوق الثوب عند ترائب النحر والصدر ، وجاء في بعض الروايات : « كما حلت عن اللبات أطواقا . »

كَأَنَّ أَعْيُنَهُ - إِذْ عَايَنْتَ أَرْقِي -  
 وَرَدُّ تَأَلَّقَ - فِي صَاحِي مَنَابِتِهِ -  
 سَرَى يُنَافِحُهُ تَيْلُوفَرُ عَبَقُ  
 كُلُّ يَرِيحُ لَنَا ذِكْرَى تُشَوِّقُنَا  
 لَا مَسْكَنَ اللَّهُ قَلْبًا ، عَنْ ذِكْرِكُمْ  
 لَوْ شَاءَ حَمَلِي نَسِيمُ الصَّبْحِ - حِينَ سَرَى -  
 لَوْ كَانَ وَفَى الْمُنَى - فِي جَمْعِنَا بِكُمْ -  
 بَكَتْ لِمَا بِي ، فَجَالَ الدَّمْعُ رَقْرَاقَا  
 فَأَزْدَادَ مِنْهُ الضُّحَى - فِي الْعَيْنِ - إِشْرَاقَا  
 وَسَنَانُ ، نَبَّهَ مِنْهُ الصَّبْحُ أَحْدَاقَا  
 إِلَيْكَ ، لَمْ يَعُدْ عَنْهَا الصَّدْرُ إِنْ صَاقَا  
 فَلَمْ يَطِرْ - بِجَنَاحِ الشَّوْقِ - خَفَاقَا  
 وَافَاكُمْ بِفَتَى أَضْنَاهُ مَا لَاقَى  
 لَكَانَ مِنْ أَكْرَمِ الْأَيَّامِ أَخْلَاقَا

\*\*\*

يَا عَلِيَّ الْأَخْطَرَ الْأُسْنَى الْحَبِيبَ إِلَى  
 كَانَ التَّجَارِي بِمَحْضِ الْوُدِّ - مُذْزَمِنِ -  
 فَلَا زَ - أَتَمَدَّ مَا كُنَّا لِعَهْدِكُمْ -  
 نَفْسِي ، إِذَا مَا أَقْتَنَى الْأَخْبَابُ أَغْلَاقَا  
 مَيْدَانِ أَنْسٍ ، جَرَيْنَا فِيهِ أَطْلَاقَا  
 سَلَوْنُكُمْ ، وَبَقِينَا نَحْنُ عُشَّاقَا !

### إلى ولادة

يَا نَارِحًا - وَضَمِيرُ الْقَلْبِ مَثْوَاهُ -  
 أَلْهَتَكَ عَنْهُ فُكَاهَاتُ تَلَذُّ بِهَا  
 أَنْسَتَكَ دُنْيَاكَ عَبْدًا أَنْتَ دُنْيَاهُ  
 فَلَيْسَ يَجْرِي - بِبَالٍ مِنْكَ - ذِكْرَاهُ  
 عَلَ الْإِلْيَالِي تُبْقِيَنِي إِلَى أَمَلٍ ،  
 الدَّهْرُ يَعْلَمُ وَالْأَيَّامُ مَعْنَاهُ

## إلى أبي حفص بن برد

قُلْ لِأَبِي حَفْصٍ - وَلَمْ تَكْذِبْ - يَا قَمَرَ الدِّيَّوَانِ وَالْمَوْكِبِ :  
مَا لِأَبِي صَفْوَانَ - مَا لَوْفِنَا - أَبْرَقَ فِي الْأُلْفَةِ عَنْ خُلْبٍ ؟  
وَلَمْ يَعُذْ إِلَّا كَمَا يَتَّقِي مُسْتَرِقُ السَّمْعِ مِنَ الْكُذُوبِ ؟

\*\*\*

عَفْهُ بِاللَّهِ عَلَى فِعْلِهِ ، وَأَشْتَمَ - وَإِنْ لَمْ يَسْتَقِمْ - فَأَضْرِبْ  
وَعَاطِيهِ صَهْبَاءَ مَشْـمُولَةٍ يَرَى لَهَا الْمَشْرِقَ فِي الْمَغْرِبِ  
وَلَيْشَرَبِ إِلَّا كَثْرَ مِنْ كَأْسِهِ وَأَنْعِمِذْ - إِلَى فَضْلَتِهِ - فَاشْرَبِ  
عُقُوبَةً ، أَحْسِنَ بِهَا سُوءَةً - فِي مِثْلِهِ - مِنْ حَسَنِ مُذْنِبِ  
وَبَاكِراً الطَّيِّبِ ، وَرُوحَالَهُ ، فَأَنْتُمَا فِي زَمَنِ طَيِّبِ

## ليل انس

« وبات ليلة باحدى جنات اشبيلية فقال : »

وَلَيْلٍ أَدْمَنَّا فِيهِ شُرْبَ مُدَامَةٍ إِلَى أَنْ بَدَا لِلصَّبْحِ - فِي اللَّيْلِ - تَأْمِيرُ  
وَجَاءَتْ نُجُومُ الصَّبْحِ - تَضْرِبُ فِي الدُّجَا - فَوَلَّتْ نُجُومُ اللَّيْلِ ، وَالْأَيْلُ مَقْهُورُ  
فَحَزْنَا مِنْ اللَّذَاتِ أَطْيَبَ طِيْهَا ، وَلَمْ يَعْرِزْنَا هَمٌّ وَلَا عَاقَ تَكْذِيرُ  
خَلَا أَنَّهُ - لَوْ طَالَ - دَامَتْ مَسَرَّتِي ، وَلَكِنْ لِيَالِي الْوَصْلِ فِيهِنَّ تَقْصِيرُ

## دواء

« وقد أهدى دواء »

قَدْ بَعَثْنَاهُ يَنْفَعُ الْأَعْضَاءَ      حِينَ يَجْلُو - يُلْطِفُهُ - السَّخْنَاءُ <sup>(١)</sup>  
جَاءَ يُرْهِى بِمُسْتَشْفٍ رَقِيقٍ      يَخْدَعُ الْعَيْنَ رَقَّةً وَصَفَاءً <sup>(٢)</sup>  
تَنْقُذُ الْعَيْنَ مِنْهُ فِي ظَرْفِ نُورٍ      مَلَأَتْهُ أَيْدِي الشَّمُوسِ ضِيَاءَ  
أَكْسَبَتْهُ الْأَيَّامُ بَرْدَ هَوَاءٍ      فَهَوَ جِسْمٌ قَدْ صِغَ نَارًا وَمَاءَ  
مَنْظَرٌ يُبْهِجُ الْقُلُوبَ ، وَطَعْمٌ      تَشْكُرُ النَّفْسُ عَهْدَهُ أُسْتِمْرَاءَ  
لَذَّةُ الْوَصْلِ نَالَهُ - بَعْدَ يَأْسٍ -      كَلِفٌ طَالَمَا تَشْكِي الْجَفَاءَ <sup>(٣)</sup>  
يَفْضَحُ الشَّهْدَ طَعْمُهُ - كُلَّمَا قِيدَ - سِ - إِلَيْهِ وَيُخْجِلُ الصَّهْبَاءَ  
فَضَلَ السَّابِقَ الْمُقَدَّمَ - فِي النُّضْجِ -      فَأَزْرَى بِطَعْمِهِ إِزْرَاءَ  
غَيْرَ أَنِّي بَعَثْتُ هَذَا غِذَاءَ      - يَشْتَهِيهِ الْفَتَى - وَذَلِكَ دَوَاءُ  
مُلْطِفٌ يُبْرِدُ الْمِزَاجَ إِذَا جَا      شَ النَّهَابَا ، وَيَقْمَعُ الصَّفْرَاءَ

(١) بعثناه : أى الدواء المجهود بينه وبين مخاطبه ، ومعلوم أن الطب وعلم الكيمياء وتركيب الأدوية والصيدلة والجراحة تقدمت في الأندلس وبخاصة في القرون الوسطى وعند علماء الأندلس كابن رشد ، وأبي القاسم زهرادى ، وابن زهر ، وأضرابهم من علماء المشرق بمقداد : كان سينا والرازى ، وعلى ابن العباس أخذ علماء أوروبا علومهم الطبية وغيرها ، وقد مرّ بك كثير من قصائد ابن زيدون التي تتعرض لذكر الطب والعلاج ، وأنت إذا تأملت فيما يمر بك من هذا النوع وأشبابه تقرأ فيه آيات الحضارة ، وتشمع بأثار المدنية . والسخناء : من قولهم : لى لأحد فى نفسى سخناء - بالمد - وسحونة أى حرارة شديدة من وجع أو حمى .

(٢) يقول : لأن هذا الدواء قد جاءك يزهى فى رفته وسيولته بوماء رقيق تستشف العين ماى داخله ، وينخدع الناظر فلا يكاد يراه لشدة رفته وصفائه .

(٣) يقول : لأن متعاطيه يسمرته ويجد فيه لذة كالذة السكاف المشوق ، ظفر بوصل الحبيب بعد يأس وطول جفاء .



وَمُعِينٌ لِّوَاصِلِ الصَّوْمِ، يَسْرِي بِرَدُّهُ - فِي الْحَشَاءِ - فَيُرْوَى الظَّمَاءُ  
( فَتَقَبَّلَهُ ) شَافِعًا لِأَيَادِيكَ الَّتِي بَعْضُهَا يَقُوتُ النَّتَاءُ <sup>(١)</sup>

### حسي رضاك

إِلَيْكَ - مِنَ الْأَنَامِ - غَدَا أَرْتِيحِي ، وَأَنْتِ - عَلَى الزَّمَانِ - مَدَى أَقْدِرَاحِي  
وَمَا أَغْتَرَضْتَ مُهُومُ النَّفْسِ إِلَّا - وَمِنْ ذِكْرَالِكِ - رِيحَانِي وَرَاحِي  
فَدَيْتُكَ : إِنْ صَبْرِي عَنْكَ صَبْرِي - لَدَى عَطَشِي - عَلَى الْمَاءِ الْقَرَّاحِ <sup>(٢)</sup>  
وَلِي أَمَلٌ - لَوِ الْوَاشُونَ كَفَّوْا - لَا طَلَعَ غَرْسُهُ ثَمَرَ النَّجَاحِ  
وَأَعْجَبُ كَيْفَ يَغْلِبُنِي عَدُوٌّ - رِضَاكَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْضَى سِلَاحِ  
وَلَمَّا أَنْ جَلَّتْكَ لِي - أَخْتِلَاسًا - أَكْفُ الدَّهْرِ لِلْحَيْنِ الْمُتَّاحِ <sup>(٣)</sup>  
رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ نِقَابِ ، وَغُصْنُ الْبَانِ يَرْفُلُ فِي وَشَاحِ  
فَلَوْ أَسْطِيعُ طَرْتُ إِلَيْكَ - شَوْقًا - وَكَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ  
عَلَى حَالِي وَصَالٍ وَأَجْتِنَابِ ، وَفِي يَوْمِي دُنُورٌ وَأُتْرَاحِ  
وَحَسَنِي أَنْ تَطَالِمَكَ الْأَمَانِي بِأَفْقِكَ - فِي مَسَاءٍ أَوْ صَبَاحِ

(١) وجد هذا البيت في الأصل ناقصاً هكذا :

« . . . . شافعا لأيديك التي بعضها يفوق النباء . »

والتكلم لا يابها السياق .

(٢) يقول : إن صبري عليك كصبري على الماء القراح لدى عطشي وشدة ظمئي .

(٣) يقول في هذا البيت والذي بعده : ولما أن جلتك وأبرزتك يد الدهر خلسة لحبي وهلاكي الذئ

أبيع وقدر لي ، طلعت سافرة كما تطلع الشمس من نقاب ، وخطرت مائة كما يرفل غصن البان في وشاح

وَأَنْ تُهْدِيَ السَّلامَ إِلَيَّ - غِيًّا - وَلَوْ فِي بَعْضِ أَنْفَاسِ الرِّيحِ (١)  
فَوَادِي - مِنْ أَسَى بِكَ - غَيْرُ خَالٍ وَقَلْبِي - عَنْ هَوَى لَكَ - غَيْرُ صَاحٍ

### عودى إلى الوصال

بَاعَدْتَ - بِالْإِعْرَاضِ - غَيْرَ مُبَاعِدٍ وَزَهَدْتَ فِيمَنْ لَيْسَ فَيْكَ بِزَاهِدٍ (٢)  
وَسَقَيْتَنِي - مِنْ مَاءِ هَجْرِكَ - مَالَهُ أَصْبَحْتُ أَشْرَقُ بِالزُّلَالِ الْبَارِدِ  
هَلَّا جَعَلْتِ - قَدْتُكَ نَفْسِي - غَايَةً لِلْعُتْبِ ، أَبْلَغُهَا بِجَهْدِ الْجَاهِدِ (٣)  
لَا تُفْسِدَنَّ - مَا وَدَّ تَأْكُدَ يَدُنَا مِنْ صَالِحٍ - خَطَرَاتُ ظَنِّ فَاسِدٍ  
حَاشَاكَ مِنْ تَضْيِيعِ أَلْفِ وَسِيلَةٍ - شَجَى الْعَدُوِّ لَهَا - بِذَنْبٍ وَاحِدٍ (٤)  
إِنْ أَجْنَاهُ خَطَأً ، فَقَدْ عَاقَبْتَنِي ظُلْمًا ، بِأَبْلَغَ مِنْ عِقَابِ الْعَامِدِ (٥)

\* \*

عُودِي لِمَا أَصْفَيْتَنِيهِ مِنَ الْهَوَى بَدَءًا ، فَلَسْتُ لِمَا كَرِهْتِ - بِعَائِدٍ  
وَضَعِي قِنَاعَ السُّخْطِ عَنْ وَجْهِ الرِّضَا كَيْمَا أُخِرَّ إِلَيْهِ أَوَّلَ سَاجِدٍ (٦)

(١) وحسبى أن تسمى بالسَّلام غيا أى يوما بعد يوم ولو مع أنفاس الرياح التى تهب من ناحيتك ، وفى الأصل « وأن تبنى » وقد وضعنا بدلها « تهدي » التى هى كصورتها حتى لا تكون نائية فى موضعها ، وقد وحد هذا البيت بعد تأليه ، ولكننا آثرنا تقديمه عليه بحكم المعطف على قوله :

« وحسبى أن تطالعك الأمانى . »

(٢) باعدت فتى غير ماعد وذاك بأعرامك عنه ، وزهدت فى محب ليس فبك بزاهد .

(٣) يقول كان ينبغي أن تجعلى بنى وبينك نهاية للعتب وغاية أبلى فيها رضاك بجهد الجاهد وشقى النفس .

(٤) يقول : حاشاك أن تضيع ألف وسيلة توصلت بها إلى رضاك يراها عدوى كالتسبب معترضا فى

حلقه بذنب واحد .

(٥) إن أجنى ذلك الذنب خطأ فقد ظلمتني بأن عاقبتني عليه بأشد من عقوبة من أتى بالذنب عمدا .

(٦) أزيل من وجه الرضا ما يستره من قناع السخط كما أكون أول ساجد على نعمة رضاك عنى .

## أبو القاسم

« وأمره المعتضد أن يعارض قطعا من أشعار كان  
يستحسن ألحانها فعارضها رجه الله بقطع وهي : »

يُقَصِّرُ قُرْبُكَ لَيْلِي <sup>(١)</sup> الطَّوِيلَا      وَيَشْفِي وَصَالِكَ قَلْبِي الْعَالِيَا  
وَإِنْ عَصَفَتْ مِنْكَ رِيحُ الصَّدُودِ      فَقَدْتُ نَسِيمَ الْحَيَاةِ الْبَلِيَا  
كَمَا أَنَّنِي <sup>(٢)</sup> إِنْ أَطَلْتُ الْعِثَارَ      وَلَمْ يُبْدِ عُذْرِي وَجْهًا جَمِيلَا  
وَجَدْتُ « أبا القاسم الظَّافِرَ الْمُؤَيَّدَ بِاللَّهِ » مَوَلَى مُقِيلَا  
إِذَا مَا نَدَاهُ هَمِي وَالْحَيَا      شَاهُ ، وَعُدَّ الْجَوَادُ الْبَخِيلَا  
وَأَقْلَامُهُ وَفَقُّ أَسْيَافِهِ      يَظَلُّ الصَّرِيرُ يُبَارِي الصَّلِيلَا

## وقال

أَنْتَ الْمُسَبَّبُ لِلْوُلُوعِ      وَمُثِيرُ كَامِتَةِ الدُّمُوعِ  
يَتَمَنِّيَانِ لَوْ أَعْفِيَا      — مَهْمَا طَلَعَتْ — مِنَ الطَّلُوعِ  
وَالظَّافِرُ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ      وَاحِدٌ عَدْلُ الْجُمُوعِ  
الْبَدْرُ فِي سَحْبِ الْبُرِّ      وَدِ الْلَيْثُ فِي لِبَدِ الدَّرُوعِ  
عَنْتِ الْأُصُولُ لِأَصْلِهِ      وَتَقَاصَرَتْ عَنْهُ الْفُرُوعُ

(١) في الأصل : « الليل »

(٢) في الأصل : « أني »

## آلام المحب

مَتَى أَبْثُكَ <sup>(١)</sup> مَا بِي ؟ يَا رَاحَتِي وَعَذَابِي  
مَتَى يَنْثُوبُ لِسَانِي - فِي شَرْحِهِ - عَنْ كِتَابِي ؟  
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي أَصْبَحْتُ فِيكَ لِمَا بِي  
فَلَا يَطِيبُ <sup>(٢)</sup> مَنَامِي وَلَا يَسُوغُ شَرَابِي

\* \*

يَا فِتْنَةَ الْمُتَعَرِّى <sup>(٣)</sup> وَحُجَّةَ الْمُتَصَابِي :  
الشَّمْسُ أَنْتِ، تَوَارَتْ - عَنْ نَظَرِي - بِالْحِجَابِ

\* \*

مَا الْبَذْرُ - شَفَّ سَنَاهُ عَلَى رَقِيقِ السَّحَابِ -  
إِلَّا كَوَجْهِكَ ، لَمَّا أَضَاءَ تَحْتَ النُّقَابِ

## كيف السلو ؟

كَمْ ذَا أُرِيدُ وَلَا أُرَادُ ؟ يَا سَوْءَ مَا لَقِيَ الْفُؤَادُ !  
أَضْفِي الْوِدَادَ مُدَلَّلًا ، لَمْ يَصْنَفْ لِي مِنْهُ الْوِدَادُ  
يَقْضِي عَلَى دَلَالَةٍ - فِي كُلِّ حِينٍ - أَوْ يَكَادُ  
كَيْفَ السُّلُو عَنْ الَّذِي مَثْوَاهُ - مِنْ قَلْبِي - السَّوَادُ ؟

(١) وفي بعض الروايات : « متى أتيتك . »

(٢) وفي بعض الروايات : « لم يلد منامي »

(٣) وفي الاصل : « يا فتنة للمعري »

مَلَكَ الْقُلُوبَ بِحُسْنِهِ ، فَلَهَا - إِذَا أَمَرَ - أَنْتَقِيذُ

يَا هَاجِرِي كَمْ أَسْتَفِيدُ الصَّبْرَ عَنْكَ ، فَلَا أَفَادُ  
 أَلَا<sup>(١)</sup> رَقِيتَ لِمَنْ يَبِيتُ وَحَشَوُ مُقْلَتِهِ الشَّهَادُ؟  
 إِنْ أَجْنَى ذَنْبًا فِي الْهَوَى - خَطَأً - فَقَدْ يَكْبُو الْجَوَادُ  
 كَانَ الرِّضَى - وَأَعِيدُهُ - أَنْ يُعْقِبَ الْكَوْنُ الْفَسَادُ

### قسم

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَنْ أَضْنَى الْوَدَادَ لَهُ  
 إِنْكَ الْذُّغُرُورَ الْوَعْدِ، يَصْفَحُ لِي  
 تَجَلُّو الْمَنَى شَخْصَةً لِي - وَهُوَ مُحْتَجِبُ  
 يَا بَدْرَ تِمِّ بَدَا فِي أَفْقٍ مَمْلَكَةٍ،  
 أَفْدَى بَدَائِعَ شَكْلِ مِنْكَ مُضْبِرَةً  
 مَحْضًا ، وَلَامَ بِهِ الْوَاشِي فَلَمْ أَطِعْ  
 عَنْهُ ، وَيُقْنِعُنِي التَّعْلِيلُ بِالْخُدَعِ  
 عَنِّي - فَمَا شِدْتُ مِنْ مَرَأَى وَمُسْتَمَعِ  
 فَرَاقَ مُطْلِعًا مِنْ خَيْرِ مُطَّلَعِ  
 لِقَتْلِ نَفْسِي - عَمْدًا - أَشْنَعَ الْبِدَعِ

تَاللَّهِ - أَكْرَمَ مَا أَمْضَى الْيَمِينَ بِهِ  
 مَا لَدَّ لِي قُرْبُ أَنْسٍ أَنْتِ نَارِحَةٌ  
 مَنْ دَانَ فِي حُبِّهِ بِالْصِّدْقِ وَالْوَرَعِ -  
 عَنْهُ ، وَلَا سَاغَ عَيْشٌ لَسْتُ فِيهِ مَعِي

### خداع الأمانى

وَلَقَدْ شَكَوْتُكَ بِالضَّمِيرِ إِلَى  
 مَنَيْتُ نَفْسِي - مِنْ صَفَائِكَ - ضَلَّةً  
 وَدَعَوْتُ - مِنْ حَنَقٍ - عَلَيْكَ فَأَمَّنَّا  
 وَلَقَدْ تَعَرَّ الْمَرْءُ بَارِقَةَ الْمُنَى

## في الغزل

« وله يتغزل و يعاتب من يستعطفه و يتنزل . »

يا مُسْتَخِفًّا بِعَاشِقِيهِ      وَمُسْتَفْشًا لِنَاصِيهِ  
وَمَنْ أَطَاعَ الْوُشَاةَ فِينَا      حَتَّى أَطَعْنَا السُّلُوَ فِيهِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ أَرَانِي      تَكْذِيبَ مَا كُنْتُ تَدَّعِيهِ  
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُهْزَمَ التَّسْلَى      وَيَغَابَ الشُّوقُ مَا يَلِدِيهِ

## إلى هاجر

أَوْسَلَبُ مِنْ وَصَالِكَ مَا كُسِبْتُ ؟      وَأَعَزَلُ - عَنْ رِضَاكَ - وَقَدْ وَلِيتُ ؟  
وَكَيْفَ - وَفِي سَبِيلِ هَوَاكَ طَوْعًا -      لَقِيتُ مِنَ الْمَكَارِهِ مَا لَقِيتُ !  
أَسِرُّ عَلَيْكَ عَتَبًا لَيْسَ يَبْقَى ،      وَأُضْمِرُ فِيكَ غَيْظًا لَا يَبِيدُ  
وَمَا رَدَّى عَلَى الْوَاشِينَ ، إِلَّا :      « رَضِيتُ بِجَوْرِ مَا لَيْسَ كَتِي رَضِيتُ . »

## دعاء محب

أَنْتَ أَضِيعُ عَهْدَكَ ؟      أَمْ كَيْفَ أَخْلِفْتُ وَعْدَكَ  
وَقَدْ رَأَيْتَكَ الْأَمَانِي      رِضَى ، فَلَمْ تَتَّعِدْكَ

\*\*\*

يَا لَيْتَ مَالِكَ عِنْدِي !      - مِنَ الْهَوَى - لِي عِنْدَكَ <sup>(١)</sup>

(٢) وفي بعض الروايات :

« يا ليت شعري ، وعندي ما ليس - في الحب - عندك  
هل طال ليلك بعدي ؟ كطول ليلي بسدك ؟ . »

فَطَالَ أَيْسُكَ بَعْدِي كَطُولُ كَيْلِي بَعْدَكَ  
سَلَنِي حَيَاتِي أَهْبَهَا ، فَلَسْتُ أَمْلِكُ رَدَّكَ  
الَّذِي عِنْدِي ، لَمَّا أَصْبَحْتُ فِي الْحُبِّ-عَبْدَكَ

### أنت حسبي

يَا مَنْ غَدَوْتُ بِهِ - فِي النَّاسِ - مُشْتَهَرًا قَانِي عَلَيْكَ يُقَاسِي الْهَمَّ وَالْفِكْرَا  
إِنْ غِبْتَ لَمْ أَلْقَ إِنْسَانًا يُؤْتِسُنِي <sup>(١)</sup> وَإِنْ حَضَرْتُ ، فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ حَضَرَا

### ما الذي أنكروه ؟

قَالَ لِي : « أَعْتَلَّ مَنْ هَوَيْتَ » حَسُودٌ قُلْتُ : « أَنْتَ الْعَمَلِيلُ وَنَحْكَ لَاهُو »  
مَا الَّذِي أَنْكَرُوهُ مِنْ بَثَرَاتٍ <sup>(٢)</sup> ضَاعَفَتْ حُسْنَهُ وَزَادَتْ حُلَاهُ  
جِسْمُهُ - فِي الصَّافَاءِ وَالرَّقَّةِ - الْمَا ، فَلَا غَرَوَ أَنْ حُبَابُهُ عَلَاهُ

### شوق بعد سلوان

عَاوَدْتُ ذِكْرِي الْهَوَى - مِنْ بَعْدِ نِسْيَانٍ وَأَسْتَحَدْتُ الْقَلْبُ شَوْقًا بَعْدَ سُلُوانٍ  
مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ ، يَبْدُو بِهَا صَنَمٌ مِنَ اللَّجَيْنِ ، عَلَيْهِ تَاجُ عَقِيَانٍ  
غَرِيرَةٌ - لَمْ تُفَارِقْهَا تَمَاطُهَا - تَسْبِي الْعُقُولِ بِسَاجِي الطَّرْفِ وَسُنَانٍ  
لَا سَتَجِدَنَّ - فِي عِشْقِي لَهَا - زَمَنًا يُنْسِي سَوَافٍ أَيَّامِي وَأَزْمَانِي  
حَتَّى تَكُونَنَّ لِمَنْ أَحْبَبْتُ خَاتِمَةً ، نَسَخْتُ - فِي حُبِّهَا - كُفْرًا بِإِيمَانٍ

(١) فِي الْأَصْلِ « يُونُسَى » بِإِدَالِ الْهَمْزَةِ وَآوَا وَهُوَ إِبْدَالٌ مُقْبَسٌ كَمَا يَعْلَمُ مِنْ عِلْمِ الصَّرْفِ ، وَهُوَ مُضَارِعٌ أَنْسَى (بِالتَّضْعِيفِ) أَيْ أَزَالَ وَحَقَّقَ كَأَنْسَى ، وَجَاءَ فِي كَلَامِهِمْ :  
« إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ اسْتَأْنَسَ كُلُّ وَحْشِي ، وَاسْتَوْحَشَ كُلُّ لَيْسَى » .

(٢) الْبَثَرَاتُ : وَاحِدَتُهَا بَثْرَةٌ كَسَجْدَةٍ وَسَجْدَاتُ ، وَهِيَ خِرَاجُ صَفَارٍ تَطْهَرُ عَلَى الْوَجْهِ ، فَتَنْطَفِ جِلْدُهُ ، وَأَغْلَبَ مَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي أَوَانِ الشَّبَابِ ، وَلِذَاكَ يَعْرِفُ عِنْدَ الْعَامَّةِ فِي بِلَادِنَا ( بِحُبِّ الشَّبَابِ ) ، وَقَدْ هَلَلَهُ فِي الْبَيْتِ التَّالِي تَعْلِيلًا حَسَنًا ، حَيْثُ شَبَّهَ بِالْحُبَابِ يَطْفُو عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ الشَّبِيهِ بِبَشَرَةِ وَجْهِ الْحَبِيبِ فِي الرِّقَّةِ وَالصَّفَاءِ .

## أسر الهوى

يَا سُؤَالَ نَفْسِي - إِنَّ أَحْكَمَ - وَاخْتِيَارِي إِنَّ أَحْسَرَ  
كَمْ لَأَمَنِي فِيكَ الْحَسُو دُ، وَفَنَدَّ الْوَاشِي فَأَكْثَرَ  
قَالُوا : « تَغَيَّرَ بِالسُّلُوءِ وَبِالْمَلَامَةِ قَدْ تَعَيَّرَ »  
وَتَوَهَّمُوكَ جَنَيْتَ ذَنْبًا بِالتَّجَنَّى لَيْسَ يُغْفَرُ  
وَبِرَّعْمِهِمْ أَنْ لَيْسَ مِثْلِي فِي الرِّضَى بِالذُّونِ يُعَذَّرُ  
لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْهَوَى رِقٌّ، وَأَنَّ الْحُسْنَ أَحْمَرُ<sup>(١)</sup>

## معذرة

إِنْ تَكُنْ نَالَتُكَ بِالضَّرْبِ يَدِي - وَأَصَابَتُكَ بِمَا لَمْ أُرِدِ  
فَلَقَدْ كُنْتُ - لَعَمْرِي - فَأَدِيَا لَكَ بِالْمَالِ وَبِأَنْصِ الْوَلَدِ  
فَتَقِي مِنِّي بِعَهْدٍ ثَابِتٍ وَضَمِيرٍ خَالِصٍ الْمُعْتَقَدِ  
وَلَنْ سَاءَ لَكَ يَوْمَ فَاغْلَمِي أَنْ سَيَتْلُوهُ سُرُورٌ بِغَدِ

## وصف الكأس

أَنَا ظَرْفٌ لِلْهَوَى كُلِّ ظَرِيفٍ أَنَا مُسْتَوْدَعٌ لِعَلْقِ شَرِيفٍ  
أَنَا كَالصَّدْرِ فِي الْإِحَاطَةِ بِالرَّاحِ إِذِ الرَّاحُ كَالضَّمِيرِ اللَّطِيفِ  
سَلَّ عَنِ الطِّيَّبَاتِ فَهِيَ فُنُونُ أَلْفَتْ فِي أَحْسَنِ التَّأْلِيفِ  
أَيْ حُسْنِ يَنِي بِحُسْنِي تَحْمُو لَا بِكَفَى وَصِيفَةٍ أَوْ وَصِيفِ

(١) من قولهم « الحسن أحمر » أي ذو مشقة وبلاء يريدون أن من تمسق بالحسن والجمال تحمل و  
سبيله المشقة وصبر على الأذى ، وإنما يقال ذلك لأن يستره الهوى ، ويفليه الحسن على أمره في سبيله  
الموت الأحمر .



## غاية المحبين

لَنْ كُنْتُ - فِي السَّنِّ - تَرْبَ الْهِلَالِ ، لَقَدْ فُقْتُ - فِي الْحُسْنِ - بَذْرَ الْكَمَالِ  
أَمَّا وَالَّذِي نَكَّدَ الْحَظَّ فِي دُنُوِّ الْمَكَانِ بِمُعْدِ الْمَنَالِ  
لَقَدْ بَلَغْتَنِي دَوَاعِي هَوَاكَ إِلَى غَايَةِ مَا جَرَتْ لِي بِبَالِ  
فَقُلْ لِلْهَوَى : « يَحْزِرْ مِلَّ الْعِنَانِ » فَيَذَانُ قَلْبِي رَحِيبُ الْمَجَالِ

## صفح المذنب

يَا قَمَرًا مَطْلَعُهُ الْمُنِيرُ قَدْ ضَاقَ بِي - فِي حُبِّكَ - الْمَذْهَبُ  
أَعْتَبُ - مِنْ ظُلْمِكَ لِي - جَاهِدًا ، وَيَغْلِبُ الشَّوْقُ فَاسْتَعْتَبُ  
أَلْزَمْتَنِي الذَّنْبَ الَّذِي جِئْتَهُ ، صَدَقْتَ ، فَاصْفَحْ أَيُّهَا الْمَذْنِبُ

## لا يأس

أَيُّهَا الْبَذْرُ الَّذِي يَمْلَأُ عَيْنِي مِنْ تَأْمَلِ  
مَحَلَّ الْقَلْبِ تَبَارِيحَ التَّجَنِّي فَتَحَ - لَنْ -  
لَيْسَ لِي صَبْرٌ جَمِيلٌ ، غَيْرَ أَنَّي أَتَجَمَّلُ  
ثُمَّ لَا يَأْسَ ، فَكَمْ قَدْ نِيلَ أَمْرٌ لَمْ يُؤْمَلْ

## عتب

أَوْجَنِي - بِإِلَاجِزْمٍ - وَأَقْصِي بِإِلَازِنٍ ، سِوَى أَنَّنِي مَحْضُ الْهَوَى صَادِقُ الْحُبِّ  
أَغَادِيكَ بِالشُّكْوَى ، فَأُضْحِي عَلَى الْقَلِي وَأَرْجُوكَ لِلْعُتْبَى ، فَأُظْفِرُ بِالْعُتْبِ  
فَدَيْتُكَ ، مَا لِمَاءٍ - عَذْبَا عَلَى الصَّدَى - وَإِنْ سُمْتَنِي خَسَفًا ، مَحْلُكَ مِنْ قَلْبِي  
وَلَوْ لَأَكَ ، مَا ضَاقَتْ حَشَايَ - صَبَابَةً - جَعَلْتُ قِرَاهَا الدَّمْعَ سَكْبًا عَلَى سَكْبِ

## تجنى الحبيب

ثِقِي بِي - يَا مُعَذِّبِي - فَإِنِّي  
وَأِنْ أَصْبَحْتَ قَدْ أَرْضَيْتِ قَوْمًا  
وَهَلْ قَلْبُكَ كَقَلْبِكَ فِي ضُلُوعِي ،  
تَمَنَّتْ - أَنْ تَنَالَ رِضَاكَ - نَفْسِي ،  
وَلَمْ أَجْنِ<sup>(١)</sup> الذُّنُوبَ فَتَحْقِدِيهَا ،  
سَأَحْفَظُ فِيكَ مَا ضَيَّعْتَ مِنِّي  
بِسُخْطِي ، لَمْ يَكُنْ ذَا فِيكَ ظَنِّي  
فَأَسْأَلُ عَنْكَ حِينَ سَلَوْتَ عَنِّي  
فَكَانَ مَنِيَّةً ذَلِكَ التَّعَنِّي  
وَلَكِنْ عَادَةٌ مِنْكَ التَّجَنِّي .

## لا يأس في الحب

أَنْتِ مَعْنَى الضَّنَى وَسِرُّ الدُّمُوعِ ،  
أَنْتِ وَالشَّمْسُ صَرَّتَانِ ، وَالْكِنْ  
لَيْسَ بِالْمَوْئِسِي تَكَلُّفُكَ الْعَتَبِ - دَلَالًا - مِنْ الرِّضَى الْمَطْبُوعِ  
إِنَّمَا أَنْتِ - وَالْحَسُودُ مَعْنَى -  
وَسَبِيلُ الْهَوَى ، وَفَضْلُ الْوَلُوعِ  
لَكَ - عِنْدَ الْغُرُوبِ - فَضْلُ الْطُلُوعِ

## بقية المسوأك

أَهْدِي إِلَى بَقِيَّةِ الْمِسْوَاكِ  
فَلَعَلَّ نَفْسِي ، أَنْ يُنْفَسَ سَاعَةً  
يَا كَوْكَبًا - بَارِئَ سَنَاهُ سَنَاهُ -  
قَرَّتْ وَفَارَتْ - بِالْخَطِيرِ مِنَ الْمُنَى -  
لَا تُظْهِرِي بُخْلًا بِمُودِ أَرَاكِ  
عَنْهَا بِتَقْبِيلِ الْمُقْبَلِ فَأَكِ  
تُرْهِى الْقُصُورُ بِهِ عَلَى الْأَفْلَاكِ  
عَيْنُ ثَقَلْبُ لَحْظَهَا فَتَرَكَ

## غرور المني

إِنْ سَاءَ فِعْلُكَ بِي ، فَادَّعِنِي أَنَا ؟  
لَمْ أَسْأَلْ حَتَّى كَانَ عُدْرُكَ - فِي الدِّي  
وَلَقَدْ شَكَّوْتُكَ - بِالضَّمِيرِ - إِلَى الْهَوَى ،  
مَنَيْتُ نَفْسِي - مِنْ وَفَائِكَ - ضَلَّةً ،  
حَسْبُ الْمُنِيمِ أَنَّهُ قَدْ أَحْسَنَا  
أَبْدَانِيهِ - أَخْنَى ، وَعُدْرِي أَيْنَمَا  
وَدَعَوْتُ - مِنْ حَنْقٍ - عَلَيْكَ فَأَمَّنَا  
وَلَقَدْ تَفَرُّ الْمَرْءُ بَارِقَةَ الْمُنَى

## صليني

أَغَابَةِ عَنِّي ، وَحَاضِرَةِ مَعِي ،  
أَفِي الْحَقِّ أَنْ أَشَقِيَ بِحُبِّكَ ، أَوْ أَرَى  
أَلَا عَظْفَهُ تَحْيَا بِهَا نَفْسُ عَاشِقٍ ؟  
صَلِينِي - بَعْضُ الْوَصْلِ - حَتَّى تَبَيَّنِي  
أُنَادِيكَ - لَمَّا عَمِلَ صَبْرِي - فَأَسْمَعِي  
حَرِيْقًا بِأَنْفَاسِي ، غَرِيْقًا بِأَذْمُعِي  
جَعَلْتَ الرَّدَى مِنْهُ بِمَرَايَ وَمَسْمَعِ  
حَقِيقَةً حَالِي ، ثُمَّ مَا شِدْتَ فَأَصْنَعِي

## شكوى ضائعة

سَاحِبُ أَعْدَائِي لِأَنَّكَ مِنْهُمْ (١)  
أَصْبَحْتَ تُسَخِطُنِي فَأَمْنَعُكَ الرِّضَى  
يَا مَنْ تَأَلَّفَ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ ،  
قَدْ كَانَ فِي شَكْوَى الصَّبَابَةِ - رَاحَةً ،  
يَا مَنْ يُصِحُّ - بِمُقْلَتَيْهِ - وَيُسْقِمُ  
- مَحْضًا - وَتَظْلِمُنِي فَلَا أَتَظْلَمُ  
فَالْحُسْنُ يَنْتَهَمَا مُضِيٍّ مُظْلِمُ  
لَوْ أَنَّني أَشْكُو إِلَى مَنْ يَرْحَمُ

## وفاء المحب

لَمَّا اتَّصَلْتَ اتِّصَالَ الْحُبِّ (٢) بِالْكَبِدِ  
ثُمَّ أُمْتَرَجْتَ أُمْتِرَاجَ الرُّوحِ بِالْجَسَدِ

(١) وهذا قريب من قول الفائل :

« شابهت أعدائي فصرت أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهم . »

(٢) وفي الأصل : « الحب »

سَاءَ الْوُشَاةَ مَكَانِي مِنْكَ ، وَأَتَقَدَّتْ - فِي صَدْرِي كُلِّ عَدُوٍّ - جَمْرَةُ الْحَسَدِ  
فَلَيْسَ خَطِ النَّاسِ لَا أَهْدِي الرِّضَى لَهُمْ ، وَلَا يَضِيعُ لَكَ عَهْدُ آخِرِ الْأَبَدِ  
لَوْ اسْتَطَعْتُ - إِذَا مَا كُنْتُ غَائِبَةً - غَضَضْتُ طَرْفِي ، فَلَمْ أَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ

### غدر الحبيب

يَا لَيْلُ طُلُ ، لَا أَشْتَهِي - إِلَّا بِوَصْلٍ - قِصْرَكَ  
لَوْ بَاتَ عِنْدِي قَمَرِي ، مَا بَتُّ أَرْضِي قَمَرَكَ  
يَا لَيْلُ خَبِرْ : أَنَّنِي أَلْتَدُّ عَنْهُ خَبَرَكَ  
بِاللَّهِ قُلْ لِي : هَلْ وَفَا ؟ فَقَالَ : « لَا ، بَلْ غَدَرَكَ »

### حذر العاشق

أَنْ فَاتَنِي مِنْكَ حَظُّ النَّظَرِ لَا كَتِفَيْنِ بِسَمَاعِ الْخَبَرِ  
وَإِنْ عَرَضَتْ غَفْلَةٌ لِلرَّقِيبِ ، فَحَسْبِي تَسْلِيمَةٌ تُخْتَصَرُ  
أَحْذِرُ أَنْ تَتَطَنَّى الْوُشَاةُ ، وَقَدْ يُسْتَدَامُ الْهَوَى بِالْحَذَرِ  
وَأَضْبِرْ مُسْتَيْقِنًا : أَنَّهُ سَيَخْطِي - بِنَيْلِ الْمُنَى - مَنْ صَبَرَ

### قناعة المحب

سَأَفْنَعُ مِنْكَ بِلَحْظِ الْبَصَرِ ، وَأَرْضِي بِتَسْلِيمِكَ الْمُخْتَصَرِ  
وَلَا أَتَخَطَّى النَّاسَ الْمُنَى ، وَلَا أَتَمَدَّى اخْتِلَاسَ النَّظَرِ  
أَصُونُكَ - مِنْ لَحْظَاتِ الظُّنُونِ - وَأَعْلِيكَ عَنْ خَطَرَاتِ الْفِكْرِ  
وَأَحْذِرُ - مِنْ لَحْظَاتِ الرَّقِيبِ - وَقَدْ يُسْتَدَامُ الْهَوَى بِالْحَذَرِ

## كيف السلو ؟

هَلْ لِدَاعِيكَ مُجِيبٌ ؟      أَمْ لِشَاكِكَ طَيبٌ ؟  
يَا قَرِيبًا - حِينَ يَنْأَى -      حَاضِرًا - حِينَ يَغِيبُ - !  
كَيْفَ يَسْأَلُكَ مُحِبٌّ      زَانَهُ مِنْكَ حَبِيبٌ ؟  
إِنَّمَا أَنْتَ نَسِيمٌ      تَتَلَقَّاهُ الْقُلُوبُ  
قَدْ عَلِمْنَا عِلْمَ ظَنٍّ ،      هُوَ - لَا شَكَّ - مُصِيبٌ  
أَنْ سِرَّ الْحُسْنِ مِمَّا      أَضْمَرْتَ تِلْكَ الْجُيُوبُ

## أنت المني

أَرْخَصْتَنِي - مِنْ بَعْدِ مَا أَعْلَيْتَنِي -  
بَادَرْتَنِي بِالْعَزْلِ عَنْ خُطَطِ الرِّضَى ،  
هَلَّا - وَقَدْ أَعْلَقْتَنِي شَرَكَ الْهَوَى -  
الصَّبْرُ شُهُدٌ - عِنْدَ مَا جَرَّعْتَنِي -  
كُنْتَ الْمَنَى ، فَأَذَقْتَنِي غُصَصَ الْأَذَى ،  
وَحَطَطْتَنِي ، وَلَطَأَ مَا أَعْلَيْتَنِي  
وَلَقَدْ تَحَضَّتْ النُّضُجُ إِذْ وَلَّيْتَنِي  
عَلَّيْتَنِي بِالْوَصْلِ ، أَوْ سَلَّيْتَنِي  
وَالنَّارُ بَرْدٌ ، عِنْدَ مَا أَصْلَيْتَنِي  
يَا لَيْتَنِي مَا فَهْتُ فِيكَ : يَلِيْتَنِي

## بقاء على العهد

جَازَيْتَنِي - عَنْ تَمَادِي الْوَصْلِ - هِجْرَانًا  
بِاللَّهِ هَلْ كَانَ قَتْلِي فِي الْهَوَى خَطَاً  
عَهْدِي كَعَهْدِكَ ، مَا الدُّنْيَا مُتَغَيِّرَةٌ  
مَا صَحَّ وَدَى إِلَّا أَعْتَلَّ وَدُكَّ لِي ،  
يَا أَلَيْنَ النَّاسَ أَعْطَافًا ، وَأَفْتَنَهُمْ  
حَسُنْتَ خَلْقًا ، فَأَحْسِنِ لَا تَسُوْ خُلُقًا ،  
وَعَنْ تَمَادِي الْأَمْسَى وَالشَّوْقِ سُلُوفَانَا  
أَمْ جِئْتَهُ عَامِدًا ظُلُمًا وَعُدُوانًا ؟  
وَإِنْ تَغَيَّرَ مِنْكَ الْعَهْدُ أَلُوفَانَا  
وَلَا أَطْعَمُكَ إِلَّا زِدْتَ عِصْيَانًا  
لَحْظًا ، وَأَعْطَرَ أَنْفَاسًا وَأَرْذَانًا  
مَا خَيْرُ ذِي الْحُسْنِ إِنْ لَمْ يُؤَلِّ إِحْسَانًا ؟

## أين وفاؤك؟

أَشْمَتَ بِي فِيكَ الْعِدَا      وَبَلَغْتَ مِنْ ظُلْمِي الْمَدَى  
لَوْ كَانَتْ يَمْلِكُ فِدْيَةَ      مِنْ حُبِّكَ الْقَلْبُ أَفْتَدَى  
كُنْتَ الْحَيَاةَ لِعَاشِقٍ      مُذْ حُلْتُ أَيْقَنَ بِالرَّذَى  
لَمْ يَسْلُ عَنْكَ ، وَلَوْ سَلَا      لَمَذَرْتُهُ ، فَبِكَ أَفْتَدَى  
ضَيَّعْتَ عَهْدَ مَحَبَّةٍ      كَالْوَرْدِ سَامَرُهُ النَّدَى  
أَيْنَ ادَّعَاؤُكَ لِلْوَفَا      ، وَمَا عَدَا حِمَا بَدَا <sup>(١)</sup>

## صريع الحب

لَوْ كَانَ قَوْلُكَ «مُتٌ» مَا كَانَ رَدْدِي «لَا»  
أَبْدَيْتَ لِي - مِنْ أَفَانِيَنِ الْقَلَى - عِبْرًا ،  
لَمْ تُبْقِ جَارِحَةً بِالْهَجْرِ مِنْ جَسَدِي  
فَلَيْغَنَ كَفَّكَ أُنِّي بَعْضُ مَنْ مَلَكَتْ ،  
وَلَتَقْضِ مَا شِئْتُ - مِنْ هَجْرٍ وَمِنْ صِلَةٍ -  
سَقِيَا لِعَهْدِكَ وَالْأَيَّامُ تُقْبِلُنِي  
إِذِ الزَّمَانُ بَلِيغٌ فِي مُسَاعَدَتِي  
إِنْ كَانَ لِي أَمَلٌ إِلَّا رِضَاكَ ، فَلَا  
يَا جَائِرَ الْحُكْمِ ، أَفْدِيهِ رَيْنَ عَدَلَا  
أَرْسَلْتَنِي - فِي أَحَادِيثِ الْهَوَى - مَثَلَا  
إِلَّا خَلَعْتَ عَلَيْنَهَا - بِالضُّنَى - حُلَلَا  
وَلَيْكَفِ طَرَفَكَ أُنِّي بَعْضُ مَنْ قَتَلَا  
لَا أَقْضِي مَا عِشْتُ سُلُوءَانَا وَلَا مَلَلَا  
وَجْهَ الشَّرُورِ بِهِ جَذَلَانٌ مُقْتَبِلَا  
يُهْدِي إِلَيَّ - تَفَارِيقُ الْمُنَى - مُجَلَا  
بُلَّغْتُ - يَا أَمَلِي - مِنْ دَهْرِي الْأَمَلَا

(١) في الأصل : « وما عدا فيما بدا . » وأصل المثل كما في مجمع الأمثال المبداني : « ما بدا مما بدا . » أي ما منعك مما ظهر لك أولا ، قاله علي بن أبي طالب للزبير بن العوام رضي الله عنهما يوم الجمل يريد ما الذي صرفك عما كنت عليه من البيعة ، وهذا متصل بقوله : « صرفني بالحجاز ، وأفسدتني بالمراق ، فما عدا مما بدا . »

## وفاء المحب

مَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي الْبَذَرُ الَّذِي كَمَلَا  
أَنْ الزَّمَانَ الَّذِي أَهْدَى مَوَدَّتَهُ  
أَمَّا الْحَبِيبُ الَّذِي أَبْدَى الْجَفَاءَ لَنَا،  
وَلَمْ تَرِدْ أَنْ ظَفِرْنَا مِنْ أَعْيُنِنَا  
أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي مَا زِلْتُ أُحِفُّهُ  
هَذِي الْحَقِيقَةُ ، لَا قَوْلِي مُخَازَعَةً :  
فِي مَطْلَعِ الْحُسْنِ - وَالْعُصْنِ الَّذِي أَعْتَدَلَا  
إِلَى مُرْتَهِنٍ شُكْرِي بِمَا فَعَلَا  
فَمَا رَأَيْنَا قِلَاهُ حَادِثًا جَلَلَا  
بِالْمُشْتَرَى ، فَتَجَبَّنَا لَهُ زَحَلَا  
ظِلَّ الْهَوَى ، وَأَسْقِيَهُ الرِّضَا عَمَلَا  
لَوْ كَانَ قَوْلُكَ «مُت» مَا كَانَ رَدِّي «لَا»

## انت حسبي

لَمْ يَكُنْ هَجْرِي حَبِيبِي عَنْ قَلِي  
سَرُّهُ شُكْرِي - إِذْ عَافَى - وَلَمْ  
أَنَا رَاضٍ بِالَّذِي يَرْضَى بِهِ  
مَثَلٌ فِي كُلِّ حُسْنٍ مِثْلُ مَا  
يَافَتَيْتَ الْمِسْكَ يَا شَمْسَ الضُّحَا  
إِنْ يَكُنْ لِي أَمَلٌ غَيْرَ الرِّضَا  
لَا وَلَا ذَاكَ التَّجَنِّي مَدَلَا  
يَذِرُ مَا غَايَةُ صَبْرِي فَأَبْتَلِي  
لِي مَنْ لَوْ قَالَ «مُت» مَا قُلْتُ : «لَا»  
صَارَ ذُلِّي - فِي هَوَاهُ - مَثَلَا  
يَا قَضِيبَ الْبَاكِ يَا رِيمَ الْفَلَا  
مِنْكَ ، لَا بُلَّغْتُ ذَاكَ الْأَمَلَا

## إلى هاجر

أَتَهْجُرُنِي وَتَغْصِبُنِي كِتَابِي ؟  
أَيَحْمِلُ أَنْ أَيْحَكَ غَحْضُ وَدِّي ؟  
فَدَيْتُكَ ، كَمْ تَمُضُّ الطَّرْفُ دُونِي  
وَكَمْ لِي مِنْ فُؤَادِكَ - بَعْدَ قُرْبِ -  
وَمَا فِي الْحَقِّ غَضْبِي وَأَجْتِنَابِي  
وَأَنْتَ تَسُومُنِي سُوءَ الْعَذَابِ  
وَكَمْ أَدْعُوكَ مِنْ خَلْفِ الْحِجَابِ  
مَكَانَ الشَّيْبِ فِي نَفْسِ الْكَعَابِ

أَعِذْ - فِي عَبْدِكَ الْمَظْلُومِ - رَأْيَا      تَنَالُ بِهِ الْجَزِيلَ مِنَ الثَّوَابِ (١)  
وَإِنْ تَبَخَّلَ عَلَيْهِ قَرُبٌ دَهْرٍ      وَهَبْتَ لَهُ رِضَاكَ بِلاَ حِسَابٍ

### لا سبيل إلى السلو

أَذْكَرَ تَنِي سَالِفَ الْعَيْشِ الَّذِي طَابَا      يَا لَيْتَ غَائِبَ ذَلِكَ الْعَهْدِ قَدْ آتَا  
إِذْ نَحْنُ فِي رَوْضَةٍ لِلْوَصْلِ - نَعْمَهَا      مِنَ الشَّرُورِ غَمَامٌ فَوْقَهَا صَابَا  
إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ شَوْقِي يُطَاوِلُنِي      فَكُلَّمَا قِيلَ فِيهِ: «قَدْ قَضَى»، ثَابَا  
كَمْ نَظْرَةٍ لَكَ فِي عَيْنِي عَلِمْتَ بِهَا      - يَوْمَ الزِّيَارَةِ - أَنَّ الْقَلْبَ قَدْ ذَابَا  
قَلْبٌ يُطِيلُ مَقَامَاتِي لِطَاعَتِكُمْ،      فَإِنْ أَكَلَفَهُ عَنْكُمْ سَلْوَةً يَابَا  
مَاتُوا بَنِي بَنُصُوحٍ - مِنْ مَحَبَّتِكُمْ -      لَا عَذَبَ اللَّهُ إِلَّا حَاشِقًا تَابَا

### انت الحياة

أَمَّا رِضَاكَ فَعَلِقَ مَالَهُ ثَمَنُ      لَوْ كَانَ سَامِحِي فِي وَصْلِهِ الزَّمَنُ  
تَبَكَّى فِرَاقَكَ عَيْنٌ أَنْتَ نَاطِرُهَا      قَدْ لَجَّ فِي هَجْرِهَا عَنْ هَجْرِكَ الْوَسَنُ  
إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي عَهْدِي بِهِ حَسَنُ      قَدْ حَالَ مُذْ غَابَ عَنِّي وَجْهُكَ الْحَسَنُ  
أَنْتَ الْحَيَاءُ فَإِنْ يُقَدَّرُ فِرَاقُكَ لِي      فَلْيُخَفِّرِ الْقَبْرُ أَوْ فَلْيَحْضُرِ الْكَفَنُ  
وَاللَّهُ مَا سَاءَ بِي أَنِّي جُفِيتُ ضَنِّي      بَلْ سَاءَ بِي أَنْ سِرِّي - بِالضَّنِّي - عَلَنُ  
لَوْ كَانَ أَمْرِي - فِي كَثْمِ الْهَوَى - بِيَدِي      مَا كَانَ يَعْلَمُ - مَا فِي قَلْبِي - الْبَدَنُ

### ذكرى معاهد قرطبة

عَلَى الثُّغْبِ الشَّهِيدِي مِثِّي تَحِيَّةٌ      زَكَّتْ ، وَعَلَى وَادِي الْعَمِيقِ سَلَامٌ  
وَلَا زَالَ نَوْرُ فِي الرُّصَافَةِ ضَاحِكٌ      بِأَرْجَائِهَا يَبْكِي عَلَيْهِ غَمَامٌ

(١) - قريب من هذا قول البحتري :

« أَعِذْ فِي نَظْرَةِ مُسْتَتِيبٍ      تَوَخَّى الْأَجْرَ أَوْ كَرِهَ الْأَنَامَا »



مَعَاهِدُ لَهْوٍ لَمْ تَزَلْ فِي ظِلَالِهَا  
زَمَانٌ رِيَاضُ الْعَيْشِ خُضِرَ نَوَاضِرُ  
فَإِنْ بَانَ مِنِّي عَهْدُهَا ، فَبَلَوَعَةٍ  
تَذَكَّرْتُ أَيَّامِي بِهَا ، فَتَبَادَرَتْ  
وَصُحْبَةُ قَوْمٍ كَالْمَصَابِيحِ ، كُلُّهُمْ  
إِذَا طَافَ بِالرَّاحِ الْمُدِيرُ عَلَيْهِمْ  
وَأَحْوَرُ سَاجِي الطَّرْفِ حَشْوُ جُفُونِهِ  
تَحَالُ قَضِيبَ الْبَاكِ - فِي طَلِي بُرْدِهِ -  
يُدِيرُ - عَلَى رَغَمِ الْعِدَا - مِنْ وَدَادِهِ  
فَإِنْ أَجَلُهُ أَدْعُو لِقُرْطَبَةَ الْمُنَى  
مَحَلَّ غَنِينَا بِالتَّصَابِي خِلَالَهُ  
فَمَا لِحَقَّتْ تِلْكَ اللَّيَالِي مَلَامَةٌ ،

تُدَارُ عَلَيْنَا - لِلْمُجُونِ - مُدَامُ  
تَرْفٌ ، وَأَمْوَاهُ الشَّرُّورِ جِهَامُ  
يَسُبُّ لَهَا - بَيْنَ الضَّلُوعِ - ضِرَامُ  
دُمُوعٌ ، كَمَا خَانَ الْفَرِيدَ نِظَامُ  
- إِذَا هَزَّ لِلْخَطْبِ الْمِلْمِ - حُسَامُ  
أَطَافَ بِهِ بِيضُ الْوُجُوهِ ، كِرَامُ  
سِقَامُ بَرَى الْأَجْسَامَ مِنْهُ سِقَامُ  
إِذَا أَهْتَزَّ مِنْهُ مَعْطِفٌ وَقَوَامُ  
سُلَافًا ، كَأَنَّ الْمِسْكَ مِنْهُ خِتَامُ  
بِسْقِيَا ضَعِيفِ الطَّلِّ وَهُوَ رِهَامُ <sup>(١)</sup>  
فَأَسْنَعَدْنَا ، وَالْحَادِثَاتُ نِيَامُ  
وَلَا ذُمَّ - مِنْ ذَلِكَ الْحَبِيبِ - ذِمَامُ

### غدر الحبيب

أَجِدُ ، وَمِنْ أَهْوَاهُ - فِي الْحُبِّ - عَابِثُ  
حَبِيبٌ نَأَى عَنِّي - مَعَ الْقُرْبِ وَالْأَسَى -  
جَفَانِي بِالْإِطَافِ الْعِدَا ، وَأَزَالَهُ  
تَغَيَّرْتُ عَنْ عَهْدِي ، وَمَا زِلْتُ وَائِقًا  
وَمَا كُنْتُ - إِذْ مَلَكَتْكَ الْقَلْبَ - عَالِمًا  
فَدَيْتُكَ ، إِنْ الشَّوْقُ لِي - مَذْهَجَ تَنِي -

وَأَوْفَى لَهُ بِالْعَهْدِ ، إِذْ هُوَ نَاكِثُ  
مُقِيمٌ لَهُ - فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ - مَا كِثُ  
- عَنِ الْوَصْلِ - رَأَى فِي الْقَطِيعَةِ حَادِثُ  
بِمَهْدِكَ ، لَكِنْ غَيَّرْتَكَ الْحَوَادِثُ  
بِأَنِّي - عَنْ حَقِّي - بِكَفِّي بِأَحِثُ  
مُيِّتٌ فَهَلْ لِي - مِنْ وَصَالِكَ - بَاعِثُ ؟

سَتَّبَلَى اللَّيَالِي - وَالْوِدَادُ بِحَالِهِ - جَدِيدٌ ، وَتَفَنَى وَهُوَ لِلْأَرْضِ وَارِثُ  
وَلَوْ أَنَّنِي أَقْسَمْتُ : أَنَّكَ قَاتِلِي وَأَنْتَ مَقْتُولٌ ، لَمَا قِيلَ : « حَانِثٌ . »

### اصنع ماشئت

يَا نَاسِيَا لِي - عَلَى عِرْقَانِهِ - تَلْفَى ذِكْرُكَ مِنِّي بِالْأَنْفَاسِ مَوْصُولُ  
وَقَاطِعَا صِلَتِي - مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبَ - تَأَلَّهَ : إِنَّكَ - عَنْ رُوحِي - لَمَسْتُوْلُ  
مَاشِئْتَ فَأَصْنَعُهُ ، كُلُّ مِنْكَ مُحْتَمَلُ ، وَالذَّنْبُ مُغْتَفَرُ ، وَالْمُذْرُ مَقْبُولُ  
لَوْ كُنْتُ حَظِّي ، لَمْ أَطْلُبْ بِهِ بَدَلًا ، أَوْ نِلْتُ مِنْكَ الرِّضَا ، لَمْ يَبْقَ مَأْمُولُ

### أمنية

يَا قَاطِعَا حَبْلَ وُدِّي وَوَاصِلَا حَبْلَ صَدِّي  
وَسَالِيَا ، لَيْسَ يَذَرِي بِطُولِ بَيْتِي وَوَجْدِي  
لَوْ كَانَتْ هُنْدُكَ مِنِّي مِثْلُ الَّذِي مِنْكَ عِنْدِي  
لَبِتَّ - بَعْدِي - مِثْلِي ، وَبِتَّ - مِثْلَكَ - بَعْدِي

### نفسي فداؤك

لَوْ تَرَكْنَا بِأَنْ نَعُودَكَ عُدْنَا وَقَضَيْنَا الَّذِي عَلَيْنَا وَزِدْنَا  
غَيْرَ أَنْ الْهَوَى اسْتَطَارَ حَدِيثًا ، فَأَنْتَحَتْنَا الْعُيُونُ لَمَّا حُسِدْنَا  
فَلَوْ أَنَّ النُّفُوسَ تُقْبَلُ مِنَّا ، لَسَمَحْنَا بِهَا - فِدَاءَ - وَجَدْنَا

### دين الحب

يَا غَزَا لَا جُمِعَتْ فِيهِ - مِنَ الْحُسْنِ - فُتُونُ  
أَنْتَ فِي الْقُرْبِ وَفِي الْبُعْدِ - مِنَ النَّفْسِ - مَكِينُ  
بِهَوَاكَ - أَلْهَرَ - أَلْهُو ، وَبِحُبِّيكَ أَدِينُ

مُنِيَّة الصَّبِّ : أَغْنِي ،  
وَأَحْفَظِ الْمَهْدَ ، فَإِنِّي  
وَأَرْحَمَن صَبًّا شَجِيًّا  
لَيْلُهُ هَمٌّ وَغَمٌّ ،  
شَفَةُ الْحُبِّ ، فَأَمْسِي  
صَارَ - لِلْأَشْوَاقِ - نَهْبًا ،  
قَدْ دَنَتْ مِنِّي الْمُنُونُ  
لَسْتُ - وَاللَّهِ - أَخُونُ  
قَدْ أَذَابَتْهُ الشُّجُونُ  
وَسَقَامٌ ، وَأَنِينُ  
- سَقَمًا - لَا يَسْتَبِينُ  
فَنَبَتْ عَنْهُ الْعُيُونُ

### وفاء

يَبْنِي وَيَبْنِيكَ مَا لَوْ شِئْتَ لَمْ يَضِعْ  
يَا بَائِمًا حَظَّهُ مِنِّي ، وَلَوْ بُذِلَتْ  
يَكْفِيكَ أَنْكَ - إِنْ حَمَلَتْ قَلْبِي مَا  
تِهَ أَخْتَمِلُ ، وَاسْتَطِلُّ أَصْبِرْ ، وَعِزَّ أَهْنُ ،  
سِرٌّ إِذَا ذَاعَتْ الْأَسْرَارُ - لَمْ يَذْجِ  
لِي الْحَيَاةُ - بِحَظِّي مِنْهُ - لَمْ أُبِيعْ -  
لَمْ تَسْتَطِعْهُ قُلُوبُ النَّاسِ - يَسْتَطِيعُ -  
وَوَلَّ أَقْبِلْ ، وَقُلْ أَسْمَعْ ، وَمُرْ أَطِيعْ -

### في سبيل الهوى

قَدْ نَالَني مِنْكَ مَا حَسَنِي بِهِ وَكَفَى  
عَلَّلْتَنِي بِالْمُنَى - حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ  
غُيِّرَتْ عَنْ خُلُقِي - قَدْ لَانَ لِي زَمَنُكَ -  
لَا يَحْبُطُنْ عَمَلٌ - أَرْضَاكَ صَالِحُهُ -  
يَا مَنْ تَنَاهَيْتُ - فِي الْطَافَةِ فَجَعَلَا  
بِالنَّفْسِ - لَمْ أُعْطَ مِنْ أَسْبَابِهَا طَرْفَا  
لَيْنَ النَّسِيمِ ، فَلَمَّا لَدَّ لِي عَصْفَا  
فَفِي سَبِيلِكَ أَنْفَقْتُ الْهَوَى سَرَفَا

### صلة المحب

سِرِّي وَجَهْرِي أَنَّنِي هَامٌّ ،  
لَا يَتَمَّ الْوَأَشِي الَّذِي غَرَّنِي  
عُدْتُ إِلَى الْوَصْلِ - كَمَا أَشْتَهِي -  
قَامَ بِكَ الْعُذْرُ ، فَلَا لَأْتُمْ  
هَآ أَنَا - فِي ظِلِّ الرِّضَى - نَأْتُمْ  
فَالْهَجْرُ بَالِكِ ، وَالرِّضَى بَالِيمُ

حَسْبِي، أَنَا الْمَظْلُومُ - فِيمَا جَرَى،  
يَا سَائِلًا عَمَّا بِنَفْسِي لَهُ  
مَعْنَى الْهَوَى أَنْتَ وَشَخْصُ الْمُنَى،  
وَأِنْ تَشَأْ قُلْتَ : «أَنَا الظَّالِمُ»  
- تَجَنَّبًا - وَهُوَ بِهِ عَالِمٌ  
دَعْنِي يَمَّا يَزْعُمُ الزَّاعِمُ

### مقيم على العهد

عَذِيرِي مِنْ خَلِيلٍ يَسْتَطِيلُ  
وَيَرْضَى أَنْ تَضِيعَ سُدَى<sup>(١)</sup> حُقُوقِي،  
أَشْمَسًا أَشْرَقَتْ مِنْ عَبْدٍ شَمْسٍ  
أَمَّا يُمْنَحَى عِتَابُكَ كُلَّ يَوْمٍ ؟  
يَمِيلُ - مَعَ الزَّمَانِ - كَمَا يَمِيلُ  
وَبَاعِي فِي الْهَوَى بَاعٌ طَوِيلُ  
أَمَّا لَكَ - فِي سِوَى قَلْبِي - أَقُولُ ؟  
أَمَّا يُرْجَى - إِلَى وَصْلِ - وَصُولُ ؟  
وَلَوْ أَجِدُ السَّبِيلَ لَطَرْتُ وَجَدًا،  
وَلَكِنْ مَا إِلَى هَذَا سَبِيلُ  
كِتَابِي - عَنْ وَدَادِكَ - لَا يَزُولُ،  
وَعَهْدِي - مِثْلَ عَهْدِكَ - لَا يَحُولُ

### آلام المحب

يَا مُعْطِشِي - مِنْ وَصَالٍ كُنْتُ وَارِدَهُ -  
كَسَوْتَنِي - مِنْ ثِيَابِ السَّقَمِ أَسْبَغَهَا -  
إِنِّي بَصُرْتُ الْهَوَى، عَنْ مُقْلَةٍ كُحِلَتْ  
لَمَّا بَدَا الصَّدْعُ مُسْوَدًا بِأَنْحَرِهِ  
أَوْفَى إِلَى الْخَدِّ، ثُمَّ أَنْصَاعَ مُنْعَطِفًا  
لَوْ شِئْتُ زُرْتُ وَسِلِكَ النَّجْمِ مُتَّخِظًا،  
صَبًّا - إِذَا التَّدْتِ الْأَجْفَانُ طَعْمَ كَرَى  
هَذَا وَإِنْ تَلِفَتْ نَفْسِي، فَلَا عَجَبُ،  
هَلْ مِنْكَ لِي غُلَّةٌ إِنْ صَحْتُ : « وَاعْطَشِي »  
ظُلُمًا - وَصِيرَتْ مِنْ لُحْفِ الضَّنَى فُرْشِي  
بِالسَّحْرِ مِنْكَ، وَخَدَّيْ بِالْجَمَالِ وَشِي  
أَرَى النَّسَائِمَ بَيْنَ الرُّومِ وَالْحَبَشِ  
كَالْمَقْرُبانِ أَتَنَنِي مِنْ خَوْفٍ مُخْتَرِشِ  
وَالْأَفْقُ يُخْتَالُ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْعَبَشِ -  
جَفَا الْمَنَامَ، وَصَاحَ اللَّيْلُ : « يَا قُرْشِي »  
قَدْ كَانَ مَوْتِي - مِنْ تِلْكَ الْجُفُونِ - خُشْيِي

## إلى المعتمد

أَيُّهَا الظَّافِرُ لَا زِلَّتْ مَدَى الدُّنْيَا مُظْفَرُ

### (١) الأحاجي والألفاظ والمعميات

افتن كثير من النظاميين والكتاب في طرق الألفاظ والتعمية ليمتحنوا بها الدكاء والقسورة على مك الطلاسم والمعميات ، ويزجوا بها أوقات فراغهم الطويلة ، وهو عمل شاق مضمّن لا يقدم عليه إلا من فرغ باله من مشكلات الحياة وجدها . وأكثر أنواعه تافه لا خطر له ، وسنلم بطائفة كبيرة منها . وثمة أنواع من التعمية تقوم عند الملوك والأمراء إلى ذلك العهد مقام الشجرة ، وتطير الحمام الزاجل وما إلى ذلك من وسائل الخبارة السرية ، ومن يدري ؟ فربما كان ماداريين ( ابن زيدون ) و ( المعتمد ) من هذا النوع لم يكن يقصد به قتل الوقت والتسلية أو امتحان الدكاء لحسب ، وإنما كان يقصد به فوق ذلك المراتب على بعض ضروب الخبارة السرية التي كانت تمس إليها حاجة الدولة ، ويستعملها أنصارها السياسيون للتعمية على غيرهم من خصومهم . وربما كان للتسلية وحدها وترجية أوقات الفراغ الطويلة أيضا .

والطريقة التي تبناها المعتمد وابن زيدون هي إحدى هذه الطرق العديدة ، ولم نعتز عليها — فيما قرأناه من كتب الألفاظ على كثرتها — ولم نشر إليها المعاجم العربية ، ولكننا استنتجناها من الأشعار التي دارت بينهما ، ومن قول « المقرئ » صاحب « نفع الطيب » الذي عزز ما ذهبنا إليه . وخلاصة هذه الطريقة أن يطير أحد المتراسلين إلى الآخر بيتا شائعا في قصيدة أو بيتين ويرمز لكل حرف من حروفهما باسم طائر بعينه .

قال المقرئ :

« وكتب ابن زيدون إلى المعتمد :

« وأفاك نظم لي في طيه معنى معنى اللفظ مستور

مرامه يصعب ما لم يح بالسر - قرى وشعرور .»

قال : « ثم ذكر أبياتا ، فيها أسماء طيور ، عمى بها عن بيت طيره فيها ، والبيت المطير هو :

« أت - إن كز - ظافر - طيطع من ينافر . »

ففسكه « المعتمد » وجاوبه :

« جاءني الطير التي سرها نظم به قلبي سرور . » اه .

وستمر بك هذه القصيدة في « ص ٢٩٩ » من هذا الديوان .

ويؤيد هذا الاستنتاج قول المعتمد :

« أرسل طيور الشعر نحوى فقد بث وؤادى شرك الفهم . »

وقول ابن زيدون للمعتمد :

« وأفاك للطير سرب لديه سر مكم . »

ولا تكاد تخلو قصيدة — من هذا النوع — من ذكر الطيور كما يرى القاري في القصائد التالية ، وسنثبت القصيدة التي نحن بصدها في المرح ونقمها بمجدول نورد فيه على الترتيب أسماء الطيور التي ذكرها فيها ، وتقرن كل طائر بحرف هجائه ليتسنى للقاري استخراج البيت المطير بنفسه ، وهما الأبيات :

« فاسأل الشاهين ، والصقرين ، والعنقاء تخبر

أَنْتَ أَصْنَى ابْنٍ لِأَسْمَى      وَالِدِي فِي أَمْدَهْرِ فَأَفْخَرُ  
إِنْ تُرِدْ شَرَحَ مُعْنَى      هُوَ فِي تَطْمِيٍّ مُضْمَرٍ

ثم رال القفر ، والف      سياد ، والنسر المعمر  
ثم بعد الديك صد لذة      سر ، والزال المنفر  
ثم بعد للنسر والرا      ل ، فشكل قد تكرر  
والجباري ، والسماي      والشسقراق المحير  
ثم سائل بعدما ألبا      زى - إن حل فصرصر  
معها الطاوس والديك      ك إذا بالصبح بشر  
تسلوه القمري مهما      ردد السجع فقرفر  
ثم ناد الهيق والرا      ل ، لعل السر يظهر  
وتعيف ما لدى القب      جين من خاف سيظهر  
ثم بعد للنسر والرا      ل ، هما - في الأسر - أكثر  
وازجر المعقوق الزج      ر ، إن الطير يزجر  
وليل الزال سماي      وشسقراق تأخر . «

فليس فيها إلا أسماء طيور بعينها ترمز إلى حروف بعينها ، ونحن نبينها للقارى لتكون نموذجاً - لمن  
يعنيه حل أمثال هذه المعانيات ، والبيت المعنى الذي يستخرج من هذه الأبيات هو :  
« صدق لنا قال الله تظهر على الكلمة . »

وأنت إذا تدبعت ما فيها من أسماء الطيور تجد أن كل طائر في مقابلة حرف من حروف هجاء البيت ونحن  
نضع حروف البيت وأمام كل حرف طائره الذي يدل عليه في الجدول الآتي ليتبين للقارى طريقة الحل ،  
وهذا هو الجدول :

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
ص	شاهين	ا	نسر	ع	هيق
د	صقرين	ل	زال	ل	زال
ق	عنقاء	س	جباري	ي	قبيجين
ل	زال	م	سماي	ا	نسر
ن	فياد	ه	شقراق	ل	زال
ا	نسر	ت	بازي	ك	عقوق
ف	ديك	ظ	طاوس	ل	زال
ا	نسر	ف	ديك	م	سماي
ل	زال	ر	قري	ه	شقراق

## فَأَمَّا الشَّاهِينَ ، وَالصَّقْرَيْنِ ، وَالْمَنْقَاءَ — تُخْبِرُ ثُمَّ رَأَى الْقَفَرَ ، وَالْفَيَّادَ ، وَالنَّسْرَ الْمَعْمَرُ

والى القارىء معاني هذه الكلمات :

الشاهين : ضرب من الصقور أكدر أبنت أى رمادى اللون .

المنقاء : طائر خرافى لا وجود له إلا فى شعر الشعراء .

رأى : ولد النعام ، وسيدرك بك فى « ص ٢٨٤ »

الفياذ : ذكر البوم .

نسر : النسر طائر عظيم من جوارح الطير سمي بذلك لأنه ينسر الشيء ويقتلعه ويقتنصه والكثير الريش

منه يسمى الغداف .

ديك — الديك : ذكر الدجاج .

رال : ولد النعام .

جبارى — الجبارى : طائر فى حجم الديك الهندي كثيرة الريش ، ومنها بيضاء وكدراء .

مبانى : طائر معروف فوق المصفور ، ويجمع على مبانيات .

قالوا : وهو ينوص فى البحر بأحد جناحيه ويقم الآخر كالمقلع للسفينة ، فتدفعه الريح إلى ساحل البحر .

وكثيراً ما يوجد ببلاد السواحل ، وله صوت حسن ومن شأنه أنه يسكت فى الشتاء ، فإذا أقبل الربيع صاح .

شقراق : طائر صغير بقدر الحمام أخضر مشع الحضرة ، حسن المنظر ، فى جناحيه سواد وعده الجاحظ نوحاً

من الغربان . يألف الروابى وروس الجبال . وله مشى ومصيف ، قال الجاحظ وهو كثير الاستغاثه ، إذا

سرى به طائر ضربه بجناحيه وهاج كأنه هو المضروب .

بازى — البازى : من الصقور الأزرق الأحوى ، والأرقط القصير الجناحين الغليظ .

طاوس : طائر فى نحو قدر الاوزة ، حسن اللون ، والذكر منه غاية فى الحسن له فى رأسه ذؤابة قائمة

كالشربوش ، وفى ذنبه ريش أخضر طويل فى أحسن منظر ، وليس للأنثى مثل ذلك وفى طبعه الزهو

بنفسه والاعجاب بريشه ، وفى الحريف ياقى ريشه كما ياقى الشجر ورقه ، فإذا بدا طلوع أوراق الأشجار

طلع ريشه .

قبرى سبر بك فى « ص ٣٠٤ »

هبق : ذكر النعام ، قال أبو العلاء على لسان جنى فى رسالة العفران :

« وأركب الهبق — فى الظلماء — معتسفاً أو لا ، فذب ريادات مرورا . »

قبجين : مشى قبيح وهو السكروان وسيدرك بك فى « ص ٣٠٤ »

عمق — العمق طائر كالفراب ضخيم طويل المنقار يحجل «جلانا» ، وهو يدجن ولونه ألبق يبيض وسواد .

شقراق — الشقراق : طائر مرقط بخضرة وحمرة ويبيض ويكون بأرض الحرم .

## ثُمَّ - بَعْدَ الدَّيْكِ - عُدَّ لِلنَّسْرِ وَالرَّأْلِ الْمَنْقَرِ

### أصل اشتقاق المغز

وأصل اشتقاق المغز - كما يروى النويرى - من أئمر اليربوع ولر ، إذا حفر لنفسه مستقيماً ثم أخذ يمتد ويسرة لبوارى بذلك ويعمى على طالبه .

ولفر أسماء ، فمنها : المعاية ، والمويص ، والرمز ، والحاجاة ، وأبيات المعاني ، والملاحن ، والمرموس ، والتأويل ، والسكاية ، والتبريس ، والاشارة ، والتوجيه ، والمعنى ، والمثل ، ومعنى الجميع واحد ، واختلافها بحسب اختلاف وجوه اعتباراته .

فالك إذا اعتبرته من حيث إن واضعه كأنه يمايك - أى يظهر لإعياءك وهو التبع - سميته : «معاية» وإذا اعتبرته - من حيث صعوبة فهمه واعتياص استجراحه - سميته : «عوضاً» .

وإذا اعتبرته - من حيث إنه قد عمل على وجوه وأبواب - سميته : «لغراً» . وفلك له : «إلغاراً» . وإذا اعتبرته - من حيث إن واضعه لم يفصح عنه - قلت : «رمز» . وقريب منه الاشارة .

وإذا اعتبرته - من حيث إن غيرك حاكك - أى استخرج مقدار عقبك - سميته : «محاجة» . وإذا اعتبرته - من حيث إنه استخرج كثرة معانيه - سميته : «أبيات المعاني» .

وإذا اعتبرته - من حيث إن قائله قد يوهمك شيئاً ويريد غيره - سميته : «الحنا» وسميت فلك : «الملاحن» . وإذا اعتبرته - من حيث إنه ستر عنك ورهس - فهو «المرموس» ، ورمس القبر .

وإذا اعتبرته - من حيث أن معناه يؤول إليك - سميته : «مؤولاً» . وسميت فلك : «تأويلاً» . وإذا اعتبرته - من حيث إن صاحبه لم يصرح بفرسه - سميته «أمرضاً» ، و «كناية» .

وإذا اعتبرته - من حيث إنه ذو وجوه - سميته : «الموجه» وسميت فلك : «التوجيه» . وإذا اعتبرته - من حيث إنه معطى عليك - سميته : «معدي» .

### طرق التعمية

ومن ضروب التعمية - ما ذكره الملقشندي - وهو أن يصطاح الانسان على إبدال حرف معين بحرف آخر معين - حيث وقع في القلم الممرور بالعمى - وهو أن جعلوا مكان كل حرف من حروف العربية حرفاً آخر من حروفها ، فجعلوا الكاف ميماً وبالعكس ، والألف واواً وبالعكس ، والدال راءاً وبالعكس ، والسين حياً وبالعكس ، والفاء ياءاً وبالعكس .

فيكتب «محمد» «كطكر» ، و «على» «سهب» ، و «مسعود» «كفسار» . وقس على ذلك .

وقد نظم بعضهم ذلك في بيت واحد ذكر فيه كل حرف تلو ما يبدل به ، وهو :

«كم أو حط صلالة درسمع في بز خش عض شئ تدفق» .

ومنهم من يمسح حروف الكلمة، فيكتب «محمد» «دعم» ، و «على» «يلع» . ومنهم من يبدل الحرف الأول من الكلمة بثانيه مطلقاً في سائر الكلام ، فيكتب : «محمد أخو على» : محمد خاعويل . إلى غير ذلك من التميزات .



## ثُمَّ عُدْ - لِلْفَسْرِ وَالرَّاءِ لِي - فَكُلُّ قَدْ تَكَرَّرَ

ومنهم من يبدل الحروف بأعدادها في الجمل فيكتب « محمد » « ٤٠ و ٨ و ٤٠ و ٤ » وتعمل التسمية صفة عاسية .

ومنهم من يكتب - هوض عدد الحروف - حروفا ، وهو أبلغ في التعمية ، فيكتب « محمد » « لى ، بو ، لى ، اج » لأن اللام والياء بأربعين ، وهى عدد ماللهم الأولى ، والباء والواو بثمانية ، وهى عدد ماللهاء ، واللام والياء أيضا بأربعين ، وهى عدد ماللهم الثانية ، والألف والجيم بأربعة وهى عدد ماللدال ، فكانه قال : « م ح م د . » وإن شاء أتى بهذه الحروف مما يتضمن غير هذه الأعداد .

ومنهم من يجعل لكل حرف اسم رجل أو غيره . ومنهم من يضع الحروف على منازل القمر الثمانية والعشرين ، على ترتيبها على حروف « أبجد » :  
فيجعل الألف للشرطين ، والياء للبطين ، والجيم للثريا ، وهكذا إلى آخرها : فيكون بطن الحوت للغيث من « صطغ » .

وربما اصطلاح على الترتيب على أسماء البلدان أو الفواكه أو الأشجار ، أو غير ذلك ، أو صور الطير وغيره من الحيوانات ، إلى غير ذلك من ضروب التباسى التي لا يأخذها حصر .  
وأكثر أهل هذا الفن على أن يرسم الحروف أشكالا يخترعها فلما له مقبلة على ترتيب حروف المعجم ، والطريق في ذلك أن يثبت حروف المعجم ، ثم يرتب تحت كل واحد شكلا لا يمثل الآخر ، فكما جاءه في المعط ذلك الحرف كتبه بحيث لا يقع عليه غلط . ثم يفصل بين كل كلمتين ، إما بخط أو بنقط ، أو بياض ، أو دائرة ، أو غير ذلك .

وأكثر المتقدمين يجعلون الحرف المشدد بحروفي ، وللتأخرون يحملونه حرفا واحدا .  
وقد ذكر الفلقشندي - في ذلك - فصلا طويلا في الجزء التاسع من صبح الأعشى ، فليرجع إليه القارىء .  
« من ص ٢٢٩ إلى ٢٤٩ » إذا شاء .

### أمثلة من التعمية

ومن الأمثلة التي ذكرها النويري قول الحكيم أمير الدولة - المعروف بابن التليذ - ملعرا في الميزان :  
« ما واحد مختلف الأسماء يبدل في الأرض وفي السماء  
يحكم بالقسط بلا رياء أعمى يرى الرشاد كل رائي  
أخرس - لا من علة وداء - ينهى عن التصريح بالأيما  
يجيب - إن ناداه ذوامتراء - بالرفع والحفض عن النداء  
يفصح إن علق في الهواء . »

وهو بقوله : « مختلف الأسماء » يعنى : « ميزان » الشمس ، والاصططرابات ، وسائر آلات الرصد وهو معنى قوله : « يحكم في السماء » . وميزان الكلام : « النحو » وميزان الشعر : « العروض » وميزان الماء : « المنطق » وهذه الميزان والذراع والمسكيات .  
وقول آخر في الميزان :

« ما تقولون : فيما نزل من السماء ، وعلق في الهواء ، له عين عمية ، وكب شلاء ، ليس له - إن عدل -

## وَالْحَبَّارِى وَالسَّمَانِى وَالشَّقَرِاقِ الْمُحَبَّرِ

ثواب ، ولا عليه — إن جار — عقاب . خلق من ثلاثة أجناس ، تضعفمه الألفاس . جسده طار من غير لباس ، أخرس اللسان ، فى أذنه خرصان ، مكرر الذكر فى القرآن ، ينطوى — إذا نام — كالصل ، وفعله المستقبل . مثل ، وله فى الآخرة أكبر محل . «

وقول ابن الرومى فى فتيلة السراج :

« ماحية فى رأسها درة تسبح فى بحر قليل المدى ؟  
إن غبت كان المعنى حاضراً وإن بدت لاح طريق الهدى ! »

وقول السرى الرفاء فى شبكة الصياد :

« وكثيرة الأحداق ، إلا أنها صياد ، مالم تنمى فى ماء  
ولذا هى انقسمت أفادت ربها مالا يتال بأعين البصراء . »

وقول آخر فى النوم :

« وحامل يحملى وماله شخص يرى !  
إذا حصلت فوقه وهو لذيذ المتطى  
سريت لا أدرى أفى أرض سريت ؟ أم ما ؟ »

وقول المرمى فى ركابى السرج :

« خليلان يطفا فى جوانب مجلس جسداه قدام له ووداء  
مضى يصع الرجلان ماش عليهما يزل عنه — فى وشك — حفا وحفاء . »

قوله : « خليلان » لتشابههما ، والجلس : « السرج » ، وجداراه : « قروبسه » و « رادفته »  
والحفا متصور : « وجع الرجل » وعمدود ، من مشى الرجل حافياً بغير نعل .  
وقوله فى الملح :

« وبيضاء — من سر الملاح — ملكنها فلما قضت لارى حبوت بها صهي  
فباتوا بها مستمتين ، ولم تزل نخثهم — بعد الطعام — على الشرب . »  
قوله : سرأى : « حالصة » والملاح : جمع ملح ، والارب : الحاجة . وقول آخر فى الحرب .  
« ما ذات شوك لها جناح يختطف الناس عن قريب  
ومى عقيم ، ترى بنينا من بين مرد ، وبين شيب  
ياكل بعض البنين بعضاً طلوع شمس إلى غروب  
تصغيفها الداء — غير شك — قد يحسم الداء بالطبيب  
والدواء موكوسه مكان يصلح للطائر النجيب  
يعرفها من يكون طبا بالشعر والنحو والريب . »

فهذا لفر مسمى فى الحرب ، وشوكها : « السلاح » ، وجناحها : « جابها » ، ونعيم لأنها لا تلد ،  
وبنوها : « رجالها » ، وأكاهم : « قتاها » ، وتصغيفها : « الجرب » وعكسه : « برج »  
وقول آخر فى الندى :

« وما أخوان مشتهبان جدا كما اشتبه النراية والغراب »

## نَمَّ سَائِلٌ بَعْدَهَا الْبَا زِيَّ إِنْ حَلَّ فَصَرَّصَر

يضــــمهما على سر الليالي - وما اجتماعا ، ولا افترا - إهاب  
لذاك وذا ، دموع هاملات ، ولكن كل دمعهما شراب  
يصونهما عن الأبصار - دين - ويضرب - دون نيلهما - حجاب .  
وهما ثديا المرأة ، ويضمهما إهاب ، وهو : « الجلد »  
وقول آخر في الفخ :

« وما ميت كفتته ودفتته مقام إلى حي صحيح فأوثقه . »

وقول آخر في الصدى :

« وساكن يسكن في الغلاة ليس من الوحش ولا النبات  
ولا من الجن ، ولا الحيات ، ولا الحيام الشـمر والأيات  
ولا يذى جسم ولا حياة كلا ، ولا يدرك بالصفات  
بلى ، له صوت من الأصوات يسمع في الأحيان والأوقات . »

وقد ذكر النويرى أمثلة كثيرة من هذه الأنواع وأشباهاها ، ثم قال :

مسائل العويص

ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويص .

فمن ذلك قولهم :

« امرأتان التقنا برجلين ، قالتا لهما : «مرحبا بابنينا وزوجينا ، وابنى زوجينا . »

وذلك أن كل واحد منهما تزوج بأمر الآخر ، فهما ابناهما وزوجاهما وابنا زوجيهما

وقولهم :

« رجلان كل واحد منهما عم الآخر وابن أخيه . »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأمر الآخر ، فرزق كل واحد منهما ولدا ، فشكل من الولدين عم

الآخر وابن أخيه .

وقولهم :

« رجلان كل واحد منهما خال الآخر وابن أخته »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بابنة الآخر ، فرزق كل واحد منهما ولدا ، فشكل من ولديهما خال

الآخر وابن أخته .

وقولهم :

« رجل وامرأتان ، هو خال إحداهما وهي خالته ، وعم الأخرى وهي عمته . »

وذلك : أن جدته أم أبيه تزوجت بأخيه لأمه ، وأخته لأبيه تزوجت بأب أمه ، فولدتا بذين ، فبنت أخته

خالته ، وهو خالها ، وبنت جدته عمته وهو عمها .

وهذا أصل الأبيات المنظومة في ذلك :

« ولي خالة وأنا خالها ، ولي عمه وأنا عمها . »

## مَعَهُ الطَّائِسُ وَالَّذِي إِذَا بِالصَّبْحِ بَشَّرَ

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما ابن خاله الآخر وابن عمته »  
وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأخت الآخر ، فزوّج كل منهما ولدا ، فكل من ولديهما ابن خال  
الآخر وابن عمته .

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما عم والد الآخر . »  
وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأم أب الآخر ، فكل من أولادهما عم أب الآخر .

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما عم أم الآخر . »  
وذلك : أن كل واحد من أبويهما تزوج بابنة ابن الآخر ، فكل من أولادهما عم أم الآخر .

وقوله :

« رجلان ، كل واحد منهما خال أم الآخر . »  
وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بابنة بنت الآخر فكل من أولادهما خال أم الآخر .

وقوله :

« رجلان أحدهما عم الآخر ، والآخر حله » وذلك أن رجلاين تزوج أحدهما امرأة ، وتزوج الآخر ابنة  
ابنها ، فولد لكل منهما ولد فابن الأب عم ابن الابن ، وابن الابن من أم امرأة الأب هو أخوها وخال ابنها .

وقوله :

« رجلان ، أحدهما عم الآخر وخاله ، والآخر ابن أخيه وابن أخته »  
وذلك : أن رجلا له أخ لأب ، وأخت لأم ، فزوج أخاه لأبيه ، بأخته لأمه ، فأولدها ولدا ، فهما كذلك .  
وقد طلب الهمداني من الخوارزمي — أثناء مناظرته المشهورة — أن يكتب كتابا خاليا من الحروف العواطل ،  
وآخر أوائل سطورها كلها ميم وآخرها كلها هم الح « فسمى الخوارزمي ذلك شعبذة . وصدق في تسميته  
كل المصدق .

وما أحدر هذا الوصف بأمثال هذه الألعاب الكلامية .

ألفاز الحريري

ومن ألبار الحريري الذي اقتنى أثر الخوارزمي في مقاماته قوله في المقامة الفرضية — وهي مقامته الخامسة عشرة :

« أيها العالم العقيب الذي فا ق ذكاه ، فماله من شبيه  
أفتنا في قضية ، حاد عنها كل قاض ، وحار كل ققيه :  
رجل مات عن أخ مسلم حرّ تقى من أمه وأبيه  
وله زوجة ، لها — أيها الجبر — أخ خالص بلامويه  
فخوت فرضها ، وحاز أخوها ما تقى بالارث دون أخيه  
دأشقا بالحواب عما سألنا فهو نص ، لا خلف يوجد فيه . »

ثم حل هذا اللز بقله :

« قل لمن ياتر المسائل : إني كاشف سرّها الذي تخفيه  
إن ذا الميت الذي قدم السر ع أخا مهرسه عن ابن أبيه

## تَلُوهُ الْقُمْرِيُّ مَهْمَا رَدَّدَ السَّجْعَ فَقَرَّرَ

رجل زوج ابنة — عن رساء — بحمالة له ، ولا غرو فيه  
ثم مات ابنة ، وقد علقت منه ، لجأت بابن يسر ذويه  
وهو ابن ابنة — ينير مرء — وأخو مرسه ، بلا تمويه  
وان الابن الصريح أدنى إلى الجسد ، وأولى بآرثه من أخيه  
لذا — حين مات — أوجب للزوجة ، ثمن الترات تستوفيه  
وحوى ابن ابنة — الذى هو فى الأصل أخوها — من أمها باقية  
وتغلى الأخ الشقيق ، من الارث ، وقلنا : يكفيك أن تبكيه  
هاك مى الفتيا التى يحتذها كل فاض يقصى ، وكل فقيه .  
المقامة الشتوية

وقوله فى المقامة الشتوية .

« عدى أطجيب أرويا — بلا كذب — عن العيان — فكنونى : أبا العجب  
رأيت يا قوم ، أقواما غداؤهم بول المجوز ، وما أعنى ابنة العنب . »  
« بول المجوز » لبن البقرة ، والمجوز أيضاً من أسهاء الحر .  
« ومستنين من الأعراب قوتهم أن يشتوا خرقة تسمى من السغب . »  
« الخرقة » القطعة من الجراد .

« وعادين — متى ما ساء صنعهم ، أوفصروا فيه — قالوا : الدنب للحطب . »  
« القادر » الطامخ فى القدر والقدير المطبوخ فيها .

« وكاتبين وما خطت أناملهم حرفا ولا قرؤا ما خط فى الكتب . »  
« الكاتبون » الحرازون يقال كتب السقاء والمزادة إذا حرزها وكتب البعلة أو الناقة إذا جم شفرها  
وخطهما . قال الشاعر :

« لا تأمن فراريا حلوت به على قلوصلك واكتبها بأسيار . »  
« وتابمين عقابا فى مسيرهم على تكبيهم فى البيض واليب . »  
« العقاب » الراية وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب .

« ومتندين ذوى نسل بدت لهم نبيلة فانشوا منها إلى الحرب . »  
« النبيلة » الجيفة ومه تنبل البعير إذا مات وأروح يعنى تن .

« وعصبة لم تر البيت المتيق وقد حجت جثيا بلا شك على الركب . »  
معنى « حجت جثيا » أى غلبت بالحجة مجادين جاثين على الركب وجنى جمع جات .

« ونسوة بعد ما أدجن من حلب صبحن كاظمة من غير ما تعب . »  
« كاظمة » فى هذا الموضع من كظم التيفظ .

« ومدجلين سروا من أرض كاظمة فأصبحوا حين لاح الصبح فى حلب . »  
« فى حلب » أى أصبحوا يحملون اللبن .

« ويافماً لم يلامس قط فانيسة شامدته وله نسل من العقب . »  
« اللسل » مهنا العدو . قال تعالى — وهم من كل حذب ينسلون — « والعقب » مؤخر القدم .

## نَمُّ نَادِ الْهَيْقَى وَالرَّاءِ لَ، لَعَلَّ السَّرَّ يَظْهَرُ

- « وشائبا غير محف للثب بدا في البدو وهو فنى السن لم يشب . »  
 « الثائب » ههنا مازج اللين و « المشيب » اللين المزوج ويقال فيه مشيب ومشوب .  
 « وصرصاً بلبات لم يفه فقه رأيت في شـ جار بين السب . »  
 « الشجار » المحمة ما لم تكن مظالة ، فان ظالت فهو الهودج ، والسب ههنا الحل ، ومنه قوله تعالى  
 — فليبدد بسب إلى السماء —  
 « وزارعا ذرة حتى إذا حصدت صارت غيرةا يهواها أخوال الطرب . »  
 « البيرة » السكر المتخذ من الذرة يسمى أيضا الكركة ، وفي الحديث : إياهم والغيرة فانها خسر العالم .  
 « وراكباً وهو مفلول على مرس — غل أيضاً وماينفك من خيب . »  
 « المفلول » ههنا العطشان ، وغل أى عطش .  
 « ودا يد طلق يفتاد راحلة — ستمجلا وهو مأسور أحو كرب . »  
 « المأسور » الذى يحد الأسر وهو احتباس البول .  
 « وجالسا ماشيا تهوى مطيشه به ، وما فى الذى أوردت من ريب . »  
 « الخالس » الآلى نحدأ والماشى الذى كثرت ماشيته ، وعليه مصر بعضهم قوله تعالى — أن امشوا كأن  
 دواء لهم بكثرة المشاية والنماء والبركة .  
 « وحائكا أحدم الكفين ذا خرس فان مجتم مكم فى الخلق من مجب . »  
 « الحائك » ههنا الذى إذا مشى حرك منكبيه ولفج بين ركتيه .  
 « ودا شطاط — كصدر الرمع فامته — صادقة بى يشكر من الحدب . »  
 « الحدب » ما ارتفع من الأرض .  
 « وساعيا فى ممرات الأنام يرى إمرأهم مائعا ، كالظلم والكذب . »  
 « إمرأهم » يتقالم بالدين ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يترك فى الاسلام مفرح أى متقل من الدين  
 أو يقضى عنه دينه » .  
 « ومنسوما سحابة الرجال له وماله فى حديث الخلق من أرب . »  
 « الخلق » ههنا الكذب ، ومنه قوله تعالى — إن هذا إلا خلق الأولين .  
 « وذا دمام وقت دلمهد مته ولادمام له فى مذهب العرب . »  
 « الدمام » الثانى جمع ذمة ، وهى البثر القليلة الماء وهى بالمذهب الصلح أى ماله آبار قليلة الماء فى البدو .  
 « وذا قوى ما استبات قط لينته واينته مستين غير شجب . »  
 « اللين » تخيل الدقل ، ومنه قوله تعالى — ما قتلتم من لينة —  
 « وساجداً فوق ظل غير مكثرت بما أنى ، بل يراه أذل الغرب . »  
 « الفحل » الحصير المتخذ من خال النمل .  
 « وعاذرا مؤلما من ظل يعذره — مع الناطف — والمذور وصحب . »  
 « العاذر » الخاس « والمذور » المحتون .  
 « وبلدة ما يبا ماء لمنترف ، والماء يجرى عليها جرى منسرب . »

## وَتَعَيَّفُ مَا لَدَى الْقَبْرِ جَيْنِ مِنْ خَافِ سَيَظْهَرُ

- « البلدة » الفرجة بين الحاحين وتسمى أيضاً البلدة .  
 « وقرية - دون الخوص القطا - شحت بديلم عيشهم من حلة السلب . »  
 « القرية » بيت النمل « والديلم » النمل الكثير « وخلة السلب » لحاء الشجر .  
 « وكوكبا يتوارى عند رؤيته الاسان حتى يرى في أمتع الحب . »  
 « الكوكب » الكتنة البيضاء التي تحدث في العين « والاسان » ههنا إنسان الذين .  
 « وروثة قوت مالاله حطر - ونفس صاحبها بالماء لم تطاب . »  
 « الروثة » مقدم الأنث .  
 وصحفة من صار حائض ، شريت - عد الملكاس - بغير اطم من الذهب .  
 « النصار » هاهنا شجر السبع ، ومنه قول بعض النصارين : « لا بأس أن يشرب في قدح النصار » حتى به هذا .  
 « ومستحيشاً بحث - عاش ليدفع ما أظله من أعاديه فلم يح . »  
 « المستحيش » الجماعة عليهم دروع وأسلحة .  
 « وطالما سر في كلب وفي فة ثور ، ولكنه ثور بلا ذب »  
 « الثور » القطعة من الاقط ( وهو نوع من الجبن )  
 « وكم رأى ناظرى فيلا على حمل وقد تورك فوق الرجل والفتب . »  
 « الفيل » الرجل القاتل الرأى .  
 « وكم اميت - مرض اليد - مشتكياً وما شتكي قط في حد ولا لم . »  
 « المشتكى » المتخذ شكوة وهي القرية الصغيرة .  
 « وكنف أبجرت كرازا راعية - لدو - ينذر من عيبين كاشهت . »  
 « الكرازا » كيش يحمل عليه الراعي أدواته .  
 « وكم رأيت - قلقى عيين - ماؤهما يحرى من الرب والعينان وحلب . »  
 « الغرب » يجري الدمع « والعينان » الفلتان .  
 « وصادعاً بالقنا من غير أن علفت كفاء يوما برمج لا ولم يثب . »  
 « القنا » ارتفاع الأنث وتحدب وسطه « وصدع به » أى كذفه .  
 « وكم نزلت بأرض - لانخيل بها - وبعد يوم رأيت البسر في القلب . »  
 « البسر » جمع بسرة وهو الماء الحديث المهد بالمطر « وانقلب » جمع قلب .  
 « وكم رأيت - بأقطار الفلا - طبقا يطير في الجور منعبا إلى صيب . »  
 « الطبق » القطعة من الجراد .  
 « وكم مشاخ - في الدنيا - رأيتهم محلين ، ومن ينحو من المطب ؛ »  
 « المخلد » الذي أبطأ شبيهه .  
 « وكم بدالى وحش - يشتكى سفا - بمنطق ذلق أمضى من القصب . »  
 « الوحش » الرجل الجائع .  
 « وكم دعاني مستنج لحادنى وما أخل - ولا أحت - بالأدب . »

## ثُمَّ عُدَّ لِلنَّسْرِ وَالرَّاءِ لِحُمَا فِي الْأَمْرِ أَكْثَرُ

« المستنحي » الحالس على نحوه وهو المكان المرتفع .  
 « وكم أنحت فلو صى - تحت جنبذة - قطل ماشئت من عجم ومن عرب . »  
 « الحنبذة » القمة « والمرب » جمع عروب وهي المتعبية إلى زوجها من قوله تعالى - حرباً أثراً -  
 « كم نظرت إلى من سرّ ساعته - ودمعه مستهل العذار كالسحب . »  
 « سرّ » أى قطع سرره ويصمى ما يقي بعد القطع السرّة .  
 « وكم رأيت قيصاً ضرّاً صاحبه - حتى انتهى واهى الأعصاء والعصب . »  
 « القيص » الدابة الكثيرة القموص وهو الوثوب والقفز .  
 « وكم لآزار لو أن الدهر أثلغه - لطف لبديت السير مصطرب . »  
 « الآزار » المرأة ، ومنه قول الشاعر : \* مدى لك من أنى ثقة لآزاري \*  
 ثم يقول في حتام قصيدته :  
 « هذا وكم من أفانين ممحة - عندي ، ومن ملح تلهي ومن نخب  
 فان مطم لآحن الفول بان لكم - صدق ودلكم ظلى على رطبي  
 بان شدتهم ، فان المار - فيه - على - من لا يميز بين النع والغرب . »  
 المقامة النجرائية

وقوله - في المقامة النجرائية - في مروحة الخيش ، وهي ثياب خشنة من الكتان تستعمل في العراق تكون شبه شراع السفينة ، تملق في سقف البيت ، ويسدل لها حبل منها - تجر به - وتل بالماء ، وترش بماء الورد ، إذا أراد الرجل النوم ، حصد جلها ، فيهب منها نسيم بارد طيب يذهب أذى الحر ، ويستطاب معها النوم ، وقد أُلز فيها الحريري بقوله :

« وجاريه في سيرها - مشمعه - ولكن - على إثر المسير - قفوها  
 لها سائق - من - معها - يستحيا - على أنه - في الاحتاث - رسيها  
 ترى - في أوان القيط - تنطف بالندي ، ويدو - إذا زل المصيف - قفوها . »  
 وقوله لما زل في حابل النحل ، وهو الحبل الذي يصعد به النحل ، ويتخذ من اللحاء أى ليف النحل .  
 « ومنسب إلى أم - تنشأ أصله منها  
 يمايقها ، وقد كانت - عنه - برهة - عنها  
 به يتوصل الجاني ، ولا يلحى ، ولا ينهى . »

وقوله - ملء في القلم : -

« ومأموم ، به عرف الامام كما باحت بصحبته الكرام  
 له - إذ يرتوى - طيشان صاد ، ويسكن حين يعروه الأوام  
 ويدرى - حين يستقي - دموا يرقت ، كما يروق الابتسام . »

وقوله ملء في المروء الذي يكتمل به :

« وما ناكح أخين جبراً وخفية ، وليس عليه - في النكاح - سبيل ؟  
 حتى يشهدى ينش - في الحال - هذه ، وإن مال بمل لم تجده يميل  
 يريدما - عند المشيب - تمهدا وبراً ، وهذا - في البعول - قليل . »



## وَأَزْجُرِ الْعَقَقَ - حَقَّ الزَّجْرِ - إِنَّ الطَّيْرَ تُزْجَرُ

وقوله - ملفزاً في الدولاب : -

«وجاف، وهو موصول ووصول ليس بالجاف  
غريق بارز، فأعجب له، من راسب طافي  
يسبح دموع مضموم ويضم مضم متلاف  
وتخشى منسه حذته ولكن قلبه صافي.»

إلى آخر هذه الألفاظ التي تراها في هذه المقامة .

المقامة الملطية

وانظر قوله - في مقامته الملطية :

«يامن - إدا - أشكل المعنى جلتسه - أفكاره الطليقة

إن قال يوماً لك المحاجي : «خذ تلك» مأمثله حقيقة.»

وهو يعنى بذلك كلمة : «هاتيك» وها للتذنية ويعنى خذ، وتيك أى تلك .

وقوله : ماذا مثل قولهم : «حمار وحش زينا.»

يعنى كلمة «فرازين» والفرا حمار الوحش .

وقوله : ما مثل قولك للذى حاحاك : «أنفق تقمع»

يعنى كلمة «منتقم» من : الأمر من مان يعون، تقم مصارع وقم، من الوق، وهو الاذلال .

وقوله : مأمثل قولك للذى أضفى يحاسي : «فقط ملكي»

ومثله : «صنبور» صن الأمر من الصون، والبور : الهلكي .

وقوله : ماذا يماثل قولى : «استنش ربح مدامه»

ومثله : «دحراح» رح استنشق الرائحة، والراح : الحر .

وقوله : «سار بالليل مدة» أى شئ مثله ؟

ومثله : «سراحين» سرى سار ليلاً، وحين : مدة .

وقوله : لك البيان، فبين، مائل : «أحب فروقة»

ومثله : «مقلاع» من : الأمر من وسق : أى أحب، واللاع : الجبان .

وقوله : مأمثل قولك «أعط أب - ريقا يلوح بنير عروة»

ومثله : «أسكوب» أس : الأمر من الأوس، وهو الاعطاء، والكو : الابريق بغير عروة .

وقوله : ما مثل قولك للمجا جى ذى الذكاء : «الثور ملكي»

ومثله «اللالى» واللاى : نور الوحش .

وقوله : ماذا مثال : «صغير جعفة» بينه تيباما يتم به .

ومثله «مكاشفة» والمكاء : الصغير .

وقوله : ماذا يماثل قولى : جوع أمد بزاد ؟

يعنى «طوامير» طوى : جوع ومير : من ما ربه الطعام، وهو مثل قوله : أمد بزاد .

وقوله : ما مثل قول المحاجي : «ظهر أصابته عين ؟»

يعنى : «مطاهين» جمع مطعون، ومطا مثل ظهر، وعين - من طاه أى أصابه بالعين .

## وَلَيْلِ الرَّالِ سُمَانِي وَشِقِرَاقٍ تَأْخِزُ

- وقوله : ما مثل قولك للذي حاجيت : صادف جائزه ؟  
ومثله « الفاصلة » وهي الحائلة بين الشيتين سد الواسلة وكله ألى مثل صادف وتكتب بالياء إذا انفردت ، وصلة : جائرة أو عطية .  
وقوله : ألا اكشف لي ما مثل : « نازل ألف دينار »  
ومثله : « هادئة » تأبث الهادي ، والعشق أيما ، ومعنى ما : حذ وتناول ، وديه هي ما يعطى لأهل القليل ، وهي من الذهب ألف دينار .  
وتوله : ما مثل : « أحمل حلية » بين هريب — رجل .  
ومثله : « العاشقة » وهي اسم لمن يشي الرجل من الأضياف ، غاشية السرج ما يعطى به ومعنى النى أهل وشية : حلية .  
وقوله : ما مثل قولك للذي أضحي بحاجيك : « اكفف اكفف . »  
ومثله : « مهمة » وهو الصبراء ، ومعنى مه : اكفف وتكررها للتأكيد .  
وتوله : بين — رات دا بيان — ما مثل قول : « الشقيق أفك »  
ومثله : « أخطار » — جمع خطر ، وهو ما يؤدي إلى الهلاك ، وإذا فسكه كان : « أخ » من معانيه الشقيق ، وطار . أمز .  
وقوله : ما مثل قولك للمحامي دى الحمى : « ما اختار فسه »  
ومثله « أنزله » — جمع إبريق ، وإذا فسك كات أى ما اختار ، ورقة : اسم من أسماء الفضة .  
وقوله : أومح لنا ما مثل قير لك المحاسي : « دس جماعه »  
ومثله : « حامية » وهي ما يطفو على الماء ، وطأ : أسر من ودلى ، والعنة : الحانة .  
وقوله أرت المين ، قل لنا ما مثل قول : « حلى اسكت . »  
ومثله : « حنة » أى خل صه ، ومماها خل اسكت .  
وقوله في منامه الدية في حوار طويل بين فتيين .  
— ما تقول بين توصاً ثم لمس طهر نمله ؟  
— انقص رسوءه بفعله .  
— بين لمس زوجته .  
— فان توصاً ثم أنكاه أبرد ؟  
— نحدد الوصوء من صد ؟  
— بين بالبرد : اليوم  
— أيمح التوصى أقيه ؟  
— قد نذب إليه ، ولم يوحى عليه .  
— بين : الأديب .  
— أيحوز الوصوء مما يقده اثمان  
— وهل أنظف منه لاهريان

## لَكَ ذِهْنٌ - بِالَّذِي فِي الشَّعْرِ مِنْ خَبءٍ - سَيَشْعُرُ

يعنى : جمع ثعب ، وهو مسيل الوادى .

— أيسباح ماء الضرر ؟

— نعم ، ويحتب ماء البصير .

يعنى بالضرير : حرف الوادى ، وبالبصير : الكل

— أيحل التطوف فى الربيع ؟

— يكره ذاك للحدث الشبيع

يعنى بالتطوف : النقوط ، وبالربيع : النهر الصغير

— أيجب المسل على من أمى ؟

— لا ، ولو نى .

يعنى : من نزل « مى »

— فهل يجب على الخب غسل فروته ؟

— أجل ، وغسل ابرته .

يعنى بالبروة : لمة الرأس ، ولابرة : نظم المرق .

وهكذا إلى أن اسوى مائة مسألة من هذا النوع .

### المقامة النحوية

وقوله فى المقامة الرابعة والعشرين :

فما كلة هى — إن شئت — حرف شوب ، أو اسم لما فيه حرف حلوب ، وأى اسم يتردد بين مرد حازم وجمع ملازم ، وأية هاء — إذا التقت أمامت اشل ، وأطلقت المعقل ، وأين تدخل السين فتعمل العامل من غير أن تحامل ، وما منصوب أبداً على الظرف ، لا يحذفه سوى حرف ، وأى مضاف أهل من عرى الاضادة يعرورة ، واختلف حكمه بين مساء وغدوة ، وما العامل الذى يتصل آخره بأوله ، ويعمل مكوسه مثل عمله ، وأى عامل نائه أرحب منه وكراً ، وأظلم مكرراً ، وأكثر لله — تعالى — ذكراً ؟ وفى أى موطن تلبس الذكران ، براجم السوان ؟ وتبرر ربات الخيال ، معائم الرجل ؟ وأين يحب حفظ المراتب ، على المضروب والضارب ؟ وما اسم لا يعرف إلا باستضافة كلمتين ، أو الاختصار منه على حرفين ، وفى وضعه التزام ، وفى الثانى إلام ؟ وما وصف — إذا أردت بالون — نقص صاحبه فى العيون ، وقوم بالدون ، وخرج من الزبون وتعرض للهون .

وقد مره بقوله :

« أما الكلمة التى هى حرف شوب ، أو اسم لما فيه حرف حلوب » هى نعم . إن .

( وأما الكلمة التى هى حرف شوب أو اسم لما فيه حرف حلوب ) فهى نعم إن أردت بها تصديق الأخبار أو العدة عند السؤال فهى حرف وإن غلبت بها الابل هى اسم والنعم تذكر وتؤنث ، وتطلق على الابل وعلى كل ماشية فيها إبل ، وفى الابل الحرف وهى التامة الصامة سميت حرفاً تشبيهاً لها بحرف السيف ، وقبل أنها الصامة تشبيهاً لها بحرف الحبل ( وأما الاسم المتردد بين مرد حازم وجمع ملازم ) فهو سراويل . قال بعضهم هو واحد وجمعه سراويلات ، على هذا القول هو مردد وكى عن ضمه الحصر بأنه حازم ، وقال آخرون بل هو جمع واحده سراويل مثل شلال وشمايل ، وسربال وسراويل ، فهو على

## فَتأمل ما أنْبَرى فِكْرِي لَهُ ، ثُمَّ تَدَبَّرْ

هذا القول جمع ، ومعنى قوله ملازم أى لا ينصرف وإنما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثة ألف وبسدها حرف مشدد أو حرفان أو ثلاثة أوسطها ساكن لثقله وتفرده دون غيره من الجوع بأن لا نظير له فى الأسماء الآحاد ، وقد كنى فى هذه الأحجية عمالا ينصرف بالملازم كما كنى فى التى قبلها عما ينصرف بالملازم ( وأما الهاء التى إذا التحقت أضافت الثقل وأطلقت المعتقل ) فهى الهاء اللاحقة بالجمع المقدم ذكره كقولك صياغة وصياغة فينصرف هذا الجمع عند الحاق الهاء به لأنها قد أصارته إلى أمثال الآحاد نحو رهاية وكراهية لحذف هذا السبب وصرف لهذه الالة ، وقد كنى هذه الأحجية عما لا ينصرف بالمعتقل كما كنى فى التى قبلها عما لا ينصرف بالملازم ( وأما السبب الذى تمزج العامل من غير أن تجامل ) فهى التى تدخل على الفعل المستقبل وتفصل بينه وبين أن التى كانت قبل دخولها من أدوات نصب فيرتفع حينئذ للفعل وتنتقل أن عن كونها الناصبة للفعل إلى أن تصبح الخففة من الثفيلة ، وذلك كقوله تعالى - علم أن سيكون منكم مرضى وتقديره علم أنه سيكون ( وأما المنصوب على الظرف الذى لا يخفصه سوى حرف ) فهو عند إذ لا يجزى غير من خاصة وقول العامة ذهبت إلى عنده لحن ( وأما المضاف الذى أدخل من مرى الاضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة ) فهو لدن ولدن من الأسماء الملازمة للاضافة وكل ما يأتى بعدها مجرور بها إلا غدوة ، فإن العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالهم إياها فى الكلام ، ثم نوتها أيضا ليتبين بذلك أنها منصوبة لأنها من نوع المجرورات التى لا تنصرف ، وعند بعض النحويين أن لدن معنى عند والصحيح أن بينهما فرقا لطيفا وهو أن عند يشتمل معناها على مامو فى ملكك وممكنك مما دنا ملك وبعد عنك ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك ( وأما العامل الذى يتصل آخره بأوله ويميل معكوسه مثل عمل ) فهو يا ومعكوسها أى وكلتاها من حروف النداء وعملها ما فى الاسم المادى بيان وإن كانت يا أجول فى الكلام وأكثر فى الاستعمال وقد احتار بعضهم أن ينادى بأى القريب فقط كالمهزة ( وأما العامل الذى نأثبه أرحب منه وكرا ، وأعظم مكرأ ، وأكثر لله تعالى ذكرا ) فهو باء القسم وهذه الباء هى أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم فى قولك : أقسم بالله ، ولدخلها أيضا على المضمر كقولك بك لأفعلن ، وإنما أبدلت الواو منها فى القسم لأنها من حروف الشف ، ثم لتقارب معانيها لأن الواو تفيد الجمع والباء تفيد الالتصاق ، وكلاهما متفق والمعنيان متقاربان ، ثم صارت الواو المسدلة من الباء أدور فى الكلام وأغلق بالأقسام ، ولهذا ألز بأى أكثر لله تعالى ذكرا . ثم إن الواو أكثر موطا من الباء لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم ولا تعمل غير الجر والوار تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة باضمار رب وتنظم أيضا مع نواصب الفعل وأدوات العطف ، فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المسكر ( وأما الموطن الذى يلبس به الذكر أن براغ النسوان وتبرز فيه وبات الحجال نعمائم الرجال ) فهو مراتب العدد المضاف ، وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة فإنه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفتها كقوله تعالى - سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام - والهاء فى غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك قائم وقائمة ، وطام وطالمة ، وقد رأيت كيف انعكس فى هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى انتقل كل منهما فى ضد فاله وبرز فى بزة صاحبه ( وأما الموضع الذى يجب فيه حفظ المراتب على المصروب والضارب ) فهو حيث يشقه الفاعل بالفعل لتعذر ظهور علامة الاعراب فيها أو فى إحداها ، وذلك إذا كانا مقصورين مثل موسى وهيسى أو من أسماء الإشارة نحو ذاك ، وهذا فيجب حينئذ لازالة اللبس لإقرار

## وَأَعْتَقِدْ أَنِّي فِي « ثُمَّ » كَمَنْ خَطَّ فَسَطْرَ

كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقديمه والمفعول بتأخره ( وأما الاسم الذي لا يفهم إلا باستضافة كلمتين أو بالاختصار منه على حرفين ) فهو مهمما وفيها قولان أحدهما أنها مركبة من مه التي هي بمعنى أكفف ومن ما ، والقول الثاني وهو الصحيح أن الأصل فيها ما فزيدت عليها ما أخرى كما تزداد ما على أن ، فصار لفظهما ما ما ، فتقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فأبدلوا من ألف ما الأولى هاء فصارتا مهما ، ومهما من أدوات الشرط والجزاء ومضى لفظت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى إلا بإيراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل أفعل وتكون حينئذ ملتزما للفعل ، وإن اقتضت منها على حرفين وهما مه التي بمعنى أكفف فهم المعنى وكنت ملتزما من خاطبته أن يكف ( وأما الوصف الذي أردف بالنون نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون ) فهو ضيف إذا لحقته النون استحالة إلى ضمين وهو الذي يتبع الصيف ويثزل في النقد منزلة الزيف .

ومن ألا عيب الحريري قوله في مقامة أخرى - مما يقرأ طردا وعكسا في مقامته المغربية :

« لم أحمل ، كبر رجاء أجر ربك ، من يرب إذا بر ينم ، سكت كل من نَمَّ لك تكس » وقوله :

« أس أرملأ إذا عرا وارغ إذا المرء أما  
أسند أذا نباهة أبين أخاء دنأ  
أسل حناب عاشم مشاغب إن جلا  
أسر إذا هب مرا وارم به ، إذا رسا  
اسكن تقو ، فمضى يسف وقت تكسا . »

### المقامة القهقرية

وقوله في مقامته القهقرية :

« أتعرفون رسالة أرضها سهاؤها ، وصحبها مساؤها ، نسجت على منوالين ، وتحلت في لوزين ، ووصلت إلى جهتين ، وبدت ذات وجهين .

إن بزغت من مفرقها ، فهايك بروقها ، وإن طلعت من منربها ، فيا لمحبها »

وهذه الرسالة التي تقرأ من أولها كما تقرأ من آخرها هي :

« اللسان صنعة الأحسان ، ورب الجبل عمل الندب ، وشيبة الحر ذخيرة الخلد ، وكسب الشكر استثمار السعادة ، وعنوان الكرم تبشير البشر ، واستعمال المداراة يوجب المصافاة ، وعقد المحبة يقتضى النصح وصدق الحديث حلية اللسان ، ودماحة المنطق سحر الأبواب ، وشرك الهوى آفة النفوس ، وملل الحلائق شين الحلائق ، وسوء الطمع يابن الورع ، والتزام الحزامة زمام السلامة ، وتطلب المثالب شر المايب ، وتتبع المثرات يدحض المودات ، وخلوص النية خلاصة العطية ، وتهشة النوال ثمن السؤال ، وتكلف الكلف يسهل الخلف ، وتيقن المعونة يصنى المؤونة ، وفضل الصدر ، سعة الصدر ، وزينة الرعاة وقت السعاة ، وجزاء المدائح بث المناح ، ومهر الوسائل ، تشفيح المسائل ، ومجلة الفوايا استغراق العاية ، وتجاوز الحد ، يكمل الحد ، وتمدى الأدب ، يحيط القرب ، وتناسى الحقوق ، ينشئ المقوق ، وتحاشى الرب ، يردع الرتب ، وارتفاع الأخطار ، لاقتحام الأخطار ، وتنوء الأقدار بمواتاة الأقدار ، وشرف الأعمال ، وتقصير الآمال ، وإطالة الفكرة ، تنفيح الحكمة ، ورأس الرياسة ، تهذيب السياسة ، ومع اللجاجة ، تلغى الحاجة ، وبعد الأوجال تنفاضل الرجال ، ويتفاضل المهم تتفاوت القيم ، وبتزيد السفير ، يبن التديير ، وبخلل الأحوال تنبئن الأحوال ، وبموجب الصبر ثمرة الصبر ، واستحقاقه الاحقاد بحسب الاجتهاد ، ووجوب الملاحظة ، كفاه الملاحظة ،

## وَتَيَقِّنَنَّ أَنَّ مَا يَنْفَكُ أَبْرَسَوْفَ يَقْدَرُ

وصفاء الموالى ، بتمهد الموالى ، وتحلى المروءات بحفظ الأمانات ، واختيار الاخوان بتتخفيف الأحزان ، ووقع الأعداء بكف الأوداء ، وامتنعوا العتلاء بمقارعة الجهلاء ، وتبصر العواقب بؤن المعاطب ، وانقاء الشئمة بنشر السمعة ، وقبح السمعة ، وقبح الجفاء ينأى الوفاء ، وجوهر الأحرار عند الأسرار .

وقوله من خطبة لا نقط فيها ولا إغمام — فى مقامته السمرقندية : —

« الحمد لله المدوح الأسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعو لحسم اللاؤاء ، مالك الأمم ، ومصور الرمم ، وأهل السباح والسكرم ، ومملك عاد وإرم ، أدرك كل سر علمه ، ووسع كل مصر حلمه ، وعم كل طالم طوله ، وحد كل مازد حوله ، أحده حمد موحد مسلم ، وأدوده دطاء مؤمل مسلم ، وهو الله لا إله إلا هو الواحد الأحد ، العادل العدل ، لا ولد له ولا والد ، ولا رد . معه ولا مساعد ، أرسل محمداً للسلام بهذا الخ »

وفى مقامته المرافعية — رسالة ، « بحروف إحدى كتبها يصفها النقط وبحروف الأخرى — كما يقول — لم يجمعن قط » وحى :

« الكرم — ثبت الله حبش سمودك — يزين ، والائوم — غنى الله جفن حسودك — يشين . والأروع يثيب ، والممور يحيب ، والخلال يعيب ، والمحال يخيف ، والسامع يبدى ، والملك يقدى ، والعطاء ينحى ، والمطال يشحى ، والدعاء تقي ، والمدح يقي ، والحر يحرى ، والاطاط يحرى ، واطراح ذى الحرمة غنى ، وعمرمة بنى الآمال تقي ، وماض إلا سبي ، ولا دين إلا ضنبي ، ولا خرن إلا شقي ، ولا قبض راحه نقي ، وما تقي وعدك يني ، وآراؤك تشقى ، وهلاك يفي ، وحلك ينفى ، وآلاؤك تقي ، وأعداؤك تنى ، وحسامك يفي الخ الخ . »

وله رسالة سينية كتبها — على لسان بعض الأسراء — إلى بعض أصدقائه كتاباً :  
باسم السميع القدوس المستفتح ، وباسماده أستفتح ، سيرة سيدنا الأسفهملآر ، السيد النفيس ، سيد الرؤساء ، سيف السلاطين ، حرس نفسه ، واستنارت شمس ، وانسق أسه ، وبقى غرسه .  
إلى أن يقول :

« وسبب السلاطين مسأثر بأس الجماع وحسو الكؤوس  
سلاقي ، وليس لبأس السلاطين يناسب حسن سمات النفيس  
وسن تناسى حلاسه وأسوا السجاليا تناسى الحليس  
وسر حسودى نظم الرسوم ، ونظم الرسوم كرمس النفوس  
وساق الحسام بكأس السلاف ، وأسهمى بموس وموس . »

إلى آخر القصيدة .

ورسالة شبيهة ، وحى التى كتبها لأحد أصدقائه يمدحه فيها ، وفيها يقول :

« بارشاد المثنى أنثى ، شمو بالشبح شمس الشعراء ، ديش معاشه ، ومشا رياشه ، وأشرق شهابه ، واعشوشبت شعابه ، يشاكل شمع المثنى بالنشوى ، والرائقى بلرشوى ، والشادن شرح الشباب ، والمعطشان إلى شيم الشراب ، وشكرى لتجشمه ومشقته ، وشواهد شمه ، يشاكل شكر الشاهد للعنشد ، والمسترشد للمرشد ، والمستنصر المبشر ، والمستنحش للحبش المشمر ، وشعارى إنشاد شعره ، وإشجاء الكاشح والمكاشح بنشره . »

وهكذا إلى أن قال :

« فأشعاره مشهورة ، ومشاعره وعشرته مشكورة ، وعشائره  
شأى الشعراء المشعماين شعره مشاينه مشجوا الحشا ، ومشاعره  
وشوه ترقيش المرتش رقته ، فأشباعه يشكونه ، ومشاعره »

## إلى المعتمد على الله

« وكتب أيضا رحمه الله إليه أيده الله . »

يَأْتِيهَا الظَّافِرُ نِلْتَ الْمَنَى      وَلَا يَمْلَنَا فِيكَ مَحْذُورُ  
إِنْ أَلْخَلَ لَ الزَّهْرَ قَدْ ضَمَّهَا      تَوْبُ عَلَيْكَ الدَّهْرَ - مَزْرُورُ  
لَا زَالَ الْمَجْدِ الَّذِي شِدَّتْهُ      رَبْعٌ - بِتَغْمِيرِكَ - مَعْنُورُ  
حَتَّى يُوفَى فِيكَ مَا يَبْتَغَى      مُعْتَصِدٌ بِاللَّهِ مَنْصُورُ

\*\*\*

وَأَفَاكَ نَظْمٌ - لِي فِي طَيِّهِ -      مَعْنَى مُعَمَّى الْأَفْظِ مَسْثُورُ  
مَرَامُهُ يَضْعُبُ ، مَا لَمْ يَبْخُ      - بِالسَّرِّ - قُمْرِي<sup>(١)</sup> وَعُصْفُورُ  
وَبُلْبُلٌ ، ثُمَّ يَكْرُ الْأَذَا      تَقَدَّمَا ، فَالْأَفْظُ مَكْرُورُ  
ثُمَّ تَرَى الْبُلْبُلَ قَدْ حَمَّه      نَسْرٌ ، بِهِ الشَّفَقَيْنِ<sup>(٢)</sup> مَنَسُورُ  
ثُمَّ الْغُرَابُ الْجَوْنُ ، يَتْلُوهُ قُمْرِيٌّ      وَدَرَّاجٌ وَزَرَّزُورُ

وشاق الشباب الشم والشب وشيه ، فنشوره بشرى المشوق ، وناشره

شماله معشوته - كشحوله - وشريبه مستبشره ، ومعاشره ، «

إلى آخر القصيدة .

(١) القمري : طائر حسن الصوت - ويجمع على قماري - ويقال للذكر منه : الورشان .

قال ابن سيده : « القمري طير صغير » وعده - في انكمم - من الام .

وقد زعموا أن القماري - إذا ماتت ذكرورها - لم تتزوج لأنثاها .

والورشان - الذي هو ذكر القمري - يوصف بالحنو على أولاده ، حتى أنه ربما قتل نفسه إذا رآها في يد القانص ، وقد مرّ بك في « ص ١٠٧ » قول ابن زيدون :

« إن تبنى البلبل اهتا ج غناء الورشان »

(٢) الشفنين - كما في حياة الحيوان وابن البيطار - نوع من الحمام ، ولوا : « وهو الذي تسميه العامة

باليمام » وجمعه شفانين .

ثُمَّ يَلِي الدَّرَاجُ <sup>(١)</sup> - مِنْ بَعْدُ غِرْ نَيْقُ <sup>(٢)</sup> - وَمُكَّاءُ <sup>(٣)</sup> وَشُرْشُورُ <sup>(٤)</sup>  
وَبَاشِقُ ، ثُمَّ إِذَا حَلَقَ الشَّاهِينُ - وَالْمُصْفُورُ مَذْعُورُ -  
ثُمَّ سَلِ الْمَكَّاءُ يَصْدُقُكَ ، وَالْمُصْفُورُ ، وَالْقُمْرِيُّ مَزْجُورُ  
وَإِنْ جَرَى الدَّرَاجُ - فِي إِثْرِهِ - زَرْزُورُ - فَلَمَطُورِيُّ مَذْشُورُ  
وَتُحْمُ فَأَعْلَمُ أَنَّ مَوْضُوعَهَا حَرْفُ ، لِفَصْلِ اللَّفْظِ مَقْدُورُ  
وَفِي الَّذِي عَمَسَتْ نُصْحٌ ، لِمَنْ جَدَّ - مِنَ الْأَعْدَاءِ - مَشْكُورُ <sup>(٥)</sup>

(١) الدراج - بضم الدال - طائر ظاهر جناحيه أغبر ، وباطنها أسود - في حجم الفطا إلا أنه ألطف .  
والجاحظ بعده من جنس الحمام ، لأنه يجمع بيضه تحت جناحه كما يفعل الحمام .  
قالوا : وهو كثير الناج يبشر ، بقدوم الربيع ، وهو يصلح بهبوب الشمال وصفاء الهواء ، ويسو حاله  
بهبوب الجنوب ، حتى لا يقدر على الطيران .  
(٢) الفرنيق أو الفرنوق : طائر مائي ، وقيل هو الكركي أو طائر يشبهه .  
قالوا :  
وهو دون الحمام - في المقدار - ولونه الحمرة مع كورة ، وفي صوته ترجيع وتحزين .  
ومن شأنها أنها تحسن أسواتها - إذا اختلطت - ومن طبعه أنه إذا فقد أناه لم يزل - فيما يزعمون -  
أعزب إلى أن يموت ، وكذلك الأبي إذا فقدت ذكرها .  
قالوا :

وهو شديد الاحتراس ، وفيه ألفة للبيوت .

(٣) المكاء : طائر . (٤) الشرشور : طائر يسمى : « البرنقش » وجمعه شراشير .

(٥) والبيت المطير في هذه القصيدة هو :

« أنت - إن تمر - ظافر فليطع من ينافر . »

ولمع في الجدول التالي أمام كل حرف طائفة على الترتيب الذي ذكره في القصيدة هكذا : -

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
أ	قرى	غ	نسر	ف	دراج	ن	عصفور
ن	عصفور	ز	شفنين	ل	غرنيق	ي	مكاء
ت	بلبل	ط	غراب	ي	مكاء	ن	عصفور
ا	قرى	ا	قرى	ط	شرشور	ا	قرى
ن	عصفور	ف	دراج	ع	باشق	ف	دراج
ت	بلبل	ر	زرزور	م	شاهين	ر	زرزور



## جواب<sup>(١)</sup>

« جابره ذو الوزارتين رحمه الله . »

حَظِّي - مِنْ تُعْمَاكَ - مَوْفُورٌ      وَذَنْبُ دَهْرِي بِكَ مَقْفُورٌ  
وَجَانِبِي - إِنْ زَمَنِي رَامَهُ -      حَجْرُهُ<sup>(٢)</sup> لَدَى ظِلِّكَ مَحْجُورٌ

\* \* \*

يَا ابْنَ الَّذِي سَرَبُ الْهُدَى آمِنٌ      مُنْذُ أَنْبَرَى يَحْمِيهِ مَوْفُورٌ

وليعلم القارئ أن الشاهين في قوله : « ثم إذا خلق الشاهين . » ساقط ليس له حرف هاء كغيره من  
طيور القصيدة ، وقد أشار إليه بقوله :

« و ثم فاعلم أن موضوعها حرف لفصل اللفظ مقدور . »

وقد فكه المعتمد ، وجابره بالقصيدة التالية :

« يا خير من يلحظه ناظري ،      شهادة ما شابها زور  
ومن إذا ما ليل خطب دجا      لاح به - من رأيه - نور  
رأيتك - إما شمتة - صارم      عصب على الأعداء معهور  
جاءتني الطير التي سرّما      نظم به قلبي مسرور  
شعر هو السحر فلا تكروا      أنى به - ماعشت - مسحور  
اللفظ والقرطاس - إن شهابا -      قيل لها مسك وكافور  
وإنه لما اعتدى خاطري      مسائل جابوب عصفور  
هوى لجيش الطير من فكرتي      صقر قولي وهو مقهور  
ولاح لي بيت فؤادي له      دأبا على ودك مقصور  
حكك من شكرى يا سيدي      بما بدا لي منك موفور  
قصرت في نظمي فاعذرفن      صاماك في التقصير معذور  
فأنت إن تنظم وتثر نده      أعوز مظلوم ومشور  
لا يمدكم روض من الحظ في ال      إكرام والتزويج ممتور . »

(١) هت ابن زيدون بهذه القصيدة للمعتمد ردا على قصيدته التي ذكرناها في هذه الصفحة .

(٢) الحجر الكف أو الحرام ، يقال : « هذا حجر عليك » أي حرام و « نشأت في حجر دنان »

أي في كنفه ومنمته وحفظه وستره .

أَجَبْتُ أَمْرِي بِالَّذِي لَمْ يَزَلْ يُصْنِعِي إِلَيْهِ مِنْهُ مَأْمُورُ  
الْبَيْسَ مِنْكَ الْمَلِكُ أَسْنَى الْحَلَى بِظَافِرٍ يَتَمِيهِ مَنْصُورُ

\*\*\*

يَا مُرَوِّى الْمَأْمُورِ ، يَا بَنَ لَهْ تَجِدْ - مَعَ الْأَيَّامِ - مَأْمُورُ  
عَبْدُكَ - إِنْ أَكْثَرَ مِنْ شُكْرِهِ - فَهَوَّ بِمَا تُؤَلِّيه مَشْكُورُ  
إِنْ تَعَفُّ عَنْ تَقْصِيرِهِ مُنْعِمًا فَالَسَّرُو<sup>(١)</sup> أَنْ يُقْبَلَ مَيْسُورُ  
إِنْ حَالَ السَّحْرِ - إِنْ صُعِقَتْهُ - فِي صُحُفِ الْأَنْفُسِ مَسْطُورُ  
نَظْمٌ زَهَّابٌ مِنْهُ إِذْ جَاءَ فِي عِلْقٍ عَظِيمٍ الْقَدَرِ مَذْخُورُ  
هَوَى إِلَيْهِ طَرَبًا خَاطِرِي كَمَا تَلَقَّى الْوَصْلَ تَهْجُورُ  
لَا غَرَوْ أَنْ أُفْتِنَ إِذْ لَاحَظْتَ فِكْرِي مِنْهُ أَعْيُنُ حُورُ  
تَشِفُّ عَنْ مَعْنَاهُ الْفَاطَةُ كَمَا وَشَى بِالزَّاحِ بَلُورُ  
جَهَلْتُ - إِذْ غَارَ ضَمَّتُهُ - غَيْرَ أَنْ لَا بُدَّ أَنْ يَنْفُتُ مَصْدُورُ

\*\*\*

يَا آلَ «عَبَادٍ» مَوَالِئِكُمْ ، زَاكٍ - مِنَ الْأَعْمَالِ - مَبْرُورُ  
إِنَّ الَّذِي يَرْجُو مَوَادَاتِكُمْ - مِنَ الْمُنَاوِينَ - لَمَغْرُورُ  
مَكَانَهُمْ مِنْكُمْ كَمَا انْحَطَّ عَنْ مَنَزَلَةِ الْمَرْفُوعِ - مَجْرُورُ  
يَدْنُو إِلَيْكُمْ مَا نَأَى عَنْكُمْ إِنَّ الْعُلَى مِنْ أَنْسِهِ نُورُ  
لَا زَأْتُمْ تَشَاوَنَهُمْ مَا انْجَلَى - عَنْ فَلَقِ الْإِصْبَاحِ - دَيْجُورُ  
وَلَا يَزَلْ يَجْرِي - بِإِبْرَائِكُمْ أَعْمَارُهُمْ - لِلَّهِ مَقْدُورُ

## إلى المعتمد

« وكتب أيضا رحمه الله إليه أيده الله . »

يَا مُرْضِيَا كُلَّ مَخْدَمٍ      وَمُرْوِيَا كُلَّ لَهْذَمٍ  
وَيَا سَمِيَّ الْمَصَلَّى      عَلَى أَسْمِهِ وَالْمُسَلَّمِ  
وَيَا ابْنَ أَعْظَمَ مَنْ هَا      بِهِ الْمُلُوكُ وَأَكْرَمُ  
وَأَفَاكُ - لِطَيْرٍ - سِرْبٍ      لَدَيْهِ سِرٌّ مُكْتَمٌ  
إِنْ تَسْأَلِ الطَّيْرَ عَنْهَا      مُسْتَعْلِمًا مِنْهُ تَعْلَمُ  
وَالْفُسْرُ وَالرَّهْوُ<sup>(١)</sup>      يُذَيِّبُكَ وَالظَّلِيمُ<sup>(٢)</sup> الْمَصْلَمُ

(١) الرهو : السكركي ، وهو - كما جاء في صبح الأعشى - طائر أعبر طويل الساقين في قدر الأوزة ، ويجمع على كراكي ، وفي طبعه خور يحمله على النحارس ، حتى إنه إذا - احتنع حماية من الكراكي - يحرصها بالنوبة بيثها ، ومن شأن الذي يحرص منها ، أن يبتف بصوت حر ، كأنه يندب بأنه حارس . فإذا قضى نوبته قام واحد من كان نائما يحرص مكانه حتى يقضى كل منها نوبته من الحراسة ، ولا تطير متفرقة بل صفا واحدا يقدمها واحد منها - كالرئيس لها - وهي تقيبه ، يكون ذلك حياء ، ثم يخلفه آخر منها مقدما حتى يصير الذي كان مقدما مؤخرا ، وفي طيها الناصر والعاقد ، ومن خاصتها أن أنها لا تقعد للساد بل يسعدا - وهي قائمة - ويكون سفاده مريما كالصفرور .

وقال القزويني - في عجائب المخلوقات :

والسكركي لا يمشي على الأرض إلا باحدى رجليه ، ويعلى الأخرى ، أو يصدها وضعا خفيها محاة أن تخفف به الأرض .

قال - في « المصيد والمطار » :

وهو من أهد الطير صرنا يسمع على أنيال .

قالوا : وكانت الكراكي تأتي إلى مصر من بلاد الترك ، وفي طليها وصيدها كانت تنال ملوك مصر تنالها لا يدرك حده ، وتنفق في ذلك الأموال الجمة .

(٢) الظليم - ذكر النعام - وقد جاء في صبح الأعشى - في مفروض الكلام عن النعام - قوله :

« هو طائر معروف ، مركب من صورتين جل وطائر ، ولذلك تسميه الترك « دواش » بمعنى « طير

جل » وتسميه الفرس « اشتر مرك » ومعناه « جل طائر » ويسمى ذكر النعام : الظليم . قالوا : ومساكنها الرمل ، وتضع بيضها سطرأ مستطيلا ، بحيث لو مد عليها خيط لم تخرج واحدة منها عن الأخرى ، ثم تغطي كل بيضة منها نصيبها من الحصن ، لأنها لا تستطيع ضم جميع البيض تحتها .

ثُمَّ الْهَدِيلُ <sup>(١)</sup> تَلِيهِ حَمَامَةٌ تَتَرْتَمُ  
إِلَى عُقَايَيْنِ تَدْعُو ثَمَّ الظَّلِيمَ فَيَفْقَهُنَّ  
ثُمَّ الْعُقَابُ <sup>(٢)</sup> مَعَ الصَّقْرِ، فَهَوَّ بِالْشَّرْحِ أَنْعَمَ  
وَالرَّالُ <sup>(٣)</sup> وَالرَّهْوُ وَالْقَبْجُ <sup>(٤)</sup> فَالثَّلَاثَةُ حَوْمٌ  
ثُمَّ الْعُقَابُ فَسَلَهُ وَالصَّقْرُ لَا يَتَلَعَّمُ

وإذا خرجت للطعم ، فوجدت بيض نعامة أخرى حضته ونسيت بيضا فربما حضت هذه بيض هذه .  
ولذلك توصف - في الطير - بالمتقى .

ويقال : إنها تقسم بيضا أثلاثا ، فنه ماتحضنه ، ومنه ماتحمله غذاء لها ، ومنه ماتفتحه وتحمله في الهواء  
حتى يتولد فيه ادود فتغدى به أوراخها إذا خرجت . قالوا :

« وليس للنعام حاسة سمع ، ولكنه قوى الشم ، يستغنى بشمه عن سماعه . حتى يقال : أنه يشم رائحة  
القاص من بعد . وفي أساطير العرب :

أن النعامة ذهبت تطلب قرنين فتطموا أذنيها .

ومن خصائصها أنها تبتلع العظم الصلب والحر فتذيبه معدتها .

(١) الهديل ذكر الحمام ، قال أبو العلاء في داليته المشهورة :

« يا بنات الهديل : أسعدن أوعدن قبل البكاء بالاسماد . »

(٢) العقاب : طائر من الجوارح تسمى العرب بالسكاس ، قيل العقاب سيد الطيور والنسر حريفها «

وتقول العرب : « أبصر من عقاب » قال ابن دريد في مقصورته الرائعة :

« فاستنزل الرياء - قسرا - وهي من عقاب لوح الجو أعلى منى . »

وقد جاء في صبح الأعشى : أن العقاب مؤنثة لا تذكر ، وتجمع على عقبان وأعتب .

وجاء في « المصايد والمطارد » قوله :

« وهي من أعظم الجوارح ، وليس بعد النسر في الطير - أعظم منها وأصل لونها السواد . »

فنها سوداء دحرجية ، وخدارية - وهي التي لا يبيض فيها - ومنها البقعاء - وهي التي يخالط سوادها

بياض - ، ومنها الشقراء وهي التي في رأسها نقط بياض - قال « أبو عبيدة » و « يونس » :

« ويقال لذكر العقاب « الفرن » ويقال إن ذكور العقبان من طير آخر لطاف الجرم لانسأوى شيئا ،

تلب بها الصبيان » والعقاب من أسرع الطير طيرا ما . ( ارجع إلى صبح الأعشى - ٢ ص ٥٣ )

(٣) الرأل : ولد النعام ، قال أبو العلاء :

« قد كنت قلت - في كلام لي قديم - لاني قد مجرت الشر مجر الرأل تركته . »

(٤) الفنج : والكروان ، معرب « كنج » بالمارسية وهو طائر في قدر الدساجة طويل الرحلين

حسن الصوت لا ينم الليل .

إِلَى حُبَارَى <sup>(١)</sup> وَبَارِ وَحَالِكِ اللَّوْنِ أَغْصَمَ <sup>(٢)</sup>  
ثُمَّ السَّامُ <sup>(٣)</sup> مَعَ الرَّاءِ لِي كَيَّ يَبُوحَ الْمُجَنِّمِ <sup>(٤)</sup>  
إِلَى عُقَابٍ وَرَهْوٍ يُفْصِخُ بِمَا شِئْتَ أَسْنَمَ  
وَمَا الظَّلِيمُ بِآلٍ فَلَوْ زَجَرْتَ لَتَرْجَمَ  
ثُمَّ الْعُقَابُ سَيُوحِي لِلصَّغْرِ لَا تَتَكَلَّمُ  
وَعَقَمْتُ وَهَدَيْتُ وَالْقَبِيحُ فِي ذَاكَ مُلْتَمِ  
وَتُتَمُّ فَضْلُ كَمَا قَدْ عَمِدْتَ فِيمَا تَقْدَمُ  
يَا مُلْبِسَ الدَّهْرِ وَشَيَا مِنْ الْجَمَالِ مُنْتَمِ  
اسْلَمْ سَنِيَّ الْأَمَانِي مُؤَزَّرَ النَّصْرِ مُطْمَن <sup>(٥)</sup>

- (١) الحبّارى : طائر — يقع على الذكر والأنثى — قالوا : « يصرب به المثل — في البلاء والحق يقال : « هو أبله من الحبّارى » قبل ذلك لأنها إذا غيرت عشمها ذهلت وحضنت بيض غيرها .
- (٢) الأعصم : الغلي . قال ابن دريد : « لو ناجت الأعصم لانحط لها — طوع الاقياد في شوارع الذرى . »
- وجمه عصم ، قال الشاعر :
- « واديتني حتى — إذا ما فتنتني بقول يحل العصم سهل الأباطح  
فأبيت عنى حين — لالى حيلة — وعادرت ما عادت بين الجوانح . »
- (٣) السام : ضرب من الطير ، واحده سمامة .
- (٤) المجنم : الذى لا يفهم ، قال الممرى :
- « ججم هذا الزمان قولا وكلنا يرتجى بيانه . »
- (٥) « بيت المطير — في هذا الشعر — هو :
- « أهلك عدوك ، واسلم ، واظفر به ذاك — وانهم . »
- وقد فسكه المتمد .

## بيت مطير

« وكتب اليه المعتمد أبيه الله  
يا سيدي يامعدن العلم  
يا آله للحرب والسلام  
وجه طيور الشعر نحوى فقد  
بث فؤادي شرك الفهم  
فبعث اليه بيت مطير وجاوبه رحمه الله . »

أَلْحَقَنِي بِرُكَّ بِالنَّجْمِ	يَا ابْنَ الْبُدُورِ الزُّهْرِ مِنْ لَحْمِ
يَا لَابِسَ الْمَجْدِ الَّذِي زَانَهُ	يَا لِمِ زَيْنَ الْبُرْدِ بِالرَّقْمِ
قَدْ لَثِمْتَ كَفِّي الدَّرَارِيَّ مَذْ	شَافَهْتُ تِلْكَ الْكَفَّ بِاللَّثْمِ
قُلْدَ مِنْكَ الْمُلْكُ عَضْبَ الظُّبَا	يَمْضِي مَضَاءَ الْقَدَرِ الْحَثْمِ
فِرْنْدُهُ الرَّقْرَاقُ مِنْ بَشْرِهِ	وَحَدُّهُ مِنْ نَافِذِ الْعِزْمِ

\* \* \*

قَدْ جَاءَنِي النِّظَامُ الَّذِي خَلَقَهُ	مُؤَلَّفَ الْأَوَّلُوْ فِي النِّظْمِ
حَلَيْتَنِي مِنْهُ بِفَخْرٍ يُرَى	فِي غُفْلٍ حَالِي رَائِقَ الْوَسْمِ
مُسْتَذْعِيَا طَيْرَ الْمُعْتَى لِكَيَّ	يَصِيدَهَا فِي شَرْكِ الْفَهْمِ
فَهَاكُمَا تُهْدَى إِلَى خَاطِرِ	يَسْتَخْرِجُ الْإِفْصَاحَ مِنْ عَجْمِ <sup>(١)</sup>

(١) البيت للمطير في هذه القصيدة هو :

« أنت - إن تفر ظافر - يطع من ينافر . »

## والبيت المطير

إِظْفَرُ كَمَا أَنْتَ ظَافِرٌ بِكُلِّ غَاوٍ مُتَافِرٍ

وطير له أيده الله يبتين وهما

«شعر من محض وده»

لك في علم طيره

فهى مهما زجرتها

لم تخبر بغيره . «

ففكهما وجاوبه رحمه الله

أَيْهَا الْمَاجِدُ الَّذِي خَيْرُهُ وَفَقُّ خَيْرِهِ

وَالَّذِي سَيْرٌ مُشْتَرَى أَفْقًا دُونَ سَيْرِهِ

مَلِكٌ صَحَّحَ - مِنْ أَدِيمِ الْهُدَى - قَدْ سَيْرِهِ

فَهُوَ - الدَّهْرَ - نَفْعُهُ حَاضِرٌ ، دُونَ صَيْرِهِ

\* \* \*

يَا لِلَّيْلِ سَمِئْتُ مِنْ سَهَرِي فِي قَمِيرِهِ ؟

عَزَّ - فِي وَهْنِهِ - مَرَا مُمْ عَتَا فِي سُحَيْرِهِ

«شِعْرٌ مِنْ مَحْضٍ وَدَّهِ لَكَ فِي عِلْمِ صَيْرِهِ

فَهِيَ - مَهْمَا زَجَرْتَهَا - لَمْ تُخْبَرْ بِغَيْرِهِ

## جواب على بيت مطير

« قال يمدح المعتمد على الله أبا القاسم محمد بن  
المعتضد بالله وعباد بن محمد بن عباد ، أدام الله  
تأييده ، في حياة أبيه - وكان قد عمي له بيتا :  
« الحاجب الأعلى العضد قرّة عين المعتمد »  
ففكّه - أيده الله - وجاوبه بأربعة أبيات ، وهي :

يا سيدي ، الأعلى ومن  
أعدده أقوى العدد  
حلت طيورك بي ، وقد  
قرّبت منها ما بعد  
كاشفتنا عن سرّها  
فوشى إلى بها الصرد  
بيتا يدلّ على اعتقا  
دك يا جيل المعتقد  
الحاجب الأعلى العضد  
قرة عين المعتضد  
جوابه ذو الوزارتين بقصيدة ، وهي :

لَوْ أَنَّ مَنْ جَارَ قَصْدُ	لَمْ يَحْزِرْ - عَنْ وَصْلِي - بِصَدِّ
سَيِّئٍ عَهْدٍ - أَرْخَصَتْ	عَيْنَاهُ فِي قَتْلِي الْعَمْدُ
مَالِكُ سُلْطَانِ الْهَوَى	أَمْنَهُ مِنْ الْقَوْدِ (١)
مُخْلَدٌ خَلَدَ - بَرَّ	حَ الشَّوْقِ - فِي كُلِّ خَلَدٍ
وَعُرُ الرِّضَى ، لِحُبِّهِ	نَهَجٌ - إِلَى قَلْبٍ - جَدَدُ



قاسٍ إذا ما قيلَ : « أُنْـبِـلَى حُلَّةُ الْهَجْرِ » أَجَدُّ  
أَوْ قُلْتُ : « قَدْ هَبَّ نَسِيمُ الْوَصْلِ لِي مِنْهُ » رَكَدُ  
مَا كُنْتُ آبَى صَدَّهُ لَوْ أَنَّ سُـلُـوَانِي صَدُّ

\*\*\*

فِتْنَةُ وَجْدٍ ، هِيَ كَالْفِتْنَةِ فِي الْعِجْلِ الْجَسَدِ  
غَيْرُ مُبِينٍ ، طَرَفُهُ يَعْصِفُ بِالْخَضَمِ الْأَلَدِ  
عَصَفَ « أَبِي الْقَاسِمِ » بِالْقَتْلِ إِذَا الْقَتْلُ مَرَدُ  
الْحَاجِبِ الْأَعْلَى الَّذِي لَوْ مَا جَدَّ الشَّمْسَ مَجْدُ  
مَحْضُ الثَّقَى ، عَفَّ الْهَوَى غَمَرُ النَّدَى ، صَدَقُ الْجَلْدِ  
رَكِينُ طَوْدِ الْحِلْمِ إِنْ حُبَاهُ فِي النَّادِي عَقَدُ  
مُوقِفُ الْأَنْحَاءِ مَا دَ فِي أُسَالِيبِ الرَّشَدِ  
لَوْ قَصَّ كُنْهَ جُودِهِ لِلْبَحْرِ وَافِي ، فَاسْتَمَدَّ  
مُؤْمَلٌ - مَعَ الرَّضَا - يُهَابُ فِي حِينِ الْبُعْدِ  
إِنْ قُلِدَ الْأَمْرَ كَفَى وَإِنْ تَوَلَّى الثُّغْرَ سَدُ  
مَاهِ سَمَاحٍ فَاضَ فِي بَحْرِ ذَكَاءٍ فَاتَّقَدُ  
يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ ، يَا مَوْلَى بِيَارِيهِ أَعْتَضَدُ (١)  
وَمَنْ - بِفَضْلِ اللَّهِ - حَا زَ النَّصْرَ فِي جِدِّ وَجَدُ

(١) وفي الأصل :

يا عضد الدولة يا من يباريه اعتصد . «

أَصْبَحَ أَغْلَى وَالِدٍ فَأَوْقَهُ أُنْسَى وَلَدَ  
حَدَّثَنَا عَنْ سُرُورِهِ (١) نَاهِيكَ مِنْ قُرْبِ سَنَدِ

\* \* \*

مَلَكٌ - إِذَا نَحْنُ اعْتَمَدْنَا مِنْهُ أَوْفَى مُعْتَمَدٌ -  
تَهَلَّلَتْ شَمْسُ جَبِينِ وَأَسْتَهَلَّتْ مُزْنُ يَدِ  
مُحَصَّنُ الدَّهْرِ الَّذِي أَصْلَحَ مِنْهُ مَا فَسَدَ  
وَعَاضِدُ الدِّينِ الَّذِي قَدْ كَانَ - قَبْلُ - يُضْطَهَدُ  
وَنَاصِرُ الْعِلْمِ الَّذِي تَفَقَّهُ لَمَّا كَسَدَ  
مَنْ لَمْ يَعِدْ إِلَّا وَفَى، وَلَا وَفَى إِلَّا وَعَدَ  
شَاوَرِنِ - فِي أَمْرِهِ - شَيْعَانُ لَوْ شَاءَ اسْتَبَدَّ  
يَخْشَى الْعَدُوَّ مِنْهُ عَزَّ مَ قَسُورِ شَاكِي الْأَبَدِ  
سَمَحَ لَهُ - مَهْمَا عَنَّا - فَظًا عَلَيْهِ إِنْ عَنَدَ  
كَالسَّيْفِ - فِي حَالِيهِ - إِنْ رَاقَ فَرِنْدُ رَاعٍ حَدُّ  
يَا مُهْدِي السَّمْطِ الَّذِي قُلْدَتْهُ فَخْرَ الْأَبَدِ  
أَحْسَنُ مِنْ رَقْمِ عِذَا رِ سَائِلِ فِي وَشِي خَدِ  
أَوْ مَبْنِيهِمْ حُلُوِ اللَّمَّا يَفْتَرُّ عَنْ عَذْبِ بَرْدِ

(١) السُّرُورُ : المُرُوءَةُ : والعُرفُ ، وَفَى الْأَصْلُ : « حَدَّثَنَا عَنْ سُرُورِهِ »

إلى المعتمد

قَدْ قُلْتُ - لَمَّا هَزَّنِي مِنْهُ الْبَدِيعُ الْمُفْتَقِدُ -  
« نَسِيمُ أَيْلُولِ سَرَى أَمْ وَرْدُ نَيْسَانَ وَرْدُ »  
خَاطِرِي السَّهْمُ وَشَى بِسِرِّ طَائِرِي لَا الصَّرْدُ  
وَفِطْنَةُ تَأَلَّفْتُ - مِنَ الْمُعْتَى - مَا شَرْدُ  
شِنْشِنَةُ أَعْرِفُهَا فِي شِبْلِ مَلِكٍ مِنْ أَسَدُ

يَا آلَ « عَبَّادٍ » مِثْلًا لِي لَيْسَ يَعْدُوهُ السَّدُّ  
مَنْ لِي بِشُكْرِ نِعْمَةٍ ، الْحُرُّ عَنْهَا مُعْتَبِدُ  
سَوَّغْتُ مِنْهَا الْعِزَّةَ الْقَعَسَاءَ فِي الْعَيْشِ الرَّغْدُ  
حَيْثُ اسْتُضِيفَ مَنَهْلُ صَفَا إِلَى ظِلِّ بَرْدُ  
كَأَنَّهَا لِي جَنَّةٌ حَفَّتْ بِمَكْرُوهِ الْحَسَدُ  
يَحْمِلُهَا مِنِّي وَافِي الشُّكْرِ صَافِي الْمُعْتَقَدُ  
كَمْ قَامَ بِالشُّكْرِ إِلَى أَنْ أَثْقَلْتُهُ فَقَعَدُ  
قَصَّرَ ، لَكِنْ كَمْ يُقَصِّرُ مُبْلِغُ الْعُذْرِ اجْتِهَدُ  
وُقِيْتُ بَطْشِ الْعَيْنِ فِيكُمْ بِالْعَمَى لَا بِالرَّمَدُ

صرعى الحب (١)

أَخَذْتُ ثُلُثَ الْهَوَى غَضَبًا ، وَلِي ثُلُثُ ، وَالْمُحِبِّينَ - فِيمَا يَنْتَهُمُ - ثُلُثُ  
تَالِهٍ ، لَوْ حَلَفَ الْعُشَّاقُ : أَنَّهُمْ مَوْتِي مِنَ الْوَجْدِ - يَوْمَ الْبَيْنِ - مَا حَمَتُوا

(١) من شعر ابن زيدون الذي قاله في مدة صباه ، وقد أورده المراكشي صاحب كتاب المعجب في تاريخ أخبار المغرب ، ولم يرد في ديوان ابن زيدون .

قَوْمٌ - إِذَا هُجِرُوا مِنْ بَعْدِ مَا وُصِّلُوا - مَاتُوا ، فَإِنْ عَادَ مَنْ يَهْوُوْنَهُ بُعِثُوا  
تَرَى الْمُجِبِّينَ صَرَعَى - فِي عِرَاصِهِمْ - كَفْتِيَةِ الْكَهْفِ ، مَا يَذْرُونَ مَالِبِشُوا

### ذكرى قرطبة

« وما قاله يشوق ابنة المهدي ومعهده بقرطبة ، وضمنها

بيت أبي الطيب - في أول قصيدته الكافورية :

« بم التعلل ؟ لا أهل ، ولا وطن ،

ولا نديم ، ولا كأس ، ولا سكن ؟ »

قصيدة أولها (١) :

هَلْ تَذْكُرُونَ غَرِيبًا عَادَهُ شَجَنُ - مِنْ ذِكْرِكُمْ - وَجَفَاءً أَجْفَانَهُ الْوَسَنُ  
يُخْفِي لَوَاعِجَهُ - وَالشَّوْقُ يَفْضَحُهُ - فَقَدْ تَسَاوَى - لَدَيْهِ - السَّرُّ وَالْعَلَنُ  
يَا وَيْلَتَاهُ ، أَيْتَقَى - فِي جَوَانِحِهِ - فَوَادُهُ ، وَهُوَ بِالْأُطْلَالِ مُرْتَهَنُ  
وَأَرَقَّ الْعَيْنَ - وَالظَّلَامَاءَ عَاكِفَهُ - وَرَقَاهُ قَدْ شَفَّهَا - إِذْ شَفَّنِي - حَزَنُ  
فَبِتْ أَشْكُو وَتَشْكُو - فَوْقَ أَيْكَتَيْهَا - وَبَاتَ يَهْفُو أَرْتِيَا حَا يَتَنَّا الْغُصْنُ

\* \* \*

يَا هَلْ أَجَالِسُ أَقْوَامًا أَحِبُّهُمْ - كُنَّا وَكَانُوا - عَلَى عَهْدٍ - فَقَدْ ظَلَمْنَا  
أَوْ تَحْفَظُونَ عُهُودًا لَا أَصِيْعُهَا - إِنَّ الْكِرَامَ - بِحِفْظِ الْعَهْدِ - تَمْتَحَنُ  
وَمِنْهَا :

إِنْ كَانَ عَادَكُمْ عِيدٌ ، فَرُبَّ فَتَى - بِالشَّوْقِ قَدْ عَادَهُ - مِنْ ذِكْرِكُمْ - حَزَنُ  
وَأَفْرَدَتْهُ اللَّيَالِي - مِنْ أَحَبِّهِ - فَبَاتَ يُنْشِدُهَا - بِمَا جَنَى الزَّمَنُ - :  
« بِمِ التَّعَلُّلِ ؟ لَا أَهْلٌ ، وَلَا وَطَنٌ ؟ وَلَا نَدِيمٌ ، وَلَا كَأْسٌ ، وَلَا سَكَنٌ ؟ »

(١) ذكرها كتاب المعجب في تاريخ أخبار المغرب ، ولم ترد في ديوان ابن زيدون .

رَسَائِلُ ابْنِ زَيْدٍ وَفِي إِخْبَارِهِ

وَشِعْرِ الْمَلِكَيْنِ

وَإِخْبَارُهُمَا

## الرسالة الهزلية (١)

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا الْمَصَابُ بِعَقْلِهِ ، الْمُوَرَّطُ بِجَهْلِهِ ، الْبَيِّنُ سَقَطُهُ ، الْفَاحِشُ  
غَلَطُهُ ، الْعَائِرُ فِي ذَيْلِ اغْتِرَارِهِ ، الْأَعْمَى عَنْ شَمْسِ نَهَارِهِ ، السَّاقِطُ - سُقُوطَ  
الذُّبَابِ - عَلَى الشَّرَابِ ، الْمُتَهَابِتُ - تَهَابَتِ الْفَرَاشِ (٢) - فِي الشَّهَابِ ، فَإِنَّ الْمُجِبَّ  
أَكْذَبُ ، وَمَعْرِفَةَ الْمَرْءِ نَفْسَهُ أَصَوْبُ ، وَإِنَّكَ رَاسِلَتِي مُسْتَهْدِيًا - مِنْ صِلَتِي -  
مَا صَفَرْتَ مِنْهُ أَيْدِي أَمْثَالِكَ ، مَتَّصِدِيًا - مِنْ خُلَّتِي - لِمَا قُرِعَتْ دُونَهُ أُتُوفُ (٣)  
أَشْكَالِكَ ، مُرْسِلًا خَلِيلَتِكَ مُرْتَادَةً ، مُسْتَعْمِلًا عَشِيقَتِكَ قَوَادَةً ، كَاذِبًا نَفْسَكَ  
أَنَّكَ سَتَنْزِلُ عَنْهَا إِلَيَّ ، وَتَخْلُفُ - بَعْدَهَا - عَلَيَّ :

« وَلَسْتُ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ (٤) »

\*\*\*

وَلَا شَكَّ أَنَّهَا قَلَمْتُكَ إِذْ لَمْ تَضَنْ بِكَ ، وَمَلَمْتُكَ إِذْ لَمْ تَعْرِ عَلَيْكَ ، فَإِنَّهَا  
أَعْذَرَتْ فِي السَّفَارَةِ لَكَ ، وَمَا قَصَّرَتْ فِي النِّيَابَةِ عَنْكَ ، زَايِمَةٌ أَنَّ الْمَرْوَةَ لَفْظُ  
أَنْتَ مَعْنَاهُ ، وَالْإِنْسَانِيَّةُ أَمُّ أَنْتَ جِسْمُهُ وَهَيْوَلَاهُ (٥) ، قَاطِعَةٌ أَنَّكَ أَنْفَرَدْتَ

(١) انظر ص « ٢٣٧ »

(٢) الفَراش مشهور بأنه يطرح نفسه في النار فيحترق ، قال الشاعر :

« هل أتم إلا الفَراش رأى الشهاب وقد توقد »

فدنا ، فأحرق نفسه ولواهتدى برشد الأمد .

(٣) قرع الأنف أى العجز والدلة ، والعرب تقول لكفء : « هو الفعل لا يقرع أنفه » وقد قال

ابن زيدون فى إحدى قصائده فى « ص ٦٧ » : « وأنف الفعل لا يقرع . »

(٤) البيت المتنبي ، وهو من قصيدته المشهورة :

« إلام طماعية العاذل ولا رأى فى الحب للعاقل »

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل .

والقصيدة مشهورة فليرجع إليها القارىء فى ديوانه إن شاء .

(٥) أصله وحقيقته .

بِالْجَمَالِ ، وَأُسْتَأْثَرْتُ بِالْكَمَالِ ، وَأُسْتَعْلَيْتَ فِي مَرَاتِبِ الْجَلَالِ ، وَأُسْتَوَلَيْتَ  
عَلَى مَحَاسِنِ الْخِلَالِ ، حَتَّى خَيَّلْتَ أَنَّ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَاسِنَكَ فَقَضَضْتَ  
مِنْهُ ، وَأَنَّ أُمْرَأَةَ الْعَزِيزِ <sup>(١)</sup> رَأَتْكَ فَسَلَتْ عَنْهُ ، وَأَنَّ قَارُونَ <sup>(٢)</sup> أَصَابَ بَعْضَ  
مَا كَثَرْتَ ، وَالنَّظْفَ <sup>(٣)</sup> عَثَرَ عَلَى فَضْلِ مَا رَكَزْتَ ، وَكِسْرَى <sup>(٤)</sup> حَمَلَ غَاشِيَتَكَ ،  
وَقَيْصَرَ <sup>(٥)</sup> رَغَى مَاشِيَتَكَ ، وَالْإِسْكَندَرَ قَتَلَ دَارَا <sup>(٦)</sup> فِي طَاعَتِكَ ، وَأَرْذَشِيرَ <sup>(٧)</sup> جَاهَدَ  
مُلُوكَ الطُّوَائِفِ بِخُرُوجِهِمْ عَنْ جَمَاعَتِكَ ، وَالضَّحَّاكَ <sup>(٨)</sup> أَسْتَدْعَى مُسَالَمَتَكَ ، وَجَذِيْعَةَ

(١) امرأة العزيز مشهورة بحبها يوسف الصديق وقصتها معروفة .

(٢) قارون : يضرب به المثل في الثراء والذي ، وقد جاء في الكتاب الكريم : « وآتيناه من الكنوز ما إن معانعه لتنوء بالمعصية أولى القوة . »

(٣) قالوا : إنما عني النظف بن حبيب بن حنظلة اليربوعي ، وقد كان مقبلاً بالبادية مع بني تميم ، وقد نهب أوالاً كان أرسلها كسرى إلى عامله وذهباً ومسكاً ولآلى ، فصرّب به المثل بما أصاب من ثروة طائلة ، قال بعض ولده :

« أبنى النظف المبارك الشمس ، إنى عريق في السباحة والمعالى . »

(٤) كسرى : اسم يطلق على كل ملك من ملوك الفرس .

(٥) قيصر : اسم يطلق على كل ملك من ملوك الروم .

(٦) يعنى الاسكندر الأكبر المقدوني وتاريخه مشهور ، و « دارا » هو ملك الفرس الذى انتصر

عليه الاسكندر وقتله . (٧) اسم ملك من ملوك الفرس .

(٨) الضحّاك يزعمون أنه قتل « جشيد » - سيد الشعاع ، وملك الأقاليم السبعة وأول من عمل السلاح واستخرج الابرسم ، والفز ، وألزم أهل الفساد الأعمال الشائنة في قطع الصور ، واستخراج المادن . قالوا : وطال عمر « جشيد » وتجبّر ، وادّعى الربوبية ، فخرج عليه الضحّاك ، وتبعه خلق كثير من أعداء « جشيد » مظفر به الضحّاك ، فهرب « جشيد » بين يديه مظفر به الضحّاك وأمر بنشره بمنشار ، وقال له : « إن كنت لهما فادفع عن نفسك »

ثم ملك الضحّاك - فيما يزعمون - وضمّى وتجبّر ونجر ودان بدين البراهمة ، وكان - فيما يقولون - أول من غنى له ، وضرب الدنانير والدراهم ، ولبس التاج ، ووضع العشور ، إلى آخر ما زعموه له .

الأبرش<sup>(١)</sup> تَمَتَّى مُنَادِمَتَكَ ، وَشِيرِينَ قَدْ نَافَسَتْ بُورَانَ فِيكَ<sup>(٢)</sup> ، وَبَلْقَيْسَ<sup>(٣)</sup>  
فَايَرَتِ الزَّبَاءَ عَلَيْكَ ، وَأَنَّ مَالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ<sup>(٤)</sup> إِنَّمَا أَرْدَفَ لَكَ ، وَعُرْوَةَ بْنَ جَعْفَرٍ<sup>(٥)</sup> إِنَّمَا  
رَحَلَ إِلَيْكَ ، وَكُلَيْبَ<sup>(٦)</sup> بْنَ رَيْبَعَةَ إِنَّمَا حَمَى الْمَرْعَى بِعِزَّتِكَ ، وَجَسَّاسًا إِنَّمَا قَتَلَهُ

- (١) جذيمة الأبرش ، قد سبق الإشارة إليه في «ص ٢٠٢» فليرجع إليها من شاء .  
(٢) شيرين : هي زوجة كسرى أبرويز ، وبوران هي ابنته ، وقد أشار المرى إلى شيرين إشارة ظريفة في رسالة المفران فقال :  
ولو قالت شيرين الملكة لكسرى : « حملى الله مداءك » لحالبتك في ذلك . ونافقتك ، وإن رافقتك ووافقتك ،  
على أنه أخذها من حال دنية ، فجعلها في النعمة السنية ، وعنيبه — في ذلك — الأحياء ، ووجرت لهم — في  
ذلك — قصص وأنباء ، وقيل له — فيما ذكر — :  
« كيف قطيب نفس الملك لهذه المومس ؟ »  
فصرت لهم المثل بالفرح ، جعل في الأناء الشعر والدم ، وقال للحاضر :  
« تحيب نفسك لشرب ما فيه ؟ » فقال : « إنها لا قطيب وهي بالأنجاس قطيب . »  
فأراق ذلك الشيء ، وغسله وهدب وطأه ، وجعل فيه — من بعد — مداما . وعرضه على الندامي ، وسكاهم  
بش أن يشرب ، فقال : « هذا مثل شيرين » .  
(٣) بلقيس هي ملك بلاد سبأ ، والزباء هي التي قتلها عمرو بن عيسى وقتل أباهما جذيمة بن الأبرش ،  
وقد مر ذكره .

(٤) مالك بن نويرة : من مشهورى مرساة العرب وشحمانهم في الجاهلية ، وقد أدرك الإسلام . قالوا  
وارتد وبعت أبو بكر خالد بن الوليد لقتال أهل الردة ، فكان إذا صبح قوماً تدح الأذن فإن سمعهم كف  
عنهم ، وإن لم يسمعهم قاتلهم إلى أن مرّ بالبطاح وبه مالك وأصحابه ، فقبل إنهم لم يستمعوا أذاناً فقاتلهم ،  
وأتى بمالك بن نويرة أسيراً فأمر حاد بقتله . قالوا : واحتج قوم لخالد في قتله ، وطعن عليه آخرون في  
كلام طويل مشهور ، وقد رثاه أخوه متم رثاء الرائع ، وقد سمعه عمر فقال له رددت لو رثيت أخى  
زيداً بمثل ما رثيت به أباك ، فقال له متم : والله لو طلب أن أخى صار إلى ما صار إليه أخوك لم أرته ولم  
أحزن عليه ، ومن أبيات متم التي سارت في رثائه مسير الأمثال قوله :

« وقالوا أتبكي كل قبر رأيت له قبر نوى بين اللوى ، فالدكادك

فقل لهم : « إن الأسى يبعث الأسى دعوني فهذا حكلة قبر مالك »

(٥) عروة بن جعفر — كان ينتسب إلى جعفر هو وأهل بيته ، وكان يعرف بعروة الرحال لرحلته إلى  
الملوك ، وكان هو السبب في حرب الفجار المشهورة .

(٦) كليب بن ربيعة — هو رئيس الحيين من بكر وقلب ، وقد بلغ من جبروته ونفيه أنه كان يحصى  
مواقع السحاب فلا يرعى حماء ويقول وحش كذا وكذا في جوارى ولا تهاج ولا يورد أحد مع أهله ولا توقد  
نار مع ناره ، ولا يحصى في مجلسه ، ولا يتكلم إلا بأذنه كما يدلك على ذلك قول أخيه مهلهل في رثائه :

« نبئت أن النار — بعدك — أوقدت — واستب — بعدك — يا كليب المجلس



بِأَنْفَتِكَ، وَمُتْلِهْلًا<sup>(١)</sup> إِنَّمَا طَلَبَ ثَأْرَهُ بِهِمَّتِكَ، وَالسَّمْوَل<sup>(٢)</sup> إِنَّمَا وَفَى عَنْ عَهْدِكَ،  
وَالْأَخْنَف<sup>(٣)</sup> إِنَّمَا أَحْتَجَى فِي بُرْدَتِكَ، وَحَاتِمًا<sup>(٤)</sup> إِنَّمَا جَادَ بِوَفْرِكَ، وَآقَى الْأَضْيَافَ

وَنَكَلَمُوا فِي — أَسْرَ كُلِّ عَظِيمَةٍ — لَوْ كُنْتُ حَاضِرَ أَسْرِهِمْ لَمْ يَنْبَسُوا .

وقد قتل جساس بن مرة زوج أخت كليب ، وكان ذلك سبباً في حرب البسوس .

(١) مهمل بن ربيعة — هو أخو كليب والآخذ بثأره في حرب طويلة تفنينا شهرتها عن ذكرها .

(٢) السموءل — هو السموءل بن عاديا ، وهو من يهودي يثرب ، ويضرب به المثل في الوفاء — بعد حادثته المشهورة مع امرئ القيس الذي أودع عنده وديعة ومضى ، وحاول الحارث بن ظالم أن يأخذها من السموءل فأبى ، ثم ظفر الحارث بابنه ، فقال للسموءل : إن لم تعطني وديعة امرئ القيس قتل ابنك فأبى . فقتل الحارث ابن السموءل وانصرف ، والسموءل هو صاحب اللامية المشهورة التي يقول في أرضها :

«إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ — مِنَ الْمَأْثَمِ — عَرَضَهُ دَكَلٌ رِذَاءَ يَرْثِيهِ جَيْشٌ

وَلِنْ هُوَ لَمْ يَحْمَلْ — عَلَى النَّفْسِ — ضِيْعَهَا ، فَلَيْسَ — إِلَى حِمْنِ أَشَاءَ — سَبِيلٌ .»

(٣) الأخنف — هو الأخنف بن قيس ويضرب به المثل في الحلم .

(٤) حاتم — هو حاتم الطائي وهو أشهر من ضرب به المثل في الجود .

قالوا : — « وأجواد العرب في الجاهلية ثلاثة :

« حاتم الطائي ، هرم بن سنان ، كعب بن مامة »

قالوا « وحاتم أشهرهم ذكراً » .

وقد أدرك مولد النبي — صلى الله عليه وسلم — ومات قبل بعثته ، ومن مختار شعره قوله : —

« أَحَادِلُ إِنْ الْمَالُ غَشِيَ بِرَحْمَتِهِ وَإِنْ الْبَرِيَّةُ طَارَتْ بِزُودِ

وَكَمْ مِنْ جَوَادٍ يَفْسُدُ الْيَوْمَ جُودُهُ وَسَاوَى قَدْ ذَكَرْتَهُ الْفَقْرُ فِي غَدِ

وَكَمْ لِي آتَاءٍ ، فَمَا كَفَّ حُودُهُمْ مَلَامٌ ، وَمَنْ أَيْدِيَهُمْ خَلَقَتْ يَدِي .»

وقوله :

« لِحَا اللَّهِ صَعْلُوكَا مَنَاءُ وَهَمُّهُ مِنْ الْعَيْشِ — أَنْ يَلْقَى لِبُوسًا وَمَطْعَمًا

وَلِلَّهِ صَعْلُوكَا يَسَاوُرُهُمْ وَيَعِضُّ — عَلَى الْأَحْدَاثِ — وَالْهَوْلَ مَقَامًا

إِذَا مَارَأَى يَوْمًا مَكَارِمَ أَعْرَضَ نَيْمٌ كِبْرَاهِنٌ ، ثُمَّتَ صَعْلًا .»

وقوله :

« أَمَاوَى إِنْ الْمَالُ غَادَ وَرَائِي وَبَقِيَ — مِنَ الْمَالِ — الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ

أَمَارَى مَا يَفْنَى التَّرَاتِ عَنْ الْفَتَى إِذَا حَشَرْتَ يَوْمًا وَضَاقَ بِهِ الصَّدْرُ

أَمَارَى إِنْ يَصْبَحُ صَدَائِي بِقَفْرَةٍ — مِنَ الْأَرْضِ — لِأَمَاءٍ لَدَى وَلَا حَرَّ

تَرَى أَنْ مَا أَمْلَكْتَ لَمْ يَكْ ضَرْنِي وَأَنْ يَدِي — مِمَّا تَمَلَّكَ — بِهِ صَفَرُ

وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفَرُ

وَأَنْ لَا آلُو — بِمَالِي — صَنِيعَةً وَأَوَّلُهُ زَادَ وَآخِرُهُ دَخَرُ

غَنِينَا زَمَانًا بِالنَّصْعِ وَالْغَنَى وَكَلَّا سَقَانَاءَ — بِكَأْسٍ — يَهْمُ الدَّمَرُ

فَمَا زَادَنَا بَغْيًا — عَلَى ذِي قَرَابَةٍ — غَنَانًا ، وَلَا أَزْدَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ .»

بِشْرِكَ ، وَزَيْدٌ<sup>(١)</sup> بَنَ مُهْلِلٍ إِنَّمَا رَكِبَ بِفَخِذَيْكَ ، وَالسُّلَيْكُ<sup>(٢)</sup> بَنَ السُّلُكَةَ إِنَّمَا  
عَدَا عَلَى رِجْلَيْكَ ، وَعَامِرُ بْنُ مَالِكٍ<sup>(٣)</sup> إِنَّمَا لَاعَبَ الْأُسْتَةَ بِيَدَيْكَ ، وَقَيْسٌ<sup>(٤)</sup> بَنَ زُهَيْرٍ  
إِنَّمَا اسْتَعَانَ بِدَهَائِكَ ، وَإِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ<sup>(٥)</sup> إِنَّمَا اسْتَضَاءَ بِمِصْبَاحِ ذَكَائِكَ ،

(١) زيد بن مهمل — أدرك الاسلام ، وكان فارساً مشهوراً ، بعبد الميت ، وشاعراً نابغاً ، وكان  
يسمى زيد الخيل لكثرة ما عنده من الخيل ، فلما أسلم سماه النبي — صلى الله عليه وسلم — زيد الخير .  
(٢) السليك بن السلكة جاهلي تميم ، وهو أحد صناديد العرب وأحد لصوهم العدائين الذين كانوا  
لا يلحقون ، قال ابن الرومي في وصف شهر رمضان :

« يمشي الهوينا ، فأما حين يطلبنا فلا السليك يدانيه ولا السلكة . »

(٣) عامر بن مالك — المشهور بللاع الأستة ، وأمه أم البنين المشهورة التي امتخر بها ليلى عند النعمان  
في قوله :

« نحن بي أم البنين الأربعة . »

(٤) قيس بن زهير — هو صاحب الحروب المشهورة بين عبس وذبيان بسبب الفرسين (داحس والغبراء)  
وكان يضرب به المثل في الدهاء ، فيقال : « أدهى من قيس . »

(٥) إياس بن معاوية — هو صاحب الفراسة والأجوبة السديدة الرائعة ، وكان قاضي البصرة ، ويضرب  
به المثل في الذكاء . قال أبو تمام :

« أقدام عمرو في ساحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس . »

قالوا : وكان سبب ولايته القضاء أن عمر بن عبد العزيز أرسل رجلاً من أهل الشام وأمره أن يجمع  
بين إياس والقاسم بن أبي ربيعة ويولي القضاء أحدهما ، فجمع بينهما ، فكان كل منهما يمتنع من الولاية ،  
فقال إياس للشأمي : « سل الحسن البصري عني وعن القاسم ، وسل بن سيرين . » فلم القاسم أنه إن  
سأل عنهما أشارا به ، فقال للشأمي : « لا تسأل عنه ، فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياساً لأفصل مني  
وأعلم بالقضاء ، فإن كنت ممن يصدق ، فينبغي لك أن تصدق قولي ، وإن كنت كاذباً فما يحل لك أن  
أن تولى القضاء وأنا كذاب » ، فقال إياس للشأمي : « إنك جئت برجل فأقنته على شفير جهنم فافتدى  
نفسه من النار بيمين كاذبة يستنصر الله منها وينجو من النار » فقال الشأمي : « أما إذ فطنت لها فاني  
أريدك » فاستقضاءه ، فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب . قالوا : « ولما ولي القضاء دخل عليه الحسن  
البصري فبكى إياس وقال له : « بلغني أن القضاء ثلاثة : رجل مال به الهوى فهو في النار ، ورجل اجتهد  
فأخطأ فهو في النار ، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة » فقال الحسن : « إن فيما قضى الله تعالى في النبي  
داود ما يرد قول مولاي . » ثم قرأ قوله تعالى « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً »

لحمد سليمان ولم يذم داود ، وأخباره كثيرة مشهورة في كتب الأدب ، فلا حاجة بنا إلى الإفاضة .

وَسَحْبَانَ<sup>(١)</sup> إِنَّمَا تَكَلَّمَ بِلِسَانِكَ ، وَعَمَرَوْ<sup>(٢)</sup> بِنِ الْأَهْتَمِ إِنَّمَا سَحَرَ بِبَيَانِكَ ، وَأَنَّ الصَّلَحَ - يَنْ بَكَرٍ وَتَغْلِبَ - تَمَّ بِرِسَالَتِكَ<sup>(٣)</sup> ، وَالْحِمَالَاتِ - يَنْ عَبَسٍ وَذِيَانِ - أَسْنَدَتْ إِلَى كَفَالَتِكَ ، وَأَنَّ اخْتِيَالَ هَرِمٍ - لِمَلَقَمَةٍ وَعَامِرٍ حَتَّى رَضِيَا - كَانَ ذَاكَ عَنْ

(١) سحبان وائل - يضرب به المثل في الفصاحة والبيان والقدرة على الخطابة ، أدرك الاسلام ومات سنة أربع وخمسين . قال الأصمعي « وكان إذا خطب يسيل عرقاً ، ولا يعيد كلمة ، ولا يتوقف ، ولا يقعد حتى يفرغ » قالوا : « وقدم على معاوية وفد من خراسان فيهم - سعيد بن عثمان - يطلب سحبان فلم يوجد في منزله فاقتصب - من ناحيته - اقتصاباً وأدخل عليه فقال : « تكلم » فقال : « انظروا لي عما تقوم من أودى . » قالوا : « وما تمنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين . » قال : « ما كان يمنع بها مومني وهو يحاط ربه وعصاه في يده . » فضحك معاوية وقال : « هاتوا عصا لجاءوا بها إليه فركلها برجله ولم يرضها . » وقال : « هاتوا عصاى » فأتوا بها فأخذها ، ثم قام وتكلم منذ صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ما تنجح ، ولا سئل ، ولا توقف ، ولا ابتداء في معنى نخرج منه وقد بقي عليه منه شيء ، فبازالت تلك حاله حتى أشار معاوية بيده ، فأشار إليه سحبان : ألا تمطع على كلامي ، فقال معاوية « الصلاة » قال : « هي أمامك ، ونحن في صلاة وتحميد ، ووعده ووعيد » ، فقال معاوية : « أنت أخطب العرب . » فقال سحبان : « والمعجم والجن والاس »

(٢) عمرو بن الأهتم - من سادات بني تميم وخطبائهم في الجاهلية والاسلام ، وكان - لجماله - يدعونه : « المكحل » قالوا : « ووجد على النبي - صلى الله عليه وسلم - هو والزبرقان بن بدر فأسلما وأكرهما النبي - صلى الله عليه وسلم - » سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر بمحضوره فقال عمرو : « مطاع في أدنيه ، شديد العارضة في قومه ، مانع لما وراء ظهره » . فقال الزبرقان : « يا رسول الله إنه ليعلم متى أكثر مما قال ، ولكنه حسدني . » فقال عمرو : « أما والله لئن علمت ما قد علمت ، إنه لؤمن المروءة ، أحمق الأب ، لئيم الحال ، ضيق العطن ، حديث الغنى . » فرأى تغير النبي - صلى الله عليه وسلم - لما اختلف قوله ، فقال : « يا رسول الله لا تنضب ، لما رضيت قلت أحسن ما علمت ، ولما غضبت قلت أقبح ما علمت ، فوالله ما كذبت في الأولى ، واقد صدقت في الثانية . » فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إن من البيان لسحرا . » وتوفي سنة ٥٧ هـ - ومن مآثور حكمه قوله :

« أشجع الناس من رد جهله بحلمه . » وقوله « أفّ » للخذل لو كان شيء يشتري ما كان شيء ، أنف من القتل ، فالمجب لمن يشتري الحق بجماله فيدخله في رأسه فيقي في جيبه ويسلح في ذيله . » وكان ممن حرّم الخمر - على نفسه - في الجاهلية .

(٣) بكر وأغلب ابنا وائل - هم الذين أشعلوا حرب البسوس ، وقد دامت سنتين طويلاً قتل فيها حضباء الحيين وأخبارها مشهورة .

إِشَارَتِكَ، وَجَوَابُهُ لِعُمَرَاءَ وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ أَيُّهُمَا كَانَ يَنْفِرُ. وَقَعَ عَنْ إِرَادَتِكَ<sup>(١)</sup>، وَأَنَّ  
الْحِجَاجَ<sup>(٢)</sup> تَقْلَدُوا لِيَاةِ الْعِرَاقِ بِحَدِّكَ، وَفُتَيْبَةَ<sup>(٣)</sup> فَتَحَ مَاوَرَاءَ النَّهْرِ بِسَعْدِكَ، وَالْمُهَلَّبَ<sup>(٤)</sup>  
أَوْ هَنَ شَوْكَةَ الْأَزَارِقَةِ بِيَدِكَ، وَفَرَّقَ ذَاتَ يَنْبِهِمْ بِكَيْدِكَ، وَأَنَّ هُرْمُسَ<sup>(٥)</sup>  
أَعْطَى بَلِينُوسَ<sup>(٦)</sup> مَا أَخَذَ مِنْكَ، وَأَفْلَاطُونَ<sup>(٧)</sup> أَوْزَدَ عَلَى إِرْسَاطِ الْبَيْسِ<sup>(٨)</sup> مَا نَقَلَ عَنْكَ،  
وَيَطْلِيْمُوسَ<sup>(٩)</sup> سَوَّى الْإِصْطِرْلَابَ بِتَذْيِيرِكَ، وَصَوَّرَ الْكُرَّةَ عَلَى تَقْدِيرِكَ،

(١) يشير بذلك إلى عمر بن الخطاب حين قال لهرم بن قطبة بعد أن أسلم: «أيها كان الأفضل عندك  
يعني عامراً وعظيمة» فقال: «لو قلت الآن فيها كلمة لامدت الحرب بين الحيين». فأعجب بذلك القول  
عمر وسر من سياسته وبعد ظرره وقال له: «بحق حكمتك العرب»

(٢) الحجاج — هو الحجاج بن يوسف الثقفي ولد سنة ٤١ ونشأ بالطائف، وولى الكوفة، واشتهر  
بسفك الدماء، وهو الذي حاصر مكة وفيها عبد الله بن الزبير وضربها بالمجنق (انظر ص ١٦ من كتاب  
مصارع الأعيان) وحروبه مع شبيب، وعبد الرحمن بن الأشعث مشهورة، وقد ذكرناها في مصارع  
الأعيان من «ص ٥٧ إلى ص ١١٥» فليرجع إليها من شاء، وكان يعجب بسرعة الجواب، وله نوادر كثيرة  
في ذلك، قالوا: إنه قال ذات يوم لأحمد بن يونس «فكرت في أمرك فوجدت دمك ومالك حلالا» فقال:  
«أيها الأمير أشد ما في القصة أن هذا الرأي بعد الفكر» فضحك وعفا عنه، وقالوا إنه أتى بقوم  
من أصحاب بن الأشعث فأمر بضرب أعناقهم، فقام رجل فقال: «أيها الأمير إن لي عندك يدا» فقال  
«وما هي؟» قال «شئتك رجل بمحصرة ابن الأشعث فرددت عنك» فقال: «من يشهد لك؟» وأشار:  
«هذا» وأشار بيده إلى رجل منهم، فقال: «صدق أيها الأمير» فقال «مامنك أن تفعل كما فعل؟» قال  
«بفضي لك»، فقال الحجاج «أطلقوا هذا ليده عندما، وهذا لصدقه في مثل هذا الوقت» قال مالك  
ابن دينار: «والله لربما رأيت الحجاج يتكلم على المبر ويدكر حسن صنعه إلى العراق وسوء صنعه له  
حتى يخيل إلى أنه مظلوم» وقال الحسن البصري «أفقد وفدتني كلمة سمعتها من الحجاج «إن امرأ دهب  
ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول حسرته.»

(٣) فتية — هو فتية بن مسلم الباهلي نشأ في المروانية وولى الأمانة، وكان شجاعاً طمناً.

(٤) المهلب — هو المهلب بن أبي صفرة وهو الذي يعزى إليه الفضل في القضاء على الحوارج (انظر  
ص ٩٢ : ٩٧ من كتاب مصارع الأعيان)

(٥) هرمس — هو الذي يزعم نفر من العباثة أنه نبي مرسل وأنه إدريس عليه السلام ويسندون إليه  
شرائعهم في تعظيم السكواكب السبعة والبروج الاثني عشر والغرب إليها بالذبايح وغيرها.

(٦) بليئوس — هو الذي تزعم العباثة أن رسالة هرمس انتقلت من بعده إليه.

(٧) أفلاطون وإرسطاطاليس — فلان من أعلام فلاسفة اليونان وقادة الفكر المتأخرين.

(٨) بطليموس — هو صاحب كتاب المجسطى، والجغرافيا، والاسطرلاب وغير ذلك، وهو أول من

أعرض للفلك والهندسة.

وَبَقْرَاطَ<sup>(١)</sup> عِلْمَ الْعِلَالِ وَالْأَمْرَاضِ بِلُطْفِ حِسِّكَ ، وَجَالِينُوسَ<sup>(٢)</sup> عَرَفَ طِبَائِعَ  
الْحَشَائِشِ بِدِقَّةِ حَدْسِكَ ، وَكِلَاهُمَا قَلَدَكَ فِي الْعِلَاجِ ، وَسَأَلَكَ عَنِ الْمِزَاجِ ،  
وَأَسْتَوْصَفَكَ تَرْكِيبَ الْأَعْضَاءِ ، وَأَسْتَشَارَكَ فِي الدَّاءِ وَالِدَّوَاءِ ، وَأَنْتَ نَهَجْتَ  
لِأَبِي مَعْشَرٍ<sup>(٣)</sup> طَرِيقَ الْقَضَاءِ ، وَأَظْهَرْتَ جَابِرَ بْنَ حَيَّانَ<sup>(٤)</sup> عَلَى سِرِّ الْكِيمِيَاءِ ،  
وَأَعْظَيْتَ النِّظَامَ<sup>(٥)</sup> أَصْلًا أَذْرَكَ بِهِ الْحَقَائِقَ ، وَجَعَلْتَ لِلْكِنْدِيِّ<sup>(٦)</sup> رَشْمًا اسْتَفْرَجَ

(١) بقراط — علم من أعلام الطب واليونان .

(٢) جالينوس — من العلماء المتنازين الذين كان لهم الفضل في ترقية فن الطب ، وقد صرف خواص  
الحشائش ، وقاس أضرجتها وطبائنها ، وشرح الأعضاء ، ووضع الكتب الثمينة في الطب .

(٣) أبو معشر : كان في أول أمره من أصحاب الحديث ببغداد ، وكان يشنع على الكندي الفيلسوف  
المعروف ويفرى العامة به — قالوا « قدس له الكندي من حسن له النظر في علم الحساب والهندسة فأحبهما  
ثم عدل إلى أحكام الحجوم وفتح ومهر وانقطع بذلك شره عن الكندي لأنه من جنس علومه .

(٤) جابر بن حيان — من أعلام العلماء العرب في الكيمياء .

(٥) النظام — إمام من أئمة المعتزلة ، وكان آية في الدكا ، من صفوه . قالوا : إنه جاء إلى الحليل بن  
أحمد ليعلمه ، فقال له الحليل يمتحنه وفي يده قدح زجاج : « يا بى صف لي هذه الزجاجة » فقال : « أجمدح  
أم يدم » قال « يدمح » قال « تريك القذى ، ولا تقبل الأذى ، ولا تستر ما وراءها » قال « فذمها » قال  
« يسرع إليها الكسر » ولا تقبل الخبر » قال « فصف لي هذه النخلة » وأوماً إلى نخلة في داره . قال  
« يدمح أم ذم ؟ » قال « يدمح » قال « حلو جناها ، باسق منبها ، فاضر أعلاها » قال « فذمها » قال  
« صبة المرتقى ، بعيدة المجتنى ، مخوفة بالأذى » فقال الحليل « يا بى نحن إلى التلم منك أحوج » ثم اشتد  
على أبي الهذيل الملاف بمذهب الكلام إلى أن برع وظهر في أيام المعتصم وتبعه خلق كثير — وحكي عنه قال  
« مات لصالح بن عبيد القدوس ولد ، فعفى إليه أبو الهذيل والنظام معه وهو غلام حدث كالتبع له فراه  
محتراً ، فقال أبو الهذيل « لا أعرف لجرحك وجهاً إذا كان الناس عندك كالزروع » فقال صالح « يا أبا الهذيل  
إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك » فقال أبو الهذيل « وما كتاب الشكوك ؟ » قال « كتاب  
وضمته من قرأه شكاً فيها كان حق يتوهم أنه لم يكن ، وفيما لم يكن حق بظن أنه قد كان » فدل له النظام  
« فشك أنت في موت ابنك ، واعمل على أنه لم يمت وإن مات ، وشك أيضاً في أنه قد قرأ هذا الكتاب  
وإن لم يكن قرأه » فحضر صالح وكان مذهبه مذهب السوسطائية فأنهم يزعمون أن الأشياء لاحقيقة لها ،  
وإن ما يستبعد به يجوز أن يكون على ما شاهدته ، ويجوز أن يكون على غير ما شاهدته ، وأن حل اليقظان كحال  
النائم ، وتوفي سنة ٢٢١ هـ وسنه ست وثلاثون سنة .

(٦) الكندي — يعقوب الكندي من كبار فلاسفة الاسلام — انتقل إلى بغداد واشتد بفن الأدب ،  
ثم بعلوم الفلسفة — وحل مشكلات الأوائل وله مؤلفات دارئة — وهو مشهور بالبطل ، وكان يقول : من  
شرف البطل أنك تقول للأسائل « لا » ورأسك مرفوع إلى فوق ، ومن ذل العطاء أنك تقول « نعم »

بِهِ الدَّقَائِقَ ، وَأَنَّ صِنَاعَةَ الْأَلْحَانِ اخْتِرَاعُكَ ، وَتَأْلِيفُ الْأَوْتَارِ وَالْأَنْقَارِ تَوَلِيدُكَ  
وَابْتِدَاعُكَ ، وَأَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى <sup>(١)</sup> بَارِي أَقْلَامِكَ ، وَسَهْلُ <sup>(٢)</sup> بْنُ هَارُونَ مُدَوِّنُ  
كَلَامِكَ ، وَعَمْرَوُ بْنُ بَحْرٍ <sup>(٣)</sup> مُسْتَمْلِكُكَ ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ <sup>(٤)</sup> مُسْتَفْتِيكَ ، وَأَنْتَ الَّذِي  
أَقَامَ الْبَرَاهِينَ ، وَوَضَعَ الْقَوَانِينَ ، وَحَدَّدَ الْمَاهِيَةَ ، وَبَيَّنَّ الْكَيْفِيَّةَ وَالْكَمِّيَّةَ <sup>(٥)</sup> ،

وَأَنْتَ مَشِيرُ بَرَأْسِكَ إِلَى أَسْفَلَ ، وَمُؤَلِّفَاتُهُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا ( أُنْسَامُ الْعَمَلِ الْإِنْسِي ) وَكِتَابُ ( الْجَوَامِعُ الْفِكْرِيَّةُ )  
وَكِتَابُ ( الْفَلَسَفَةُ الْأُولَى ) وَغَيْرُهَا .

(١) عبد الحميد بن يحيى — هو عبد الحميد بن سعيد الكاتب المشهور ، وكان يقال « بدأت الكتابة بعد  
الحميد ، وختمت بابن العميد » ، وكان في أول نشأته معلماً صديان بالكوفة ، فلما اتصل بمروان الجمعدى قبل أن  
يصل إلى الخلافة صحبه وانقطع إليه فلما جاء الأمر بالخلافة سجد مروان وأصحابه إلا عبد الحميد ، فقال له مروان  
« لم لم تسجد ؟ » فقال « ولم أسجد على أن كنت معاً فطرت عنا يسمى بالخلافة » فقال « إذن تطير معي »  
قال « الآن طاب السجود » وسجد وطل كاتب مروان طول خلافته .

(٢) سهل بن هارون — من أدل زبائير — رحل إلى البصرة فحسب إليها وكان شعوياً ، واشتهر  
بالجمل . قال الجاحظ : أتى رحل سهل بن هارون فقال : « هب لي ما لا ضرر به عليك » فقال : « وما  
هو يا أخى ؟ » قال : « درهم » قال : « لقد هوأ الدرهم وهو طائع الله في أرضه لا يعضى ، وهو  
عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الألف ، والألف عشر دية المسلم ، ألا ترى إلى أين  
انتهى الدرهم الذى وهبته ، وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم » قال : « فاحضرف الرجل ولولا  
انصرافه لم يسكت » وحكى دعبل الخزامى قال : « أقبل يوماً عند سهل بن هارون وأظلمنا الحديث حتى أضرب  
به الجوع ودعا بعدائه دأنى بصحفة فيها مرق نخيد ديك هرم فأحسد كسرة وتقدم ما فى الصحفة فلم يجد  
رأس الديك فبقى مطرفاً ثم قال لادم : « أين الرأس ؟ » قال : « رميت به » قال : « ولم ؟ » قال :  
« لم أظنك تأكل » قال : « ولم طعت ذلك ؟ فوالله إني لأمقت من يرمى برحله ، فكيف برأسه ؟ والرأس  
رئيس يتفاد به ، وفمه أخواس الحمة ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه مرقه الذى  
يتبرك به ، وعينه التى يعرب سمعاً بالمثل ، ودماغه عجيب لوجع السكبة ، ولم أر عطفاً قط أهش من رأسه  
فإن كان بلغ من خلاق أن لا تأكل معدناً من يأكله ، أما علمت أنه خير من طرف الخناخ والساق ،  
انظر أين رميته فقال : « والله ما أدري » قال : « لكى أدري أنك رميته فى بطك » .

(٣) عمر بن بحر — ذو الكاتب المشهور ويكنى بأبي عثمان ويعرف بالجاحظ وهو من يفخر به البيان  
المرئى حتى قيل : « مما فصل الله به أمة محمد — صلى الله عليه وسلم — على غيرها من الأمم : عمر بن الخطاب  
فى سياسته ، والحسن البصرى فى علمه ، والجاحظ فى بيانه » — نشأ بغداد وتلمذ على الزناعم وانفرد  
بحسن البيان والفصاحة ، وأخباره مشهورة فى كتب الأدب فلا داعى للإفاضة فيها —

(٤) مالك بن أنس — هو صاحب المذهب المشهور .

(٥) الماهية — ماهية الشيء . ما يحصل فى الدهن من صورة كلية مطابقة له بعد حذف الشخصيات عنه إن  
كان حزيناً . قالوا : « وحى أحد حدود العلم عند الحكماء . فإن العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام . علم ( ما ) وعلم

وَنَظَرَ فِي الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ<sup>(١)</sup>، وَمَيَّزَ الصَّحَّةَ مِنَ الْمَرَضِ، وَفَكَ الْمَعْمَى<sup>(٢)</sup>، وَفَصَلَ  
بَيْنَ الْأَسْمِ وَالْمُسَمَّى، وَصَرَفَ وَقَسَمَ، وَعَدَّلَ وَقَوَّمَ، وَصَنَّفَ الْأَسْمَاءَ وَالْأَفْعَالَ،  
وَبَوَّبَ الظَّرْفَ وَالْحَالَ، وَبَنَى وَأَعْرَبَ، وَتَنَّى وَتَعَجَّبَ، وَوَصَلَ وَقَطَعَ،  
وَتَنَّى وَجَمَعَ، وَأَظْهَرَ وَأَضْمَرَ، وَاسْتَفْهَمَ وَأَخْبَرَ، وَأَهْمَلَ وَقَيَّدَ، وَأَرْسَلَ وَأَسْنَدَ،  
وَبَحَثَ وَنَظَرَ، وَتَصَفَّحَ الْأَذْيَانَ، وَرَجَّحَ بَيْنَ مَذْهَبَيْ مَانِي وَغِيلَانَ<sup>(٣)</sup>، وَأَشَارَ  
بِذَنْجِ الْجَمْعِ<sup>(٤)</sup>، وَقَتَلَ بَشَّارَ بْنَ بُرْدٍ، وَأَنَّكَ لَوْ شِئْتَ خَرَقْتَ الْعَادَاتِ، وَخَالَفْتَ  
الْمَعْهُودَاتِ، فَأَحْلَلْتَ الْبِحَارَ عَذْبَةً، وَأَعَدْتَ السَّلَامَ رَطْبَةً<sup>(٥)</sup>، وَنَقَلْتَ غَدًا فَصَارَ

(كيف) وعلم (كم) - فالعلم الذي طلب منه ماهيات الأشياء هو العلم الالهي، والذي يطلب منه كيفيات  
الأشياء هو الطبيعي، والذي يطلب منه كميات الأشياء هو الرياضي.

(١) الجوهر والعرض: الجوهر - فيما يقولون - هو الجسم، كالإنسان والفرس والحجر ونحو ذلك.  
والعرض الحال وانصرف المتعاقب عليه كالألوان من بياض، وسواد وحمر، والحركات المختلفة من قيام وقعود  
وانضطجاع، وجميع ما عدا الجوهر فاسم العرض واقع عليه.

(٢) ولك المعنى - وهو اللعز، أرجع إلى « ص ٢٨٤ »

وكان الجاحظ يقول « ليس المعنى شيء قد كان كيسان مستملي أبي عبيدة يسمع خلاف ما يقال، ويكتب  
خلاف ما يسمع، ويقرأ خلاف ما يكتب، وكان أعلم الناس باستخراج المعنى - قالوا: « وكان النظام - على  
قدرته على أوصاف العلوم - لا يقدر على استخراج أحف ما يكون من المعنى ».

(٣) ماني وغيلان - ماني هو الذي نسب إليه المانوية وهو ثيوي - نسبة إلى الاثنين - لرعه أن صانع العالم  
اثنان، أحدهما فاعل الخير وهو النور، والآخر فاعل الشر وهو الظلمة، وهما قديمان لم يزلوا ولن يزالا  
حاسنين سعيين بصيرين وهما مختلفان في النفس والصورة، متصادمان في الفعل والديور، فجوهر النور فاعل  
حسن وير ونفسه خيرة قدينة نفاعية - منها الخير والسرور والصلاح وليس منها من الشر شيء، وجوهر الظلمة  
على ضد ذلك جميعه، وقد أشار المتنبي إلى هذا المذهب بقوله:

« وكم لطام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب ».

وكان ماني راهباً بنجران. قالوا: « وكان مؤمناً بالمسيح معظماً من أساقفة الصاري، ثم وثى به حاسدوه  
فأحدث ديناً ودماً إليه وتبعه كثير من الجوس ».

وغيلان هو ابن يونس القندري الدمشقي. قالوا كان أبوه مولى لعثمان بن عفان، وكان غيلان أول من تكلم  
في القدر، وخلق القرآن في الاسلام في رأى بعض المؤرخين.

(٤) الجعد - هو مولى بني الحسكم وكان يعلم مروان بن محمد الجعدي ويقطن دمشق ويسب إليه بعض  
المؤرخين أنه أول من تكلم بخناق القرآن.

(٥) السلام: الحجارة الصلبة.

أَمْسَا ، وَزِدْتَ فِي الْعَنَاصِرِ فَكَانَتْ خَمْسًا <sup>(١)</sup> ، وَأَنْتَ الْمَقُولُ فِيهِ :

« كُلُّ الصَّيْدِ <sup>(٢)</sup> فِي جَوْفِ الْفَرَا . » وَ

« لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ <sup>(٣)</sup> . »

وَالْمَعْنَى بِقَوْلِ أَبِي تَمَّام :

« قَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَرِدْهَا — عَلَى مَا فِيكَ — مِنْ كَرَمِ الطَّبَّاعِ . »

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِ أَبِي الطَّيِّب :

« ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أُنْيَاتِهَا . »

فَكَدَمْتَ فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ <sup>(٤)</sup> ، وَاسْتَسَمَنْتَ ذَا وَرَمٍ <sup>(٥)</sup> ، وَنَفَخْتَ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ <sup>(٦)</sup> ،

وَلَمْ تَجِدْ لِرِيحٍ مَهْزًا ، وَلَا إِشْفَرَةً مَحْزًا ، بَلْ رَضِيتَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ ،

(١) العناصر : هي في رأى القدماء أربعة : النار ، والهواء ، والماء ، والتراب .

(٢) كل الصيد في جوف الفرا — مثل يضرب في وصف الشيء المربى على غيره قالوا : « وأصله أن قوماً خرجوا للصيد فصاد أحدهم طلياً وآخر أرنباً وآخر فرا ، وهو الحمار الوحشى ، فقال لأصحابه : كل الصيد في جوف الفرا — يعنى أن جميع صيدكم يسير في جيب ما صدته ، ورغم بعضهم أن الفرا اسم واد كثير الصيد وهو قول مردود ، وأما قول الشاعر :

« وواد بجوف العير قعر قطعته »

فليس من هذا وإنما أراد الوادى المعروف بجوف حمار ، وحمار اسم رجل قديم كان في واد خصيب فظلم عشيرته ، وأرسل الله عليه ناراً فأحرقتة وأحرقت الوادى فظلموا وسكتة الجن قليل : أعلى من جوف حمار ، وحجب يوماً أبو سميان بن حرب عن النبي — صلى الله عليه وسلم — ثم أذن له فقال : « يا رسول الله أأكنت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجاهلين » فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « يا أبا سميان

كل الصيد في جوف الفرا » . (٣) هذا البيت من قصيدة لأبى نواس في مدح الفصل بن يحيى .

(٤) كدمت في غير مكدم — عصبنت في غير موضع للمعس ، وهذا المثل يضرب لمن يطلب ما يعجز عنه .

(٥) في هذا إشارة إلى قول الشاعر :

« نالو ناراً نفخت بها أضواءت — ولكن أنت تنفخ في رماد »

لقد أسمع — لو ناديت حيا — ولكن لا حياة لمن تنادى . «

(٦) يشير إلى قول المتنبي لسيف الدولة معزناً بأبى نواس :

« أعيدتها نظرات منك صادقة — أن تحسب الشعم فيمن لمه ورم . »



وَتَمَنَيْتَ الرُّجُوعَ بِخُفْيِ حُنَيْنٍ<sup>(١)</sup> ، لِأَنِّي قُلْتُ :

« لَقَدْ هَانَ<sup>(٢)</sup> مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ . » وَأُنْشَدْتُ :

« عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ<sup>(٣)</sup> »

وَنَحَرْتُ<sup>(٤)</sup> وَبَسَرْتُ<sup>(٥)</sup> ، وَعَبَسْتُ فَكَفَرْتُ ، وَأَبْدَأْتُ وَأَعَدْتُ ، وَأَبْرَقْتُ

وَأَزَعَدْتُ<sup>(٦)</sup> وَهَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي ، وَلَوْلَا أَنَّ لِلْجَوَارِ ذِمَّةً ،

وَلِلضِّيَافَةِ حُرْمَةً ، لَكَانَ الْجَوَابُ فِي قَذَالٍ<sup>(٧)</sup> الدَّمُسْتَقُ ، وَالنَّعْلُ<sup>(٨)</sup>

(١) خي حنين — مثل يضرب لمن يرجع بالحيلة — وكان حين دما يقولون إسكافا من أهل الحيرة ساومه أعرابي بخنقين ولم يشد منه شيئاً فماظه ذلك فخرج عليه وعلق أحد الحفنين على شجرة في طريقه وتقدم قليلاً وطرح الآخر وكن ، فجاء الأعرابي فرأى أحد الحفنين فوق الشجرة ، فقال « ما أشبه هذا بخنق حنين لو كان معه آخر لتكلفت أخذه » ثم تقدم قليلاً فرأى الحف الآخر مطروحاً فزله وعقل بعيره فأخذه ورجع ليأخذ الأول فخرج حنين من المسكن وأخذ بعيره وذهب ورجع الأعرابي إلى أخيه بخنق حنين .

(٢) لقد هان من بالت عليه الثعالب — شطرييت هو :

« أرب يقول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب . »

قاله رجل من بني سليم كان يبعد صنماً ، فرأى ذات يوم ثعلباً يبول على الصنم فكسره وأنشد هذا البيت وذهب إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — فأسلم .

(٣) البيت لأبي تمام من قصيدة رثاء ، منها قوله :

وقلت : « أنحى » قالوا « أغذو قرابة » ؟ فقلت لهم : « إن الشكول أقارب »

صديقي في رأيي وعزى ومذهبي وإن باعدتنا في الأصول المناسب

عجبت لصبري صده — وهو ميت — وكنت امرأة أبكي دماً وهو غائب

على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب .

(٤) نحرت — التخير صوت الأنف عند الغضب .

(٥) والبسر — الاستعداد بالشئ قبل أوامره . وهو في قوله تعالى : « عيس وبسر » معناه أظهر

المبوس قبل أوامره . (٦) الأبراق والارصاد — كناية عن التمهيد وأصلها من البرق والرعد . قال الشاعر :

« قتل للسماء : ارعدى وابرق فانا وصلنا إلى المنزل . »

(٧) أى لفعلت بهذه المرأة التي أرسلتها رسولاً من قبلك — لولا حرمة الصباقة — فعل سيف الدولة بالدمستق ،

وهو لقب يطلق على كل قائد من قواد جيش الروم ، وقد هزمه سيف الدولة وأشار المتنبى إلى ذلك بقوله :

« وكنت إذا كاتبته قبل هذه كتبت إليه في قذال الدمستق . »

(٨) مثل لضربه العرب وقد ضمنه أحد الشعراء قوله :

« إن عادت المقرب عدنا لها وكانت الدل لها حاضرة . »

حَاضِرَةٌ إِنْ قَادَتِ الْعَقْرَبُ ، وَالْعُقُوبَةُ مُمَكِّنَةٌ إِنْ أَصَرَ الْمَذْنِبُ ، وَهَبَهَا لَمْ  
تَلَا حِظُّكَ بِعَيْنٍ كَلِيلَةٍ عَنْ عُيُوبِكَ ، مِلْؤُهَا حَبِيبُهَا <sup>(١)</sup> ، حَسَنٌ فِيهَا <sup>(٢)</sup> مَنْ تَوَدُّ  
وَكَانَتْ إِمَامًا حَلَّتْكَ بِحِلَاكَ ، وَوَسَمَتْكَ بِسِيمَاكَ ، وَلَمْ تُعِرْكَ شَهَادَةً ، وَلَا  
تَكَلَّفَتْ لَكَ زِيَادَةً ، بَلْ صَدَقَتْ سِنَّ بِكْرِهَا فِيمَا ذَكَرْتَهُ عَنْكَ ، وَوَضَعَتْ  
الْهَنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقَبِ <sup>(٣)</sup> بِمَا نَسَبْتَهُ إِلَيْكَ ، وَلَمْ تَكُنْ كَاذِبَةً فِيمَا أَثْنَتَ بِهِ  
عَلَيْكَ ، فَلَا مَعْيِدِي <sup>(٤)</sup> تَسْمَعُ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ :

هَجِينُ الْقَذَالِ <sup>(٥)</sup> ، أَرْعَنُ <sup>(٦)</sup> السَّبَالِ ، طَوِيلُ الْعُنُقِ وَالْعِلَاوَةِ <sup>(٧)</sup> ، مُقْرِطُ الْحُمُقِ  
وَالْعَبَاوَةِ ، جَافِي الطَّبْعِ ، سَيِّئُ الْجَابَةِ وَالسَّمْعِ ، بَغِيضُ الْهَيْئَةِ ، سَخِيفُ الذَّهَابِ  
وَالْجَيْئَةِ ، ظَاهِرُ الْوَسْوَاسِ ، مُتْنِنُ الْأَنْفَاسِ ، كَثِيرُ الْمَعَايِبِ ، مَشْهُورُ الْمَثَالِبِ :

(١) إشارة إلى قول المتن :

« أهابك إحلالاً ، وما بك قدرة على ، ولكن ملء عين حبيبها . »

(٢) في هذا إشارة إلى قول عمر بن أبي ربيعة :

واقعد قال لجلارات لها وتورت — ذات يوم — تورد  
أكما يبعثني تبصرني — عمر كل الله — أم لم يقتصد؟  
فمنعنا من وقد قلن لها : « حسن في كل دين من تود . »

(٣) الهناء : الفطران ، والنقب : الجرب ، وهذا المثل يعرب لمن يسمع الأمور في مواضعها ، وهو نصف

بيت لدريد بن النعمان وهو :

« متدلاً تبدو محاسنه يصم الهناء مواضع النقب . »

(٤) مثل يعرب لمن يكون شبره خيراً من منظره . فله النعمان لشقة بن مسرة ، وكان يعجبه ما يسمع

عنه ، فلما رآه استأدى منظره ، فقال النعمان : لأن تسمع بالمعدي خير من أن تراه .

فقال له : « أثبت ألقى إن الرجال ليسوا بحُرر ، وإنما يعيش المرء بأصغريه قلبه ولسانه . »

(٥) القفال — جمع مؤخر الرأس ، وهجين القفال : أي خسيس الأصل . دلوا : « لأن الذي يعرف

أولم نسيه إذا ولي طأطأ رأسه حياء ودلاً ، فكانت الأؤم يتين من قداله » وقيل « بل لكثرة انهزامه

في الحروب . »

(٦) أرعن : أحمق ، والسال : جمع سبلة وهي شعرة الشفة العليا وخصلت الرعونة بها لأنها علامة الرجل .

(٧) العلاوة — الرأس مادام على العنق ، وفي المراساة أن طول العنق والرأس من دلائل الحفاة .

كَلَامُكَ تَمْتَمَةٌ ، وَحَدِيثُكَ غَمْغَمَةٌ ، وَيَا نَكَ فَهْفَهَةٌ ، وَضَحِكُكَ فَهْقَهَةٌ <sup>(١)</sup> ،  
وَمَشْيُكَ هَرْوَلَةٌ ، وَغِنَاكَ مَسْأَلَةٌ ، وَدِينُكَ زَنْدَقَةٌ ، وَعِلْمُكَ مَخْرَقَةٌ <sup>(٢)</sup> :  
« مَسَاوٍ - لَوْ قَسِمْنَا عَلَى الْغَوَايِ - لَمَا أَتَيْنَا إِلَّا بِالطَّلَاقِ <sup>(٣)</sup> »

حَتَّى إِنْ بَاقِلًا <sup>(٤)</sup> مَوْصُوفٌ بِالْبَلَغَةِ إِذَا قُرِنَ بِكَ ، وَهَبْنَقَةٌ <sup>(٥)</sup> مُسْتَوْجِبٌ لِأَنْتُمْ  
الْعَقْلِ إِذَا أُضِيفَ إِلَيْكَ ، وَطَوَيْسًا <sup>(٦)</sup> مَأْثُورٌ عَنْهُ يُمْنُ الطَّائِرِ إِذَا قِيسَ عَلَيْكَ ،  
فَوْجُودُكَ عَدَمٌ ، وَالْأَغْتِبَاطُ بِكَ نَدَمٌ ، وَالْخَيْبَةُ مِنْكَ ظَفَرٌ ، وَالْجَنَّةُ مَعَكَ  
سَقَرٌ ، كَيْفَ رَأَيْتَ لَوْ مَكَ لِكِرْمِي كِفَاءً ، وَضَعْتَكَ إِشْرَافِي وَفَاءً ، وَأَنْتِ  
جَهَلْتِ أَنَّ الْأَشْيَاءَ إِنَّمَا تَنْجَذِبُ إِلَى أَشْكَالِهَا ، وَالطَّيْرُ إِنَّمَا تَقَعُ عَلَى الْأَفْهَاءِ ،  
وَهَلَّا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ لَا يَجْتَمِعَانِ ، وَشَعَرْتَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ

(١) دال الحاحط - التمه : التردد في الاء ، وانماأه : التردد في الفاء ، والعتلة : الواء اللسان عند  
إرادة الكلام ، والخسنة قندر الكلام ، واللفف : لإدخال حرف في حرف ، والرتة تمنع الكلام ، فإذا  
ساء منه بشيء اتصل ، وقبل العجمة به ، والتمة أن يعدل من حرف إلى حرف ، والغنة أن يشرب الحرف  
صوت الحيشوم والخنة أشد منها ، واللسكة أن يعترض الكلام حرف أعجمي ، والطمطمة أن يكون  
الكلام شبيها بالمعجمي .

وأما الغممة فهي أن يسمع الصوت ولا يبين تقطيع الحروف - انهمة : الهى في المطق ، والقهقهة :  
الضحك الشديد يستدلون به على قلة العقل .

(٢) الهرولة : بين المشى والعدو ، والمسألة : المقر ، والمخرقة : نوع من الحرق ، الذي هو ضد الرق ،  
ومنه يقال : المحراق وهو شئ يامب به كأنه يخرج لاطهار الشئ بخلافه .  
(٣) البيت لأنى تمام . (٤) باقل : مضرب المثل في الهى .

(٥) هبة : مضرب المثل في الخل وضعب العقل - قلوا : هو وضع حقد في عتة علامة لهمة لثلا يضع  
قالوا : وراقه أخوه إلى أن نام ، فأخذ المقعد من عتة وجعل في عتق نفسه ، ولما انتبه هبة ورأى أخاه ،  
قال « أنت أنا ، وأنا ياترى ، من هو أنا » وهو جاهلى .

(٦) الغنى الماسح المشهور ، وكان يسكن المدينة ، وهو أول من غنى بها على الدف بالعربية ، ويضرب به  
المثل في الندم ، لأنه ولد يوم مات النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وودع يوم مات أبو بكر ، وحتن يوم  
قل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وكانت أمه تمشى بالنميمة بين نساء الأنصار ، ونوادر شؤمه كثيرة  
مشهورة في كتب الأدب .

لَا يَتَقَارَبَانِ ، وَقُلْتَ : « الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ لَا يَسْتَوِيَانِ » وَتَمَثَّلْتَ (١) :  
« أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيَا سُهَيْلًا عَمَرِكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ ؟ »

وَذَكَرْتَ أَنِّي عَلِقُ لَا يُبَاعُ (٢) يَمِّنُ زَادَ ، وَطَائِرٌ لَا يَصِيدُهُ مَنْ أَرَادَ ، وَغَرَضٌ لَا يُصْبِيهِ إِلَّا مَنْ أَجَادَ . مَا أَحْسَبُكَ إِلَّا كُنْتَ قَدْ تَهَيَّأْتَ لِلتَّهْنِيَةِ ، وَتَرَشَّعْتَ لِلتَّرْفِيَةِ ! وَلَوْلَا أَنَّ جُرْحَ الْمَجْمَاءِ جُبَارٌ (٣) ، لَلَقَيْتَ مِنَ الْكَوَاعِبِ مَا لَاقَى يَسَارٌ (٤) ، فَهَاهُمْ إِلَّا بِبَعْضِ مَا بِهِ هَمَمْتَ ، وَلَا تَعَرَّضْ إِلَّا لِأَيَسَرِ مَالِهِ تَعَرَّضْتَ ، أَيْنَ ادْعَاؤُكَ رِوَايَةَ الْأَشْعَارِ ، وَتَعَاطِيكَ حِفْظَ السَّيْرِ وَالْأَخْبَارِ ؟ أَمَا ثَابَ إِلَيْكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

« بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلٌ مِسْمَعٍ وَتُنْكَحُ فِي أَكْفَائِهَا الْحَبِطَاتُ ؟ »

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة ، وعمرك الله بالصب وبهما لأنه لم يرد القسم ، وإنما أراد سألت الله أن يطيل عمرك ( بالفتح ) أي حياتك ، وبعده قوله :

« هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمانى . »

(٢) الملق : النفيس وهو من قصيدة للحريث بن قحطان التميمي كانت له فرس اسمها — سكاب — فأراد بعض ملوك اليمن أخذها منه فهرب بها وقال :

« أبيت اللعن إن سكاب علق نفيس لا تمار ولا تباع »

مفسدة مكرمة عاينا تجاع لها العيال ، ولا تجاع

فلا تطمع أبيت اللعن فيها ومنعكها شيء يستطاع . »

(٣) المجماء : البهيمة ، والحبار : الهدر ، والمعى : أن البهيمة إذا جرحت لادية لها ولا قصاص ، وهو مثل يضرب ، لمن يستهان به .

(٤) يسار : اسم عبد دميم أسود كان النساء يرينه فيضحكن منه لقبحه ويعسبن لفتله معجبات به حتى نظرت إليه بنت مولاة فضحكت فظن أنها رضيت له ، فقال لصاحبه له أسود : « قد والله عفتني مولاتي ، فلا تزرونها الليلة » فقال له صاحبه « يا يسار ، اشرب لبن العشار ، وكل لحم الحوار وإياك وبنات الأحرار » فقال له « والله ما رأيتني حرّة إلا عفتني » فلما أمسى قال لصاحبه « احفظ على الأبل حتى أنصرف ، وأهود إليك » فنهاه فلم ينته حتى دخل على بنت مولاة يراودها عن نفسها ، فقالت له « مكلمك فان للحرائر طيباً ، أشمك إياه » فقال لها « هاتيه » فأتته بطيب وموسى قاطعة ، فأشمته الطيب ، ثم أتمت بالموسى على منه فقطعته ، فخرج هارباً حتى أتى صاحبه ودمه يسيل ، فضرب به المثل .

وَهَلَّا عَشِيتَ وَلَمْ تَفْتَرِ ؟ وَمَا أَشْكُ أَنَّكَ تَكُونُ وَافِدَ الْبَرَاجِمِ <sup>(١)</sup> ، أَوْ  
تَرْجِعُ بِصَحِيفَةِ الْمُتَلَمِّسِ <sup>(٢)</sup> ، أَوْ أَفْعَلُ بِكَ مَا فَعَلَهُ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ بِالْجُهَنِيِّ ،  
إِذَا جَاءَهُ خَاطِبًا فَدَهَنَ أُسْتَهُ بَزَيْتٍ وَأَذْنَاهُ مِنْ قَرِيَةِ النَّمْلِ ، وَمَتَّى كَثُرَ تَلَاقِينَا  
وَاتَّصَلَ تَرَاتِينَا ، فَيَدْعُونِي إِلَيْكَ مَادَعًا ابْنَةَ الْخَسِّ إِلَى عَبْدِهَا مِنْ طُولِ السَّوَادِ <sup>(٣)</sup> ،  
وَقُرْبِ الْوَسَادِ ؟ وَهَلْ فَقَدْتُ الْأَرَاقِمَ <sup>(٤)</sup> ؟ فَأَنْكِحْ فِي جَنْبِ <sup>(٥)</sup> ؟ أَوْ عَضِّلْنِي  
مَهْمَامُ بْنُ مُرَّةَ فَأَقُولَ : « زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ ، خَيْرٌ مِنْ قُعُوْدٍ ؟ »

وَلَعَمْرِي لَوْ بَلَغْتُ هَذَا الْمَبْلَغَ لَأَزْتَفَعْتُ عَنْ هَذِهِ الْخُطَّةِ ، وَلَأَرْضَيْتُ بِهِذِهِ الْخُطَّةِ ،  
قَالَتَارُ ، وَلَا الْعَارُ ، وَالْمَنِيَّةُ ، وَلَا الدَّيْنَةُ ، وَالْحُرَّةُ تَجُوعُ وَلَا تَأْكُلُ بِشَدَائِهَا <sup>(٦)</sup> :

(١) وافد البراجم : هو رجل من بني تميم — والبراجم حسنة من أولاد حنظلة — والعرب تصرب المثل بواحد  
البراجم لأن عمرو بن هند أحرق تسعة وتسعين رجلاً من بني تميم لثأر له عندهم ، وكان قد آلى أن يحرق  
منهم مائة فبينما هو يلتبس بقية المائة إذ مرَّ رجل اسمه عمار فاشتد رائحة القنار فظن أن الملك اتخذ طعاماً  
فدخل إليه فقبل له « من أنت » فقال : « أنا وافد البراجم » فألقى في النار .

(٢) شاعر جاملي وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد على عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة فنادماه وبينما طرفة  
يهرب يوماً معه وفي يده جام من ذهب فيه شراب أشرقت أخت عمرو ، فراها طرفة فقال : « ألا بأبي الظبي  
الذي تشرق شفتاه ، ولولا الملك القاعد ألثمتي فاه » فسمعها عمرو فأسرهما في نفسه وهم يقتله ، ولكنه خاف  
من هجاء التلمس ، فكتب لهما كتابين إلى حامل البحرين ، وقال : « إني كتبت لكما بصلة فاقبضاها  
من حامل البحرين » فخرجا من عنده بالكتابين ، ومرت التلمس بفلام من أهل الحيرة ، فطلب إليه أن يقرأ  
كتابيه فإذا فيه « إذا أتاك التلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه » فأقبل على طرفة فقال « والله لقد كتب لك  
بمثل هذا ، فادفع كتابك إلى الفلام يقرؤه » فقال : « كلا ما كان لي جترى على قومي بمثل هذا » فألقى  
التلمس صحيفته في نهر الحيرة وذهب طرفة مقتل .

(٣) ابنة الخس امرأة جاهلية زنت بمبد لها ، فلما قرعوها وغيروها بفعلتها ولاموها عليها قالت لهم معتورة :  
« لقد حملني على ذلك قرب الوساد ، وطول السواد » وهي تعني بطول السواد : طول السرار ، وفي الحديث :  
« السواد من السحر » تقول : ساودته أي ساورته ، أنظر « ص ١٩٨ » (٤) حتى من تغلب .  
(٥) حتى من اليمن ، وهو من شعر مهلهل التغلبي حين هرب وطالت عليه حرب البسوس فزل في طريقه  
على حتى من اليمن فخطبوا إليه ابنته فساقوا المهر وهو جلود من آدم وغصبوه على الزواج فقال :

« أعزز على تغلب بما أقيت أخت بني الأكرمين من جشم

أنكحها فقدما الأرقام من جند ب وكان الحياء من آدم

لوباً بأباين جاء خاطبها ضرج ما أثف خاطب بدم .

(٦) هذه أمثلة لمن يفضل الهلاك على قبح الاحدوته .

فَكَيْفَ وَفِي أَبْنَاءِ قَوْمِي مَنَكْحٌ وَفَتَيَانِ هَزَّانِ الطَّوَالِ الْغَرَانِقَةِ<sup>(١)</sup>

مَا كُنْتُ لَا تَحْطَى الْمِسْكَ إِلَى الرَّمَادِ ، وَلَا أَمْتَطِي الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَادِ ، فَلِئَنَّمَا  
يَتَيَّمُ مَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً ، وَيَرْغَى الْهَشِيمَ ، مَنْ عَدِمَ الْجَمِيمَ ، وَيَرْكَبُ الصَّعْبَ  
مَنْ لَا ذُلُولَ لَهُ ، وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا غَرَّكَ مَنْ عَلِمْتَ صَبَوْتِي إِلَيْهِ ، وَشَهِدْتَ  
مُسَاعَفَتِي لَهُ ، مِنْ أَقْمَارِ الْعَصْرِ ، وَرَيْنَحَانِ الْمِصْرِ ، الَّذِينَ هُمُ الْكُوكِبُ غُلُوُّ  
هِمِّهِمْ ، وَالرِّيَاضُ طِيبُ شَيْمِهِمْ :

«مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَا قَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي<sup>(٢)</sup>»  
حَنَّ قَدَحٌ لَيْسَ مِنْهَا ، مَا أَنْتَ وَهُمْ ، وَأَنْتَى تَقَعُ مِنْهُمْ ، وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا وَאוُ  
عَمِّرُوا فِيهِمْ ، وَكَالْوَشِيظَةِ<sup>(٣)</sup> فِي الْعَظْمِ يَنْتَهُمُ ، وَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا بَلَغْتَ قَعْرَ  
تَابُوتِكَ ، وَتَجَافَيْتَ عَنْ بَعْضِ قُوَّتِكَ ، وَعَطَّرْتَ أَرْضَانِكَ ، وَجَرَرْتَ هَمِيَانِكَ ،  
وَاخْتَلَّتْ فِي مَشِيَّتِكَ ، وَحَذَفْتَ فُضُولَ لِحْيَتِكَ ، وَأَصْلَحْتَ شَارِبَكَ ،  
وَمَطَطْتَ حَاجِبَكَ ، وَرَفَقْتَ خَطَّ عَذَارِكَ ، وَاسْتَأْنَفْتَ عَقْدَ إِزَارِكَ ، رَجَاءُ  
الْأَكْتِنَانِ فِيهِمْ ، وَطَمَعًا فِي الْأَعْتِدَادِ مِنْهُمْ ، فَظَنَنْتَ عَجْزًا ، وَأَخْطَأْتَ  
اسْتِكَ الْحَفْرَةِ<sup>(٤)</sup> ، وَاللَّهِ لَوْ كَسَاكَ مُحَرَّقُ الْبُرْدَيْنِ<sup>(٥)</sup> ، وَحَلَّتْكَ مَارِيَةٌ<sup>(٦)</sup> بِالْقُرْطَيْنِ  
وَقَلَّدَكَ عَمْرُو الصَّمْصَامَةَ<sup>(٧)</sup> ، وَحَمَلَكَ الْحَارِثُ عَلَى النَّعَامَةِ<sup>(٨)</sup> ، مَا شَكَكَتُ فَيْكَ ،

(١) اسم قبيلة — والعراصة الشباب ، والناب للأعشى .

(٢) البيت للمعري أحد بني بكر بن كلاب .

(٣) قطعة العظم تكون زيادة في العظم الصميم — يقال فلان وشيطة في قومه أي حشو فيهم .

(٤) مثل يصرب لمن يذنب أمرا فيحطه ولا يناله . (٥) انظر ص « ٢٠٠ »

(٦) ابنة ظالم زوج الحارث الأكبر الساسي — وقد أهدت قرطها إلى الكعبة .

(٧) انظر ص « ٢٠٧ — ٢١٠ »

(٨) فرس الحارث بن عباد التغلبي من سادات بني وائل .

وَلَا سَتَرْتَ أَبَاكَ، وَلَا كُنْتَ إِلَّا ذَاكَ، وَهَبَكَ سَامِيَّتَهُمْ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ  
وَالْحَسَبِ، وَجَارِيَّتَهُمْ فِي غَايَةِ الظَّرْفِ وَالْأَدَبِ، أَلَسْتَ تَأْوِي إِلَى يَتِّ  
قَعِيدَتُهُ لِكَاعٍ <sup>(١)</sup>؟ إِذْ كُلُّهُمْ عَزَبَ خَالِي الذَّرَاعِ، وَأَيْنَ مَنْ أَنْقَرِدُ بِهِ يَمْنُ  
لَا غَلَبَ إِلَّا عَلَى الْأَقَلِّ الْأَخْسَ مِنْهُ، وَكَمْ بَيْنَ مَنْ يَعْتَمِدُنِي بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ،  
وَالشَّهْوَةِ الْوَافِرَةِ، وَالنَّفْسِ الْمَصْرُوفَةِ إِلَى، وَاللَّذَّةِ الْمَوْقُوفَةِ عَلَى، وَبَيْنَ آخِرِ  
قَدْ نَضَبَ غَدِيرُهُ، وَتَزَحَّتْ بِيرُهُ، وَذَهَبَ نَشَاطُهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ضُرَاطُهُ،  
وَهَلْ يَجْتَمِعُ لِي فِيكَ إِلَّا الْحَشْفُ وَسُوءُ الْكَيْلَةِ <sup>(٢)</sup>، وَيَقْتَرِنُ عَلَيَّ بِكَ إِلَّا  
الْعُدَّةُ وَالْمَوْتُ فِي يَتِّ سَلُولِيهِ <sup>(٣)</sup> :

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو أَذَلَّ الْجِرْصُ أَعْنَاقَ الرَّجَالِ <sup>(٤)</sup>  
مَا كَانَ أَخْلَقَكَ بِأَنْ تَقْدِرَ بِذَرْعِكَ، وَتَرْبَعَ بِذَلِكَ عَلَى ظَلَمِكَ، وَلَا تَكُنْ  
بِرَاقِشٍ <sup>(٥)</sup> الدَّالَّةَ عَلَى أَهْلِهَا، وَعَنْزَ السُّوءِ الْمُسْتَشِيرَةَ لِحَتْفِهَا، فَمَا أَرَاكَ إِلَّا سَقَطَ  
بِكَ الْعِشَاءُ عَلَى سِرْحَانٍ <sup>(٦)</sup>، وَبِكَ لَا بِطَاطِيٍّ أُعْفَرَ <sup>(٧)</sup>، أَعْذَرْتَ إِنْ أُغْنَيْتَ شَيْئًا،  
وَأَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا <sup>(٨)</sup> .

(١) القعيدة : الروحة ، والكاع : الشيعة ، واليب للطيخة يقول :

« أطوف ما أطوف ثم آوى إلى بيت قعيدته لكاع . »

(٢) مثل يصرب في الحامين السيئين يجتمعان . قالوا أنه لعمر بن مديكرب ، والحشف أردأ التمر ،

والكيلة مصدر يدل على الهيئة .

(٣) وهي امرأة من سلول ، وهو مثل فله حاسر بن الطويل عند ما تودد النبي - صلى الله عليه وسلم -

مدما عليه وقال : اللهم اكفني عامرا بما شئت ، بظهر في رقبته غدة مات منها وجعل يقول : « غدة كغدة

البعير ، وموت في بيت سلولية . » (٤) الدب لأبي المعاضية . (٥) يشير إلى المثل ( جنت

على أهلها براقش ) (٦) الدب . (٧) مثل يصرب لثمة بالزل - أي نزل بك المكروه ولا

نزل بطي ، والأعفر الذي لونه لون الدباب . (٨) يشير إلى قول المعري :

« لقد أسمعتم لو ناديت حيا . ولكن لا حياة لمن تنادي

ونار لو سمعت بها أضاءت . ولكن أنت تنفخ في رماد . »

وامله اقتبسها في قصيدته من شعر عمرو بن مديكرب .

إِنَّ الْمَصَا قُرِعَتْ لَدَى الْحِلْمِ وَالشَّيْءُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْبَغِي<sup>(١)</sup>  
وَإِنْ بَادَرْتَ بِالنَّدَامَةِ ، وَرَجَعْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِالْمَلَامَةِ ، كُنْتَ قَدْ اشْتَرَيْتَ  
الْعَافِيَةَ لَكَ بِالْعَافِيَةِ مِنْكَ ، وَإِنْ قُلْتَ جَمْعَةً وَلَا طِخْنَ ، وَرُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ<sup>(٢)</sup>  
الرَّاعِدَةِ ، وَأَنْشَدَتْ :

« لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ مُخَذَّرَةٍ قَوْلُ تَغْلِظُهُ وَإِنْ جَرَحَا<sup>(٣)</sup> . »

فَعُدْتُ لِمَا نُهَيْتَ عَنْهُ ، وَرَاجَعْتُ مَا اسْتَعْفَيْتَ مِنْهُ ، بَعَثْتُ مَنْ يُزِيحُكَ إِلَى  
الْخَضِرَاءِ<sup>(٤)</sup> دَفْعًا ، وَيَسْتَحِثُّكَ نَحْوَهَا وَكَزًّا وَصَفْعًا ، فَإِذَا صِرْتَ إِلَيْهَا عَبَثَ  
أَكْغَارُهَا<sup>(٥)</sup> بِكَ ، وَتَسَلَّطَ نَوَاطِيرُهَا عَلَيْكَ ، فَمِنْ قَرَعَةٍ مُعْوَجَةٍ تُقَوِّمُ فِي قَفَاكَ ،  
وَمِنْ فُجْلَةٍ مُنْدَنَةٍ يُرْمَى بِهَا تَحْتَ خُصَاكَ ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ، لِتَذُوقَ وَبَالَ  
أَمْرِكَ ، وَتَرَى مِيزَانَ قَدْرِكَ :

فَمَنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى<sup>(٦)</sup>

(١) وهما مثلان يضربان في التحذير، وقد نظمهما الحارث بن ودة اليشكري ، وقد قتل بعض سادات قومه أخاه فقال :

« أَفَلَيْتَ سَادَتَنَا بِلَا تَرَةً - إِلَّا لِنَوْهِنَ قُوَّةَ الْعَظَمِ  
وَوَطَنَنَا وَطْنَا عَلَى جَنْفٍ وَطَهُ الْمَقِيدَ نَابِتَ الْهَرَمِ  
وَزَعَمْتُ أَنَا لَا حُلُومَ لَنَا إِنْ الْمَصَا تَرَعَتْ لَدَى الْحِلْمِ  
لَا تَأْمَنُ قَوْمًا ظَلَمْتَهُمْ وَبَدَأْتَهُمْ بِالْكَرِّ وَالْفِشْمِ  
إِنْ يَأْبُرُوا تَحْتَ لَعِينِهِمْ وَالشَّيْءُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْبَغِي  
الآنَ لِمَا أَيْمَسَ مَسْرِيقٍ وَعَضَضْتُ مِنْ نَابِي عَلَى جِذْمٍ  
تَرْحُو الْأَعَادِي أَنْ أَسَالِحُهَا جَهْلًا تَوْهَمُ صَاحِبَ الْكَلَمِ  
قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمَ أَخِي فَأِذَا رَمَيْتَ يَصِيبُنِي سَهْمِي  
فَلَنْ عَقُوتَ لَأَهْلِيهِ جَلًّا وَلَنْ أَصِيبَتْ لَأَوْهَتِي عَظْمِي . »

(٢) الجمجمة : صوت الرمح ، والطخن : الدقيق ، والصلف : قلة الخير والبركة ، وسحاب صلف : أى قليل الماء كثير  
الرد ، وهما مثلان يضربان لمن يتوعد من غير أن يفعل . (٣) هذا البيت لبشار بن برد - وبمعه قوله :

« عَسَرَ النِّسَاءُ إِلَى مِيَا سَرَةٍ وَالصَّعْبُ يَرْكَبُ بَعْدَ مَا جَحَا . »

(٤) الناحية : المزروعة من البلد ، والوكز : ضرب الظهر مع الدفع أو الضرب بمجتمع اليد على الذن .

(٥) الأكادون : الزارعون . (٦) البيت للمثنى - من قصيدة ذم كافور الأخشيدي وهجائه ، ومنها قوله :

« وَقَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ الْحَمْدِ - بِأَنْ الرُّؤُوسَ مَعْلَ النَّهْيِ  
فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ وَجَدْتُ النَّهْيَ كَمَا فِي الْخَمِي  
وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بِأَسْنَانِهِمْ فَا مَّا بَرَقَ رِيَّاحُ فَلَا . »



## الرسالة الجدية لابن زيدون<sup>(١)</sup>

« كتبها لابن جمهور »

يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الَّذِي وَدَّادِي لَهُ ، وَأَعْتِمَادِي عَلَيْهِ ، وَأَعْتِدَادِي بِهِ ،  
وَأَمْتِدَادِي مِنْهُ ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ مَاضِيَ حَدِّ الْعَزْمِ ، وَارَى زَنْدِ<sup>(٢)</sup> الْأَمَلِ ، ثَابِتَ  
عَهْدِ النِّعْمَةِ ، إِنْ سَلَبْتَنِي - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لِبَاسِ نِعْمَاتِكَ ، وَعَظَّمْتَنِي مِنْ حُلَى  
إِينَاسِكَ ، وَأَظْمَأْتَنِي إِلَى بَرُودِ<sup>(٣)</sup> إِسْمَافِكَ ، وَتَقَضَّتْ بِي كَفِّ حِيَاطَتِكَ ،  
وَعُضَضْتَ<sup>(٤)</sup> عَنِّي طَرَفَ<sup>(٥)</sup> حِمَايَتِكَ ، بَعْدَ أَنْ نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ ،  
وَسَمِعَ الْأَصَمُّ ثَنَائِي عَلَيْكَ<sup>(٦)</sup> ، وَأَحَسَّ الْجَمَادُ بِاسْتِحْمَادِي إِلَيْكَ - فَلَا غَرَوَ  
قَدْ يَفْصُ بِالمَاءِ شَارِبُهُ ، وَيَقْتُلُ الدَّوَاهِ الْمُسْتَشْفِي بِهِ ، وَيُؤْتِي الْحَذِرُ مِنْ  
مَأْمَنِهِ ، وَتَكُونُ مَنِيَّةُ الْمُتَمَنَّى فِي أُمْنِيَّتِهِ<sup>(٧)</sup> ، وَالْحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ  
الْحَرِيصِ<sup>(٨)</sup> :

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى وَتَهْوُنُ غَيْرَ شِمَاتَةِ الْحَسَادِ  
وَإِنِّي لَا تَجَلَّدُ ، وَارَى الشَّامِتِينَ أَنِّي لَرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَمُّعُ<sup>(٩)</sup> ، فَأَقُولُ :

(١) ارجع إلى « ص ٤٩ » (٢) الزند : الزناد ، وورى الرند هو اقتداحه وحروج النار منه .

(٣) برود : بارد . (٤) عُضَضْتُ : حَفَضْتُ .

(٥) طرف : عين . (٦) يشير إلى قول المتنبي :

« أنا الذي نظر الأعشى إلى أدنى وأسمعت كلماتي من به صمم . »

(٧) فيما يؤمله ويتمناه .

(٨) الحين : الهلاك ، والجهد : الطائفة ، وهذا مثل من أمثال العرب مشهور . قال عدي بن زيد :

« تد يدرك المظلي من حظه - والحين قد يسبق جهد الحريص . »

(٩) يشير إلى قول أبي ذؤيب الهذلي :

« وتجلدى للشامتين أريهم - أني - لرب الدهر - لا أتضعع . »

وقد تمثل به معاوية قبيل وفاته .

هَلْ أَنَا إِلَّا يَدُ أَدَمَاهَا سِوَارُهَا <sup>(١)</sup> ، وَجَبَيْنُ عَضَّ بِهِ إِكْلِيلُهُ <sup>(٢)</sup> ، وَمَشْرِفِي <sup>(٣)</sup>  
الْصَقَّةُ بِالْأَرْضِ صَاقِلُهُ ، وَسَمَهْرِي <sup>(٤)</sup> عَرَضُهُ عَلَى النَّارِ مُثَقَّفُهُ ، وَعَبْدُهُ ذَهَبَ  
بِهِ سَيِّدُهُ مَذْهَبَ الَّذِي يَقُولُ :

« فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ <sup>(٥)</sup> »  
هَذَا الْعَتَبُ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ ، وَهَذِهِ النَّبُوءَةُ <sup>(٦)</sup> غَمْرَةٌ <sup>(٧)</sup> ثُمَّ تَنْجَلِي ، وَهَذِهِ  
النَّكْبَةُ سَحَابَةٌ صَيِّفٌ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ <sup>(٨)</sup> ، وَلَنْ يَرِيَدَنِي مِنْ سَيِّدِي أَنْ  
أَبْطَأَ سَيِّبُهُ <sup>(٩)</sup> ، أَوْ تَأَخَّرَ - غَيْرَ صَنِينَ - غَنَاؤُهُ <sup>(١٠)</sup> ، فَأَبْطَأَ الدَّلَاءُ فَيَضًا  
أَمْلَوْهَا <sup>(١١)</sup> ، وَأَثْقَلُ السَّحَابُ مَشِيًا أَحْفَلُهَا <sup>(١٢)</sup> ، وَأَنْفَعُ الْحَيَا مَا صَادَفَ <sup>(١٣)</sup>  
جَذْبًا ، وَالَّذُ الشَّرَابِ مَا أَصَابَ غَلِيلًا <sup>(١٤)</sup> ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ

(١) السوار : نوع من الخيل يلبس في الساعد ، وقريب من هذا قول المتنبي :

« بوركب - وما أثرت فيهم - يد - لم يدمها إلا الـ - سوار  
لها - من قطعه - ألم ونفس ، وفيها - من جلالة - افتحار . »

(٢) الأكليل : الناج . (٣) المشرق : السبب .

(٤) السمهري : الرمح .

(٥) البيت لأبي تمام ، وقريب من هذا المعنى قول المعري :

« اضرب وايدك - نادياً على رش - ولا تقل هو طبل عسير شتم  
درب شق برأس جر منعمة ، وقس على شق رأس السيف والقلم . »

(٦) النبوة : الجفوة . (٧) الغمرة : الشدة . قال الشاعر :

« وما هي إلا غمرة ثم تنجلي سريعاً ولا نبوة تنصرم . »

(٨) مثل عربي : يشير إلى أن العسر سيتبعه اليسر بعد قليل .

(٩) سيده : جوده أو عطاؤه . (١٠) غناؤه : خيره أو منعه .

(١١) مثل عربي ، يقولون : « لعل أبطأ الدلاء أملؤها » وقد اشتق هذا المعنى في إحسدى

مقاماته ، ومعناه إن أبطأ الدلاء في الصعود هي الدلاء المثلثة بالماء .

(١٢) أحفلها : أكثرها ماء .

(١٣) الحيا : الغيث أو المطر .

(١٤) القليل : شدة العطش .

كِتَابٌ ، لَهُ الْحَمْدُ عَلَى اهْتِبَالِهِ <sup>(١)</sup> ، وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فِي إِغْفَالِهِ <sup>(٢)</sup> :  
« فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ - الَّذِي سَاءَ - وَاحِدًا ، فَأَفْعَالُهُ - اللَّاتِي مَرَرْنَ - الْوُف . »

\* \*

وَأَعُودُ فَأَقُولُ :

« مَا هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسْعُهُ عَفْوُكَ ، وَالْجَهْلُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ مِنْ وَرَائِهِ حِلْمُكَ ،  
وَالتَّطَاوُلُ <sup>(٣)</sup> الَّذِي لَمْ يَسْتَغْرِفْهُ تَطَوُّلُكَ ، وَالتَّحَامُلُ الَّذِي لَمْ يَفِ بِهِ أَحْتِمَالُكَ ،  
وَلَا أَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيئًا ، فَأَيْنَ الْعَدْلُ ؟ أَوْ مُسِيئًا ، فَأَيْنَ الْفَضْلُ ؟ »  
إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ فَعَدْلُكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ <sup>(٤)</sup>  
حَنَانِيكَ <sup>(٥)</sup> قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ <sup>(٦)</sup> ، وَنَالَني مَا حَسَنِي بِهِ وَكَفَى ، وَمَا أَرَانِي  
إِلَّا أُمِرْتُ بِالسَّجُودِ لِآدَمَ <sup>(٧)</sup> فَأَبَيْتُ وَأُسْتُكْبِرْتُ ، وَقَالَ لِي نُوحٌ <sup>(٨)</sup> :  
« أَرْكَبْ مَعَنَا » فَقُلْتُ : « سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِيُنِي مِنَ الْمَاءِ » وَأُمِرْتُ

(١) اهْتِبَالُهُ : اغْتِنَامُهُ .

(٢) إِغْفَالُهُ : قِاسِيَتُهُ وَتَعَادُلُهُ .

(٣) التَّطَاوُلُ : التَّكْبِيرُ ، وَالطَّوْلُ : التَّمْضِلُ ، وَالتَّحَامُلُ : السَّكَيْفُ بِمَا لَا يَطَاقُ ، وَالْأَحْتِمَالُ : هُوَ الْقُدْرَةُ عَلَى الْجُلِّ .

(٤) الْبَيْتُ الْأَوَّلُ لَا تَرَى ، وَالثَّانِي مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

« هَبْنِي طُلُومًا مَلَنَّهُ بِمَسَاعِدِ قَصَاصِ وَأَيْنَ الْأَحْذِيَاغِزِ بِالْفَعْلِ ؟ »

(٥) حَنَانِيكَ : رَحْمَتُكَ وَهُوَ مَثْنَى كَلِمَةِ حَنَانٍ .

(٦) الزُّبْيُ : جَمْعُ زُبْيَةٍ وَهِيَ الْخَفْرَةُ فِي مَكَانٍ مَرْتَفِعٍ لَا يَمْلُوهُ الْمَاءُ تَحْفَرُ لِصَيْدِ الْأَسَدِ ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَيْهَا السَّيْلُ كَانَ سَيْلًا عَظِيمًا لَا عَهْدَ لِلنَّاسِ بِهِ ، وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ لِلشَّيْءِ يَرْبِي عَلَى عَائِهِ .

(٧) يُشِيرُ إِلَى اسْتِكْبَارِ إِبْلِيسَ عَنِ السَّجُودِ لِآدَمَ حِينَ أَمَرَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ مَعَاذَ وَحَقَّتْ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ ، وَفَضَّلَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ نَارٍ وَآدَمُ مِنْ طِينٍ ، وَتَدَّ أَشَارَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ إِلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « مَسْجُدُوا إِلَّا لِإِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ » .

(٨) يُشِيرُ إِلَى قِصَّةِ نُوحٍ حِينَ فَاضَ الطَّارِقَانِ ، وَرَكِبَ السَّفِينَةَ هُوَ وَمِنْ مَعَهُ وَحَالِفُهُ ابْنُهُ وَعَصَاهُ فَهَلَكَ ، وَتَدَّ أَشَارَ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ إِلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِ نُوحٍ : « يَا بَنِيَّ أَرْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَافِرِينَ » وَقَوْلِهِ ابْنُهُ : « سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِيُنِي مِنَ الْمَاءِ » .

بِنَاءِ الصَّرْحِ <sup>(١)</sup> لَمَلَّى أَطْلَعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى ، وَعَكَفْتُ عَلَى الْعِجْلِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَعْتَدْتُ فِي السَّبْتِ <sup>(٣)</sup> ، وَتَعَايَيْتُ <sup>(٤)</sup> فَمَقَرْتُ <sup>(٥)</sup> ، وَشَرَبْتُ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي أَبْتَلَى بِهِ جُيُوشُ « طَالُوت » <sup>(٦)</sup> ، وَقُدْتُ الْفِيلَ لِأَبْرَهَةَ <sup>(٧)</sup> ، وَعَاهَدْتُ قُرَيْشًا عَلَى مَا فِي الصَّحِيفَةِ <sup>(٨)</sup> ، وَتَأَوَّلْتُ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ <sup>(٩)</sup> ، وَتَقَرَّرْتُ إِلَى الْعَمِيرِ بِيَذَرٍ ، وَأُنْخَذْتُ بِثَلَاثِ النَّاسِ يَوْمَ أُحُدٍ <sup>(١٠)</sup> ، وَتَخَلَّفْتُ عَنْ صَلَاةِ الْمَصْرِ فِي

(١) الصرح : القصر - يشير إلى قصة فرعون وهي مذكورة في الكتاب الكريم حين قال : « يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً » .

(٢) يشير إلى عجل بني إسرائيل الذي عبدوه .

(٣) يشير إلى قصة بني إسرائيل حين نبهوا عن الصيد في يوم السبت فخالفوا ما نبهوا عنه ، لحق بهم العذاب

(٤) تعاييت : أي قت على أطراف أصابع رجلي ورفعت يدي وضربت .

(٥) عقرت : قتلت يقال عقر العمير بالسيف أي ضربت قوائم به وهو يشير بذلك إلى ناقة صالح وذنوب

من عقرها ، وإلى الآية الكريمة : « فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها »

(٦) يشير إلى الذنب الذي اقترفه حيش « طالوت » عليه السلام ، وإلى الآية : « إن الله مبتليكم بنهر

فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني إلا من اغترف غرفة بيده » ولكن أكثرهم خالفه وشرب

منه فوقعوا في الاثم ، قال أبو العلاء :

« سقيا لدجلة والدنيا مفرقة حتى يعود اجتماع النجم تشبثا

وبعدها لا أريد الشرب من نهر كأنما أنا من أصحاب طالوتا »

(٧) يشير إلى قصة أبرهة عامل اليمن من قبل النجاشي حين ذهب لهدم الكعبة ومعه الفيلة لمضيه عليها

إذ بي كيسة في صنماء اليمن ليحج إليها الناس بدل الكعبة فلم يمنوا بها وتوطر رجل فيها وأحرقها بهمن نجار

اليمن ، وغصب النجاشي من ذلك ، وأمر أبرهة عامل اليمن بدهمها وانقصة مذكورة في الكتاب الكريم

« ألم تر إلى ذلك كيف فعل بأصحاب الفيل \* ألم تركبهم في تضليل \* وأرسل عليهم طيراً أبابيل \* ترءيهم

بعجالة من سجيل \* فجعلهم كعصف مأكول . » وقد أشار للمرى إلى هذه القصة في لزمياته بقوله :

« حديث جاء عن قايي - ل - في الدهر - ومايلا

وطير عكفت يوماً على الجيش أبابيللا

مضى نرحل عن دنيا تزيد العقل تخيلا . »

(٨) يشير إلى الصحيفة التي كتبها قريش وعلقوها في الكعبة يقرّون فيها مقاطعة النبي - صلى الله

عليه وسلم - وإثارة الاسلام بعد أن رأوا إسلام عمر وحزرة الذي اعتز بها الدين .

(٩) تقص بيعة العقبة : مخالفة الاجماع والشذوذ عن :جة الصواب .

(١٠) يشير إلى واقعة « أحد » حين انخذل ابن سلول هو ومن معه من المنافقين ورجعوا

بثلاث الجيش .

بَنِي قُرَيْظَةَ <sup>(١)</sup> ، وَجِئْتُ بِالْإِفْكِ <sup>(٢)</sup> عَلَى عَائِشَةَ الصَّدِيقَةِ ، وَأَنْفَتُ مِنْ  
إِمَارَةِ أُسَامَةَ <sup>(٣)</sup> ، وَزَعَمْتُ أَنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ <sup>(٤)</sup> كَانَتْ فُلْتَةً ، وَرَوَيْتُ  
رُحْمِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ <sup>(٥)</sup> ، وَمَزَّقْتُ الْأَدِيمَ <sup>(٦)</sup> الَّذِي بَارَكْتَ يَدُ اللَّهِ عَلَيْهِ ،  
وَضَحَيْتُ بِالْأَشْمَطِ <sup>(٧)</sup> الَّذِي عُنُوَانُ السُّجُودِ بِهِ ، وَبَذَلْتُ لِقَطَامٍ <sup>(٨)</sup> .  
« ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقَيْنَةً وَضَرَبَ عَلِيٌّ بِالْحُسَامِ الْمُسَمَّمِ »

(١) بنو قريظة : طائفة من اليهود وقد أسر النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بعد عودته من غزوة الحديق أن يصلوا العصر في بني قريظة يعني بذلك أن يسرعوا في الذهاب إليهم .

(٢) تشير إلى جريمة مسطح وحسان في حادثة الافك ، وهي اتهام عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - حين كانت عائدة من غزوة بني المصطلق ونزلت من اليهودج لقضاء حاجتها وسار أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من غير أن يتفقدوا عائشة ، وكانت قد تخلفت عن الركب ، ومرت بها صفوان وكان متحلفاً عن الركب فأركبها على جله ، ولما وصلا أشاع أعوان السوء عنها ماأشاعوه ، ثم برأها القرآن ، وأظهر طهارتها ، وألجم أهل الافك والبهتان .

(٣) يشير إلى تولية النبي - صلى الله عليه وسلم - أسامة بن حارثة قيادة الجيش الذي ذهب إلى الشام وإلى تعالى بعض المهاجرين ، وأنفتم من إمارته ، وغضب الرسول - صلى الله عليه وسلم - عليهم وتفرعهم إليهم ، وصموده المنز وهو حاسب رأسه لمرضه .

(٤) يشير إلى رأى الشيعة في أن علي بن أبي طالب كان أجدر بالخلافة من أبي بكر وعمر ، وأن أبا بكر قد اختلسها لنفسه اختلاساً .

(٥) يشير إلى ملك أبي شجرة السامي في بعض حروب الردة بجيش خالد بن الوليد .

(٦) يشير إلى أديم «عمر» أي جلده الذي صرقه أبو لؤلؤة الخوصي حين قتله ، ويشير إلى قول الشاعر في رثائه :

«جزى الله خيراً من إمام، وباركت يد الله في ذاك الأديم المذرق .»

(٧) يعني بالأشمتط : عثمان بن عفان ، وهو يشير إلى قول حسان بن ثابت في رثائه :

«ضجوا بأشمتط، عنوا السجود به، يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً .»

(٨) قطام : اسم امرأة أغرت عبد الرحمن بن ملجم قتل علي ومروسته ، هراً لها ، فأجابها إلى ماطلبت ،

وبلى هذا البيت قوله :

«فلامهر أغلى من علي - وإن علا - ولا فلك إلا دون فلك ابن ملجم .»

وقد أشار البحترى إلى ذلك أبدع إشارة حين قال :

« ولاعجب للأسد إن طفرت بها كلاب الأعادى من فصيح وأنجم

خربة وحشى سقت حمزة الردى ، وموت علي من حسام ابن ملجم .»

وَكَتَبْتُ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ : « أَنْ جَعَجِيعٌ <sup>(١)</sup> بِالْحُسَيْنِ » وَتَمَثَّلْتُ عِنْدَ مَا بَلَغَنِي مِنْ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ <sup>(٢)</sup> :

« لَيْتَ أَشْيَاخِي - بِيَذْرٍ - عَامُوا جَزَعَ الْخَزَرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلِ »  
وَرَجَعْتُ الْكُعْبَةَ ، وَصَلَبْتُ الْعَائِذَ عَلَى الثَّنِيَّةِ <sup>(٣)</sup> ، لَكَانَ - فِيمَا جَرَى عَلَى -  
مَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَسْمَى نَكَالًا ، وَيُدْعَى - وَلَوْ عَلَى الْمَجَازِ - عِقَابًا .  
« وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِي تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَ ! »

\* \* \*

فَكَيْفَ وَلَا ذَنْبَ إِلَّا نَعِيمَةٌ أَهْدَاهَا كَاشِحٌ <sup>(٤)</sup> ، وَنَبَأٌ جَاءَ بِهِ فَاسِقٌ .  
وَهُمُ الْهَمَّازُونَ الْمَشَاءُونَ <sup>(٥)</sup> بِنَعِيمٍ ، وَالْوَاشُونَ الَّذِينَ لَا يَلْبَثُونَ أَنْ يَصْدَعُوا  
الْعَصَا ، وَالْمُؤَاةُ <sup>(٦)</sup> الَّذِينَ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا <sup>(٧)</sup> صَحِيحًا ، وَالسَّعَاةُ <sup>(٨)</sup> الَّذِينَ  
ذَكَرَهُمُ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ : « مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ ، الصَّدَقُ تَحْمُودٌ إِلَّا مِنْهُمْ »  
« حَلَقْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً ، وَلَيْسَ - وَرَاءَ اللَّهِ - لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ »  
وَاللَّهُ ، مَا غَشَشْتُكَ بَعْدَ النَّصِيحَةِ ، وَلَا أَنْحَرَفْتُ عَنْكَ بَعْدَ الصَّاعِغَةِ <sup>(٩)</sup> ، وَلَا  
نَصَبْتُ لَكَ <sup>(١٠)</sup> بَعْدَ التَّشْيِيعِ ، وَلَا أَزْمَعْتُ يَأْسًا مِنْكَ مَعَ ضَمَانٍ تَسْكُفَلْتُ بِهِ

- 
- (١) يشير إلى تحريص عبيد الله بن زياد على قتل الحسين حين أرسل عمر بن سعد لقتله وأتبعه شمر وأمر عبيد الله عمرو بن سعد أن يجمع الحطب أي يسبق عليه الخناق .  
(٢) وقعة الحرّة — يشير إلى ما فعله يزيد بن معاوية حين أرسل عقبة بن مسلم لخاربه أهل المدينة وإباحتها ثلاثة أيام ، ولما تمّ يريد ذلك تمثل بقول ابن الربير : « لَيْتَ أَشْيَاخِي . . . . . الخ . »  
(٣) يشير إلى رحمة الحاج الكعبة بالمنجنيق وصلبه عند الله بن الربير وهو يعنيه بالعائد أي المنجنيق ، والثنية : طريق العقبة . (٤) الكاشح : المدوّ .  
(٥) الهمازون : الذين يكثرون الهمر وهو العيبة ، والمشاءون : الذين يكثرون السبي بين الناس بالنميمة .  
(٦) المؤاة : جمع عار وهو المسال . (٧) الأديم الجلد .  
(٨) السعاة : الذين يسعون بين الناس بالفساد . (٩) الصاعغة : صاعغة الرجل خاصته الدين صفون إليه ويفشون مجلسه . (١٠) ولا نصبت لك : عاديتك .

الثِّقَّةُ عَنْكَ ، وَعَهْدٌ أَخَذَهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ . فَفِيمَ عَبَثَ الْجَفَاءُ بِأَذِمَّتِي <sup>(١)</sup> ،  
وَعَاثَ الْعُقُوقُ فِي مَوَاتَاتِي ، وَتَمَسَّكَنَ الضِّيَاعُ مِنْ وَسَائِلِي ؟ وَلِمَ ضَاقَتْ  
مَذَاهِبِي ، وَأَكْدَتْ مَطَالِبِي ؟ وَعَلَامَ رَضِيتُ مِنَ الْمَرْكَبِ بِالتَّغْلِيْقِ . بَلْ  
مِنَ الْغَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ <sup>(٢)</sup> ؟ وَبِأَنَّ غَلْبَنِي الْمَغْلَبُ <sup>(٣)</sup> ، وَفَخَرَ عَلَى الْعَاجِزِ الضَّعِيفُ ،  
وَلَطَمْتَنِي غَيْرُ ذَاتِ سِوَارٍ <sup>(٤)</sup> ؟ وَمَا لَكَ لَمْ تَمْنَعْ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُفْتَرَسَ ، وَتُذْرِكْنِي  
وَلَمَّا أُمِرْتُ <sup>(٥)</sup> ؟ أَمْ كَيْفَ لَا تَتَضَرَّمُ جَوَانِحُ الْأَكْفَاءِ <sup>(٦)</sup> حَسَدًا لِي عَلَى الْخُصُوصِ  
بِكَ ؟ وَتَتَقَطَّعُ أَنْفَاسُ النُّظَرَاءِ مُنَافَسَةً فِي الْكَرَامَةِ عَلَيْكَ ، فَكَيْفَ وَقَدْ  
رَأَيْتَنِي قَدِيمُ خَدَمَتِكَ ، وَزَهَانِي وَسَمُ نِعْمَتِكَ ، وَأَبْلَيْتُ الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ فِي  
سِمَاطِكَ <sup>(٧)</sup> ، وَقُمْتُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ عَلَى بِسَاطِكَ ؟

« أَلَسْتُ الْمُوَالِي فِيكَ غُرٌّ وَقَسَائِدُ هِيَ الْأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ - أُنْجُمًا  
تَنَامُ يَخَالُ الرُّوْضُ مِنْهُ مُنَوَّرًا ضَمًا ، وَيُخَالُ الْوَشْيُ فِيهِ مُنَمَّنًا »

(١) الأداة : العهد والحرمت . (٢) ربيت من العيبة بالاياب : مثل ضرب في القناعة بالسلامة  
قال امرؤ القيس :

« لَقَدْ طَرَفْتُ فِي - الْآفَاقِ - حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْعِيبَةِ بِالْإِيَابِ . »

(٣) المغلب : أى الضعيف . قال الشاعر :

« فَأَمَّا لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كِفَاخِرٌ سَعِيفٌ وَلَمْ يَفُكْ مِثْلُ مَلَبٍ . »

(٤) في المثل « لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي » ، يشير إلى ضعف المعتدى وحفارته والمادة أن السوار  
لا تلبسه إلا الحرّة . قال الشاعر :

« بَلَاءٌ لَيْسَ يَمُدُّهُ بَلَاءٌ عِدَاوَةٌ غَيْرُ دِي حَسْبُ وَدِينِ »

يُدْبِحُكَ مِنْهُ عَرَصًا لَمْ يَمُرْ . وَبِرَفْعِ مَلِكٍ فِي عَرْضِ مَدُونِ . »

وقال المعري : « خَفَ يَا كَرِيمُ عَلَى عَرْضِ قَعْرِهِ لَعَائِبُ ، فَلْتِمِمْ لَا يَقَاسُ بِكَ

إِنْ أَنْزَجَاكَ - لِمَا حَطَمْتَ - سَبَكَتُ وَكَمْ تَحْطُمُ مِنْ دَرَفَا سَبَا . »

(٥) وتذكرني ولما أمرت : يشير إلى قول المتنبي العمدى ، وقد اشتشهد به عثمان بن عفان في كتابه إلى علي :

« فَإِنْ كُنْتُ مَا كُولا فَكُنْ أَنْتَ آكِلِي وَإِلَّا فَأَذْرِكْنِي وَلَمَّا أُمِرْتُ . »

(٦) الأكفاء : جمع كفاء وهو الذئب أى المثل .

(٧) السباط : الصف ، وقد مرّ بك قول ابن زيدون في ص « ١٤٤ »

« إِذَا مَا اسْتَوَى فِي الدَّسْتِ طَاوِدُ حَوَّةٍ ، وَقَامَ سِهَاطًا حَفَهِ عَلَى الصَّدْرِ . »

أى صفا حفته .

وَهَلْ لَيْسَ الصَّبَاحُ إِلَّا بُزْدًا طَرَزَتْهُ بِفَضَائِلِكَ ، وَتَقَلَّدَتْ الْجَوَازَاهُ إِلَّا عِقْدًا  
فَصَلَّتُهُ بِمَآثِرِكَ ، وَأَسْتَمَلِي الرَّيِّعُ إِلَّا ثَنَاءَ مَلَائِكَةٍ بِمَحَاسِنِكَ ، وَبَتْ <sup>(١)</sup> الْمِسْكُ  
الْأَحْدِيثَا أَدْعَتُهُ فِي مَحَامِدِكَ ؟ مَا يَوْمُ «حَلِيمَةَ» بِسَرٍّ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَكُسْكَ  
سَلِيًّا <sup>(٢)</sup> ، وَلَا حَلِيَّتِكَ عُطْلًا <sup>(٣)</sup> ، وَلَا وَسَمْتُكَ غُفْلًا ، بَلْ وَجَدْتُ أَجْرًا وَجِصًّا <sup>(٤)</sup>  
فَبَنَيْتُ ، وَمَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَقُلْتُ ، حَاشَ لَكَ أَنْ أُعَدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ <sup>(٥)</sup>  
وَأَكُونَ كَالذُّبَالَةِ <sup>(٦)</sup> الْمَنْصُوبَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتَحْتَرِقُ ، فَلَكَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ، وَهُوَ  
- بِكَ وَبِي - فِيكَ أَوْلَى ، وَلَعَنَرِي إِنْ صَرِيحَ الرَّأْيِ أَنْ أَتَحَوَّلَ <sup>(٧)</sup> إِذَا بَلَغْتَنِي  
الشَّمْسُ وَنَبَا بِي الْمَنْزِلُ ، وَأَصْفَحَ عَنِ الْمَطَامِعِ الَّتِي تَقْطَعُ أَغْنَاكَ الرَّجَالِ .  
فَلَا أَسْتَوْطِنُ الْعَجْزَ ، وَلَا أَطْمَئِنُّ إِلَى الْغُرُورِ . وَمِنْ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ :  
«خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ <sup>(٨)</sup>» وَإِنِّي مَعَ الْمَعْرِفَةِ أَنْ أَجْلَاءَ <sup>(٩)</sup> سِبَاءَ <sup>(١٠)</sup> وَالنُّقْلَةَ مُثَلَّةً <sup>(١١)</sup> :

(١) بَتْ : بشر ، وقوله « ما يوم حليلة بسر » مثل يعسر - في كل أمر متعالم مشهور ، وأصله أن  
الحارث بن أبي شمر وحده حبشا إلى المنذر بن ماء السماء في العروة التي قتل فيها ، وأمر ابنته حليلة فأخرجت  
لهم سركا فيه خلق أي طيب ، فقال حلقهم نظرت إليهم ، فجعلت تحفه وهي من أجل ساء عصرها ،  
ومعنى القوم حتى أتوا المدر ، فقالوا أنبياءك من عند صاحبنا وهو يدين لك بالطاعة ويعطيك حاجتك ، فتباشر  
المدر بذلك ، وغفل المدر وعسكره مع الغفلة فحملوا عليه وقتلوه ، وكان الحارث قد أوصاهم بذلك قبل أن  
يوجههم إليه ، فمیل : ما يوم حليلة بسر ودهمت مثلا .

(٢) السليبي : السلوب . (٣) العطل : العاطل . قال الطبراني :

« أصالة الرأي صابغ عن الخطل وحليلة الغفل زانتى لدى العطل . »

(٤) الآخر : الطيب ، والحس : الخير . وقد تناول الكتاب والشعراء هذا المعنى ، ولكننا لم نقرأ أبداً  
من قول أمير الشعراء في قصة قبيز على اسان وصيفة ملسكة فارس :

« إني وصفت ذها في بونقه ولم أصف - بالطيب - إلا زبقه »

وقلت عن شمس النهار : مشرقه .

(٥) يشير إلى قوله تعالى : « وحوه يومئذ حاشمة عاملة ناصية تعلى ناراً حامية . »

(٦) يشير إلى قول عباس بن الأحنف :

« صرت كائن ذبالة نصبت نضيه للناس وهي تحترق . »

(٧) في المثل « إذا بلغتك الشمس فتحول » (٨) خامري أم طامر : مثل يضرب لمن عرف

الدنيا وتقلباتها ولم تمنحه معرفته أن يميل إليها ويفتر بها . قال البهاء زمير :

« حذعوك بالقول المحال نصبح أمك أم طامر . »

(٩) الجلاء : النزوح عن الوطن . (١٠) السبأ : الأسر . (١١) والمثلة : السكال .



«وَمَنْ يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ - لَمْ يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ حَجْرًا وَمَسْجَبًا  
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ، وَإِنْ يُسَىَّ يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا»<sup>(١)</sup>  
عَارِفٌ أَنَّ الْأَدَبَ الْوَطَنُ لَا يُخْشَى فِرَاقُهُ، وَالْخَلِيطُ لَا يُتَوَقَّعُ زِيَالُهُ<sup>(٢)</sup>،  
وَالنَّسِيبُ لَا يُخْفَى، وَالْجَمَالُ لَا يُخْفَى، ثُمَّ مَا قِرَانُ السَّعْدِ بِالْكَوَاكِبِ أَهْلِي  
أَثَرًا، وَلَا أَسْنَى خَطَرًا، مِنْ أَقْبَرَانِ غَنَى النَّفْسِ بِهِ، وَأَنْتِظَامِهَا نَسَقًا<sup>(٣)</sup> مَمَّةً،  
فَإِنَّ الْحَاثِرَ لَهُمَا، الضَّارِبَ بِسَهْمٍ فِيهِمَا - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ - أَيْنَمَا تَوَجَّهَ وَرَدَ  
مَنْهَلٍ يَرَى، وَحَطَّ فِي جَنَابِ قَبُولٍ، وَضَوْحِكَ قَبْلَ إِرْزَالِ رَحْلِهِ، وَأُعْطِيَ  
حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ.

وَقِيلَ لَهُ: «أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَهَذَا مَبِيتٌ صَالِحٌ وَمَقِيلٌ»  
غَيْرَ أَنَّ الْوَطَنَ مَحْبُوبٌ، وَالْمَنْشَأُ مَأْلُوفٌ، وَالنَّسِيبُ يَحِنُّ إِلَى وَطَنِهِ، حَنِينَ  
النَّجِيبِ<sup>(٤)</sup> إِلَى عَطْنِهِ<sup>(٥)</sup>، وَالْكَرِيمُ لَا يَخْجَفُ أَرْضًا فِيهَا قَوَائِلُهُ<sup>(٦)</sup>، وَلَا  
يَنْسَى بِلَادًا فِيهَا مَرَاضِعُهُ، قَالَ الْأَوَّلُ :

«أَحَبُّ بِلَادٍ لِلَّهِ مَا بَيْنَ مَنَعِجٍ - إِلَى وَسْطَى - أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا  
بِلَادَ بِهَا حَلَّ الشَّبَابِ تَمَامِي<sup>(٧)</sup> وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي ثَرَابُهَا»  
هَذَا إِلَى مُنَالَاتِي بِعَقْدِ جَوَارِكِ، وَمُنَافَسَتِي بِلَحْظَةٍ مِنْ قُرْبِكَ، وَأَعْتِقَادِي

(١) كَبْكَب : الحبل . (٢) الزِيَال : المفارقة .

(٣) النَّسَق : ما كان على نظام واحد . (٤) النَّجِيب : الفحل الكريم من الإبل .

(٥) الْعَطْن : مركز الإبل حول الماء .

(٦) الْقَوَائِل : جمع قابلة وهي التي تتلقى المولود عند خروجه (الداية) .

(٧) وفي رواية : «عق الباب .» وفي أخرى : «شق الشاب» وفي رواية النمام :

«نبتت على تمامي» والتمام : ما يعلق للطفل ليقبضه شر الحسد . قال الشاعر :

«وإذا المنية أسبغت أظفارها ألبيت كل تيممة لا تنفع .»

أَنَّ الطَّمَع - فِي غَيْرِكَ - طَبَعٌ ، وَالْغِنَى - مِنْ سِوَاكَ - عَنَاءٌ ، وَالْبَدَلُ مِنْكَ أَعْوَرٌ ،  
وَالْعَوَضَ لَفَاءً <sup>(١)</sup> :

« وَإِذَا أَنْظَرْتُ إِلَى أُمِيرِي زَادَنِي ضَنْناً بِهِ - نَظَرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ »  
وَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا <sup>(٢)</sup> ، وَفِي كُلِّ شَجَرَةٍ نَارٌ ، وَأَسْتَمَجِدَ الْمَرْخَ  
وَالْعَفَارُ <sup>(٣)</sup> ، فَمَا هَذِهِ الْبَرَاءَةُ بَيْنَ يَتَوَلَّاكَ ، وَالْمَيْلُ عَمَّنْ لَا يَمِيلُ عَنْكَ ، وَهَلَّا  
كَانَ هَوَاكَ فَيَسْنَ هَوَاهُ فَيْكَ ، وَرِضَاكَ لِمَنْ رِضَاهُ لَكَ :

« يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ تُفَارِقَهُمْ وَجَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ »  
أَعِيدُكَ وَنَفْسِي مِنْ أَنْ أَشِيمَ <sup>(٤)</sup> خُلْبًا <sup>(٥)</sup> ، وَأَسْتَمْطِرَ جَهَامًا <sup>(٦)</sup> ، وَأُكْدِمَ <sup>(٧)</sup>  
فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ ، وَأَشْكُو شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْعُقْبَانِ <sup>(٨)</sup> وَالرَّحِمِ ، فَمَا  
أَبْسَسْتُ <sup>(٩)</sup> لَكَ إِلَّا لَتَدِرَّ ، وَمَا حَرَكْتُ لَكَ الْخُورَ <sup>(١٠)</sup> إِلَّا لِتَحِنَّ ، وَمَا  
نَبَّهْتُكَ إِلَّا لِأَنَامَ <sup>(١١)</sup> ، وَمَا سَرَيْتُ إِلَيْكَ ، لِأَلِأْتِمِدَ السَّرَى <sup>(١٢)</sup> لَدَيْكَ . وَإِنَّكَ

(١) لفاء : حيس . قال الشاعر :

« وما أنا بالصعب وظلموني ولا جعلى اللقاء ولا الحيس »

(٢) كل الصيد في جوف الفرا : انظر « ص »

(٣) المرخ والعفار : نوطان من الشجر سريعاً الاتقاد ، وقريب من هذا قول المعري :

« وأعست بك النخل - والمحل مشر - وأعجبي من حاك الذئع والصال . »

(٤) أشيم : أراقب السحاب لأرى أين يطر . (٥) الخلب : البرق الذي لا يصحبه غيث .

(٦) الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه .

(٧) أكدم : أعس - والمثل العربي : « كدم في غير مكدم » - وهو يضرب لمن يريد الشيء من غير أهله .

(٨) يشير إلى قول المتنبي :

« ولا تشك إلى قوم فتشمتهم شكوى الجريح إلى العقبان والرحم . »

(٩) أبست : رفقت من الرفق . (١٠) الخوار : ولد الناقة . (١١) يشير إلى قول بشار بن برد :

« إذا أيقظتك حروب العدا فنبه لها عمراً ، ثم نم »

« حتى لا ينام على غيرة ولا يشرب الماء إلا بدم . »

(١٢) يشير إلى المثل الممهور : « عند الصباح يحمد القوم السرى » يشير إلى قرب الفرج بعد الصيق .

إِنْ سَنَيْتَ <sup>(١)</sup> عَقْدَ أَمْرِي تَيْسَّرَ ، وَمَتَى أَعْذَرْتَ <sup>(٢)</sup> فِي فَكِّ أَسْرِي لَمْ يَتَعَذَّرْ ،  
وَعِلْمُكَ مُحِيطٌ بِأَنَّ الْمَعْرُوفَ ثَمَرَةُ النِّعْمَةِ ، وَالشَّقَاءَةَ زَكَاةُ الْمَرْوَةِ ، وَفَضْلُ  
الْجَاهِ - تَعُودُ بِهِ - صَدَقَةٌ :

« وَإِذَا أَمَرُوا أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً - مِنْ جَاهِهِ - فَكَأَنَّهُمَا مِنْ مَالِهِ <sup>(٣)</sup> »  
لَعَلِّي أَلْقَى الْعَصَا بِذَرَاكَ <sup>(٤)</sup> ، وَتَسْتَقِرُّ بِي النَّوَى فِي ظِلِّكَ ، وَأُسْتَأْنِفُ التَّأْدِبَ  
بِأَدَبِكَ ، وَالْإِحْتِمَالَ عَلَى مَذْهَبِكَ ، فَلَا أُوجِدُ لِلْحَاسِدِ مَجَالَ لِحَظَةٍ <sup>(٥)</sup> ، وَلَا أُدَعِّ  
لِلْقَادِحِ مَسَاحَ لَفْظَةٍ ، وَاللَّهُ مُبَشِّرُكَ مِنْ إِطْلَاقِي بِهِذِهِ الطَّلِبَةِ <sup>(٦)</sup> ، وَإِسْكَائِي <sup>(٧)</sup>  
مِنْ هَذِهِ الشُّكُوفَى ، بِصَنِيعَةٍ تُصِيبُ مِنْهَا مَكَانَ الْمَصْنَعِ ، وَتَسْتَوْدِعُهَا أَحْفَظَ  
مُسْتَوْدِعٍ ، حَسْبَمَا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ ، وَأَنَا مِنْكَ حَرِيٌّ بِهِ ، وَذَلِكَ بِيَدِهِ وَهَيْئٌ عَلَيْهِ .

وَلَمَّا تَوَالَتْ عِذْرُ هَذَا النَّثْرِ ، وَأَتَسَقَّتْ دَرَرُهُ ، فَهَزَّ عِطْفُ غُلُوَاهِ ،  
وَجَرَّ ذَيْلَ خِيَلَانِهِ ، عَارِضَهُ النِّظْمُ مُبَاهِيًا ، بَلَنَ كَايِدُهُ مُدَاهِيًا ، حِينَ أَشْفَقَ  
أَنْ يَسْتَعْطِفَكَ أَسْتِعْطَافُهُ ، وَتَمِيلَ بِنَفْسِكَ الْطَافُهُ <sup>(٨)</sup> : فَاسْتَحْسَنَ الْعَائِدَةَ <sup>(٩)</sup>  
مِنْهُ ، وَأَعْتَدَّ بِالْفَائِدَةِ لَهُ ، فَزَالَ يَسْتَكِدُّ الدَّهْنَ الْعَمِيلَ ، وَالْخَاطِرَ الْكَفِيلَ ،  
حَتَّى زَفَّ إِلَيْكَ عَرُوسًا مَجْلُوءَةً ، فِي أَثْوَابِهَا ، مَنْصُوصَةٌ <sup>(١٠)</sup> ، بِحُلِيِّهَا وَمَلَابِهَا <sup>(١١)</sup> :

(١) سَنَيْتَ : بَسَرْتُ وَسَهَلْتُ .

(٢) أَعْذَرْتُ : طَلَبْتُ الْعُذْرَ .

(٣) الْبَيْتَ لِأَبَى تَمَامَ . (٤) ذَرَاكَ : كِفْكَ وَظَلُّكَ .

(٥) لِحَظَةٌ : نَظَرُهُ .

(٦) الطَّلِبَةُ : الْمَطْلُوبُ . (٧) إِسْكَائِي : إِرَالَةَ شِكَاوِي .

(٨) الطَّافُهُ : حَيْرُهُ وَبِرُّهُ .

(٩) الْعَائِدَةُ : الْجَمِيلُ أَوْ الصَّبِيحُ .

(١٠) مَنْصُوصَةٌ : مَرْفُوعَةٌ عَلَى الْمَنْصَةِ لَيْلَةُ الرِّفَافِ . (١١) الْمَلَابُ : الرِّعْرَعَانُ .

الهُوَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ وَالْمَنَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ الذَّنِيمِ<sup>(١)</sup>  
 سَرَّنَا عَيْشُنَا الرِّقِيقُ الْخَوَاشِي لَوْ يَدُومُ الشُّرُورُ الْمَسْتَدِيمِ  
 وَطَرَّ مَا أَنْقَضَى إِلَى أَنْ تَقْضَى زَمَنٌ ، مَا ذِمَامُهُ بِالذَّمِيمِ  
 إِذْ خَتَامُ الرِّضَا الْمُسَوِّغِ مِسْكٌ وَمِزَاجُ الْوِصَالِ مِنْ تَسْنِيمِ  
 وَغَرِيضُ الدَّلَالِ غَضُّ جَنَى الصَّبِّ وَهْ ، نَشْوَانُ مِنْ سُلَافِ الذَّمِيمِ  
 طَالَمَا نَافَرَ الْهُوَى - مِنْهُ - غِرَّةٌ لَمْ يَطْلُنْ عَهْدُ جِيدِهِ بِالتَّعِيمِ

\*\*\*

أَيُّهَا الْمُؤَذِّنِي بِظُلْمِ اللَّيَالِي لَيْسَ يَوْمِي بِوَاجِدٍ مِنْ ظُلُومِ  
 قَمَرُ الْأَفْقِ - إِنْ تَأَمَّلْتَ - وَالشَّمْسُ مَهْمَا يُكْسِفَانِ دُونَ النُّجُومِ  
 وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْحُو - بِالْمَصَابِ الْعَظِيمِ - نَحْوُ الْعَظِيمِ

\*\*\*

بَوَّاءُ اللَّهِ « جَهْوَرَاءُ » شَرَفَ السُّو دَدٍ فِي السَّرْوِ وَاللُّبَابِ الصَّمِيمِ  
 وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْأَمْرَ ، فَكَانَ الْخُصُوصُ وَفَقَ الْعُمُومِ  
 قَلَدَ الْعُمُرِ ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ ، وَأَكْتَفَى جَاهِلٌ بِعِلْمِ الْعَلِيمِ  
 خَطَرٌ يَقْتَضِي الْكَمَالَ ، يَنْوَعِي خُلُقِ بَارِعٍ وَخُلُقِ وَسِيمِ

\*\*\*

أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرُ: هَا أَنَا أَشْكُو ، وَالْعَصَا بَدَاهُ قَرَعَهَا لِلْحَلِيمِ  
 مَا عَنَانَا أَنْ يَأْتِفَ السَّابِقُ الْمَرْ بَطَ فِي الْعَتَقِ مِنْهُ وَالتَّطْهِيمِ  
 وَبَقَاءُ الْحَسَامِ - فِي الْجَفْنِ - يَثْنِي مِنْهُ بَعْدَ الْمَضَاءِ وَالتَّصْنِيمِ

أَفَصَبْرٌ مِّثْلَيْنِ خَمْسًا مِنَ الْآيَا      مـ ؟ نَاهِيكَ مِنْ عَذَابِ الْإِيمِ !  
وَمُعْنَى - مِنَ الضَّغْنَى - بَهَنَاتِ      نَكَاتٍ بِالْكُلُومِ قَرْحِ الْكُلُومِ  
سَقَمٌ لَا أَعَادُ فِيهِ، وَفِي الْعَا      يُدِ الْأُنْسُ يَنْفِي يَبْرُءُ السَّقِيمِ  
نَارُ بَغْيٍ، سَرَى - إِلَى جَنَّةِ الْأَمْنِ - لَطَاها، فَأَصْبَحَتْ كَالْعَصْرِيمِ  
بِأَبِي أَنْتَ - إِنْ تَشَأْ - تَكُ بُرْدًا      وَمَسْلَمًا، كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ  
لِلشَّفِيعِ الشَّاهِدِ، وَالْحَمْدُ فِي صَوِّ      بِ الْحَيَا - لِلرَّيَّاحِ ، لَا لِلْغُيُومِ  
وَزَعِيمٌ بِأَنْ يُذَلَّلَ - لِي الصَّنْعُ - مَثَابِي إِلَى الْهُمَامِ الزَّعِيمِ  
وَوِدَادٌ - يُغَيِّرُ الدَّهْرُ مَا شَاءَ      - وَيَبْقَى بَقَاءَ عَهْدِ الْكَرِيمِ  
وَتَنَاهٍ أَرْسَلَتْهُ سَلْوَةُ الظَّا      عَنِ عَنِ شَوْقِهِ ، وَلَهْوِ الْمُقِيمِ  
فَهْوِ رِيحَانَةِ الْجَلِيسِ - وَلَا فَخْرَ -      وَفِيهِ مِرَاجُ كَأْسِ النَّدِيمِ  
لَمْ يَزَلْ مُغْضِيًا - عَلَى هَفْوَةِ الْجَا      نِي - مُصِيخًا إِلَى أَعْتِدَارِ الْكَرِيمِ  
وَمَتَى تَبْدَأَ الصَّنِيعَةَ يُورِلُكَ      تَمَامُ الْخِصَالِ بِالشَّمِيمِ  
وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ :

« لَيْسَ دَهْرِي بِوَاجِدٍ مِنْ ظُلُومِ      وَبَلَاءٍ مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمِ  
لَيْسَ يُسْتَنْكَرُ النُّحُولُ لِمِثْلِي ،      جَسَدِي مُبْتَلَى بِقَلْبٍ مَشُومِ . »

\* \* \*

هَا كَمَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - يَنْسُطُهَا الْأَمَلُ ، وَيَقْبِضُهَا الْحَجَلُ ، لَهَا ذَنْبُ التَّقْصِيرِ ،  
وَحَرَمَةُ الْإِخْلَاصِ ، فَهَبْ ذَنْبًا لِحَرَمَةٍ ، وَأَشْفَعْ نِعْمَةً بِنِعْمَةٍ ، لِيَتَأَنَّى لَكَ  
الْإِحْسَانُ مِنْ جِهَاتِهِ ، وَتَسْلُكَ إِلَى الْفَضْلِ مِنْ طُرُقَاتِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

## إلى المظفر<sup>(١)</sup>

« وكتب إلى المظفر سيف الدولة أبي بكر بن الأقطس،

صاحب بطليوس ، وضمها قصيدة أولها .

ليص الطلي ، ولسود الملم

بمقلي — مد بن عتي — لم »

لَمَّا لَيْسَ الْحَاجِبُ — أَعَزَّ اللَّهُ — رِدَاءَ الْمَجْدِ مُعَلِّمًا ، وَحَمَلَ لَوَاءَ الْحَمْدِ

(١) كان المظفر من أعظم ملوك الطوائف . وكان أحرم الناس — كما يقولون — على جمع علوم الأدب ونوادر الأحبار وعيون التاريخ ، وقد ألب كتاباً كبيراً — في الأدب — في عشرة أحرار ضخمة ، وقد ولى « بطليوس » بعد موت أبيه « عبد الله بن مسلمة » المعروف بابن الأقطس وقد استبد « عبد الله » هذا بالملك سنة ٤٣١ هـ — بعد فتنة من أمية بالأندلس — فلما مات أخوه ابنه « أبو بكر المظفر » وحطم أمره ونبه شأنه ، ومارالها حتى مات سنة ٤٦١ هـ . وحلعه عليها ابنة المتوكل حتى دله يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٥ هـ وقد كان ابن عباد يعريه بقتله — فيما يقولون — وكان المتوكل قدم راسحة في ساعة النظم والنثر مع شحاعة مفرضه ودروسية تمة ، وقد رثاه ابن عمه بقتلته المشهورة ، وهي :

« الدهر يجمع — له — العين — بالأثر  
أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة  
فأمر حرب — وإن أبدى مسألة —  
ولا هوادة بين الرأس — تأخذ  
فلا تمر نك — من ديباك — نومتها ،  
ما لليلالي — أقال الله عثرنا  
في كل حين لها — في كل جارية  
تسر بالشئ ، لكن كي تمر به  
كم دولة — قدمعت والنصر يخدمها —  
هوت بدارا ، وفك غرب قاتله ،  
واسترجعت — من بي ساسان — ما وهبت ،  
وأبتعت أحتها طسما ، وطاد على  
وما أقال ذوى الهات — من عين —  
ومرقت سبأ — في كل قاصية — ،  
وأثقت في كليب — حكما ، ورمت

فما البكاء على الأشباح والصور  
عن نومة بين ناب الليث والمظفر  
والبيص والسود مثل البيص والسمر  
يد العراب — وبين الصارم الذكر  
فما ساعة عينيها سوى السهر  
من الليالي ، وحانت يد العير —  
من جراح ، وإن زاع عن النصر  
كلايم نار إلى الحاني من الزهر  
لم تبق منها ، وسل ذكراك من خير  
وكان عصباً — على الأملاك — ذا أثر  
ولم تدع — لبي يونان — من أثر  
عاد وجرحهم منها ناقض المرر  
ولا أجارت ذوى الغايات من مضر  
فما التقى رايح منهم — بعتكر  
مهلهلا بين سبع الأرض والبصر

مُعَلَّنَا ، فَاسْتَطَارَ بَارِقُ فَخْرِهِ ، وَأَسْتَضَاءَ فَائِخُ ذِكْرِهِ ، وَشَهَرَتْ عَمَّاسِنُهُ عَلَى  
كُلِّ لِسَانٍ ، وَسَارَتْ مَأْتِرُهُ مَسِيرَ الشَّمْسِ بِكُلِّ مَكَانٍ ، لِمَا سَوَّغَ مِنْ كَرَمِهِ ،

ولم ترد — على العليل — صحتهم  
ودوخت آل ديبان وإحوتهم  
وألقت بصدى — بالعراق — على  
وأهلك «أبرويزا» بابه، ورم  
ولم «يزد حرد» العين واختلت  
ولم ترد مواضى «رسم» وقا  
يوم القليب بنو بدر فموا وسمى  
ومرث «جعفراً» بالبص، واختلست  
وأشرقت بحبيب — فوق فارعة —  
وحسد — لب عثمان دما، وحط  
ومارعت — لأبى اليعقوبان — صحتهم  
وأجرت سيف أشقادا أما حسن،  
وليتها — إذ مدت عمراً بمحارحة —  
وفي ابن همد وفي ابن المصطفى «حسن»  
فبعصنا فائل : «ما اغتاله أحد»  
وأردت ابن رباد بالحسين، ولم  
وصحب — بالطي — هودى أبى أس،  
وأزلت معصما — من رأس شاهقة —  
ولم تراقب مكان ابن الربير، ولا  
وأعمل — في لقيم الحن — حيثها،  
ولم تدع — لأبى الدنانير — قابسه،  
وأحرق شلو «زيد» بعدما احترقت  
وأظمرت دلوليد — بن اليريد — ولم  
«حباية» حب رمان أتيح لها،  
ولم تعد قصب السفاح ثانية  
وأسببت دمة الروح الأمين على  
وأشرقت جعفرأ — والفصل بطره —  
وأخمرت — في الأمين — العهد، وانتدبت  
وما دوت بعهود المستعين، ولا  
وأوتقت في — عراها — كل معتمد،

ولا تفت أسداً عن ربها حجر  
عبساً، وغصت بنو بدر على النهر  
يد ابنه أحر العين والشعر  
يزد حرد إلى «مرو» فلم يحمر  
عنه — سوى العرس — جمع الترك والحرر  
«دى حن» عه سعداً وابنة العير  
قريب بدر — بمن فيه — إلى سمر  
— من خيله — «حزنة» الظلام للجرر  
وألقت «طلعة» الفياض بالفر  
إلى الربير، ولم تستحي من عمر  
ولم تزوده إلا الصبح في العمر  
وأمكن — من حسين — راحتي شعر  
فدت علياً بين شامت من البشر  
أتت بمعصلة الأمان والفكر  
وبعصنا ساكت لم يوت من حصر  
يؤ شمع له — قد طاح — أو ظفر  
ولم ترد الردى عنه فنا «زمر»  
كانت بها مهجة المختار في وزر  
راعت عيادته باليد والحجر  
واستوسقت لأبى الدنانير ذى البحر  
ليس العظيم لها «عمر» بمتصر  
— عليه وحداً — قلوب الآي والسور  
تبق الخلافة بين الكأس والوتر  
و «أحمد» فطرته بفحة القطر  
عن رأس مروان أو أشياءه الحجر  
دم بفتح لآل المصطفى هدر  
والشيخ يحيى بريق الصارم الذكر  
لجهر بابنه والأعبد القدر  
بما تأكد للمعتر من مرر  
وأشرقت — بقضاها — كل مقتدر

وَأَسْبَغَ مِنْ نِعَمِهِ ، وَوَطَّأَ - لِلْأَمِلِينَ - مِنْ أَكْثَافِهِ ، وَهَزَّ - إِلَى الرَّاعِبِينَ - مِنْ  
أَعْطَافِهِ ، وَرَفَرَفَتِ أَجْنِحَةُ الْأَهْوَاءِ إِلَيْهِ ، وَأَهْتَزَّتْ جَوَانِحُ الْأَمَالِ إِلَيْهِ ،

ورفعت كل مأمون ومؤتمن ، وأسلت كل منصور ومنتصر  
وأعترت آل عباد - لعالمهم - بذيل زباد لم تنفر من الدهر

\*\*\*

بى الظفر - والأيام ما برحت سرحا ليومكم يوما ، ولا حلت  
من للأسرة ؟ أو من للأعنة ؟ أو من للظي ؟ وعوالى الخط قد عقدت  
وطوقت - بالمنايا السود - ببعضهم من للبراعة ؟ أو من للبراعة ؟ أو دفع كارثة ؟ أو ردع آفة ؟  
وبح السباح ووبح الباس - لو سلبت ثرى الفصل والعاس هامية  
ثلاثة ما رأى العصرات مثلهم ثلاثة ما ارتقى النيران حيث وقوا  
ثلاثة كدوات الدهر - منذ نأوا ومر - من كل شيء - فيه أطيته  
أين الجلال الذى غضت مهابته أين الأباء الذى أرسوا قواعدهم  
أين الوفاء الذى أصفوا أشرائهم كانوا رواسى أرض الله - منذ نأوا  
كانوا مصاييحها ، قد خبوا عثرت كانوا شحى الدهر ، فاستهوتهم خدع  
وبلأمه من طلوع الثأر مدركه من لى - ولا من بهم - إن أظلمت نوب  
من لى ومن بهم - إن عطلت سنن من لى ومن بهم - إن طبقت من  
على الفضائل - إلا الصبر - بعدهم يرجو عسى ، وله - فى أختها - أمل  
قرطت اذات من ميا ، ماضية

سراحلا - والورى منها على سحر - بثله - ليلة فى مقل العمر  
من للأسنة ؟ يهديها إلى الثغر - أطراف السنها - بالى والحصر  
فأعجب بذاك ، وما منها سوى الذكر من للسباحة ؟ أو لنفع والضرر ؟  
أو وقع حادثة تعي على الفدر ؟ وحسرة الدين والدنيا على عمر  
تعى إليهم - سماحا - لا إلى المطر وصلا - ولو عززا بالشمس والقم  
وكل ما طار - من نسر - ولم يطر عى - مضى الدهر لم يرجع ولم يحمر  
حتى التمتع بالأصال والذكر قبلوبا وعبوت الأنعم الزهر ؟  
على دعائم من عز ومن طفر ولم يرد أحد منها على كدر  
عنها - استطارت بمن فيها لم تقر هدى الخليفة - يا الله - فى صدر  
منه بأحلام عاد فى خطى الحصر منهم بأسد سراة فى الوغى صبر  
ولم يكن ليها يفضى إلى صبر ؟ وأخفت ألسن الآثار والسير ؟  
ولم يكن وردها يفضى إلى صدر ؟ سلام صرغب الأجر منتظر  
والدهر ذو عقب شقى وذو غير على الحسان حصى الياقوت والدرر . «



وَكَثُرَ التَّغَايُرُ عَلَى تَفَيُّؤِ ظِلِّهِ ، وَالتَّنَافُسُ فِي الْأَعْتِلَاقِ بِحَبْلِهِ ، وَكُلُّ اسْتَفْرَغٍ  
بِجَهْدِهِ ، وَتَرَسَّلَ عَلَى حَسَبِ مَا عِنْدَهُ ، وَلَا غَرَوَ أَنْ يُسْتَمَطَرَ النِّعَامُ ، وَيَكْثُرَ  
- فِي الْمَشْرَبِ الْعَذْبِ - الرَّحَامُ <sup>(١)</sup> .

وَمَا زِلْتُ - أُنَبِّئُ اللَّهَ الْحَاجِبَ - أَتَلَقَّى مِنْ مَسَاعِيهِ الْمَشْكُورَةِ ، وَيَقْرَعُ  
سَمْعِي بِمَآثِرِهِ الْمَآثُورَةِ ، مَا هُوَ أُنْدَى مِنْ مُبْلُوغِ الْأَمَلِ ، وَأَشْهَى مِنْ أُخْتِلَاسِ  
الْقُبُلِ ، وَأَغْضُ مِنْ جَنَى الزَّهَرِ ، وَمَا هُوَ الْطَفُّ مِنْ نَسِيمِ السَّحَرِ ، حَتَّى أَتَقَادَتِ  
نَفْسِي فِي زِمَامِ التَّأْمِيلِ وَالْمَوَدَّةِ ، وَتَازَعَتِ إِلَى الْأَخْذِ بِحِظٍّ مِنَ الْأَعْتِلَاقِ  
وَالْمَمَازِجَةِ ، وَنَظَرْتُ إِلَى مَا دُونَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْبُعْدِ الْمَانِعَةِ ، وَامْتِدَادِ  
التَّأَنِّي الْمُعْتَرِضَةِ ، فَغَضَضْتُ طَرْفَ الْخَيْبَةِ ، وَطَوَيْتُ كَشْحًا عَلَى الْيَأْسِ مِنْ  
دَرْكِ الْأُمْنِيَّةِ ، إِلَى أَنْ تَدَبَّنِيَ الْأَدِيبُ « أَبُو فُلَّانٍ » إِلَى مُخَاطَبَتِهِ ، وَحَرَّضَنِي عَلَى  
مُكَاتَبَتِهِ ، وَنَبَّهَنِي عَلَى مَا فِي التَّنَاقُلِ - عَنْ مُدَاخَلَتِهِ - مِنْ التَّضْيِيعِ الصَّرِيحِ ،  
وَالْتَقْصِيرِ الْبَيْنِ الصَّحِيحِ ، إِذْ هُوَ أَسْنَى عِلْقِي غَوْلِي فِيهِ ، وَأَنْفَسُ ذُخْرِ نُوفْسِ  
فِيهِ ، فَطَرَبْتُ - إِلَى ذَلِكَ - كَمَا طَرَبَ النُّشْوَانُ مَالَتْ بِهِ الْخَمْرُ ، وَاهْتَزَزْتُ كَمَا  
أَهْتَزُّ - تَحْتَ الْبَارِحِ <sup>(٢)</sup> - الْغُصْنُ الرُّطْبُ ، وَرَأَيْتُ شُكْرَ يَدِ الْعَلِيَاءِ فِيمَا حَثَّنِي  
إِلَيْهِ ، وَحَضَّنِي عَلَيْهِ ، مِمَّا فِيهِ حِلْيَةُ الْفَخْرِ ، وَمَكْرَمَةُ الدَّهْرِ ، أَنْ اسْتَفْتَحَ  
بَابَ الْمَكَاتَبَةِ بِالشَّفَاعَةِ ، وَأَنْهَجَ طَرِيقَ الْمُخَاطَبَةِ فِي الْعِنَايَةِ بِهِ ، وَتَبَيَّنْتُ - بَعْدَ  
ذِمَامِ الطَّلَبِ ، وَحُرْمَةِ الْوُدِّ وَالْأَدَبِ - مَا اسْتَقْصِرُ نَفْسِي مَعَهُ أَنْ أَتَقَدَّمَ فِي

(١) يشير إلى المثل المشهور : « المورد العذب كثير الرحام » .

(٢) ربح بارح - ربح شديدة .

خِدْمَةِ رَغْبَتِهِ قَلَمِي ، وَقَدْ تَأَخَّرَ قَدَمِي ، وَبَعْدَ الْإِقْتِصَارِ بِمَقَبَّةِ كِتَابِي ، دُونَ  
أَنْ أَرْمَ إِلَيْهِ رِكَابِي ، وَهُوَ فَتَى نَامَ جَدُّهُ ، وَأُسْتَيْقَظَ حَدُّهُ ، فَتَنَكَّرَ الزَّمَانُ لَهُ ،  
وَأَعْتَرَتْ الْأَيَّامُ لَهُ ، بَيْنَ ذُنَابِ سِمَايَةِ عَوَتْ عَلَيْهِ ، وَعَقَارِبِ وَشَايَةِ دَبَّتْ  
إِلَيْهِ ، وَأَصْلَى بِنَارِ حَرْبٍ لَمْ يَجْنِهَا ، وَآلَ بِهِ الْأَمْرُ إِلَى فِرَاقِ أَحِبَّتِهِ ، وَالْبُعْدِ  
عَنْ مَسْقَطِ رَأْسِهِ ، وَمَمْلَقِ تَمَاعِهِ ، عَلَى ضَيْقِ حَالِهِ ، وَضَعْفِ إِحْسَانِهِ ،  
وَأَشْهَدُ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدِ الْحَاجِبَ إِلَّا وِلَايَ ، وَعَلَيْهِ إِلَّا تَنَاءٍ ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ  
يُعِيدُ شُكْرَهُ وَيُبْدِيهِ ، وَيَنْشُرُ حَمْدَهُ وَيَطْوِيهِ ، وَالْحَاجِبُ - أَدَامَ اللَّهُ إِعْزَازَهُ -  
وَلِيَ بِأَعْدَائِهِ عَلَى زَمَانِهِ الْعُشُومَ ، وَأَمَلِي بِإِنْصَافِهِ مِنْ دَهْرِهِ الظُّلُومَ ، بِإِلْبَاسِهِ  
مِنْ جَمِيلِ رَأْيِهِ مَا عَرَى مِنْهُ ، وَإِيرَادِهِ مِنْ شَرِيعَةِ رِضَاةٍ مَا حُلِيَ عَنْهُ ،  
وَالْتَخْلِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَفُقِ الَّذِي لَمْ يَرَ كَوْكَبَ سَعْدٍ إِلَّا فِيهِ ، وَلَا تَلَقَى  
نَسِيمَ حَيَاةٍ إِلَّا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ إِذَا يُؤَلِّفُهُ مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَيَأْتِيهِ مِنَ الْفَضْلِ فِي شَانِهِ ،  
مُسْتَجْزِلَ شُكْرِ مَنْ أَنَّهُنَّ لِسَانُ ، وَأُسْتَقْلَ بِهِ بَيَانُ ، وَهُوَ أَهْلُ الْفَضْلِ ،  
وَالْمَعْنُودُ مِنْهُ كَرَمُ الْعَمَلِ ، وَاللَّهُ يُبْقِيهِ وَيُعْلِيهِ ، وَهُوَ حَسْبُهُ وَحَسْبِي فِيهِ .

وَلَمَّا اطَّرَدَ هَذَا النَّثْرُ بِمُحْسِنِ اتِّسَافِهِ ، وَلَذِيذِ مَذَاقِهِ ، هَزَّتِ النَّظْمَ أَرْيَحِيَّةٌ  
جَذِبَ لَهَا بِعَيْنَانِهِ ، وَعَارِضَةً بِهَا فِي مِيدَانِهِ ، وَأَبَتْ أَنْ يَنْفَرِدَ النَّثْرُ بِإِلِقَاءِ  
الْحَاجِبِ وَمُشَافَهَتِهِ ، وَتَسْتَبِيدَ بِأَنْ تُلَمَّحَ غَرَّتُهُ ، وَتُخْدَمَ بِالْحُضُورِ حُضْرَتُهُ ،  
فَأَثْبَتَتْ مِنْهُ مَا إِنْ أَنْعَمَ عِنْدَ تَصَفُّحِهِ بِالصَّفْحِ عَنِ الزَّالِ الَّذِي يَعْرِضُ فِيهِ ،  
وَالْحَلَلِ الَّذِي يَبْدُو مِنْهُ ، وَصَلَ النِّعْمَةَ بِمِثْلِهَا ، وَقَرَنَ الْعَارِفَةَ بِشِكْلِهَا .

لَبِيبُ الطَّلَى وَلِسُودِ اللَّمَمِ      بِعَقْلِي - مُذْنِبٌ عَنِّي - لَمْ<sup>(١)</sup>

فَنِي نَاطِرِي - عَنْ رَشَادِي - عَمِي ،  
قَضَتْ بِشِمَاسِي - عَلَى الْعَازِلِينَ -  
فَمَا سَقَمْتُ لِحَظَاتِ الْمَيُوتِ  
يَلُومُ الْخَلِيَّ عَلَى أَنْ أُجَنِّ  
وَمَا ذُو التَّدَكُّرِ يَمُنُّ يَلَامُ

وَإِنِّي أَرَاكِ إِذَا مَا الْجَنُوتِ  
وَأَصْبُو لِعِرْفَانٍ عَرَفِ الصَّبَا  
وَمِنْ طَرَبٍ قَادَ نَحْوَ « الْبُرُودِ »  
أَمَّا وَزَمَانٍ - مَضَى عَهْدُهُ  
قَضَى بِالصَّبَابَةِ ثُمَّ أَنْقَضَى  
لِيَالِي نَامَتْ عُيُونُ الْوُشَا  
وَمَالَتْ عَلَيْنَا غُصُونُ الْهَوَى  
وَأَيَّامُنَا مُذْهَبَاتُ الْبُرُودِ  
كَأَنَّ « أَبَا بَكْرٍ » الْأَسْنَامِيَّ  
أَجْرَى عَلَيْهَا فِرْنَدَ الْكَرَمِ  
بِمَا حَازَ مِنْ زَهْرِ تِلْكَ الشَّيْمِ  
شَمَارِيخَ كُلِّ مُنِيفٍ أَشْمِ  
حَوَى الْخَصْلَ أَوْ سَاهَمْتُهُ مَهْمِ  
وَأَثْبَتَهُمْ - فِي الْمَعَالِي - قَدَمِ

(١) قَالَ ابْنُ مَالٍ الْأَنْدَلُسِيُّ :

« وَفِي بَصْرَى - عَنْ سَوَاكِم - عَمِي ، وَفِي أَدْنَى - عَنْ سَوَاكِم - صَمَم . »

\*\*\*

وَأَرْوَعَ ، لَا مُنْتَنِي رِفْدِهِ  
ذُلُولُ الدَّمَائَةِ صَعْبُ الْإِبَاءِ  
سَمَا لِلْمَجَرَّةِ - فِي أَفْقِهَا -  
وَنَاصَتْ مَسَاعِيهِ زُهْرَ النُّجُومِ  
نَهَيْكَ - إِذَا جَنَّ لَيْلُ الْعَجَاجِ -  
فَشَامَ السُّيُوفَ بِهَامِ الْكُؤَامَةِ  
جَوَادُ ذَرَاهُ مَطَافِ الْعَفَاةِ  
يَهِيْجُ النَّزَالُ بِهِ وَالسُّوَا  
شَهِدْنَا ، لَأَوْتَى فَضْلَ الْخِطَابِ  
وَهَلْ فَاتَتْهُ مِنْ الْمَكْرُمَاتِ  
يَحْيِيْ ، وَلَا جَارُهُ يُهْتَضَمُ  
ثَقِيْفُ الْعَزِيْمِ - إِذَا مَا أُعْزِمَ  
فَجَرُّ عَلَيْهَا ذُيُولُ الْهِمَمِ  
وَبَارَتْ عَطَايَاهُ وَطَفَ الدَّيْمِ  
سَرَى مِنْهُ فِي جُنْحِهِ بَدْرُ تَيْمِ  
وَرَوَى الْقَنَّا فِي نُحُورِ الْبُهَمِ  
وَيُعْنَاهُ رُكْنُ النَّدَى الْمُسْتَلَمِ  
لِ لَيْثًا هَمُورًا وَبَحْرًا خِضَمِ  
وَحُصَّ بِفَضْلِ النَّهْيِ وَالْحِكَمِ  
جَرَى اسِّيفُ يَطْلُبُهُ وَالْقَلَمِ

\*\*\*

وَمُسْتَعْمَدٍ بِكَرِيمِ الْفَعَا  
شَمَائِلُ تُهْجَرُ عَنْهَا الشُّمُولُ  
عَلَى الرُّوضِ مِنْهَا رُؤَا يَرْوُقُ  
لِ - عَفْوًا - إِذَا مَا اللَّيْمُ أُسْتَدَمَ  
وَتَجْنَى لَهَا مُشْجِيَاتُ النَّعَمِ  
وَفِي الْمِسْكِ طِيبُ أَرْيَجٍ يُشَمُّ

\*\*\*

أَبُوهُ الَّذِي فَلَّ غَرْبَ الضَّلَالِ  
وَلَاذَ بِهِ الدِّينُ مُسْتَعَصِمًا  
وَجَاهِدَ - فِي اللَّهِ - حَقَّ الْجَاهِ  
وَلَاءَ شَعْبِ الْهُدَى قَائِلَتَامِ  
بِذِمَّةِ أَبْلَجٍ وَافِي الدَّمَمِ  
دِ مَنْ دَانَ - مِنْ دُونِهِ - بِالصَّنَمِ

فَلَا سَامِيَ الطَّرْفِ إِلَّا أَذَلَّ      وَلَا سَامِيخَ الْأَنْفِ إِلَّا رَغَمَ  
تَقِيلَ فِي الْعِزِّ - مِنْ جَمِيرٍ -      مَقَاوِلَ عَزُّوا جَمِيعَ الْأُمَمِ  
هُمْ نَعَشُوا الْمُلْكَ حَتَّى اسْتَقَلَّ      وَهُمْ أَظْلَمُوا الْخَطْبَ حَتَّى أَظْلَمَ  
نُجُومُ هُدًى - وَالْمَعَالِي بُرُوجٌ -      وَأَسْدُ وَغَى وَالْعَوَالِي أَجَمَ

\*\*\*

« أبا بَكْرٍ » أَسْلَمَ عَلَى الْحَادِثَاتِ ،      وَلَا زِلْتَ - مِنْ رَيْنِهَا - فِي حَرَمِ  
أُنَادِيكَ - عَنْ مِقَّةٍ - عَهْدُهَا      كَمَا وَشَتِ الرِّوَضُ أَيْدِي الرَّهَمِ  
وَإِنْ يَمُدَّنِي عَنْكَ شَحْطُ النَّوَى      فَحَظِّي أَخْسَ وَنَفْسِي ظَلَمَ  
وَإِنِّي لَا صَفِيكَ مَحْضَ الْهَوَى      وَأَخْنِي - ابْنُكَ - بَرْحَ الْأَلَمِ  
وَعَيْرُكَ أَخْفَرَ عَهْدَ الذَّمَامِ      إِذَا حُسْنٌ ظَنَّنِي عَلَيْهِ أَذَمَ

\*\*\*

وَمُسْتَشْفِعِ بَنِي ، بِشَرَّتِهِ      - عَلَى ثِقَةٍ - بِالنَّجَاحِ الْآثَمِ  
وَقَدِّمًا أَقْلْتَ الْمُسَىءَ الْعِثَارَ      وَأَحْسَنْتَ - بِالصَّفْحِ - عَمَّا أَجْتَرَ  
وَعِنْدِي لِشُكْرِكَ نَظْمُ الْعُقُودِ      تَنَاسَقُ فِيهَا اللَّالِي الثُّومِ  
تُجِدُّ لِفَخْرِكَ بُرْدَ الشَّبَابِ      إِذَا لَبَسَ الدَّهْرُ بُرْدَ الْهَرَمِ  
فَمِنْ مَغْصَمَا بَيْفَاجِ السُّمُودِ      وَدُمَ نَاعِمًا فِي ظِلَالِ النِّعَمِ  
وَلَا يَزَلِ الدَّهْرُ ، أَيَّامُهُ      لَكُمْ حَشَمٌ ، وَالْأَيَّامُ خَدَمُ

\* \* \*

هَذَا أَعَزُّ اللَّهِ الْحَاجِبَ مَا اقْتَنَصَتْهُ الْقَرِيحَةُ مَعَ اقْتِضَائِهَا ، وَأَجَابَتْهَا بِهِ  
الْبَدِيَّةُ عِنْدَ اسْتِذْمَائِهَا ، وَالذَّهْنُ <sup>(١)</sup> عَلِيلٌ ، وَالطَّبْعُ كَلِيلٌ ، وَالرَّوْيَةُ فَاسِدَةٌ ،  
وَسُوقُ الْأَدَبِ — إِلَّا عِنْدَهُ — كَاسِدَةٌ ، وَلَوْ أَنِّي أُوتَيْتُ — فِي النَّثْرِ — غَزَارَةَ عَمْرِو ،  
وَبِرَاعَةَ ابْنِ سَهْلٍ ، وَأُمِدِدْتُ — فِي النَّظْمِ — بِنَظْمِ الْبُحْثَرِيِّ ، وَصِنَاعَةِ الطَّائِي <sup>(٢)</sup>  
لَمَا رَدَدْتُ — إِلَى الْحَاجِبِ — إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ ، وَلَا أُوْرَدْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ مَا صَدَرَ عَنْهُ ،  
وَلَا أَنْقَذْتُ مَا أَنْقَذْتُ إِلَّا بَيْنَ أَمَلٍ يَبْسُطُ ، وَخَجَلٍ يَقْبِضُ ، فَرَأَيْتُهُ مُوَفَّقٌ فِي  
أَنْ يَمْنَحَ مَا بَعَثَ الْأَمَلُ إِسْعَافًا ، وَمَا أَوْجَبَ الْحَجَلُ إِغْضَاءً ، لِيَأْتِيَ الْإِحْسَانُ مِنْ  
جِهَاتِهِ ، وَيَسْلُكَ — إِلَى الْفَضْلِ — طُرُقَاتِهِ . وَمَرَّاجَعْتُهُ لِي عَنْ كِتَابِي بِعَهْدٍ كَرِيمٍ يَكُونُ  
كُفْلًا لِعَيْنِ الرَّضَا بِوَحْيَةِ الْقَوْلِ ، أَقِفْ بِهِ مِنْ تَوَالِي النِّعَمِ عَلَيْهِ ، وَأَنْتِظَامِ  
الْأَحْوَالِ — بِالصَّلَاحِ لَدَيْهِ — عَلَى مَا تَبْتَهِجُ لَهُ نَفْسِي ، وَيَنْتَظِمُ مَعَهُ عَقْدُ أُنْسِي ،  
يَدِي عِنْدِي جَنَاهَا شَهْدٌ ، وَشَدَاهَا عَنَبٌ وَوَرْدٌ ، وَرِدَاوُهَا الشُّكْرُ الْجَزِيلُ ،  
وَأَتْبِعُهَا الشَّنَاءَ الْجَمِيلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .  
وَلِيُبْلَغْ مِنِّي سَلَامًا يَهْدِي إِلَيْهِ نَدَّةٌ <sup>(٣)</sup> ، وَتَحِيَّةٌ أَوَّلَهَا عِنْدِي وَآخِرُهَا عِنْدَهُ .

(١) وفي الأصل : « والدهر » .

(٢) يعني أبا تمام .

(٣) الند ( بالفتح ) وبكسر : الطيب أو العنبر ، وفي الأصل : « يهدي إليه نفسه »

## إلى ابن مسleme

« وكتب من قرطبة إلى ابن مسleme باشيلية  
قبل تحوله إليها : »

يَا سَيِّدِي وَأَرْفَعُ عُدَدِي ، وَأَوَّلَ الدَّخَائِرِ فِي عُدَدِي ، وَأَخْطَرَ عِلْقِي مَلَأْتُ مِنْ  
أَقْتِنَائِهِ يَدِي ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي عَيْشَةٍ بَارِدَةٍ الظَّلَالِ ، وَنِعْمَةٍ سَابِغَةِ الْأَذْيَالِ ،  
قَدْ تَقَاصَرَ الثَّنَاءُ عَلَيْكَ ، وَتَوَالَى الْحَدِيثُ الْحَسَنُ غُنْكَ ، حَتَّى حَلَلْتَ مَحَلَّ الْأَمَانَةِ ،  
وَكَنتَ مَوْضِعَ تَقْلِيدِ الْوَطَنِ ، وَثَبَاتِ الطَّوْبَةِ ، وَاللَّهُ يُمَتِّعُكَ بِمَا حَازَهُ لَكَ مِنَ  
الْخَيْرِ ، وَوَفَّرَهُ عَلَيْكَ مِنْ طِيبِ الدَّكَرِ .

فِي عِلْمِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مَا تَقْتَضِيهِ الْمُطْلَعَةُ مِنْ إِظْلَامِ الْخَاطِرِ ، وَصَدَأِ النَّفْسِ ،  
وَيَجْنِيهِ طَوْلُ الْمُقَامِ مِنْ إِخْلَاقِ الدِّيَابِجَةِ وَإِرْخَاصِ الْقَدْرِ ، وَقَدْ آتَى أَنْ أُجْتَنِيَ  
ثَمَرَةٌ مِنْ آدَابِ أَطْلُتِ الْإِعْتِنَاءُ بِهَا ، وَأَخْلَاقِي أَدَمْتُ رِيَاضَةَ النَّفْسِ عَلَيْهَا ، وَلَمَّا  
نَخَضْتُ الْمُلُوكَ وَجَدْتُ عَبِيرَهُمُ الَّذِي أَنْسَى<sup>(١)</sup> السَّالِفَ قَبْلَهُ ، وَتَقَدَّمَ الدَّاهِرَ مَعَهُ ،  
وَأَتَسَّبَ الْغَايِرَ بَعْدَهُ ، الْحَاجِبَ فَخْرَ الدَّوْلَةِ مَوْلَايَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، وَكَبَّتْ  
أَعْدَاءُهُ ، مَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ سِنَى الْهِمَمِ ، وَسَمَاحَةِ الشِّيمِ ، وَأَنْتِظَامِ أَسْبَابِ  
الرِّيَاسَةِ ، وَكَمَالِ آلَاتِ السِّيَاسَةِ ، وَأَجْتِمَاعِ الْمَنَاقِبِ الَّتِي أَفْرَدَتْهُ عَنِ النَّظَرَاءِ ،  
وَأَعْلَتْهُ عَنِ مَرَاتِبِ الْأَكْفَاءِ ، فَرَأَيْتُ قَبْلَ أَنْ أُحْتَمِلَ لَغَيْرِهِ نِعْمَةً ، أَوْ أُوسِمَ  
بِمَنْ سِوَاهُ بِصَنِيعَةٍ - أَنْ أَعْرِضَ نَفْسِي مَمْلُوكَةً عَلَيْهِ ، عَرِضَ مَنْ لَا يَوْمَ لَهَا  
- لِإِجَارَتِهِ - إِلَّا بِالْأَسْتِجَارَةِ ، وَلَا يَطْمَعُ لَهَا - فِي قُبُولِهِ - إِلَّا بِالْمُسَاحَةِ ، فَلَوْ  
كَُنْتُ الْوَلِيدَ بْنَ عُبَيْدٍ بَرَاعَةً نَظُمَ ، وَجَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى بِلَاغَةً نَشْرَ ، وَإِبْرَاهِيمَ

أَبْنُ مَهْدِيٍّ طِيبَ مُجَالَسَةٍ ، وَإِمْتَاعَ مُشَاهَدَةٍ ، ثُمَّ حَضَرْتُ مُجْلِسَهُ الْعَالِي ، لَمَّا  
كُنْتُ - بِسَمَةِ إِحَاطَتِهِ - الْإِفَى جَانِبِ التَّقْصِيرِ ، وَتَحْتَ غَمْرَةِ النُّقْصَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ  
لَمْ يَعْدَمْ فِي نَجَابَةِ غَرَسِ الْيَدِ ، وَإِصَابَةِ طَرِيقِ الْمَصْنَعِ ، مِنْ وَلَايَةِ أُخْلِصُهَا  
وَنَصِيحَةِ أُفْحَضُهَا ، وَشُكْرِ أَجْنِيهِ الْغَضِّ مِنْ زَهْرَاتِهِ ، وَتَنَاءِ أَهْدَى إِلَيْهِ  
الْعَطْرِ مِنْ نَفَحَاتِهِ ، مِنْهَا مَا سَوَّغَكَ اللَّهُ مِنَ الْمَوْهِبَةِ فِي ذَلِكَ ، وَأَنْهَضَكَ بِأَعْبَاءِ  
الشُّكْرِ لَهَا ، وَمِنْهَا شَرَفَ مَذْهَبِكَ ، وَكَرَّمَ سَجِيَّتِكَ ، وَصَحَّهَ مُشَارَكَتِكَ  
لِمَنْ لَمْ يَسْتَوْجِبْهَا أُسْتِجَابِي ، وَلَا أَسْتَدْعَاهَا بِعِثْلِ أَسْبَابِي ، مِنْ تَدَانِي الْجِدَارِ  
وَتَصَافِي السَّلَفِ ، وَالْإِتِّجَاءِ إِلَى أَسْرَةِ الْأَدَبِ ، فَإِنْ وَافَقَتِ الْمُسَاعَفَةُ الْإِرَادَةَ  
فَحَظُّ أَقْبَلِ ، وَعَبْدٌ بَلَغَ مِنْ قَبُولِ سَيِّدِهِ مَا أَمَلَ

وَلَمْ أَقُلْ - عَمْرُكَ اللَّهُ - كَمَا قِيلَ فِي النَّجْمَيْنِ ، بَلْ قُلْتُ : « وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّدِيَتَيْنِ »  
وَإِنْ عَاقَ حَرِّمَا نُعَادَتْهُ أَنْ يُعَوَّقَ عَنِ الظَّفَرِ ، وَيَعْتَرِضَ دُونَ الْأَمَلِ ، فَأَغْلِبُهُ  
- أَيْدَهُ اللَّهُ - أَنِّي فِي حَالِي الْمُطْلَعَةِ مَعَ غَيْرِهِ وَالتَّصَرُّفِ - وَيَوْمَئِذٍ الْإِتْقَاعِ وَالتَّصَوُّفِ <sup>(١)</sup> ،  
كَأَلَمْ يَهْدِي بِالنَّجْمِ حِينَ عَدِمَ ذُكَاؤُهُ ، وَمُتِمِّمِ الصَّعِيدِ حِينَ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ .

فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا غَيْرُهُ أَوْ أَرْزَهُمْ فَكَأَلَوْحَشٍ يُذْنِبُهُ مِنَ الْأَنْسِ الْمَحَلُّ  
وَاللَّهُ يَتَوَلَّاهُ بِالْفُسْحَةِ فِي عُمْرِهِ ، وَالْإِغْلَاءِ لِأَمْرِهِ ، وَيَصْرِفُ الْأَقْدَارَ مَعَ  
إِشَارِهِ ، وَيُصْرِفُ وَجُوهَ التَّوْفِيقِ إِلَى اخْتِيَارِهِ ، وَلَكَ - يَا سَيِّدِي - فِي أُتْدَابِكَ  
مَا أَنْتَدَبْتُكَ لَهُ مَا لِلْسَّاعِي الْمُنْجِحِ مِنَ الشُّكْرِ ، وَلِلْمُجْتَهِدِ الْبَالِغِ مِنَ  
الْمُذَرِّ ، مِلَاكُ الْأَمْرِ بِتَقْدِيمِ الْمُرَاجَعَةِ بِالْجَوَابِ ، فَأَسْكُنْ إِلَيْهِ ، وَالْجَنَابِ فَأَعْتَمِدْ  
عَلَيْهِ ، وَأَهْدِي إِلَيْكَ نَدَى الْغَضِّ النَّاصِرِ مِنْ سَلَامِي ، وَالْأَرِجِ الْعَاطِرِ مِنْ تَحِيَّتِي .



## رسالة إلى المعتضد

« وكتب إثر ذلك إلى المعتضد رقعة يقول فيها : »

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْحَاجِبِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ - مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَمَوْلَى الْمَنَاقِبِ  
الْجَلِيلَةِ ، وَالضَّرَائِبِ النَّفِيسَةِ - فِي أَكْمَلِ مَا تَكْفَّلَ لَهُ بِهِ مِنْ غُلُوِّ الْقَدْرِ ،  
وَنَفَازِ الْأَمْرِ ، وَأَحْظَاهُ مِنَ النِّعَمِ بِأَسْبَغِهَا سِرًّا بِالًا ، وَأَبْرَدِهَا ظِلَالًا ، وَأَحْمَدَهَا مَالًا .  
كُنْتُ - أَعَزَّ اللَّهُ الْحَاجِبَ - مَوْلَايَ قَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي عَامِرٍ  
عَبْدِهِ بِمَا أَيْقَنْتُ أَنَّهُ أَنْتَهَى إِلَيْهِ ، وَأَشْتَمَلَ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ الْوَزِيرُ إِلَى بَعْضِ  
أَسْبَابِهِ بِمَا يَقُومُ مَقَامَ الْمُرَاجَعَةِ لِي بِمَا يَرْتَفِعُ عَنْ قَدْرِي ، وَلَا تَتَسَّعُ لَهُ سَاحَةٌ  
شُكْرِي ، لِعِلْمِي أَنَّهُ مِنَ الْحَاجِبِ - أَيْدُهُ اللَّهُ - حَذَرَ ، وَبَعْدَ إِذْنِهِ <sup>(١)</sup> نَفَذَ ،  
وَالَّذِي عَدَانِي عَنْ أَنْ يَكُونَ الْكِتَابُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْحَاجِبِ - أَبْقَاهُ اللَّهُ -  
التَّادِبُ بِآدَابِ خِصْيَانِ الْعَبِيدِ فِي الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، وَتَرِكَ التَّبَسُّطَ وَالْإِقْدَامَ ،  
وَقَلَمًا أَسْتَفْنَتْ أَوَائِلُ مَطَالِبِ الْآتِبَاعِ لِحَضْرَةِ الْمُلُوكِ عَنْ وَسَائِطِ تَهْدٍ لَهَا  
وَتَعْتَمِدُ أَوْقَاتَ الْإِمْكَانِ بِهَا ، لِأَنِّي مَا اتَّخَذْتُ إِلَى الْحَاجِبِ - أَدَامَ اللَّهُ غُلُوَّهُ -  
غَيْرَ سِيَادَتِهِ ذَرِيعَةً ، أَوْ التَّمَسُّتُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ نَفَاسَةٍ نَفْسِهِ شَفَاعَةً ، وَأَيُّ  
مَعْدَى لِيْلِي عَنْ تَفْيُؤِ ظِلَالِهِ ، وَالْأَعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ . وَصِنَاعَةُ الْآدَابِ كَأَمِيدَةٍ إِلَّا  
عَلَيْهِ ، وَطَرِيقُ الْأَمَلِ مُوَحِّشَةٌ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يَدْعُنِي إِلَى اسْتِطْلَاعِ مَا قَبْلَهُ  
شَكٌّ فِي كَرَمِهِ ، وَلَا سُوءُ ظَنٍّ بِسَمَاحَةِ شَيْمِهِ ، بَلْ أُرُومُ الطَّرِيقَةِ فِي التَّوَطُّطَةِ  
لِلْمَطْلَبِ ، وَالتَّدَرُّجِ إِلَى إِحْرَازِ الْأَدَبِ ، وَحَسْبِي أَنْ أَمْلِيَ قَدْ أُرْتَادَ الْجَنَابَ

الرَّحْبَ ، وَالْمَشْرَبَ الْعَذْبَ ، وَلَعَلَّ الْخُطُوطَ سَتُكْشَفُ ، وَالنَّوَائِبَ سَتُصْرَفُ ،  
إِلَى أَنْ أَبْعَدَ إِلَى أَبْعَدِ غَايَاتِ الْأَمَلِ مِنْ مُشَاهَدَةِ حَضْرَتِهِ الْعَلِيَاءِ ، وَالنَّظَرَ إِلَى  
غُرَّتِهِ الزَّهْرَاءِ ، فَوَاللَّهِ مَا يَنْصَرِفُ فِكْرِي ، وَلَا يَنْصَرِمُ حِينٌ مِنْ عُمْرِي ، إِلَّا  
فِي الذِّكْرِ لَهُ ، وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ ، وَالْمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنَا أَقْدَمُ الْإِعْتِدَارِ مِنْ  
مَهَابَةِ تَمَلُّكِ جَنَانِي ، وَحَصْرِ يَكَادُ يَقْطَعُ فِي أَوَّلِ الْمُشَافَهَةِ لِسَانِي ، فَإِنْ  
حَدَّثَ ذَلِكَ فَعُذْرِي عُذْرٌ <sup>(١)</sup> الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ وَقَدْ انْقَطَعَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ ،  
فَقَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! مِنْ قَرَاهَةِ الْعَبْدِ أَنْ تَمْلِكَ قَلْبَهُ هَيْبَةً سَيِّدِهِ » .

وَسَيُفْضَى - بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - إِلَى مَا يَسْتَجِيزُهُ الْحَاجِبُ مَوْلَايَ مِنْ إِمْتِنَاعٍ مِنْ  
شَاهِدٍ ، وَيَسْتَطْرِفُهُ مِنْ أَدَبٍ يَسْتَطْلِعُهُ مِنْ إِجْمَالِ طَلَبٍ ، وَجَمَالِ مَذْهَبٍ ،  
كَمَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي سَأَصِلُ إِلَى مَا لَمْ أَعْهَدْ مِثْلَهُ مِنْ بَهَاءِ مَنْظَرٍ ، وَسَاءِ تَجَرِبٍ ،  
وَرِفْعَةِ شَأْنٍ . وَعِظَامِ سُلْطَانٍ ، وَلَعَلَّ السَّمَادَةَ تُهَيِّئُ لِي مِنَ الْخُطِّ مَا أُثْبِتُ بِهِ  
مَا أَدْعِيئُهُ لِنَفْسِي مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ ، وَأُنْجِزُ مَعَهُ مَا قَدَّمْتُ عَنْهَا مِنْ هَذِهِ  
الْعِدَاتِ ، فَحَوْلُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ كَفِيلٌ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، زَادَ اللَّهُ  
الْحَاجِبَ مَوْلَايَ مِنْ سَنَى قِسْمِهِ ، وَهَنَى نِعْمِهِ ، وَبَلَغَهُ النَّهَايَةَ مِنْ آمَالِهِ .

### رسالة من قرطبة

« وكتب إليه بعد أن صدر من حضرته إلى قرطبة

رسالة يقول فيها : »

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ لِلنِّعَمِ يُطَوَّقُهَا ، وَالْأَمَالِ يُصَرِّفُهَا <sup>(٢)</sup> ، وَالْمِنَنِ يُقَلِّدُهَا  
وَالْأَحْزَارِ يَسْتَعْبِدُهَا .

(١) في الأصل : « فعذري عند الفضل . »

(٢) وفي نسخة الذخيرة المنقولة عن النسخة المنقولة عن النسخة المغربية : « يصدقها »

يَعْلَمُ الَّذِي أَسْأَلُهُ إِعْزَازَ مَوْلَايَ وَإِعْلَاءَ أَمْرِهِ ، وَصِلَةَ تَأْيِيدِهِ ، وَتَمَكِينَ  
نَصْرِهِ ، أُنَى - لَمْ أَزَلْ مُنْذُ فَارَقْتُ حَضْرَتَهُ الْجَلِيلَةَ حَضْرَةَ الْمَجْدِ وَالسِّيَادَةِ ، وَمَحَلَّ  
الْإِقْبَالِ وَالسَّعَادَةِ - لِهَجِّ اللِّسَانِ بِمَا حَبَانِي مِنْ ثَمَارِ الْحِكْمَةِ وَالنَّعْمَةِ ، وَأَفَادَنِي  
مِنْ عَقْدِ الْأَدَبِ وَالنَّسَبِ ، فَمِنْ كَبِيدِ حَاسِدٍ تَصَدَّعَتْ ، وَأَنْفَاسٍ مُنَافِسٍ  
تَقَطَّعَتْ ، وَنَاعِمِ الْبَالِ أَكْشَفَتْ بَالَهُ ، وَمُتَمِّنٍ لِحَالِي طَالَمَا تَمَنَّيْتُ حَالَهُ ، وَقَلَّمَا  
أَنَالَ أَذُنِي مَكَانَةً مِنْهُ ، وَأَرْزَقِي أَوَّلَ دَرَجَةٍ مِنَ الْخُصُوصِ بِهِ ، تَحْسُدُهُ  
الْكُوَاكِبُ فِي إِشْرَافِهَا ، وَتَنْحَشِدُ إِلَيْهِ الْأَمَانِي مِنْ أَطْرَافِهَا ، لِعَبِيدِهِ الَّذِينَ  
أَنَا آخِرُهُمْ فِي الْخِدْمَةِ ، وَأَوَّلُهُمْ فِي شُكْرِ النِّعْمَةِ ، وَيَرْفَعُ مِنْ هَمَمِهِمْ مَا  
أُنْخَفِضَ ، وَيَنْسُطُ مِنْ آمَالِهِمْ مَا أَنْقَبَضَ ، وَلَا يُعْدِمُهُمُ التَّقَلُّبُ فِي نِعْمَتِهِ ،  
وَالْإِعْتِلَاقُ بِأَسْبَابِ ذِمَّتِهِ ، بِمَجْدِهِ وَكَرَمِهِ ، وَكَانَتْ مِنْ مَوْلَايَ - أَعَزُّهُ اللَّهُ -  
إِشَارَةٌ بَلَّ عِبَارَةً أَعْدَدْتُهَا طَلِيعَةَ لِسْعُودٍ تَتَوَافَى طَلَقًا ، وَمُقَدِّمَاتٍ لِمَسَرَّاتٍ  
تَتَوَالِي نَسَقًا ، فَلَمَّا لَحِقَ الْجِسْمُ بَعْدَ تَرْكِهِ النَّفْسَ لَدَيْهِ ، وَالْبَرَاءَةَ مِنْهَا إِلَيْهِ ،  
بِالْوَطَنِ الَّذِي أَسْلَانِي عَنْهُ ، وَأَسْنَى لِي الْعَوَاضَ مِنْهُ ، تَأْتَيْتُ مِنْ طَاعَتِهِ  
الْمُقْتَرَنَةِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي نَفْسِي مَمْلُوكَتِهِ لِمَا أَنَا مُهْنَأٌ بِهِ مُنَافِسٌ فِيهِ ، فَسَاعَفْتُ  
الْمَآرِبَ ، وَأُتَمَحَّتِ الْمَطَالِبُ ، وَلَمْ يَرِ بِنِي تَعَذُّرُ وَجْهِ حَاوِلَتِهِ ، وَلَا عِدَانِي تَيْسُرُ  
أَمْرِ تَنَاوَلَتِهِ ، وَلَمْ تَبْقَ عِلَّةٌ تُسَوِّغُ بِاعْتِرَاضِهَا الْإِعْتِدَارَ إِلَّا مَا يَتَرَاخَى مَا يُمَآوِدُ  
أَمْرَهُ ، وَيَتَجَدَّدُ فِي الْحَرَكَةِ إِذْنُهُ ، وَلَمْ أَسْتَأْذِنْ لِأَنَّ الْإِذْنَ بَعْدَ عَهْدِهِ ، وَلِأَنَّ  
الْمِيعَادَ لَمْ يُحْكَمْ عَقْدُهُ ، بَلْ تَجَنَّبْتُ أَنْ أُدِلَّ بِتَرْكِ الْمُسَاوَرَةِ ، أَوْ أُخِلَّ بِرِسْمِ  
الْمُؤَامَرَةِ ، فَلِمَوْلَايَ الطَّوْلُ فِي أَمْرِ الْوَسَاطَةِ عِنْدَهُ بِمُرَاجَعَةِ أُعْتِمِدُ عَلَيْهَا ، وَاجْتِهَدُ  
فِي الْإِنْتِهَاءِ إِلَيْهَا ، وَاللَّهُ مُبَلِّغُنِي الْأَمَالَ مِنْ وَفْقَةِ بِحَضْرَتِهِ ، وَنَظَرَةٍ إِلَى غُرَّتِهِ ،  
وَتَقْبِيلِ لِرَاحَتِهِ ، وَتَصَرُّفِ فِي سَاحَتِهِ ، فَهُوَ الْمَالِكُ لِذَلِكَ ، الْقَادِرُ عَلَيْهِ .

## من رسالة

« وله من رسالة حذف أبو الحسن هنا أكثرها ولم يذ كر إلا قطرة من وابل ، أو نفثة من سحر بابل ، وها أنا مثبتها على تواليها ، إشارة لحسن معانيها ، واستفادة من سني أدبه فيها ، وهي <sup>(١)</sup> : »

يَا سَيِّدِي الَّذِي كُنْتُ أَرَاهُ أَعَدَّ عُدْدِي ، وَأَخَصَّ جُنِّي ، مِنْ زَمَنِي ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي أَصْلَحِ الْأَحْوَالِ ، وَأَفْسَحِ الْأَمَالِ .  
أُبَدِّئُ جَرَى كِتَابِي إِلَيْكَ بِشَرْحِ الضَّرُورَةِ الْخَافِزَةِ إِلَى مَا صَنَعْتَ مِمَّا بَلَغَنِي أَنَّكَ صَدَقَ اللَّائِمَانِ بِي عَلَيْهِ ، وَأَوَّلَ السَّفِيهَانِ الرَّأْيَ فِيهِ ، وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ وَيَلُ الشَّجَى مِنَ الْخَلِي ، وَهَانَ عَلَى الْأَمَلَسِ مَا لَاقَى الدَّيْرُ .  
وَأَوْسَطُهُ بِمُعَاتَبَتِكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ انْفِعَالِكَ عَنِّي ، وَبِرَاءَتِكَ مِنْ آكِدِ الْمُحَنَةِ مِنِّي ، وَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ فِي وَرْدٍ وَلَا سَدَرٍ مِنْ مُشَارَكَتِي فِيهَا ، وَلَا كَانَتْ لَكَ نَاقَةٌ وَلَا جَلٌّ فِي مُظَاهَرَتِكَ لِي عَلَيْهَا ، مَعَ الْقُدْرَةِ لَكَ عَلَى تَهْوِينِ خَطْبِهَا ، وَتَذْلِيلِ صَعْبِهَا ، وَتَذْلِيلِ شَدِيدِهَا ، وَتَقْرِيبِ بَعِيدِهَا ، فَأَرَى صِدْقَكَ الْحَدِيثَ وَمَا ذَاكَ بُخْلًا مِنِّي لِبُخْلِي عَلَيْكَ بِالْإِغْضَاءِ أَنْتَ عَيْنِي ( وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي ) غَضُّ أَجْفَانِيهَا عَلَى الْقَذَى <sup>(٢)</sup> وَإِنَّمَا يُعَاتَبُ الْأَدِيمُ ذُو الْبَشَرَةِ <sup>(٣)</sup> ، وَالْمَثَلُ السَّائِرُ : يَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ ، وَقَالَ الْآخَرُ :

(١) ابن بسام . (٢) جملة «وليس من حق عيني» ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها لأن السياق يقتضيها ، وهو يشير إلى قول ابن الرومي :

« أنت عيني ، وليس من حق عيني غرض أجفانها على الأعداء . »

(٣) المعاتبسة : المعاودة وبشرة الأديم : ظاهره الذي عليه الشعر ، أي إنما يعاد إلى الدافع من الأديم ما سلت بشرته ، وهو مثل يضرب في إمكان المراجعة والاستعتاب ، وفي الأصل «ولما يعاتب الأديم على البشرة» .

أَبْلَغُ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مُغْلَغَلَةٌ      وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامٍ  
وَأَخْتِمُهُ بِتَكْلِيْفِكَ مَا كَانَ سَبَبَ الْكِتَابِ ، وَالْدَّاعِيَ إِلَى الْخِطَابِ ، عَسَاكَ أَنْ  
تَتَلَا فِي عَوْدًا ، مَا ضَيَّعْتَ بَدْءًا ، وَتَهْتَبِلَ آخِرًا ، مَا أَغْفَلْتَ أَوَّلًا ، فَيَعُودَ عَيْنُ  
مَا أَفْسَدْتَ ، وَإِنْ كُنْتَ فِي ذَلِكَ : « كَذَابِغَةٌ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ » <sup>(١)</sup> فَتَنْعَتُهُ  
الْفَوْتُ قَبْلَ الْعَطَبِ .

وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ      وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبِعَهُ اتِّبَاعًا  
فِي عِلْمِكَ أَنَّ سُجُنْتَ مُعَالِبَةً بِالْهَوَى ، وَهُوَ أَخُو الْعَمَى ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنِ  
اتِّبَاعِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ إِذَا يَقُولُ : « وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ  
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ . » وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْمَصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى      إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ . »  
دُونَ تَأَنٍّ تَذَرُكَ بَعْضُ الْحَاجَةِ بِهِ ، أَوْ اسْتِثْبَاتِ ثَوْفَمِنْ مُوَاقَعَةِ الزَّلَلِ مَعَهُ ،  
بَلْ : « أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ . » وَشَهِدَ ابْنُ الْعَشَارِ الْعَارِي عَنِ النِّقَةِ  
وَالْأَمَانَةِ ، الْبَعِيدُ مِنَ الرَّعِيَةِ وَالصِّيَانَةِ ، النَّاشِرُ لِأَذْنِيهِ طَمَعًا ، الْآكِلُ  
بِيَدَيْهِ جَشَعًا ، فَكَانَ : « الْقَوْلُ مَا قَالَتْ حَذَامُ » . وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ  
بِالشُّهُودِ ، وَهُوَ وَائِزٌ غَمْرٍ وَفِيهِمْ ، وَنُونُ الْجَمْعِ الْمُضَافِ مَعَهُمْ ، دُونَ أَنْ يُلْحَقَ  
بِحُزْمَةِ ذِي الشَّهَادَتَيْنِ ، وَيَنْوُبَ مُنْفَرِدًا عَنْ اثْنَيْنِ .

« لَيْسَ عَلَى اللَّهِ عِصْتَنَكَرٍ      أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ . »

(١) اضرب الأمر الذي انتهى مساده ، وذلك أن الجلد إذا حلم أي فسد إمامه ويقع فيه دود فتنب  
لم يرج له لإصلاح ، ويروى عن الوليد بن عتبة أنه كتب إلى معاوية :  
« فإياك والكتاب إلى على كذابة وقد حلم الأديم . »

وَلَيْتَنِي مَعَ مَنْ لَا يَحِلُّ قَوْلُهُ عَلَيَّ ، أُعْذَرُ فِي شَهَادَتِهِ إِلَيَّ ، وَلَمْ يَقْتَرِنْ الْحَشَفُ  
مَعَ سُوءِ الْكَيْلَةِ ، وَيَسْتَضِيْفُ لِي الْغُدَّةُ إِلَى الْمَوْتِ فِي يَنْتِ سَلْوِيَّةَ ، خُطَّتَا  
خَسِيفَ لَمْ أَرِ النِّجَاءَ مِنْهُمَا إِلَّا أَنْ رَكِبْتُ الْحَوْلِيَّ الْأَشْهَبَ ، وَرَأَيْتُ خُرَاسَانَ  
مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبُ ، وَكَانَ الْمُتَوَفَّى سَجْنِي بَعْدَ شَهْرٍ مِنْ إِنْفَازِهِ ، لَهُ  
مَجْلِسٌ حَضَرَهُ فَقَهَاءُ الْحَضَرَةِ وَمَنْ أُعْلِمَ بِسِيَاهُمْ ، وَجَرَى فِي غِشْيَانِ الْحُكَّامِ  
مَجْرَاهُمْ ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ اتَّهَمَنِي بِالْمُغِيبِ عَلَى عَهْدِ الْمُتَوَفَّى مَوْلَايَ - كَانَ - نَقَعَ  
اللَّهُ صَدَاهُ ، وَبَلَ ثَرَاهُ ، وَثَبَتَ عِنْدَهُ مَعَ ذَلِكَ أَنِّي مِمَّنْ تُعَامِلُهُ الْهَمَمُ ، وَلَا  
تَرْتَفِعُ عَنْهُ الظَّنُّ ، فَكَأَنَّهُمْ أَفْتَى بِالْإِعْذَارِ إِلَيَّ ، فِيمَا شَهِدَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ عَلَيَّ ،  
ثُمَّ سَجَنَنِي أَنْ لَمْ آتِ بِمَذْفَعٍ ، أَوْ أَصْدَعَ مِنَ الْحُجَّةِ بِمَقْنَعٍ ، فَاخْتَاطَ وَأَجْتَهَدَ ،  
وَتَحَرَّى وَاقْتَصَدَ ، وَصَالَحَنِي مِنْ هَذِهِ الْفُتْيَا عَلَى النِّصْفِ بِتَأْخِيرِ الْإِعْذَارِ ،  
وَتَقْدِيمِ الصَّلَاحِ ، وَالصَّلَاحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ <sup>(١)</sup> ، ثُمَّ أَظْهَرْتُ إِلَيْهِ عَقْدًا كَانَ  
الْمُتَوَفَّى قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ ، وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ ، قَدْ أَشْهَدَ فِيهِ أَنْ لَا مَالَ لَهُ ، وَأَنَّ  
جَمِيعَ مَا تُحِيطُ بِهِ الدَّارُ الَّتِي تُؤْمِنُ بِعَدَدِ هَذَا الْإِشْهَادِ فِيهَا ، إِنَّمَا هُوَ لِلْعَانِيَةِ الَّتِي  
فِي عِصْمَتِهِ ، حَاشَا دَقَائِقَ يَدَيْهَا ، وَمُحَقَّرَاتِ عَيْنِهَا ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ أَشْهَدَ بِهَذَا عَلَى  
نَفْسِهِ ، وَتَقَيَّدَ مِثْلُهُ مِنْ لَفْظِهِ ، فَحَالَ أَنْ يُخْلَفَ عَهْدًا ، وَيَهْلِكَ مِنْ وَصِيَّةٍ ،  
وَسَأَلْتُهُ الشُّورَى فِيمَا أَثْبَتَهُ مِنْ هَذَا الْعَهْدِ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى ذَلِكَ ، وَلَوْ لَمْ  
تَكُنِ الشُّورَى مِنْ أَدَبِ اللَّهِ إِذْ يَقُولُ : « وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا

(١) جاء في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجامعة لأحكام القضاء التي أرسلها إلى أبي موسى الأشعري قوله : « والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً . » وفي الأصل : « والسجن جائز بين المسلمين »

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ . لَوْ جَبَّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهَا لَقَاخُ الْعَقْلِ ، وَرَأَيْدُ الصَّوَابِ ، وَأَنَّ لِلْمُشَاوِرِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ، صَوَابًا يَفُوزُ بِمَحْمَدَتِهِ ، أَوْ خَطَأً يُشَارِكُ فِي مَذَمَّتِهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

« وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً      مَكَانُ الْخَوَافِ عُدَّةٌ لِلْقَوَادِمِ <sup>(١)</sup> . »  
قَدْ قَرَعْتُ لَهُ الْعَصَا وَنَبَّيْتُهِ عَلَى أَنَّ الَّذِي دَعَوْتُهُ إِلَيْهِ ، لَا يَسُوعُ دَفْعِي عَنْهُ ،  
وَلَا يَجُوزُ مَنَعِي مِنْهُ <sup>(٢)</sup> ، فَحِينَئِذٍ عَلَّلَنِي بِمَوَاعِيدَ : كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مَثَلًا ،  
إِذَا قَطَعْنَا مِنْهُ عِلْمًا بَدَأَ عِلْمٌ ، وَكَانَ آخِرُهَا - الَّذِي نَسَخَ بِهِ مَا قَبْلَهُ - أَنْ تُذَرَجَ  
الشُّورَى إِلَى أَبْنَاءِ الشُّورَى لِلْوَرَثَةِ ، فَتَوَيْتُ أَرْقُبُ هَذَا الْحَيْنَ ، وَأَرْجُو أَنْ  
يَحِينَ ، كَمَا يَرْجُو أَخُو السَّنَةِ الرَّبِيعَ : وَكَمَا فِي بُطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءٌ .  
« فَكُنْتُ وَإِيَّاهُ سَحَابَةً مُمَحِلٍ      رَجَاهَا ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ أُسْتَهْلَتْ »

وي فصل منها :

وَلَمْ أَقْصُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي مِمَّا أَجْلَبَتْهُ إِلَّا مَا شَهَرَ شُهْرَةً الْأَسْمِ ،  
وَعَرِفَ مَعْرِفَةَ النَّسَبِ ، وَمَا يَوْمُ حَلِيمَةَ بَسِيرٍ ، وَكُنْتُ أَوَّلَ حَبْسِي قَدْ  
وُضِعْتُ مِنَ السَّجْنِ فِي مَوْضِعٍ قَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِوَضْعِ مَسْثُورِي النَّاسِ ،  
وَذَوِي الْهَيْئَاتِ مِنْهُمْ فِيهِ ، وَفِي الشَّرِّ خِيَارٌ ، وَبَعْضُهُ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ ،  
فَنَيْتُ - مِنْ مُطَالَبَةِ بَعْضٍ مَا يَهْتَمُّ النَّاطِرُونَ فِي السَّجْنِ لَهُ وَيَسْعَوْنَ إِلَيْهِ - بِمَا  
أَقْتَضَى نَقْلِي إِلَى حَيْثُ الْجُنَاةُ الْمُفْسِدُونَ ، وَاللُّصُوصُ الْمُقَيَّدُونَ ، وَشَكَوْتُ  
ذَلِكَ إِلَى الْحَكَمِ الْحَابِسِ لِي فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَضَى ذِكْرُهُ بِمَشْهَدٍ مَنْ تَقَدَّمَ

(١) البيت لبشار بن برد . (٢) في الأصل : « وبه على الذي دعوته إليه ، لا يسوع لي دفعه

صته ، ولا يجوز معي منه . » وما أثبتناه هنا هو ما يمكن أن يستقيم به المعنى .

وَصَفُّهُ ، فَأَتَتْهُ مِنَ الرِّضَا بِهِ ، وَأَظْهَرَ الْإِمْتِعَاضَ مِنْهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْمُوَكَّلِ  
بِالسَّجْنِ فِي اخْتِيَارِ مَجْلِسِ أَتَابِنُ فِيهِ مَنْ لَا تَلِيْقُ بِي مُلَابَسَتُهُ ، وَأَنْتَبِذُ عَنْ  
لَا تُرْضَى لِي مُجَالَسَتُهُ ، ثُمَّ لَمْ أَلْبَثْ أَنْ أَحْضَرَهُ مَجْلِسَ نَظَرِهِ ، وَأَمَرَ بِتَأْدِيهِ ،  
عَلَى امْتِثَالِهِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ ، وَأَنْتَهَائِهِ إِلَى مَا حَدَّ لَهُ ، وَأَسْتَأْنِفَ الْعَهْدَ فِي  
التَّضْيِيقِ عَلَى ، وَمَنْعَ مَنْ أَعْتَادَ صَلَاتِي مِنَ الْوُصُولِ إِلَيَّ ، فَأَصْعِدْتُ إِلَى غُرْفَةٍ  
فِي السَّجْنِ أَقْنَعَنِي بِهَا مَعَ خَسَاسَتِهَا ، وَأَسْلَانِي عَنِ الْمُصِيبَةِ بِالسَّكُونِ فِيهَا  
- عَلَى مَضَاضَتِهَا - أَنْفِرَادِي مِنْ لَفِيفِ الْأَخْلَاطِ ، وَمَنْ ضَمَّهُ السَّجْنُ مِنَ السَّفَلَةِ  
وَالسُّقَاطِ ، فَحِينَ أُسْتَوَاتِي إِلَيْهَا عَهْدَ بِحَطِّي إِلَيْهِمْ ، وَخَلَطِي بِهِمْ ، وَوَضْعِي  
يَتَنَّهُمْ ، فَتَقِلْتُ وَدَخَلْتُ إِلَيَّ فِي هَذِهِ الْحَالِ مَنْ أُبْلَغَ إِلَيَّ عَنْ ابْنِ أَخِي الْحَكَمِ  
رِسَالَةً جَامِعَةً مِنَ السَّبِّ الْفَاحِشِ فُتُونُهُ ، مُشْتَمِلَةً مِنَ الْوَعِيدِ الْمُرْهِبِ عَلَى  
ضُرُوبِهِ . فَلَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي .

« وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ ، وَلَمْ يَغْلِبِكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ »  
فَلَمْ أَسْتَطِعْ صَبْرًا ، وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ أَبْلَيْتُ عُذْرًا ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يُعْذِرَ لِي لِيَيْدُ  
وَكَادَ<sup>(١)</sup> ، وَرَأَيْتُ أَنَّ الْعَاجِزَ مَنْ لَا يَسْتَبِيدُ . فَأَلَمَرُهُ يَعْجِزُ لَا مَحَالَهُ ، وَلَمْ أَسْتَجِزْ  
أَنْ أَكُونَ ثَالِثَ الْأَذَلِّينِ الْعَيْرِ وَالْوَتِدِ ، وَذَكَرْتُ أَنَّ الْفِرَارَ مِنَ الظُّلْمِ

(١) يشير إلى قول لبيد يحاطب بنته :

فَقُومَا فَقُولَا بِالَّذِي قَدْ عَلِمْتُمَا وَلَا تَغْمِشَا وَجْهَاءَ وَلَا تَحْلِفَا الشَّعْرَ

وقولا : « هو المرء الذي لا خلية أضاع ولا خان الصديق ولا غدر »

إلى الحول ، ثم اسم السلام عليكما ومن بك حولا كما لا فقد اعتذر

واعتذر كأعذر أني بمذر ، فهما بعد تمام الحول إذا أمسكنا عن النوح والبكاء على أيهما فلهما العذر .



وَالْهَرَبَ يَمَّا لَا يُطَاقُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ » . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« لَا عَارَ لَا عَارَ فِي الْفِرَارِ ، فَقَدْ فَرَّ نَبِيُّ الْهُدَى إِلَى الْغَارِ »

وَنَظَرْتُ فِي مُفَارَقَةِ الْوَطَنِ ، وَالْبَيْنِ عَنِ الْأَحِبَّةِ . فَتَيَّنَ لِي أَنَّ إِحْيَاشَ نَفْسِي بِإِيْنَاسِ أَهْلِي ، وَقَطْعَهَا فِي مُوَاصَلَةِ وَطَنِي ، غَبْنٌ فِي الرَّأْيِ ، وَخَوَرٌ فِي الْعَزْمِ ، وَوَجَدْتُ الْحَرَّ يَنَامُ عَلَى الشُّكْلِ ، وَلَا يَنَامُ عَلَى الذَّلِّ ، وَأَذِنْتُ إِلَى قَوْلِهِمْ : لَيْسَ يَنَازِلُكَ وَبَيْنَ الْبِلَادِ نَسَبٌ ، وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنَزِلٌ فَتَحَوَّلْ ، وَقَالَ بَعْضُ الْمُخَدِّثِينَ :

« أَرَى النَّاسَ أُحْدِثُونَ فَكُونِي حَدِيثًا حَسَنًا

كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ مَا أَتَى وَمَا قَدْ مَضَى لَمْ يَكُنْ

إِذَا وَطَنٌ رَأَيْتَ فَكُلُّ مَكَانٍ وَطَنٌ »

وَلَمْ أُسْتَفْرِغْ أَنْ أُسَامَ بِمَثَلِ هَذَا الْخَسْفِ فِي مَسْقَطِ رَأْسِي ، وَمَعَقُ<sup>(١)</sup> تَمَامِي ، وَأَوَّلِ أَرْضٍ مَسَّ ثَرَابُهَا جِلْدِي ، فَقَدِيمًا ضَاعَ الْمَرْءُ الْفَاضِلُ فِي وَطَنِهِ ، وَكَسَدَ الْعِلْقُ الْغَبِيْطُ فِي مَعْدِنِهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

« أَضِيعُ فِي مَعْشَرِي ، وَكَمْ بَلَدٍ يَعُودُ عُودُ الْكِبَاءِ مِنْ حَطْبِهِ »

فَأَسْتَخَرْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاصْصَحَّ وَجْهَ الْعُذْرِ ، ثَابِتَ قَائِمِ الْحِجَّةِ ، عِنْدَ مَنْ غَضَّ عَيْنَ الْهَوَى ، وَخَزَنَ لِسَانَ التَّعَسُّفِ ، وَاللَّهُ يُصِيبُ غَرَضَ الصَّوَابِ بِرَأْيٍ ، وَيُقَرِّبُ غَايَةَ النَّجَاحِ عَلَى سَعْيٍ ، حَسْبَمَا ذَلِكَ فِي عِلْمِهِ أَنِّي مَظْلُومٌ مَبْنِيٌّ

(١) الملق : الموضع الذي لمق أى لثق فيه عن الصبي التمام ، ومنه قوله :

« بلاد بها حق الشباب تمامي وأول أرض مس حلدى ترابها . »

عَلَى، مَنْسُوبٌ مَا لَمْ آتِهِ إِلَى، فَهُوَ الْمُؤَمَّلُ لِذَلِكَ، وَالْمَرْجُوءُ لَهُ، وَلَعَمْرُكَ يَا سَيِّدِي  
 إِنَّ سَاحَةَ<sup>(١)</sup> الْعُذْرِ لَتَضِيقُ عَنْكَ، وَمَا تَكَادُ تَتَّسِعُ لَكَ، فِي إِسْلَامِكَ تَلْمِيزَكَ  
 وَابْنَ جَارِكَ وَشَيْخِكَ الَّذِي لَمْ تَزَلْ مُتَابِرًا عَلَيْهِ آخِذًا عَنْهُ مُقْتَبِسًا مِنْهُ مَعَ  
 اكْتِسَارِكَ مِنْ ذِكْرِ هَذَا، وَالْإِعْتِدَادِ بِهِ، وَأَدْعَاءِ الْحِفْظِ لَهُ، وَقَدْ رَوَيْتَ أَنَّ  
 حَسَنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَسَمِعْتَ الْمَثَلَ: « أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا . »  
 قَالَمَرٌ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ، وَلَا أَقَلٌّ مِنْ أَسْتَعْمَالِ الْجِدِّ، وَأَسْتِغْرَاقِ الْجَهْدِ، فَيُبْلَغُ  
 نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِسٍ، وَلَا لَوْمْ فِي أَمْرٍ بَلَغَ الْعُذْرُ، وَلَكِنْ مَنْ لَكَ  
 بِأَخِيكَ كُلِّهِ، وَمَا حُمِّ وَقَعٌ، وَلَا حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَقَدْ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ،  
 وَتَقَدَّمَ مِنْ فِعْلِي مَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ، وَأَنَا الْآنَ بِحَيْثُ أَمِنْتُ بَعْضَ الْأَمْنِ، إِلَّا  
 أَنْ رَزَا<sup>(٢)</sup> مِنْ وَعِيدِ سَقَطَ إِلَى بَأْنِ السَّعْيِ لَمْ يَرْتَفِعْ، وَأَنْ مَادَّةَ الْبَغْيِ لَمْ تَنْقَطِعْ،  
 وَأَنْ الْبَصِيرَةَ مُسْتَحْكِمَةً فِي اسْتِرْجَاعِي مِنَ الْأَفْقِ الَّذِي أَحُلُّ بِهِ، وَالْجَنَابِ الَّذِي  
 أَحُطُّ فِيهِ، وَأَكْدَ ذَلِكَ فِي ظَنِّي مَا كَانَ أَشَارَ لِي إِلَيْهِ بَعْضُ مَنْ كُنْتُ آوِي  
 إِلَى الثِّقَةِ بِعَهْدِهِ، وَأُبْنِي عَلَى الْوَثَاقَةِ مِنْ عَقْدِهِ، مِنَ الْفُقَهَاءِ الْمَوْسُومِينَ بِالْآثَرَةِ  
 عِنْدَ الْحَكَمِ الْمَذْكُورِ وَالْمَسْكَانَةِ مِنْهُ، وَقَدْ عَاتَبْتُهُ عَلَى تَأَخُّرِهِ عَنْ مُظَافَرَتِي  
 وَتَقْصِيرِهِ فِي مُوَازَرَتِي، فَأَعْتَذَرَ بِأَنْ ذَلِكَ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، وَلَا مَنَفَذَ لِلْحِيلَةِ فِيهِ، إِذِ  
 الْمُحَرِّضُ عَلَى لَا تَتَأَتَّى مُمَارَضَتُهُ، وَلَا يَتَهَيَّأُ الْإِسْتِئْذَادُ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ وَصَفَنِي  
 بِالْبَذَاءِ وَغَابَنِي بِالتَّسْلُطِ عَلَى الْأَعْرَاضِ، وَوَاللَّهِ مَا اسْتَجَزْتُ هَذَا بَعْدَ أَنْ هَتَكَ

(١) في الأصل: « ان ساعة العذر . » وفي هامش الأصل « اعلمها سه » وقد أثبتنا مكانها « ساحة »

التي هي على صورتها في الخط ليستقيم المعنى . (٢) الرز والركر الصوت الحني تسميه من بعيد .

مِنْ سِتْرِي مَا هَتَكَ ، وَأَنْتَهَكَ مَا أَنْتَهَكَ ، إِنْ كُنْتُ أَقُولُ مَعْدُورًا ، وَأَنْقُتُ مَعْدُورًا ، فَكَيْفَ قَبْلَ ذَلِكَ إِذْ لَمْ يَحْدُثْ سَبَبٌ ، وَلَا غَرَضٌ مُوجِبٌ ، وَمَالِي وَهَذَا الْمَجْتَنِّي ثُمَّ مَالِيَا ، وَ « سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ » وَلَيْسَتْ هَذِهِ بِبَكْرٍ مِنَ النَّهْمِ الَّتِي دَخَلَ بِهَا بَيْنَ الْعَصَا وَالْحَامِهَا :

« فَإِنِّي رَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّجَا لِي لَا يَتَرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا »

وَمَنْ يَأْذَنُ إِلَى الْوَاشِينَ تَسْلَقُ <sup>\*\*\*</sup> مَسَامِعُهُ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ

وَيَا سَيِّدِي :

لَوْ بَغَيْرِ الْمَاءِ خَلَقِي شَرِيقُ كُنْتُ كَالظَّنَّانِ بِالْمَاءِ أَعْتَصَارِي  
وَوَاللَّهِ مَا تَوَهَّمْتُ أَنِّي أُوتِي مِمَّنْ أُوتِيَتْ مِنْهُ مَعَ اتِّصَالِي بِهِ ، وَأَنْقِطَاعِي إِلَيْهِ ،  
وَأَتَسَامِي بِالتَّأْمِيلِ لَهُ ، وَالتَّعْوِيلِ عَلَيْهِ . إِنْ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ التُّهْلِي ذِمِّمْ .  
وَلَكِنْ :

إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ - لِلْمَرْءِ - عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وَجْهِ الْقَوَائِدِ  
لَقَدْ كَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الشَّيْمِ ، وَشُرُوطِ الْمَرْوَةِ وَالْكَرَمِ ، أَنْ يَهَبَ لِي مَا أَنْكَرَ  
لِمَا عَرَفَ ، وَيَعْفِرَ مَا سَخِطَ لِمَا رَضِيَ ، وَيَدْفَعَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، وَيُؤْتِرَ  
الَّذِي هُوَ أَجْمَلُ وَأَرْفَقُ ، وَيَتَوَقَّفَ عِنْدَ مَا نُصِّ لَهُ مِنْ سِعَايَةٍ ، وَزُفِّ إِلَيْهِ مِنْ  
وِشَايَةٍ ، فَإِنْ كَانَ بَاطِلًا الْقَاهُ ، وَفَضَحَ الْمُخْبِرَ الْمُتَقَرَّبَ بِهِ وَأَقْصَاهُ ، وَإِنْ كَانَ  
حَقًّا صَبَرَ الْحَلِيمِ ، وَأَغْضَى إِغْضَاءَ الْكَرِيمِ ، وَقَبِلَ إِنَابَةَ الْمُعْتَبِ ، وَأَقْتَصَدَ  
فِي مُوَاخَذَةِ الْمُذْنِبِ ، فَقَدَّمَ التَّوْقِيفَ ، قَبْلَ التَّقْصِيفِ ، وَالتَّائِبَ ، قَبْلَ التَّأْدِيبِ  
فَإِنَّ الرَّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ ، وَالْحُرُّ يُلْغَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ :

وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثٍ، أَيْ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ؟  
وَهُوَ يَرَى وَيَسْمَعُ أَنَّ بِالْخَضِرَةِ قَوْمًا لَا يَحْصُرُهُمُ الْعَدُوُّ تُحْتَمِلُ سَقَطَاتِهِمْ ،  
وَتُغْتَفَرُ هَفَوَاتِهِمْ ، وَتُقَالُ عَثَرَاتُهُمْ :

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمُّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا<sup>(١)</sup>  
وَمَا أَعْلَمُ أَنَّهُمْ يُذَلُّونَ بِوَسِيلَةٍ إِلَّا شَارَكْتَهُمْ فِيهَا ، وَلَا يَمُتُونَ بِذَرِيعَةٍ يَنْفَرِدُونَ  
دُونِهَا :

هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضُلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا  
فَإِنْ كَانَتْ مُسَاحَتُهُمْ لِسَابِقَةٍ سَلَفَتْ فَقَدْ أَحْرَزَتْ مِنْهَا الْحِظَّ الْأَعْلَى، أَوَّلِ الْكَمَالِ  
أَدَبٍ فَقَدْ ضَرَبَتْ فِيهِ بِالْقِدْحِ الْمُعَلَّى ، أَوْ لِلطُّفْلِ تَوَدُّدٍ فَمَا قَصَّرَتْ فِي الْإِجْتِهَادِ  
غَيْرَ أَنِّي حُرِمْتُ التَّوْفِيقَ ، وَالْأَمْرُ لِلَّهِ ، رَبِّ مُجْتَهِدٍ مَا خَابَ إِلَّا لِأَنَّهُ جَاهِدَ .  
فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي أَسَاءَ فِيهِ سُوءُ الْقَضَاءِ لِي الْعُذْرُ  
وَاللَّهُ لَقَدْ أَظْهَرْتُ مَذْحَهُ ، وَأَضْمَرْتُ نُصْحَهُ ، وَتَمَتَّتْ عَلَى الصَّاعِغَةِ لَهُ ، وَجَرَيْتُ  
مِلءَ الْعِنَانِ إِلَى الْأَعْتِلَاقِ بِهِ ، أَسْقِيهِ السَّائِغَ مِنْ مِيَاهِ وَدِّي ، وَأَكْسِيهِ السَّابِغَ  
مِنْ بُرُودِ خَمْدِي ، وَأُجْنِيهِ الْغَضَّ مِنْ ثَمَرَاتِ شُكْرِي ، وَأُهْدِي إِلَيْهِ الْعِطَرَ  
مِنْ تَفَحَّاتِ ذِكْرِي لَا يُفِيدُنِي التَّحَبُّبُ إِلَيْهِ ، إِلَّا ضِيَاقًا لَدَيْهِ ، وَلَا يَزِيدُنِي  
التَّقَرُّبُ مِنْهُ ، إِلَّا بُعْدًا عَنْهُ :

كَأَنِّي أَسْتَدْنِي بِهِ إِنْ حَنِيتُ إِذَا التَّرْعُ أَذْنَاهُ مِنَ الصَّدْرِ أَبْعَدَا  
وَالَّذِي أَحْبَبُهُ مِنْكَ ، وَاتَّقِ فِي الْمَسَارَعَةِ إِلَيْهِ بِكَ لِقَاءَهُ مُجَارِيًا ذِكْرِي ، مُفَاوِضًا

(١) أى ليس شرّ الثلاثة يا أم عمر الذى لا ليعينه الصبوح بصاحبك ، وى الأصل :

« وما شرّ الثلاثة — أم عمرو — لصاحبك الذى لا تصبحينا . »

فِي أَمْرِي ، مُعْلِمًا لَهُ بِالَّذِي لَا يَذْهَبُ عَنْهُ - مِنْ أَنَّ الَّذِي اخْتَرْتُهُ لِنَفْسِي غَايَةٌ  
مَا يُسِيءُ الْعَدُوُّ بِهِ ، وَيُسَاءُ الْمَوْلَى مِنْهُ - فَالْجَلَاءُ أَخُو الْقَتْلِ ، وَالْغُرْبَةُ أَحَدُ السَّبَاءَيْنِ  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ  
دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ . » وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« وَمَنْ يَغْتَرِبَ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ حَجْرًا وَمَسْجَبًا  
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ ، وَإِنْ يُسِيئُ يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا »  
وَقَدْ هَجَرْتُ الْأَرْضَ الَّتِي هِيَ ظِرِّي ، وَالْدَّارَ الَّتِي كَانَتْ مِهَادِي ، وَغَبْتُ عَنْ أُمِّ  
أَنَا وَاحِدِهَا ، تَمْتَدُّ أَنْفَاسُهَا شَوْقًا إِلَيَّ ، وَتَغْضُ أَجْفَانُهَا حُزْنًا عَلَيَّ ، وَاللَّهُ يَرَى  
بُكَاءَهَا ، وَيَسْمَعُ لِي - عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي - نِدَاءَهَا ، فَالْأَسْتِجَابَةُ مَضْمُونَةٌ لِلْمُخْلِصِ  
وَالْمَظْلُومِ ، وَقَدْ حَمَلْتُ السَّمْتَيْنِ ، وَأُسْتَوْجِبْتُ الصَّفَتَيْنِ ، وَلَتَكُنْ بُغْيَتُكَ الَّتِي  
تَدْخِرُهَا عَلَيْهَا كَلِمَةٌ تَأْمِينٍ ، وَإِشَارَةٌ إِلَى تَأْنِيسٍ وَتَسْكِينٍ ، تُرَاجِعُنِي بِهَا  
فَاطْهَرُ بِحَيْثُ أَنَا آمِنًا ، وَأَلْقِ الْعَصَا مُطْمَئِنًّا ، فَإِنْ وَجَدْتَ حَزْرَ الشَّفَرَةِ ،  
فَالْعَوَانُ لَا تَعْلَمُ الْحِمْرَةَ <sup>(١)</sup> ، فَإِنْ أَشْبَهْتَ اللَّيْلَةَ الْبَارِحَةَ ، أَعْلَمْتَنِي بِذَلِكَ ، فَطَلَبْتُ  
الْأَمْنُ فِي مَظَالِمِهِ ، وَتَقَرَّرْتُ السَّلَامَةَ فِي مَوَاطِنِهَا ، وَصَبَرْتُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ لِي  
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ، كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ ، وَلِكُلِّ حَالٍ  
مُعَقَّبٌ ، وَلَرُبَّمَا أَجَلِي لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا تَحْمَدُ ، وَلَكَ يَا سَيِّدِي فِي أَنْتِدَابِكَ لِمَا  
نَدَبْتُكَ إِلَيْهِ الْفَضْلُ ، وَالْأَيَادِي قُرُوضٌ ، وَالصَّنَائِعُ وَدَائِعُ :

« لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ . »

وَالْتَّحِيَّةُ الطَّيِّبَةُ وَالسَّلَامُ الْمُرَدَّدُ عَلَى سَيِّدِي .

(١) الحمرة : اسم للهيئة من الاختمار أى وضع الحمار على الرأس ، وهو مثل يضرب لمن حذق الأشياء

وجرب الأمور .

## شعر الملكين

(١)

### شعر المعتضد

« قال المعتضد بالله المنصور بفضل الله أبو عمرو

عباد بن محمد بن عباد رحمه الله . »

إذا نام أقوام عن المجد — ملة —  
أسعد هي أنت تنام في الحال  
وإن راق أقواماً — من الناس — منطق  
يروق ، بدا مي مقال وأفعال . «  
( وقال )

« أقوم — على الأيام — خير مقام ،  
وأرق في الأعداء — شر ضرام  
وأفق في كسب المحامد — مهجتي ،  
ولو كان — في الدكر الجليل — حمي  
وأبلغ — من دنياي — مضي سؤلها ،  
وأضرب — في كل الملا — بسهام  
إذا مصح الأملك تقص ، فانه  
يبينه — عند الأمام — تهاى . «  
( وقال )

« من كان يساو عن نوال فأنا الذي لست يسال  
البحل عين تقيصة ، والجود عين للكمال  
أبصرت رشدي في الندي ، فالبحل — عندي — كالضلال  
هذا زفاف طعمه ، والجود حلوك كالزال . «  
( وقال )

« لو كان قلبي — عن الاشغال — تترجأ ،  
نادى لفقد حبيب النفس : واحربا  
لكنها شغل — بالجد — مجتهداً —  
يلهبه من حبه إن بان أو قربا . «

« لقد بسط الله المسكارم من كفى  
فلست — على العلات منها — أذا كف  
تتادى بيوت المال — من فرط بذلها —  
يمى : « قد أسرفت ظالمى كفى »  
أقرى يمي بالسباح فتنهى  
ولا ترتضى خلا يقول لها : يكي  
لعمرك ، ما الاسراف في طيبة ،  
ولكن طبع البجل عندي كالخنف . «  
( وقال )

« من للشجاعة والكرم إلا الظلوم الظلم  
من لست لعدم عنده غير التبدل والمدم  
أحيا المسكارم والملا وأقام ما — دهمهم  
يلقى المداء ، وسيفه قد قط هامات البهم . «  
( وقال )

« لعمرك إني — بالمدامة — قوال ،  
وإني — لما يهوى الندامى — لفعال  
وإني — للخل الخليل — لتناش ،  
وإني — للقتل المناوى — لقتال  
قسمت زمانى — بين كد وراحة —  
فأمرأى أسعداء ، ولطيب آصال  
فأمسى — على اللذات واللهم — ما كفا  
وأضحى — بساحات الرياسة — أختال  
ولست — على الإدمان — أغفل بفتى  
من المجد ، إني — في المعالي — لمحتال

( وقال )

« هذى السعادة قد قامت على قدم  
وقد خلفت لها في مجلس الكرم  
فان أردت — إلهي — بالورى حسناً  
فلصكني زمام الدهر والأمم  
فانني لا عدات الدهر عن حسن ،  
ولا عدل بهم عن أكرم الشيم  
أفارع — الدهر — عنهم كل ذي طلب  
وأطرد — الدهر — عنهم كل ذي عدم . »

( وقال )

« عن الفصد قد جاوراء وما جرت عن تصد  
إذا خفيت طرق العرائس عن أسد  
إذا اعترضوا للبحل أعرضت عنهم ،  
وإن من أقوام كتمت الذي أسدى  
فله ما أخفى من المدل والندى ،  
ولله ما أبدى من الفضل والمجد  
ولا ألقى سبي بغير بشاشة  
إذن فحدث الله معروفه عندي . »

( وقال )

« ألام ، ومالوى — على الحب — واحد ،  
وقد صادني طرف كحل وحاجب  
أنحجب عني — والفؤاد يحبها —  
لفسد عز محجوب تمام حاجب  
أروم فؤادي — في العرام — لينثني  
وكيف وما دون الأية حاجب . »

( وقال )

« زهر الأسنه في الهيجا غدت زهرى  
غرس أشجارها مستجزل النمر  
ما إن ذكرت لها من ممرك جلل  
إلا تحللت به بالمصارم الذكر  
حق غدت وأعدائي تغاطيني  
يا مانل الناس بالأجناد والفكر . »

( وقال )

« وإذا توعدت المسالك لم أرد  
فيها السرى إلا برأى مقمر

وإذا طلبت عزيمة ففاتحني  
فيها العزيمة والسان السهرى . »  
( وقال )

« كلام — كمثل الدر — تنزه نقرأ  
ووصل — كظل الروض — تعطيك نورا  
ولو لم تشب وصلي بهجر خلتي  
أشابه منها الشس أو أتم البدر . »  
( وقال )

« أنك الليل معتكراً يا قصه سنا البدر  
ذر الساعات تبسطه ستقبضه يد الفجر . »  
( وقال في القاضي أبي القاسم أبيه )

« ألا يا مليكا يرتعى ويباه  
وبجراً له — في المكرمات — عباب  
ومولى عدتي — مذنبات — مكرم ،  
بصوبها — من راحتيه — سعاب  
أطعتك — في سري وجهري — ههنا ،  
لم يك لي — إلا اللام — ثواب  
وأعملت جهدي في رضاك — شمرا

ومن دون أن أدعى إليه حجاب  
ولما كبا حدى إليك ولم يسع  
لنفسى — على سوء المقام — شراب  
وقل أصطباري ، حين لالى عنديكم  
— من العطف — لإفسوة وتباب  
مرت بنفسي أبتغي درجة لها  
على أن حلو العيش بعدك صاب  
وما هزني إلا رسولك أن جرت

إلى به صم الخضاب وكاب  
فقال مقالا لم أحد عن مقاله  
مناباً ، وعن بعض الأمور مناب  
دعاك أمير المؤمنين مثوباً  
فقلت : « أمير المؤمنين نجاب »  
فجئت أغذ السير ، حتى كأنما

يطير بسرى — في الفلاة — عقاب  
وما كنت — بعدالين — إلا موطأ  
بعضى على ألا يكون إياب

ولكنك الدنيا إلى حبيبة  
فما هنك لي - إلا إليك - ذهاب  
وفضلك في ترك اللام ، فانه  
- وحقت - في قلبي ظيلاً وحراب  
إذا كانت النعمى تكدر بالأذى  
فما هي إلا عمة وعذاب  
ولا تقبض بالمتع كفى فانه  
- وحدك - تقص للملا وخراب  
فوالله ما أبى بذلك غير أن  
تحلى بمحدوى راحتك رقاب  
ويهدى إليك الناس دون تصع  
شبه صدق لم يشبه كذاب  
مكل نوال لي ، إليك انقسابه ،  
وأنت عليه - بالشاء - مثاب  
بقيت مكيب الأسر ، ما ذر شارق ،  
وما لاح في أفق السماء شهاب .

( وقال )

« يا قاتل العيب ولا واق  
لا ترمس بالله بانفاقي  
عينك قد قادت إلى الردى  
فالقلب شناع إلى راق  
لولاك والرحمن ما كنت من  
يحب في حمة عشاق  
قد لدغت صدفاك قلبي فهل  
تعم للذغ بدرياق . »

( وقال )

« رعي الله من يصلى وادى بحبه  
سميراً ، وعيى منه في جنة الخلد  
غزالية العيين شعبة السنا  
كثيية الرديى غصنية القند  
شكوت إليها جها بمـدامى  
وأعلنتها ما قد لقيت من الوجد  
فصادف قلبي قلبها - وهو سالم -  
فأعدى ، ودو الشوق المبح قد يمدى

فجادت - وما كادت - على بخدما  
وقد ينفع الماء النخير من الصلد  
فقلت لها : « ماى ثمايك لاني  
أفضل نوار الأفايحى على الورد  
وميل على جسمى بجسك » فاشت  
تعيد الذى أملت منها كما تبدى  
صنائاً ولثما أرويا الشوق بيتنا  
- فرادى ومثنى - كالشرار من الزند  
مياساة - ما كان أقصر وقتها  
لدى - تقضت غير مذمومة العهد .

( وقال )

« ينادون قلبي ، والعرام يحجب ،  
والقلب - في حين النداء - وجيب  
شوق دماه الشوق والوجد والهوى  
يجيب نداء الحب وهو يحجب  
يقاسى فؤادى الوجد والحب واصل -  
وكيف تراه إن جفاه حبيب ؟  
إذا أخطأ الأحباب ترتيب حالهم  
فانت فؤادى - دائماً - ليصيب  
علم بأسرار الغرام ، لأنه  
نصير - بأدواء الحسان - طيب  
يواصلنى سرّاً ، ويصرم ظاهراً ،  
وذلك - من أمهالهن - عجيب . »

( وقال )

« ببض الهند والأسل الحداد  
أرجى أنت يتم لي مرادى  
فأبلغ بغيى ، وأريح نفسى ،  
وتحمد حالتي في كل نادى  
ففى الدهر في قتل الأفايدى ،  
وحسم رقابهم في كل وادى  
فذاك الفرض - والرحمن - عندى  
كثل الفرض في حال الجهاد . »

( وقال )

« وليل ظللنا فيه نعمل كأسنا  
إلى أن بدت للصبح - في الليل - أعمال



( وقال )

« ذكراك في في قد شئت بتسبيحي  
أفديك يا فتنة الجنان والروح  
الله يعلم أنى لست أمحرك  
دهرى ولا تنقضى فيكم تباريحى  
إن كنت أشرح معى حبكم شعفاً  
فإن سرك عندي غير مشروح . »

( وقال )

« يا جاهل الحب إن الحب ذو سند  
مهما أحرزته يوماً سوف أعتد  
أيحمل الحب من أضى به حرق  
تكاد من حرها الأحشاء تنقد  
الله يعلم أنى شقيق أبدا  
لا يقضى الشوق حتى يقضى الأبد  
إن يشرب الجسم برد الوصل منتعشاً  
يهدى إليه وادى حر ما يحده . »

( وقال )

« لله درّ الحب ماذا يصنع  
يعنو له ملك الرمان ويخضع  
للحب سلطات عظيم شأنه  
مهما يقل قولاً فقلبي يسمع  
إن يفر بالهجران مالك مهتقى  
أقل إليه بحالتى أنصرع  
ماذا انتفعت بحالتى عند الهوى  
حال الهوى أبداً أجل وأرفع . »

( وقال )

« لله ما خلد الأحاسى فى خلدى  
لمن غدا والدى كالروح والجسد  
للاوحدى أبى الحيش الذى ظفرت  
منه بأعس علقى فى الأمام يدي  
موفقى الرأى فى الرايات لدته  
فى الجد والجود لافى الميثة الرعد  
إذا رأت الملائكة نادته مفضحة  
يا قرّة العين بل بأفلة الكبد . »

وولت نجوم الليل تجرى هزينة

وجاء مع الاصبح - نصروا إقبال  
نقضت - من هنا وذاك - لبانة  
وتمّ لنا فتح مبین وآمال .  
( وقال )

« وليل آدمنا فيه شرب مدامة  
لمى أن بدا للصبح فى الليل تأمير (١)  
وجاءت نجوم الصبح تضرب فى الدجى  
فولت نجوم الليل والليل مقهور  
لحرنا - من اللذات - أطيب طيبها  
ولم يمدنا هم ولا طاق تكدير  
خلا أنه - لو طال - دامت مسرة  
ولكن ليالى الوصل فيهنّ تقصير . »

( وقال )

« أتعلم أن قلبي غير صاح ؟  
وأنى من سلوكى فى انتزاح  
وكنت الدهر - أصطاد المالى  
وقد أصبحت من صيد الملاح  
تسقى البجيلة كأس صد  
وتزجها - لتعليل - براح  
ولو شاءت حياتى - الدهر - سفت  
حرور القلب من شبح قراح  
وكانت تصنع الحسنى جيلا  
ولسكن ليس تلقى غير لاح  
فسقىنى - فديتك - من عقار  
ونادىنى : هلم إلى اصطباح . »

( وقال )

« بطول على الدهر إن لم ألقها ،  
وبقصر - إن لاقيتها - أطول الدهر  
لها غرة كالبدر - عند تمامه -  
وصدغاً غير نمتها صفحة البدر  
وقد كمل النصف - مالت به الصبا -  
ولفظ كما انحلت الظلام من الدرّ

(١) هذه المقطوعة أدرجت سهواً ضمن شعر

ابن زيدون .

( وقال )

« أترى اللقاء كما نَحْـ يَوْمَ  
مِظَلِّ صَبَحٍ بِالسُّرُورِ وَنَبَقِ  
حَتَامٍ تَطْلِي إِلَيَّ قَرَبٍ مِنْ  
قَلْبِي لَهُ مَقْشُوفٌ مَقْشُوفٌ  
مَلِكٌ أَغْرَى أَعَارَ أَنْ تَحْطَى بِهِ  
لِسَوَايَ الْخَاطِ وَلَحْظِي مَمْلُوقٌ  
أَوْدَى أَبَا الْجَيْشِ الْمَوْفِقِ أَنَّهُ  
لِلْمَكْرَمَاتِ مَيْسِرٌ وَمَوْفِقٌ  
بَاهٍ بِهِ الرِّمْتِ الْبَهِيِّ كَأَنَّهُ  
نَشَرَ عَلَى وَجْهِ الرِّمَانِ وَرَوْنِقِ  
مَلِكٌ إِذَا هُنَا بِطَيْبِ نَمَائِهِ  
طَلَّتْ بِهِ أَدْوَاهُنَا تَهْمُطُ  
حَسَبَ الرِّيَاسَةِ أَنْ غَدَتِ مِرَادُنُهُ  
بِسَنَاءٍ هُوَ النَّاحِ وَهِيَ الْمَفْرُوقُ »

( وقال )

« عَرَفْتُ عَرَفَ الصَّاحِبِ إِذْ هَبَّ عَاطِلُهُ  
مِنْ أَدْنَى مِنْ أُنَا فِي قَلْبِي أَشَاطِلُهُ  
أَرَادَ تَجْدِيدَ ذِكْرِهِ عَلَى شَحْطِ  
وَمَا تَيْقَنُ أُنَى الدَّهْرِ ذَاكِرُهُ  
يُنْأَى الْمَرَارِ بِهِ وَالِدَارِ دَائِيَّةِ  
يَا حَبِذَا الْعَمَلِ لَوْ صَحَّتْ زَوَاجِرُهُ  
دَخَرِي أَبَا الْجَيْشِ هَلْ يَقْصِي الْإِقْدَامُ لَهَا  
وَيَسْتَقِي مَلِكٌ حَقِي أَنْتَ تَظَاهِرُهُ  
فَصَارُهُ قَبِيرٌ إِنْ قَامَ مَمْتَحِرًا  
لَهُ أَوَّلُهُ بِمَجْدٍ وَآخِرُهُ »

( وقال )

« كَأَنَّمَا يَأْسِينَنَا الْعَمْسُ  
كَوَاكِبُ فِي السَّمَاءِ تَبْيِضُ  
وَالْطَّرَفُ الْحَرُّ فِي حَوَاسِهِ  
تَكْتَدُ عِذْرَاءُ نَالَهُ الْعَمْسُ »

( وقال )

« تَنَامُ وَمَدَنُهَا يَسِيرُ وَتَصْبِرُ عَنْهُ وَلَا يَصْبِرُ  
لَنْ دَامَ هَذَا وَهَذَا بِهِ سَيَبْلُوكُ وَجَدًا وَلَا يَشْمُرُ »

( وقال )

« أَنَامُ وَمَا قَلْبِي مِنَ الْمَجْدِ نَائِمٌ  
وَإِنِّي فَوَّادِي بِالْعَالِي هَائِمٌ  
وَلِنْ قَمَدْتِ بِي عِلَّةٌ مِنْ طَلَابِهَا  
فَإِنِّي اجْتِهَادِي فِي الطَّلَابِ لِقَائِهِ  
يَعِزُّ عَلَى نَفْسِي إِذَا رَمَتْ رَاحَةَ  
بِرَاحٍ مَثْنِيئِي الطَّبَاعِ الْكَرَامِ  
وَأَسْهَرُ لَيْلِي مَفْكَرًا غَيْرَ طَاعِمِ  
وَقَبِيرِي عَلَى الْعَمَلَاتِ شَبْعَانُ نَائِمِ  
يُنَادِي اجْتِهَادِي إِنْ أَحْسَ بِقَفَرَةٍ  
أَلَا أَيْنَ يَا عِبَادَ نَعْلِكَ الْعَزَائِمِ  
مَهْتَرٌ آمَالِي وَتَقْوَى عِرَائِمِي  
وَتَذَكَّرْنِي لِدَائِمَتِ الْهَرَامِ »

( وقال )

« أَنَا فِي الْحُبِّ مَغْرَمٌ مُسْتَقْبِلٌ  
كُلُّ نَيْلٍ أَنَالَهُ لِي قَلِيلٌ  
لِي جِثَانٌ مِنْ بَطْنٍ صَحِيحًا  
وَفَوَّادِي مِنَ الْفَرَامِ عَلِيلٌ  
(١) أَعْطَى بِحَقِّي  
إِنْ صَبِرِي - عَلَى النَّجَى - جَمِيلٌ  
لِي ذَهْنٌ - مِثْلُ الْحَسَامِ - صَقِيلٌ  
هُوَ مِنْ كَثْرَةِ النَّجَى قَلِيلٌ »

( وقال )

« إِنِّي عَلَى أَلْفَتِي بِالسَّهْدِ وَالْكَمَدِ  
أَدْعُوكَ يَا مَعْنَى الْأَجْسَامِ بِالسَّهْدِ  
قَطَعْتَ قَلْبِي الَّذِي أَعْطَاكَ جَوْهَرُهُ  
إِنِّي وَهَيْتُكَ مَحْضَ النَّفْسِ وَالْكَبَدِ  
يَا دَرَّةَ لَمْ تَلَجُ فِي كَفِّ غَائِثِهَا  
إِلَّا أَهْمَلْتُ إِلَيْهَا آخِرَ الْأَبَدِ  
قَلْبِي بِكَفِّكَ لَا أَرْجُو الْفِكَاكُ لَهُ  
مِثْلُ الْفَرَسَةِ حَلَّتْ فِي يَدِي أَسَدُهُ »

(١) هَكَذَا وَجَدَ نَاقِصًا بِالْأَصْلِ

( وقال )

« يا غرّة تسخر باليد  
ومقلة تنفت بالبحر  
ومبسا نظم من جوهر  
وماؤه من أعطر الخمر  
ومنطقاً أوتيت من سحره  
أحرّ في قلبي من الجمر  
وشادنا تبعني شـخصه  
ووكّل الأجفان بالسهر  
تاجر بي الله تفز بالرضى  
وتريح الجنة في التجر . »

( وقال )

« يا درّة قلبي بها مفتون  
يسلو، وإن سئل السلوسين  
الله يعلم أن قلبي معرم  
من كان ذا صبر فليس يكون  
أو أن من يشري رضاك بفوزه  
بالخلا قلنا: إنه المنجون . »

( وقال )

« يا قرا أصبح لي مالكا  
لا تتركني مكذبا هالكا  
وفلذة الكبد التي ضعها  
مبيتها الدمر بأوجالكا  
رق على قلب العبيد الذي  
يود أن يجري على بالكا  
حسنت في خلق وخلق ولم  
رضيت بالفصح لأفعالكا . »

( وقال )

« يصبرني أمل المودة دائما  
وإن فؤادي والاله صبور  
أغار على مفتي الرئاسة لئني  
على كل حسن في الزمان غيور  
أصرف ذهني في أمور كثيرة  
وأعلم أن الدائرات تدور . »

( وقال )

« غصن من التبر موقه ورق  
كأنه المصيح تحته شفق  
يا أبدع الناس في عايسنه  
رق على من أذابه الأرق  
مددت كفى رجاء رأفتكم  
لا تتركوني يتالني الفرق  
بحر دموعي مفرق جسدي  
تداركوا مهجتي وبني رمق . »

( وقال )

« رعي الله حاليا حديثاً وماضيا  
وإن كنت قد جردت عزمي ماضيا  
فما لليال لا تزال ترومـني  
ويرمين مني صائب السهم قاضيا  
وقد علمت أن الخطوب قطيعني  
وما زلت من لبس الدنيا طاريا  
أجسد في الدنيا ثيابا جديدة  
يجدد منها الجود ما كان باليا  
فما سرّ لي بخل بخاطر مهجتي  
ولا سرّ بخل الناس قط بياليا  
ألا حبذا في الحمد إلتلاف طارفي  
وبذلي عند الحمد نفسي وماليا . »

( وقال )

« يحجور على قلبي هوى ويحجور  
ويأسرني إن الحبيب أمير  
أطوع لأمر الحب طوع مسلم  
وإن كان من شأني إبا ونفور  
أغار عليه من لحاظي صيانة  
وأكرمه إن الحب غيور  
أخف إلى لقيا الحبيب ومانني  
لمعرك في كل الأمور وقور . »

( وقال )

« أظلت شفار المجد بالبيض والسر  
وقصرت أعمار المداء على قر  
ووسعت سبل الجود طبعاً وصنعة  
لأشياء - في الملياء - صاوبها صدرى  
فلا يجد للانسان ما كان ضده  
يشاركه في الدهر بالنهي والأمر . »

( وقال )

« كان عمى القطر في شاطئ النهر  
وفد رهت فيه الأراهر كالزهر  
ترش بماء الورد رشا وتنقي  
لتفليف أفواه بطيبة الجر . »

( وقال حين دخل على المعتمد مآلقه )

« أرى أنت فائدة الزمان

فقد تفت الممالك في معان

وقد رمناك من بلد بعيد

فأدناك الاله بلا توات

بذلنا جهدنا حزمًا وحزمًا

ووطنا الكماة على الطمان

وأجهدنا المرائم والماسي

وأعملنا الحسام مع السنان

ليبنى أهل مآلقه انتصارى

وإعزأى لهم بهمد الهوان

سسينقذهم وينسيم جيما

رضاع الخير إن درت لباني

وأرقهم ذرا درج المالى

كما أجنيهم عر الأمانى

وأضعاف الذى يبدى لسانى

إليهم ما يمن لهم جنانى

فحق عليهم شكر امتعاضى

وما خلقى امتنان بامتنان

ولكن الحقائق مخبرات

وكم خبر ينوب عن العيان

ألم أعتقهم من ذل كفر

جرى في ضيهم ملء العنان

وتوراة محسرة أعزّت

فطالت ذلة السبع المثانى

إلى أن ثار بى عزم يمان

فأدرك سؤله العضب اليمانى

وأفضيت الصوارم خاطبات

فكان قضاؤها سحر البيان

فماد البرّ معمر المانى

وآب الفسق مهدوم المبانى

وقام لإمام جامعهم يصلى

وآنتت المسامع بالأذان

وكان ذوو الهدى ما بين ثاو

قتيل أو ققيد العقل فانى

مذا اقترنت ببرهم يهود

أباح حسامهم حسن القران

هناد جر ما أوليت فيهم

- من الفتكات - بكر أو عوان

وحسى في سبيل الله موت

يكون ثوابه خلد الجنان . »

(٢)

شعر المعتمد

(قال رحمه الله حين خرج من مائة مستعجباً لأبيه :)

« سكن قوادك لا تذهب به الفكر  
ماذا يبعد عليك البث والحذر  
وازجر جفونك لا ترضى البكاء لها  
واصبر فقد كنت عند الخطب تصطبّر  
وإن يكن قدر قد عاق عن وطر  
فلا مردّ لما يأتي به القدر  
وإن تكن خيبة في الدهر واحدة  
فكم غدوت ومن أشياحك الظفر  
إن كنت في حيرة من حرم محترم  
فإن عذرك - في ظلماتها - قر  
كم زمرة - في شفاف القلب - صاعده  
وعبرة من شئون الدين تنحدر  
فوض إلى الله مما أنت خائفه  
وثق بمتضدد بالله ينتفر  
ولا ترعك خيلوب إن عدا زمن  
فالله يدفع والمنصور ينتصر  
واصبر ، فأبك من قوم أولى جلد  
- إذا أصابهم مكروهة - صبروا  
من مثل قومك - والملك الهمام أبو  
عمرو أبوك - له مجد ومفتخر  
سميدع يهب الآلاف مقتدراً  
وبستقل عطاياه ويحتقر  
له يد كل جبار يقبلها  
لولا نداء لقلنا إنها « الحجر »  
يا ضيفما يقتل الأبطال مقتراً  
لا توهنتي فاني التاب والظفر  
وفارسا تحذر الأقران صوته  
من عبدك القن فهو الصارم الذكر

هو الذي لم تشم عنك صفحته  
إلا تأتي مراد وانقضى وطر  
قد أخلقتني صروف - أنت تمامها -  
وقال موردها: « مالى بها صدر »  
فالنفس جازعة ، والعين دامة ،  
والصوت مرتقع ، والسر منتشر  
وزاد همى ما بالجسم من سقم  
وشبت رأساً ، ولم يبلغي الكبير  
وذبت إلا دماء في يدي  
أنى عهدتك تفو حين تقدر  
لم يأت صيدك ذنباً يستحق به  
عتباً ، وها هو قد ناداك يعتذر  
ما الذنب إلا على قوم دوى دغل  
وفي لهم عهدك الدهود إذ غدروا  
قوم نصيحتهم غش ، وصدقهم  
مين ، ونعمهم - إن صرفوا - ضرر  
يميز البنفس في الألفاظ إن نطقوا  
ويعرف الحقد في الأحاظ إن نظروا  
إن يحرق القلب نفت من مقامهم  
فإنما ذاك من نار القلي شرور  
مولاي دعوة مملوك به ظمأ  
برح وفي راحتك السلسل الحصر  
أجب نداء أخى قلب تملكه  
أسى وذى مقلة أودى بها السهر  
لم أوت من زمني شيئاً أسر به  
فلست أعهد ما كاس ولا وتر  
ولا تملكى دل ولا خمر  
ولا سبي خلدي غنج ولا حور

بقيت مؤيدا ما لاح برق  
وماغنى الحمام على قضيب .

( وله إليه )

« ألا يأمليكا ظل في الخطب مفزعا  
ويا واحداً فاق الحلائق أجمعا  
ترفق بعبد وده لك شبيمة  
إذا كان ذو ودّ سواء تصنما  
لئن كنت عن جهل - فديتك - غافرا  
فكم عاتر فالت هلاك له : « لما »  
أقلنى 'مقل عبدا شكورا وصارماً  
يجر من الأعداء ليلى وأخذنا  
علنى من السخط الأليم سحابة  
فأغر بهاريج الرضى كي تقشما . »  
( وله إليه )

« مولاي أشكو إليك داء أصبح قلبي به قريبا  
إن لم توجه رساك عني فليست أدري له مريحا  
سحطك قد زادني سقاما  
فابث إلى الرضى مسيحا . »  
( وله إليه )

« ياليت حرب ذاق الأعداء  
طعمين منه أريا وسما  
هذا إذا تاشبوه حربا  
وذا إذا استوهبوه سلما  
لا غرو أن حم منك جسم  
فعادة الأسد أن تحما  
وليمنى أن طلعت بدراً  
لأعين الخلق مستهما  
لا زك تلقى العداة بؤسى  
مك وتلقى الولاة نسي  
ولتجز من قال من حسود  
إن يكن الحق قد ألما . »  
( وله )

« يا بدر تم تجلى فالأرض تشرق منه  
العجز خلق ذميم فلا تحدث عنه . »

رضاك راحة نفسي لا بلغت به  
فهو العتاد الذي للدهر أدر  
هو المدام التي أسلو بها فايدا  
عدمتها عبت في قلبي الفكر  
ما تركي الجر من زهد ولا ورع  
فلم يفارق لعمرى سسى العسر  
ولمّا أنا ساع في رضاك فإن  
أخفقت فيه فلا يفسح لي العسر  
ما سرني وأحاشى عسر عطفكم  
يوم أخل به في عيني القصر  
أجل ولي راحة أخرى علفت بها  
نظم الكلى في القنا والهام تفتثر  
كم راحة لي في الأعداء واضحة  
تفى الليالى وما يفنى لها الحبر  
سارت بها العيس في الآفاق فانتشرت  
فليس في كل حي غيرها سر  
لا زلت ذا عزّة قماء شاحنة  
لا يبلغ الوهم أدناها ولا البصر  
ولا يزل وزر من حسن رأيك لي  
أوى إليه فعم الكهف والوزر  
أليك روضة فكري جاء منبتها  
ندى يميني لا ظل ولا مطر  
حملت ذكراك في أرجائها شحرا  
فكل أوقاتها للمحتنى ثمر . »  
( وله إليه )

« أيا ملكا يحل عن الضريب  
ومن يلتذ غفران الدنوب  
ومن في كفه بؤسى ونمى  
تصرف في العدو والحبيب  
تسحطك المدنى أهل نفسي  
ومالى غير نفوك من طيب  
ولست بمنكر ذنبى والكد  
ننى قد جثت في حال المريب  
فان عاقبتني لجراء مثلى  
وإن تصفح فليس من الغريب

## ابن عمار<sup>(١)</sup>

« وكتب ذو الوزارتين أبو بكر بن همار  
إلى المعتمد على الله حين تقبض النعماني  
على الرشيد ابنه إذ حاول أمر مرسيه . »

« أصدق ظلي أم أصبح إلى صبي مأمضى عرسي أم أعوج مع الركب

### (١) ابن عمار

الوزير أبو بكر « محمد بن همار » ذو النفس العصامية — كما يقول المراكشي — كان أحد الشعراء  
المجيدين على طريقة أبي القاسم « محمد بن هاني الأندلسي » وربما كان أحلى منظما منه — في كثير من شعره .  
ولشعره ديوان يدور بين أيدي أهل الأندلس ولم أر أحدا من أدركته سى من أهل الآداب الذين أخذت عنهم  
إلا رأيت مقدما له مؤثرا لشعره ، وربما تفانى بعضهم بشبهه بأبي الغيب وهيبات . فن قصائده المشهورة التي  
أجاد فيها ما أراد ، قصيدته التي كتب بها من سرقة حين فرق المعتضد بالله بينه وبين المعتضد لأنه شعله عن  
كثير من أمره ففاه وهي : —

« على والا ما بكاء العمائم وى وإلا ما نواح الجاثم

وعى أنار الرعد صرخة طالب لثأر، وهز البرق صمعة صارم

ومالبت زهر النجوم حدادها لغيرى، ولا قامت له فى مآتم .»

وفى هذه القصيدة يقول يمدح المعتضد بالله :

« أبى أن يراه الله إلا مقلدا حيلة (١) سيف أو جمالة عارم .»

ومن جيد نسيبه قوله فى قصيدة يمدح بها المعتضد بالله :

« جاء الهوى فاستشعروه طاره ونعيمه فاستعذبوه أواره

لا تطلوا — فى الحب — عزاء، إنما عبدانه فى حكمه أحراره

قالوا أضرب بك الهوى فأجبتهم: يا حبذا وحبذا أضراره

قلبي هو احتار السقام لجسمه زيا، نخلوه وما يختاره

عيتموني بالنحسول ، وإنما شرف المهند أن ترق شفاره

وشتم لعراق من آفته ولربما حجب الهلال سراره

أحسبم السلوان هب نسيبه ؟ أو انذاك النوم عاد غراره ؟

إن كان أعيا القلب من حرب الجوى خذلته من دمي إذن أنصاره . »

ولابن عمار هذا مع المعتمد أخبار عجيبة عنى يجمعها أهل الأندلس ، وأنا — إن شاء الله — موزع منها ما لا يخل  
بالشرط الذى التزمته ، ولا يخرج عن الحد الذى رسمته ، حسب ما بقى على خاطرى من ذلك ، لأنى كنت فى

ولماني تهفو بي إليك مودة يعثرها ما قد تعرض من ذنبي  
إذا اتقدت في رأي مشيت مع الهوى وإن ألقته تكصت على عقي

حدثنا سني قد صرفت عنايتي الى أخبار ابن عمار هذا مع المعتمد لما تضمنته من الآداب . وقد فتشت خزانة  
حفظي فلم ألق فيها إلا نبذة يسيرة وأنا موردها إن شاء الله عز وجل :  
فابن عمار هذا هو محمد بن عمار يكنى أبا بكر أصله من «شلب» من قرية من أعمالها يقال لها : «شنبوس»  
مولده ومولد آبائه بها ، كان خامل البيت ليس له ولا لأسلافه والرياسة في قديم الدهر ولا حديثه - حفظ ، ولا زكا  
منهم بها أحد . ورد مدينة شلب طمعا فاشأ بها وتعلم علم الأدب على جماعة منهم أبو الحجاج يوسف بن عيسى  
الأعلم ، ثم رحل الى قرطبة فتأدب بها ومهر في صناعة الشعر فكان قصاراه التمسك به فلم يزل يحول  
الأندلس مسترفدا لا يخص بمدحه الملوك دون غيرهم بل لا يبالى ممن أخذ ولا من استعطف من ملك أو سوقة ،  
وله في ذلك خبر ظريف ، وذلك أنه : ورد في بعض سفراته شلب لا يملك إلا دابة لا يجد علفها فكتب بشعر  
الى رجل من وجوه أهل السوق وكان قد مره عند ذلك الرجل أن ملا له الخلة شعيرا ووجه بها إليه ، فراها  
ابن عمار من أجل الصلات وأسنى الجوائز - ثم اتفق أن علت حل ابن عمار وساعده الجدد ونهض به البخت  
وانتهى أمره أن ولاء المعتمد على الله مدينة شلب وأعمالها أول ما أوصى الأمر إليه فدخلها ابن عمار في  
موك ضخمة وجملة عبيد وحشم وأطهر نخوة لم يطرها المعتمد على الله حين ولها أيام أبيه المعتضد بالله ،  
فكان أول شيء سأل عنه الرجل صاحبه صاحب الشعر ، فقال : ما صنع فلان أموحي ؟ قالوا : نعم  
فأرسل إليه بمحلاته بعينها بعد أن ملأها دراهم وقال لرسوله : « قل له لو ملا تها برا للملائها تها » ولم يزل  
ابن عمار على الحال التي ذكرناها من التقلب في بلاد الأندلس للاستجداء والاستعطاف إلى أن ورد على  
المعتضد بالله أبي عمرو فامتدحه بقصيدته المشهورة التي أولها :

« أدر الزجاجة فالقيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى  
والصبح قد أهدى لنا كأموره لما استرد الليل منا المنبرا

وفيها يقول بمدح المعتضد :

« عباد الخضر نائل كفه والحو قد لبس الرداء الأغبر  
قداح زند اخذ ، لا ينك من نار الوغى إلا إلى نار القرى  
يختار أت يهب الحريدة كاعاء والطرف أجرد ، والحسام مجورها

وفي هذه القصيدة يقول في وصف وقعة أوقعها المعتضد بالبربر :

« شقيبت بسيفك أمة لم تعتقد إلا اليهود ، وإن تسعوا بربرا  
أثمرت ربحك من رؤوس كجائهم لما رأيت العصف «مشق مشرا  
وخضبت سيفك من دماء نهورم لما عهدت الحس يلبس أحرا»

ومن أبيات هذه القصيدة بيت لم أسمع لم تقدم ولا متأخر بمثله وهو قوله :

«السيف أفصح من «زياد» خطبة في الحرب إن كانت - بميك منبرا .»

ولما أنشد المعتضد هذه القصيدة استحسنها ، وأمر له بمال وثياب ومركب ، وأمر أن يكتب في ديوان الشراء  
فكان كذلك ، ثم تعاقب بالمعتمد على الله - وهو إذ ذاك شاب - فلم تزل حاله معه تزيد وموات خدمته له تقوى



وما أغرب الأيام فيما قضت به ترى بمدى عنك آنس من قربى  
أما بك للحق الذى لك فى دى وأرجوك للحب الذى لك فى قلبى

وتتأكد إلى أن صار ابن عمار ألقى بالمعتمد من شعراته (١) ، وأدنى إليه من حل وريده. كان المعتمد لا يستغنى عنه ساعة من ليل ولا نهار ، ثم اتفق أن ولي المعتمد على الله شلب من قبل أبيه فاستوزر بن عمار هذا فى تلك الولاية وسلم إليه جميع أموره فغلب عليه ابن عمار غلبة شديدة ، وساءت السمعة عنهما ، فانضى نظر المعتضد التفريق بينهما ونفى ابن عمار عن بلاده حسب ما تقدم الإيعاء إليه ، فلم يزل ابن عمار مقترباً فى أقاصى بلاد الأندلس إلى أن توفى المعتضد بالله ، فاستدعاه المعتمد وقربه أشد تقرب حتى كان يشاركه فيما لا يشارك الرجل فيه أخاه ولا أباه . وله معه أيام كونها ببشليخبر بحبيب ، وذلك أن المعتمد استدعاه ليلة إلى مجلس أنسه على ما كانت العادة جارية به إلا أنه فى تلك الليلة زاد فى التحفى به والبر له على المعتاد ، فلما جاء وقت النوم أقسم المعتمد عليه : « لتعمن رأسك معى على وساد واحد » فكان ذلك . قال ابن عمار : فهتف بى هاتف فى النوم يقول : « لائتمت أيتها المسكين إنه سيقهلك ولو بعد حين » قال : « فانتبهت من نومي فرعاً وتمودت ثم عدت » فهتف بى الهاتف على حالته الأولى فانتبهت ، ثم عدت فسمعت ثلاثة فانتبهت فتجردت من أثوابى ، والتفت فى بعض الحصر وقصدت دهليز القصر مستحقياً به ، وقد أزمعت على أنى إذا أصبحت مستحقياً حتى آتى البحر فأركبه وأقصد بلاد المدرة فأكون فى بعض جبال البربر حتى أموت ، فانقبه المعتمد فانقدنى فلم يجدنى فأمر بطايى فطلب له فى نواحي القصر وخرج هو نفسه يتوكأ على سيفه والشعلة تحمل بين يديه ، وكان هو الذى وقع على مكانت منى حركة فأحس بى وقال : « ما هذا يتحرك فى هذا الحصر ؟ » ثم أمر به بنقض ، فخرجت تريا ما ليس على الا سراويل . فلما رآنى فاضت عيناه دموعاً وقال : « يا أبا بكر ما الذى حملك على مسذا ؟ » فلم أر بدا من أن صدقته ، فقصصت عليه قصتى من أولها إلى آخرها ، فصحك وقال : « يا أبا بكر ، أصمات أحلام هذه آثار الخمار » ثم قال لى « وكيف أتتلك ، أرايت أحداً يقتل نفسه ؟ ما أنت إلا كفى » فشكر له ابن عمار ودعا له بطول البقاء ، وتناسى الأمر نفسه ، ومرت على ذلك الأيام والليالى إلى أن كان من أمره ما سيبأتى الإيعاء إليه ، فصدقت رؤيا ابن عمار وقتل المعتمد نفسه كما قال .

ولما أوصى الأمر إلى المعتمد سأل ابن عمار ولاية شلب وهى كانت بلده ومنشأه كما تقدم ، فأجابته المعتمد إلى ذلك وولاه إياها وأنه ولاية جعل إليه جميع أمورها خارجها وداخلها ، فاستدرت ولاية ابن عمار عليها إلى أن اشتد شسوق المعتمد إليه وضعف عن احتمال الصبر عنه ، فاستدعاه وعزله عنها واستوزره ، فكانت حاله معه شبيهة بحال جعفر بن يحيى مع الرشيد ولم يزل المعتمد يمد له لكل أمر جليل ويؤمله لكل رتبة عالية ، وكان ابن عمار مع هذا لا يئط به أمر إلا اصطلع به ، وكان فيه كالمسكة المحلاة ، واشتهر أمره ببلاد الأندلس حتى كان ملك الأذفش إذا ذكر عنده ابن عمار . قال هو رجل الجريرة ، وكان ابن عمار هو الذى رده عن قصد اشبيلية وقرطبة وأعمالها ، وذلك أنه خرج فى جيوش ضخمة يقصد بلاد المعتمد طامعاً فيها ، تخافه الناس ، وامتلأت صدور أهل تلك الجهات رعباً منه ، وتيقنوا ضعفهم عن دفاعه . فتولى ابن عمار رده بالطف حيلة وأيسر تدبير ، وذلك أنه قام سفرة شطرنج فى غاية الإتقان والابداع لم يكن عند ملك مثلها ، جعل صورها من الأبوس والعود الرطب والصندل ، وحلاها بالذهب ، وحمل أرضها غاية فى الاتقان فخرج من عند المعتمد رسولا إلى الأذفش فلقبه فى أول بلاد المسلمين فأعظم الأذفش قدره وبالع

(١) القمص : بفتح أوله وتشديد ثانيه أراد به رأس الصدر وهى العظام التى تتلاقى فى وسط الصدر حيث ينبت الشعر .

ولى حسنات لوأمت ببعضها إلى الدهر لم يرتع لثابتة سربي

في إكرامه وأمر وجوه دولته بالتردد إلى خبائه والمسارة في حوائجه فأظهر ابن عمار تلك السفارة فرآها بعض خواص الأذفنش فنقل خبرها إليه وكان العليج (الأذفنش) مولماً بالشطرنج فلما لقي ابن عمار سأله « كيف أنت في الشطرنج ؟ » وكان ابن عمار فيه طبقة طالية فأخبره بكانه منه ، فقال له بلى أن عندك سفرة في غاية الاتقان ، قال ابن عمار نعم ، فقال كيف السبيل إلى رؤيتها ؟ فقال ابن عمار لترجانه قل له أنا أتيك بها على أن ألب معك عليها ، فإن غلبتني فهي لك ، وإن غلبتك فلي حكمي ، فقال له الأذفنش هلمها لتنظر إليها ، فأمر ابن عمار من جاء بها ، فلما وضعت بين يدي العليج صلب وقال ما طلفت أن اتقان الشطرنج يبلغ إلى هذا الحد ، ثم قال لابن عمار كيف قلت فأعاد عليه الكلام الأول ، فقال له الأذفنش لا ألب معك على حكم مجهول لا أدرى ماهو ، ولعله شيء لا يمكنني ، فقال ابن عمار لا ألب إلا على هذا الوجه وأمر بالسفرة فطويت وكشف ابن عمار سر ما أراده لرجال وثق بهم من وجوه دولة الأذفنش وجعل لهم أموالاً عظيمة على أن يوازرروه على أمره ففعلوه فتملقت نفس العليج بالسفرة وشاور خاصته فيها رسمه ابن عمار فمؤنوا عليه ، فقالوا له : « إن غلبته كان عندك سفرة ليس عند ملك مثلها وإن غلبك فما صاه أن يحتكم وقبحوا عهده لإظهار الملك العجز عن شيء يطلب منه ، وقالوا إن طلب ابن عمار ما لم يمكن فتحن لك برده عن ذلك ، ولم يزلوا به حتى أحاب ، وأرسل إلى ابن عمار ، فجاء ومعه السفرة ، فقال له : « قد قبلت ما رسمته . » فقال له ابن عمار : « فأجعل بيني وبينك شهوداً ساهم له ، فأمر الأذفنش بهم فحضرُوا وافتتحا يلعبان ، وكان ابن عمار كما ذكرنا طقة في الأندلس لا يقوم له أحد فيها ، فناب الأذفنش غلبة ظاهرة لجميع الحاضرين لم يكن للعليج فيها مطعن . فلما حققت الغلبة . قال له ابن عمار : « هل صح أن لي حكماً ؟ » قال « نعم » قال : « أن ترجع من هاهنا إلى بلادك » فأسود وجه العليج وقام وقعد وقال لحواصه « قد كنت أخاف من هذا حتى هو تنموه عليّ في أمثال لهذا القول » وهم بالنكت والتمادي لوجهه . فقبحوا ذلك عليه وقالوا له : « كيف يحمل بك القدر وآت ملك ملوك النصارى في وقتك » فلم يزلوا به حتى سكن وقال : « لا أرحع حتى آخذ أتاوة طامين خلاف هذه السنة ، فقال ابن عمار « هذا كله لك » وجاءه بما أراد فرجع ، وكف الله بأسه ، ودمعه بحوله وحسن دفاعه عن المسلمين ، ورجع ابن عمار إلى إشبيلية ، وقد امتلأت نفس المعتمد سروراً به ، ثم إن المعتمد حدث له أمل في التغلب على مرسية وأعمالها ، وهي التي تعرف بتدمير ، وكانت بيد أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر كان هو المتغلب عليها والمدير لأمرها ، فجهر المعتمد جيوشاً عظيمة ، وتكفل له ابن عمار بأخذها وإخراج ابن طاهر عنها فلحق ابن طاهر حين خرج من مرسية ببني عبد العزيز بلنسية ، فكان بها إلى أن مات رحمه الله ، ولما تلب ابن عمار على مرسية دار ملك بني طاهر كما ذكرنا حديثه نفسه ، وسؤل له سوء رأيه أن يستد بأمره ، وأن يضبط تلك البلاد لنفسه ، فلم يزل يصرف الحيلة في ذلك إلى أن تم له بعضه ، ودانت له مرسية وأعمالها ، وطمع في ملك بلنسية إلى أن قام عليه رجل من أهل مرسية ، يقال له ابن رشيق كان أبوه من من هرقاء الجند بها ، وكان ابن عمار قد خرج لبعض أمره فدعا ابن رشيق هذا إلى نفسه ، وقامت معه العامة ومنى الجند ، فجاء يركض حتى المديسة وقد غلقت أبوابها ودونه لحاصروها بمن معه أياماً ، فاشتغلت

وكم قد فرت يمثالا بي من صرية فلا فرو يوما أن تنال من غربي

عليه ولم يقدر على دخولها ، فبقى حائرا لا يدري ما يصنع ولا أين يتوجه ، وقد كان بلغ المتمد قيامه عليه وخلق يده من طاعته ، فلم ير إلا الهروب ملجأ فهرب حتى لحق بيني هود بسرقة فأقام عندهم حتى ثقل عليهم وخافوا فآلته ، وبفضه في عيونهم ما فعل مع صاحبه وولى نعمته ، فأخرجوه عن بلادهم ولم تزل البلاد تتقاذفه وملوكها تشناه ، إلى أن وقع في حصن من حصون الأندلس في غاية المنعة يدعى شقورة ، كان المتغلب عليه رجلا يقال له ابن مبارك فأكرم وقادته ، وأحسن نزله ، ثم بداله بعد أيام فقبض عليه وقيده وجعله في سجنه . فلما رأى ابن حمار ذلك منه قال له لا عليك أن تكتب إلى ملوك الأندلس بكوني عندك ، وتعرضي عليهم فما منهم إلا من يرغب في ، فمن كان أشدهم رغبة جعل لك مالا ووجه بي إليه ، ففعل ابن مبارك ذلك فما عرضته على أحد من ملوك الأندلس إلا رغب فيه ، وكتب فين كتب إلى المتمد ، وفي ذلك يقول ابن حمار :

« أصبحت في السوق ينادي على رأسي بأنواع من المال  
والله ما جار على ماله من ضمي بالثمن العالي . »

وفي هذا السجن يقول ابن حمار وقد استدعي نورة يستنظف بها فتعذرت عليه فاستدعي موسى فأتى بها ، فقال في ذلك :

« بوسي شقورة عندي أربت على كل بوسي  
فقدت هارون فيها فظلت أطلب موسى . »

وبعث المتمد على الله من رجاله من تسلم ابن حمار من يد ابن مبارك بعد أن بعث إليه بمال وخيل ، وأمر المتمد الذين تسلموا ابن حمار أن يزيدوا في الاحتياط عليه وتقيده ، فخرجوا به حتى وادوا قرطبة ، ووافق ذلك كون المتمد بها ، فدخلها ابن حمار أشنع دخول وأسوأه على بفل بين عدلى تن وقيوده ظاهرة للناس ، وقد كان المتمد أمر بإخراج الناس خاصتهم وعامتهم حتى ينظروا إليه على تلك الحال ، وقد كان قبل هذا إذا دخل قرطبة اهتزت له وخرج إليه وجوه أهلها وأعيانهم ورؤساؤهم ، فالسعيه منهم من يصل إلى تقبيل يده أو يرد عليه ابن حمار السلام وغيرهم ، لا يصل إلى تقبيل ركبته أو طرف ثوبه ، ومنهم من ينظر إليه على بعد لا يستطيع الوصول إليه ، فسبحان محيل الأحوال ، ومديل الدول ، فدخل ابن حمار قرطبة كما ذكرنا بعد العزة القمساء ، والملك الشامخ ، والرياسة الفارعة ، ذليلا ، خائفا فقيرا ، لا يملك إلا ثوبه الذي عليه ، فسبحان من سلبه ما وهبه ، ومنعه ما كان به أتمعه ، وأخبر بعض الموكلين به ما اتفق لهم معه من فرط ذكائه وسرعة فطنته قال : « لما قربنا من قرطبة بحيث يرانا الناس ، خرج فارس من البلد يركض يقصدنا ، فلما رآه ابن حمار وكان معتما أزال العمامة عن رأسه ، فجاء الفارس حتى وصل إلينا ، فنظر إلى ابن حمار ودخل معنا في الصف فثنى ، فسألناه فيم جاء فقال « الذي جئت فيه صنعه هذا الرجل قبل أن أصل إليه » فعلمنا أنه أرسل ليزيل عمامته ، فأدخل على المتمد على الله على الحالة التي ذكرت يرسف في قيوده ، فجعل المتمد يسدد عليه أياديه ونعمه ، وابن حمار في ذلك كله مطرق الرأس لا ينبس إلى أن انقضى كلام المتمد ، فكان من جواب ابن حمار أن قال : « ما أنكر شيئا مما يذكره مولانا - أبقاه الله - ولو أنكرته لشهدت على به الجملادات فضلا ممن ينطق ، ولكن عثرت فأقل ، وزلت فاصفح » فقال المتمد : « هيات إنها عثرة لا تقال » وأمر به فاحدر في النهر إلى لشبيلية فدخل به لشبيلية على الحال التي دخل عليها قرطبة وجعل ، في غرته على باب قصر المتمد المعروف بالقصر المبارك وهو باق إلى وقتنا

ولا بد ما بيني وبينك من نثا يطبقها ما بين شرق إلى غرب

هذا فطال سجنه هناك . كُتبت عنه في هذا السجن قصائد لو توسل بها إلى الدهر لنزع عن جوره ، أو إلى الفلك لكف من دوره ، فكانت رقي لم تنجح ، ودعوات لم تسمع ، وتماثم لم تنفع ، فنها قوله :

«سجايك إن عاقبت أئدى وأسحج ، وهذرك إن عاقبت أجلى وأوضح  
ولإن كان - بين الخطئين - مزية ، فأنت - إلى الأدنى من الله - تنجح  
حنانيك في أخذى برأيك ، لا أطع حنانى ولو أئدو عليك وأفصحوا  
فإن رحاى أن عندك غير ما يغوض عدوى اليوم فيه ويمرح  
ولم لا وقد أسلفت ودا وخدمة يكران في ليل الخطايا فيصبح  
وهى قد أعقبت أعمال مفسد أما تفسد الأعمال ثمت تصلح  
أقلنى بما بينى وبينك من رضى له - نحو روح الله - باب مفتوح  
وعف على آثار جرم سلكتها بهية رحى منك تمحو وتمصح  
ولا تلتفت قول الوشاة ورأيهم فكل لماه بالذى فيه يرشح  
سيأتيك في أمرى حديث وقد آتى يزور بنى عبد العزيز موشح  
وما ذاك إلا ما علمت فأنتى إذا ثبت لا أنفك آسو وأجرح  
كأنتى بهم - لا درت الله درهم - أشاروا تجاهى بالشتمات وصرحوا  
وفالوا : « سيجزىه فلان بفعله » فقلت : « وقد يفوملان ويصفح »  
ألا إن بطشاً للتؤيد يرتضى ولكن حلما للتؤيد يرجع  
وماذا عسى الواشون أن يزيّدوا سوى آل ذنبى واضح متصح  
نعم لى ذنب غير أن لحله صفاة يزل الذنب عنها فيسفع  
عليه سلام كيف دار به الهوى إلى فيدنوا أو على فينرح  
ويهنه إن مت السلوك فإنى أموت ولى شوق إليه مبرح  
وبين صلوى من هواء تميمه ستفمع لو أن الحمام يحلج . »

ولما بلغت المعتد هذه القصيدة وأنشدت بين يديه كان يحضرته رجل من البعداديين ، فجعل يزرى على البيت وبين صلوى ويقول ما أراد بهذا المعنى ، فكان من جواب المعتد رحمه الله أن قال : أما أنت سلبه الله المروءة والوفاء ، لما أعدمه الفطنة والدكاء إنما نظر إلى بيت الهذلى من طرف خفى وهو -

« وإذا النية أنشبت أظفارها الفيت كل تميمه لا تنفع . »

ولم يزل ابن صمار هذا بسجن المعتد إلى أن قتله صبرا في شهر سنة ٤٧٩ وتلخيص خبر قتله أنه لما طال سجنه كتب إليه بالقصيدة التى تقدم إنشادها ، فأدركت المعتد بعض الرقة ، فوجه إليه ليلا وهو فى بعض مجالس أنه فأتى به يرسف فى قيوده ، فجعل المعتد يمسد منته عليه ، وأياديه قبله ، فلم يكن لابن صمار جواب ولا عذر غير أنه أخذ فى البكاء ، وجعل يترانى للمعتد ، ويسح عطفيه ، ويستجلب من الألفاظ كل ما يقدر أنه يزرع له الرأفة فى قلب المعتد فتم له بعض ما أراد من ذلك ، وعظفت المعتد سابقته وقديم حرمتيه ، محبسه ، فكتب ابن صمار من فوره بما دار له المعتد إلى ابنه الراضى بالله ، فوافاه الكتاب - وبمحضرته قوم كانت بينهم وبين ابن صمار أحن قديمه - فلما قرأ الراضى الكتاب قال لهم : « ما أرى ابن صمار إلا سيتخلص » فقالوا له « ومن أين علم مولانا ذلك » فقال : « هذا كتاب ابن صمار يخبرنى فيه أن مولانا المعتد قد

ولاشك أن العفو منك سجيبة فلم يبق إلا أن تخفف من عني .»

( لجأوه للمعتمد على الله )

« تقدم إلى ما اعتدت هندي من الرحب ورد تلقك العتي حجاباً من العتب  
متى تلقى تلق الذي قد بلوته صفوحاً من الجاني رء وها على الصحب  
سأوليك متى ما عهدت من الرضى وأعرض عما كان إن كان من ذنب  
لما أشمر الرحمن قلبي قسوة ولا صار نسيان الأذمة من شمي  
تكافئه أنفى به لك — ملوة فليس يمانى الشعر مشترك اللب .»

( وللمعتمد على الله إلى ذى الوزارتين أبي بكر )

« قد زارنا الترجس الذكي وقد عطشنا وشم رى  
ونحن في مجلس فدى وإن من يومنا العتي  
ولى حبيب غداً سبي ياليتك ساعد السبي .»

( وللمعتمد إلى الوزير أبي عمر بن غطمش )

« فديت أبا عمر من متى متى يختبر غيبه يحمده  
وداد صحيح ، وخلق مليح ونطق فصيح ، لدى المشهد  
أتاني البديهة تندى يديما وأبدع ما في الرياض الندى  
أزاهر : لم تنتشقى بالأنو ف لطفاً ، ولا جنت باليد  
خجلت لشكواك في طيها فما كدت أسمع للمنشد  
وقد غبرت لك تلك الرؤى أيشع طار وىروى صدى  
فهون عليك من النائبات إذا كان نصرى بالمرصد  
وكن مخبرى أنى سائل سؤال مدل على مسعد  
لجاءك صفراء عند المنا م تسمى من الأنق الأبد  
لخيتك بالنفس الترجسى ولافتك بالملبس السجدى  
وعلتك بالريق لو أنه أبيع لدى الزهد لم يزهد .»

وصده بالخلاص « فأظهر القوم الفرح وهم يبطنون غديره ، فلما قاموا من مجلس الرضى بشروا حديث  
ابن عمار أقبح نشر ، وزادوا فيه زيادات قبيحة صنت هذا الكتاب عن ذكرها فبلغ المعتمد ذلك فأرسل  
إلى ابن عمار ، وقال له : « هل أخبرت أحداً بما كان بيني وبينك البارحة » فأفكر ابن عمار كل  
الأنكار ، فقال للمعتمد لارسل « قل له الورقتان اللتان استدعيتهما كتبت في إحداها القصيدة ، فما فعلت  
بالأخرى ؟ » فادى أنه يفض فيها القصيدة فقال المعتمد « هلم المسودة » فلم يعمر جواباً ، فخرج المعتمد حتماً  
وبيده الطبرزين حتى سعد الذرقة اتى فيها ابن عمار ، فلما رآه علم أنه قاتله ، لجمل ابن عمار يزحف وقوده  
تقله حتى انكب على قدمي المعتمد يقبلهما والمعتمد لا يثنيه شيء فعلاه بالطبرزين الذى في يده ولم يزل يضربه  
به حتى برد ، ورجع المعتمد فأمر بنفسه وتكفينه وصلى عليه ودفنه بالقصر المبارك ، فهذا ما انتهى إلينا من  
خير ابن عمار ملخصاً حسب ما بقى على خاطرى . « المعجب في تلخيص أخبار العرب »

( وله رحمه الله )

« كتابي وعندي من فراقك ما عندي وفي خلدي ما فيه من لوعة الوجد  
وما خطت الأقلام إلا وأدمى تخط كتاب الشوق في صفحة الخد  
ولولا طلاب الخد زرتك طيبه عميدا كما زار الندى ورق الورد  
قبلت ما تحت اللثام من اللبا وعانت ما فوق الوشاح إلى العقد  
أغائبة عني وحاضرة معي لأن فبت عن هيني فأينك في كبدي  
أقبي على العهد الذي كان بيننا فأني على ما تعلمين من العهد . »

( وللويز الكاتب أبي الوليد بن المعلم )

« أيدك الله إنه يوم تحجب فيه الصلاة والصوم  
وتحفر الرياح غير وانية لا عار في حفزها ولا لوم  
فانشط إليه فإنه أمل يبلغه في نديك القوم  
لازلك مستيقظ السمود لنا وعنك في أعين الردى نوم . »

( فأجابه أيده الله )

« سمعت بخفاقة الجناح وقد أمكن ورد فلا يطل حوم  
وسمت في الطيب والسرور فني لم يزر يوما بطيبه سوم  
وحامو المجلس الممد لكم فادخل إليه وليدخل القوم  
إلى كؤس لو شاء شاربها يوم فيها لأمكن العوم . »

( بجوابه رحمه الله )

« ليك ليك من مناد له الندى الرحب والندى  
ها أنا بالباب عبد قن قبلته وجهك السنى  
مرفسه والداه باسم مرفقه أت والنبي . »

( وقال )

« سلى تعلمي إن كنت غير عليمة بأن ليس في حبي لنيرك مطمع  
وأن لي القلب الذي ليس خاليا من الوجد والجفن الذي ليس بهجم  
بذكر نيك المصن يهتز عند ما يهب نسيم ، والفزاة تطلع  
فوالله لا أتفك أذكر موضعي لديك ولا أفك نحوك أنزع . »

( وقال )

« ألكم إلى لعب الشحي . ماد فتفك عنه للأسي أصفاد  
رحل اصطباري إذ رحلت قائلا أوب الأجابة بيتنا الميعاد  
يا من نككت دنوهم ووصالهم فبدا على من الشحوب حداد  
كم بت منكم بين غصني بانة كالسيف تضبط مته الأثماد . »

( وقال في معشوقة اسمها « اعتماد » تؤخذ حروف اسمها من أوائل هذه الأبيات . )

« أغائبه الشخص عن ناظري وحاضرة في صميم العواد  
عليك السلام بقدر الشجون ودمع الشجون وقدر السهاد  
تمسكت منى صعب المرام وصادفت ودى سهل القياد  
مرادى لفيائك في كل حين مباليت أنى أعطى مرادى  
أقيمي على العهد ما بيننا ولا تستحيل لطول البعاد  
دست اسمك الخلو في طي شمري وألت به حروف اعتماد . »

( وقال )

« قلبي موال لمعديه وعاشق من لا يباليه  
خلى الظلوم كلما زده مودة زاد تجنييه  
يا غفر الله له دنبه في ظلم سب هائم فيه  
يا حسن الوجه بحق الهوى لا ترض قبح الحجر والنيه . »

( وقال )

إني رأيتك في المنام ضجعتي وكان ساعدك الوثير وسادى  
وكانما عاتقتني وشكوت ما أشكوه من وجدى وطول سهادى  
وكاننى قبلت نورك والطللى والوجنتين ونلت منك مرادى  
وهواك لولا أن طيفك زائر في القلب ما ذقت طعم رقاد . »

( وقال يستدعي الوزير المصرى الحكيم )

« أيها الصاحب الذى فارقت عيني ونفى منه السنا والساء  
نحن في المجلس الذى يهب الراحة والمسمع النوى والعناء  
تعاطى التى تنسبك فى اللذذ والرقصة الهوى والهواء  
فأبه تلف راحته ومحيا قد أعداك الحيا والحياة . »

( وله )

« لما نأت نأى السكرى عن ناظري وصرفته لما انصرفت عليه  
طلب البشير بشارة يحزى بها موهبت قلبي واعتذرت إليه . »

( وله )

« الجود أحلى على قلبي من الطفر ومن منال قصى السؤل والوطر  
ومن غناء أريوى فى الصبوح لنا يا طلعة الشمس فى الأصال والبكر  
وقد حننت إلى ما اعتدت من كرم حنين أرض إلى مستأخر المطر  
وقد تنامت يدي عن كآسها غضبا وبجت الأذن أيضاً فنة الوتر  
حتى أملك مسننى ما تجود به وأسمع الحد بالأخرى على الأثر  
فهاهما « خلعا أرضى السباح بها مخوفة فى أكف الشرب بالبدر . »

( وله )

« من للملوك يتأور الأصيد الظل هيات جاء تكلم مهدية الدول  
خطبت قرطبة الحساء إذ منعت من جاء يخطبها بالبيض والأسل  
وكم غدت طاطلا حتى عرضت لها فأصبحت في سرى الخلى والخلل  
عرس الملوك لنا في قصرها عرس كل الملوك به في مأتم الوجل  
فراقبوا عن قريب لا أبا لكم هجوم ليت بدرع الباس مشتمل . »  
( وله إلى المعتضد بالله )

« مولاي يا ذا الأيادي كواكفات الغواذى  
أنا عبيد معدة لحسم داء الأعادى  
واعتادت النفس مى نصبيد الأساد  
لانى عليها مقيم لرائح أو لناد  
أكر بالضرب فيها والظمن عند الجلال  
حتى أبحت حاما بمرهفات حـداد  
إن لم تكن أسد غبل تكن جاذر واد  
بحق لحم وطى وكندة ومراد  
ملكك من أرض حمى إلى قرى سنداد . »  
( وله رحمه الله )

« نظن بنا أم الربيع سامة ألاغر الرحمن ذنباً تواقمه  
أسام طيبا في ضلوعي كناسه وبدر تمام في فؤادى مطالمه  
وروصة حسن أجتى من نمارها وبارد ظلم لم تصكدر شرائعه  
إدا شمت كنى نوالا تقيضه على مستفيها أو عدواً تقارعه . »  
( وله )

« أمطلع زهر نجوم الكلام ومشرقه من خلال الحلك  
أنا قريضك والهم حى لدينا فأمسى به قد هلك  
فهاك موارد ود صفت يملك فيها الذى أنهلك . »  
( وله )

« درا بعث مفصلا بجمان أو روضة مسكية الريحان  
لابل عروساً قد زفت تولدت ما بين فـكرنا قد وبنان  
سمما لأمرك إذ دعوت إلى التى تدع القلوب قليلة الأحزان  
أما الكؤوس فقد جرت ما بيننا ييدى فزال ساحر الأجفان  
خنت بسقىنى للدمام بطرفه وبكفه ومتى أشا غنائى  
فلا لعمرك لم أكن لأضيغه لاتحسبنا من بنى سهوان . »



( وله )

« إن كان تصريدا امير تمدد فلا جعلن مكانه وردا  
من قهوة ضمنت أكوسها نارا تكون على الحشا بردا . »

( وله )

« اشرب الكأس في وداد ودادك وتأنس بذكرها في افرادك  
قر غاب عن جفونك سرآ . وسكناء في سواد فؤادك . »

( وله )

« حسدت كتابي على فوزي بإبصاره الفرة الزاهره  
ميا ليت شعري يكون الكتاب فتاحظه القلة الساحره . »

( وله في اعتماد أيضا )

« بكرت تلوم وفي الفؤاد بلابل سفها وهل يثنى الخليم الجاهل  
يا ههذه كفى فاني عاشق من لا يرد هواي عنها عاذل  
حب « اعتماد » في الجوانح ساكن لا القلب ضاق به ولا هو راحل  
يا ظبيسة سلبت فؤاد محمد أو لم يروك الهزبر الباسل  
من شك أني هائم بك مفرم فملى هواك له على دلائل  
لون كته صفرة ومدامع هطلت سحائبها وجسم ناحل . »

( وله في اعتماد أيضا )

« أدار النوى كم دار فيك تلهدي وكم عقي عن دار أهيف أغيد  
حلفت به لو قد تعرض دونه كجاة الأحادي في النسيج المراد  
لجردت لضرب المهند فاقضي مرادى وعزما مثل حد المهند  
فما حل خل من مؤاد خليله محل « اعتماد » من فؤاد محمد  
ولكنها الأقدار تردى بلا ظبا وتصمى بلا قتل وترى بلا يد . »

( وله )

« مشمك أفوح في معطى ووجهك أملح في ناظري  
ظفرت بقربك بمد امتناع فمن ذاك سميت بالظافر . »

( وله )

« يابها الشمس التي قلبي لها أحد البروج  
لولاك لم أك مؤثرا فرش الحرير على السروج . »

( وله )

« أباح لطيفي طيفها في الكرى الخدا فض به تفاحة واجتنى وردا  
والثني ثنرا شسمت نسيبه تخيل لي أني شسمت به ندا  
ولو قدرت زارت على حال يقظه ولكن حجاب البين ما بيننا مدا

أما وجدت عنا الشئون معرجا ولا وجدت منا خطوب التوى بدا  
سقى الله صوب القطر أم عبيدة كما قد سقت قلبي على حره بردا  
هي الظبي جبيداً ، والفراة سة وروض الربا فوحاء وغصن النقادا .

( وله )

« من عاشق يشكو صلاته إلى محب هائم مثله  
كلدها صب إلى الفسه حران ظمان إلى وصله  
يا رب عجل جمع هدا بدا وقرب الشكل إلى شكله . »

( وله )

« بقلي لبعذك هي غاسل فتسوق صحيح وجسدي عليل  
وودى على حسب ما تعلمين تزول الجبال وما إن يزول  
فلا تستحيلي لبعسد الديار فاني مع البعد لا أستحيل . »

( وله )

« القلب قد لح فما يفسر والوجد قد جل فما يستر  
والدمع جار قطره وابل والجسم نال ثوبه أصفر  
هذا ومن أعشقه واصل كيف به لو أنه يهجر  
لكن عدتي ناثبات الدوى في دوحه والشادن الأحور  
والسكوكب الوقاد تحت المدحى في أفقه والقمر الأزهر  
والرحس الفواح غب اللى في روضه والمدل الأذفر  
قد خبرت عني أنى امرؤ في شحوب وصي يظهر  
وأبدت الالشفاق من حالى ومثل ما تديه ما تضر  
واستفهمت أن كنت داعة أو دا اشتياق ناره تسمر  
سيدتى ! لم تصبى عاشقا أضحى كما أخبرك الخبر  
إد قلت : هل من ألم طائف ما بك أو شوق فما تصبر  
طامت بالشك هواى الذى يعرفه اليب والحضر  
والله ما سقى إلا هوى كل هوى في حننه يصفر  
عسير جسدي فاعلمى أبى أروم لفيك ولا أفدر  
فاستغرى الله من الضم لي فإن من يظلم يستغفر . »

( وقال )

« يا طيعة اطفئت مى منازلها فالقلب منهنّ والأحداق والكبد (١)  
حي لك الناس طراً يشهدون به وأنت شاهدة إن ينهم حسد  
لم يعزب الوصل فيما بنتنا أبداً لو كنت واحدة مثل الذى أجده . »

(١) لسبت هذه الأبيات خطأ لابن زيدون انظر « ص ٢٢٣ » .

( وقال )

« هل راكب ذاهب عنهم يحبيني قد متّ إلا ذمّاء في يمسكه  
ما سرح الدمع من عيني وأطلقه  
صبراً لعل الذي بالبعد أمرضني  
كيف اصطباري وفي كانون فارقني  
شخص يذكرني فاه وضرته  
لئن عطشت إلى ذاك الرضاب لكم  
وإن أفاض دموعي نوح باكية  
وإن بعدت وأضنتني الهموم لقد  
أوحل عقد عزائي نأيه فلكم  
يا حسن لإشراق ساعات الدنويديت  
والله ما فارقوني باختيارهم  
وما تبدلت حبا غير حبه  
أفدى الحبيب الذي لو كان مقتدراً  
يارب قرب — على خير — تلاقينا »

( وقال )

« ولما التقينا للوداع فسدية وقرنت الجرد العتاق وصفقت  
طبول ولاحت لافراق علامات  
يجري الدموع المرففها جراحات  
وكنا نرجى الأرب بعد ثلاثة فكيف وقد كانت عليها زيادات »

( وقال )

« أهلا بكم محبتكم — نحوى — القديم  
حشو المطى ولو لي — لا بجهلة  
لائم القوم إن خطوا يجمد قلم  
لا خرق — إن رقوا كتباً — ولا حصر  
افدم أبا الأصبح المحبوب تلقى فنى  
هذا فؤادى قد طار السرور به  
سأكتبم الليل ما أشكوه من بعد  
وحان أن يقضى لى بكم حلم  
فلن تضلوا ومن بشرى لكم حلم  
وأن يقولوا يصب فصل الخطاب فلم  
إذ يندون ولا جور إذا حكموا  
هش المودة لا يزرى به سأم  
إذ كنت تنقلك الوخادة الرسم  
واسأل الصبح عنكم حين يبتسم »

(١) وردت هذه القصيدة في « من ٦١ » وقد نسبت خطأ لابن زيدون .

(٢) وردت هذه القصيدة في « من ١٠٩ » وقد نسبت خطأ لابن زيدون .

( وقال )

« الشمس تخجل من جمالك فتغيب مسرعة لذلك  
والنيت يحى أن يصب لما يراه من نواك  
والبدر يطلع ناقصاً حتى يتم من كمالك . »

( وقال )

« وشادن أسأله قهوة لجاد بالقهوة والورد (١)  
فبت أسقى الراح من ريقه وأجتنى الورد من الحد . »

( وله )

« يا هلالا إذا بدا لي تجلت عن فؤادي دجنة الكربات  
وغزالا لفتني به بقلبي فتكات كأنها فتكاتي  
تهت إذ حزت بالوصال وباللهجر حياتي تملكا ومماتي  
مترقي بموقب أنت منه في سواد القلوب والحدقات  
أنا أختي عليك ياساكن القلب الممل بالصد من نغرات »

( وله )

« أنا في عذاب من فراقك سكران من حمر اشتياقك  
صب الفؤاد إلى لقاءك وارتشامك واعتناقك  
لا تحبني أنى سلوت لما توالى من فراقك  
هذى جفوني أقمت لا تلتقي ما لم تلاقك  
فصلى جميل الطن بى وثقى فقلبي في وثامك . »

( وقال )

« وشمعة تنق ظلام الدينى نفي للعمدم عن الناس  
قد جعل الرحمن من لطفه حياتها في القطع للراس  
ساعدتها والكأس يسمي بها من ريقه أشهى من الكاس  
ضياؤها لاشك من وجهه وحرها من حر أفاقي »

( وله )

« يا بديع الحسن والإحسان يا بدر الدياجى  
يا غزالا صاد مسنى بالطلى ليت الهياج  
قد غنينا بسنا وجسبك عن ضوء السراج »

( وله )

« تم له الحسن بالعدار واقترن الليل بالتهار  
أخضر فى أبيض تبدى ذلك آسى وذا بهارى

« فقد حوى مجلسى تماما إن بك من ريقه عقارى . »  
( وله )

« لله در أبى السنان من فارس شهم الجنان  
تخشاء آساد الرجا ل كما تريم به القيات  
فيأسه يشقى المدا ويحسنة يصي الحسان . »  
( وله )

« يقاتل بالاحفظ محبوبنا وبالسيف والرمح أمضى قتال  
فطورا يصيد ظباء النساء وطورا يصيد أسود الرجال . »  
( وله )

« إذا ما اقتحمت الوغى دارعا وقتعت وجهك بالمنفر  
حسبنا عيناك شمس الضحى عليها سحاب من العنبر . »  
( وله )

« يا قرا قلبى له مطلع وشادنا فى مهجى يرمع  
والله ما أطمع فى العيش مذ أصبحت وصلك لأطمع  
ليت كما يرمع فى مهجى أنى فى ريقته أكرم . »  
( وله )

« وأغن يلعب بالهدوم كما غدت أرماح قوى بالمداة لواعبا  
ذى نعمة يسي العقول بها رشا من عند رضوان أماناها ربا . »  
( وله )

« مجن حكي صانوه السما لتقصر عنه طوال الرماح  
وصاغوا مثال الثريا عليه كواكب تمضى لنا بالنجاح  
وتردات أطواقه بالنجوم كما ليس الأفق توب الصباح . »  
( وله )

« أيا نفس لا تجزمي واصبرى فإن الهوى ما به منصف  
حبيب جفاك وقلب عصا ك ولاح لحاك ولا ملطف  
شجون ممنع الجفون الكرى وعوضنها أدما تنزف . »  
( وله )

« أبصرت طرفك عند مشجر القنا فبـدا لطرفى أنه فلك  
أو ليس وجهك فوقه قسرا يحلى بنير نوره الخلك . »  
( وله )

« فتكت مقلنا بالقلب منى وبكت مقلناى شوقاً إليه

فكلى لحظة لنا سيف حبا د ودمى له سحاب يديه .  
( وله )

« يا قرا أفعه نوادى مقالة لم تشب بافك  
ومن غدا مسترق حر الكلام قد حازه بملك  
نرت در القريض نثرا يقوم ذهنى له بلك  
فقلت لله در ذهن يخرج درا من بحر فك  
وجاهت الطير مودعات شرك يا سركل ملك  
بيتان دلا على و داد محضته لى بنير شك . »

( وله )

« بعثت بالمرسل انبساطاً منى على خلقك الجليل  
نزرأ حقيراً ففیه یأتى فضلك فى المذر والقبول  
لو أنه مهجى لك انت تصغر فى قدرك الجليل . »

( وله )

« ترفقاً يا أبا يحيى ومن ظفرت كنى به فدعائى فضله الظافر  
إن حال ما بيننا ريحانتا الناضر فناظر اقلب حقاً نحوكم ناظر  
أحى مكانك من قلبى وأمنعه كما حى الحاجب الإسلام بالاطر . »

( وله )

« أخلفتى وعدك لى ومخلفاً أعهدك  
فعد بأن تهجرنى واجر على عادتك . »

( وله )

« وردت أبا الفتح ياسيدى ورود الكرى بمدلول السهاد  
ولما احتلت بنا لم تحمل من العين والقلب غير السواد  
ودونك منا طيوراً فدت تطير إليك بريش الوداد . »

( وله )

« أبا الوليد تجاوز وهب لنا التضيضا  
واقبل جواباً على نطقك الصحيح مريضاً  
زفقت نحوى مريضاً تحتاب روضاً أريضاً  
جلوتها فى سواد تجملو المعانى ييضاً  
وقد منعك نزرأ لا حقك المروضا  
وسوف أرفع جهدى من قدرك المحفوضا . »

( وله إلى أبيه رحمه الله )

« يا متبع الأكرام إني لما ومتبـع الإيـام إني لما  
وطادلا في الناس لكنه أصـح للأموال ظلاما  
قرنت في كفك بحر الندى بصارم أسـكتـه الهاما  
وجعت فيك خصال الوردى وحزت آراء وإقـداما  
فالموت والعيش يمينك قد صرفن أسـياها وأفلاما  
أنفكت بالإيـام ظهري ، فقد ألحمت عن شكرك إني لما  
سفتك إني لا دمي كي ترى تزيد في عمرك أعـواما  
فاسلم لاهراق دماء العدا ما طرد الإصباح لإظلاما . »

( وله إليه يطلب مجنا )

« أيا ماجدا لم يرم شامحا من المجد فاحتل غير الفتن  
سألتك صفراء بكرا فجـد على بها شامحا للـسنن  
تزد السنن إذا أمها شيا حده من قويم السنن  
وإن كنت من معشر في الوغى أقاموا القلوب مقام الجنن . »

( وله إليه يطلب جوادا )

« ألا يا غرة السعد وقرّة نظر اخـد  
ومولاي الذي ما زل بسحب حلة الحد  
لمبدك همه هامت برقص الصبر الجرد  
ويرغب ضارعا منها إلى عليك في الورد  
وإن تقبضه من عبد تمنّ به على عبد . »

( فبحث إليه مسرجا فكتب إليه )

« خلعت ثوب الصق على العبيد الوفي  
يا مسـترقا بنعما . كل حر سري  
أني على الورد سرج كالمدي فوق الهدى  
فسوف أورد رمي عليه قلب الكمي . »

( وله إليه )

« يا أيها الملك الذي كفاء بخلت السحاب  
أنعمت بالبيض الكما ب على والحيل العرب  
وغدت تحشى لاعتنا ب كما ترجى للثواب  
برضائك أبصر نائي ال آمال مني إذا اقترب  
وبطيب أيامي لديك عرفت أيام الشباب  
فشكرت ما أو ليئنيـه من أياديك المذاب  
بشبا سناني في الطما ن وحديني في الضراب

وشبا الساني في الهما      قل بالتمتع لا يشاب  
لازلت تتمتع النجوى      موخذقتك في التراب  
( وله إليه )

« يا أيها الملك الذي لم يزل      يسرى إلى غرته السارى  
وجامعا في كفه بالنسدى      والبأس بين الماء والنار  
أهنا فقد نلت الذي كنتهوى      نفسك واشكر نعم البارى . »  
( وله إليه يطلب الإذن بالصيد )

« امض على صيد رجاك بساعة      يرتاح فيها باصطياد أرانب  
حتى يصيد بسعدك الأبطال في      يوم الوغى بأسنة وقواضب . »  
( وله إليه )

« وساعة للزمان مسعفة      قنمت فيها أرانبا وحمل  
فلا أرانى إلا له منك رضى      إن لم أصدمن عداك كل بطل . »  
( وله إليه )

« أوجه البدر يشرق في الظلام      وسـتر الله مد على الأنام  
وليت العاب لإقداما وبأسا      ورب الفضل والنعم الجسام  
عييدك مولع بالصيد قدما      وحب الصيد من شيم الكرام  
فاذمك فيه واسلم للأعداى      تدير عليهم كأس الحمام . »  
( وله إليه )

« أيا ملكا عمى فضله      ولم ألب في بحر نعماء جزرا  
عهدت البحار لجزر ومدى      وتأتى بحار أياديك جزرا  
دعونا الأمانى لما رضيت      بقاءت توالى علينا وتترى  
فلم يبق لى أمل أرتجيه      سرى أن أقوم بنعداك شكرا  
بقيت ولا ملك إلا غدا      غدا ملك كففك قهراً وقسرا

( وقال )

أمتضئ سداً بالله دعوة آمل      رجاك على بعد فاصبح ذا قرب  
فأمم مأمولا وأم ميسما      وحامت أمانيه على مورد عذب  
موارد ما حلآن ضنه حائما      ولا غادرته غير مستعذب الشرب  
وما أنا ظمان لمنهل وردكم      وحسى موقوف على وردكم حسي  
أفر بالذى أملت مذ كنت آملا      وتمتل من هلياء فى المنزل الرحب  
لجئت أغذ السير حتى كأنى      لا إفراط لإغذاذى على ظهر النجب  
فألميت أعلى الناس قدرا وسوددا      وعدلا فدنه النفس صدفا بلا كذب  
يحن لى راحيه كالواقى الصب      ويهتز للمعروف كالصاوم المضرب  
ولانى لما تولى وأوليت شاكر      فمن شكر النعماء نال رضى الرب . »



وقال (١)

« لما تماسكت الدموع وتنهت القلب الصديق  
قالوا الخضوع سياسة فليد منك لهم خضوع  
والذ من طعم الخضوع ع على في السم النقيع  
إن تستلب عنى الدنيا ملكى وتسلمنى الجموع

(١) جاء في كتاب المراكشي قبل هذه الآيات الرائعة مايلي :

قال يوسف بن تاشفين لبعض ثقاته من وجوه أصحابه : « كنت أظن أنى ملكت شيئاً ، فلما رأيت تلك البلاد صمرت — في عيني — مملكتي ، فكيف الحيلة في تحصيلها ؟ » فاتفق رأيهم ورأى أصحابه على أن يرأسوا المعتد يستأذونه في رجال من صلحاء أصحابهم رغبوا في الرباط بالأندلس ، ومجاهدة العدو ، والكون ببعض الحصون المصافة لاروم إلى أن يموتوا ففعلوا ، وكتبوا إلى المعتد بذلك ، فأذن لهم بعد أن وافق على ذلك ابن الأفطس التوكل صاحب الثغور ، وإنما أراد يوسف وأصحابه بذلك أن يكون قوم من شيعتهم مبثوثين بالجزيرة في بلادها ، فإذا كان أمر من قيام بدعوتهم أو لإظهار لملاكتهم وجدوا في كل بلد أعواناً ، وقد كانت قلوب أهل الأندلس كما ذكرنا قد أشربت حب يوسف وأصحابه ، فجهر يوسف من خيار أصحابه رجلاً استخبهم ، وأمر عليهم رجلاً من قرابته يسمى « بليجين » وأمره إليه ما أراد ، فجاز بليجين المذكور وقصد المعتد من ملوك الجزيرة ، فقال : « أين تأمرني بالكون ؟ » فوجه معه المعتد من أصحابه من ينزله ببعض الحصون التي اختارها لهم فنزل حيث أنزلوه هو وأصحابه ، وأقاموا هناك إلى أن ثارت الفتنة على المعتد ، وكان مبدؤها في شوال من سنة ٤٨٣ — بأخذ جزيرة طريف المقاومة لطنجة من العدو دون مقدمة ظاهرة — توجب ذلك ، ففشحت جوعه وأهواؤها ملتزمة ، وانتثرت بلادهم وقلوب أهلها على محبته منتظمة ، ولما أخذ المرابطون جزيرة طريف ونادوا فيها بدعوة أمير المؤمنين انتشر ذلك في الأندلس ، وزحف القوم — الذين قدمنا ذكرهم — الكائنون في الحصون إلى قرطبة لحاصروها وفيها عباد بن المعتد الملقب بالمأمون ، وقد تقدم ذكره ، وهو من أكبر ولده ، فدخلوا البلد وقتل عباد هذا بعد أن أبلى عذراً ، وأظهر في الدفاع عن نفسه جلاً وصبراً ، وذلك في مستهل صفر الكائن في سنة ٤٨٤ — فزادت الإحنة والحنة ، واستمرت في غلوائها الفتنة — وأجمعت على الثورة بحضرة اشبيلية طائفة ، فأعلم المعتد بما اعتقدته الطائفة المذكورة وكشف له عن مرادها ، وأثبت عنده سوء اعتقادها ، وأغرى بتمزيق أديعها ، وسفك دمها ، وحض على هناك حريمها ، وكشف حرمها ، فأبى له ذلك بمجده الأثيل ، ورأيه الأصيل ، ومذهبه الجليل ، وما جباه الله من حسن اليقين ، وصحة العقل والدين ، إلى أن أمكنتهم الغرة يوم الثلاثاء منتصف رجب من السنة المذكورة فقاموا بجيش غير مستنصر ، واستنصروا بغنائم غير مستنصر ، فبرز هو من قصره ، سيفه يديه ، وغلالته ترف على جسده لادركة له ولا درع عليه ، فلقى على باب من أبواب المدينة يسمى باب الفرج فارساً من الداخلين مشهور النجدة شاكى السلاح ، فرماه الفارس برمح قصير أنابيب القناة ، طوبل شفرة السنان ، فالتوى الرمح بفلالته وخرج تحت إبطه ، وعصمه الله منه ودفعه بفضله عنه ، وصب هو سيفه على عاتق الفارس فشقه إلى أضلاعه ، نظراً صريعاً ، وانتهزمت تلك الجموع ، ونزل المتسمنون للأسوار عنها ، وظن أهل اشبيلية أن الحناق قد تنفس ، فلما كان عصر ذلك اليوم ، طودهم القوم ، فظهر على البلد من واديه ،

فألقب بين ضلوعه لم تلم القلب الضلوع  
لم أستلب شرف الطبا ع أيسلب الشرف الرفيع ؟  
قد رمت يوم نزالهم إلا تحصننى الدروع  
وبرزت ليس سوى الفقيه من عن الحشى شىء دفوع  
وبذلت نفسى كى تسيى بل إذا يسيل بها النجيع  
أجلى تأخر لم يمكن بهوى ذلى والحشوع  
ما سرت قط إلى الفتا ل وكان من أملى الرجوع  
شيم الألى أما منهم والأصل تتبعه الفروع .»

ويش من سكنى ناديه ، وبلغ فيه الأمل حاسده وشانيه ، وشبت النار فى شوانيه ، فاقطع عندهما العمل  
والقول ، وذهبت القوة من أيدى أهلها والحول ، وكان الذى ظهر عليها من جهة البر رجل من أصحاب  
يوسف أمير المسلمين والتوت الحال أياما يسيره إلى أن ورد الأمير سير ابن أبى بكر بن تاشفين وهو ابن أخى  
أمير المسلمين بمساكره متظاهرة ، وحشود من الرعية وافرة ، والناس فى خلال هذه الأيام قد خاسرهم  
الجزع ، وخالط قلوبهم الهلع ، يقطعون السبل سياحة ، ويمبرون النهر سياحة ، ويتوهمون مجارى الأقدار ،  
ويترامون من شرفات الأسوار : حرصاً على الحياة والموفون بالعهد ، المقيدون على صريح النود ، ثابتون إلى  
أن كان يوم الأحد لإحدى وعشرين خلعت من رجب من السنة المذكورة ، وهذا يوم الكائنة العظمى والطامة  
الكبرى فيه حم الأسر الواقع ، واتسع الحرق على الراقع ، ودخل البلد من واديه ، وأصاب حاضره وناديه ،  
بعد أن جد الفريقان فى القتال ، واجتهدت الفئتان فى الذال ، وظهر من دفاع المعتد — رحمه الله — وبأسه ،  
وتراميه على الموت بنفسه ، ملامز يد عليه ، ولا تناء لخلق إليه ، وفى ذلك يقول المعتد بعد ما نزل بالعدوة  
أسيراً حسيماً :

« لما تماسكت الضلوع وتنهت القلب المديع » . . . . الخ

فشنت الغارة فى البلد ولم يترك البربر لأحد من أهلها سبدا ولا لبدا ، وانتهت قصور المعتد نهياً قبيحاً ،  
وأخذ هو قبضاً باليد ، وأجبر على مخاطبة ابنه المعتد بالله والراضى بالله ، وكانا بمغقلين من معاقل الأندلس  
المشهوره لو شاء أن يمتنما بهما لم يصل أحد إليهما . أحد الحصنين يسمى رندة ، والآخر مارتلة ، فكتب  
رحمه الله ، وكتبت السيدة الكبرى أمهما مستعطفين مسترحين مملعين أن دم الكل منهم مسترهن بثبوتهما  
فأنقا من الذل وأيا وضع يديهما فى يد أحد من الناس بعد أيهما ، ثم عطفتهما عواطف الرحمة ، ونظرا فى  
حقوق أبيهما المقترة بحق الله عز وجل ، فتسك كل منهما يدينه ، ونبت دنياه ، ونزلا عن الحصنين بعد  
عهود مبرمة وموائيق عكمة . فأما المعتد بالله فان القائد الواصل إليه قبض عند نزوله على كل ما كان يملكه  
وأما الراضى بالله فعند خروجه من قصره قتل غيلة وأخفى جسده ، ورحل المعتد وآله بعد استئصال جميع  
أحواله ، ولم يصحب من ذلك كله بلغة زاد ، فركب بالسفين ، وحل بالعدوة على الدفين ، فكان نزوله  
من العدوة بطنجة .

( وقال )

« قل لمن قد جمع العبد - سم وما أحصى صوابه (١) »

(١) قال المراكمى فى كتاب المعجب :

« أقام المعتد بطنجة أياماً ، ولقيه بها الحصرى الشاعر ، فجرى معه على سوء عادته من قبح الكدية وإفراط الخلف ، فرقع إليه أشعاراً قديمة كان قد مدحه بها ، وأضاف إلى ذلك قصيدة استجدها عند وصوله إليه ولم يكن عند المعتد فى ذلك اليوم مما زود به فيها بلفظ أكثر من ستة وثلاثين مثقالاً فطبع عليها ، وكتب معها بقطعة شعر يعتذر من قلتها سقطت من حفظي ووجه بها إليه فلم يحاوبه عن القطعة على سهولة الشعر على خاطره وخفته عليه كان هذا الرجل أعنى الحصرى الأعمى أسرع الناس فى الشعر خاطراً إلا أنه كان قليل الجيد منه ، فحركة المعتد على الله على الجواب بقطعة أولها : قل لمن قد جمع الخ »

وأقام المعتد بطنجة رحمه الله أياماً على الحال التى تقدم ذكرها ، ثم انتقل إلى مدينة مكناسة ، فأقام بها أشهراً إلى أن نفذ الأمر بتسييرهم إلى مدينة اغمات ، فأقاموا بها إلى أن توفى المعتد رحمه الله ودفن بها بقبره معروف هناك ، وكانت وفاته فى شهر سنة ٨٧٧ وقيل سنة ٨ فافقه أعلم ، توفى وسنه إحدى وخمسون سنة ، فن أحسن ما مرى مما رثى به المعتد على الله مقطوعة من شعر ابن اللبابة أولها :

وللى - من منايهن - غايات	« لكل شئ - من الأشياء - ميعات ،
ألوان حالاته فيها استحالات	والدمر فى صيغة الحرباء منغمس
وربما قرت بالبيدق الشاة	ونحن من لب الشطرنج فى يده
فالأرض قد أقمرت والناس قد ماتوا	فانفض يدك من الدنيا وما كنتها
مريرة العالم العلوى « اغمات »	وقل لعالمها الأرضى قد كتمت
من لم تزل فوقه للمزرايات	طوت مظلته لابل مسدلتها
هندية وعطاياه هنيئات	من كان بين الندى والبأس أنصله
وكيف تنكر فى الروضات حيات	أنكرت إلا التواء للقبود به
من رأسه نحو وجليه الذوابات	وقلت هن ذوابات فلم عكست
هذرتهم فلم يدوى الليث عادات .»	وأوه ليثاً تخافوا منه عادية

وله من قصيدة يرثيهم بها وهى كثيرة الجيد أولها :

أساود لهم فيها وآساد	« عريسة دخلتها النائبات على
فاليوم لا عاكف فيها ولا باد	وكعبة كانت الآمال تغمرها
خطب الزمان ثقافاً غير معتاد	تلك الزماح وماح الخط ثقفا
أيدي الردى وثنتها دون إغداد	والبيض بيض الظبا قلت مضاربها
وكل شئ لميقات وميعاد	لما دنا الوقت لم تخلف له عدة
هناك من درر للمجد افراد	كم من درارى سمع قدهوت ووهت
ذوى وذاك خبا من بعد إيقاد	نور ونور فهذا بعد نعمته
فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد	يا صيف انقر بيت المسكرات تخذ

كان في الصرة شعر      فتتظرنا جسوايه  
قد أثبتناك فهـلا      جلب الشرثوايه .»

ويا مؤمل واديم ليسكنه      خف القطين، وجف الزرع بالوادي  
ضلت سبيل الندي بابن السبيل، فسر      لغير قصد، فإيهديك من هاد .»

وفيه يقول :

« أسيت - الاغداة النهر - كونهم      في المنشـ ثبات كأموات بالحداد  
والناس قد ملثوا العبرين، واعتبروا      من لؤلؤ طافيات فوق أزباد  
حط القناع، فلم تستر مخدوة      ومنرت أوجه تمزيق أبراد  
تفرقوا جيرة، من بعد ما نشأوا      أهلا بأهل، وأولاداً بأولاد  
حان الوداع فضجت كل صارخة      وصارخ من مفداة ومن فاد  
سارت سفائنهم - والنوح يقبها -      كأنها إبل يحدو بها الحادي  
كم سال في الماء من دمع، وكم حلت      تلك القطائع من قطعات أكباد  
من لي بكم - يابني ماء السماء - إذا      ماء السماء أبي سقياحشا الصادي .»

وهي طويلة جدا هذا ما اخترت له منها .

« ولما اتصل بزعافة الشعراء وملحنى أهل الكديه ماصنع المتد رحمة الله مع الحصري تمرضوا له بكل طريق، وقصدوه من كل فج عميق، فقال في ذلك رحمة الله .

« شعراء طنجة كلهم والمغرب،      ذهبوا من الاغراب أبعد مذهب  
سألوا العسير - من الأسير - وإنه      بسؤالهم لأحق، فاعجب واعجب  
لولا الحياء وعزة الخيبة      - طلى الحشا - ساواهم في المطلب  
قد كان - إن سئل الندي - يجزل، وإن      نادى الصريح بيا به اركب يركب»

وله في هذا المعنى رحمة الله :

« قبح الدهر، فإذا صمنا      كلما أعطى نفيسا نرعا  
قد هوى - ظلماً - بمن مادته      أن ينادى كل من يهوى لما  
من إذا الفيت همى منبراً      أخجلتها كفسه فاعظما  
من ضمام الجود من راحته      عصفت ريح به فانقشما  
من إذا قيل الخناصم وإن      نطق المافون هما سما  
قل لمن يطمع في نائله      قد أزال اليأس ذاك الطعما  
راح لا يملك إلا دعسوة      جبر الله العفاة الضيما .»

## معارضات الشعراء لابن زيدون (١)

سركم الوصل ظناً لا فقدتكم  
فكان بالوهم موجوداً ومظنوناً  
سرى من المسك عن مسراكم خبر  
بُعَيْدَ عهد هواكم سَيْرُهُ فينا  
أَيَّامَ بدركم يجلو ليالينا  
نوراً وطيبكم يرعى بوادينا  
مهلاً فلم نعتقد دين الهوى تبعاً  
ولا قرأنا بصحف المس تلقينا  
قد نصرف العدل يغويننا ويرشدنا  
وتترك الدار تسلينا وتشجينا  
وتتبع الحى والأشواق محرقة  
تحوم بالماء والأرحام تحميننا  
كواكب بسماء النقع قد جعلت  
لنا رجوماً وما كنا شياطينا

### معارضات أمير الشعراء

اندلسية

« نظم أمير الشعراء هذه القصيدة الرائعة وهو  
متفاد بأسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز ويصف  
كثيراً من مشاهد ومعاهد .

« أولح كثير من الشعراء من قدماء ومحدثين  
بمعارضات ابن زيدون ، ولو أردنا أن تثبت  
معارضاتهم السكتيرة لقصائده المشهورة لاحتجنا إلى  
سفر ضخم فلنجدرى بقصيدة « أبو بكر بن الملح »  
التي ذكرها « ابن بسام » في كتاب الذخيرة من  
القدماء ، وقصائد أمير الشعراء أحمد شوقي بك التي  
عارض بها ابن زيدون . »

### معارضة أبي بكر

قال ابن بسام بعد أن ذكر نونية ابن زيدون التي أولها :  
« أضحى السائى بديلاً من تدانينا » (٢)  
« وهذه القصيدة يحملها فريدة ، وقد عارضه  
فيها جماعة قصرُوا عنه منهم « أبو بكر بن الملح »  
نازعه فيها الراية ، فقصر عن المائة حيث يقول من  
قصيدة أولها . »

هل يسمع أربع شكوانا فيشكينا  
أو يرجع القول مغناه فيغنينا  
ثم استمر في غزلها إلى أن قال :  
يا باخلين علينا أن نودعكم

وقد بعديتم عن اللقيا فحيونا  
ققوا نزرکم وإن كانت فرائدکم  
نزرأ ، ومنكم بالوصل ممنونا

(١) انظر « ص ٤١٢ » (٢) انظر « ص ٤ »

يَانَاثُ «الطلع» أشباه عوادينا  
 نشجى لواديك أم نأسى لوادينا ؟  
 ماذا تقصُّ علينا غير أن يداً  
 قصت جناحك جالت في حواشينا !  
 رمى بنا البين أيسكاً غير ساءرنا  
 أخا الغريب : وظلاً غير نادينا  
 كل رمته النوى ! ريش الفراق لنا  
 سهماً ، وسلّ عليك الين سكيننا  
 إذا دعا الشوق لم نبرح بمن صدع  
 من الجناحين عى لا يلبينا  
 فإن يك الجنس - يابن الطلع - فرقنا  
 إن المصائب يجمعن المصائبنا  
 لم تال ماءك تحنناً ولا ظمأ  
 ولا آدّ كاراً ، ولا شجواً أفانينا  
 تجرّ من فن ساقاً إلى فن  
 وتسحب الذيل ترتاد المؤاسينا  
 أساة جسمك شتى حين تطلبهم  
 فن لروحك بالنطس المداوينا !

\*\*\*

آهًا لنا ! نازحى أيك بأندلس  
 وإن حللنا رفيفاً من روايينا  
 رسم وقفنا على رسم الوفاء له  
 نجيش بالدمع ، والإجلال يذنيننا

لفتية لا تنال الأرض أدمعهم  
 ولا مفارقهم إلا مصليننا  
 لو لم يسودوا بدين فيه منبهة  
 للناس ، كانت لهم أخلاقهم ديننا  
 لم نسر من حرم إلا إلى حرم  
 كالحرم من «بابل» سارت «لدارينا»  
 لما نبا الخلد نابت عنه نسخته  
 ثمائل الورد «خيرياً» و «نسرينا»  
 نسقى ثراهم ثناء ، كلما ثرت  
 دموعنا نظمت منها مراثينا  
 كادت عيون قوافينا تحركه  
 وكدن يوقظن في الثرب السلاطينا  
 لكن مصر وإن أغضت على مقه  
 عين من الخلد بالكافور تسقيننا  
 على جوانبها رفّت تماعننا  
 وحول حافاتنا قامت رواقينا  
 ملاعب مرحت فيها مآربنا  
 وأربع أنست فيها أمانينا  
 ومطلع لسعود من أواخرنا  
 ومغرب لجدود من أوالينا  
 بنا فلم نخل من روح يراوحنا  
 من برّ مصر وريحان يغاديننا  
 كأثم موسى ، على أسم الله تكفلنا  
 وبأسمه ذهبت في اليم تلقينا

ومصر كالكرم ذى الإحسان : فأكهة  
لحاضرين ، وأكواب لبادينا

\*\*\*

ياسارى البرق يرمى عن جوانحنا  
بعد الهدوء ويهمى عن مآقينا  
لما تفرق فى دمع السماء دماً

هاج البكا فحضنا الارض باكيننا  
الليل يشهد لم تهتك دياجيه  
كلّى نيام ولم تهتف بسالينا  
والنجم لم يرنا إلا كلّى قدم

قيام ليل الهوى للعهد راعينا  
كزفرة فى سماء الليل حائرة

مما تردد فيه حين يضوينا  
بالله إن جيت ظلماء العباب كلّى

نجائب النور محدواً ( بجزينا )  
ترد عنك يداه كل عادية

إنساً يمتن فساداً أو شياطينا  
حتى حوتك سماء النبل عالية

كلّى الغيوث وإن كانت ميامينا  
واحزنتك شفوف اللازورد كلّى

وشى الزبرجد من أفواف واديننا  
وحازك الريف أرجاء مورجة

ربت خائل ، وأهتزت بساتينا

قفق إلى النيل واهتف فى خائله  
وانزل كما نزل الطل الرياحينا  
وأس ما بات يذوى من منارلنا

بالحادثات ويضوى من مغائنا  
\*\*\*

ويام مطرة الوادى سرت سحراً  
فطاب كل طروح من مرامينا  
ذكية الذيل لو خائنا غلاتها

قيص يوسف لم نحسب مغالينا  
جشمت شوك السرى حتى أتيت لنا

بالورد كتباً ، وبالريا عناويننا  
فلو جزيناك بالأرواح عالية

عن طيب مسراك لم تهض جوازينا  
هل من ذبولك مسكى نحمله

غرائب الشوق وشياً من أمالينا  
إلى الذين وجدنا ود غيرهم

دنيا وود هو الصافى هو الديننا  
\*\*\*

يامن نغار عليهم من ضمائرنا  
ومن مصون هواهم فى تناجينا

ناب الحنين إليكم - فى خواطرنا -  
عن الدلال عليكم فى أمانينا

جئنا إلى الصبر ندعوه كمادتنا  
- فى الدائبات - فلم يأخذ بأيدينا

وما غلبنا على دمعٍ ولا جلد  
 حتى أتتنا نواكم من صياصينا  
 ونابغى كأن الحشر آخره  
 تميتنا فيه ذكراكم وتحيينا  
 نطوى دجاء بجرح من فراقكمو  
 يكاد في غلس الأسفار يطوينا  
 إذا رسا النجم لم ترقاً محاجرنا  
 حتى يزول ، ولم تهدأ تراقينا  
 بتنا تقاسى الدواهي من كواكبه  
 حتى قعدنا بها : حسرى تُقاسينا  
 يبدو النهار فيخفيه تجلدا  
 للشامتين ، ويأسوه تأسينا  
 \*  
 سقى العهد - كأكناف الرثي - رقة  
 أنى ذهبنا ، وأعطاف الصبا لنا  
 إذ الزمان بنا غيناء زاهية  
 ترف أوقاتنا فيها رياحينا  
 الوصل صافية ، والعيش ناغية  
 والسعد حاشية ، والدهر ماشينا  
 والشمس تحتال في العقيان تحسبها  
 « بلفيس » ترفل في وشى اليانينا  
 والنيل يقبل كالدينا إذا احتفلت  
 لو كان فيها وفاء للمصافينا

والسعد لودام ، والنعمى لو أطردت ،  
 والسيل لو عف ، والمقدار لو دينا  
 ألقى على الأرض حتى ردها ذهباً  
 ماء - لمسنا به إلا كسير - أوطينا  
 أعداه من يمنه « التابوت » وارتسمت  
 - على جوانبه - الأنوار من سينا  
 له مبالغ ما في الخلق من كرم  
 عهد السكرام وميثاق الوفيينا  
 لم يجر للدهر إغذار ولا عرس  
 إلا بأيامنا أو في ليالينا  
 ولا حوى السعد أطفى في أعنته  
 منا جياداً ، ولا أرخى مياديننا  
 نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا  
 ولم يهن بيد التشتيت غالينا  
 ولا يحول لنا صيغٌ ولا خلق  
 إذا تلوت كالحرباء شانينا  
 لم تنزل الشمس ميزاناً ولا صعدت  
 في ملكها الضخم عرشاً مثل واديننا  
 ألم تؤله على حافاته ، ورأت  
 عليه آبناءها القر الميامينا ؟  
 إن غازلت شاطئيه في الضحى لبسا  
 خائل السندس الموشية الغينا  
 وبات كل بحاج الواد من شجر  
 لوافظ القر بالخيطان ترمينا



وهذه الأرض من سهل ومن جبل  
 قبل (القيصر) دَنَاهَا (فراعينا)  
 ولم يضع حجراً بان على حجر  
 في الأرض إلا على آثار بانينا  
 كأن أهرام مصر حائط نهضت  
 به يد الدهر لا بنيان فانينا  
 إيوانه الفخم من عليا مقاصره  
 ينفى الملوك ولا يبقى الأواوين  
 كأنها ورملا حولها التظمت  
 سفينة غرقت إلا أساطينا  
 كأنها تحت لألاء الضحى ذهباً  
 كنوز (فرعون) غطين الموازين  
 ❦  
 أرض الأبوة والميلاد ، طيها  
 مر الصبا في ذبول من تصاينا  
 كانت محجلة فيها موافقنا  
 غرا مسلسلة المجرى قوافينا  
 قآب - من كُرّة الأيام - لاعبنا ،  
 وناب - من سنة لأحلام - لاهينا  
 ولم ندع لليالى صافياً ، فدعت  
 « بأن نعص فقال الدهر : آمينا »  
 لو أستطعنا : نلخصنا الجو صاءقة  
 والبر نار وغى ، والبحر غسلينا

سعيها إلى مصر تقضى حق ذاكرنا  
 فيها إذا ندى الوافى وبا كينا  
 كَنَزْ (بحلوان) عند الله نطلمبه  
 خير الودع من خير اللودينا  
 لو غاب كل عزيز عنه غيبتنا  
 لم يأت الشوق إلا من نواحيننا  
 إذا حملنا لمصر أوله شجننا  
 لم ندر أى هوى الأملين شاجينا  
 زحلة

« وقال معارصاً قصيدة ابن زيدون التي أولها :  
 « ما للدمام تديرها عينك »  
 شيعت أحلامي بقلب باك  
 ولحت من طرق الملاح شباكي  
 ورجعت أدراج الشباب وورده  
 أمشي مكانهما على الأشواك  
 وبجانبي واه كأن خفوقه  
 لما تلفت جهشة المتباكي  
 شاكي السلاح إذا خلا بضلوعه  
 فإذا أهيب به فليس بشاك  
 قد راعه أنى طويت حبائلي  
 من بعد طول تناول وفكاك  
 ويح ابن جنبي كل غاية لذة  
 بعد الشباب عزيزة الإدراك

لم تبقَ منا يا فؤاد بقيَّةُ  
لفتوةٍ أو فضلةٍ لعراك  
كنا إذا صفت نستبق الهوى  
ونشد شد العصبة الفتاك  
واليوم تبعث في حين تهزني  
ما يبعث الناقوس في النساك  
❖

يا حارة الوادي طرمت وعادني  
ما يشبه الأحلام من ذكراك  
مثلت في الذكري هوالك وفي الكرى  
والذكريات صدى السنين الحاكى  
ولقد مررت على الرياض بربرة  
عناء كنت حيالها ألقاك  
ضحكت إلى وجوها وعيونها  
ووحدت في أنفاسها رياك  
فذهبت في الأيام أذكر رفقا  
بين الجداول والعيون حواك  
أذكرت هرولة الصبايد والهوى  
لما خطرت يقبلان خطاك  
لم أدر ما طيب العناق على الهوى  
حتى ترفق ساعدي فطواك  
وتأودت أعطاف بانك في يدي  
واحمر من خفريهما خداك

ودخلت في ليلين فرعك والضحى  
ولثت كالصبح المنور فاك  
ووجدت في كنه الجوانح نشوة  
من طيب فيك ومن سلاف لماك  
وتعطلت لغة الكلام وخاطبت  
عيني في لغة الهوى عيناك  
ومحوت كل لبانة من خاطري  
ونسيت كل تعاتب وتشاكي  
لا أمس من عمر الزمان ولا غد  
جميع الزمان فكان يوم رضاك  
❖  
لبنان ردّني إليك من النوى  
أقدار سسير للحياة دراك  
جمعت نزيلتي ظهرها من فرقة  
كرة وراء صوالج الأفلاك  
نمشى عليها فوق كل فجاءة  
كالطير فوق مكامن الأشراك  
ولو أنّ بالشوق المزار وجدتي  
ملقى الرجال على ثراك الهاك  
❖❖❖  
بنت البقاع وأم برّذونيتها  
طبي كجلق واسكي برداك  
ودمشق جنات النعيم وإنما  
الفيت سدة عدنهن رباك

كالغيد من ستر ومن شباك  
 وكأن كل ذؤابة من شاهق  
 ركن المجرة أو جدار سماك  
 سكنت نواحي الليل إلا أنه  
 في الأليك أو وترأ شجى حراك  
 شرقاً عروس الأرز كل خريدة  
 تحت السماء من البلاد فداك  
 ركز البيان على ذراك لواءه  
 ومشى ملوك الشعر في مفناك  
 أدباؤك الزهر الشموس ولا أرى  
 أرضاً تمخض بالشموس سواك  
 من كل أروع علمه في شعره  
 ويراعه من خلقه بملاك  
 جمع القصائد من رباك وربما  
 سرق الثمائل من نسيم صباك  
 (موسى) بيابك في المكارم والعلا  
 وعصاه في سحر البيان عصاك  
 أحلت شعري منك في عليا الذرا  
 وجعته برواية الأملاك  
 إن تكرمي يا زحل شعري لانتى  
 أنكرت كل قصيدة إلاك  
 أنت الخيال بديعة وغريبه  
 الله صاغك والزمان رواك

قسما لو انتمت الجداول والربا  
 لتهلل الفردوس ثم نمناك  
 مرآك مرآه وعينك عينه  
 لم يا زحيلة لا يكون أباك  
 تلك الكروم بقية من بابل  
 هيهات نسي البالي جنك  
 تبدى كوشى الفرس أقتن صبغة  
 للناظرين إلى ألد حياك  
 خرزات مسك أو عقود الكهربا  
 أودعن كافوراً من الأسلاك  
 فكرت في لبن الجنان وخرها  
 لما رأيت الماء مس طلاك  
 لم أنس من هبة الزمان عشية  
 سلفت بظلك وانقضت بذراك  
 كنت العروس على منمعة جنحها  
 لبنان في الوشى الكريم جلاك  
 يمشى إليك اللحظ في الديباج أو  
 في العاج من أى الشعاب أتاك  
 ضمت ذراعيها الطبيعة رقة  
 «صنّين» و«الحرمون» فاحتضناك  
 والبدر في ثبج السماء منور  
 سألت حلاه على الثرى وحلاك  
 والنيرات من السحاب مظلة

## وقال

« وقال معارضا كافية ابن زيدون التي أولها :

« ودع الصبر محب ودعك (١) »

ردت الروح عَلَى المضى معك

أحسن الأيام يوم أرجعك

مرة من بعدك ما روعني

أترى يا حلو بعدى روعك

كم شكوت البين بالليل إلى

مطلع الفجر عسى أن يطمعك

وبعثت الشوق في ريح الصبا

فشكا الحرقه مما أستودعك

يا نعيمى وعذابى فى الهوى

بعذولى فى الهوى ما جمعك

أنت روحى ظلم الواشى الذى

زعم القلب سلا أو ضيعك

موقعى عندك لا أعلمه

آه لو تعلم عندى موقعك

أرجفوا أنك شاك موجع

ليت لى فوق الضنا ما أوجعك

نامت الأعين ، إلا مقلة

تسكب الدمع وترعى مضجعك



## صفحات من كتاب الذخيرة لابن بسام

فصل في ذكر دى الوزارتين الكاتب أبى الوليد ابن زيدون واجتلاب عيون أخباره ، وفصوص رسائله وأشعاره .

قال أبو الحسن كان أبو الوليد عاية مشور ومنظوم وخاتمة شعراء مخزوم ، أحد من خبر الأيام خبراً ، وفاق الأنام طرا ، وصرف السلطان نفعا وضرا ، ووسع البيان نظماً ونثراً ، إلى أدب ليس للبحر تدفقه ، ولا للبدع تألفه ، وشعر ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزهر اقتترانه ، وحظ من النثر غريب المباني ، شعرى الألفاظ والمعاني . أخبرنى غير واحد من وزراء إشبيلية قال : جلس ابن عبد العزيز من يد عباد ، خلوص الفرزدق من يد زياد ، وبقيت حضرته من أهل هذا الشأن ، أعزى من ظهر الأفعووان وأخلى من صدر الجبان ، فهم باستجلاب ( محمد بن الباسي ) المشهور أمره ، الآتى في القسم الثانى من هذا الديوان ذكره ، فكان أبى الوليد غص بذلك وواطأ أبى محمد بن الجعد على الإشارة بالاستعانة عما هنالك ، فكانت الكتب تنفذ من إنشاء أبى الوليد إلى شرق الأندلس ، فيقال تأتى ماسبيلية كتب هى بالظم الخطير ، أشبه منها بالمشور .

### حظوته عند ابن جهور

وقد أجرى ذكره أبو مروان بن حيان في وصف من كان اصطنع ابن جهور من رجال دولته ، فقال « ونوه بفتى الآداب ، وصدرة الطرف ، والشاعر الديب الوصف ، أبى الوليد أحمد بن زيدون ذى الأبوة السنية بقرطبة ، والوسامة ، والدراية ، وحلاوة المنظوم ، والسلاطة ، وقوة المارضة ، والافتنان في المعرفة ، وقدمه للنظر على أهل الذمة لبعض الأمور المترضة وقصره بعد مكانه من الخاصة والسفارة بينه وبين الرؤساء فأحسن التصرف في ذلك ، وغلب على قلوب الملوك » قال أبو مروان وكان أبو الوليد من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة في أيام الجماعة والفتنة

وبرع أدبه ، وجاد شعره ، وصلا شأنه ، وانطلق لسانه ، فذهب به المعجب كل مذهب وهون عنده كل مطلب ، وكان علقه من عبد الله بن أحمد بن المكري أحد حكام قرطبة ظفر أحجن ، أداه إلى السجن ، فأبقى نفسه يومئذ على أبى الوليد بن جهور في حياة والده أبى الحزم فشفع له وانتشله من نكبته وصيره في صنائعه ، ولما ولى الأمر بعد والده نوه به وأسنى خطته وقدمه في الذين اصطنع لدولته ، وأوسع راتبه وجاهه كرامة لم تقتضه فيما زعموا ، واتفق أن عن له مطلب بحضرة لإدريس الحسنى بمالقة ، فأطال الثواء هنالك ، واقترب من إدريس ، وخب على نفسه ، وأحضره مجالس أنسه ، فكتب عليه ابن جهور ، وصره في السفارة بينه وبين أمراء الأندلس فيما يجرى بينهم من التراسل والمداخلة ، فاستقل بذلك لفعل ما أوتيته من اللس والمعارضة ، فاكسب الجاه والمنفعة ولم يعمده ذلك من التهاوت في الترقى لبعد الهمة ، فهو عفا قليل إلى عباد صاحب إشبيلية اجتذبه إلى ذلك مهاجر عن وطنه إليه ، ونزل على كنفه ، وصار من خواصه وصحابه ، بمجالسته في خلواته ، ويراسل له في مهم رسائله على حاله من التوسمة ، وكان ذهابه لعماد سنة ٤٤١ هـ إحدى وأربعين وأربعمائة . قال أبو الحسن : « فأما سعة ذرعه ، وتدفق طبعه ، وغرارة بيانه ، ورقة حاشية لسانه ، فالصبح الذى لا ينكر ولا يرد ، والرمل الذى لا يحصى ولا يعد . »

### بدايته وتصرفه بفنون القول

أخبرنى من لا أدفع خبره من وزراء إشبيلية قال : « عهدى بأبى الوليد قائما على جنازة بعض حرمة والاس يعزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سمع يحجب بما أجاب به غيره لسعة ميدانه ، وحضور جنازه . » وقد أخرجت من أشعاره التى هى حجول وغرر ونوادر أخباره التى هى مآثر وأثر ، ورسائله

كالدهر إن عض يوما  
أبان فضل الكريم . «

\*\*\*

وأبو الوائد بن زيدون - على كثرة إحسانه - كثير  
الاهتمام في النثر والنظام ، وكتب إلى أبي بكر مسلم  
وهو محتف بقربة بعد فراره من السجن ، فصلا  
من رقة :

« وبلغني أنك أحد اللاتين ومن أمثالهم  
ويل للشحى من الحلى ، وهان على الأملس مالاقي  
الدبر واعتبك على انفصالك عني وترى أنك أحد  
الحنة مي فلم أستدع صبرا ، وعلمت أن العاجز من  
لا يستد فلعله يهجر لاءاله ، ولم أستجر أن أكون  
تلك الأذلين العير والوتد ، وتذكرت أن الفرار  
من الظلم والهرب مما لا يذوق من سنن المرسلين ،  
وقد قال تعالى على لسان موسى : ففررت منكم لما  
حفتكم . مطرت في مفارقة الوطن فـديما ضاع  
الفاضل في وطئه ، وكسد العلق العبيط في معدنه  
كما قال :

« أضيع في معشري وكم بلد  
يكون عود السكباء من حطبه »

فاستحرت الله في إيفاء العزم ، وأنا الآن حيث أمنت  
بعمس الأمن إلا أن السعى لم يرتفع ومادة البغي لم  
تقطع ، وختم رسالته بهذا النظم :

« شحطنا وما بالدار نأى ولا شحط  
وشط - بمن نهوى - المزار وما شطوا . »

\*\*\*

.....  
كان أول هذه القصيدة ناظرا إلى قوله راشد أبي حكيمة  
حيث يقول :

« ومستوحش لم يعض في أرض غربة  
ولكنه من يحب غريب . »  
وبناسبه أيضا قول المتنبي :

« إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا  
أن لا تفارقهم فالراجلوت هم . »

قوله هربت وما للشيب البيت ناقص عن قول المتنبي :

التي أخرست الحفل ، واستوفت أمد المطق الجزل .  
.....  
.....  
.....

وله في ابن جهور ، وكتب بها من السجن :

« ما جال بعدك لحطى في سنا القمر  
إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر . » الخ

وله أيضا قصيدة مريدة خاطب بها ابن جهور وهو  
في تلك الحال من الاعتقال أولها :

« ألم يأن أن يسكن الغمام على مثلي  
ويطلب تأري البرق منصل النصل . »

وفي بي جهور يقول :

« بنى جهور أحرقتم بجفانكم  
جنائي ، فما بال المدايح تعبق  
تعدوني كالعنبر الورد إنما  
تطيب لكم أنفاسه حين يحرق . »  
وأراه توارد في هذين البيتين مع أبي علي بن رشيق  
القيرواني حيث يقول :

« أراك اتهمت أحاك الشفه  
وعندك مقت وعندي مقه  
وأنتى عليك وقد سؤتى  
كما طيب المود من أحرقة . »  
وأخذه ماعا من قول أبي تمام :

« لولا اشتعال النار وبها حاورت  
ما كان يعرف فضل طيب المود . »

\*\*\*

وأنتشدني بعض أهل وقتنا ، وهو أبو مروان بن  
شهاخ لنفسه :

« نواب قاتني ، فأبدت فضائي  
وكانت وكنت النار والعنبر الورداء . »

وليره :

« إن مت النار جسمي  
أبدت طيب نسيم

« إن لا يشب فلقد شابت له كبدي

شيب إذا حصيته سلوة نصلا . »

وقد كرّر هذا المعنى أبو الطيب في مواضع من شعره وكلف به وشعب الكلام فيه فتصرف ، وقد تقدم إنشاده ، ومنه أيضاً قول عبد الجليل المرسى للمعتد ابن عباد :

\*\*\*

« أتتك على خلائها جادى

وإن كان الصياح لها شكلا . »

وكتب أيضاً أبو الوليد بن زيدون من محبه ذلك إلى أبي حفس بن برد بهذه الأبيات :

« ماعلى طيبيّ باس يجرح الدهر ويأسو (١)

ربما أشرف الممر . على الآمال ياس

ولقد ينحك إنفا لـ ويرديك احتراس

والمخازير سهام والمقادير قياس

يا أبا حفس وما ساء لك في فهم إياس

من سنا رأيك لي في غسق الخطب اقتباس

وودادى لك نص لم يحالفه القياس

أذوب هامت بلحى فاتبام وانتهاش

يلبد الورد السدي ولـ بهمد اوتراس

إن أكن أصعبت نـبو ساء ظلاميت احتناس

فتأمل كيف يمشى مقلة المجد الدماس

ويقت الملك في التـرب ميوطا ويداس

لا يكن عهدك ورداً إن عهدى لك آسى

وأردز كرى كئاساً ما امتطت كفك كاسى

ومضى أن يسبح الدهر وقد طال الشماس . »

قوله يلبد الورد السدي البيت كقول النابغة :

« وقت يا قوم إن الليث منقبص

على برائته للوثبة المصارى . »

وأخذه ابن الرومي فقال :

« سكنت سكناً كان وهناً بوئبة

عماس كذاك الليث للوثب يلبد . »

وقوله لا يكن عهدك ورداً من قول العباس بن الأحنف :

« لا تجعلى وصلنا كالورد حين مغى

دا طلعة وأديعى الورد كدلاس . »

كرّره العباس في موضع آخر ، فقال :

« ولكننى شبت بالورد عهدا

وليس يدوم الورد والآس دائم . »

\*\*\*

ما أخرجته من شعر ابن زيدون في النسب وما يناسبه من قصيدة :

« بتم وينا فما ابتلت جوانحنا

شوقاً إليكم ولا جفت ما قينا (١)

لم نعتد بكم إلا الوفاء لكم

رأياً ولم نتخذ غيرة دينا

تكاد حين تناحيكم ضائراً

يقعى علينا الأسى لولا تأسينا

حالت لعمرك أياماً فصدت

سوداً وكانت بكم بيباً ليالينا

إذ جانب العيش طلق من تألفنا

ومورد اللهو صاف من تصافنا

وإذ هصرنا غصون الأس دانية

قدوفها فجينا منه ما شينا

ليسق عهدكم عهد السرور فما

صكتم لأيامنا إلا رياحنا

لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا

إذ ظالمنا غير النأى المحبينا

والله ما طلب أهواؤنا بدلا

منكم ولا اصرفت حكم أمانينا

ياسارى البرق فاد القصر فاسق به

من كالصرف الهوى والوديسقينا

ويا نسيم الصبا بلغ تحيقنا

من لو على البعد حيا كان يحبينا

ريب . لك كأن الله أشاء

مسكا وقد لإنشاء الورى طيناً

(١) أثبتنا هذه الأبيات لاختلاف روايتها من رواية الديوان .

(١) أثبتنا هذه الأبيات هنا لاختلاف روايتها عن رواية الديوان .

إذا تأود آدته — رفاهية —

توم العقود وأدته البرى لينا  
كانت له الشمس ظئرا في أكلته  
بل ما تجسلى لنا إلا أحايينا  
يا روضة طال ما أجنحت لواحظنا  
وردا جلاه الصبا غضا وسرينا  
ويا حياة تملينا بزهرتها  
مى ضروبا ولذات أفانينا  
لسنا نسميك إجلالا وتمكرمة  
وقدرك المعتلى عن ذاك يفتينا  
يا جنة الخلد أبدنا بسلساما  
والكوثر العذب زقوما وغسلينا  
كأننا لم نبت والوصل ثالثنا  
والسعد قد غش من أجفان واشينا  
سيران في خاطر الظلما، يكتننا  
حتى يكاد لسان الصبح يفتينا  
إن أقرأنا الأسي — عند النوى — سورا  
مكتوبة ، وأخذنا الصبر تلقينا  
أما هواك فلم نعدل بمنهله  
شربا وإن كان يظلمنا مبرونا  
لم نجف أفق جمال أنت كوكبه  
— سألين عنه — ولم نهجره قالينا  
ولا اختيارا تجنبناك عن كسب  
لكن عدتنا — على كره — هوادينا  
ناسى عليك وقد حثت مشعمة  
فيما السؤل ، وغنانا مغنينا  
لأ كؤس الراح تبدى من — شمائنا —  
سيما ارتياح ، ولا الأوتار تلحننا  
دوى على الوصل — مادما — محافظة  
فالحر من دان أنصافا كما دينا  
فما استفدنا خيلا منك يصردنا  
ولا استفدنا حبيبا عنك يسلينا  
ولو صبا نحونا من دلو مظلمه  
بدر الدجى لم يكن — حاشاك — يسبيننا  
أبدى وفا ، وإن لم تبدلى صلة  
فأذكر يقنمنا ، والطيف يكفيننا

وفى الجواب متاع إن شفعت به

بيض الأيادى التى ما زلت تولينا

عليك منى سلام الله ما بقيت

صباية بك غفينا فتغفينا . «

وهذه القصيدة بحملتها فريدة وقد عارضه فيها  
جماعة قصروا عنه (١) . . . . .

وله من أخرى أثر نزهة كانت له بعنية الزهراء :

« لئن ذكرتك بالزهراء مشافا

والأدق طاقى ووجه الأرض قدراقا . »

وله من أخرى ، وكتب بها من بطليوس أيام تكرر  
عليها وهي من حرر نظامه وحر كلامه :

« يا دمع صب ما شئت أن تصوبا

ويا مؤادى آل أن تدوبا . »

وله :

« وسح الحق المبين وفى الشك اليقين . »

وقال :

« صحت فصيح بها السقيم ربح معطرة الذميم . »  
وقوله :

« يا ليل طل لا أشتهى إلا كمبرى قصرك

لو بات عندى قرى ما بت أرعى قرك . »

وقوله :

« ودع الصبر محب ودعك

ذائع من سره ما استودعك . »

وقال :

« بينى وبينك ما لو شئت لم يضع

سرى إذا داعت الأشياء لم يدع . »

وبها يقول :

ته أحتبل واستطل أسبر وعز أمن

دول أفبل وقل اسمع ومه أطع . »

أراء احتذى بهذا البيت مذهب أبى العباس الأعرابي :

« فاصدق وعف وفه وانصف وأحتمل

واصلح ودار وكاف واحلم واسمع

والطف ولن وتأن وارفق واتد

واحرم وجد وحام واحمل وادفع . »

كقولك الجن :

« أحل واقفر وضر وانقم ولن واخن

ورش وابن وانتدب للمعالى . »

وهذا البيت صنعه المولودون وعدوه تقسما

(١) وقد أثبتنا بعض هذه المراضات فى ص « ١٠٤ »



وله من أخرى في ابن جهور :

« هذا الصباح على سراك رقيباً

فصلى بفرعك ليالك الغريباً . »

وقال ابن زيدون أيضاً :

« أما وألحاظ مراض صحاح

تصبي وأعطاف نشاوى صواح . »

وفي بي جهور يقول عند نكبة بي ذكوان :

« لولا بنو جهور ما أشرفت هم

عد السوالف في أحيادها تلح . »

قوله في هذه القصيدة إن السيوف إذا ما طاب

جوهرها في أول الطبع لم يعلق بها الطبع ، ينظر

بلحظ صريب إلى قول حبيب :

« والسيف مالم يلف فيه صيقل

من سنحه لم يتففع بصقال . »

وله من أخرى يهوى المعتضد بن عباد بهزعة ابنه

اسماعيل لابن الأنفطس وقتل ولد إسحاق بن عبدالله

في تلك الحرب :

« ليمن الهدى إنحاح سعيك في العدا

وإن راح صنع الله نخوك واغندي . »

وفاة ابن زيدون

وعما يتعلق بذكر وفاة ذي الوزارتين رحمة الله

عليه فصل من تاريخ الشيخ أبي مروان بن حيان

رأيت لإبنته لبيل مسافه ، وحسن اتافه . يقول

فيه ، وفي يوم الاثنين ثلاث عشرة ليلة خلت من

ذي الحجة سنة اثنين وستين وأربعمائة سار

الحاجب سراج الدولة عباد بن محمد إلى إشبيلية الحاضرة

الأثيرة لمطالعتها ، وتأنيس أهلها من وحشة خاضرت

عامتهم من أجل عدوان رحل منهم على يهودى جاء (١)

لأمر جهة السوق عندهم ، فزعم أنه سب

الشريعة فبطش به المسلم وسط السوق وجرحه

وحرك عليه العامة ، فقبض عليه صاحب المدينة

بها عبد الله بن سلام واعتقله فكان لعامة الناس في

حبسه كلام وإكثار خشن ناله ، فخطب السلطان

بقرطبة يعرفه ما كان منه ويستأمره في شأنه ، فجعل

إنفاذ ولده الحاجب سراج الدولة إلى إشبيلية في جيش

(١) في القطعة التالية كثير من الاضطراب وقد

أثبتناها كما هي .

وتقطيعاً وتبعهم المتنبي فقال :

« أقل ائل اقطع احم على سئل أعد

زد هش بش تفضل ادن سرصل . »

ثم زاد المتنبي من هذا وبني حتى قال :

« عش ابقى اسم اسر قد جد

مرانه جد رف اسر بل . »

بينه المعروف . وأحسن لعمرى ابن زيدون في

هذا التقسيم ، ودافع بالحديث في صدر القديم ، ولو

قرع سمع أبى منصور بهذا الشذوذ لما كان عند

ابن وسكير بمذكور ، ولا أغرب بفرائب الصاحب

ولا بيدائم البديع . ومن شعر أبى الوليد في

النسيب السائر العريب الطيار المليح الخفيف

الروح قوله :

« أما رضاك ففىء ماله ثمن

لو كان سامحنى في ملكه الزمن . »

وقال من أخرى :

« أنت معنى العصى وسر الصلوع

وسبيل الهوى وقصد الدموع . »

وقال :

« غريب بأرض الشرق يشكر للصبا

تحملها مى السلام إلى الغرب

وما ضر أنفاس الصفا في احتمالها

سلام ففى يهديه جسم إلى قلب . »

وهذا مقول من قول العباس بن الأحنف حيث يقول :

« تالله ما شطت نوى ظاعن

سار من العين إلى القلب . »

وقال أبو الوليد من أخرى :

« ساحب أعدائى لأنك منهم

يا من يصح بقلتيه ويسقم . »

وقال من قصيدة :

« أما في نسيم الريح عرف معرف

لنا هل لذات الوقف بالجزع موقف . »

وقال أيضاً أبو الوليد من جملة قصيدة :

« يا أيها الملك الذى تدبيره

أضفى لملكه الزمان ملاكا . »

عليه، إذ كان منهم متمسبا له، هاريا إليهم، حديا عليهم وليجة خير بينهم وبين سلطانهم الحديث الولاية، فصار مصابه كفا فيه من تأمليهم والبقاء لمن تفرد به وحده لأرب غيره ولا جرم إذا أعز الله إخوانه بابتدار بقاء قتاه النذب أبي بكر ولده ساد أمثله ساميا مسما عاتطا هداه طاطيا منتهاه بأبوة صدق يجرى إلى العلى بضيفه من سباحة ودماثة وحصافة ونزاهة ومعرفة ووفور حظ من أدب بلاغة وكتابة وشركة في التعاليم العلية واشتداد في رعاية متقدم الذمة لم يفقد إخوان أبيه معها إلا غيبته خلال حر كن حاله عما قليل بعد أبيه عند سلطانه قسطنطين السياسة فاستصر في استحضاره وأدناه من احتياجه ورقاه في مراتب والده منتقلا له في درجتها راضيا بلاءه فيما فاطه به منها حتى فرع ذروتها عما قليل فأحظاه بالوزارة وصيره وزيرا لحضرته الأئمة اشبيلية وجمع له أعظم خططها العلية معاطس السادس من قوام الملكة خطة ولاية المدينة وواتاه الزمان، والله يؤتى فضله من يشاء له الفصل والامتنان .

وقال :

« لا طار لي حظ إلى غاية

إن لم أكن ملك مريض الجناح  
وعتباك بعد العتب أمنية

مالي على الدهر سواها اقتراح  
لم يثنني عن أمل ما جرى

قد يرتع الحرق وتؤسى الجراح  
فاجهد بحمي الرأي عن يريح

منه العدا بكل شاكى السلاح  
واشفع فللتافع ندمي بما

تمر من عقد وثيق الزواج  
إن سحاب الأذى منها الحيا

والحمد في تأليفها للرياح . »

وكان القاضي أبو بكر بن دكوان أجل من اشتغل عليه أوان مجدا وشرفا ونفعا في العلم وتظرفا مع دعاية حين خلواته تحمل حي المحتبي ورفاقه هند شواته كالتنوخى والمهلبى، فإذا أصبحوا بكر أبو بكر إلى مصادرة ما يتجه عليه الحكم ومواجهته وأذكر

كثيف من نجة غلمانه ووجوه رحاله لمشاركة القصة والاحتياط على العامة، نفذوا معه وسط هذا اليوم وأنفذ معه ذا الوزارتين أبا الوليد بن زيدون أحد الثلاثة أكابر وزرائه المثناة وزارتهم محمد دولته أزمه النفوذ مع الحاجب على بقية وعك متألما منه ولم يعذره في التوقف لأجله، فقصى لطيفته مساقا إلى منيته وخلف ولده أبا بكر القند الوزارة المترسة بالكتابة، ورآه سادا مكانه بالحضرة، فأقر فيها أياما، ثم أمر بالمسير وراء والده لأمر كلفه أعجل بالانطلاق له، فقصى نخبه غداة يوم السبت لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وستين بعد ما، ثقلت منهم منازلهم بقرطبة وصيرت إلى سواهم، فتحدث الناس بسبق مكان الأدب ابن زيدون لدى السلطان وإن استمسكه لعلى مرتبة بمدح محضه المعتضد بالله . كان من الاعتماد على الله رعاية لخصوصية أبيه به يعص باستمرارها تقناد المختصان به الحظيان لديه المستهمان لخاصته ابن مرتين وابن عمار إلى أن عملا في إبعاده وإبعاد ابنه الرقيب بعده فأمضى خلفه، فعندها استساعا غصته، واستهلا مكانه، واحتويا على خاصة السلطان، وتدير دولته، ولكل دولة رجال، ولكل مكتب إبدال، ولم يطل الأمد لابن زيدون بعد لحاق ابنه به، ووجدانه إياه متزايدا في مرضه، نازعا عن الآلة على جهده في استدعائها على انتهاء المدة، واستهاك القوة، فاستقر به وجعه إلى أن قضى نحبه، وهلك بدار هجرته اشبيلية صدر رجب سنة ثلاث وستين، فدفن بها مشهودا مفتقدا، واحتوى ترابها عليه، فباعد ما بين قبره وقبر أبيه لذيلا رحمة الله عليهما فقد تولى من أبا الوليد كهل لن يخلف الدهر مثله جمالا وبيانا وبراعة وسلطانا وظرفا وحولولا من مراتب البلاغة نظما ونثرا بمرقة لم يخلف لها مدد عاطيا بقرانه بين الكلامين وبراعة في الفنين إلا أن يكون عند أولى التحقيق والتحصيل في النظم أمد ظمنا، واحت عقاء فلا يلحقه فيه تقصير ولا يخفى رهقا مشهوده في الفنين عسودل مقانع حضور هند أمل المعرفة، ولما اتصل خبر هلكه بمسيرته أهل قرطبة شيعوه وبكوا لفقدته وحزنوا

ما كان عليه من فكاهته فكأنه في بردية الامام  
وكانه وقار بديل أو شمام مع عدله في قضائه وإنما  
الحكم بمقتضى الحق وإمامته حتى إذا راح الرواح  
عادوا إلى القصف وتجاروا في ميدانهم كل وصف  
إلى أن اختلس أبو بكر منها وتقلس ذيل وؤاسته  
عنها ، فاعتاض عنه بسواه وأفاضاً فيما كانوا فيه  
وما تمدياه ، واتفق أن سر يوماً بقبوره في لمة من  
إخوانه وجاعة من عمار ميدانه فمطفوا عليه مسلمين  
ووقفوا عليه متألمين ، فقال أبو الوابد :

« يا قبره العطر الثرى لا يبعدن

حلو من الفتیان فيك حلال »

وله :

« على داره الشرق مى تحية

زكت وعلى وادى المقيق سلام »

وله :

« خليلي لافطر يسر ولا أضحي

فما حال من أمسى مشوقاً كما أضحي »

وله يرثي :

« أعباد يا أوى الملوك لقد عدا

صليك زمان من سحيته الغدر »

ونلمع من خبر هذه الواقعة بلحمة . قال أبو مروان  
في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة أوقع ابن عباد  
بإبن الأفطس إلى جنب يابرة ، وكان سبب هذه  
الحرب أن فتح ابن يحيى صاحب لبلة يؤمئذ خليفة ابن  
الأفطس وإلى آل عباد للضرورة فكاشفه ابن الأفطس  
وخانه فيما كان اتهمه عليه من ماله الصامت عند  
ما حمله إليه وديعة عند تورطه في حرب ابن عباد قبل  
فأبثت بينهما العصمة ، وأرسل ابن الأفطس في  
ذلك الوقت خيله للضرب على ابن يحيى فاستغاث عباد  
فأرسل إليه خيلاً منتقاة فلحقت الحيل الأفطسية وهى  
قد شنت الغارة على لبلة ، فكرت عليهم إذ كانوا  
ضعفهم واسترسلوا في اتباع الباديين ولا يشعرون ،  
فإذا بعباد بمحلمته في كمين قد خرج أثرهم فدهشوا  
وولوا الأدبار ، فركبهم السيف ، وبذل عباد المال  
في رؤوسهم ، وكانت ثقة خيل ابن الأفطس وأبطال

وحاله نحر لعباد من رؤوسهم مائة وخمسين رأساً  
ومن خيلهم مثلها فقس جناح قرنه وأبقى حماة رجاله  
ثم إن عباد أثر ذلك جمع حلفاء خيله وقود عليها ابنة  
إسماعيل مع وزيره ابن سلام ، وخرج نحو بلاد  
ابن الأفطس يابرة وقد استدعى أيضاً ابن الأفطس  
خليفته إسحاق بن عبد الله فلحقت به خيله مع ابنة  
أبي الزبد أن حج ابن الأفطس بقايا جيشه من  
هزيمتهم المتقدمة الذكر ، وأخرج كل من قدر على  
ركوب دابة من البياض بيلده وحشد من رجال البوادي  
بعمله خلقاً كثيراً وأقل بمجمعه هذا المنحوب ليدفع  
خيل ابن عباد عن بيلده يابرة ، وقد كان برابرة  
خليفته إسحاق في عسكره قالوا له لا تلقهم فلت  
تعرف قدر من زحف تحوك ونحن رأيناهم وسعنا  
بجمعهم بإشبيلية فلم يسمع منهم ومضى ، فالتقى  
المريقان من غير نزول ولا تمبئة فاختلفوا واجتلدوا  
ملياً لحقق الباديين الضراب . وتابوا الشدات لحاد  
البرابرة عند أصحاب إسحاق ، وانهمزم ابن الأفطس  
وحمل السيف على جميع من معه ، فاستأصاهم القتل  
وقتل ولد إسحاق وجز رأسه وبعث إلى إشبيلية  
مع رأس ابن عم ابن الأفطس صاحب يابرة  
يدعي «سيد الله الحرار ونجا ابن الأفطس في خيله  
إلى يابرة . قال أبو مروان وأقل ما سمعت في  
إحصاء قتلى هذه الواقعة ثلاثة آلاف فأزيد  
وأخبرني من أتق به أن بطبوس بقيت خالصة  
الدكاكين والأسواق من استئصال القتل لأهلها  
في وقعة ابن عباد هذه بفتيان أعمار الباء الشيوخ  
الكهول الذين أصدوا يومئذ فاستدلت على مشو  
المصيبة ، وجزع إسحاق بن عبد الله بمصائب ابنه  
ولم يستجبر لفضده عباد في طلب رأس ابنه ، فإن  
عباداً أضافه إلى رأس جده محمد بن عبد الله بإشبيلية  
انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسام ولم يزل الرأسان عند آل عباد مع هذه  
رؤوس أهدتها الفتنة المديرة حتى تمت إشبيلية على الأمير  
الأجل سير بن أبي بكر الجنى . بجواقى مقتل مختوم عليه ،  
مأسر بفتحها ، لا يشك أنه مال أو ذخيرة غادا هو ملو

من الرؤوس فأعظم ذلك وهاله ، وأسر برفع كل رأس  
منها إلى من أتى من عقبه بالحضرة . حدثني من رأى  
رأس يحيى بن عليّ الحمودي ثابت الرسم غير متكلم  
الشكل فدفع إلى بعض ولده فدفعه .

وقال ابن زيدون في ابن جهور من قصيدة أولها :  
« أجلى إن ليلى حيث أحيأوها الأزدي »

مهاة حمتها في سرايضها الأسد »

وكان ابن جهور يومئذ كسر دنانجر الحر ، وكان  
أيضاً يومئذ لئيل ذلك عبد الرحمن بن سعد المصفر  
شعر أوله :

« كسرت لجبر الدين أوعية الجمر »

فأحرزت خصل السبق في الكسر والجبر »

صمدت إلى الشر الذي جمعوا »

ففرقت منه فاسترحنا من الشر . »

في أبيات غير هذه استبردت جملتها وإنما ذهب  
إلى عكس قول من تقدم من أعيان الشعراء من ذم  
صب الشراب ، ومن أشهره قول بكر بن حارثة  
الكوفي وقدرأى من سلطان وقته مثل ذلك فقال :

« يا لقومي لقد جنى السلطان »

لا يكن للذي أهان الهوان . » الخ

وبلغني أن الجاحظ أنشد هذه الأبيات ، فقال المنشد  
من حق الفتوة أن أكتبها فائماً وما أقدر إلا أن  
يصدني للمرس به ، قال المحدث فأعجبت به ، وقام  
يكتبها ، وكان بكر بن حارثة هذا مولى بني أسد  
طيب الشعر حليماً ماجناً ، وكان يألّف مدهداً يأتيه  
كل يوم في موضع يعنيه شراباً فلا يزال يشرب على  
مسبوتة إلى أن يسكر ، وكان أيضاً يهوى غلاماً  
نصرانياً وهو القائل :

« زناره في خصره معقود »

كأنه من كبدي مقدود . »

وبكر القائل :

« قلبي إلى ما ضرتني داعي »

يكتر أسقامي وأوجاعي »

كيف احتراسي من عدوي إذا »

كان عدوي بين أضلاعي . »

ولصالح ابن حبيد في ذلك :

« ليس همي ولا طويل انتعابي »

لمثيب أوال عني شـبابي . »

رجع وقال ابن زيدون يرثي :

« انظر لحال السرو كيف تحال »

ولدولة العلياء كيف تـدال . »

وله من أخرى مما وجدته بخط ابن حيان يرثي  
أبا الحرم ابن جهور :

« ألم تر أن الشمس قد ضلها القبر »

وإن قد كفنا فقدنا القمر البدر . »

وله من أخرى في هذا المعروض ، وقد تكرر فيها

بعض أبيات القصيدة الأولى ورثي بها أم أبي الوليد

ابن جهور يقول فيها :

« هو الدهر ، فاصبر للذي أحدث الدهر »

فمن شيم الأحرار في مثلاً . الصبر . »

إلى أبيات غير هذه من سائر أبيات القصيدة استمر

فيها بالتقديم والتأخير والتأنيث والتذكير رثي بها

آخرها عبادا المعتصم ، وجمل أول قصيدته قوله :

« هو الدهر فاصبر للذي أحدث الدهر . »

ثم أتبعه بقوله :

« حياة الوري نهب إلى الموت مهيج »

لهم فيه إيضاح كما يوضح السفر . »

يتلاعب أبو الوليد بهذه القصيدة تلاعب الحطيئة بنسبه ،

ويتصرف تصرف أبي حنيفة في مدهبه ، فأنت وذاكر

وقدم فيه وآخر . قال أبو الـلاء :

« رب لحد قد صار لحداً صراراً »

صاحكاً من تراحم الأضداد . »

وبلغني أنه وجد لابن زيدون إثر موت عباد شعر

يقول فيه :

« لقد سرنا أن النني موكل »

بطاغية قد حم منه حمام »

تجانب صوب المزن من ذلك الصدى »

ومر عليه الديث وهو جهام . »

وقال يخاطب الوزير أبا عامر بن عبدوس من

قصيدة أولها :

ونخل من سيف الفدير  
 فيضة القتل الطليل  
 والروض ممتور تم  
 (م) عليه أنفاس القبول  
 والشمس نرمقها خلا  
 له العيم عن طرف كليل  
 ابان يحدو الرعد من  
 ورق السحاب كالحول  
 ويتركف البرق في الـ  
 آفاق صهفة النصول  
 زمن سبكيه الجا  
 م ممي وتذمل عن هديل  
 يا برق أودية المني (١)  
 تفديك نقي من رسول  
 عرج بشلب يحيا  
 ما شئت من تلك الطلول  
 والمع على شرفات حمـ  
 من قراوة العرف الأنيل  
 فاذا جلاك أبو الوليد  
 سد بناظر اليفط النبيل  
 فاقراه من قبلي سلا  
 ما يقتضى حسن القبول  
 يا غرة الزمن البهم  
 (م) وعزة الأدب الذليل  
 وعكم العلم القصـ  
 ير على شبا الرمح الطويل  
 أعلمت أنى خادم  
 فذكراك بالشكر الجليل  
 لم أستحل مما عهد  
 ت مع الزمان المستحيل  
 شفع عنايتك الجليل  
 سلة بي لدى الملك الجليل

(١) وفي الأصل : أودية التي .

« أثرت هزير الشرى إذ ربض  
 ونهته إذ هذا فاعتض . »  
 ومما أغفله ابن بام من نسيب أبي الوليد الصحيح  
 الأقسام ، النازح عن الاطماع والأوهام ، المصدق  
 قول الجفريه فيما ينص من الإلهام قوله :  
 « لئن قصر اليأس فيك الأمل  
 وحال تخنيك دون الحيل . »  
 وقوله أيضاً :  
 « فديتك ليس لي قلب فأسلو  
 ولا نفس فأقف إن جفيت . »  
 وقوله :  
 « أنى أصيغ عهدك  
 أم كيف أخلف وعدك ؟ »  
 ولأبي بكر بن صمار يخاطب أبا الوليد بن زيدون  
 رحمه الله :  
 « كيف اهتزت على الدليل  
 وقطعت أسباب الوصول  
 وقتلتني ، وزعمت أن  
 الدنب متى للفتيل  
 وعليك' حاهدت العدا  
 وإليك ملت عن العذول  
 يا فاني ومـدامي  
 في صفحتي أهدى دليل  
 ما أليق الفمل الجليـ  
 ل يدلك الوجه الجليل  
 فبرزت في خلق الكريـ  
 م وراءه خلق البخيل  
 ودعوتني حتى أجبت  
 لك ثم حدثت عن السبيل  
 جد بالقليل فليت نفـ  
 سي منك تقنع بالقليل  
 واذكر حلي زمن قطنا  
 . بصافية شـمول  
 إذ نسحب الأذيال ما  
 بين الخليج إلى النخيل

وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطبة امتدى  
لأحرار المصير ، وفتاؤها ملعباً لجياد النظم والنثر  
يمشوا أهل الأدب إلى ذنوب غربتها ، وبتهالك أفراد  
الشعراء على حلاوة عشرتها ، إلى سهولة محابها ،  
وكثرة متابها ، تغلظ ذلك بعلو نصاب ، وكرم  
انساب ، وطهارة أثواب ، على أنها سمح الله لها ،  
وتفقد زلالها ، ظرحت التحصيل ، وأوجدت إلى القول  
فيها السبيل ، لذة مبالاة ، ومجاهرتها بلذاتها ، كتبت  
— زعموا — على أحد عاتق قوسها :

« أنا والله أصلح المعالي

وَأَمْشَى مَشِيَّتِي وَأَنْبَهَ تَبَاهِي . «

وگفتت علی الآخر :

« أَمَّا عَاشِقِي مِنْ لَمِ خَدِي

وَأَعْطَى قَبْلَتِي ، مِنْ يَشْتَهِيهَا . »

هكذا وحدث هذا الخبر ، وأبرأ إلى الله من عهده  
ناقله ، وإلى الأدب من غلط العمل إن كان وقع فيه ،  
ولها مع أبي الوابد أخبار طوال وقصائد وفوت إحصاؤها  
ويشق استقصاؤها - وأما دكا ، حاطرها ، وغزاره  
نوادرها ، فأية من آيات فاطرها - صرت بالوزير  
أبي عامر بن عبدوس المتقدم الذكر ، وكان بقرطبة  
أحد أعيان مصر ، وبعض من هندي باسمها ، وقصر  
على حكمها ، وأمام داره بركة تتولد على كثرة  
الأمطار ، وربما استمدت بشيء مما هنالك من الأقدار  
وقد اشترى أبو عامر كيه ، ونظر في عطفه ، وحشر  
أعوانه إليه ، فقالت له أبا عامر :

« أنت الحبيب وهذه مصر »

فتدققا ، فکلا کا بحر . »

فتركته لا يحير حرفا ، ولا يرد طرفا ، وطال عمرها  
وعمر أبي عامر حتى أربيا على الثمانين وهو لا يدع  
مراسلتها ، ولا ينفل مواصلتها - وتحيف هذا  
الامر المستطيل حال ولادة ، فكان يحمل كلاهما ،  
ويرقع ظلما ، على خوف واديه ، وحمود روائحه  
وغواديه ، أتراجيلا أبقاء ، وطلقا من الظرف جرى  
إليه حتى استوفاه - وكانت - زعموا - تعرض أربابا من  
الشعر ، وقد قرأت أشباه منه في بعض التعليل  
أضربت عن ذكره ، وطوبته بأسره ، لأن أكثره

ولئن أحببت لراغب

**وأقلت عشرة مائة قیل**

يا أنس بدر في الظلا

م ويدر ظل في المقيل

فلا لكم آية مثلهما

—وهي العنيفة— في مثيل. »

ولاین زیدون يتغزل فی ولادة :

« يا نازحا ودعير القلب مشواه

أنتك دياك عبداً أنت مولاه . »

وله يتشوق إليها :

«غريب بأرض الشرق يشكر لأصبا»

نَحْمِلُهَا مِنْهُ السَّلَامَ إِلَى الْعَرَبِ

وما ضرر أنفاس الصفا في احتياها

سادم فتی پیدیدہ جیمہ الی طلب . ۵

وله :

« أيوحشي الرمان وأنت أسي

ويظلمني النهار وأنت شمسى .»

: ۱۷۰

« ولقد شكوتك بالخبير إلى الهوى

ودعوت من حلق عليك فأمننا . »

وله يتغزل ويعاتب ويتسمطف ويستنزل :

« يا مستحقاً بعاشقيه ومستغنياً لنا صحبيه . »

وكتب عن المعتضد إلى صهره الموفق أبي الجيوش  
ابن مجاهد :

«عرفت عرف الميا إدمب عاظمه.

من أفق من أنا في قلبي أساطير

أراد تجديد ذكراه على شحط

وما تيقن أن الدمع ذا كره.

نای المزار به والدار دانیه

يا حبذا الفال لو صحت زواجه

خلي أبا الجيش هل يقضى اللقاء لنا

فبستني منك قلب أنت هاجر . »

قال ابن إسحاق : وأما ولادة التي ذكرها ابن زيدون في شعره فإنها بقت محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله الناصري ، وكانت في نساء زمانها ، واحدة أو أنها حضورشاهد ، وغزارة أرايد ، وحسن منظر ومخير

عاصر الحولة ضد القتيبة عبد الرحمن المستظهر في الأدب والمعرفة ، وكان افتتح هذه السنة المؤرخة القاسم بن حود بخلافته وآخرها محمد هذا المذكور وكان بينهما عبد الرحمن المستظهر فتصرفت تلك السنة المكرة على ثلاثة حلقات ، وهذا من غريب الأنباء والله البقاء السرمدي ، وقد محمد هذا الأمر ولم يكن من أهله ، فتأق جميع الناس بالأياس واستمالهم بالأهوية ، ورأى أن المال عزيز ، وأن الشر رخيص يقوم مقامه ، وبشوب منابه ، وكان يقول للناس أجمعين ، ارتعوا كيف شئتم ، وارقبوا بما أحباكم من الخطط فتسبى بالوزارة في أيام مفردة وشاة أراذل الدائرة ، وأحابت النظر فسلوا من رعائف المكتاب والخدمة ، وأما الشرطة العليا ومادونها من رقيم المنازل ، فحباها أكثر من التحار والعامية ، واشال الناس على ابتغاء هذه المنال عند السلطان الطماعية في كرة الدولة ففسوا بأبه وعمرها فساء ، وتملأوا بالمنى ، فلما استلبوا ضعفه وقصوا خططهم ، وتبرأ كثير منهم منها ، وأسم أنه لم يتقدمها ولا سيما عند تكرار التفسير عليهم لاعمارة عند إلحاح الإضافة ، فخرت بعضهم عند الانتهاء عن تلك الخطط فوادر ظريفة مصحكة وانتهى هذا التنويه العام بهذا المسلك الهام إلى أن فصله أيضاً في طبقات أهل العلم فأسم منهم الفقهاء ، فأثر العلية منهم المشاورين أصحاب العمون بالارواء إلى خفة الوزارة خالطاً لهم فيها بما ذكرناه من رطاف الخدمة وكبار الدائرة ، وجاء في ذلك بطامة لم تسمع في الأعصر الحالية فأخطأوا وألحقوا بالدين وصحته ، وطلبوا زيادة المقتل على العامة ، فافتقروا بهذه الحطة وشدوا أيديهم عليها ، وهجروا من خطتهم في الخطاب عنها مفرطين بما يعاب من ذلك إلى أن مضوا لسبيلهم ، وارتقى المستكن أيضاً بكثير ممن يحمل الحابر ، ويدرس مسائل الدفاتر ، من أصاغر الطائفة المعقبة إلى ما بلغت عليهم من منزلة الشورى ، فوسم كآتهم بوسم الفتوى فأسرف في ذلك حتى بلغ عددهم

ليس له عندي إعادة ولا إبداء ، ولا من كتابي في أرض ولا سماء ، ونشير هنا بقى من أخبار أيها المستكني مدا لأطناب الآداب ، ووفاء بشرط الكتاب ، نسخته من كتاب ابن حيان : هو محمد بن عبد الرحمن بن حيدل الناصري ، بويج يوم قتل عبد الرحمن المستظهر يوم السبت ثلاث خلون من ذى القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة ، فتسبى بالمستكني بالله ، أسما ذكر له فاختاره لنفسه ، وحكم سوء الاتفاق به لما كتبه لعبد الله المستكني العباسي أول من تسبى به في اسمه ووجهه وتخلفه وضمفه بل كان هذا زائداً عليه مقصراً عن خال ملوكية كانت في المستكني سبيه لم يحسنها محمد هذا لفرط تخلفه على اشتباههما في سائر ذلك كله من نوبتهما بالفتنة ، واستظهارهما بالفسقة ، واعتداء كل منهما على ابن عم دى رحم ماسة ، وتوسط كل منهما في شأنه بأمرأة خبيثة ، فلذلك حسناء التيرازية ، ولهذا ابنة عسكري المروزية ، فأصبعا في ذلك على فرط التباين عبرة ، وقال صاحب قط العروس : ومن عجب اتفاقهما في الأخلاق ، وفي السر واللقب وأن كل واحد منهما خلق عن الأسر ، وكل واحد منها تركه أبوه صغيراً ، ولم يمكن محمد من هذا الأسر في ورد ولا صدر ، إنما أرسله الله على الأمة محنة وبليّة ، إذ كان منذ عرف غفلا عطلا منقطعاً إلى البطالة ، مجبولاً على الجهالة ، طاطلا عن كل خلة تدل على فضيلة ، عضته الفتنة فأملق حتى استبجاز طلب الصدقة ، وهان حتى أهانه أهله على ما لهم من المنة رأيتهم أيام الحسف بأهل بيته في الدولة الجردية ، ولم يكن ممن لحقه الاعتقال منهم ركاً كتبه — يقصد أهل الفلاحة يومئذ بقرطبة أو أن ضمهم لفلانهم يسألهم من زكاتها تكليماً ومخاطبة ، وبالجملة في تلخيص التعريف بأسره أن أجمع أهل التحصيل أنه لم يجلس في الإمارة منذ تلك الفتنة أسقط منه ولا أنقص إذ لم يزل معروفاً بالتلف والركاكة ، مشتهراً بالشرب والبطالة ، سقيم السر والملاية ، أسير الشهوة ،

فلما طوى النهار كافوره ، ونشر عيره ، أبلت بقدر  
كالقصيب ، وردف كالكتيب ، وقد أطبقت ثرجس  
المقل ، على ورد الحجل ، فلما إلى روض مديح ، وماء  
سحسح ، قد قامت رايات أشجاره ، وفاضت سلاسل  
أنهاره ، ودرّ الطلّ منشور ، وجيب الراح ضرور  
فلما شبتنا نارها ، وأدركت فينا نارها ، برح كل منا  
بحبه ، وشكا إليه ما بقله ، وبتنا بيلة نحى الخوان  
الثبور ، وتقطف رمان الصدور ، فلما انفصلنا منها  
صباحاً ، أنشدتها ارتياحاً :

« ودع الصبر بحب ودعك

ذاثماً من سرّ ما استودعك . »

قال أبو الوليد وكانت عتة قد غننا :

« أحببتنا لاني بلفت مؤملي

وساعدني دهرى وواصلني حي

وحاء يهينني البشير بقره

فأعطيته نفسي ، وردت له قلبي . »

سألها الإعادة بيسير أسر ولادة ، فجفا منها برق  
التبسم ، وبدا عارض التجهم ، وعانبت عتة :

« وما ضرت عتي لذنب أنت به

ولكننا ولادة اشتهت ضربى

فقامت تجر الدبل عائرة به

وتسح طل الدمع بالغم الرطب . »

فبتنا على العتاب ، من غير اصططاب ، ودم المدام  
مسفوك ، وما بدا لاهو متروك ، فلما قامت خطباء  
الأطيار ، على منابر الأشجار ، وانفت من الاعتراف  
وبأكرت إلى الانصراف ، وشت بمسك الأهاس  
على كافور الاطراس :

« لو كنت تنصف فى الهوى مايتنا

لم تهو جاريتى ولم تنخير

وتركت غصناً مشراً بجماله

وجنحت للفصن الذى لم يشر

ولقد علمت بأننى بدر السما

لكن دهيت لشقوتى بالمشتري . »

قرطبة يومئذ الأربعين ، وذلك مما لم يعمد فى  
العابرين ، وكثر الإرجاف بتغير رجال الدائرة ،  
فاضطرت قرطبة لكثرة ما فيها من المردة ، فقبض  
على جماعة من بنى عمه وحاشيته منهم على بن أحمد  
ابن حرم وابن عمه عبد الوهاب المتفدى الذكر  
سحوا بالمطوق ، ثم عاجل المستكى ابن عمه عبد العزيز  
المراقى ثقف وأمسى ميتاً وماء إلى الناس فلم يسهل عليهم  
أغبياله ، وفى أيام المستكى هذا استؤصل بقية قصور  
حدده الناصر بالخراب ، وطلمست أعلام قصور  
المرء ، واقتلع نحاس الأبواب ورصاص القنى  
وغير ذلك من الآلات ، وطوى بخرابها ساط الدنيا ،  
« تدر حسنها إذ كانت له جنة الأرض فعدا عليها قبل  
تمام المائة من كان أصعب قوة من قارة المسك ،  
وأوهن بيتا من بقعة النمرود ، والله يسلم جنوده على  
من يشاء له العزة والخير ، ولما كاب ستة  
ست عشرة وتحرك يحيى بن جود إلى قرطبة ، وضغف  
أسر المستكى ، اتفق الملائ على خلعهم ودخلوا عليه  
وقالوا : لقد علم الله اجتهدنا فى تثبيتك ، فاعتصم  
ذلك علينا ، واضطرتنا إلى مقاربة عدونا وهانحن  
خارجون إليه ، ولا تدرى ما يحدث عليك بعدنا  
فإن لك لك السكر فلا تيأس ، فجع اليوم غد ،  
بأجل الرد ، واستشعر الدل ، واهتبل  
الدرة ، وعزم على الهرب ، فخرج على وجهه  
وقد لبس ثياب الغانيات ، متنقباً بين امرأتين لم يعز  
منهن لمراسه على التحيث ، وخرج عن قرطبة ،  
فكانت دولته تسعة عشر شهراً  
صماباً فكندات سوداً مشومات مشومات انتهى  
ما لحصته من كلام ابن حيان . قال أبو الوليد :  
كنت فى أيام الشباب ، وغمرة التعابى هائماً بغادة  
تسمى ولادة ، فلما قدم اللقاء ، وساعد القضاء  
كتت إلى :

« ترقب إذا جن الظلام زيارتى

فإنى رأيت الليل أكرم للسر

وبى ملك مالوك بالبدر ما بدا ،

وبالشمس لم تطلع ، وبالنجم لم يسر . »



## صفحات من كتاب نفح الطيب

الريان، مايزأبنواعس الأجهان، وقد انوا الانعراج  
لاهو والطرب والتزده في روضى النبات والأدب،  
ومثوا صاحباً لهم يسمى ( خليفة ) هو قوام لنتهم  
وضام مسرتهم ليأتيم بييد يدهبون لهم بدسبه في  
لجس زجابه، ويرمونه منها بما يقتضى تحريكه  
فهرب عن اقلوب وإزطاحه، وجلسوا لاشفاؤه،  
وترقب عرده على آثاره، فلما انصروا به مقلا من  
أوله انفع بادروا إلى لقائه، وساروا إلى نحوه  
وتلقائه، واتفق أن فارساً من الجدر رك مرسه  
مصدمه، ووطأ عليه فهشم عظمه، وأجرى دمه  
وكسر قصال النبيذ الذى كان معه، ومرتق من  
شملهم ما كان الدهر جمعه، ومضى على غلوانه  
راكصا حتى خنى عن العين حائماً من متعلق به يحين  
بتلقه الحين، وحب وصل النورراء إليه تأسموا  
عليه، وأماسوا في ذكر الزمان وعدوانه والخطب  
وألوانه، ودخله بطوام المضرات على تمام المسرات  
وتكديره الأودت للسمات بالآفات المؤلماء، مثال  
ابن زيدون :

« ألهو والخروف بنا مطيعه

ودأى والمون لنا محيفه . »

فقال ابن خلدون :

« وفى يوم وما أدراك يوم

معنى قصاليا ومعنى حليمه . »

فقال ابن عمار :

« هما نغارتا راح وروح

تكسرتا فاشقاف وحيمه . »

وكتب الوزير الشهير أبو حاد ابن ريدرت إلى  
الوزير أبى عبد الله بن عبد العزيز اثر صدوره  
عن بلنسية .

« راحت فصيح بها السيم . . . . » الأيات

ولما ورد إشبيلية نزل بدار الوزير الكاتب دى

وقد صنف أبو الوليد بن زيدون كتاب ( التبيين )  
في خلفاء بنى أمية بالأندلس على مترع كتاب  
( اليقين ) في خلفاء الفرق للسمودى .

ومثل ابن زيدون في قصيدته التى لم يقل مع  
طولها في النسيب أرق منها وهي التى يقول فيها :

« كأتنا لم نت والوصل فاكنا

والسعد قدغس من أجهان واشنيا

سران في حاطر الطلبة يكتما

حتى يكاد لسان الصبح يفشيناء . »

وهل نشأ عندكم من النساء مثل ولاده المروانية التى  
تقول مداهبة للوزير ابن زيدون، وكان له غلام  
اسمه على :

« ما لابن زيدون على مضله

يستابنى طلماً ولا ذنب لى

ينظر لى شزراً إذا جتته

كأتما حث لأحصى على . »

ومن حكايات أهل الأندلس في خلق المذار  
والطرب والطرف وغير ذلك كسرة الارتحال  
ما حكاها صاحب ( بدائع البداهة ) قال :

أخبرنى من أثنى به بما هذا معناه —

قال : « خرج الوزير أبو بكر بن عمار والوزير  
أبو الوليد بن زيدون، ومعهما الوزير ابن خلدون  
من إشبيلية إلى مظرة لبنى عباد لموضع يقال له  
( الفنت ) تحف به مروج مشرقة الأنوار، متنسمة  
الاتجاد والأغوار، متبسة من ثور النوار، في  
زمان ربيع سفت الأرض السحب فيه بوسيا ووليا  
وجلتها في زاهر مليسها وباهر حليها، وأرداف  
الربى قد تأزرت بالأرز الخضر من نباتها وأجباد  
الجداول قد نظم النوار قلانده حول نباتها، ومجامر  
الزهر تسطر أردية النسام عند هباتها، وهناك من  
البهار مايزرى عل مدامن النضار، ومن الترجس

فهى وإن اشتهرت بالفرق والمغرب لم يذكر جلتها  
إلا اقليل ، وقد كنت وقعت بالمغرب على تسديس  
لها لبعض علماء المغرب ولم يحضرنى منها الآن إلا قوله  
فى المطلع :

« مالميون بسهم المسج تصميها  
وعن قطاف جنى الأعطاف تحميها  
تألف كانت يحينا ويعنيها  
تروق عاث فى شمل الحينا  
أضحى الفراق بديلا . . . . . » الخ  
وما أحسن قوله فى هذا التسديس :

« ما للأحبة دانوا بالوى ورأوا  
تعويس عهد الملقا مالمع حين ماوا  
رعاهم الله كانوا للعهد رعوا  
فغيرتهم وشاء السواد سموا  
عبد العدا من تساقينا الهوى فدعوا  
بأث نفس فقال الدهر آمينا . »

وقد ذكرنا فى الباب الرابع موشحة ابن الوكيل  
التي وطأ فيها لونية ابن زيدون هذه فلتراجع —  
رجع — وقال ذو الوراقين ابن زيدون يقول :

« وصح الصبح المين . . . . . » الأبيات  
وشاسن ابن زيدون كثيرة وقد ذكرنا منها فى غير  
هذا المثل جملة . وسأل حارية من حوارى الأندلس  
دا لوراقين أنا الوليد بن زيدون أن يزيد على بيت  
أنتدته إياه وهو :

« يا عطشى عن وصال كنت وارده

هل منك لى غله أن صحت واعطشى . »

وكانت الجارية المذكورة تتشوق فتى قرشياً والوزير  
يعلم ذلك وهى لا تعلم أنه يعلم ، فقال :

« كموتنى من ثياب السقم أسبغها ظلمنا

وصيرت من لطف الضنا فرشى

. . . . . » الأبيات

وحكى أن الوزير أبا الوليد بن زيدون توفيت ابنته  
وبعد الفراغ من دفنها وقف للناس عند منصرفهم  
من الجنائز ليتشكروهم ، فقيل إنه ما أعاد فى ذلك  
الوقت عبارة قالها لأحد .

أوزارتين أبى عامر بن مسلمة ، وهو يبنى مجلساً ،  
منسج أبياتاً كتبت فيه :

« عمر من يصر ذا المجلسا . . . . . » الأبيات  
وقال فيه أيضاً :

« ادرها وقد حس المجلس . . . . . » الأبيات  
وكتب إلى الوزير أبى الممالى للملب بن عامر يستدعيه :

« طاب لنا لياتنا الحالية . . . . . » الأبيات  
وكتب إليه ذو الوراقين أبو عامر المذكور معاتباً :

« تاعدنا على قرب الحوار

كاننا صدنا شسحط الرار

تضلع لى هائل الحر يدرا

وصار هائل وصلك فى سرار

وشاع شديع قطعك لى بوصلى

هول كان ذلك فى استقار

أيميل أن ترى عى مسودا

ماصبح مولنا دون اصطبوار

وكتت أريد سمك من عتاقى

واسكن ناني فرط الحمار

فراع مودتى واحفظ حوارى

فأنت الله أوصى بالحوار

وزدنى منما من غير أمر

وآنس موحشاً من عقر دار . »

وكتب إليه ابن زيدون :

« هوأى وإن تاهت عمك دارى . . . » الأبيات  
وكان أبو المطاف إذ ورد إشيلية رسولاً قد سأله

أب يربه شيئاً من شعره فطلبه به حتى كتب إليه  
شعراً يستبغته ، فأجابه ابن زيدون فى المروض

والقافية :

« أودننى من نقائس الدرر . . . . . » الأبيات  
وهى أكثر مما ذكر . وكتب (أعنى ذا الوراقين

ابن زيدون) إلى ولادة :

« أضحى الثنائى بديلا من تدانينا . . . . . » الأبيات  
وإنما ذكرت هذه القصيدة مع طولها لبراعتها ،

ولأن كثيراً من الناس لا يذكر جلتها ، ويظن أن  
ما فى القلائل وغيرها منها هو جميعها وليس كذلك

## ابن جهور

دل في المطمح :

الوزير الأجل أبو الحزم جهور بن محمد  
ابن جهور ، وشو جهور أهل بيت وزارة  
اشتهروا كاشتهار ابن هيرة في فزاره ،  
وأبو الحزم هذا أمجدهم في المكرمات ،  
وأنجدهم في الملمات — ركب متون الفنون  
فراضها ، ووقع في بحور المحن فغضها ،  
منسبط غير منكمش ، لا طائش اللسان ولا  
رعش ، وقـ كان وزر في الدولة العامرية  
فشرفت بجلاله ، واعترفت باستقلاله ، فلما  
انقرضت ، وعافت الممن واعترضت ، تميز من  
التدبير مدتها ، وخلى لأخلافه تدبير الرياسة  
وشدتها ، وجعل يقبل مع أولئك الوزراء  
ويدر غير مظهر للانفراد ، ولا متمصرف في  
ميدان ذلك الطراد ، إلى أن بلغت الفتنة  
مداها ، وسوغت ما شامت رداها ، وذهب  
من كان يجد في الرياسة ويحب ويسعى في  
الفتنة ، ولما ارتفع الوبال ، وأدبر ذلك الاقبال  
راسل مستمدًا بهم ومعتمدًا على بعضهم تخيلا  
منه وتمويها وتداهايا على أهل الخلافة وذويها  
وعرض عليهم تقديم المعتمد هشام وأومض  
منه لأهل قرطبة برق خلبه يشام ثقة بسرعة  
التياسها ، وتجييل انتكائها ، وأنابوا إلى  
دعائه ، وأجابوا إلى استدعائه ، وتوجهوا مع  
ذلك الامام ، وألوا بقرطبة أحسن المام ،

فدخلوها بعد فتن كثيرة ، واضطرابات مستثيرة  
والبلد مقفر ، والجلد مسفر ، فلم يبق غير يسير  
حتى نبذ واضطرب أمره نفع ، واختطف  
من الملك وانتزع ، وانقضت الدولة الأموية ،  
وارتفعت الدولة العلوية ، واستولى على قرطبة  
عند ذلك أبو الحزم ، ودبرها بالجد والعزم ،  
وضبطها ضبطا آمن حائفها ، وردع طارق  
تلك الفتنة وطائفها ، وخلا له الجوق فطار ،  
واقترضى اللبانات والأوطار ، فعادت له قرطبة  
على أكمل حالتها ، وانجلي به نور جلالها ، ولم تزل  
به مشرقة ، وغصون الآمال فيها مورقة إلى  
أن توفي سنة ٣٥٤ هـ فانتقل الأمر إلى ابنه  
أبي الوليد ، واشتعل منه على طارف وتليد ،  
وكان لأبي الحزم أدب ووفار وحلم سارت بها  
الأمثال وعلم المثل ، وقد أثبت من شعره  
ما هو لائق ، وذلك قوله في تفضيل الورد . .

« الورد أحسن ما رأت عيني وأذ  
كي ماسقي ماء السحاب الجائد  
خضعت نواوير الرياض لحسنه  
فتذلت تنقاد وهي شواهد  
واذا تبسدى الورد في أغصانه  
يزهو فذا ميت وهذا حاسد  
واذا أتى وفد الربيع مبشرا  
اطلوع صفحته فنعم الوافد

ليس المبشر كالمبشر باسمه  
خبر عليه من النبوة شاهد  
وإذا تعرى الورد من أوراقه  
بقيت عوارفه فهنّ خوالده . »



وقال صاحب كتاب المعجب :

ولما انقطعت دعوة بني أمية كما ذكرنا  
بالأندلس ، ولم يبق من عقبهم من يصلح  
للإمارة ، ولا من تليق به الرياسة استولى  
على تدبير ملك قرطبة جهور بن محمد بن  
جهور ، ويكنى أبا الحزم ، وقد تقدّم ذكر  
نسبه في ترجمة هشام ، وأبو الحزم هذا  
قديم الرياسة شريف البيت كان آباؤه وزراء  
الدولة الحكمية والعاصمية ، وهو موصوف  
بالدهاء ، وبعد العور ، وحصافة العقل ،  
وحسن التدبير ، ولم يدخل من دهائه في التبن  
السكائنة قبل ذلك وكان يتصاود عنها ، ويظهر  
النزاهة والتدين والعفاف ، فلما خلا له الجوّ  
وأصفر الفناء ، وأقفر النادى من الرؤساء  
وأمكنه الفرصة وثب عليها فتولى أمرها ،  
واضطلع بحمايتها ، ولم ينتقل إلى رتبة الإمارة  
ظاهرا جريا على ما قدّمنا من إظهار سنن  
العفاف بل دبرها تديرا لم يسبق إليه ، وذلك  
أنه جعل نفسه ممسكا للموضع إلى أن يحجىء  
من يتفق الناس على إمارته فيسلم إليه ذلك  
ورتب البوايين والحشم على تلك القصور  
على ما كانت عليه أيام الدولة ولم يتحوّل عن  
داره إليها ، وجعل ما يرتفع من الأموال

السلطانية بأيدي رجال رتبهم لذلك وهو  
المشرف عليهم ، وصير أهل الأسواق جندا له  
وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بأيديهم  
محصة عليهم يأخذون ربهم ورؤوس الأموال  
باقية محفوظة يؤخذون بها ويراعون في كل  
وقت كيف حفظهم لها ، وفرّق السلاح  
عليهم ، وأمرهم بتفرقه في الدكاكين والبيوت  
حتى إذا دهمهم أمر في ليل أو نهار كان  
سلاح كل واحد معه حيث كان من بيته أو  
دكانه ، وكان أبو الحزم هذا يشهد الجائز ،  
ويعود المرضى جاريا على طريقة الصالحين ،  
وهو مع ذلك يدبر الأمور تدبير الملوك  
المتعلمين ، وكان آمنا وادعا وقرطبة في أيامه  
حرما يأمن فيه كل خائف ، واستمرّ أمره على  
ذلك إلى أن مات في عرّة صفر سنة ٣٥٤  
فكانت مدة تديره منذ استولى إلى أن  
مات أربع عشرة سنة وأشهرها ، ثم ولى  
ما كان يتولى من أمر قرطبة بعده ابنه  
أبو الوليد محمد بن جهور ، جري في السياسة  
وحسن التدبير على سنن أبيه غير مخل بشيء  
من ذلك إلى أن مات أبو الوليد المذكور في  
سلخ شوال من سنة ٣٤٤ فغلب عليها بعد  
أمور جرت - الأمير الملقب بالمأمون ابن ذي  
النون صاحب طليطلة فديرها مدة يسيرة  
إلى أن مات ، وخلف فيها بعده من البربر  
رجل يعرف بابن عكاشة أظن اسمه موسى ،  
فكان بها إلى أن غلب عليها وأخرجه منها  
الأمير الظافر بحول الله أبو القاسم محمد بن

وثب عليها فتولى وقام بحمايتها ، ولم ينتقل إلى رتبة الأمانة ظاهرا بل رتبها ودبرها تديرا لم يسبق إليه ، وأظهر أنه حام للبلد إلى أن يحجى من يستحقه ، ورتب البوابين والحشم على أبواب قصور الامارة ولم يتحول عن داره إليها ، ودعا ما يتحصل من الأموال السلطانية بأيدي رجال رتبهم له .

وكان جهور يشهد الجارة ، ويعود المرضى ، ويحضر الأفراح على طريق الصالحين ، وهو مع ذلك يدبر الأمور تدير الملوك ، وكان مأمون الجانب فأمن الناس في أيامه ، وبقي كذلك إلى أن مات سنة خمس وثلاثين وأربع مائة ، وقام بأمرها بعده أبو الوليد محمد بن جهور على هذا التدبير إلى أن مات .

#### بنو عباد

أما أحوال إشبيلية فإنها كانت في طاعة الفاطميين أعنى على بن جود ، والقاسم بن جود ، ويحيى بن على بن جود أيام كان الأمر دائرا بينهم على ما تقدم ذكره . فلما زحف يحيى بن على بالبربر إلى قرطبة وهرب القاسم بن جود منها ، وقصد إشبيلية ، وقد كان ابنه محمد والحسن مقيمين بها أجمع أمر أهل إشبيلية ، واتفق رأيهم على إخراج محمد والحسن عنها قبل وصول القاسم أيهما فأخرجوهما ، وجاء القاسم فنعه دخول البلد أيضا ، واتفقوا على تقديم رجل منهم يرجع إليه أمرهم ، وتجتمع به كلمتهم فتوارد

عباد على ما يأتى بياته إن شاء الله تعالى . فهذا آخر أخبار قرطبة وكونها دارا للملك وبعد غلبة المعتمد عليها صارت تبعالا لإشبيلية .

#### جهور (١)

جهور بن محمد بن جهور بن عبد الله

ابن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر بن أبي عبدة رئيس قرطبة ، يكنى أبا الحزم . روى عن أبي بكر عباس بن الهذاني ، وأبي محمد الأصيلي ، والقاضي أبي عبد الله بن مفرج ، وأبي القاسم خلب بن القاسم ، وأبي يحيى زكريا بن الأشج وغيرهم . وسمع منهم وأخذ العلم عنهم ، وقد أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن عتاب الفقيه ، فقال حدثنا ثقة من الشيوخ الأكار ، وهو يعنى أبا الحزم هذا ، ثم صار تدبير أهل قرطبة إلى أبي الحزم هذا فأنقها بالرياسة فيها ، إلى أن توفي يوم الخميس لسبع بقين من المحرم من سنة ٣٥٥ هـ ودفن بداره ، وصلى عليه ابنه أبو الوليد محمد بن جهور متولى الأمر من بعده ، وكان سنة يوم وفاته إحدى وسبعين سنة ، وكان مولده أول المحرم سنة ٣٦٤ هـ .

أما قرطبة فاستولى عليها أبو الحسن جهور بن محمد بن جهور ، وكان من وزراء الدولة العاصرية ، موصوف بالدهاء والعقل ، ولم يدخل في شيء من الفتن قبل هذا بل كان يتصاون عنها ، فلما خلا الجوّ وأمكنه الفرصة

(١) من كتاب الصلة لابن بشكوال .

وأجابوه إلى ما أراد ، ولم يزل يدبر أمر  
إشبيلية ، وهؤلاء المذكورون من وزرائه ،  
وكان له من الولد إسماعيل وهو الأكبر يكنى  
أبا الوليد وعباد يكنى أبا عمرو ، فأما إسماعيل  
ففرج إلى لقاء البربر بعد أن حدث لآبيه  
أمل في التغلب على ما كان البربر يملكونه  
من الحصون القريبة من إشبيلية بعسكر من  
جند إشبيلية ، فالتقى هو وصاحب صهاجة ،  
فأسلمت إسماعيل عساكره ، وكان أول قتيل  
وقطع رأسه وسير به إلى مالقة إلى إدريس  
ابن علي الفاطمي كما تقدم ، وبقي الأمر  
كذلك ، والقاضي أبو القاسم يدبر الأمور  
أحسن تدبير ، وكان صالحا مصلحا إلى أن  
مات في شهر رسته ٤٣٩ .

اختيارهم بعد محض الرأي وتنقيح التدبير  
على القاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن  
عباد اللخمي لما كانوا يعلمونه من حصافة  
عقله ، وسعة صدره ، وعلاوة همته ، وحسن  
تدبيره ، فعرضوا عليه ما رأوه من ذلك ،  
فتهيب الاستعداد ، وخاف عاقبة الانفراد أولا  
وأبى ذلك إلا على أن يختاروا له من أنفسهم  
رجالا سماهم لهم يكونون له أعوانا ووزراء  
وشركاء لا يقطع أمرا دونهم ، ولا يحدث  
حدثا إلا بمشورتهم ، وهؤلاء المسمون هم  
الوزير أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ،  
ومحمد بن يريم الألهاني ، وأبو الأصم عيسى  
سحاج الحضرمي ، وأبو محمد عبد الله بن علي  
الهورني ورجال آخرون ذهبت عن أسمائهم  
ولا أعرف قبائلهم وبيوتهم ، ففعلوا ذلك

## صفحات من كتاب العيني (١)

عن مقاومته فأخرجوه ، فاستدعاه القاضي  
أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد  
إليه بإشبيلية ، وأذاع أمره ، وقام  
بنصره ، فسار إليه وقام بواجبه ، وكتب  
بظهوره إلى ملوك الأندلس فأجاب أكثرهم  
وخطبوا له ، وجرت بيعته في الحرم سنة  
تسع وعشرين وأربعمائة ، ثم إن عباد سير  
جيشا إلى زهير العاصري بأنه يخطب للؤيد  
فاستنجد زهير حيوس بن مكر الصنهاجي

وأما إشبيلية فاستولى عليها فاضيا محمد  
ابن إسماعيل بن عباد اللخمي ، وهو من  
ولد النعمان بن المنذر ، وفي هذا الوقت  
ظهر أمر المؤيد هشام بن الحكم ، وكان  
قد اختفى وانقطع خبره ، وكان ظهوره بمالقه  
ثم سار منها إلى المرتبة ، فخافه صاحبها زهير  
العاصري وأخرجه منها ، وقصد قلعة رياح  
فأطاعه أهلها ، فسار إليهم صاحبها أول  
إسماعيل ذي النون ، فخار بهم وضعفوا

وتلاحق بحريز أصحابه وأشياعه ، وترك  
الظافر ملقى على الأرض ، فرّ عليه بعض  
أهل قرطبة فأبصره على تلك الحالة فنزع  
رداءه وألقاه عليه ، وكان أبوه إذا ذكره  
يتمثل بهذا البيت :

« ولم أدر من ألقى عليه رداءه

سوى أنه قد سل عن ماجد محض . »

ولم يزل المعتمد يسعى في أخذها حتى عاد  
ملكها إليه وترك ولده المأمون فيها فأقام بها  
حتى أخذها يوسف بن تاشفين وقتل فيها بعد  
حروب كثيرة يأتى ذكرها إن شاء الله تعالى  
وأخذت إشبيلية من أييه المعتمد ، وبقي  
مسحوقا في أغصان إلى أن مات بها ، وكان  
هذا وأولاده جميعهم - الرشيد ، والمأمون ،  
والراضى ، والمعتمد ، وأبوه ، وجدته علماء  
شعراء -

## ملوك الطوائف (١)

بقلم الأستاذ نيكلسون

تفرقت امبراطورية عبد الرحمن الثالث  
العظيمة ، وظهر على أنقاضها عدة ممالك  
صغيرة « دويلات » أنشأتها الظروف  
والمصادفات ، وكان يحكمها بعض القادة  
المظفرين .

وقد أحسن نيكلسون في تشبيه تاريخ  
إسبانيا في القرن الحادى عشر الميلادى

صاحب غرناطة ، فسار إليه بجيشه فعادت  
عساكر ابن عباد ، ولم يكن بين العسكرين  
قتال ، وأقام زهير ببأسه ، وجاء حيوس إلى  
مالقة فمات وولى بعده ابنه باديس ، واجتمع  
هو وزهير ليتفقا كما كان زهير وحيوس فلم  
يستقر بينهما قاعدة واقتتلا فقتل زهير ، وجمع  
كثير من أصحابه ، والنقى عسكر ابن عباد  
وابنه إسماعيل مع باديس بن حيوس ،  
وعسكر إدريس اللوى صاحب سبتة بطمجة  
واقتتلا قتالا شديدا فقتل إسماعيل ثم مات  
بعده القاسى أبو القاسم بن عباد وولى  
بعده ابنه أبو عمرو ، ولقب المعتضد بالله فصبط  
ما ولى وأظهر وفاة المؤيد ، واشتمل بأمر  
إشبيلية وبقي كذلك إلى أن مات وولى بعده  
أنه أبو القاسم محمد واقب بالمعتمد على الله ،  
فأشبع في ملكه ، وشمخ سلطانه ، وملك  
كثيرا من الأندلس ، وملك قرطبة أيضا ،  
وولى عليها ابنه الطاهر بالله فبلغ خبر ملكه  
لها إلى يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة  
فسدده عليهما فضمن له جرير بن عكاشة ،  
وسار إلى قرطبة ، فأقام يسمى في ذلك وهو  
ينتظر الفرصة ، فاتفق أن فى بعض الليالى  
جاء مطر عظيم ومعه رجح شديدة ورعدو برق فثار  
جرير تفرج الظافر فيمن معه من العبيد والحرس ،  
وكان صغير السن فحمل عليهم ودفعهم عن  
الباب ، ثم إنه عثر فى بعض كراته فسقط  
فوثب عليه شخص فقتله ولم يبلغ الخبر إلى  
الأجناد وأهل البلد إلا والقصر قد ملك

(١) فصل مختار من كتاب نظرات فى تاريخ

الأدب الأندلى للشارح .

كل جهة فتحوها فعاش أولئك المسيحيون في كنف المسلمين ، وأحسنف الحكومة معاملتهم ، ومنحتهم الحرية الدينية وكثيرا مارفعتهم إلى مناصب عالية في الجيش وفي بلاط الملك . فاعتنى كثير منهم الحضارة الاسلامية وافدّن بها افتنا .

حتى رأينا « القارد » كاهن قرطبة في أواسط القرن التاسع لئيلاد يولول في أوائل ذلك العصر شاكيا من أبناء دينه انصرفهم إلى مطالعة أشعار العرب وأساطيرهم وهيامهم بدراسة كتابات لاهوت نبي المسلمين وفلاسفهم لا يقصدون بذلك إلى تنفيذها بل يقصدون إلى التعبير عن خوالجهم بأسلوب عربي رائع صحيح .

وكان القارد يفساهل .

أنى يتاح لانسان في هذه الأيام أن يقابل واحدا من أبناء جنسنا يقرأ التفاسير اللاتينية للكتب المقدسة ؟ ومن ذا الذى يدرس منهم فصول الأناجيل وسير الأنبياء والحواريين ؟ واحسرتاه :

إن كل الشبان المسيحيين ذوى المواهب لا يعرفون الا العربية والا كتابات العرب فهم يقرءونها ويدرسونها بحماسة باغة منتهاها كما أنهم ينفقون المال الطائل لاقتنائها في مكاتبهم وتراهم أنى وجدوا يذيعون أن تلك الآداب جديرة بالاعجاب .

فاذا تجاوزت عن ذلك وأخذت تحدثهم عن الكتب المسيحية أزرورجانهم وأجابوك

بتاريخ إيطاليا في القرن الخامس عشر ، فقد كان وجه الشبه — كما يقول — كبيرا جدا بينهما .

وكان هؤلاء القادة الذين اقتسموا بلاد الأندلس أشبه بأولئك القادة الذين كان يطلق عليهم في إيطاليا اسم : « Condottieri » وكان من بينهم ملوك العبادية الذين قطنوا إشبيلية ، وهم أقوى ملوك ، وقد أطلق عليهم كتاب المسلمين اسم : « ملوك الطوائف » وعلى الرغم من أن ذلك كان عصر تدهور سياسى ، وعلى الرغم من أن إسبانيا تشكو عجز مواردها الاقتصادية ، فقد وصل المجتمع في تلك الأيام إلى مستوى لم يصل إلى مثله من قبل .

وهنا يجدر بنا أن نقف لحظة علنا نستطيع أن نستعرض فيها أماما الشوط البعيد المدى الذى قطعه الآداب والعلوم في طريق النجاح في ذلك العصر الذى يعد أزهى عصور الاحتلال الاسلامى في أوروبا .



فبينما ترى العرب الفاتحين في آسيا — كما بينا ذلك — قد سحرتهم حضارة قديمة تفوق حضارتهم بما لا نهاية له فأذعنوا لها وظهر أثرها فيهم إذ تراهم لم يكادوا يعبرون مضيق جبل طارق — في العرب — حتى انعكست الآية تماما .

وذلك أنهم بعد أن تغلبوا على شبه الجزيرة وقع في أيديهم آلاف المسيحيين من



\*\*\*

وقد كان للشعر العربي — في أوروبا —  
على الاجال الخصائص التي رأيناها في الشعر  
المعاصرة له في الشرق .

فان الأوزان المصطلح عليها والقيود التي  
لم يستطع أساطين بغداد أن يحرروا أنفسهم  
من ربقها ظلت بحذافيرها في قرطبة واشبيلية .  
وكما تأثر الشعر العربي في الشرق بالآداب  
الفارسية ، فقد تأثر في اسبانيا كذلك بالآداب  
الآريين والساميين واندماجهم شيئا فشيئا .  
فكان ذلك سببا في ادخال عناصر  
جديدة ظهرت في آدابها ، ولعل أمتع ميزات  
الشعر الأندلسي هي ذلك الوجدان العاطفي  
الراقي الذي يندر وجود مثله في النسيب  
والذي ظهر كثيرا في أغانيهم عن الحب وهو  
وجدان لا يقصر على تصوير فروسية القرون  
الوسطى بل يتخطى ذلك إلى حد أن تحسبه  
إحساسا جديدا بمحاسن الطبيعة التي جلته .  
ولهذه الميزة سهل فهم ذلك الشعر على  
الكثيرين من الآريين الذين قد لايسهل  
عليهم تفهم روح المعلقات أو قصائد المتنبي .

بازدراء أنها أسفار نافهة لا خطر لها .

واحسرتاه عليهم ! لقد نسي المسيحيون  
أنفسهم حتى ايندرا العثور بين آلاف منا على  
على فرد يستطيع أن يحرر الى أحد أصدقائه  
رسالة لا تينية بأسلوب لا بأس به على حين  
ترى جهرتهم قادرة على الابانة عما في نفوسهم  
بأسلوب عربي رائع ، وعلى حين ترى حذقهم  
في قرض الشعر العربي قد وصل الى حد فاقوا  
معه العرب أنفسهم .

ومهما يكن في كلام هذا الكاهن من  
اغراق فما يترفع عن الجدل والتشكك أن  
الثقافة الاسلامية قد أخذت بألباب  
المسيحيين الاسبان ، كما افتن بها اليهود  
الذين خدموا الشعر والفلسفة بمساعداتهم  
العديدة وكتاباتهم التي أفشوها بلغتهم وبلغه  
أبناء عمهم العرب .

أما المولدون والصابثون من الاسبانيين  
الذين لانوا بالاسلام فقد استعربوا تماما بعد  
أجيال قليلة ، ومن هؤلاء نبغ أشهر من  
ازدان بهم الأدب العربي .



## دراسات الكتاب لابن زيدون

« أثبتنا في هذه الصفحات أهم الدراسات  
التي كتبت - في العصر الحديث - عن  
ابن زيدون إماماً للفائدة . »

### — دراسة الدكتور أحمد ضيف<sup>(١)</sup>

اقتربت الوزارة في الأندلس بالأدب ، فكان الوزير كاتباً وشاعراً ، وكان أشهر الكتاب والشعراء وزراء ، وكانت الشهرة بالكتابة والشعر ، وفنون الأدب ، ودروع العلوم من وسائل الوصول إلى امتلاك الوزارة ، فكان للوزراء أثر عظيم في سير البلاغة والأدب ، وأصبحت منزلة الأدب كنز الوزراء أنفسهم في الدولة ، وظهر في الأندلس طائفة من الرجال الذين تربعوا في مناصب الملك ، وتقلبوا في مراكز الدولة ، وتقلبوا على شئونها ، وهم جميعاً من الأدباء والعلماء ، والكتاب والشعراء وأصحاب الثورى ، وأعلام الحياة العقلية .

ومن أشهر هؤلاء الوزراء الأدباء والشعراء المجيدين ، أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون المحرومي الأندلسي القرطبي ، أشهر من عرف في حلبة الأدباء ، وأظهرهم ميعة في ميون الكلام وأساليب الشعر والبيان ، لأنه صورة من صور الأدب في الأندلس ، وصحيفة من صحف البلاغة هناك ، وثمره من ثمار غرس العرب في بلاد المغرب .

ولد ابن زيدون بمدينة قرطبة في سنة ٣٩٤ هـ وتوفي بإشبيلية سنة ٤٦٣ هـ وهو ثالث ثلاثة تسموا بابن زيدون : أحدهم أبو بكر عبد الله بن أحمد بن غالب والده ، والثاني أبو بكر ابنه وكان وزيراً للمتمدن بن عباد ومات مقتولاً ، وهم من أصل عربي كما أشرنا إلى ذلك في كلامنا على القبائل التي نزلت الأندلس من العرب . كان أبوه قاضياً مشهوراً بين قضاة قرطبة ، وعالماً وأديباً . مات سنة ٤٠٥ هـ فكان عمر ابنه إذ ذاك إحدى عشرة سنة ، وكان أبو الوليد منذ حدثته ميالاً إلى العلم والتعلم ، فاندفع يطلب لنفسه الكمال العقلي ، وكانت نشأته في قرطبة ساحة العلوم والآداب ، فانكب على الدرس والبحث ، وأخذ الأدب عن رجاله المعروفين ، وكان له ميل شديد لعلوم العرب وفنون اللغة لحفظ منها شيئاً كثيراً ، كما وعي كثيراً من أخبار الأدباء والشعراء ، وأمثال العرب وحوادثها ، ومسائل اللغة ، حتى أصبح في مقدمة الشعراء والأدباء ، واندمج في مجالس الأدب ، فصار عالماً من أعلامها ودعاة من دعايتها ، وكانت قرطبة لا تزال في أوج صلاحها على الرغم من أنفول شمس بني أمية بها ، وأهلها في رخاء من العيش ، أكثرهم يميل إلى العلم والأدب ومجالسة الأدباء ، فامتلات المحافل والجامع بضروب اللهو والطرب ، وكان لابن زيدون خفة روح ودعابة وميل إلى المجون ، فساعده ذلك على أن يسبق غيره ، وأن ينال شهرة

(١) من كتاب بلاغة العرب في الأندلس للدكتور أحمد ضيف .

واسعة بين أترابه . وكان للنساء أثر عظيم في هذه المجالس ، فاتجه الناس إلى الاندماج فيها واستغذوا هذا المورد ، وانصرفت هم الأدباء إلى التفوق في هذا الميدان ، فكان لذلك أثر عظيم في أخلاق الأدباء وصورة البلاغة من نظم ونثر ، وكأنما ضاعت كل صبغة جدية في المجالس الأدبية لجرق الوزراء على المجاهرة بالمجون ، وكان ابن زيدون أحد أطلال هؤلاء لجذب إليه الأنظار .

وكان لولادته بنت المستكفي الحليفة الأموي شهرة عظيمة في قرطبة لجمالها وعلوها وأدبها ، فوقع ابن زيدون في شركها ووقعت في شركه ، واشتمل كل منهما على صاحبه ، حتى حسد عليا وحسدها الناس عليه ، وكان من بين هؤلاء الحساد الوزير أبو حاسم بن عبدوس وهو كبير الحول والطول ، فتقرب إلى ولادة حتى أمالها إليه ، وكانت ولادة ملت صداقة ابن زيدون واتهمته كما اتهمها بذلك أيضا ، فهبت عاصفة من الجفاء بينهما شتت من شملهما وحالت بين قنوبهما ، لذلك غلب ابن عبدوس ابن زيدون على أمره ، واستولى على قلب ولادة ، ثم حدث أن رجعت إلى ابن زيدون فكنت عن لسانها لابن عبدوس رسالة الشهيرة الهرلية ، ثم استأثر بها ثاية ابن عبدوس ، فكانت هذه الحال سبب اضطراب في حياة ابن زيدون العقلية والسياسية وهكذا كانت حال الوزراء وأرباب الدولة وعقول الأدباء وأصحاب الأقلام والمفكرين ، وهذه الحادثة من أكبر الحوادث في حياة ابن زيدون . عاش ابن زيدون في بيئة كلها اضطراب ودسائس ، وترق ودرج في ذلك وتقلد لورارة فيها ، لأنه اشترك في حوادث الاضطراب التي كانت على أثر زوال دولة بني أمية ، فكان من أشياع ابن جمهور أحد ملوك الطوائف الذي ادعى لنفسه الملك في قرطبة بعد انحلال الدولة الأموية سنة ٤٢٣ وعلت منزلة ابن زيدون هناك ، فاتخذ ابن جمهور وزيراً له فلك أرمه الأمور ، وكان أقرب الناس إلى سيده الذي استعان به كثيراً في المسائل السياسية ، وتأمين الصلة بينه وبين الأمراء الآخرين لذلكاته ودهائمه ، فكانوا يحسدون ابن جمهور على الاختصاص به ، وحدثت حوادث أوفرت عليه صدور كثير من منافسيه والحاسديه على فضله ومنزلته ، فحملوا عليه عند ابن جمهور حتى أمر بسجنه فسجنه طويلاً ، فاستعفى واستعطف بما يلين من أجله الحديد ، فلم يفلح في إرضاء الأمير فمزم على إعمال الحيلة والحرب من السجن . واختفى بقرطبة إلى أن استدفع بأبي الوليد بن جمهور عند أبيه أبي الحرم حتى شفع له ، وجعله أبو الوليد بمسد موت أبيه من المقدمين في دولته ، ولكن ابن زيدون لم يأمن على نفسه من بقاءه في قرطبة ، فهاجر إلى إشبيلية سنة ٤٤١ ودخل في حاشية المعتضد بن عباد وصار وزيراً لابنه المعتمد وبقي هناك إلى آخر عمره . هذه حياته وأخلاقه ، وقد ذكرنا في شعره ونثره ومنها يرى أن حركات عقله كانت تفوق ذلك خطوة بخطوة ، فكانت حياته العقلية نتيجة هذه الحياة ، لذلك يمكن أن تقسم آثاره الأدبية إلى أقسام ثلاثة : عشقه لولادة وأثر ذلك في نفسه وما كتبه في هذا ، ثم مدحه لابن جمهور وابن عباد ثم أثر السجن في حياته العقلية .

## شعر ابن زيدون

كان لأخلاق ابن زيدون والبيئة التي عاش فيها وميول الناس إلى اللهو أثر عظيم في شعره ، فقد كان للمجون مسحة خاصة في النظم والنثر ، فبرع ابن زيدون في النزل ، وكثير من شعره في ذلك كان منبثاً عن ثوران في نفسه وفيلان في ميوله وأهوائه ، أذكر ذلك كله حبه لولادة ، فإن عشقه هذا فتح له باباً واسعاً

من الخيال قال فيه ما شاء وشاءت موافقه أن توحى إليه ، كذلك كانت آلامه وما لاقاه في السجن باعثاً من بواث استنهاض ملكة الشعر فيه وإلهاماً من إلهاماته الفنية .

وشى به أعداؤه وحاسدوه إلى ابن جهور ، وكاد له منافسوه في حب ولادة حق نالوا منه ، وشقوا غلتهم بحمل ابن جهور على سجنه بعد أن أحله منزلة الوزير يدبر ملكه ، وبعد أن اثبتته وعرف له رأيه السديد وبراعته في إدارة الأمور وسلمه زمام الدولة ، ولم يكن لابن جهور أن يخطئ في نظره لما اشتهر به نفسه من سداد الرأي وصحته ، فإذا ناله ابن زيدون مكانة في نفس ابن جهور ، فقد كان ذلك عن جدارة واستحقاق ، ولكن أعداؤه تمكنوا من ابن جهور فعصب عليه وأمر بسجنه ، فأثار هذا السجن من نفس ابن زيدون عاصفة فنية جديدة رقت من خياله الشعرى أنارتها آلامه فأخذ يئن أنيناً جيلاً ، ويفتن في آلامه ووصفها والتعير عنها مرّة شعراً ومرّة نثراً . . . والفن يمزج فنه دائماً بكل ما يرى ويسمع ويشعر ، ولقد كانت نفس ابن زيدون من النفوس الدقيقة الإدراك ، التي إذا أنت تن أئين الموسيقى ، وإذا شكت تشكو شكاة القلوب المملوءة شعوراً الواسعة التصور والإدراك الدقيق ، الذي يجعل الشكوى جيلة والكلام فيها جيلاً . كتب ابن زيدون من السجن إلى صديقه أبي حفص بن برد يشكو ويئن من بلواه وهو ينهض الأمل مرة ويقعده اليأس أخرى ، ولا يترك شاردة تمر بخاطره إلا هدأ بها نفسه ، وتسلى بها عن آلامه . يستسلم أحياناً إلى القضاء فيشعر في نفسه براحة واطمئنان ، ويقب أماته صحفاته الأيام فلا يعجب من الحوادث التي آلت به ، ويرجع إلى صديقه فيسليه هو بنفسه ، ويسأله ألا يكف عن مجونه وتسليته ، لأن السمادة خلسة ، ثم يعود فيذكر أعداءه ويبلغ منه ويبين أن ذلك ليس بالمعجب لأنه :

إن قسا الدهر فللمساء من الصخر انبحاس

ويرى أنه حسد لمكانته ، ويزج ذلك بالعبير والحكم والسخرية والتهمك من أحوال العالم وحوادث الحياة ، ويرجع أئينه وألمه وحقدته على الناس ، ولا سيما حاسديه ، وبضرب المثل كي يسكن من نفسه ، وهو في ذلك كمادته في الشكوى : يربط مرّة إلى الدرك الأسفل من اليأس ، ويرفع أخرى إلى ذروة الرجاء ، وكأنه في شجار مستمر بينه وبين نفسه وشعوره ، كل هذه المعاني في أبيات قليلة بأسلوب جبل رقيق ، يكاد يلجح الإنسان فيها خاطره المضطرب المتماوج . حيث يقول :

« ما على ظنيّ بأس يجرح الدهر ويأسوه » الح

هذه نفحات القلوب ، وهذا هو الشعر الذي يستولى على النفس ويلهمها الحكمة والعبرة ، وهذا هو جمال القول ، ليس ذلك لأنه مطرب مرقص بوزنه وعايته ، بل لأنه ساحر بمعانيه وجماله ، كل معنى فيه يحتاج إليه النفس في مثل هذه المواقف ، ولقد كانت هذه المعاني سائبة للنفس لأن الشاعر صادق في قوله ، معبر عن شعوره يرسم صوره من نفسه الحزينة المتألّمة ، لهذا كان الشعر جيلاً .

وقد بدأ قصيدة من قصائده في هذا بالفخر بنفسه ، وأمن في ذلك ، وكأنما كان يبكي حظه ويندبه بهذا الأسلوب الفخري ، وكأنما كل معنى من هذه المعاني كانت تهدي خاطره وترج نفسه ، فلما مدح ابن جهور مدحه في قالب استعطاف ، وتوسط بين المدح الخالص والعتب الجدي ، وقد ظهر بنفس كبيرة وأنف أشم حتى أنه مدح نفسه أكثر من ابن جهور ، فكان مادحاً أشد منه عاتباً ، لأنه كثيراً ما كان في مثل هذا الموقف لا يبتلى بالفخر بنفسه ، ولا يريد أن يعلى عليها ولو همسا أنه في موقف منزلة ، وكأنه كان يتسلى بهذا ، لأنه يرى أن أعداءه لم ينالوا منه إلا لأنه فاتهم بطله وفضله حتى إنه قال متبكماً :

« ولو أنني أستطيع كي أَرْضَى العدا شريت ببعض الحلم حظاً من الجمل . »  
وكل قصائده التي أرسلها يستعطف بها ابن جهور هي أثر ذلك الشقاء الذي لقيه في سجنه ، وصورة من صور  
البؤس الذي حرك شعوره وفتق من لسانه ، وأثار في نفسه عواطفه الشعرية المدللة المدلولة هماً ونحماً .  
ولكن أسلوبه في الشكوى والاستعطاف واحد في نظمه ونثره ، وما أشبه قصائده في ذلك وما فيها من  
من المعاني برسائله الجدية ، وكأنما كان فكره سجيناً مثله من شدة تألمه في السجن ، فانه لم يخرج عن  
عادته في ضرب الأمثال والفخر بنفسه ، وأنه أفضل لإنسان وأكرم من دبّ على وجه الأرض .  
غير أن كلامه مع ذلك عذب المذاق ، رقيق الحاشية ، جذاب خلاب ، تظاهر عليه سيما الابتكار  
والصدق والتعبير ، فانه ليس من الخيالات الشعرية العفوية ، بل به كثير من الحقائق التي كان يملها عليه  
شعوره كما قال :

« ما جال بعدك لخطي في سنا القدر إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر . »

وكتب إلى أحد أصدقائه وهو مخنف بقرطبة بعد فراره من السجن ، فقال :

« . . . وبلغني أنك أحد اللآئين لي الخ »

إلى أن قال :

« شحطنا وما بالدار بأي ولا شحط وشط بمن نهوى الزار وما شطوا . »

إلى آخر مقال في هذه القصيدة التي هي من أبدع قصائد الشكوى وأجمعها لذكر الماضي والحاضر والاستغفار  
والاستعطاف ، والسرير بذكر ما اقصى والكاء على الحاضر ، وهي أيضاً أظهر في لهجتها الجدية من  
كثير من شعره ، ولذلك كانت أحف في أسلوبها ومعانيها ، ليس بها تلك الرقة المبهدة في كلامه ، كل ذلك  
هاحه السجن وما تذوقه من الآلام ، فرسه في شعره ، لأنه رجل فني يعرف كيف يصور ما يشعر به ويعبر عما  
يحول بخاطر . ولقد يلاحظ الانسان أن آراء ابن زيدون آراء عامة ليست ناشئة عن تفكير طويل أو  
علم واسع ، وإنما هو خيال أكثر منه مفكراً ، وشاعر أكثر منه عالماً ، وهذه كل حال شعره ونثره .  
أما مدحه وورثاؤه همافي المرتبة الأخيرة من شعره ، لأنه على جمال أسلوبه في ذلك ، وحسن تصرفه في المعاني  
لا يكاد يمثرا لسانه على معنى حديد ولا رأى خاص ، بل يكاد يكون كل ما جاء من المعاني من قيل معارضة  
غيره من الشعراء والأخذ بمعانيهم ممزوجاً ذلك بما له من البراعة والصناعة والافتنان .

ومن أجل قصائده كلامه في المعتضد بن عباد وابنه المعتضد ، ومن أرق كلامه في الشكوى ، وأقرب  
عباراته وصولاً إلى القلوب بكأوه على الماضي ، والتلذذ بذكره وما كان فيه من النعيم كقوله :

« الهوى في طلوع تلك النجوم والمي في هبوب ذاك المسيم . »

ولقد كان ينظر إلى أيامه الماضية فيحن إليها حنيناً مؤلماً ، فإذا قرأت شعره في ذلك رأيت نفسك كأفك  
واقف على أطلال سعادته البالية ، فبكى وبكيت معه ، كما قال :

« ألا هل إلى الزهراء أوبة نارج تنضت مبانيها مدامه نرجا . »

### الغزل في شعر ابن زيدون

يتبين من أحوال الاجتماع في الأندلس ، وميول النفوس ، واختلاط النساء بالرجال ، واندماج كثير من  
الأدبيات في مجالس اللهو والطرب ، أن المرأة شغلت جزءاً عظيماً من أوقات الرجال المفكرين ، وملأت

رءوسهم ، كما أن مجالس الشرب كان لها سلطان عظيم على نفوسهم ، فكانت المرأة تحرك المواطف والتعور ،  
والحر تدر العقول ، وتملئ عليها القلوب ، وتفتح أمامها طرق التصور والخيال ، والمقول ثمة بذوثة الغرام  
والرهوس مثقلة بحرارة المدام ، والناس لا يفوتهم الطرب ، ولا يريدون أن يتواروا عنه لعلقه بنفوسهم ،  
حتى في أشدّ الحزن ، فقد رأينا أن ابن زيدون كتب وهو في سجنه لصديقه أبي حفص بن برد يقول :

« وأدر ذكرى كاساً ما امتطت كملك كاس

واغنتم صنفو الليالي إنما العيش اختلاس . »

وقع ابن زيدون في شرك ولادة بنت المستكفي بالله ، وكانت خليعة ماجة بارعة رفيعة بين الأدباء « تناضل  
الشمرء ، وتساجل الأدباء ، وتفوق البرعاء . . . خرجت على نهاية في الأدب والطرف ، حضور شاهد ،  
وغزارة أوابد ، وحسن منظر ومحبر ، وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطبة منتدبى لأحرار  
المصر ، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر ، يمشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، ويتهاك أفراد الشمرء  
والسكتاب على حلاوة عشرتها ، وسهولة حجابها ، وكثرة منابها ، تخلط ذلك بلون فصاب ، وكرم أنساب ،  
وطهارة أثواب ، على أنها أوجدت لاقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ، ومجاهرتها بلذاتها . . . » وقالوا « إنها  
كانت بالمغرب كملية بالشرق ، إلا أن هذه تزيد الحسن ، وأما الأدب والشعر والنادرة وخفة الروح فلم تكن  
تقصر عنها ، وكان لها صنعة في المناء ، وكان لها مجلس يفشاء أدباء قرطبة وظرفاؤها ، فيمر فيه النادر  
وإنشاد كثير مما اقتضاء عصرها . . . . . وكانت من الأدب والطرف ، وتمتيع السمع والطرف ، بحيث  
تختلس القلوب والألباب ، وتعيد الشيب إلى أخلاق الشباب » فقال ابن زيدون رضاها ، ووقع من نفسها كما  
وقعت هي من نفسه ، حتى كتبت إليه تضرع له موعدا فقالت :

« ترقب إذا جنّ الظلام زيارتي فإني رأيت الليل أكرم للسر

وبى منك ما لو كان بالشمس لم تلج وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر . »

قال أبو الوليد : « فلما طوى النهار نوره ، ونشر الليل دنانيه ، أقبلت بقدر كالفصيل ، وردف كالكتيب ،  
وقد أطبقت نرجس الغل ، على ورد الحجل ، فلنا إلى روض مدبح ، وظل سجع ، قد قامت رايات  
أشجاره ، وفاضت سلاسل أنهاره ، ودرّ الطلّ منشور ، وجيب الراح مزروع . فلما شينا نارها ،  
وأدركت منا نارها ، صرح كل منا بحبه وشكا ما قبله . . . وأنشدتها :

« ودع الصبر محب ودعك ذائع من سرّ ما استودعك . »

وكتبت إليه بعد ذلك تقول :

« ألاهل لنا من بعد هذا التفرق سبيل فيشكو كل صب بما لقي . »

إلى أن قالت :

« تمرّ الليالي لا أرى البين ينقضى ولا الصبر من رق الشوق يعتق

سقى الله أرمأ قد غدت لك منزلاً بكل سكوب هامل الويل مفدق . »

ولا نريد الآن أن نتكلم في العشق وأثره في النفس وما يوحيه من روائع القول وجمال الفكر حتى هند عامة  
الناس ، فإن تاريخ الإنسانية حافل بمحادثه . ولسنا نقول : إن العشق في كلام العرب أو شعر الغزل كما  
يسمونه ، ليس من المسائل الهزلية . لأن الشعر الذي هو وحي النفوس وجمال الإدراك الإنساني ، أكثر  
ما يكون ظهوراً في التعبير عن الحب ، ووصف هذا الضعف الانساني الذي نسميه عشقاً ، فإن العشق إدراك

أكبر مظاهر الجمال في الحياة ، ومن لم يفتح له قلبه يوماً ما ، لم ير غير ظواهرها ولم يتسرب إلى نغمه بصيص ضوء من جمال مظاهر الحياة وأسرار النفوس في التألف ، وكثير من آمال الناس في تلك الصلة النفسية ، والعشق وما فيه من سعادة وجمال سر كامن في الشعر ، لأنه مصدر الشعر الحيالي الجميل . لذلك كان أجل الشعر ما يكشف عن سر من أسرار النفوس ، ويفتح القلوب . ويظهر مكتونات الإنسان وأخلاقه وآلامه وآماله . إن النساء منبع من منابع الشعر ، والشعراء مديونون لهن بأفضل الصفات لديهم وهي وصف شعور الناس ، والشاعر الذي يشمر بالحلم لا يتكلم عن نفسه فحسب ، وإنما يجمع آلام العشاق وأنينهم فيألم ويثث معهم ، وليس أعذب من هذه الآلام ولا أحب للنفس من سماع هذا الأنين . إن الشاعر بصوغ بكلماته اهتزازات القلوب ورنات مايجول من المعاني ويدنوها إلى النفوس فتصيبو إليها ، ويدنيهما بين العشاق فيرى كل قلبه وكأنه ينظر في سرة يرى فيها صورته ، وذلك لا يكون إلا في الشعر .

فإذا أخطأ العرب في إمعانهم في هذا النوع والإكثار منه ، فقد أخطأوا من جهة واحدة : وهي تكرار المعاني وتقليد بعضهم بعضاً في ذلك ، وظنهم أن كل قلب يحب بشكل واحد ، وإن صلة الحب بتظاهر الجسم قوية متينة ، وأن المعاني محصورة في ذلك . ولكن ابن زيدون ليس من هؤلاء المقلدين ، بل من الذين كانوا يجولون جولات واسعة في الحيال ، فكان فياً مبدعاً . أرأيت شعراء العرب كيف يطنون في وصف الأمكنة التي احتضنوا فيها مع صديقاتهم ، وهم يتخذون ذلك وسيلة لأمرين : الأول إحياء ذكرى تلك الأيام والأمكنة وما فيها ، إذ كل شيء هناك كان يشهد حبهم ويعطف على عشقهم ، وتلك الأمكنة جيلة لأنها احتوت عليهم ، والأضواء التي تسطع عليهم والأشجار التي كانت تظله ، والسكواكب التي كانت تنجس أخبارهم ، جديرة بأن لا تنسى ، لأنها أثر من آثار العشق . الثاني أن الشاعر الفني يمر من التكرار ، ويعرف أن معاني العشق والحب سرعان ما تنفد ، فهو يتعايل على شيء من المعاني الأخرى التي لها صلة بذلك ، كي يقتضى له أن يجول في ميدان أوسع ليصل إلى التعبير عن مراده ، أو يمنع العقول من أن يدركها الملل . فهو يستعين بذلك كما يستعين المصور الماهر بالألوان لإظهار الصورة التي يريد أن يبرزها . كذلك كان ابن زيدون من هؤلاء الفنانين أو قريباً منهم . فقد التحأ إلى مدينة الزاهراء الجميلة في أيام الربيع ، يريد أن يسلي نفسه ويخفف عنها من أثر حبه ولادة ، وذكر في شعر أرسله إليها كل ما كان يحيط به إذ ذاك وأبدع أبداً ، وافتت اقتناناً عظيماً في ذلك ، فقال :

« إنى ذكرتلك بالزاهراء مشتاقاً والأفق طلق ووجه الأرض قد رافا »

وإذا كان لابن زيدون ميزة في شعره الغزلي فليس ذلك في ابتكار المعاني التي لم يسبق إليها ، وإنما هي في طريقة تصويرها بمعارف تلك النفوس وتستولى على القلوب وكأن الإنسان لم يقرأ مثلها ولم يسمع بما يشبهها لجودة الافتنان في التعبير والأسلوب . كما في قوله :

« إليك من الأنام غدا ارتياحى وأنت من الزمان مدى اقتراحى . »

ولقد يسمع الإنسان أنينه في شعره ، ويرى أنه الحزينة من خلال كلامه ، وكأنه يرى تلك الحيرة وذلك القلق النفسي اللذين يملآن نفوس العشاق ويمنعان عنهم راحة الحياة ولذاتها . على أنه يلتذ بذكر محبوبته ويذوق الآلام بسببها . فيقول :

« متى أنيبك ما بى ياراحتى وعذابى . »

ولقد بلغ درجة من التعبير يحمل بها القارئ على الاعتقاد بأنه محلم كل الإخلاص في حبه ، وأن حبه هذا هو كل أمنيته ، وأنه يرى في سبيل العشق ما لا يراه غيره ، ويهون عليه كل شيء في سبيل لإرضاء حبيبته حتى حياته ، وهو يغور بهذا كما قال :

« أنى تصيح عهدك أم كيف تخلف وعدهك . »

على أن لا نرى ابن زيدون من التصنع أحياناً وما يقول لأنه كان كديره من الشعراء يعبر عن غير شعور ، فإن تمكنه من الصنعة كان يفتق لسانه يقول الشعر ، كما قالوا إن السلطان أمره أن يعارض قطعاً كان يفتق بها ، واستحسن الخابيا ، وأشأ أحياناً كأنها صادرة من عاشق مقيم ، وضمنها مدح السلطان ، فقال :

« يقصر فربك ليسلى الطويلاً ويشى وصالك قلبي المليلاً . »

وفي بعض كلامه ، ما يدل على أنه كان يتصيد الألفاظ والمعاني التي قيلت في العشق ، فينظمها ويلبسها ثوباً جديداً وكثيراً ، وقد برع براعة عظيمة في ذلك كما قال :

« يا غزالا أسارني موثقاً في يد المحن . »

وهو في كل كلامه مبدع مجيد متفوق على غيره ، خفيف الروح ، عذب الألفاظ ، سهل الأسلوب . أما نونته التي أرسل بها إلى ولاده وبها كثيراً من شذوذه وآرائه المختلفة . فهي على شهرتها وجلالها كمثل شعره ولذلك لم تذكرها .

## نثر ابن زيدون

اشتهر ابن زيدون برسائليه الجدية والمزاية . أما الأولى فهي التي كتبها في سببه يستعطف بها ابن جهور وأما الرسالة المزاية وكتبها على لسان ولادة يتكلم على ابن عبدوس ويبال فيه لمشاركته في غرامه . اشتهر ابن زيدون بنائين الرسائل طردة أسلوبها النادر المثال ، ولاحتوائها على كثير من الأسماء التاريخية والأمثال العربية ، واقتباس أبيات من الشعر معروفة وقعت في صوغ الكلام وكأنها عملت من أجله ، أو قيست على سمته ، وليس من السهل اقتباس المثل في أمكته ، ولا من الهين أن يخوض الإنسان غمار الأدب الواسع ويسهل عليه الاختيار منه ، ويحفظ نفسه من الضلال في نواحيه ، ويميز بين الجيد وغيره ، ويختار ما يناسب المقام ، ويكون ذلك مقبولا لدى النفس ، ثم يصوغ ذلك كله في قالب واحد ويضم بعض أحزانه إلى بعضها ، ويحده كما يحض الزبد ، فلا يقتصر منه جزء مع آخر .

إن الكلام على هذا الحول أصعب من الابتكار في التأليف المبتدأ ، وكلما قرب إلى القارئ الأسلوب وصعب عليه معرفة تأليفه ، شعر بسعة اطلاع الكاتب ، وأعجب به وكبرت في نفسه منزلته ، وكلما فاجأه اسم لم يكن يحط به يبال ، أو رأى عاب من ذهنه ، أو تمسح إلى قصة لا يظن أن تذكر في مثل هذا الكلام ، أو عبارة تعرك من نفسه حب الاستطلاع ، أو مثل المصطفى ، أو ذكر رجل شهير يحمده ، أو نكتة تسر بها نفسه ، أو مسألة فنية يرتاح لها ويلتذ بدكرها ، زاد إعجابه بالكاتب وما كتب ، ورأى أن كل إنسان غير قادر على ذلك ، وأن هذه صفة يمتاز بها الكاتب عن سواه . كل ذلك في نثر ابن زيدون وهو من دواعي الإعجاب بأسلوبه في رسائله ، فقد عرف كيف يأتي في كتاباته بالتناسق في المعاني والألفاظ ، بل عرف أن يأتي بهذا التناسق في التأليف والجمع ، وكيف يتصيد كلام غيره ويرصفه رصفاً جيلاً ، كما أمكنه أن يرسم لنفسه منهجاً جمع فيه كل معلوماته ، واختار منها ما يناسب حاجته وموضوعه ، فكانت رسائله أنيقة



جيلة ، وكان كالمهندس الماهر الذى يعرف كيف يجمع بين الحجر والحجر ، والمصور الفنان الذى يؤلف بين اللون واللون . ولقد حاول ابن زيدون فى رسالتيه التوصل إلى غرضه ، فلم يدع وسيلة ما يجسم بها المعنى فى نفس القارئ لئلا يتهال عليه المعانى ويكون غرضه أوضح ، ورأيه أظهر ، إلا قبلها ، فكل ما ذكره من الأمثلة المقتبسة والمعانى المختارة قصد به توضيح ما يريد .

فى رسالته الجديدة أراد أن يستعطف ابن جهور ، ويبرئ نفسه مما اتهم به وينكل بأعدائه ، فبدأ رسالته بالاستعطاف وهو يستذل نفسه تارة ، ويمدح ابن جهور ويظهر لإحلاصه له ويتملق إليه أخرى ، ويمتدح عنه فيما وقع منه فى حق ، ثم يبين له شدة ألمه من شهامة أعدائه ، فقال :

« يا مولاي وسيدى الذى ودادى له . الخ . »

ثم أخذ يتعلل بالآمال ، ويضرب فى ذلك الأمثال ، ليسلى نفسه ويهدئ منها بعبارات شمرية يريد أن يؤثر بها فى نفس المرجو ويحمده على كل شيء ، كما يحمد الله على السراء والضراء ، فقال :

« هذا العتب محمود عواقبه ، وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي . »

ثم وقف موقف المذلة وكأنما يسمع الإنسان بكاءه فى كلامه ، واستصغر ذنبه فى ساحة صفو سيده ، وفى جوار ما ارتكبه غيره من الذنوب الكبيرة ، فقال :

« وأعود فأقول : ما هذا الدب الذى لم يسه عموك . الخ »

والمعجب فى ذلك من حضور ذهنه وحدته مما يدل على تيفظه الشديد ، ثم أخذ بعد ذلك يبرئ نفسه ، ويصحب من سيده الذى يصنى إلى أعدائه ، على ما كان له من المنزلة التى لم تدفع عنه ذلك ، وأخذ يلوم ابن جهور لو ما لا يظهر إلا من خلال عباراته ، لشدة تمكنه من تصرف الكلام واحتراسه فيما يقول :

« فكيف ولا ذنب إلا نعمة أهداها كاشح . الخ »

ثم ذكره بإخلاصه له ، ومدحه إياه ، وأخذ يرجع إلى استعطافه ويملقه ، فقال :

« وقد زاننى رسم خدمتك . الخ »

ثم حادته عزة نفسه فانتقل ثقلة أخرى ، فبين له أن مثله لا يصير على الهوان وأنه يستطيع فراقه ومجر بلده إلى مكان آخر ، ويخاطر فى هجرته هذه بما عسى أن يلاقى من الآلام مستأنساً بأدبه وفضله ، فقال :

« ولعمرك ما جهلت أن صريح الرأى أن أحوّل إذا بلغت الشمس الخ . »

وكانه شعر بأن هذا يدعو ابن جهور إلى أن ينسى استعطافه لما يظن فى هذا الكلام من عجب ابن زيدون بنفسه ، فأخذ يلطف من حديثه ، ويكس من هياجه ، ويظهر تمسكه بجوار سيده لأنه أفضل شيء لديه فى الحياة ، فقال :

« غير أن الوطن محبوب ، والنشأ مألوف . الخ »

ثم أخذ يقوى أمله فى إجابة طلبه ، ويضرب الأمثال فى ذلك ، ويمدح البناء فى جوار سيده بقوله :

« أعيذك ونفى من أن أشيم خلبا وأستمطر جهاما . الخ »

هذا أكثر ما فى هذه الرسالة الجديدة ، وأعظم ما فيها تأليفها الذى يرى من خاتمة تلك النفس الحائرة المضطربة التى تهيج مرّة وتهدأ أحياناً ثم ترجع وتلين ، وكأنما الكاتب فى نزاع مستمر بين نفسه وأهوائه ، أو كأنه هو ونفسه قرنان : يشدد كل منهما هند ما يخاف قوة صاحبه .

هذه صورة نفس ابن زيدون يراها القارئ إذا وقف عن كسب ونظر إلى حركات نفسه وهو يكتب أو

يمكر في هذه الرسالة . يرى نفسه الأبية وهو يفخر بها ويطن أنه من أهل الفضل ، ويرى نفسه التهمة ، وهو يحسب وبعد الذنوب الكبيرة التي تستحق مثل عقوبته ، لا يريد أن يقول هذا ظلم ، ولكن يريد أن يقول هذا حق وخرق في الرأي ، ويرى نفسه الكثيرة التي أخذتها الاكدار فذلك وأخذت تستعطف وتستدفع وتنطق ، يرى الإنسان كل ذلك في هذه الرسالة ، ومن هنا جالها وإبداها . لا ما بها من الأسلوب المبالغ أو العبارات المختارة لا غير .

أما رسالته الثانية التي كتبها لابن عبدوس من لسان ولادة ، فقد دلّ فيها على اطلاع واسع بالأمثال والأخبار ، وعلى ناع أوسع في المصاحف ، لأنه أقذع في ذم ابن عبدوس إقذاً ، وتهكم به تهكماً لا مثيل له حتى إنه ليحيل إلى الإنسان أنه جمع كل ما يمكن أن يقال في الذم والتهكم وأفرقه على ابن عبدوس واستعمل أسلوباً جيلًا خلافاً يدل على تمكنه من التصرف في الكلام ومعرفة امتلاكه عقول انقراء ، لأن هذه الرسالة على ضوئها وكثرة الاقتباس فيها الذي يستغرق أربعة أحاسيس أو أكثر ، وعلى ما فيها من الأمثال المعروفة والآيات المشهورة ، والاطناب في ذكر الأسماء التي يكي منها القليل ، ليس فيها ما يدعو إلى الملل ، ولا ما يفسد بالاستهجان والابتذال . على أن بها شيئاً كثيراً من تلك العيوب ، فقد ذكر أكثر من خمسين اسماً مشهوراً الرجال ، مردها سرداً ، وكان يكي مفرها ، وأكثر أيضاً من صفات الذم مما كاد يكون ثروة ولعوا ، ولكنه سترك كل ذلك بيراعته في الصنعة ، وليس أدل على جفاء الطبع وغلظه من هذه الرسالة ، فقد ابتدأها بسماحة نادرة ، ولكنها سفاهة أدبية فنية يقال :

« أما بعد أيها المصاب بعقله . الخ »

وسار على هذا النحو وأكثر من ذكر هذه الأسماء ، ثم أقذع في الذم وأطش في صفاته يقال :

« وهبها لم تلاحظك بمي كابية عن عيوك ماؤها حبيبها حسن فيها من تود . الخ »

واستمر على هذا النحو إلى آخر الرسالة يضرب الأمثال للاستهزاء والتهكم ، ولقد كشف ابن زيدون في هذه الرسالة عن نفس حقودة محبة للانتقام وأنه شديد الحقيقة ، ودل على غلظة في طبعه ، وخشونة في أخلاقه مع ذلك وهي رسالة تمتاز بأسلوبها ، وتناسق عباراتها ، ولعل ابن زيدون أخذ هذا الأسلوب من الجاحظ في بعض رسائله ، كما في رسالة الترييح والتدوير .

## ٢ — دراسة الأستاذ السكندري<sup>(١)</sup>

علمه وأدبه وبديته :

نشأ ابن زيدون في عصر اختلف فيه نظام ملك بني أمية فجاء بشوة البربر المشؤومة ، وقامت هذه الثورة وآثار الحضارة في كل شيء من علم وأدب وقنون ضاربة بجرانها في قرطبة ، فكانت غنية بالعلماء والفقهاء والوعيين والشعراء والمحسنين في كل صناعة ممن نبهوا في عصر النصور الهنيء ، فصادف ابن زيدون من قبل من دلمهم وكرم من أدبهم ، وكان أبوه وعشيرته من أهل الفقه والأدب فلم يكن إقباله على ما أخذ به أهلوه أنفسهم بدءاً من نفسه ، وإنما جرى في مضمارهم فزهم حلماً وأدباً ، وبعد صيت وعلم همة .

(١) مقتبسة من بحث طويل ممتع للأستاذ السكندري نشرته مجلة المجمع العربي .

## كتابة ابن زيدون

### (أ) طريقته فيها :

كانت طريقة كتابة الأندلسيين منذ عصر الناصر والمستنصر جارية على أسلوب ابن العيديد وحليته من أمثال العاصب بن عباد والبديع والحوارزمي والصابي ومن تابعهم من أمثال الحريري والعماد والاصمغاني ، وكان الكاتب الأندلسي الذي ينسج على منوالها ، وإن حلّ المأثور من النظم وضمن بعض القرآن والحديث لا يملب ذلك على قوله فتفقد فيه صورة نفسه وخاصة طبعه ، بل كانت تكون له التشبيهات الرائعة والتعليقات الحسنة ثم هو لا يخرج عن التزم السجع غالباً . وابن زيدون رعى هذه الطريقة من بعض الوجوه وخالفها من بعض ، فأما ما رعاه في كتابته منها فهو :

- ١ — حل المنظوم من مشهور الأبيات .
  - ٢ — الاحتجاج والاستشهاد بكثير من هذه الأبيات مستعملاً لها استعمال الأمثال فلا ينسجها إلى قائمتها .
  - ٣ — الاقتباس من القرآن الكريم أو الحديث بلفظهما أو تغيير بعض نظمهما .
  - ٤ — تضمين الحكم والأمثال بلفظ أصحابها أو تغيير في نظمها .
- وأما ما خالف فيه فهو :
- ١ — عدم التزام السجع .
  - ٢ — الاستكثار من أمثال العرب القديمة استكثاراً كاد يمسد قوله الحاص بجانبه ذاتماً وبخاصة العريب من هذه الأمثال .
  - ٣ — الاستكثار جداً من ذكر أسماء رجال التاريخ المشهورين .
  - ٤ — الاستكثار جداً من أسماء الوقائع الشهيرة في التاريخ .
  - ٥ — الاستكثار من الجمل المترادفة على مثال واحد في المعنى الواحد حتى يتكوّن منها فصل طويل يشغل فراغاً كثيراً من الرسالة لو اقتصر على فقرة واحدة من الفقر المتكورة في المعنى لترك الرسالة إلى خسمها أو سدسها . وهذه الطريقة غلبت على كتابته وهي على رسالتيه الجدية والهرلية أغلب ولا سيما الهزلية .

### (ب) منزلته فيهما :

اشتهر ابن زيدون عند المعاربة والمشاركة بأنه من بلغاء الكتاب والشعراء ، فأما الشعر فلا جدال في استعلاله ، فلاستحقاق ذلك الصيت الذائع فيها تأويل وتعليل يخرجان عن حدّ بلاغة الكتابة في ذاتها إلى أمور خارجة عن جوهر الاجادة ، وذلك أن كتابته اشتهرت بين الناس لأمرين :

أولاً : أنها ليست على متوال كتابة الأندلسيين في عصره بل هي بخلافها في بعض الصور ، وصدر العمل المخالف لعمل الناس من رجل متوسط في الحال لاف يداته للأنظار ، باهر للنفوس ، فكيف به لو صدر من ذي شأن نبیه بمنصب رفيع ونسب عريق ، وصيت ذائع في السياسة والأدب والشعر وحسن المحاضرة والنادمة .

وثانياً : أنها باهرة لاجتماعها وروعة أساليبها وشدة حوكها في نفس قارئها بل بما اشتملت عليه من وفرة التضمين والاستشهاد والوقائع وأسماء الرجال ، مما يكبر من شأن كاتبها في الصدور ، ويفسده له

بطول الباع ، وسعة الاطلاع ، ويكبر من شأنها هي ، إذ تكون بمثابة مجموعة أدبية حافلة بآثار الأقوال ، معرفة بكثير من حوادث التاريخ وأسماء الأبطال ، بحيث إذا حفظ ناشر متأدب الرسالة منها أودعت صدره زبدة اطلاع كثير وبحت طويل ، فكان شهرته آتية من طريق انتشيف والتعليم ، فتكون في الأدب أشبه بمن من متون العلم كثير المسائل والاحكام وجيز العبارة ، وهذا السبب بعينه هو سبب شهرة مقامات الحريري ، وبعض القصائد المحتوية على كثير من أسماء الرجال وحوادث التاريخ والحكم والأمثال ، كقصيدة ابن دريد ورائية ابن عبيدون في رثاء دولة بني الأفطس ، ونونية الرندي ، ولامية ابن الوردى ، ونونية البسي ونحوها ، وكلها عظيمة الأثر في التعليم والتأديب وسرعة التوقيف على أكثر ما لا يسع الأديب جهله في لفظ يسير وزمن قصير ، لافي بلاغتها ذاتها وحسن تأثيرها في النفس حتى تستجيب النفس لداعياها ، وتعمل على قائلها ، ولذلك تجد رسالة ابن زيدون الجدية التي استعطف بها جهورا لم تؤد ما وضعت له . ولا نغنى بكلامنا هذا أن الرجل كان قليل الحاطر ، أو ضميم الارتجال ، فكل من تعرض لذكر أخباره يصفه بقوة العارسة ، وسرعة البديهة والارتجال ، وأنه كان في مجلس ولادة يرتجل المقطعات الشعرية البليغة ، ويحاضر بالكت النادرة والأجوبة المسكتة ، ودفن بعض حرمه فوقف للناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فما أحب أحدا بما أجاب به غيره ، وتلك غاية لا تدرك .

ولمّا خلق الرجل شاعرا مطبوعا ، واضطرته الوزارة إلى الترسل والكتابة فكانت كتابته بالشعر أشبه منها بالنثر ، وأكثر المغاربة لا يتحدثون إلا في شعره على عكس المشاركة .

## رسالته الجدية

هذه الرسالة أشهر رسائله وأبلغها ، وأكثرها عائدة على المتعلمين الذين يحفظونها لتويع فصولها وتعدد الأغراض التي رمت إليها ، والمعاني التي لوحت بها على ما أبانت من أمل كاتبها ، وما حوته من روعة التأثير في النفس . وهذه الرسالة بعث بها من السجن إلى جهور يستعطفه بها ولكنه منزع الاستعطاف بكثير من الزهو والامتنان ، واستنطاق العقاب على ذنب متوهم على طريقته السكتانية التي وصفناها آنفا . وإذا حللنا هذه الرسالة إلى عناصر الأغراض التي تألفت منها وجدنا أنها لا تعدو عشرة أغراض تؤدي في عشرة أسطر إلا أن كثرة الجمل المترادفة الأسلوب والصورة زادت في ذرعها طولا .

وذلك أنه ناداه بالفاظ السيادة أولا ، ثم اعتذر له عن نكبتة إياه بعد ما أحس الجاد به الإنسان بصدق خدمته له وثنائه عليه ، بأن عمل الخير قد يعود على صاحبه بالشر ، وأول هذه المقابلة بأنها صادرة عن حسن نية وقصد تأديب ، ثم أخذ يسترث العفو ، ويستقطع هذا العقاب الذي كان يعضه كافيّا لردع الأبالسة وكبار القتاك والحارجين على الأنبياء والأئمة والدين ، مع إن المسألة لا تخرج عن وشاية حساد سمع جهور لهم فكى وليه الذي توه بذكره ، ثم أخذ الزهو فذكر أنه كان في مكنته أن يستبدل بخدمته خدمة من يرحب به من الملوك ، غير أنه من عليه مفارقة وطنه ومولاه القديم ، ثم عوذ نفسه من أن يكون معه كالمستجير من الرمضاء بالنار ، وناشده المتي حتى توقع الفكك ، ثم استلج نثر هذه الرسالة ورأى أن يستلحقه بقصيدة ، فكانت هذه في رأينا آتني لفظاً ، وأهذب مورداً ، وأطبع اساقا .

« ثم أورد القصيدة وقال : »

## محاسن هذه الرسالة ومعانيها

لا ريب أن مكان هذه الرسالة من الأدب العربي مكان المشهور المأثور المحفوظ في الصدور الخلد في السطور وذلك لأمرين :

الأول : أنها جراب أدب حاو لجملة نماذج مختلفة من هيون مواد الأدب بما ضمنت من اقتباس القرآن والحديث ، والأمثال ، والحكم ، والأبيات المشهورة ، وحل نظم الكثير منها والإشارة إلى ما فيها من وقائع التاريخ الشهيرة التي يجدر بالأديب معرفتها والاستشهاد بها .

الثاني : حسن ملائمتها بين هذه الصنوف وجودة رصفها وجمع شتاتها في موضوع واحد مما يصر على غير حاذق التوفيق بين متباينة ، ويجعل نطقها غريباً ونسجها وحيداً .

الثالث : حصانة عبارتها وجرالة لفظها في كثير من مواضعها وخاصة ما استقل به كاتبها معنى وإنشاء . ولكننا إذا نظرنا إليها بعين الناقد وأنعمنا بالبحث في بلاغتها أي مطابقتها في معانيها ومبانيها لمقتضى الغرض الذي وضعت له ، وهو الاستعطاف ، وجدنا أنها تقصر دون بلوغه لجملة أمور :

الأول : كثرة ما رددته كاتبها فيها من عبارات الامتنان على مولاه بطول ثنائيه عليه وحسن سابقته عنده وعظيم بلائه في إقامة دولته مما يعده الرئيس عادة تعبيراً وتجيئاً .

الثاني : تهديد مولاه بأنه لولا حب الوطن لكان له أرفع مقام في خدمة غيره من الملوك الذين يتسارعون إلى الترحيب به ، ويتنافسون في استخدام أمثاله .

الثالث : أن وضعها بهذه الصورة يجعلها غير كفيلة بانجاح الغرض الذي وضعت له ( وهو تحريك عاطفة الرحمة والعفو ) بما يصرف نفس قارئها عن أن يتأثر ببلاغتها وينسفلها بتذكر الحوادث والقصص التي أتت عليها ، وأسماها الناس ، وضرب الأمثال ، فلا يفرغ القارئ من تعرف اسم رجل حتى يقع في مضرب مثل ، ولا يخلص من تفهم شاهد حتى يتقحم في أوصاف منه ، فيتقسم فهمه ، وينشأت تأثره ، وإنما يأتي التأثير من اسباب غمرة من الانخداعات المتكررة ، بتكرار العبارات البليغة المؤثرة ، فتحدث بمجموعها أثراً كلياً في النفس ، فتجيش بالشفقة ، وتهش للعفو ، ويمثل ذلك كالإنشاء المبرقش بكثير من أنواع البديع غير مؤثر ببلاغته ، لشغله الدهن عن التأثير ، وصرفه إلى تفهم البديعة .

ومن هذه الوجهة نرى أن رسالة ابن زيدون ليست مثالا يحتذى للإنشاء البليغ المؤثر في النفس .

الرابع : وقوع بعض هفوات له ذكرها الصفدي كاحتياج فقارها إلى ذكر فقار بعد تنتم معناها وتلثم بها مع ما بعدها ( وهذه نضرب صغماً عن ذكرها ) وكبعض أخطاء في المعنى والوقائع ( وهذه نشير إلى بعضها ، ومن أراد مراجعة الجميع فعليه بشرح الصفدي ) .

فن هذه قوله ( وتأولت في بيعة العقبة ) وسياق كلامه في هذا الفصل يقتضي ذكر أسماء أناس منكرات يبرأ هو أن يكون مثلهم ، ولم ينقل أحد من أهل الأثر أن أحداً ممن بايع فيها تأولها أو نكثها .

ومنها قوله « وتخلفت عن الصلاة في بني قريظة » ولم يعلم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنكر على من تخلف عن صلاة العصر في بني قريظة وصلاها في الطريق بل أقر الجميع على عملها وهد ذلك من اجتهاد الصحابة .

ومنها قوله « وزعمت أن بيعة أبي بكر كانت فلتة » مع أن قائل هذه الكلمة عمر بن الخطاب ، ولم يقلها من إرادة سوء فلا ينبغي أن يتمثل به في أعمال الجناة .

ومنها قوله « وكتبت إلى عمرو بن سعد أن جميع بالحسين » مع أن المکتوب إليه الحرث بن يزيد التميمي لا عمرو بن سعد .

وقد أتى الصفي على عيوب آتية من تصحيف أو سوء تأويل منه هو ، أعرضنا عنها خوف التناول .

### رسالته الهزلية

كان الوزير أبو عامر بن عبدوس ينافس ابن زيدون في حب ولادة ، فاتفق أن حدث نبوة بينهما ، فأرسل ابن عبدوس إليها امرأة من صواحباته لتسليمها إليه ، وتذكرها بفضله وأدبه ، فردت ولادة المرأة بالحيلة ، وكتب ابن زيدون إلى ابن عبدوس عقب رجوع المرأة هذه الرسالة على لسان ولادة ، يرد عليه ويتهم ويهجو ويتوعده . وفي ظننا أن ابن زيدون كتبها من نفسه تشفياً من ابن عبدوس لا عن رأى ولادة ورضاعها مما ألحش فيها وأقذع .

والرسالة كسابقتها في قلة أغراضها وتكرار أساليب فصولها ، وذلك أنه بدأها بوصف ابن عبدوس بأوصاف الحق والجهلاء منكرأ منه إرسال خليله إلى ولادة ، مثنية عليه ومرغبة فيه ، واصفة له بأوصاف أعيان الزمان من العلماء ، والأدباء ، والأطباء ، والفلاسفة ، والشجعان من فلان وفلان ، وإن ولادة طردتها أشنع طردة ، ثم أخذ يهجو بأوصاف في الخلق والخلق ، وإن ولادة لو أرادت الرجال لكان لها من الأكفاه من قومها وأعيان زمانها من يفضلها سناً وشرماً وجمالاً الخ .

### ٣ - دراسة الأستاذ علام سلامة<sup>(١)</sup>

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون الخرومي القرطبي كان من أبناء وجوه الفقهاء قرطبة وبرع في الأدب والفنون ، فتم عليه فضله ، وذاع صيته ، وارتفعت مكانته ، واختص به أبو الوليد ابن جهور أحد ملوك الطوائف واتخذ وزيراً وادتمت عليه في السفارات بينه وبين ملوك الأندلس ، فأعجب القوم به ، وتمنوا ميله إليهم لبراعته ، وحسن سيرته ، واتفق أن قم عليه ابن جهور وحبيه ، فاستعطفه برسائله السابقة وبأثالثها فلم يمن ذلك عنه شيئاً فتحيل لنفسه حتى تسال من حبسه والعزل بالمتعمد بن عباد صاحب إشبيلية سنة ٤٤١ هـ حل منه محل السويداء من الهوادر ، واستخلصه استخلاص المتعمد لابن أبي دؤاد يجالسه في خلواته ، ويركن إلى إشارته ، ولم يزل صده وعند ابنه المتعمد فأم الجاه وافر الحرمة حتى توفي سنة ٤٦٣ هـ وكان له ابن يقال له أبو بكر تولى وزارة المتعمد ، وقتل يوم أخذ يوسف بن تاشفين قرطبة سنة ٤٨٤ هـ وقد أثنى عليه ابن بسام في الدخيرة بقوله : كان أبو الوليد غاية منشور ومنظوم ، وخاتمة شعراء بني مغزوم ، فاق الأنعام طرا ، ووسع البيان نظماً ونثراً ، إلى أدب ليس للبحر تدفقه ، ولا لبدر تألقه ، وشر ليس للسحر بيان ، ولا للنجوم الزهر اقتدائه ، وحظ من النثر غريب المباني ، شعرى الألفاظ والمعاني .

ومما يحكى عنه في سعة البيان والقدرة على التنفن في أساليب الكلام أن ابنته توفيت فوقف للناس عند منصرفهم من الجنائز ليتشكر لهم ، فما أعاد عبارة قالها لأحد ، وهذا عجيب للغاية ، ولا سيما من يزون فقد قدامة من كبده :

« ولكنه صوب القول إذا انبرت سحائب منه أعقبت بسحاب . »

## كتابه

كان ابن زيدون مع صفاء قريحته ، وقوة سليقته في البيان يؤثر الرواية والتأني لنسج القول ، وكان مع سعة روايته اتقن الأدب علماً بأخبار المعجم والعرب ، متمسكاً من كل ما يعوز الأديب بسبب ، وليس بدعاً أن يكون لكل أولئك آثار في كتابته ، وليس بدعاً أن لم تكن كتابته عفو الخاطر السامع ، ولا وحى البديهة البادئة ، ولا مصارة عصر الجين ووليدة التكلف ، فقد جاءت خلاصة الرواية الحصيفة تؤيدها قوة الطبع ومصاصة التنقيح السديد ، يؤازره لطف الذوق ، كما جاءت سبيكة رائعة صائها صانع من مبتكر المعاني الساحرة ، ومستل الأمثال السائرة ، ومقتبس الأبيات النادرة ، ورصها بفرائد من أخبار الناس ونوادر الحوادث . ولئن كان البديع قد فاته في استرساله الطبع ، ولطف الخيال ، ورشاقة المعاني ، لقد فاق هو البديع في متانة الباني ، والتغلغل في نواحي المعاني ، والصبر بمواضع الاقتباس ، وتوشية الرسائل بأخبار الناس . أما أوضح ميزاته ففحاحة الألفاظ في غير كرازة ، وطول الأسلوب في غير اعتساف ، ورصانة المعاني في غير جفاف ، والتأليف بين جمال الخيال وجلال الحقيقة .

ومن محاسن رسائله رسائله الحدية والهزلية وكتلها غرّة في جبين الآداب العربية ، وقد عني بفرحها كثير من الأدباء . أما شعره فله ديباجة رائعة ، وصياغة بارعة كأنما هو سبائك النصار ، أو حدائق الأزهار ، لا سب أنسالك صاحب يثينة ، وإن مدح خلته شاعر مزيته ، ومن مقطعاته التي تشهد له بجودة الطبع ، وإتقان الصنعة قوله :

« بيني وبينك ما لو شئت لم يصع سر إذا ذاعت الأسرار لم يدع . »

ومن شعره الذي يختلط بالروح رقة ، وبالهواء لطافة قصيدته التي كتبها إلى ولادة التي كان شديد الكلف بها والهام بحبها يستديم عهدا ، ويؤكد ودّها ، وفيها يقول :

« أضحي الثاني بديلاً من تدانيما وزب عن طيب لقياماً تحافينا . » الخ

وقد سقنا أكثر هذه القصيدة لبراعتها ، وقد ضن بعض شطورها ابن الوكيل في موشحة ، وسدسها بعض أدباء المغرب .

## ٤ — دراسة الأستاذ أحمد زكي باشا

### أولية ابن زيدون

كان في جملة القبائل التي ذهبت إلى الأندلس وهبط من بني مخزوم توطنوا في جهات قرطبة وما إليها ، وناميك بهذه القبيلة ذات الشرف الصميم ، واللسان القويم .

فكان بنو زيدون من رجالاتهم المعدودين ، خصوصاً في الفقه والأدب ، واشتهر منهم ثلاثة حفظ لنا التاريخ أسماءهم ، وهم :

(١) أبو بكر غالب بن زيدون .

(٢) أبو الوابد أحمد بن زيدون .

(٣) أبو بكر بن زيدون .

كان مولد الأول في سنة ٣٠٤ ومات سنة ٤٠٥ بعد أن بلغ من العمر مائة سنة . توفى في ضيعة له . ثم نقلوا تابوته إلى قرطبة ، فدفن بالريش ( أى الضاحية ) .

وهناك رثاء أبو بكر عبادة الشاعر الأندلسي بما يعرف بمقامه في قوله :

«أى ركن من الرياسة هيباً وجوم من المكارم غيباً

حلوه من بلدة نحو أخرى كي يوافوا به ثراه الأريضا

مثل حمل السحاب ماء طيباً لتداوى به مكاباً مريضاً .»

وأما ثانيهم فهو واسطة العقد ، والذي يدور عليه كلامنا . والثالث هو الذي تقلد بعد أبيه ( أبى الوليد ) وزارة المعتمد بن عباد ، وانتقم لأبيه من ذى الوزارتين ابن عمار ، وكان أبو بكر هذا هو الذي تولى السفارة عن ابن عباد إلى يوسف بن تاشفين صاحب المغرب الأقصى حينما تنمر الاسبانيون مع ملكهم الایدفوش ( الفرنس السادس ) ملوك الطوائف ، وخصوصاً لبى عباد في خلب يطول شرحه ، ولا يسع المقام تلخيصه .

### من هو ابن زيدون ؟

هو ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخرومي الأندلسي . كان مولده بقرطبة في سنة ٣٩٤ أعى في الوقت الذي سرى فيه الانحلال في جسم الخلافة الروانية بالأندلس بعد أن بلغت من المجد نهاية النهايات ، وأدركت من الفجامة ما لا تصدق معه الروايات . في ذلك الوقت تحللت عرى الدولة ، فانقسم المسلمون على أنفسهم ، وتخاذلوا ، واستنصروا أعداءهم على بعضهم بعضاً ، وسلبوا البلاد والفلاح والحصول واحداً تلو الآخر إلى أعدائهم وأمدتهم بالمعونة على إخوانهم ، وهكذا حتى أودت تلك الفواح بذلك الملك الكبير ، ثم أنت على القوم بأكلهم فأصبحوا خسرأ بعد عين . نتساءل عنهم بقولنا كيف وأين ؟ في تلك الأيام استظهروا على شهراتهم بجر ذيوها ، وامتروا بظلالها من أخلاف أباطيلها . حتى انتفت عصاهم ، ودارت بدائرة السوء . على الجهالة رحاهم .

كان ابتداء الانحلال والانحلال من أول يوم جلس فيه المستعين على عرش الخلافة في منتصف ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ .

فقد كانت أيامه كلها كما وصفها ابن حيان الأندلسي « شداداً نكرات ، صعباً مشومات ، كرميات المبدأ والفاتحة ، قبيحات المنتهى والخاتمة » ، ما فقد فيها حيف ، ولا ورق خوف ، ولانم سرور ، ولا نقد عذور مع تميز السيرة ، وخرق الهيبة ، واشتغال الفتنة ، واعتلاء العصبية ، وظلم الأمن وطول الخماة ، دولة كفاها ذماً أنها تمخضت عن الفاقة الكبرى ، وآلت من التي بعدها إلى ما كان أعضل وأدعى . مما طوى بساط الدنيا ، وعفا رسمها وأهلك أهلها ، وإذا أراد الله شيئاً أمصاه . »

وكذلك لم يكن في المستكى أدنى كفاية للخلافة . وإنما أرسله الله على الأمة محنة وبليسة . إذ كان منذ عرف منقطعاً إلى البطالة ، مجبولا على الجهالة ، عاطلا عن كل حلية تدل على فضله ، عضته الفتنة فأملق ، وهان حتى أهانه أهله ، ولقد رآه أبو حيان مؤرخ الأندلس المشهور أيام الحسف بأهل بيته في الدولة الحودية ولم يكن من لحقه الاعتقال منهم لركا كنه . كان يقصد أهل الفلاحة يومئذ بقرطبة أو ان ضدهم لملانهم يسألهم من زكاتها . قال « وقد أجمع أهل التحصيل أنه لم يجلس في الامارة منذ تلك الفتنة أسقط منه ،



ولا أنقص . إذ لم يزل معروفاً بالتحلف والركاكة ، مشتهراً بالشرب والبطالة ، سقيم السر والملاينة ، أسير الشهوة ، عامل الحلوة . »

ذلك الوقت هو الذي أشار إليه ابن حزم بقوله :

« فضيحة لم يقع في الدهر مثلها ، أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام في مثلها ، يسمى كل واحد منهم بأمير المؤمنين ، ويخط له في زمن واحد : أحدهم خلف المصري بلشيبيلة على أنه هشام بن الحكم المؤيد . والثاني محمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء ، والثالث محمد بن علي بن حمود بمدينة مالقة ، والرابع إدريس بن يحيى بن علي ببنته ، تلك هي الأيام التي بنى العرب والبربر فيها في خصام مستديم ، وكان كل من الفريقين منقسماً على نفسه ، وكان الجميع في خلاف مع أهل المغرب الأقصى من الجنوب ، وفي حروب وخطوب مع بقايا الأمم الإسبانية من الشمال والعرب . في ذلك الوقت العسير تفرق أهل الأندلس فرقاً . وتنازل في كل جهة منها متغلب . وهم الدين عرفهم التاريخ باسم — ملوك الطوائف — وقد أرادوا أن يفحموا أنفسهم وممالكهم فتقسموا ألقاب الخلافة ، كما تناهبوا أشلاءها . فكان منهم المعتضد ، والمأمون ، والمؤتمن والمستعين ، والمقتدر ، والمعتمد ، والموفق ، والمتوكل . إلى غير ذلك من الألقاب الخلافة . حتى قال في ذلك أبو علي الحسن بن رشيق ببين سارا سير الشمس ، وبقيا بقاء الدهر ، وهما :

« مما يزهدني في أرض أندلس سماع معتد فيها ومعتصد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالحريحكي اتماخاً صولة الأسد . »

فكانت طرطوش ، وسرقسطة ، وإفراغة ، ولاردة ، وقلمة أيوب في يد بني هود . وكانت بلنسية في يد عبد الملك بن عبد العزيز ، وكان الثغر أي ماموق طليطلة في يد بني ذي النون وكانت قرطبة في يد أبناء جمهور ، وكانت اشبيلية في يد بني عباد ، وكانت مالقة والجزيرة الخضراء وغرناطة في يد بني برزال من البربر ، وأما المارية فكانت في يد زهير العاصري الخادم ، ثم خيران العاصري الخادم ، ثم ابن صبادج وكانت دانية وأعمالها والجزائر الشرقية ( الباليار ) في يد مجاهد العاصري ، وكانت بطليوس وإبرة وشنترين في يد بني الأوطس ، فلا عجب إذا كثرت الوزراء في تلك الأيام ، ولا عجب إذا كثرت أيضاً ذور الوزارتين ، فالناس على دين ملوكهم ، فكان كل من امتلك مائة كيلو متر مربعاً في مثلها يعد نفسه سلطاناً كبيراً . ويتخذ من الحاشية ما يضارع به أئمة الخلافة وقد كان عهدهم بها قريباً . فكثرت عندهم الوزراء ، وكثرت بينهم الذين يلبون أنفسهم بذى الوزارتين .

ومن الطبيعي أن الرئاسة إذا انحطت من جلالها تمها الرؤوس في السقوط ، فلما تدارت الخلافة في الانحلال صارت الوزارة أيضاً في درجات الهوان . فإن المستعين الذي ذكرناه قال بعد أن جالس على عرش الخلافة للناس أجمعين . ارتدوا كيف شئتم ، وارتسموا بما أحببتهم من المخطط ، فتسمى بالوزارة مفردة ومثناة أراذل الدائرة ، وأخابث النظار ، فضلاً عن زعانف الكتاب والخدمة ( عن ابن بسام )

وصارت هذه الرتبة تنحط مع انحطاط الدول ، حتى نزلت في أواسط القرن الثامن للهجرة إلى الدرجة التي وصفها لنا ابن فضل الله العمري حيث قال :

« سألت الشيخ العلامة ركن الدين أبا عبد الله بن القويوم رتبة الوزير بالمغرب ، فقال : ليست بباطل ، ولا لصاحبها شيء من الأسر . بل هو كالجاويز يخرج من قدام السلطان يوم الجمعة : حقيقة دون السمعة » وقد استبدت هؤلاء الرؤساء بتدبير ما تغلبوا عليه من الجهات ، وانقطعت الدعوة للخلافة ، فلم يبق الخليفة

هاشمي أو أموي ذكر على منابر الأندلس خلا أيام يسيرة دعي فيها بإشيلية لهشام المؤيد بن الحكم ( أو لشعص شسبه له ) حسبما اقتضته الحيلة ، واضطرّ إليه التديير . ثم انقطع ذلك ، فأشبهت حال ملوك الأندلس بعد الفتن حال ملوك الطوائف من الفرس بعد قتل دارا . وحال قواد الاسكندر بعد وفاته . ولم يزل هؤلاء الرؤساء في اقتتال وتخاذل ، يستعينون بعدوهم جميعاً فيميل تارة إلى هذا وطورا إلى ذلك حتى اختلت الأحوال إلى أن تولاهم الضعف فاستنصروا بالمرايعين فانتظم الشمل ، وعادت المياه لأرورها . ولكن إلى أجل معين . ثم عاد الانشقاق والانقسام ، فأنتجت كلمة الاسلام ، وانطفأ ذلك النور ، وباد القوم عن آخرهم في سنة ٨٩٧ هجرية . بعد أن أقاموا فيها ثمانية قرون . لأن دخولهم كان في سنة ٩٢ للهجرة على يد طارق يد زياد .

\*\*\*

رفعت الستار عن هذا النظر الحزن ليكون لكم ولأهم المشرق تذكرة وعبرة . خصوصاً في الأوقات الحاضرة ، والآن أقول لكم إنه على الرغم من توالي الفتن . واضطراب الأحوال كانت سوق الأدب رائجة وبصاعته نافقة . فكل أمير ، وكل وزير ، وكل كاتب ، وكل وجيه كان له من الأدب نصيب وافر . عرفنا من تقسيم الأندلس بين ملوك الطوائف أن بني جهور استبدوا بقرطبة وأن بني عباد استأثروا بإشيلية ، في المملكة الأولى درج ذو الوزارتين ابن زيدون وترى وظهر فضله . وفي الثانية قضى بقية أيامه في العز والكرامة . وكانت بها وفاته في محرم سنة ٤٦٣ هـ على التحقيق الدقيق كما نس عليه . معاصره ابن بسام ولا عبرة بالأقوال الأخرى من وفاته . لأن الذين قالوا بوفااته في سنة ٤٠٥ خلطوا بينه وبين أبيه غائب ابن زيدون .

اشتغل ابن زيدون بالأدب ، ولطس عن نكته ، وتقب عن دفائمه . إلى أن برع وبلغ من صناعات النثر والنظم المبلغ الطائل . حتى قال فيه ابن بسام :

« كان أبو الوليد غاية متشور ومنظوم وخاتمة شعراء بني مخروم . . . الخ . »

وما هم أن أصبح في الأندلس « متيم ذلك الحى ، وعاشق ولادة لامي ، زاد على مجنون ليلي ، وقيس لبي ، وابن أبي ربيعة صاحب التريا ، تركه هواه أنحف من قلم ، وأشهر من نار دلي علم . وله مع ولاده أخبار ما حكى مثلها ابن أبي عتيق ، ولا الاصفهاني عن سكان وادي العتيق ، ولا الأصمعي عن أهل ذلك الفريق ، أندى من نسيم الصباح ، وأرق من ربي الفوادي في ثنور الأفاح »

وإذا تصفحنا دواوين الأدب عند الأمم الأخرى لا نجد له شبيهاً سوى تيبولس شاعر الرومان . وتنقسم حياة ابن زيدون إلى قسمين مهين ( ١ ) في قرطبة ، ( ٢ ) في إشيلية .

\*\*\*

أولاً - في قرطبة : برع ابن زيدون في الأدب ، حتى كان أبو الوليد في الأندلس شبيهاً ومثيلاً لأبي الوليد في دولة المتوكل العباسي ، وقد سماه الناس بحتري الأندلس ، ولقد صدقوا .

فن جملة المخطوطات في صباه قوله :

أخذت ثلث الهوى غصباً ولي ثلث . . الخ

ثم هام بعد ذلك بحب ولاده بنت المستنكى الخليفة الأموي بالأندلس ، وكانت أديبة ، شاعرة ، جزلة القول حسنة الشعر ، تناضل الشعراء ، وتساجل الأدباء . وهرت صمراً طويلاً ولم تزوج قط . جاءت على خلاف

أيها في كل أوصافها . فكانت مصداقاً لقوله تعالى « يخرج الحي من الميت » وقد ابتذل حجابها بعد نكبة أيها وقله ، فصارت تجلس للشعراء والكتاب وتماثرهم ، وتحاضرهم ، ويستمعها الكبراء منهم . وكانت على خلق جميل ، وأدب غصن .

وكان لابن زيدون معها أخبار تطرف القلوب ، وتشف المسمع ، لأنه خلق في هواها العذري عذاره ، وقد شهد المؤرخون كلهم لها بالمعة والعيانة . ولكن الشعراء في كل واد يهيئون ، فكيف لا يهيئ بولاده أبو الوليد بن زيدون .

والقام لا يتسع لاشعاره فيها ولا شمارها إليه . ولسكى آفكم براموز ومثال ، واترك الباقي لمير هذا المجال . ودعها ذات يوم وأنشدتها مرتجلاً :

« ودع الصبر محب ودعك . . . الخ »

ثم قال :

« يانازحا وضئير القلب القلب مثواء . . . الخ »

ولما كان مجلس ولادة بقرطبة متسدى لا حرار المصير . وفناؤها ملمباً لحياد النظم والنثر . يمشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، ويتهاوت أفراد الشعراء والكتاب على حلابة مسامرتها ، وهي مع ذلك عافطة على علو النصاب ، وكرم الأنساب ، وطهارة الآثواب ، ولقد طمع مصمم في الاستئثار بها دون ابن زيدون فنازحه على حبها وزاحجه في دودها رجل من رجالات عصره ، وهو أبو عبد الله البجليوي ، فكتب إليه ابن زيدون يزرجه بهذا الزجر :

« أيا عبد الإله اسمع . . . الخ . »

ومنهم الوزير أبو عامر ابن عبيدوس الملقب بالفار . وكان من أكابر رجالات قرطبة ، فاغتاط ابن زيدون وبهت إليه بهذه الآيات :

« أثرت هزير العسرى لاذ ربض . . . الخ »

ثم كتب له رسالته المشهورة على لسان ولادة ، وقد عبث فيها به كما عبث الجاحظ في رسالته « الترييح والتدوير » بأحمد بن عبد الوهاب الكاتب في بغداد ، فاشتهرت رسالة ابن زيدون في المشرق والمغرب وهي التي شرحها كثير من أدباء المشاركة ، كابن نباتة والصفدي .

وشرح ابن نباتة قد طبع في مصر مراراً . وهو في غاية الحسن ونهاية الفائدة . وأما شرح الصفدي لهذه الرسالة فلم يصلنا . على أن ابن عبيدوس لم يثن من محاولته . حتى تمكن من إيقاع الجفوة بين ابن زيدون وولادة ، واستأثر بها دونه ، فاغتاط ابن زيدون والتجأ إلى قريضة الفارص ، فلعن الرجل بقوله :

« أكرم بولادة ذخرا لمذخر لو فرقت بين يطار وعطار

قالوا أبو عامر أضفى يلم بها قلت الفراشة قد تدنو من النار

صيرتمونا بأن قد صار يخلفنا فيمن نحب وما في ذاك من عار

أكل شهي أصبنا من أطايبه بعضاً وبعضاً صفعنا عنه للفار .

واقدر فاز ابن زيدون ببناء . من إقصاء الفار عن حماه . بل أن ولادة أخذت تعبت بذلك الوزير . حتى لأنها صرت به ذات يوم في تربها وسربها ، وكان الوزير ابن عبيدوس جالساً على داره يستنشق الهواء العليل ، وكانت أمام داره بركة تجمعت فيها مياه المطر ، والنساق إليها هيء من أقدار الدار . وكان الوزير

جالسا في أبيته وعظمته وقد نمر كية ، ونظر في عطفه ، وحشر أعوانه إليه . فلما قربت منه ولادة ناداته باسمه ، فمش إليها وبش ، واقترب من البدر فقالت له وهي تشير إلى البركة : يا ابن هيدوس :

« أنت الحبيب وهذه مصر قد صدقا فكلاكما بحر . »

ثم نفرت كالظي الشارد وتركته حائراً باثراً . باهتاً صامتاً ، لا يحير جواباً ، ولا يبي خطأ ولا صواباً ، وهذا البيت لأبي تواس تمثل به ولادة وتقلته هذا النقل الحسن من المدح إلى الهجاء .

غير أن هذا الوزير صبر حتى خلا جو قرطبة من ابن زيدون فاستأثر بولاده وعاش وعاشت حتى بلغا الثمانين وهما يتراسلان ويرثمان في بساطين الأدب ورياض المغاف .



لم يبلغ ابن زيدون الخامسة والعشرين من عمره حتى نبه ذكره ، وعمّ صيته . اصطنعه أبو الحزم بن جمهور المتغلب على قرطبة ونواحيها وضواحيها ونوه به لأنه رأى في الآداب ، وعمدة الطرف . والشاعر البديع الوصف . ولما له بقرطبة من الآثورة السنية ، والوسامة والدراية ، وحلاوة المنظوم ، وقوة المعارضة ، والافتنان في المعرفة ، فكانت الكتب تنفذ من إنشائه إلى شرق الأندلس فيقال : تأتي اشبيلية كتب من نظم الخطير ، أشبه منها بالمتور . ثم ترقى في وظائف الدولة القرطبية حتى صار إليه النظر على أهل الدمة . ثم رآه ابن جمهور أملاً للوزارة فراه إليها . بل جعله ذا وزارتين ، فكان منه بمنزلة السيمير والوزير والمشير والسفير . فكم أغذه إلى ملوك الطوائف لأمور سياسية . ولحجرات تقتضيها المعاملات والمجاهلات التي التي يوجبها ، أو يدعو إليها علاقاته معهم أو مع ملوك الأسبانيين الذين كانوا يترصون به وبهم دوائر السوء . فأحسن ابن زيدون التصرف في ذلك . وغلب على قلوب الملوك . حتى كان كل ملك يخطب وده . ويتنى أن يقيم عنده . ولكنه بعد انهاء مهمته يرجع إلى صاحبه بقرطبة وإلى مجالس أسرته بها . وهو به بأهلها في ذلك الوقت المضطرب بالفتنة الداخلية والمحطوب الخارجية . كانت الجاسوسية لها أثر في مصالح الدولة ، وفي أحوال الأفراد .

ترك أمور الدولة وسياساتها جانباً . وتقتصر على الدائرة التي ارتضينا لآفتنا الجولان فيها وهي ميدان الأدب .

ونذكر حكاية تدل على الجاسوسية الفردية في تلك الأيام .

كانت بقرطبة جارية تمسك فتى من القرشيين . وكانت لوجدها كاتمة . ولكن الخبر وصل إلى الوزير ابن زيدون ، فلم يعبأ به لأن القوم كلهم كانوا متفلقين في هذه السيل .

وكانت الجارية تقول الشعر فجاشت نفسها ببيت قد وامتنع عليها ما تريد . وهذا البيت هو :

« يا معطشى عن وصال كنت وارده هل ملك لي غلة إن صحت : واعطشى . »

جاءت إلى كبير الوزراء . وأمير الشعراء . وسأته أن يزيد عليه شيئاً وهي تظن أنه لا يعلم بما هي فيه من الغرام . فأمسك القرطاس واغتم فرصة الروى ، وما يعلمه من السر المطوى ، فكتب :

« كدوتني من ثياب السقم أسبغها ظلاماً وصيرت من لطف الضنى فرقى . »

.....

« جفني إذا التدت الأجنان طيب كرى جفا المنام وصباح الليل يا قرشى . »

ومن تأمل أحوال الأندلسيين رأى أنهم كانوا يبالغون في التشبه بالشرقيين في كل ما اشتهروا به أو اشتهر

من أحوالهم ، فدائنتهم وعمائرهم وقصورهم ومنازلهم سموها بما اختاره الشرقيون في بلادهم كذلك حاكمهم في مجالس أسهم . وأما أقصر على ما يتعلق بابن زيدون وصحبه ، وأمهّد لذلك عما كان في بغداد . كان في دار السلام الوزير المهلب المشهور ، والناضي التنوخي ، وقد بلغا من الكبر سناً عالياً . ولهما ذقون يبيض نهال على صدورهما ، وكانا يتساطيان في النهار أمور الدولة بماية الحشمة والوقار . حتى إذا جنّ الليل اجتمعا في مجلس العقار ، فكأنا يعمران في أواني من البلور والنضار ، ولا يكتفیان بلذة الشراب ، بل يفسان أذقانهما في الأواني ، ثم يرش كل منهما الشراب بتلك الرشاشات الفريسة على صاحبه لتتم لهما لذّة السكر حساً ومعنى . باطناً وظاهراً ، ويستمرّان على ذلك طرفاً من الليل . حتى إذا جاء الصباح عادا إلى أشغالهما ، الوزير في تدبير الدولة ، وقاضي القضاة في النظر في الحصومات ، والحكم على منتضى الشرع ، واستمرّا على هذه الحال في معاقرة المدام ، حتى وافاها المدام .

فاسمعوا نظير ذلك في قرطبة . كان القاضي أبو بكر بن ذكوان ، من الجلالة باسمي . كان ، أدركته حرة الأدب ، وله في العلم باع طويل ، وكان يقشبه في خلوته مع ابن زيدون ، بالناضي التنوخي مع الوزير المهلب ، وهناك ما شئت من دطابات ورقاطات ، وما نخلت من وكاهات ومجانات ، حتى إذا أصعبا ، ذهب ذو الوزارتين إلى شأنه في ديوانه ، وبكر أبو بكر إلى مجلس الحكم بمنتهى الحق ، ومتى اقترب المساء عادا إلى التصف ، وتجاوزا في ميدانها كل وصف ، إلى أن سطأ الدهر على أبي بكر .

واتفق أن مرّ ابن زيدون يوماً بهر ابن ذكوان في لمة من إخوانه ، وجاء من عمار ميسداته ، فسطفوا عليه . سليم ، فقال أبو الوليد بن زيدون مرتحلاً :

« انظر لحال السرو كيف تحال . . . الخ »



ففي أديب حر يصل إلى هذه المكانة قبل أن يصل إلى الثلاثين من العمر ، فكيف لا يكون كما كان المتنبي حرب الزمان والدمر . نعم فقد دبت عقارب النيرة بينه وبين حاسدي نعمته وسعادته ، والمناظرين والأنداد فتألبوا عليه وتآسروا حتى اتهموا بإراعه في شراكمهم ، ونجحوا لدى الأمير ابن جهور فحبسه حبساً طالت مدته ، فكانت تلك السجون مثارا لشجونه ، فبعد أن صاغ لبني حور ولاسيما لأبي الحزم قلائد وخرائد ، كتب إليه من السجن أشعاراً ورسائل مختارة ، فاضت بها نفسه في التوصل والاعتذار والاستشفاع والاستعطاف ، ولكن المراجحين له على مركزه في الدولة ، وعلى حب ولادة كانوا دائماً يفوزون ، فبقي في السجن مدة تنيف على الحسنة يوم .

كتب لابن جهور تلك الرسالة البديعة التي طبعها أحد المستشرقين في سنة ١٨٨٩ . وهي التي شرحها العلامة صلاح الدين الصفدي .

ولقد زارته أمه في سجنه . تلخّاتها دمتها ، فقال يخاطبها من قصيدته اللامية التي وجهها إلى ابن جهور مستعطاً :

« ألم يأن أن يبكي الغمام على مثلي . . . الخ »

وما ألفت وصفه لنفسه ولوشاته في إحدى قصائده الطناتية :

« كان الوشاة — وقدمتيت بافكهم — أسباط يعقوب وكنت الدنيا . »

هذه الأحوال مضافة إلى نفس كبيرة تنعب في مراددا الأبدان ، شبت رأس ابن زيدون وجعلته هرماً قبل

الأوان ، فقد رأى الشيب في رأسه و عارضيه . وبكى على نفسه وقال من قصيدة أخرى يستمطف بها ابن جهور أيضا :

« لم تطو برد شبابي كبرة وأرى برق المشيب اعتلى في عارض الشعر

قبل الثلاثين إذ عهد الصبا كذب وللشيبه غصن غير مهتر . »

وفيها يقول بما يعرف بأنه عارف قدر نفسه :

« أحين رف على الآفاق من أدنى غرس له من جناه يافع الثمر ؟

وسيلة سبيا إن لا تكسر نسا فهو الوداد صفا من غير ما كدر . »

فدلنا بذلك على أن الشيب ألم برأسه وبلحيته ، قل أن يصل إلى الثلاثين من عمره . وذلك مصداق لما ذكرناه من أنه بلغ مراتب العلا وهو في سن الفتوة وريضان الصبا ، وذكر الصغدي أنه كان يخضب بالسواد . ثم أنه تحيل في الحرب ونجح . فلما خرج من السجن اختفى بقرطبة وأقام فيها متوارياً ، ثم نظم قصيدة طويلة يخاطب فيها ولادة ويستنهض الأديب أبا بكر بن مسلم للشفاعة ويستنزل أبا الحزم بن جهور وفيها يعرفنا أن مدة حبسه بلغت خمس سنين . قال :

« سنون من الأيام حس قطعها أسيراً ، وإن لم يبد شد ولا ربط . »

والقصيدة طويلة جميلة جليلة ، ثم إنه مازال بأبي الوليد بن جهور يستشعر به إلى آية أبي الحزم ، حتى شفع له وانتشله من نكبته وصيره في صناعته ، ولما ولي الأمر بعد والده توه به وقدمه في الدين اصطنع لدوائه وجلله كرامة لم تقنه ، رعموا . فلا غرابه إذا بكى واستبكي حينما مات أبو الوليد بن جهور الذي أذاقه من الحبس والعذاب ألواناً . قد وجد ابن سام يحيط ابن حيان هذه المراثية الندية لابن زيدون في أبي الحزم :

« ألم تر أن الشمس قد صمها القبر . . . . . الخ »

ولسكتنا نعود إلى ولادة ونقساء هل نسي أبو الوليد ولادة ؟ كلا . بل عاد إلى التودد إليها والترب منها ، وكان يذكرها في قرطبة ويراسلها بأشعاره الرائعة القائمة .

ذهب سراً إلى الزهراء يتأمل في محاسنها بوصفها بوله :

« إني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً . . . . . الخ »

ثم أرسله أبو الوليد بن جهور سفيراً إلى حضرة إدريس الحسي بماتمة .

فأطال الثواء هنالك واقترب من إدريس وخف على نفسه ، وأحضره بمجالس أسه ، هبت عليه ابن جهور وصرفه عن السفارة بينه وبين أسراء الأندلس فيما يجري بينهم من التراسل والمداخلة .

إلى هنا انقضت أيامه في قرطبة ، فلقد خشي أبو الوليد أن يلاق من الوليد ما لاقاه من والده . وحينئذ صحت عريته على الهجرة من قرطبة والذهاب إلى المعتضد بن عباد بإشبيلية .

فلامه بعض إخصائه على ما اعتزمه من التحول عن وطنه وهجر أهله وخلاته ، فكتب إليه رسالة ضافية يعتذر فيها لنفسه ويتول من جلتها ما فيه :

« وكنت أول حبسي قد وضعت من السجن في موضع قد جرت العادة بوضع مستورى الناس . . . الخ . »

ولكن ابن زيدون كان قد ذاق من الدهر حلوله وسراء فلم يرض لنفسه بالذهاب إلى إشبيلية دون أن يكون على ثقة من أسره . فلذلك كتب رسائل بديعة إلى بعض المربين من المعتضد ، ثم إلى المعتضد نفسه ، يمهّد السبيل إلى الهجرة . حتى إذا تحقق أنه سيتزل في إشبيلية على الرحب والسعة أزمع الرحيل إليها ، وكان ذلك في سنة ٤٤١ للهجرة .

واتفق في وقت فراره من قرطبة إلى إشبيلية أن صادفه عيد الأضحى ، فرأى الناس يبتهجين بالعيد ، وهم يتزاورون ويتبادلون التهاني ، وهو شريد طريد ، ففاست نفسه بوصف حاله :

« خليلي لا فطر يسر ولا أضحي . . . . . الخ »

فلما وصل إشبيلية . نزل على كنف المعتضد ، وأصبح من خواصه ومحابته يحالسه في خلواته ، ويرسله في مهم رسائله ، وولاه الوزارة وحفظ له لقبه « ذا الوزيرين » .

كان المعتضد جعل مجلسه محطاً من مجلس ابنه وولى عهده المعتضد بن عباد فكتب للمعتضد لابن زيدون :

« أيها المسحط عني مجلساً وله في الدس أعلى مجلس

بفؤادي لك حب يقضى أن ترى تحمل فوق الأرواس . »

فأجابه ابن زيدون يشكره :

« أسقيط الطل فوق النرجس أم سيم الروض تحت الخدس ؟ »

ولكن هل أساء ذلك ولادة ومحاسنها . أم قرطبة ومساكنها ؟ كلا فلم يزل صاحبها شعوراً بهذه وبذلك وأشعاره أكبر دليل على ذلك . فكما كانت له فرصة ، أو هزينة نشوة ، قال فيها أقوالاً تذيب المؤاد .

فلقد تشوق إلى قرطبة وسأكنها بقصيدة تدل على حنينه لها ولمن فيها ، فقال :

« على أنشب الشهدى متى تحية . . . . . الخ »

وكان يبلغه عن بني جهور ما يسوءه في نفسه ونراته في قرطبة ، فقال يحاطبهم :

« بني جهور أحرقنمو بحفاؤكم مؤادى فما مال المدائح تعبق

تعدوني كالسبر الورد إنما تروح لكم أنفاسه حبر يحرق . »

وأما أمداحه في المعتضد بن عباد فتشبه كثير جليل .

وقد كتب عنه إلى صهره الموفق أبي الحليش بن مجاهد الماصري صاحب داية والجزائر انشرفه المعروفة

الآن بحرائر البليار :

« عرفت عرف العبا اذهب عاظمه . . . . . الخ . »

قلت فيما تقدم إن ملوك الطوائف كانوا منقسمين على أنفسهم ، وإن الحرب كانت دائرة بينهم فإليكُم

مثالاً واحداً مما يتعلق بابن زيدون ، وذلك أن أخرب وقتب بين المعتضد صاحب إشبيلية ، وبين

ابن الأفطس صاحب بطليوس ، فأنزى ابن الأفطس هزيمة فتية ، وخسر خساره جسيمة ، فقال ابن زيدون

يهيئ المعتضد :

« لبين الهدى إنحاح سعيك في الداء . . . . . الخ . »

هذا مع أن ابن زيدون سبق له مدح ابن الأفطس بمدحة غراء في قصيدته التي يقول فيها :

« لبيض الطلي ولسود اللهم . . . . . الخ . »

ولا غرابة في ذلك ، فمالك عقيم ، ومصاريف السياسة تقضى بالتغيير من حال إلى حال . خصوصاً إذا انقسمت

أمة من الأمم على نفسها وخاضت في غمار الخطوب والعقن ، وفوق ذلك ، أفليس القلب من مديح إلى

هعاء ومن ملام إلى سلام ، هو سجية من سجايا الشراء الكرام وغير الكرام .

فلما مات المعتضد بن عباد وتولى الملك ابنه المعتضد بن عباد كان لابن زيدون عنده تلك الكرامة وهذه

الحفاوة ، تدل على ذلك شهادة التاريخ ويؤيد ما قول ابن زيدون نفسه في وثاء المعتضد ومحاطبته وروحه

بعد دفة :

«أعباد ! يأوفى الملوك لقد عدا ، عليك زمان من سجيته الغدر.» الخ

ومن المعلوم أن ابن زيدون هو الذى دبر دولة المعتضد وأظهر صواته وأغراء بأعدائه ، وزين له الايقاع بحاله ووزرائه . فندا شعبا فى صدورهم ، ونكدا فى سرورهم . فلما آل الأمر إلى المعتضد ، قام حساده وخصومه وسعوا لديه فى النكايه به ، ثم رموا إليه برقعة فيها قصيدة طويلة أولها :

« يا أيها الملك العلى الأعظم اقطع وريدى كل ماغ ينم !

واحسم بسيمك داء كل منافق يمدى الجليل . وضد ذلك يكتم !»

وهى قصيدة طويلة تتألف من ٢٧ بيتاً كلها اغواء بابن زيدون على سبيل التصريح المفهوم . ولكن المعتضد كان أعقل من ابن حمور . فلم يصغ لتلك الحيلة ، ولم تنفع لديه تلك السمايه فقال فى صدم ورد كيدم فى محرم :

« كذبت مناكم : صرحوا أو جمعوا . . . . . الخ .»

فلما بلغ ابن زيدون ما راجعهم به ، وتحقق حسن مذهبه ، وعلم أن حيلتهم قد أخفقت ، وسمايتهم ما نفقت ، وسهامهم تبرعت ، ومكائدهم تبددت وتوزعت ، قال يمدح المعتضد ويعرض بأعادييه بقصيدة طويلة مطلعها :

« الدهر إن أملى فصيح أعجم . . . . . الخ .»

واستقرّ المعتضد به فى وزارته ، فكان أحد وزرائه الثلاثة الأكابر المشاة وزارتهم . ( أى أحد الثلاثة الذين يلق كل واحد منهم يدى الوزارتين ) والآخران هما ذو الوزارتين ابن عمار ، وذو الوزارتين ابن خلدون ( جد صاحب التاريخ المشهور ) .

خرج الثلاثة فى أحد الأيام من إشبيلية إلى منطرة ( قصر خلوى ) لى صاد بموضع يقال له القنت ( تقريبا لقطع اسانى ) وهو منتزه تحف به مروج مشرقة الأنوار ، متنسفة الأنجاد والأغوار ، متبسمة هن تمور النوار . . . . . فى زمان ربيع سفت الأرض السحب فيه بوسمها ووليها ، وجعلتها فى زاهر مليها وباهر حليها ، وأرداف الربى قد تأزرت بالأزر الحضر من نباتها ، وأجباد الجداول قد نظم النوار قلانده حول لباتها ، وبجاص الزهر تمطر أردية النسائم عند هباتها ، وهماك من البهار ، ما يزرى على مدها من النصار ، ومن الترجس الريان ، ما يزرأ بنواعس الأجنان ، وقد نوا الانفراد للهو والطرب ، والتزه فى روضى النبات والأدب ، وسمتوا صاحباً لهم يسمى «خليفة» هو «وام لذتهم ، ونظام مسرتهم ، ليأتبهم بنبيل يذهبون لهم يذهبهم فى حين زجاجة ، ويرموته بما يقضى بتحريكه للهرب عن الدلوب وإزعاجه ، فجلسوا لانتظاره ، وترقب عوده على آثاره ، فلما بصروا به متبشراً من أول الفج بادروا إلى لقائه وسارعوا نحوه . وانفق أن فارساً من الجند رك فرسه قصده ، ووطئ عليه فهشم أعظمه ، وأحرق دمه ، وكسر قصال (١) النبيذ الذى كان معه ، وفرق من شملهم ما كان الدهر جمعه ، ومضى على غلوائه ركضاً حتى خفى عن العين ، خائفاً من متعلق به يحين بتملقه الحين ، وحين وصل الوزراء إليه تأسفوا عليه وأفاضوا فى ذكر الزمان وعدوانه والحطب وألوانه ، ودخوله بطوام المضرات ، على تمام المسرات ، وتكديره الأوقات المنعمات ، بالآفات المؤلمات ، فقال ابن زيدون :

« ألهو والحتوف بما مطيعة ونأمن والمنون لنا مخيفه »

فقال ابن خلدون :

« وى يوم وما أدراك يوم مضى قصالنا ومضى خليفه »

(١) القمصال كلمة يستعملها المغاربة والأندلسيون بمعنى جرة النبيذ ، وهو إماء من الفخار .



فقال ابن عمار :

« هما غارتا راح وروح تكسرتا فأشفاق وجيفه »

ولابن زيدون مدائح في المعتمد بن عباد كلها درر وغرر ، وآيات بينات ، وله معه مدائح ومطارحات ومساجلات ، فتارة يشوقه إلى تعاظم الجيا في قصوره البديعة ، وتارة يرسل له التفاح ويكتب عليه الأشعار ، يدعو به إلى تناول العنار ، وتارة يهنيه ، وأخرى يمدحه ، وله بيتان قد بلما حد الإبداع في هذا الباب . قال يخاطبه :

« مهما امتدحت سواك قبل فاعلم مدحى إلى مدحى لك استطراد »

يفشى الميادين الفوارس حقبة كيما يملها الزوال طراد »

فما أحسن هذا التنصل بالتمرن على المدح ، حتى إذا أجاد وبلغ المراد أهدى ثمرته إلى ابن عباد . هذه قطرة من بحر من بحور شعر ذلك الفرد ، وأما نثره فشيء سيد حصره ، ومما يجمله كثيرون أنه ألف كتاباً في التاريخ وجمله ابن حرم من مفاخر الأندلس ، وقاله إن أبا الوليد بن زيدون ألف كتاب التبيين في خلفاء بني أمية بالأندلس على منزع كتاب التبيين في خلفاء المشرق للسمودي ، وقد نقل صاحب مع الطيب سطرًا أو سطرين عن هذا الكتاب الذي لم يبق له أثر ولا عين .

وما زال ابن زيدون يتشوق لقرطبة ولمن فيها ويعمل لدى المعتمد بن عباد حتى جمل قرطبة منتهى أمله . فسمى في مداخلة أهلها . ومواصلة ذوى الكلم فيها لأنه رأى عدم العائدة والمكايده لاستمساك أهلها بدعوة الخلافة وأفتهم من زوالها عنهم وانطماس رسومها في بلدكم ، فلما فاز بالمرام وانتظمت تلك العاصمة الضخمة في ملكه ، ذهب إليها مسرعاً واهتم بتدبير شؤونها ، هنالك جاشت نفسه بالفخر على سائر ملوك الطوائف وقال : « من الملوك بشأوا الأصيل البطل . . . الخ . »

أما ابن زيدون ، فقد عاد قرير العين إلى وطنه وأهله ، وكانت له شبيه كبيرة في قرطبة ، فارتفع جده ، وزاد لإقبال الدنيا عليه وبلغت خطوته عند المعتمد درجة لا يطعم فيها .

حينئذ سمي في هلاكه صاحباه ، ابن مرتين وابن عمار ، وتلطفاً في إسماده وإبعاد ابنه من بعده ليحلوا لهما الجوء ، ولينعدا بالاستئثار بابن عباد ، ولقد ساعدتهما الظروف .

وقد وقعت فتنة في إشبيلية واضطرت ابن عباد للتجبل بإرسال جيش كثيف إليها تحت قيادة ابنه سراج الدولة بن عباد ، فسول ابن مرتين وابن عمار لابن عباد أن يرسل ابن زيدون مع سراج الدولة وتلطفاً في تفهم السلطان أن دهاب ذى الوزارتين فيه حقن للدماء ، وحفظ للنظام ، لما له من المسكنة العالية والجماء الرقيق ، ولأنه محبوب لدى جميع القلوب ، ثم وسوسا له بأن المصلحة كل المصلحة هي في وجود ابن زيدون الوزير الماقل المدرب المحكم المحبوب بجانب سراج الدولة الذي هو قرّة عين الملك ، ومطمح الأنظار لبقاء البيت العبادي ، وما زال الرجلان ينسجان على هذا المنوال حتى أفلحا خصوصاً لغياب ابن زيدون في مرض أزمه البيت .

صدر إليه الأمر بالذهاب ولم يمهله السلطان في التوقف لما به من الآلام ، ففرج منها مع الحاجب سراج الدولة بن عباد والجيش متوجهين إلى إشبيلية ، وكان ذلك يوم ١٣ ذى الحجة سنة ٤٦٢ ، وحلف في قرطبة ابنه الوزير الكاتب أبا بكر بن زيدون ، ولكن صاحبينا ( ابن مرتين وابن عمار ) مازالا يميلان لدى ابن عباد حتى صدر الأمر إلى أبي بكر بن زيدون أيضاً بأن يلحق بابيه في إشبيلية .

حينئذ خلا لهما الجوء فاستأثرا بالأمور كلها وانعدا بتدبير الدولة بلا مشارك لهما في أهوائهما ولا معارض

لهما في اغراضهما ، وكان روال دولة ابن عباد كان مقداراً على يد هذين الرجاين فان مرتين ، يكفى في التعريف بمراميه أنه ابن مرتين أى أنه من أصل غير عربى ، فان جده رجل إسباني ، وأما ابن عمار فقد أنكر فضل ابن عباد ، وشق عصا طاعته ، وسمى في الفساد والحراب ، وخرق اليهود ، وخان وأثب ابن عباد حتى أوهى دولته ، على ما هو معروف مشهور .

أما ابن زيدون وهو في إشبيلية ، فلم يطل الأندلس به ، فحقيق أبه به ، فكانت له جاء ليكفنه ويدفنه بها في صدر رجب سنة ٤٦٣ ، حيث تولى منه كهل أن يخلف الدهر مثله جلالاً وبياناً وروعة وظرفاً . وهو عند أول التحقيق في النظم آمد طمعا ، وأحث عنداً ، فلا يلحقه تفصيل ، ولا يحصى وهناً ، ولما وصل خبره إلى قرطبة ، وله فيها أشعة كثيرة وأشياء كثيرة ، تازعوه وحرثوا شايه لأنه كان منهم ، هاوياً إليهم ، حذا عليهم ، وليحه خير بينهم وبين سلطاتهم اخذت الولاية .

أراد السلطان أن يترسام فأرسل لابنه ( أى أنى بكر ابن زيدون ) وقرنه إليه ، ورقاه في مراتب والده حتى أحاطه بلورارة وبد اشتم هذا مرصه ما وقع من دى الوراثة ابن عمار من الخروج على ابن عباد فأوغر صدر ابن عباد عليه ، وما زال يعمل لديه حتى كان سبأاً في هلاك ابن عمار على ما هو معروف مشهور .

## اتمنى الكتاب



تم طبعه « بشركة مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده » في يوم الخميس ٢ ربيع الثانى سنة ١٣٥١ ( ٤ اغسطس سنة ١٩٣٢ ) م

مدير المطبعة

رستم مصطفى الحلبي

# فہرست

القوافي من ديوان ابن زيدون<sup>(١)</sup>

[illegible]

صفحة

فهز - من الهوى - عطف ارتياحى ١٥٨

وَأَنْتَ عَلَى الزَّمانِ مَدَى اقْتِرَاحِى ٢٦١

(وَلَا نِى فِى سُلُوكِ فِى انْتِزَاحِ) (٣٧٣)

(أَفْدِيكَ يَا فِتْنَةَ الْجَنَانِ وَالرُّوحِ) (٣٧٣)

(أَصْبَحَ قَلْبِى بِهِ قَرِيحًا) (٣٧٨)

(وَعَذْرُكَ إِنِّى عَاقِبْتُ أَجْلَى وَأَوْضَحُ) (٣٨٤)

(لِنَقْصَرِ عَنْهُ طَوَالَ الرِّمَاحِ) (٣٩٣)

### حرف الدال

(لِحِجَادِ بِالْقَهْوَةِ وَالْوَرْدِ) (٣٩٢ و ٦٠)

(فَكَابَوْهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِى) (٦٨)

وَلَمْ تَجْهَلِ مَحَلَّكَ مِنْ فَوَادِى ٧٤

فَلِلَّهِ مِنْ أَجْلِ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ ٧٨

(قُلْتُ : أَمْرَانِ هَيْنَ وَتَشْدِيدِ) (٨٦)

وَفَدْتُ خَيْرَ وَافِدِهِ ١٦٥

مِهَادَ حَمَتِهَا - فِى مَرَاتِعِهَا - أَسَدِ ١٧٧

لَوْ سَاعَفَ الْكَافَ الْمَشُوقُ مَرَادِ ١٩٧

(وَأَنْتَ أَمْرٌ عَافِى أَنَا لَكَ وَاحِدِ) (٢٠٤)

(ضَرَبْتُ عَلَى الْأَرْضِ بِالْإِسْدَادِ) (٢٠٦)

(جَهْلًا بِنَا وَوَلَيْتَ عَبْدًا) (٢١٠)

(يَفْخَصُنَ بِالْمَعْرَاءِ شَدَا) (٢١٠)

(وَلَا نِ رَاحَ صَنَعَ اللَّهُ نَحْوَكَ وَأَغْتَدِى) (٢١٦)

(مَاطِلُ فِىهِ سَمَاكِى وَلَا جَادَا) (٢١٩)

كَالشَّرَابِ الْمَذْبُوقِ فِى نَفْسِى الصَّدِى ٢٢٣

صفحة

(أَرْمَاحُ قَوْمِ بِالْعِدَاةِ لَوَاعِبَا) (٣٩٣)

(كَفَاهُ بِخَلَّتِ السَّحَابِ) (٣٩٥)

(يَرْتَاحُ فِيهَا بِأَصْطِيَادِ أَرَانِبِ) (٣٩٦)

(رَجَاكَ عَلَى بَعْدِ فَأَصْبَحَ ذَا قَرَبِ) (٣٩٦)

(وَمَا أَحْصَى صَوَابِهِ) (٣٩٩)

(ذَهَبُوا مِنَ الْإِغْرَابِ أَبْعَدَ مَذْهَبِ) (٤٠٠)

### حرف التاء

وَقَدْ خَفَّتْ فِى سَاحَةِ الْفَصْرِ رَايَاتِ ٦١ وَ ٣٩١

وَأَعْزَلَ عَنْ رِضَاكَ وَقَدْ وَلَيْتَ ٢٦٦

(جَدَاوِلُ مَاءٍ أُرْسِلَتْ فَاسْطُورَتْ) (٢٠٩)

(لَيْسَ مِنَ الْوَحْشِ وَلَا النَّبَاتِ) (٢٨٧)

(عَنْ فَوَادِى دَجَنَةِ الْكَرْبَاتِ) (٣٩٢)

(وَلَلْنِى مِنْ مَنَايَاهُنَّ غَايَاتِ) (٣٩٩)

### حرف الثاء

وَأَوْفَى لَهُ بِالْمَهْدِ إِذْ هُوَ نَاكِثِ ٢٧٧

### حرف الجيم

(قَلَمِى لَهَا أَحَدُ الْبُرُوجِ) (٣٨٩)

(يَا بَدْرَ الدِّيَاحِى) (٣٩٢)

### حرف الحاء

فَمَا حَالُ مَنْ أَمْسَى مَشُوقًا كَمَا أَضْحَى ٥٤

تَصْبِى ، وَإِعْطَافُ نَشَاوِى صَوَاحِ ٨٩

(وَأَخَذِى الْحَمْدَ بِالْثَمَنِ الرِّبَاحِ) (٩٦)

صفحة	صفحة
(٣٩٠) فالقلب منهن والأحداق والكبد	٢٢٣
(٣٩٤) (ورود السكرى بمد طول السهاد)	٢٤٩
(٣٩٥) (وقرة ناظر المجد)	٢٤٩
(٣٩٩) (أسود - لهم فيها - وآساد)	٢٥٠
(٤٠٠) (خف القطين وجف الزرع بالوادي)	٢٥٣
	٢٦٢ وزهدت فيمن ليس فيك بزاهد
	٢٦٤ يا سوء ما لقي الفؤاد
	٢٦٨ وأصابتك بمالم أرد
	٢٧١ ثم امتزجت امتزاج الروح بالجسد
	(٢٧٤) وبلغت من ظلمي المدي
	(٢٧٨) وواصل حبلى صدى
	(٣١٧) (ولإن النعى عارية فتزود)
	(٣٢٦) (وتعرت ذات يوم تبترد)
	(٣٧١) (إذا خفيت طرق العرائس عن أسد)
	(٣٨٥) (متى يختبر غيبه يحمى)
	(٣٨٦) (وفي خلدي ما فيه من لوعة الوجد)
	(٣٨٦) (فتفك عنه للأسى أصفاد)
	(٣٨٧) (وحاضرة في صميم الفؤاد)
	(٣٨٧) (وكان ساعدك الوثير وسادى)
	(٣٨٨) (كوا كفات الغوادر)
	(٣٨٩) (فلا جعلن مكانه وردا)
	(٣٨٩) (وكم عفى عن دار أهيف أغيد)
	(٣٨٩) (فمض به تفاع وأجتني وردا)
	(٣٩٠) (ولا وجدت منا خطوب النوى بدا)
حرف الراء	
(٣٣) (ملكاً يحسنه الخليفة جعفر)	
٣٨ لما جرت بالذى تشكوه أقدار	
٥٨ كمثل هواى فى حال الجوار	
٦١ وأمرضت حسادى، وحاشاك أن تبرى	
٩٢ إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر	
(٩٢) (لما من الطول أو من القصر)	
٩٨ وفاضح الرشأ الوسنان إن نظرا	
١١٩ مضمخة الأنفاس طيبة النشر	
١٤٠ فمن شيم الأبرار - فى مثلها - الصبر	
١٥٠ وأن قد كفانا فقدنا القمر البدر	
١٥٢ عنارى دونه ريق العذارى	
١٦٨ واطلع كما طلع الصباح الزاهر	
١٧٠ غصن أثمرت ذراه بدر	
١٧٤ فمن شيم الأبرار فى مثلها الصبر	
(٢٠١) (بأن المرء لم يخلق صباره)	
(٢٠٥) (تروح بالخورتق والسدير)	

صفحة	صفحة
( وقصرت أعمار العداة على قسر ) ( ٣٧٦ )	٢٤٤ ما أبرزته غرائز الفسكر
( وقد زهرت فيه الأزاهر كالزهر ) ( ٣٧٦ )	٢٤٨ وقر بك من دون البخور معطر
( ماذا يفيد عليك البعث والحذر ) ( ٣٧٧ )	٢٥٤ واجتل التأيد في أبهى الصور
( والنجم قد صرف العنان على السرى ) ( ٣٨٠ )	٢٥٩ إلى أن بدا للصبح في الليل تأثير
( ومن منال قصى السؤل والوطر ) ( ٣٨٧ )	٢٦٧ قلبي عليك يقاسى الهم والفكرا
( بإبصاره الغرة الزاهره ) ( ٣٨٩ )	٢٦٨ واختيارى إن أخير
( ووجهك أملح في ناظرى ) ( ٣٨٩ )	٢٧٢ لا كتفين بسماع الخبر
( والوجد قد جل فما يستر ) ( ٣٩٠ )	٢٧٢ وارضى بتسايمك المختصر
( وأقترن الليل بالنهار ) ( ٣٩٢ )	٢٨١ مدى الدنيا مظفر
( وقنمت وجهك بالمغفر ) ( ٣٩٣ )	( وعشرته مشكورة وعشائره ) ( ٢٩٨ )
( كفى به فدعاني فضله الظافر ) ( ٣٩٤ )	( حرف لفصل اللفظ مقدور ) ( ٣٠١ )
( يسرى إلى غرته السارى ) ( ٣٩٦ )	( ويمى من المال الأحاديث ولذكرك ) ( ٣١٧ )
( ولم ألف فى بحر نعماء زجرا ) ( ٣٩٦ )	( غرست أشجارها مستجزل الثمر ) ( ٣٧١ )
حرف السين	( فيها السرى إلا برأى مقمر ) ( ٣٧١ )
يبحر الدهر ويأسو	( ووصل كظل الروض تعطيكه نورا ) ( ٣٧١ )
( للشيب غدرا فى النزول براسى ) ( ٩٣ )	( يناقضه سنا البدر ) ( ٣٧١ )
وقد آن أن تترع الأكوس	( إلى أن بدا للصبح فى الليل تأثير ) ( ٣٧٣ )
أطول عمر يبهج الأنفسا	( ويقصر أن لاقيتها أطول الدهر ) ( ٣٧٣ )
ويظلم لى النهار وأنت شمسى	( من أفق من أنا فى قلبى أشاطره ) ( ٣٧٤ )
( بها أتر منهم جنى ودارس ) ( ١٩٣ )	( وتصبر عنه ولا يصبر ) ( ٣٧٤ )
( أم نسيم الروض تحت الحندس ) ( ٢٤٧ )	( ومقلة تنفت بالسحر ) ( ٣٧٥ )
( وارع إذا المرء أسا ) ( ٢٩٧ )	( وإن فؤادى - والإله - صبور ) ( ٣٧٥ )
	( ويأمرنى ، إن الحبيب أمير ) ( ٣٧٥ )

- صفحة  
 ١٨٤ بنعيك أن الدين من بعض ما نعى  
 (٢٠٩) (تفرع لمتى شيب فظيع)  
 (٢١٠) (وهز المشرفية والوقوع)  
 ٢٦٣ ومشير كامن الدموع  
 ٢٦٥ محضا ولا م به الواشى فلم أطمع  
 ٢٧٠ وسبيل الهوى وقصد الولوع  
 (٢٧١) أناديك لما عيل صبرى فاسمى  
 ٢٧٩ سر إذا ذاعت الأسرار لم يذع  
 (٣٧٨) (ويا واحدا فاق الخلائق أجماء)  
 (٣٢٨) (نفيس لا تمار ولا تباع)  
 (٣٧٣) (يعنوله مالك الزمان ويخضع)  
 (٣٨٦) (بأن ليس فى حى لغيرك مطمع)  
 (٣٨٨) (ألا غفر الرحمن ذنبا تواقمه)  
 (٣٩٣) (وشادنا فى مهجتي يرتع)  
 (٣٩٧) (وتنهى القلب الصديق)  
 (٤٠٠) (كلما أعطى تدباً نزعا)

### حرف الفاء

- لنا، هل لذات الوقف - بالجزع - موقف ٢٣  
 (٢٠٤) (تخوفنى الأعداء والنفس أخوف)  
 ٢٦٨ أنا مستودع لعلق شريف  
 ٢٧٨ ذكرك منى بالأفاس موصول  
 ٢٧٩ يا من تناهيت - فى الطافه - نجفا

- صفحة  
 (٢٩٨) (بأنس السماع وحس السكوس)  
 (٣٩٢) (نقى للعدم عن الناس)  
 . حرف الشين  
 هل منك لى غلة إن صحت «واعطشى» ٢٨٠  
 . حرف الصاد  
 (فى غير ذلك من الأمور أرخص) (٦٨)  
 حرف الضاد  
 نشب وافر ، وحاه عريض ٨٢  
 ونهته اذهدا فاعتمض ٢٣٧  
 (كواكب فى السماء تبيض) (٣٧٤)  
 (وهب لنا التغميضا) (٣٩٤)

### حرف الطاء

وشط - بمن نهوى - المرار وماشطوا ١٣

### حرف العين

- (يوما وصلنى ساءه) (٢٢)  
 وخذ - فيما ترى - أودع (٦٦)  
 ذهب الفؤاد فليس فيه براجم ٧٩  
 (نفيس لا تمار ولا تباع) (٩٧)  
 عارض كرب بلطفه رفعه ١١٨  
 (بعقبى الدواء مطامعه) (١١٨)  
 أم فى المئات التى قدّمت منتفع ١٣٠  
 (من الدهر حتى قيل لن يتصدعا) (١٤٥)

صفحة	صفحة
( ٣٨٨ ) ( ومشرقة من خلال الحلاك )	( ٢٩٣ ) ( وصول ليس بالجافى )
( ٣٨٩ ) ( وتأنس بذكرها فى انفرادك )	( ٣٧٠ ) ( فليست على العلات منها أخاكف )
( ٣٩٢ ) ( فتغيب مسرعة لذلك )	( ٣٩٣ ) ( فإن الهوى مابه منصف )
( ٣٩٢ ) ( سكران من خمر اشتياقك )	حرف القاف
( ٣٩٣ ) ( فبدا لطرفى أنه فلك )	( ٤٩ ) ( على الصديق والعدو صدقه )
( ٣٩٤ ) ( مقالة لم تشب بإفك )	جناني ، ولكن المدائح تعبق
( ٣٩٤ ) ( ومخلفا أعهدكا )	( ٦٠ ) ( وما المرء إلا عهده وموائقه )
( ٤٠٥ ) ( ولحت من طرق الملاح شباكى )	والأفق طلق ومرأى الأرض قدراقا ٢٥٧
( ٤٠٨ ) ( ردت الروح على المضى معك )	( ٣٧٤ ) ( فنظلل نصبح بالسرور ونعبق )
حرف اللام	( ٣٧٥ ) ( كأنه الصبح تحته شفق )
( ٣٢ ) ( رحال عن الباب الذى أنا داخله )	حرف الكاف
٥٧ فديتك واعتزرت على ذليل	فيميل - فى سكر الصبا - عطماك ٩
٦٢ أم عهدنا البدر يجتاب الحلل	ذائع من سره ما استودعك ١٢
( ٦٨ ) ( سهام العدا عنى فكتمت نصالها )	بكل السننا جلالك ١١١
٩٩ ومورد هم حيث الدماء مناهل	واطلب فسعدك يضمن الإدراكا ١٣٦
( ٩٩ ) ( نهال وأسباب المنايا نهالها )	دعهم فشأنهم غير شأنك ١٤٧
١٠٥ تخالط لون المحب الوجل	( ٢١٧ ) ( كلاهما ذو أنف ومحك )
( ١٠٨ ) ( لَوَ أبصره الواشى لقرت بلابله )	أم كيف أخلف وعدك ٢٦٦
١١٢ ويطلب ثأرى البرق منصلت النصل	لا تظهرى بخلا بمود أراك ٢٧٠
( ١١٥ ) ( فلا تمتصر ماء الصنيفة بالمطل )	الا بوصل قصرك ٢٧٢
١٢٠ وحدى - فى رجائك - الكايل	( ٣٧٥ ) ( لا تتركنى - هكذا - هالكا )
١٣٩ لا تخش منى نسيانا ولا بدلا	



صفحة		صفحة	
( ٣٧٤ )	( كل نيل أناله لى قليل )	١٤٩	وحز المنى وتنجز الآمالا
( ٣٨٨ )	( هيهات جاءكم مهدية الدول )	١٥٣	ولدولة العليا كيف تدال
( ٣٨٩ )	( سفها وهل يثنى الحليم الجاهل )	١٦٥	فى المنظر الحسن الجميل
( ٣٩٠ )	( إلى محب هائم مثله )	( ١٦٦ )	( والمرء يعجز لا الحويل )
( ٣٩٠ )	( فشوقى صحيح وجسمى عليل )	١٦٧	كم لها من ألم يدنى الأمل
( ٣٩٣ )	( وبالسيف والرمح أمضى قتال )	١٦٩	فقد لقح التشوق عن حيال
( ٣٩٤ )	( منى على خلقك الجميل )	١٩٥	وحال تجنيك دون الحيل
( ٣٩٦ )	( قنصت فيها أراننا وحجل )	٢٢٤	ومطلعها من جيوب الحلل
	حرف الميم	( ٢٤٢ )	( يا دهر أف لك من خليل )
٣٥	ريح معطرة النسيم	٢٦٩	لقد فقت - فى الحسن - بدر الكمال
٥٠	والمنى فى هبوب ذاك النسيم	٢٦٣	ويشقى وصالك قلبى العليا
٧٦	وعلى أنت بها عالم	٢٤٨	وسوغت دأبا نساء الأجل
١٢٢	بعقلي - مذبذبة عنى - لم	٢٧٥	يا حائر الحكم أفديه بمن عدلا
١٨٨	يعطى اعتبارى ماحدات فأعلم	٢٧٥	لا ولا ذاك التجنى مللا
١٩٢	إذ العيش غص والزمان غلام	٢٦٩	يملا عيني من تأمل
٢٤١	عن القصد إن أعيالك منه مرام	٢٨٠	يميل - مع الزمان - كما يميل
٢٤٣	علينا أذمة لا تدم	( ٢٩٢ )	( واسكن على أثر المسير قفولها )
٢٧١	يا من يصح بتقلتيه ويستقم	( ٢٩٢ )	( وليس عليه فى النكاح سبيل ؟ )
٢٧٦	زكت ، وعلى وادى العقيق سلام	( ٣٧٠ )	( ولما يهوى الندامى لفعال )
٢٧٩	قام بك العذر فلا لائم	( ٣٧٠ )	( فأنا الذى لست بسال )
( ٢٩٢ )	( كما باهت بصحبته الكرام )	( ٣٧٢ )	( إلى أن بدت للصبح فى الليل أعمال )
٣٠٣	ومرويا لكل لهنم		

صفحة	صفحة
( ٢٢١ ) ( بدور الزمان واسد العرين )	( ٣١٧ ) ( من العيش أن يلتقى لبوساً ومطعماً )
٢٦٥ ودعوت من حنق عليك فأمنّا	( ٣٢٩ ) ( أخت بنى الأكرمين من جشم )
٢٦٧ واستحدث القلب شوقاً بعد سلوان	( ٣٣٢ ) ( إلا لتوهن قوة العظم )
٢٧٠ سأحفظ فيك ما ضيعت منى	( ٣٧٠ ) ( إلا الظلوم للظلم )
٢٧١ حسب المقيم أنه قد أحسنّا	( ٣٧٠ ) ( وأوقد فى الأعداء شر ضرام )
٢٧٣ وحططتني ولطالما أعلمتني	( ٣٧١ ) ( وقد خلقت لها فى مجالس الكرم )
٢٧٣ وعن تمادى الأسى والشوق سلوانا	( ٣٧٤ ) ( فان فؤادى بالمعالى لهائم )
٢٧٦ لو كان ساحبنى فى وصله الزمن	( ٣٧٨ ) ( طممين منه زراً وسما )
٢٧٨ وقضينا الذى علينا وزدنا	( ٣٧٩ ) ( وفى والا مانواح الحاتم )
٢٧٨ من الحسن فنون	( ٣٨٦ ) ( يحجب فيه الصلاة والصوم )
( ٣٧٥ ) ( يساو - وإن سئل السلو - ضنين )	( ٣٨٦ ) ( أمكن ورد فلا يطل حوم )
( ٣٧٦ ) ( فقد فقت الممالك فى معان )	( ٣٩١ ) ( وحن أن يتسنى لى بكم حلم )
( ٣٨٨ ) ( أروضة مسكية الريحان )	( ٣٩٥ ) ( ومتبع الانعام اتماماً )
( ٣٩١ ) ( إذ لا كتاب يوافينى فيحيينى )	( ٣٩٦ ) ( وستر الله مد على الأنام )
( ٣٩٣ ) ( من فارس شهم الجنان )	
( ٣٩٥ ) ( من المجد فاحتل غير القرن )	
( ٤٠١ ) ( أو يرجع القول معناه فيغنيننا )	
( ٤٠٢ ) ( تشجى لواديك أونشجى لواديننا )	
حرف الهاء	حرف النون
٢٥٨ انستك دنياك عبدا أنت دنياه	وناب - عن طيب لفيانا - تجافينا ٤
٢٦٦ ومستغثا لنا صحيه	٣٩ ونفى الشك اليقين
( ٢٨٨ ) ( فاق ذكاء فماله من شبيهه )	٦٨ بعث ودى بلائى
	١٧٠ فى حلى الظرف الحسان
	١٠٨ موثقاً فى يد الحن
	( ١٠٨ ) ( أمرحنا بذكرك أم كنيننا )
	( ١٠٩ ) ( إذ لا كتاب يوافينى فيحيينى )

صفحة	حرف الياء	صفحة	
		( ٣٣٢ )	( أن الرؤوس محل النهى )
		( ٢٧٨ )	( فالأرض تشرق منه )
٥٩	فلتنسناها هذه التالية	( ٣٧٩ )	( ونعيمه فاشتد بوه أواره )
( ٢٠٥ )	( فروق ، فرامح ، فحقه )	( ٣٨٧ )	( وعاشق من لا يباليه )
( ٢٧٥ )	( وإن كنت قد جردت عزمي ماضيا )	( ٣٨٧ )	( وصرفته لما انصرفت عليه )
( ٣٨٥ )	( وقد عطشنا وثم ري )	( ٣٩٣ )	( وبكت مقلتاى شوقا إليه )
( ٣٨٦ )	( له الندى الرحب والندى )		حرف الواو
( ٣٩٥ )	( على العبيد الوفى )	( ٢١٧ )	( فوز من قراقر إلى سوى )



# مُخْتَارُ الشُّعْرِ الْجَاهِلِيِّ

يتضمن هذا الديوان عيون الشعر الجاهلي

لستة من خول الشعراء

وهم

- |                               |  |                   |
|-------------------------------|--|-------------------|
| (١) عمرو القيس                |  | (٤) طرفة بن العبد |
| (٢) النابغة الذبياني          |  | (٥) عنزة بن شداد  |
| (٣) زهير بن أبي سلمى المُرَني |  | (٦) علقمة الفحل   |

صح روايته، وشرح غريبه، وضبطه

مصطفى السقا

مدرس اللغة العربية وآدابها بمدرسة الخديو إسماعيل الثانوية بالقاهرة  
مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد وحرف جميل مضبوط بالشكل ومصحح  
بغاية الاعتناء ومجلد بالقماش المذهب .

يطلب من مكتبة :

مصطفى البابی الحلبي وأولاده بمصر

ص . ب . الفورية رقم ٧١

التي تقدم الفهرس الحاوي للكتب الأدبية وخلافها لمن يطلبه مجاناً .